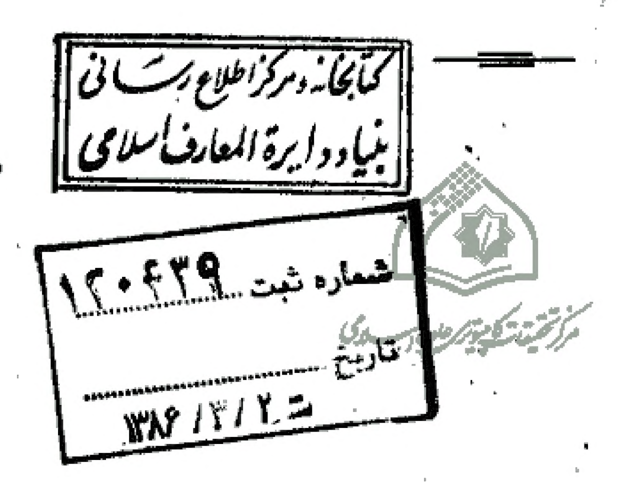
اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي

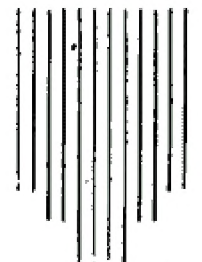


المجلد السابع

الجزء الأول

يناير 1970

ذو القعدة 1389



يصدرها:

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي

(جامعة الدول العربية)

الرباط (المغرب الأقصى)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي

سجل لأعمال

- مجامع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية

المجلد السابع

يصدرها :

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي

(جامعة الدول العربية)

(الرباط المغرب الأقصى)

دراسات وأبحاث

إسهام في دعم علم السيمياء الحديث وعلمي الصوتيات والاشتقاق

الوحدة الأصلية بين اللغات مظهر لوحدة إنسانية عريقة

نظرية طريفة تبرز أسس هذه الوحدة

عبد العزيز بنعبد الله

مدير المجلة ورئيس تحريرها

علم السيمياء sémantique علم خاص بدراسة معاني الكلمات وتغيراتها وهو علم «حديث» عرف بأوروبا وخاصة بفرنسا عام 1883 وهو علم يكمل علم الصوتيات phonétique (اي العلم المختص بالاصوات والنطقيات) ، ويستهدف البحث عن جميع ظواهر اللغة بصفتها مجالي للتعبير عن خوالج الفكر البشري وهو يستبطن جانبا خاصا من هذه الظواهر هو تطور معاني الكلمات وقد ادرج عنصر جديد فى هذا العلم هو الترامن synchronisme اي ترامن الكلمة وظواهرها بمعنى وقوع هذه الظواهر اللغوية فى عصر من عصور التاريخ فى دراسة صنيع الالسن واللهجات ، وبذلك ظهرت جوانب فى هذا العلم تبلورت فى السيمياء الترامني sémantique synchronique ونسميه نحن سيمياء «المباني» (1) وهو يستجلي كل ما له صلة فى عصر من العصور بالرابطة التعبيرية القائمة بين الدال والمدلول ، اما السيمياء المتعلقة بالتطور الترامني sémantique diachronique او «سيمياء المعاني» فهو يهدف الى دراسة التغيرات الطارئة على معنى اللفظ اي استجلاء خاصية الظواهر اللغوية من ناحية تطورها الزمني . وقد تشعب هذا العلم منذ نحو اربعين سنة باتساع شبكة اهتماماته التى اصبحت لا تقتصر على دراسة الفاظ معزولة اي منفصلة عن مؤثراتها بل صارت تبحث فى مجموعات لغوية تتصل بالنحو والاشتقاق والتراكيب اللفظية بناء على المدركات والمفاهيم واعتبارا لظواهر اجتماعية وبذلك برزت نظرية جديدة فى اللغة عرفت بالستروكتورالية structuralisme تعتبر اللسان كمجموعة مرصوصة ترصيصا دقيقا تكون التعابير فيها مجرد تعاريف للنسب والصلات ومع ذلك فقد شعر اللغويون او الخبراء فى اللسنيات linguistes بأن هذه الدراسات سوف تظل مشلولة اذا تحركت فى قفص مقفل متجاهلة الروابط التى استوثقت فى مختلف العصور بين الامم والشعوب واللغات واللهجات تلك الروابط التى تضفي على علم اللسنيات linguistique طابعا انسانيا شاملا ربما اعتبر من ابرز مظاهر الوحدة الاصلية بين البشر وهكذا ظهر علم السيمياء

---

(1) اخترنا هاتين الكلمتين وهما المبنى والمعنى لوجودهما فى الاصطلاحات النحوية العربية .

العـام sémantique générale الذي يـرى فى السيمياء المرتبطة بلغة ما من اللغات مجرد حالـة خاصة ولم يعد علماء اللغة يرتكـزون ـ حينئـذ ـ فى دراسة تطور التراكيب والاشتقاقات على عوامل تختص بلغة ما فى بلد ما بل اضافوا الى ذلك عناصر طريفـة مختلفـة تتصـل بالمؤثرات الاجتماعيـة والاقتصادية والمبادلات بين الامم وكذلك بالملابسات الشعبية اي عمل الشعب الذى يستأصل المترادفات الحوشية فتظل عاطلة بين دفات المعاجـم ويخلـق ويولد وينحت ويصفى مبرهنا على ان اللغة كائن حي تنشأ ولائده لتترعرع وتهرم تلقائيا مسايرة مقتضيات التطور والحاجيات المتجـددة واذا كان فى وسـع المجامع والهيئات اللغوية توليد لفظ جديد للتعبير عما يستجد من المدركات فان هذا اللفظ انما يعيش غالبا فى نطاق علمي محدود (اي نطاق المصنفات العلمية التى يتداولها الاختصاصيون) اما الحياة الحقيقيـة فهي تلك التي تنبثق من التجربة العلميـة بواسطـة الاجهزة الحيوية فى الامة كالصحافة والاذاعة ووسائل التعميم والتبسيط المختلفة .

لذا فان علم السيمياء اصبح يهتم بتاريخ تطور اللفظ بالنسبة لتاريخ تطور شعب ما منذ حضارته البدائية اعتبارا لعلاقاته مع شعوب اخرى وبذلك امست كثير من الظواهر والتطورات الاجتماعية تصحح ارتكازا على هذه القاعدة بينما كانت الدراسة المنفصلة لكلمة ما هي المتحكمة فى تكييف معطيـات التاريـخ والعلائق البشرية وهذا الجانب يهتم به علـم هـو sémiologie يختص بدراسة « السـمات » فى المجتمع (2) .

والواقع ان القدماء من غربيين وعرب اهتمـوا بهذا الجانب من علوم اللسنيات منذ اكثر من الفي سنة فقد افرد الفيلسـوف افلاطـون الموضـوع بالتاليف فـى كتابـه « Cratyle » (باريـز 1931 ـ مجموعة الجامعات الفرنسية) فى شكل حوار بيـن استاذه سقراط والنيـن مـن رجـال الفكـر همـا Hermogène وكراتيل Cratyle وقـد اكـد الفيلسـوف « ان للاشياء جوهرا ثابتـا وقـارا وان الكلمة اداة للتعبير عن الحقيقة وبذلك يكـون بيـن الكلمة وحقيقتها الدالـة عليهـا (اي بين الـدال والمدلول والمبنى والمعنـى او الاسـم والمسمـى) تلاؤم طبيعي justesse naturelle فلهذا كان اللفظ يعبر عن جوهر الاشياء وكانت الكلمة تبرز اول ما تبرز فى وسط بدائي فطري وهـذا هو ما حـدا سقراط الى القول بأن المجتمع البدائي الذى يصفـه بالوحشـي هـو المنبـع الاصيـل للكلمـة ويقـول Louis Méridier (الاستـاذ فى كليـة الآداب بجامعة باريز) لدى تعليقه على هذه الظاهرة (ص 19) « ان العلم الحديث يفسر ذلك بالقرابة القائمـة بين اليونانية والسنسكريتية او اي لغة اخـرى هندية اوربية » وقد اشار افلاطون الى ما تمتاز به الحروف من خواص تعبيرية اي علاقة طبيعيـة مع المدلـول والكينونة ولذلك كـانت هـذه الحـروف ادوات للتعبير عن ظواهر شتى كالحركة والخفة والطمـوح والاضطراب والتوقف والانزلاق والاستبطان والعظمة والطول والكورية وغير ذلك بحيث نجد كثيرا مـن الشبه بين اللغات انطلاقا من هذه الظاهرة الانسانيـة الاصيلة .

وقديما ربط علماء اللغة العـرب بيـن هـذه المعطيات وبين ما سموه بعلم السيمياء اي علم اسرار الحـروف (3) وقـد تعـددت فى ذلـك دراسات الحاتمي والبوني وابن خلـدون كمـا افـرد رونـي كينون (فى كتابه المذكور) فصلا خاصا لهذا العلم ابرز فيه « الجوهر والنسب العددية التى تعبر عنها الكلمات » ولاحظ ان لانتقال كلمات من اقاليم الى اخرى بحكم التبادل بين البشر علاقة وطيدة مع قيام مراكز اشعاعية فى مختلف هذه الاقاليم .

---

(2) سنحلل بحول الله فى عدد مقبـل مقومـات وتطورات هذا العلم الجديد

(3) يرى René Guénon فى كتابه (رموز اساسية للعلم المقدس)
« Symboles fondamentaux de la Science sacrée » (Edition Gallimard, 1962)

ان كلمة سيمياء لا يظهر انها عربية صرف وانها مشتقة من كلمة Semeia اليونانية بمعنى العلامة وهو واهم فى ذلك لان كلمة سيمياء العربية مشتقة من السمة (سيماهم فى وجوههم) بمعنـى العلامة والآية اي signe ايضا .

وقد كان للنحاة العرب منذ صدر الاسلام نظريات تتصل بعلم السيمياء الحديث من وجوه مختلفة حيث حاولوا ابراز خواص كل لغة من حيث «مبانيها» ومن حيث «معانيها» .

ونشير هنا الى ما حققه احد كبار الاختصاصيين فى اللهجات وهو كوني A. Cuny (4) من وجود تشابه عميق بين اللغات الهندية الاوربية اي الآرية من جهة واللغات الحامية (كالمصرية القديمة) والسامية (كالعربية والعبرية) من جهة اخرى ، قد لاحظ ان وحدة استعمال صيغة المثنى مثلا فى هذه اللغات دليل قاطع على القرابة الاصيلة بين هذه المجموعات اللغوية ثم ذهب ابعد من ذلك فابرز طابع التجانس والتشابه بين التطور الذي حققته اللغة اليونانية انطلاقا من اللغة الهندية الاوربية وبين تطور اللغة السامية ابتداء من الثنائية الحامية والسامية ولم يخف الاستاذ كوني (ص 33) اصالة التراث الموحد العريق فى عهود ما قبل التاريخ بين العربية الفصحى ولغة شعب اركاديا Arcadie اليوناني (وهو شعب من الرعاة الذين جمعتهم وعرب الجاهلية روح البداوة الخلاقة) ثم اكد (ص 48) انه نظرا للمظاهر العامة فى مسيرة التطور يمكن القول بأن ثراء اللغة الهندية الاوربية هو — نسبيا على الاقل — من مخلفات العهود السحيقة اي انه منبثق من ذلك التراث الاصيل الذى تركته المجموعات السامية والحامية » ثم ختم سلسلة دراساته الدقيقة (ص 64) مؤكدا ان مجالي التشابه والتوافق الملحوظة بين اللهجات الهندية — الاوربية والسامية والحامية حجة حتمية على وجود وحدة لغوية اصلية » .

* * *

ويرى كثير من علماء اللسنيات ان ابناء نوح حاولوا منذ ازيد من خمسة آلاف من السنين اقامة برج سامق فى بابل Babel للوصول الى السماء ولكن الله عاقب هذا الطموح الاخرق بخلق بلبلة فى لغات كانت قبل ذلك موحدة ومهما تكن قيمة هذه « الاسطورة » فلا يبعد ان تكون البشرية بعد الطوفان قد انحسرت ابعادها وانحصرت تخومها والحدت وجهاتها ولغاتها فبرزت منذ ذلك كثير من اوجه التشابه بين لغات البشر من الآريين والساميين والحاميين ولا شك ان الانسان الاول قد انطلق فى نطقه البدائي من ثنائيات صوتية ردد فيهما الاصوات الطبيعية فى حروف اصبحت مع الزمن جذورا مشتركة بين المجموعات البشرية المذكورة وبذلك يكون منطلق كل لفظ من حرفين اساسيين رتيبين او معكوسين انضافت اليهما فى ءاخر المطاف سوابق ولواحق او صدور وكواسع (préfixes et suffixes) تتسم بطابع اقليمي يخضع لمؤثرات جهوية خاصة وهذا هو سر الاختلاف المتزايد مع الزمن بين لهجات كانت موحدة الى عهد قريب ثم تناءت الشقة بينها حتى فى الاقليم الواحد كما وقع بالنسبة للغة العربية ضمن مختلف القبائل منذ العهد الجاهلي

ونظرة على لائحة الابدال والمعاقبة بين الحروف العربية (المثبتة ءاخر البحث) تبرز لنا معيارا دقيقا لهذا التطور بالنسبة للغة العربية وهو معيار قد تنضبط مقاييسه الفطرية حتى على لغات ولهجات اخرى فى اقاليم غير عربية .

وهكذا تولدت فى خاطرنا — منذ ان اتصل تفكيرنا بهذه المعطيات المشتركة — نظرية كانت تتضح وتتبلور كلما امعنا فى تتبع الامثلة العديدة التى لم تكن نختارها نحن بل كانت تترى فى سيل عارم ملك علينا مشاعرنا فى فترة وجيزة قضيناها فى الاستعراض والتمحيص وقد اغتنمت فرصة وجودي بين مراكز الاستشراق وخبراء اللسنيات خلال شهر شتنبر المنصرم فى بولونيا والاتحاد السوفياتي فعرضت الفكرة — خلال احاديثي — على ثلة من الاختصاصيين فى اللهجات السامية ، وقد حاولت وضع مشروع ضوابط اساسية لهذه الفكرة ارجع اليها كقاعدة فى البحث وكنت اترك لزملائي من المستشرقين الذين امكنني التحدث اليهم فى الموضوع — حق انتقاء اللفظ الروسي او الفرنسي او الانجليزي الموضوع على المحك لاختبار مدى انطباق القاعدة عليه وكانت النتيجة فى معظم الحالات ايجابية الى حد بعيد كما يتضح من الامثلة المعروضة هنا فى غير ترتيب .

(4) Auteur de la « Catégorie du duel dans les langues indo-européennes et chamito-sémitiques ».

نمـاذج لوحـدة اللغـات

فنحن نسرد هذه النماذج كما اقترحت علينا ونستثني منها الدخيل الاجنبـي الذى شهـر فى العربية او العكس (وان كان لنا نظر فى ذلك قـد سبقنا اليه صديقنا العلامة عبد الحـق فاضل فى سلسلة ابحاثه القيمة حول التاثيل والترسيس (5).

ونؤكد هنا انه يجب الارتكاز فى نظريتنا هذه **على دراسة الحرفين الجذريين فى الكلمات المتشابهة واعتبار ضوابط اساسيـة سنشيـر اليهـا عنـد الاستعراض غير ان الجذر يكون فى الغالب ثنائيـا اي يحتوي على حرفين متشابهين . وان كان التماثل قد يصل الى ثلاثة احرف ، وقد ينزل احيـانا الى حرف واحد .**

ننظف مثلا تقابلها فى الفرنسيـة nettoyer (واصلها net وقد وضعت فى القرن الثاني عشر الميلادي واقتبسـت منهـا كلمـة net اي واضـح اوصـاف) ، كما تقابلها فى الروسية كلمة natirat

والجذر الثنائي فى هذه الكلمـات هـو نـط (باعتبار ان الطاء فى العربية تتعاقب مع الظاء كقول العرب شطي الميت وشظـى اذا انتفـخ فارتفعـت قوائمـــــه) .

نـظ = نـط = net = nat

اما التشابه مع الانجليزيـة فانه يتجلـى فى مرادف ءاخر لكلمة نظف وهو صفى التى يقابلها فى الانجليزي :

صـفـى = nettoyer = to swab
صـــف = swa

ولهذا وجب قبل التنظير والمقارنة استقصـاء المترادفات فى كل لغة .

ونضرب لهذا مثلا ءاخر بمترادفين عربييـن هما زفن ورقص حيث تقابـل كلمـة زفـن بكلمـة danser فى الفرنسية و tantzewat فى الروسية و danzar فى الاسبانية و to dance فى الانجليزية على أساس : زن ـ نز = ns

(القلب يكون من السهـل الى الاسهـل)

ونورد مثالين ءاخرين لابراز اهمية التعـرف على المترادفات :

فالكلمة الاولى هي نور يقابلها فى الفرنسيـة كلمتان هما lumière و lueur فاذا انقلبت نـور (طبقا لمبدا التعاقب بين اللام والنون مثـل زجـل وزجن واصيلال واصيلان وحالك وحانك) .

اصبح : نور = لور = lueur
(وهو يتفق والكلمة اللاتينية الشعبية lucere) ....

وبهذه المناسبة لاحظ علينا احد المستشرقين الروس ان القاعدة لا تنطبق هنا على المقابل الروسي وهو Svet (تنطق Sviet مع تخفيف حرف V) فعقبنا على ذلك بان لكلمة نور مرادفا هو ضياء لقول الله تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمـر نورا » (وان كانا يختلفان من حيث القوة) ولهـذا صــــار

ضيـاء = صيـاء = صيـات Siat = Sviet
(صـى = sie)

(وقد عاقب العرب الضاد والصاد فى مثـل مض الرمانة ومصها ومنـاض ومنـاص ودحـض المذبوح برجله ودحصه اذا حركه وتضـافـ النـاس وتصافوا الخ) وما زالت كثير من الاقطار الاسلامية فى آسيا الوسطى تسمى الحوض حوصا)

اما الكلمة الثانية فهي زهر ومرادفها هو نور (بفتح النون) الذى تقابله فى الفرنسية كلمة fleur (التى كان ينطق بها flor او flour فى القرن الثاني عشر الميلادي) وفى الانجليزية flower وفى الاسبانية flor وفى اللاتينية flos (التـى اعطـت floris)

ولناخذ الآن كلمة عبـر فانها مؤلفة من العين والباء والراء فاذا اعتبرنا ان الباء تعاقب اللام فى العربية (مثل قطع وقطل وصقل به الارض وصقعها اي ضربهـــا) .

---

(5) راجع مجلة «اللسان العربي» (وخاصة منها العددين الثالث والخامس)

اصبحت الحروف : لبر = برل = prl
ومنها parler في الفرنسية و (habra = habla)
في الاسبانية parabola في اللاتينية
و v = b) gavorit في الروسية
والكلمة تختصر (abarit في حين تساوقت الكلمة
الانجليزية to talk مع مقابل عربي اخر هو
نطق (نطق = طنق = طلق talk)

ومنها لسان طلق وطلاقة اللسان بمعنى فصاحة
القول

وترمز الثنائية الجذرية في حرفي طس
(مثلها طش نظرا للتعاقب بين السين والشين في
مثل اسدف واشدف الليل اذا اظلم) الى السقوط
واحيانا الى السقوط مع تشتت وتفرق (طش
تقابلها بالفرنسية chute وبالانجليزية
shut down وتعبر لفظة طش في العامية المغربية
عن هذا المعنى واصلها من طشت السماء اذا امطرت
ومن الطشاش وهو الرشاش) ومن ذلك شتاء اي
مطر هاطل (س = ت في مثل قول العرب النات
والناس والتكين والسكين) يقابلها في الروسية
tetch وفي الاسبانية salto (المتضمنة لـ :
sat) . ولا نطيل في هذا السياق فان القلم اذا
سار على هذه الوتيرة عسر عليه حصر المادة لاسيما
**اذا قارنا نفس الكلمات مع مرادفاتها في لغات
مختلفة** . وقد ايد احد المستشرقين الروس هذه
الامثلة ملاحظا ان هذا التساوق بين هذين الحرفين
الجذريين وبين فكرة السقوط والتشتت قد يوحي الى
خبراء اللسنيات بفكرة اخرى **هي امكانيات وجود
اصول جذرية موحدة غير مدروسة لحد الآن في
كثير من اللغات** والتي تتجلى في سعة مدى **تفاريع
الجذر الثنائي** في مثل : « قب » فانه يرمز الى كل
ما يعقد او يصنع مقوسا او محدودبا مثل :

قبة = coupole (بالفرنسية) cupula
(الاسبانية) cupola (الانجليزية)
قبو = alcove (بالفرنسية والانجليزية)
elcove (روسية) alcoba بالاسبانية
قبعة = chapeau (ف) chopka (ر) copc
او capelo (ا)
قب = capuchon = cap (انج) capuchon
او capucho (ا) الخ

ولنشر باقتضاب الى بقية الامثلة المعروضة
علينا فنقول :

— مشى : يقابلها marcher بالفرنسية
marchirovat بالروسية و marchar بالاسبانية و
to march بالانجليزية .

اما المشي الخاص للتعقب كالمطاردة مثلا :
فقد اعطى في الانجليزية to tread طارد
— سال يقابلها في الفرنسية couler على
اساس ان ك = C = s في الفرنسية (مثل
civil و celeste) اعتبارا لكون السين
تعاقب الصاد في العربية والصاد تستبدل
بالكاف مثل وصب ووكب على الامر اذا واظب
عليه ومك العظم ومصه بمعنى) . كما ان قبيلة
ربيعة تجعل غالبا الكاف المؤنث شينا كما قال
الشاعر يصف الغزالة :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها
سوى ان عظم الساق منش دقيق
(يريد عيناك وجيدك)

— ملجأ ومرادفها معزل وهما يقابلان كلمة asile
(بالفرنسية) و asilo (الاسبانية) و
asilus (بالانجليزية)
— مضغ يقابلها mâcher ومنها تفرعت مصطكا
mastiquer, mastic (ومعلوم ان
الصاد تعاقب الضاد نحو مص ومض وحصب
وحضب في معنى حطب)

— سار يسير سير circuler (ف) و
tsircoulirovat (ر) و circular
(ا) و to circulate (انج) .
— عشاء pitscha بالروسية (عشاء=اشاء= itcha)
غداء = eda (بالروسية ايضا)
اما صيغ الافعال في اللغات فقد لاحظنا مثلا ان
تاء الخطاب ونون المتكلمين وياء الغائب او
او الغائبين متشابهة كقولك : تفعل tu fais
ونفعل nous faisons ويفعل (il fait ou ils font)
(ب = l = ll في الفرنسية نحو briller
الخ)
كما ان كلمات الايجاب والنفي موحدة في كثير
من اللغات :
اي = oui = yes = ya = si
(باضافة s في الاسبانية)

لا (= نا لتعاقب اللام والنون) no (أ)
non (ف) = now (انج) = niet (ر)

— شط (بمعنى شاطيء) يقابلة في الفرنسية côte (وتعاقب الشين والكاف في العربية كما راينا) و costa في الاسبانية في حين ان كلمتي bord الفرنسية و bereg الروسية تقابلهما بالعربية كلمة بر بنفس المعنى: يقال وصلت الى البر اي الى الشاطيء واذا قلبت هذه اللفظة (بر = رب = رف مع تعاقب الباء والفاء كما هو الحال في كثير من اللغات (6) (مثل الروسية حيث B = V) تساوقت مع كلمات من مادة اخرى مثل rive بالفرنسية و rib بالانجليزية و ribera بالاسبانية و ripa باللاتينية (7)

— خمول humilité (ف) humility (انج) humilidat (أ) humilitas (باللاتينية):
خمل = همل = humilier

— بلع تقابلها بالفرنسية avaler وتوجد نفس الحروف الثنائية في الانجليزية في كلمة to swallow (بل = فل = wal = val) والعين والالف هنا، اما من الصدور اي السوابق او الكواسع (اي اللواحق) العارضة في اللغات ولعل بلع في العربية منحوتة اصلا من بل (او بلل) الحلق .
ونلاحظ ان التساوق بين العربية والاسبانية يتم بواسطة مادة اخرى هي روق وريق او تروق (من الريق) و tragar (أ)

— سبل (أي شعر) يقابله cil (شعر الحاجب) و sourcil (سل = cil)

— ماء يقابلها باللاتينية aqua وبالاسبانية agua (بال التعريف في el gua) وبالفرنسية في تفاريع المادة مثل aquatique - aquarium الخ ..
واصلها : مـاء = ماء (8) = ماك (9) = ague =aque

ومعلوم ان الماء يسمى «مبوه» في لغة الاطفال (خاصة في العامية المغربية) ويسمى الماء boda بالروسية كما ان كلمة boire معناها شرب بالفرنسية .
ونلاحظ ان كلمة ميه مشتقة من الماء وهي متساوقة مع لفظة mouiller بالفرنسية و mojar بالاسبانية (يقال ايضا aguar) و to moisten بالانجليزية
ومن جهة اخرى تتشابه كلمة mouiller مع لفظة لاتينية شعبية هي molliare التي اعطت في القرن الحادي عشر الميلادي كلمة mouiller الفرنسية) .

— كيس caisse او guichet (ف) و caja (أ) و kacca (ر) و case (انج)

— قدما (بضمتين) good (انج)
يقال ذهب قدما اي سار الى الامام لا يلوي على شيء وقد دخلت الى العامية المغربية بعد ان حذفت منها (ما) فصارت قد = قود = كود (ينطق بها بالكاف المعقود)
ويستعمل العامة في المغرب ايضا كلمة دغري (وزان عمري) بنفس المعنى ولعلها من كلمة دافر وتاتي في الاتباع كقولهم اذهب صافرا دافرا (اي خاضعا ذليلا) (المتن) وفيها معنى السير الحثيث دون التواء ويمكن تشبيهها بالكلمة الفرنسية droit حيث يقال marcher tout droit اي سار دغري

— ودر اي اضاع adirer (ف) وهي مقتبسة قطعا من العربية .

— دبر من التدبير يقال دبر الامر اعتنى به ونظر في عواقبه
ويقابلها بالفرنسية se débrouiller
وبالروسية rasobratsya

— نافذة = fenêtre (ف) و ventana (أ)
و Window (انج) و fenestra (باللاتينية) و akno (بالروسية)

---

(6) مثل زحف وزحب في العربية .
(7) يلاحظ هنا ان اللغتين الانجليزية واللاتينية احتفظتا بالحرفين الجذريين الموجودين في اللغة العربية .
(8) نظرا لتعاقب الميم والهاء والهمزة في العربية مثل اللمجة واللهجة لما يتملل به من الطعام
(9) ينطق بالكاف همزة في كثير من اللهجات والعاميات العربية فيقال آو آو بمعنى كاو كاو cacao

والجذر الثنائي فى هذه الكلمات هو نف اوفن (من باب القلب)

وهذه المادة ترمز الى كل ما له ثغرة والنوافذ فى الجسم كل سم يوصل الى النفس (10) ومنها انف nez (ف) و nariz(إ) و noso (انج) ومنها كذلك كلمة fendre وكذلك fissure التى تقابلها بكلمة فج العربية حيث يقال فج رجليه اذا فتح ما بينهما والفجة الفرجة بين الجبلين . وهنا يكون الحرفان الجذريان هما فج = fs

— الموسى والسكين والمدية والخذمى الفاظ لمدلول واحد، وقد شهر بعضها فى اقليم خاص كالمديةفى اليمن،ولكن الصفة البارزة فيها هي القطع فالموسى هو القاطع وهي كلمة يمكن تشبيهها بكلمة couteau الفرنسية ويستعمل الانجليز فعل to cut للتعبير عن القطع واذا حللنا من جهة اخرى كلمة سكين مثلا نجد ان السين فيها تبدل من التاء (عند ابي فارس) حيث يقال السكين والتكين ومنه تك الشيء اذا قطعه . وهكذا اعطت : تك = كت = قط = cut والكلمة المقابلة فى الروسية هي noj فاذا قلبت النون ميما (كقول العرب البمان والبنان ومجر ونجر بمعنى عطش وعمبر وعنبر) وعاقبت الجيم الشين والسين كما فى قول العرب مجدوه ومشدوه وليل دامج،ودامس اي مظلم امكن القول بان : موسى = موس = نوس = نوج = noj

— قط بمعنى هر يقابلها فى الفرنسية chat وفى الانجليزية cat وفى الروسية kochka وفى الاسبانية gato

ويطول تعداد المتشابهات والمتساوقات فى مختلف اللغات لانها على مستوى كلمات المعجم بحيث تكاد تجد فى كل صفحة من القاموس نماذج حية لهذا الشبه وخاصة اذا ما حاولنا استعراض الترادفات فى كل لغة ومقارنة هذه الترادفات بعضها ببعض مع تتبع عملية القلب او المعاقبة والبدل فى حروفها وتبرز هذه الظاهرة خاصة فى الكلمات التى تعبر عن مفاهيم تندرج فى بداية الحضارة الانسانية اي يكون الانسان الاول قد عبر بها منذ ما قبل التاريخ من فكرة او شيء برز مع بروز الانسان الى الوجود او تطور الانسان البدائي فى الحياة وتتصل هذه المعاني خاصة بالماء والسماء والارض والتراب والالوان والالات والاواني والاعشاب والبقول والاسلحة واللحوم التي كانت ضمن محتويات الكهف او المغارة التى عاش فيها البشر منذ «الاف السنين»، وقد عثر فى جبل اوكايمدن بالمغرب الاقصى على ثلاثة «الاف وخمسمائة صورة figures rupestres لهذه الاشياء البدائية كما عثر فى جبل Massif Central بفرنسا على نفس المجموعات .

فاذا ما تتبعنا الكلمات التى ترمز الى هذه المسميات وقارنا بينها لاحظنا تشابها مذهلا يؤكد كما قلنا الفكرة القائلة بأن ابناء نوح تكلموا لغة واحدة تشعبت خلال العصور مع الاحتفاظ بنفس الجذر الصوتي ولنقتصر الحديث على امثلة مستقاة من الجسم البشري او من الالوان التى عرفها الانسان الاول .

فكلمة هيكل تقابل squelette (كل = quel)

وكلمة جيد (اي عنق) تقابل cou (جيد = كيد = كود = كو = cou (11) وبما ان الانسان الاول ربما اضطر الى ان يستمد من معالمه الجثمانية الصفات والسمات التىتعرض له فى الخارج ، فانه قابل بين الجيد وبين انعراجه فاستخلص من cou كلمة coude وكذلك cube و cubitus (الذى نسميه اليوم الساعد والذى كان يعني فى اللاتينية coude) على ان هذا الانعراج

---

(10) هذه النوافذ او المنافذ لها اسماء خاصة بالنسبة لكل عضو فى الجسد فالاصران هما ثقبا الاذنين والخنابتان هما خرقا الانف والطبيجة (بالكسر وتشديد الباء) هو الاست

(11) الجيم تقلب فى العربية كافا مثل ارتك وارتج والقافية فى الشعر العربي تتساوق فيها الياء والواو فى مثل كيد وكود والياء تحول من الواو كالميزان من وزن والميعاد من وعد .

المصحوب بشكل مكعب يوجد فى اعضاء اخرى من الجسد كالكعب . فاذا **ارتقينا فى سلم الاشتقاق الى الاصل الاول** لاحظنا ان كلمة كعب اطلقت فى البداية على العظم الناشز البارز فوق القدم ثم على العظم الذى يلعب به ونجد ان كلمة cube الفرنسية كان اصلها فى القرن الثالث عشر الميلادي cubus وهي مشتقة من كلمة Kubos الافريقية التى معناها dé à jouer اي كعب اللعب ومن هنا جاءت صفة مكعب cubique (ف) و cubico (ا) و cubic (انج) وما زال الانجليز يستعملون كلمة cubitus للتعبير عن الساعد (cubito بالاسبانية)

— المصعص يشبه os (ف) و huesco (ا) و osseux (ف) و osseous (انج) وهو يقابل خاصة كلمة coccyx (ف) و kokkyx (الاغريقية)

— مشط (عظم عريض فى الكتف) يقابل omoplate (بالفرنسية والانجليزية) و omoplato (بالاسبانية) و omoplatê (بالاغريقية)
(الجذر الثنائي هو مط = مت = mote (12)

— رضفة بالتحريك (عظم منطبق على الركبة) يقابل rotule والجذر الثنائي فيهما هو رط = rot (13)

— الألية تقابل ilion او ilium (حرقفة) لانها عبارة عن العجيزة وما يكتنفها من عظام تصل الى ادنى الخصر .

— ادمة (باطن الجلد التي تلي اللحم) تقابلها derme و épiderme (دم = dem

اما الالوان فناخذ منها الكلمات الآتية :

1) ابيض = blanco (ا) blanc (ف) و blank (بالالمانية و byelty (بالروسية)
(بيا = bia لان l = L مثل briller)
ولنقارن كذلك هذه الكلمات بكلمة ابلج اي ابيض ناصع

2) اشقر roux (شقر = رقش = roux)

3) رمادي : لون الرماد couleur cendre
(رمد — رند — ندر cendre)

4) ابلق bleu (البلق هو لون يجمع بين البياض والسواد وهو لون السماء بين الصحو والغيم والازرق هو كذلك اللون السماوي bleu-azur والازرق الزهري واللازوردي
bleu d'outre-mer ou lapis-lazuli
ونحن نرى ان كلمة ازرق تتساوق مع كلمة azur (التى يقول معجم لاروس انها مقتبسة من كلمة لازورد العربية)

5) ازعر alezan

6) مبرقع وابقع bigarré بقع = bigar)

7) ثلاجي blanc neige ثلج = neige)
(لج = نج = neige)

8) حانط écarlate : يقال احمر حانط اي قانيء
حانط = حالط = ءالط = كالط = calate)

9) ارتكان ocre (ارك — اكر)
وتقابله ايضا كلمة امغر ocre rouge)

10) اربد diapré منقط بالاحمر
(ربد — دبر)

11) مرقش ومبرقش ومرقط (اي منقط بالسواد) moucheté (بقش = مقش = مشق)

12) زرجن وزرجون rouge وكذلك اضريج (ريج — روج)
(رج = rouge)

13) جون : خضرة تميل الى السواد وهو الاصفر jaune ومنه الجوناء اي الشمس

---

(12) مت فى مد ومط ومنه ممتد ومنبسط = plat
(13) الضاد تعاقب الطاء كقول العرب ضفر وطفر اذا وثب

14) اصفـــر aubère مثل قولك جمالات صفر أي ابل سوداء وفرس اصفر أي اسود قد اصفر ذنبه وعرفه (اللسان)
اصفر ــ اصبر (14) ــ ابـر aubère

15) غرابي او غربيب : شديد السواد
couleur de corbeau
(غراب ــ عرب ــ ارب (15) ــ كـرب
(corbeau

16) فرفيـــر pourpre اي ارجواني واحمـر قـانـيء

17) فستقي : لون الفستق couleur de pistache
فستــق ــ بستــق ــ بستــش (16)
pistache

18) اقره : ictérique مخضر الجسد اخضرار قلح الاسنان وهو لون المصاب بمرض الصفر او اليرقـان ictère

19) اقهب gris (القهبة سواد يضـرب بهـا الى الخضرة)
قهـى ــ قغـى ــ قـرى gris
(قه = قغ = gr)

20) اكـدر : terne (ضارب الى الغبرة المسوادة
در ــ تـر ter
(ولعل اصلها من كدرة الارض او التراب ومن المفيدةمقارنةترابمكلمة terre (الفرنسية) وارض بكلمة earth (الانجليزية) terre
(رض ــ رد ــ در ــ تـر)
وكذلك محراث بكلمة herse
(اي اداة الحرث)

21) قرمزي يقابلها vermeille
قرمـي ــ فرمـي ــ vermeille
(القاف تعاقبها الفاء مثل القشف والفشف وتفشع وتقشع)

22) امهـق : ابيض شديد لا يلمـع كالجبـص
blanc mat مــه ــ مــط (mat
(الهاء تعاقب الطاء كقولك الوطس والوهـس للضرب الشديد بالخف)

* * *

وهكذا يتضح من هذه الفذلكة التى اوجزنـا فيها القول وتحاشينا التفريع والتشعيب أن بيـن اللغات وحدة اصيلة هي مظهر للوحـدة الانسانيـة الكبرى ، وقد بقي جانب آخر فى هذه الدراسة لم نتعرض له هو اللغة الاصليـة التى كانت منبـع الاشتقاق وهو موضوع لا نريد ارتجال القول فيـه لان له صلة بعناصر مختلفة كتاريخ تطور اللفظ فى خصوصه وعلاقة هذا التطور بالمبادلات التاريخيـة المحتملة وبالروابط الرصينة الملحوظة بين المترادفات فى لغة ما وغير ذلك فـاذا ما امكـن الكشف عـن تسلسل موصول بين لفظ ما فى لغة ما وبين جذر صوتي تتجانس تفاريعه فى هذه اللغة دون غيرهـا فان الحظ يكون اوفر لاعتبـار هذه اللغة هي اللغـة الاصلية للبشرية ، وقد تكون مجموعة لغويـة هـي الاصـل كالسامية مثلا بالنسبة للهندية ــ الاوربيـة ومهما يكن فان نقطة الارتكاز التى تهم الانسانية فى هذه الفترة العصيبة من حياتها هي ابراز معالـم الوحدة الاصيلة بين البشـر مع اعتبار ان التبـادل مهما تكن ينابيعه هو ايضا مظهر لهذه الوحدة .

---

(14) الباء تعاقب الفاء مثل زحف وزحب بمعنى دنـا

(15) الغين تبدل من الهمزة كالصؤاب والصغاب لبيض القمل وزئبر الثوب وزغبـره كمـا ان الكـافـه ينطق بها همزة عند البعض

(16) تبدل الشين من القاف كقولك عانق وعانش والقصاب والشصاب .

الابـــدال والمـعـاقبـــة
بيـن حـــروف الهجـــاء

الحـرف الاصلـي		حروف البـدل والمعاقبـة
أ	(1)	و = ي
ب	(2)	م = ف = ل = ق = ت
ت	(3)	د = ط = هـ = س
ث	(4)	ظ = ذ = ش = س = ت = ح = ب = م = د
ج	(5)	ي = د = ك = س = ش = ت = خ = ج = ح = ق = ب = م
ح	(6)	ع = ج = ح = غ = هـ = ك = س = أ = ث = د = ت = و
خ	(7)	أ = ك = غ = ش = ع = ض = ق = ج = هـ = ح = ط = ف
د	(8)	ط = ت = ح = ك = ج = ل = ن = ث = ز = ذ
ر	(9)	= ن
ز	(10)	ث = س = ص = ت
س	(11)	ت = ز = ش = ج = غ = ب = ل = د = ص
ش	(12)	ك = ق = ث = ح = ز = د = ق = ذ = م = ج = ع = خ = ض
ص	(13)	ط = س = ظ = ج = د = خ = ف
ض	(14)	ص = ط = ب = ظ = ض = ز = أ
ط	(15)	د = ص = أ = ت = ش = ض = ج = ز = هـ
ظ	(16)	ت = ذ = ك
ع	(17)	ف = ل = أ = ب = ق = ر = و = ك = ن
غ	(18)	س = خ = ع = ر = ج = هـ = أ = ب
ف	(19)	ث = م = ش = ق = ك
ق	(20)	ك = ک (كاف معقود)
ك	(21)	ق = ت = ر = ص = ج = ف = ب = خ = و
ل	(22)	ن = ض = ر = ز = ب
م	(23)	ن = ب = و = د = ش = ع = ر = ت = هـ
ن	(24)	ل = ر = ت = ث = د = س = ج
هـ	(25)	أ = و = ي = ت = ب = م = غ = س
و	(26)	م
ي	(27)	ل

1) الالف المحولة كالف قال وباع
(تسهيل الهمزة الساكنة فى ارجائه وارجيته)
(راجع متن اللغة)

2) مثل زحف وزحب وشخب وشخل الناقة
(حلبها) وبغيث ولغيث واعتذب واعتذق
(اذا ارخى للعمامة عذبتين من خلف)
ونبع ونتع وذعالب وذعالت (التهذيب)

3) كطلحت وخبز الذرت فى طلحة والذرة عند
طيء (الصاغاني)
وتابوه وتابوت والنات والناس والتكين
والسكين (ابن فارس) وجت الكبش اي جسه

4) مثل ثلغه وشلغه اذا شدخ راسه ودهثه
ودهسه اذا وطئه والحثالة والحسالة والبح
والث والب والث اي اقام
ولطم ولطث ولطشه ولطسه (ولطخه لما يقرب
من هذا المعنى) ومكث ومكد اي اقام وتبدل الثاء
تاء مثناة فى لغة خيبر

5) مثل بصرج فى بصري وعلج فى علي وعشج
فى عشي وغلامج فى غلامي (عند بني تميم)
وحجل بينه وبين كذا اي حيل (التاج) وابد
وابج واسدف الليل واسجف ودشيشة
وجشيشة وارنك وانج والمجدوه والمشدوه
وليل دامج ودامس اي مظلم والنتفة والنجفة
وانتجب وانتخب وسجر الاناء وسكره اي ملاه
والرجس والركس وحميء وجمي اذا غضب
واجتثه واقتثه اذا استاصله
ونجث ونبث والمهجل والمهبل للرحم وولج
وولب وجرن على العمل ومرن عليه

6) مثل حنشه عن الامر وعنشه اذا عطفه وزاحم
وزاعم
واخر نشم واجر نشم واحر نشم وسجمت
الحمامة وسجعت وهتن الدمع وحتن
والدح والدس وحشط وكشط وويحك
وويسك ولما ولمح اي ابصر والح والث ولحس
ولدس ولس وعقبة محوج ومتوج اي بعيدة
وتحسف وتوسف اي تقشر

7) مثل صرا وصرخ
(وهو من غريب الابدال عند الخليل وكذلك
لفسا ولفسخ)

واكبن واغبن واخبن وخطط النائم وغطط وساخ
وساغ
والبخنقة والبشنقة وبخشره وبعشره والفقدع
والخبدع
وقصل وخصل وانتجب الشيء وانتخبه
وازلج وازلخ الباب اذا اغلقه وصخدته الشمس
وصهدته اذا اصابته بحرها والحال والخال اي
اللواء ولخم ولطم ونقف دماغه ونقخه اذا
كسره فاستخرج مخه

8) كقولك ما بالدار دوري او طوري اي احد ومت
ومد ولطم وقادحه وماده اي طاوله وصدمه
وحكمه واجهض وادهض وعدس وعلس وموت
دماف وذعاف ومرد على العمل ومرن ومكث
ومكد وتوكد وتوكز

9) لا تجتمع الراء واللام فى كلام العرب (ابن
سيده)
وهو قليل فى مثل مكدل ومكدر عند الازهري
وتبدل من النون مثل ضرب وضنب الا ان
ابن سيده يرى ان ذلك لثغات اكثر منه
لغات

10) مثل مزج ومشج وسدل وزدل وصدق وزدق
وجاس خلال الديار وجاز ورسب ورزب (لغة
كلب) ولاتب لغة فى لازب (بنو عقيل)

11) مثل خلبه وخلبسه بمعنى فتنه او خلبسه
منحوتة من خلت وخلس
(والناس والنات والاكياس والاكيات وجبس
الكبش وجبته) وساب الماء وزاب بمعنى جرى)
والزقر والصقر (بنو كلب) وجاحسه
وجاحشه بمعنى قاتله ودافعه وتسميت العطش
وتشميته وليل دامس ودامج اي مظلم واسدف
واغدق اذا نام واسدف واشدف اذا راخى
ستوره واظلم
وبرد سحت وبحت ولحت اي صادق وساحة
الدار وباحتها وعبق الطيب وعسق وجمد
وجمس الماء وجنس كذلك وهنالك قوم من
تميم يقلبون السين صادا كسراط وصراط
وسيقل وصيقل وسرق وصرق وسخر
وصخر وسخب وصخب . (التاج)

12) تبدل من كاف الخطاب المؤنثة مثل رايتك
ورايتش ومن حروف اخرى (مثل عانق

وعانش والقصاب والشطاب) وثلفه بالعصا وشلفه اذا شدخ راسه) واحكل الخبر لغة في اشكل وحبذا وشبذا الرجل) وزمخ بأنفه لغة في شمخ) والرعدة والرعشة وخربق العمل وخربشه وشال بذنبه وذال والهشيم والهشيش والجاسيء والشاسيء وشاكسه وعاكسه ولطشه ولطثه ولطخه .
ومنتاخ ومنتاش للمنقاش (لنقش الشعر) وانتصى وانتشى
وليس في كلام العرب شين بعد لام ولكن كلها قبل اللام واستثنى الازهري علوش واللش بمعنى الطرد ورجل لشلاش اي خفيف

13) مثل اصاد واصطاد والصراط والسراط والصدغ والصماخ والبصاق (اللسان) وشصي الميت وشطي اذا انتفخ فارتفعت قوائمه وشظى الميت
وصقر وسقر وزقر (التاج)
وسقب وصقب وسخر وصخر وسطع الفجر وصطع
واصلخ واجلخ اي اضطجع ومص ومصد) وانملص وانملخ اذا تخلص) ونكص ونكف)

14) مثل مض الرمانة ومصها ومالك منه مناض ومناص ودحض المذبوح برجله ودحص اذا بحث التراب برجله وحركه وتضافوا على الماء اي تصافوا وتضمضع وتصمصع) وضفر وطفر اذا وثب) وخبن وخضن بمعنى كف وصرف) والبظر والبضر واشتكيت ظهري وضهري وعظت الحرب اي عضت (اللسان) وزغد وضغد اذا عصر حلقه وضفز وافز بمعنى عدا والحصب والحطب والحضب لما توقد به النار .

15) مثل مدا الحرف ومطه ونقط ونقد والجرواط والجرواص للطويل العنق) ورطيط ورطيء للاحمق) وتحطم الزجاج وتحتم) وشمخ بانفه وطمخ وانقضع وانقطع ولبطه ولبجه اذا صرعه وجلد به الارض) وهطر الكلب وهزره اذا قتله بالخشبة) ووخط ووحش ووخز) والوطس والوهس للضرب الشديد بالخف

16) مثل اظلم وارض جلداء وجلظاء) والدعظاية والدعكاية

17) مثل خونه وخوعه وصقل به الارض وصقعها اي ضربها) والكول وعثكول للشمراخ وخباة طلعة وخبعة طلعة) وخنبة وخنعة للريب وعقر وبقر وما ذقت علوسا وبلوسا) والعثول والقثول والقثول للفدم المسترخي) وتوعل الجبل وتوقله
وكربتس وكعبش اذا جمع بين لين قوائمه للوثوب) ونعدل ونودل اذا مشى مسترخيا) وتعكظ وتوكظ عليه الامر اي التوى) وباع المتاع وباكه)

18) مثل الصؤاب والصغاب لبيض القمل . واما والله وغما والله وزئبر الثوب وزغبره واسدف واغدف اذا نام) وخطر وغطر بيده) والعسر والغسر للامر الملتاث) والراية والغاية بمعنى) والمجط والمغط الخلق المسترخية في طول) ونهض ونغض) وهدفة وغدقة للفرقة من الناس والزغد والزبد (اللسان)

19) مثل ثم وثوم وجدث وارث مجد (فم وفوم وجدف وارف مجد) وفلص الامر من يدي وملص) وفدخ وشدخ راسه وفلد وشلد عن اصحابه وافتض واقتض)
والنكة والنفة للابل التي ذهبت اصواتها من الاعياد وخسف صدره وحسك)

20) مثل اقنة الطائر واكنته ودقم في صدره ودكم اذا دفع
وتلفظ القاف ممزوجة بالكاف وتسمى القاف المعقودة وهي لغة مشهورة لاهل اليمن ونقل عن ابن خلدون انها لغة مضرية (التاج)

21) نحو عربي كح وقح وهو مالوك اي مالوق بمعنى مجنون وعصيت وعصيك والسوك وعلوك وعلوج
وشقع وشكع اذا جزع من مرض ونحوه والشراسة والشكاسة)
ووصب ووكب على الامر اي واظب) ومك العظم ومصه
واكهده واجهده) ونحص وكحص)
وكظا وخظا وبظا لحمه اذا اشتد) وتهوك وتهور وهو اهوج واهوك) واستوثر واستكثر)

22) نحو اصيلال واصيلان) والطجع فى اضطجع واطراد واضطراد والخلاعة والخرلعة اي الدعارة) وخامل الذكر وخامنه واسود حالك وحانك واولع واوزع به) ولفيث ويفيث
وتبدل لام التعريف ميما فى لغة حمير (مثل قوله عليه السلام ليس من امبر امصيام الخ .
كما تجعل اللام مع الجيم ضادا اذا سكنت مثل جلد وجضد من الجلاد
وتزاد اللام كما فى عبد وعبدل وطيس وطيسل وهيق وهيقل وبكمه بالسيف وبلكمه اذا تطعه

23) نحو عمير وعنبر ومجر ونجر اذا عطش عطش عطشا شديدا . وما زال راتما وراتبا اي مقيما ورجب الاصم والاصب) وامصيام فى الصيام) ودرع دلامص اي قارص ودلاص وزرقم وشدقم فى ازرق واشدق وابنم فى ابن وخضرم فى اخضر وجلدم فى جلد وكوم التراب وكوده) ووطأ المرأة ومطاها وشطاها اي وطاها والمصد والعصد ومكد وركد اي اقام وامتشق وامتشن اي اختلس وماق وداق اي حمق وتمته وتمته اذا بالغ فى الشيء وتهما الثوب وتهتا اي بلي وتقطع
واللمجة واللهجة لما يتعلل به من الطعام

24) مثل زحل وزحن وانجانة واجانة وخرنوب وخروب وطنفس وطرفس اذا لبس الثياب الكثيرة) والفن والفتن للحال والضرب من الشيء) وقفند وقفندد للعظيم الالواح من الناس والنقب والثقب ونخت له وسخت له اذا استقصى فى القول ونف السويق وسفه وما فى الدار وابن وما فيها وابر اي احد) واستوثن واستوثج واستوثر من المال اي استكثر

25) مثل هراق واراق وهياك واياك ولاها والله فى لا والله) وهذه وهذي) وهنا وهنه وطلحة وطلحت وهذر المال وبذر وهرهره ومرمره اذا حركه والهرهرة والفرفرة لزئير الاسد وهاجله وساجله

26) مثل وهده ومهده
وتوجد واو الصلة نحو قف بالديار التي لم يعفها القدمو
وواو الاشباع كالبرقوع فى البرقع

27) تكون زائدة كياء الصلة للقوافي (يا دار مية بالعلياء فالسندي)
وياء الترنيم وياء الاتباع فى المصادر والنعوت عند الخليل كقولك كاذبته كيذابا وضاربته ضيرابا اي كذابا وضرابا والياء الفاصلة بين الابنية كياء صيقل وبيطار .
وتبدل لاما كالسادي فى السادس والخامي فى الخامس .

ابتداء من العدد المقبل :

سننشر بحول الله مقتطفات

من :

« معجم الاصول العربية فى اللغات »

الذي يعده المكتب الدائم

دخيل أم أثيل ؟

الأستاذ عبد الحق فاضل

ترك اللغويون العرب غير قليل من الكتيبات ادرج اصحابها فيها ما تيسر لهم من الالفاظ الدخيلة فى العربية من اللغات الاعجمية . لكن الغريب انهم لم يعيروا هذا الامر من الاهتمام ما اعاروا النواحي اللغوية الاخرى ، فجاء عملهم ناقصا غير متقن ولا صحيح .

ومن ابسط مظاهر هذا النقص انهم كثيرا ما يعزون هذه الكلمة الى السريانية تارة والى الرومية تارة اخرى ، وتلك الكلمة الى الفارسية «انا والى الحبشية «انا «اخر ، ما يجعل القارىء يفقد الثقة بما يقرأ فينفض يده من الامر بجملته . وهذا مباين لكل ذلك الجد والحرص اللذين عرفوا بهما فى تحقيق الشؤون اللغوية الاخرى بله سائر فنون الثقافة والفكر .

ولا يقال ان سبب هذا التهاون الشاذ هو جهلهم اللغات الاجنبية فقد كان بين ظهرانيهم الكثيرون من العارفين بالفارسية والسريانية والحبشية والعبرية ممن كانوا يستطيعون ان يعاونوهم فى مجال هذه اللغات الاربع ، على الاقل .

لكن المحدثين من اللغويين كانوا اكثر جدا واستقصاءا فى هذا المضمار ، فظهرت بحوث جديدة عن الالفاظ الدخيلة فى العربية من مختلف اللغات ، شرقيها وغربيها . وقد جمعها الاب رفائيل نخلة اليسوعي فى كتابه « غرائب اللغة العربية » ــ ط : 2 ــ وزاد عليها الفاظا عديدة مما اكتشفه ــ كما قال ، فبلغ مجموعها 2503 كلمات من مختلف اللغات » ، على النحو التالي :

982	كلمة من الارامية (السريانية)
850	« « الفارسية
470	« « اليونانية
32	« « التركية
67	« « اللاتينية
42	« « العبرية
17	« « الايطالية
12	« « الفرنسية
31	« « لغات اخرى
2.503	المجموع (1)

لكن من يستعرض هذه الالفاظ بشيء من الامعان لا يسعه الا ان يأخذ بنظر الاعتبار هذه النقاط الاربع :

الاولى : ان بعض الالفاظ لها فى العربية اكثر من صيغة واحدة ، وقد اورد المؤلف منها صيغتين او اكثر فازداد بذلك عدد مفردات قائمة الدخيل . مثلا :

عمد ، معمدان ، معمودية

تخمه (جعل له حدا) ، التخم : الحد

الحان ، الحاني ، الحانوت

الراحة ، الروح ، الروحاني ، المروحة ، الريح ، الريحان .

الهندس ، الهندسة ، الهندوس .

(1) هذه الارقام هي الصحيحة حسب ما ورد فى جدول التصويب فى آخر الكتاب .

فهذه خمس كلمات ، لكن ذكر مشتقاتها ايضا جعلها محسوبة على العربية سبع عشرة كلمة . وباب الاشتقاق في العربية فسيح ، وبالامكان صياغة الفاظ اخرى من هذه الكلمات ، فلا يصح فيما نرى اعتبار كل واحدة من الاشتقاقات كلمة دخيلة قائمة براسها ، لادخالها في الحساب . ولاسيما ان بعضها عربي صميم كالمشتقات الستة المذكورة آنفا من مادة (دوح) .

الثانية : ان الكثير من الالفاظ الدخيلة كان استعمالها محصورا في فئات خاصة من الناس ، من ارباب المهن على الاغلب ، كالادوية وبعض الادوات مما لا يعرفه ولا يستعمله سائر الناس حتى الادباء والعلماء من غير ذوي الاختصاص . واليك مثلا هذه الكلمات :

ابراميس	سرجل
اردمون	طرخشقون
اسطراون	عرطنيثا
بادرنجبوية	فاشرشتين
دهمست	قربشوش
سبنجونة	يمبصا

فهذه الالفاظ لا القارىء يعرفها ولا كاتب السطور يعرفها، وبديهي اننا لذلك لا نستعملها . ومن ثم لا يجوز ان نعدها من الالفاظ العربية . وانما شانها شان الادوية الاجنبية التي تملأ الصيدليات والادوات والمصطلحات المستعملة في مختلف الشؤون من صناعة وهندسة وطيران مما ينحصر استعماله بين اهله .

الثالثة : ان اكثر الالفاظ التي دخلت العربية من اسماء الاطعمة والثياب والآنية والادوية والادوات ونحوها مما كان يعرفه عامة الناس ، قد بطل استعمالها الآن وزالت اسماؤها، او بقيت مستعملة وتغيرت اسماؤها ولم يبق منها الا النادر . فيمكننا القول : انها دخلت العربية وخرجت منها . ووجودها حتى اليوم في بعض الكتب والمعاجم العربية ليس له الا قيمته الاثرية .. شان جالية من الغرباء تحل في بلد اجنبي وتقيم فيه اجيالا ثم تجلو عنه او تنقرض فيه ، لتصبح خبرا يروى ، ولا يعود بالامكان ادخالها في الحساب عند احصاء سكان ذلك البلد .

اننا لم نحص عدد هذه الالفاظ المندثرة لاننا لانعرف شخصيا ما اذا كان بعضها لا يزال مستعملا في بعض البلاد العربية، لكنها قد لا تقل عن نصف الالفاظ الدخيلة ، ان لم تزد .

الرابعة ، وهي الاهم : ان الكثير من هذه الالفاظ عربي الاصل اقتبسته اللغات الاخرى من العربية ، غير ان اللغويين اضافوه ضغثا واي ضغث على ابالة الدخيل . وارجاع هذه الالفاظ — المظنون انها اعجمية — الى اثولها العربية هو الذي سوف نتصدى له في حديثنا هذا .

فلو اننا اسقطنا جميع هذه الالفاظ الواردة في هذه الفقرات الاربع لما بقي بيدنا من الدخيل الحقيقي الا القليل ، ولعله دون الثلث . ومهما تسامحنا فبالغنا في عدد الدخيل فانه لن يبلغ الواحد في المئة من مجموعة مفردات اللغة العربية التي تبلغ نحو مئة الف كلمة .

* * *

الغلطة التي يقع فيها اللغويون عند المقارنة لغويا او حضاريا بين العرب وغيرهم من الامم انهم لا يخطر لهم الا ابناء البيداء من الاعراب . حتى الأب نخلة لم يسلم من الوقوع في هذه الغلطة اذ قال « ان اكثر الكلمات العربية المختصة بالزراعة آرامية الاصل ..لان الاعراب كانوا يحتقرون الزراعة » — (حاشية ص : 170) . فهو قد نسي ان اللغة العربية ليست لغة الاعراب وحدهم ، وان اولئك الاعراب الذين لم يمارسوا الزراعة لانهم كانوا يحتقرونها لا يمكن ان يقتبسوا الالفاظ المختصة بها . ونسي كذلك بلاد اليمن على الاخص وعراقتها في الحضارة ولاسيما الزراعة التي افتنوا فيها وفي اساليب توفير الماء لها .

فهكذا جرت عادة اللغويين كلما وجدوا كلمة مشتركة بين العربية وسواها من اللغات ان يعدوا الكلمة دخيلة في العربية ولاسيما اذا كانت حضارية، بحجة ان العرب امة بداوة وترحل .

نعم ، ما اكثر الالفاظ التي تدل على حياة البداوة والترحل في لغة العرب . لكن هذا يصح على البدو ومن ابناء الفلوات ، الذين لا يزال اخلاف لهم يعيشون نفس العيشة حتى اليوم . غير ان العرب كانوا امة حضارة ايضا ، في المناطق المحيطة بالصحراء .

ان وفرة الالفاظ الحضارية في اللغة العربية تبعث الدهشة في الحقيقة ، وتدل دلالة صريحة —

حتى لو كانت كلها مقتبسة ـ على تحضر بعض القوم كما ان كثرة الالفاظ البدوية فيها تدل على بداوة بعضهم . والفاظ البداوة اغلب بطبيعة الحال ، لكن ينبغي ان نتذكر ان جامعي اللغة قد اخذوا مفرداتها من البدو لا من الحضر . فما اكتفى اللغويون برفض لغة الحضارة جملة بل انهم رفضوا كذلك لغة الكثير من القبائل البدوية لمجرد مخالطتها الحضر او مجاورتها الاعاجم. ولولا ذلك لوجدنا فى المعاجم العربية من الالفاظ الحضارية من عمرانية وصناعية وزراعية وطربية واحتفالية وما الى ذلك من شؤون الجد واللهو فى حياة المدينة اكثر بكثير مما نجد الآن .

والصراع بين حياة البداوة والحضارة فى الجزيرة العربية معروف ومشهور ، وما قال الاعراب عن اهل اليمن انهم « مابين حائك برد ودابغ جلد » الا ازدراءا لهم فى عرف البداوة ، واعترافا بمدنيتهم واطراءا لهم فى عرفنا .

على ان المسالة ليست مسالة تخمين واستنتاج فحسب ، فان تحضر العرب فى مختلف انحاء جزيرتهم واقع تاريخي اثبتته الوثائق المدونة . وقد كان الباحثون يظنون ان « المناطق الجنوبية من الجزيرة العربية هي وحدها التى تشتمل على كتابات عربية جاهلية ، ولكنهم لما اتسعت معارفهم فى الآثار العربية اتضح لهم ان جميع بلدان الجزيرة العربية تشتمل على كتابات قديمة » . (1)

فبعد هذا لا يحق لنا مجاراة القوم فى اعتبار كل كلمة حضارية مشتركة بين العربية وغيرها دخيلة فى العربية .

بل ان اللغويين قد اعتبروا من الدخيل احيانا حتى ما كان اخص بالبداوة كالخيمة التى عدوها من الحبشية ، لمجرد وجودها فى الحبشية ، مع انها عماد حياة الصحراء . وضرورة الخيمة للاعرابي كما لا يخفى تكاد تقرب من ضرورة الماء والغذاء ، لانه بدون الخيمة تصهره الشمس وتقضي عليه .

على اننا لا نعتمد فى تاثيل الكلمة على مجرد الاستنباط ، بل على الترسيس اي البحث عن اثول الكلمة ، فلا نقطع بعروبتها الا اذا تاكدنا من اللها العربي . فالخيمة مثلا لا تكتفي بالقول انها عربية لمجرد كونها من لوازم المعيشة البدوية بل لاننا نرى ان اللها هو (الغيمة) ، وان فعلي (خام وخيم) اللهما (غام وغيم) . و(غام) تعني خيم او عطش ، وهذه من (آم) بمعنى عطش ، وهذه من (الآب) أي الماء .

فيما يخص اللغات السامية ، لما كانت مادتها اللغوية مشتركة فمن الجائز ان تصوغ احداهما كلمة من مادة مشتركة وتقتبسها الاخرى فلا نعرف الآن ايهما الاثيلة وايهما الدخيلة . حتى المبنى اي الصيغة العربية الخالصة مثل : اصحاح ، وباعوث ، وساعور، وشماس، ومسيح .. لا يكفي للدلالة على عروبة اللها .. فعندئذ نستعين بالمعنى . وانما يمكننا القول بعروبة الكلمة اذا كان معناها اقرب الى سبب استعمالها فى ذلك المعنى . مثال ذلك ان (الاب) ـ زنة الرب ـ وردت فى الارمية بصيغة (ايبو : ebo) بمعنى الثمرة . واثل الكلمة هو (الآب) اي الماء . وهي تعني فى العربية ما تنبت الارض من عشب وخضرة وهو ما يسببه هطول الماء اي المطر . فهذا اذن اصل التسمية . ولما كان معناها قد تطور فى الارمية واختص بالثمر ، يمكننا القول ان الكلمة عربية لا ارمية .

ومهما يكن فاننا لا نريد الآن ايضاح اسس طريقتنا فى ترجيح اللغة التى تنتمي اليها الكلمة فان ذلك يتطلب من الاطناب وربما الاملال ما نحن فى غنى عنه . لكن الشروح الموجزة التى سوف نزجيها مع كل كلمة ستعطي القارىء الكريم فكرة عن طريقتنا فى معالجة هذا النوع من البحث اللغوي .

وقبل ختام هذه الفذلكة التمهيدية نود ان نحيي جهود الاب رفائيل نخلة اليسوعي فى جمع هذه الالفاظ المعدودة من الدخيل ، فهي فيما نعلم اول مرة تجتمع فيها بهذا التفصيل فى كتاب واحد ، بعد استقصاء وتحقيق علمي رصين محايد . وبديهي ان المؤلف حين عزا هذا العدد من الالفاظ الى اللغات الاجنبية لم يرد بالعربية واهلها سوءا ، فان تتبع الدخيل فى العربية امر بداه العرب منذ بداوا يتدارسون القرآن وما فيه من الدخيل ويتفقهون فى العربية بمختلف ارجائها الفسيحة .

والاوربيون كلهم يدرسون لغاتهم على هذا النحو، وبعضها كالانكليزية مثلا كل الفاظها دخيل من لغات اخرى اجنبية على الاغلب ومحلية على الاقل ، والمحلية ايضا لم تعد هي اللغة الانكليزية القائمة

(1) ولفنسون ـ « تاريخ اللغات السامية » ـ ص 228 .

الان . وكل اللغات الاوربية لها معاجمها التي تعيد كل لفظة فيها الى اللها ، اجنبيا او محليا .

فاذا نحن رددنا الى العربية الكثير من الالفاظ التي اوردها كتاب « غرائب اللغة العربية » فليس ذلك تنديدا منا بالمؤلف الفاضل ولا انتقاصا من قيمة العناء الذي لا بد ان يكون قد كابده ، والذي لا بد ان يجهله كل من لم يكابد مثله .

وانما هي طريقة لنا في البحث يمكن اعتبارها نقدا نزيها او تمحيصا وتنقيحا للطريقة القديمة .

واذا قلنا ان اللغات الاخرى من سامية وآرية قد اقتبست من العربية فليس قصدنا المباهاة بالعربية ولا التعصب لها ولا التعصب على اللغات او الامم غير العربية ، ولكننا انما نقرر واقعا تاريخيا كان نتيجة طبيعية لانسياب الموجات العربية قبل نحو احد عشر الف عام ، كالذي اوضحناه سابقا في اكثر من مناسبة . هذا فضلا عن استقرار بعض الشعوب السامية منذ عهود سحيقة في مناطق تقطنها الآن شعوب اخرى كآسيا الصغرى وبعض مناطق البلقان وبعض جزر البحر المتوسط ، على ما يراه بعض العلماء. (1)

مع الارمية

وردت في « غرائب اللغة العربية » 982 كلمة باعتبارها دخلت العربية من الارمية نفسها او عن طريقها من لغات اخرى . والكثير من هذه الالفاظ في نظرنا عربي خالص او مشكوك في كونه ارميا خالصا ، او ان العربية اقتبسته رأسا عن اللغة الاعجمية الاثلة .

واذا قيل ان الكلمات الـ (982) قد اقتبستها العربية من الارمية ، لكونها مشتركة بين اللغتين ، فما القول اذن في الكلمات الكثيرة الاخرى المشتركة بينهما من قبيل : ابو (اب) ، اودنو (اذن) ، امو (أم)، ايدو (يد) ، ترين (اثنان) ، ارقو (ارض) ثورو (ثور) ، حمشو (خمسة) ، دابو (ذئب) ، ريشو (رأس) ، سعرو (شعر) ، شتو (ستة) ، عطمو (عظم) ، عقربو (عقرب) ، كلتو (كلية) ، لشنو (لسان) ، لليو (ليل) ، ناشو (انسان) .. الى آخر ما هنالك من الكلمات الاساسية في اللغة من اسماء اعضاء البدن والاعداد والشؤون البدائية والبدوية ؟ فالسؤال هو : هل اقتبست العربية كل الالفاظ المشتركة بينهما ؟

جدير بنا ان نقطع برأي في شأن هذه الالفاظ المشتركة الكثيرة قبل البت في امر الالفاظ الدخيلة من الارمية في العربية . والرأي عندنا هو ما سبق ان ذكرناه من ان العربية هي ام الارمية ، اي انه لابد ان هذه الالفاظ العربية كانت موجودة في لغة الارميين قبل هجرتهم من الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب وانتشارهم على تخوم سورية والعراق في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، على الرأي الشائع.

فما دامت الارمية من العربية فلا عجب من التشابه بينهما كالتشابه بين الام وبنتها .

وبعد ان اصبح الارميون امة قائمة بذاتها جرى لهم مع العرب تبادل واختلاط ، فلا عجب ان تقتبس كل من اللغتين من الاخرى ، بالاضافة الى ذلك .

ثم ان الارمية انتشرت فاكتسحت اللغات المحلية في الهلال الخصيب حتى اصبحت لغة سكان المنطقة بوجه عام فلا عجب للمرة الثالثة ان تقتبس العربية وغيرها منها .

وكان الكثيرون من سكان العراق وسورية (من البابليين والآشوريين والكنعانيين) عربا قدماء في الاصل ، نزل معهم عرب جدد استقروا في مختلف الانحاء في هجرات متوالية صغيرة وكبيرة . وهؤلاء جميعا لم تتغلب الارمية على السنتهم الا بعد ان تركوا فيها آثارا بالغة من لغاتهم كما هي القاعدة عند تصادم اللغات وتغلب احداها على اخرى . فلا عجب — للمرة الرابعة — ان تقتبس الارمية من العربية . ويزيد الامر وضوحا اذا تذكرنا آخر الموجات العربية قبل الاسلام من اللخميين في العراق والغساسنة في الشام .

وما دامت المادة اللغوية الاساسية مشتركة بين الامتين فمن المتعسر آنا والمتعذر آونة ان نبت في نسب الكلمة ، اي ان نقرر هل الكلمة مشتركة الا ، ام ان احدى الامتين اشتقت من احدى الكلمات المشتركة صيغة ما فاقتبستها الاخرى ، وايتهما التي اقتبست .

(1) نفس المصدر ، ص 21 .

ولا جدال فى ان العربية استعارت من الارمية عشرات الالفاظ الدينية ولاسيما النصرانية كالتي ذكرناها آنفا : اصحاح ، باعوث ، شماس .. الخ . لكن بعض الالفاظ الدينية كنسي بحت لا يفقه معناه جمهور قراء العربية ، مثل : ابيل ، اردخل ، سملاج ، اسكيم ، سلاق ..

فاذا نحن قلنا دون تردد ان الالفاظ النصرانية المشتركة ارمية الاثل بوجه عام ، فليس بوسعنا ان نقول مثل ذلك فى الالفاظ غير الدينية دون الاعتماد على برهان مقبول .

ونحن فيما يلي سنتناول بعض الالفاظ الارمية، لا كلها ، معتمدين فى تحقيقها على الترسيس ، وراجين لنفسنا السلامة من المزالق والاخطاء .

وما نتوقع ان يكون راينا القول النهائي ، لكن حسبنا انه سيكون مدعاة لاعادة النظر والبحث فى الموضوع على اساس جديد .

ونامل ان تكون لنا عودة الى الموضوع نتناول فيها جميع الالفاظ التى نظنها عربية الاثل سواء اكانت معدودة من الارمية او غيرها ــ حسب تسلسلها فى كتاب « غرائب اللغة العربية » .

آب :

هو الشهر الثامن من التقويم الميلادي . وقد ذكره الاب نخلة باعتباره مقتبسا من الارمية . ولئن كان الارميون قد استعملوا هذا الاسم فما هو ارمي الاثل ، وانما اقتبسوه من الاكديين (البابليين). وكذلك شان بقية اشهر السنة التى اوردها المؤلف الفاضل على انها من مقتبسات العربية من الارمية ، فكلها بابلية ، وهي المستعملة الآن لدى عرب الشرق الاوسط فى التقويم الميلادي بينما يستعمل عرب الشمال الافريقي اسماءها الاوربية .

وكان (آب) يعني الشهر الخامس عند البابليين. ولما كانوا يبداون عامهم باول الربيع الذى يبدا فى تقويمهم بشهر نيسان (وهو الرابع فى التقويم الميلادي) فان شهر آب يقع فى نفس الاوان من الصيف تقريبا عندنا وعندهم .

وقد كنا قرانا فى (المعجم الكبير) ان اسمه عند الاكديين هو (آبو) وكان يعني بلغتهم فى الاصل (قصب الماء). وانما سمي الشهر المذكور به لانه كان موسم جني ذلك القصب . وهذا يعني ان اثل الاسم هو (آب) اي الماء (الذى ينبت فيه القصب). وما تزال كلمة (آب) تعني الماء فى الفارسية ولو ان معناها تحور فى العربية فصار فعل (آب يؤوب) يعني ورود الماء نيلا (وقد فصلنا ذلك فى كتابنا « مغامرات لغوية » ــ ص 209) (1) .

وهكذا يكون المعنى قد انتقل من الماء الى القصب الذى ينبت فى الماء ، الى الشهر الذى يجنى فيه ذلك القصب .

وقد لحظ المعجم الكبير ان الفرس استعملوا اسم ذلك الشهر بصيغة الجمع (آبان) باضافة (ماه) ــ اي شهر ــ الى آخره فصار ينطق (آبانماه) اي الشهر العاشر بتقويمهم ، وباضافة (روز) ــ اي يوم ــ حيث ينطق (آبانروز) اي اليوم العاشر ، من اي شهر .

ويظهر ان الفرس اطلقوا اسم (آبان) على احد اشهرهم اول الامر واتفق انه كان الشهر العاشر ، فصار مع الزمن يعني العاشر شهرا او يوما .

ورس كلمة (آب) هو محاكاة صوت هبوب الهواء (هووووو...) ومنه صيغ (الهو) ، ثم الهباب ، ثم الاباب ، ثم الاب (كالذى كنا اوضحناه فى المرجعين المذكورين) .

اما ان العربية قد اقتبست هذا الاسم عن البابلية مباشرة او عن الارمية مواسطة فامر لا نستطيع الجزم به على اية حال . وثمة كلمات يدل الترسيس اللغوي على انها مقتبسة عن البابلية رأسا اي ان شكلها العربي اشبه بالاثل البابلي من صيغتها الارمية .. او ان البابلية هي التى اقتبستها عن العربية ، ثم اقتبستها الارمية عن احداهما .

الميــــزاب :

اما هذه فعربية خالصة ، اثلها (ازب الماء) : جرى ، ومن الطبيعي على هذا ان يكون (المئزاب) :

---

(1) راجع كذلك مجلة « اللسان العربي » ــ العددالرابع ، لسنة 1966

مجري الماء ، كما ورد في المعاجم العربية . و (ازب) اثلها (زاب) اي جرى ايضا ، وهذه اللها (آب) .

وكثيرا ما قيل ان الميزاب من الفارسية لوجود كلمة (آب) في آخره ، لكننا نستطيع ان نقول باطمئنان ان العربية هي اثل الميزاب لانه كما قلنا من فعل (زاب) الذى نعرف الله ورسه في العربية ولوجود اخوات للزاب فيها مثل : ذاب وساب وسال.

والمثراب يؤثله الاب نخلة من المرزاب والمزراب. ونحن نتفق معه في وجود العلاقة التطورية بين هذه الكلمات الثلاث لكن بعكس الاتجاه . اي ان فعل (زاب) تطور فصار (زرب) وهذا صار (رزب) ، ومن هذين الاخيرين قالوا المزراب والمرزاب .

فوجود هذه الكلمة في الارمية بصيغة (مرزيبو : Marzibo) انما يعني انها هي المقتبسة لغويا . ولا يقال ان الارميين لابد ان يكونوا قد سبقوا العرب في استعمال الميزاب لانهم اقدم سابقة في التحضر ، فهذا ينطبق على البدو الذين لا يزالون بدوا مترحلين حتى اليوم ولم ير احدهم ميزابا في حياته ، لكنه لا ينطبق على كل العرب ولاسيما الجنوبيين منهم .. ولاسيما ان الكلمة انما تعني مجرى الماء اصلا ثم انتقل الاسم الى القناة التي تهبط من اعلى السطح لتصريف مائه الى الارض . ولا نقصد ان الارمية قد اقتبست الكلمة من العربية حتما بالمعنى المالوف للاقتباس ، لكن يجوز انها كانت في لغة القبيل العربي الذى هاجر من المعربة الى الهلال الخصيب فتكونت منه الامة الارمية .

الاب (زنة الرب) :

وهي تعني في العربية الكلا او المرعى وما انبتت الارض او الخضر - على قول القاموس .

وقد وردت في الارمية بصيغة (ايبو : ebo) بمعنى الثمرة . (1)

واثل (الاب) هو (آب) ايضا ، اطلقه العرب فيما يظهر على العشب الذى ينبت في البر حين تتلقى الارض ماء المطر ، اي ان معنى الماء انتقل الى معنى العشب الذى ينبته الماء في العربية مثل انتقال معنى الماء (آبو) الى معنى القصب الذى ينبت فيه في الاكدية .

وواضح ان العربية ليست هي التي اقتبست الكلمة من الارمية بل العكس الصحيح ، لانها اطلقت اولا على كل ما تنبت الارض من عشب وخضرة ثم تخصصت في الارمية بمعنى الثمرة .

كذلك نشأت منها في العربية صيغة (الحب) - بفتح الحاء - وتخصصت بمعنى الثمرة التي يحملها الحشيش ونحوه من صغار النبات .

الاسكفة :

وردت في الارمية بصيغة (اسكوفتو : eskoufto) اي عتبة الباب .

لكن هذه ايضا من الاكدية ، فقد وردت فيها بصيغة (askuppatl) بمعنى العتبة ايضا . ونطقها اقرب الى النطق العربي .

واثلها فيما نظن السقف ، اي ان اصل معناها هو العتبة العليا ، ثم اطلقت على العتبة السفلى . يؤيد هذا ان (الساكف) ما زال يعني في المعجم العربي اعلى الباب الذى يقابل عتبته التي توطأ ، اي سقف الباب . اما رس الكلمة فمن محاكاة صوت الدجاجة!

لا بد ان الكثيرين من قرائنا الكرام قد لحظوا ان الدجاجة حين يقرب وقت احتضانها البيض لا تفتأ تقول : قب قب قب ... وقد باعدت جناحيها عن جسمها . وما زال الموصليون يقولون (قبت الدجاجة) بمعنى رقدت على البيض . ومنها في الفصحى (اقفت الدجاجة) : انقطع بيضها ، لان بيضها ينقطع حين يأزف اوان احتضانها .

وما زال العراقيون عامة يقولون (قب الحائط) وينطقونها بالكاف الفارسي : (كب : gabb) بمعنى (تقبب) ملاطه مبتعدا عن بنية الجدار ، تشبيها في الاصل بتباعد جناحي الدجاجة عن جسمها . ونجد (قب) في الارمية بنفس صيغتها (Qab) بمعنى

---

(1) الكلمات الارمية اوردها المؤلف بالحروف السريانية والفرنسية معا . اما الحروف السريانية فقد ابدلنا بها الحروف العربية تيسيرا للقارىء ، واما الحروف الفرنسية فبعضها عليه علامات مخصوصة لتقابل بعض الحروف العربية كالحاء والخاء والطاء ... فاوردناها بالحروف الفرنسية الاعتيادية البسيطة ، وبوسع القارىء معرفة نطقها الصحيح في الارمية بدلالة الرسم العربي .

تقوس، وقد اوردها الاب نخلة فى مكان آخر باعتبارها ألل (قف الشعر) فى العربية .

ومن صيغة (قب) فى العربية نشات (القبة) التى اوردها االمؤلف فى تسلسلها الهجائي ضمن مقتبسات العربية من الارمية من فصل (قبب: Qabeb) الذى يقابل فى العربية (قبا يقبو) اي تقوس :.

وقد وردت القبة فى الفارسية بصيغة (كنبد : gonbad) ويظن بعضهم انها الل (القبة) العربية . اي انها تتنازعها الفارسية والارمية وهي عربيـــة .

قبل ان ندلي برأينا فى تطور هذه الكلمة الدجاجية نقول ان من معانيها المعجمية الباقية الجفاف والتقوس . فقد ورد فعلا (قف وقب) بمعنى الجفاف والتقويس ، حيث قالوا : قب النبات: يبس ، وقب اللحم ونحوه : جف وذهبت ندوته . وقبب الرجل البيت : اقام فوقه قبة . كذلك قالوا : قبا: تقوس، كما قالوا قف العشب او الشجر: يبس، وقف الشعر : قام ، وقف الشيء : انضم بعضه الى بعض .. الخ .

فيبدو لنا ان قدامى العرب قالوا اولا كالعراقيين (قب لحاء الشجرة) بمعنى تقفع وتقبض اي ابتعد عن جسم الشجرة كابتعاد جناحي الدجاجة عن جسمها عندما تقول (قب قب) . ولما كان تقفع لحاء الشجرة بسببه جفافه صارت الكلمة تعني جفاف النبت والارض والثوب واللحم ، على ما تذكر المعاجم .

ثم تحورت الكلمة فنطقوها بالفاء (قف) . وكما صيغت (القبة) من قب صيغ (السقف) من قف. ومن السقف صيغ (الساكف) ، و (الا سكفة) التى اطلقت على العتبة العليا اولا ثم على كل من العتبتين.

ومن المحتمل ان يكون البابليون هم الذين صاغوا الاسكفة ثم انتقلت منهم الى الارميين والعرب. ويبدو ان هذا ارجح من القول بان العرب هم الذين صاغوها وعنهم اخذ البابليون والارميون . لكن (الساكف) صيغة عربية خالصة فيما يظهر وربما كانت هي الل (الاسكفة)

البـــرص (زنـة المـرض) :

يقول المؤلف انها من الارمية (برصو : barso) وهذه من الارمية ايضا (برص : bras) : حفر، ثقب .

واول دليل على ان الكلمة آلل فى العربية منها فى الارمية هو ان البرص كلمة لونية ، وهي تعني فى العربية المرض الذى يجعل فى الجلد بقعا بيضاء.

وللكلمة فى العربية اخوات : برج ، برث ، برش ، برغ ، برق .

وهذه الكلمات تعني وضوح اللون وسطوعه ، عدا (برز) التى تعني الظهور عموما ، لكن أصل هذا الظهور هو الوضوح ايضا . واما (برج) فنعتقد انها كانت اولا تعني (برق) وما زال العراقيون يقولون (يبرج) بمعنى يبرق، اي يلمع .

ويبدو لنا ان (برق) هي الل هذه الكلمات . واما الل (برق) فهو رق الماء ورقرق . ومنها ترقرق الماء : تلألأ .

وقد طالما قالوا ان (البرج) كلمة دخيلة فى العربية . وقد اوردها المؤلف ضمن الدخيل من اليونانية باعتبارها مقتبسة من (pirghos) وجوابنا على ذلك هو ان (برج) التى كان اصلها (برق) صارت تعني الظهور والارتفاع ، فى المعجم . ومن معنى الظهور اي البروز اطلق (البرج) فى العربية على الجزء البارز من الحصن الذى يبنونه ناتئا ومرتفعا عن سائر جدران الحصن تسهيلا للمراقبة منه واستطلاع حركات العدو . ومن ثم سمي كل بناء شاهق قائم (برجا) مثل برج بابل قديما وبرج ايفل حديثا ، بالاضافة الى بروج السماء . وربما كان من معاني البروز اسم (البرز : Alborz) الجبل المشهور فى ايران .

ثم اطلق البرج فى اللغات الاوربية على القلعة . وفى الايطالية يسمون الفندق (albergo) ؛ والظاهر انها تسمية من القرون الوسطى اطلقت اولا على الفنادق المحصنة خارج المدن . وقد توسعوا فى استعمالها فصارت (bourg) فى الانكليزية ــ وهي الل من الفرنسية ــ تطلق فى القرون الوسطى على البلدة المحصنة ، اي ان معنى القلعة انتقل الى معنى المدينة . ومن ثم صارت الكلمة تضاف فى بعض اللغات الاوربية الى بعض الاسماء للدلالة

على المدينة ، مثل : بطر سبورك (مدينـــة بطرس) ، وسالسبورك (مدينة الملح) !

ومن معنى المدينة اشتقوا فى الفرنسية اسم (البرجوازي : bourgeois) التى كان معناها : ابن المدينة .

ووجود (البــرج) فـى الافريقيـة بصيغـة (pirghos) ينبيء ان العرب استعملوا الكلمة منذ آماد سحيقة .

ونعود الى (البرص) الذى يعنـي فى الاصـل وضوح اللون ، فقد اطلقه العرب على المرض المعروف الذى يسبب بهق الجلد كما قلنا ، ومثل ذلك انهم سموه (الوضح) ــ بفتحتين ــ ايضا .

اما معنى الكلمة فى الارمية فيــدل على الحفـر والثقب ، اي النتيجة التى يحدثها البرص ــ والمقصود هنا الجذام ــ بينما التسمية العربية تدل على سبب التسمية اي اللون ، والسبب يكـون دائمـا قبـل النتيجة بطبيعة الحال .

البطــيــخ :

وردت فى الارمية بصيغة (فطيحو : fatiho) وعروبة الكلمة لا ريب فيها عندنا . وقد كنا تحدثنا (فى «اللسان العربي» ــ عدد : 5 ــ سنة 1967 ، وكتابنا «مغامرات لغوية») عن فعل (بط) الذى هو فى الاثل محاكاة صوت انبعاج ضفدع يطؤه انسان. وقلنا انه نشات منه بعض الصيغ مثل : بطح وفطح وفلطح .. الخ . ونعتقد انه من صيغة (بطح) نشات كلمة (بطخ) ومنها سمي (البطيـخ) لانه ينبطـح على الارض عندما يشتد نضجه . ويوجد فى الموصل نوع من كبار القثاء يصفر لونه اذا ازداد نضجه فينبطح ويتسطح على الارض ويصبح طعمه كطعم البطيـخ ، ويسمونه (الشلق) . ويقولون فى الموصـل عـن الشخص او الشيء « انبطخ على الارض » مبالغة فى معنى الانبطاح .

ونرى انه من (بطـخ) قال العرب (طبـخ) من معنى شدة نضج البطيخ ايضا . ومنها فى الفارسية (بخـت : Pokht) بمعنى : طبخ .

فالقول بان (البطيخ) العربيـة من (فطيحـو : fatiho) الارمية لا يؤيــده الترسيـس ، بـل ينقضـــه .

التمســاح والتمســح :

وردت فى الارمية بصيغة (تمسيح: tamsih) ويبدو ان التسمية نشات من فعـل (مســح) لان التمساح يمسح الارض ببطنه حين يسمى . والقول بان العربية هي المقتبسـة ليس له ما يدعمه .

التـيــمـن :

معناها : الجنــوب . وقد وردت فى الارميــة بصيغة (تيمنو : taymno) ولا نشـك فـى ان الكلمة عربية ، وحجازية بالذات . وهي مـن اسـم بلاد (اليمن) الواقعة على يمين الحجازي اذا استقبل مطلع الشمس ، كما ان (الشمال) مـن اسـم ريـح الشمال التي تهب من الشآم اي عن شماله . وقد تصدينا لبحث نشوء كلمة اليمين وما نشأ منها مـن معنى اليمن ــ زنة الشكر ــ والشآم وما نشأ منها من معنى الشؤم (فى جريدة « الحرية » العراقية. العدد : 2044، يوم 16 ــ 2 ــ 1969) .

الجـــو :

جو الشيء داخله . يقول ان الكلمة من الارمية (كــو ، : gawo) ، وجوانـي : داخلـي مـن (كـويـو : gawoyo)

كثيرا ما قيل ان (الجوانـي) و (البرانـي) مـن السريانية ، ولا ندري لماذا ، فهمـا موجودتـان فى المعجم العربي ، وقد قال الشاعر : « اريد جوا ويريد برا » اي يريد داخل الدار ويريد خارجها .

ومهما يكن فان (الجو) فى المعجم : الهــواء ، وجو البيت : داخله . ومن هنا يتضح ان الكلمـة هوائية ، اي ان اثلها هو (الهو) الذى يعني الخرق فى الجدار يدخل منه الهواء ، ومنــه صيغت (الكـــوة) بنفس المعنى . ونعتقد ان الهو كان يعني الهواء اول الامر بدليل انهم اشتقوا منه كلمة (الهواء) نفسها. لهذا كان طبيعيا ان يكون معنى جوالغرفة هو هواؤها، ثم انتقل المعنى فصار يعني داخلها .

ومن (الجو) فى العربية صيغ (الجــوف) ، و (الجوز) فى قولهم جوز الفلاة واجواز الفضاء اي اجواؤه ــ والجوز هنا غير الجوز بمعنى القريتيــن والثمرة ، فهذه اثلها (الزوج) ، بينما جوز الفلاة اثلها (الجو) .

ولعلهم من (الجو) ايضا صاغوا (الجون) بمعنى الاسود او القاتم ، لان جو الدار يكون معتما بالنسبة الى خارجها ، ثم صار الجون يطلق على الابيض ايضا من باب التضاد . ومنه في الفارسية (كون : goun) اي اللون الشبيه ، في مثل قولهم (كل كون : gol goun) اي مثل لون الورد ، او : وردي اللون .

الجـوزاء :

وردت في الكتاب في غير موضعها من الترتيب الالفبائي ، اي بين لفظتي جبار وجبر ، ولم يرد عنها شرح او تعقيب ، بسبب خطأ مطبعي فيما يظهر . ولا بأس بان نذكر رأينا في اثل الكلمة مهما يكن مقابلها الارمي .

ان الكلمة من مادة (الجوز) العربية ، وليس المقصود هنا جوز الفلاة ولا الثمرة المعروفة بهذا الاسم ، بل معنى القرنيين ، اي انها من (الزوج) بمعنى الشفع . والذي يؤيد لنا ذلك ان الجوزاء تدعى باللاتينية (gemini) اي التوامين ومنها انتقلت الى الانكليزية بنفس المعنى ، وبها سمى الامريكيون بعض اقمارهم الصناعية .

والجوزاء مجموعة من النجوم في منطقة البروج كانت تمثل للقدماء صورة شخصين تخيلهما قدامى العرب (زوجين) فيما يظهر ، وتخيلهما الرومان (توامين) ، وما زال الاوربيون يرسمون الجوزاء على هيأة طفلين .

والذي يبدو لنا ان الاسم العربي الاقدم هو (الجوزان) اي الزوجان ، ثم ابدلت الهمزة من النون مع مرور الزمن .

والذي يزيدنا اقتناعا بعروبة الكلمة هو مراقبة العرب في علم الفلك . وقد اوضحنا ذلك في فصل بعنوان « العرب اول الفلكيين ؟ » (في العدد السادس من « اللسان العربي » وفي كتابنا الآنف الذكر) .

وكنا في مناسبة لغوية اخرى قد اثلنا كلمة (الجوز) ورسسناها من محاكاة صوت كسر غصن دون انفصال احد طرفيه عن الآخر . ولا بأس من اعادة الترسيس بايجاز ، هكذا : طو (صوت انكسار الغصن) ـ التو (الفرد من الشيئين المقترنين) ـ الزو (القرينان كلاهما) ـ الزوج (القرينان او الفرد منهما) ـ الجوز (القرينان او الفرد منهما) ـ الجوزان ـ الجوزاء .

الجسماني :

وردت في الارمية (كوشمونو : gouchmono)

في العربية ظاهرة تلفت النظر هي انهم لم يصوغوا من معنى (القطع) بعض اسماء اعضاء البدن فقط بل بعض اسماء البدن نفسه ايضا . فمن اسماء الاعضاء : الخد ، العضد ، الكرد (الرقبة) .. ومن اسماء البدن : القد ، الجرم ، الجثة (من معنى البحث اي القطع كما هو معلوم) .

ومن (الجثة) صاغوا (الجثمان) ومنها (الجسمان) ـ بضم الجيم كالجثمان ـ ثم صارت النسبة اليه بالياء فاصبح (الجسماني) .

ولعل الذي دعا بعض اللغويين الى الظن بان الكلمة من الارمية هو كثرة الاسماء المنتهية بالالف والنون فيها ، ناسين ان الصيغ المنتهية بالالف والنون في العربية لا يكاد يحصيها الحصر .. كالبنيان والبهتان والشكران والكفران (من المصادر) .. وكحمدان وصفوان ونعمان (من اسماء الاعلام) .. وكالهيمان والولهان والانسان والحيوان (من الاسماء)

ومهما يكن فان ترسيس الكلمة في العربية يقطع كل ريب في نسبها . ورسها من محاكاة صوت القطع هكذا : قط ـ قد ـ قت ـ قث ـ جث ، جثة ـ جثمان ـ جسمان ، جسماني .

لهذا لا نرى بالعربية حاجة الى اقتباس الكلمة من (كوشمونو) .

بل على العكس ، ان هذا الترسيس هو الذي يجيب على السؤال : من اين جاءت (كوشمونو) ؟

الخس :

ورد في الارمية بصيغة (حصو : haso) .

وسواء اكان قدماء العرب هم الذين سموا هذا البقل بهذا الاسم ام سواهم فان الكلمة ليست اثيلة في الارمية بل دخيلة ، فقد ورد الاسم في البابلية بصيغة (خسو : hkasau) . ومن عجب انها وردت قبل البابلية ايضا في السمارية الشمرية (السومرية) مكتوبة على شكل (خي ـ امن) .

ولعلها كانت تنطق (خيص) او (خص) — بكسر الخاء، والمغاربة ما زالوا ينطقونها كذلك ، اي بكسر الخاء وبالصاد ، لكن بصيغة التأنيث : خصة !

فمادة الكلمة عربية اذن ، وفعل (خص) يعني في الاصل (قطع) والله قص . ومن اخواتها : خت، خد ، قت ، قش ...

وقد سمي هذا النبات (خسا) من معنى القطع كما سمي من نفس المعنى الجزر والقثاء مثلا .

ووجود الكلمة في الشمرية التي حل اصحابها ارض جنوبي العراق منذ نحو ستة ءالاف سنة ، يفتح امامنا بابا من الاحتمالات والتساؤلات نمسك القلم عنها الآن . ويكفي ان نقول ان الكلمة ان لم تكن عربية اثلا ، او لم تكن قد دخلت العربية عن البابلية راسا عن طريق الاحساء المجاورة للعراق مثلا تكون الارمية قد اقتبستها عن البابلية وناولتها للعربية .

الـــروح :

راينا آنفا ان المؤلف الفاضل اورد ست كلمات من مادة (روح) على انها دخيلة في العربية من الارمية ، باعتبارها كما يلي :

الراحـــة من (روحتو : (rawhto
الـــروح من (روحـــو : (rouho
الروحاني من (روحونويو : (rouhonoyo
المروحـة من (مروحتو : (marwahto
الريـــح من (ريحـــو : (riho
الريحـان من (ريحونو : (rihono

قال العرب (راق الشراب) بمعنى صفا . وقد نطق بعض العرب القاف همزة في هذه الكلمة كما لا يزالون يفعلون في سورية ومصر كقاعدة عامة في كل كلمة ، فنشأت صيغة (راء) التي نشأ منها فعل (راى) كما سياتي بيانه توا .

وقالوا (رقرق الماء) بمعنى صبه رقيقا ، و (ترقرق الماء) بمعنى جرى جريا سهلا ، او : جاء وذهب . ومنها نشأت (رارأ السراب) : لمع . و (رقرقان السراب) — بضم الراءين — ماترقرق منه، اي تحرك . وما زال العراقيون يقولون ان النسيج (يراري) اي يشف عما تحته ، من معنى الصفاء . ومن هنا نشأ فعل (راى رؤية) في اكبر الظن .

ومن (راء) التي انقرض معناها المائي فيما يظهر نشأت صيغة (راه الماء) : اضطرب على وجه الارض ، ومنها في الفارسية (راه) : طريق .

ومن فعل (راه) نشأ في العربية فعل (راح) بمعنى ذهب كما لا يزال في الدارجات . ثم صار يعني كذلك المجيء او الذهاب في العشي . وفعل الامر منه (رح) ينطق في الدارجات (روح) اي : اذهب ، ومنه في الفارسية فعل الامر (رو) بنفس المعنى .

ومصدر فعل (راح) تنوعت صيغه فصار منها (الروح والرواح والريح ...) — وكلها بفتح الراء . ويظهر انه من معنى ترقرق الماء ورارأة السراب — وهو هواء يشبه الماء — اطلقوا (الريح) — بكسر الراء — على الهواء .

وقد كانت لها صيغ اخرى فيما يبدو ، منها (الروح) — زنة الجود . ولما كان التنفس الذي هو قوام الحياة انما يعني دخول الهواء وخروجه فقد تخصصت هذه الصيغة الاخيرة (الروح) بمعنى النفس — زنة النفع — التي صيغت من التنفس ايضا . ومما يدل على ان الروح كانت تعني الريح هو انهما كلتيهما تجمعان على (أرواح) .

ومن الريح صاغوا (المروحة) : اداة الترويح من تنفس المرتاح عند انفراج ازمته ، مثل قولهم من التنفس ايضا : تنفس الصعداء .

ومن الريح صاغوا (المروحة) : اداة الترويح اي تحريك الريح امام الوجه تبردا من الحر . وصيغة (المفعلة) قياسية لاسم الآلة في العربية مما قد يرجح اصلها العربي . لكن يجوز ان تكون المروحة مقتبسة عن الارميين ، فيقال عندئذ ان العرب حوروا اسمها بما يوافق لغتهم ، وهو قريب جدا من الاسم الارمي (مروحتـــو : (marwahto لكن مادة الكلمة وصيغتها عربيتان على كل حال .

كذلك يتردد الفكر في امر (الريحان) الذى يطلق في العربية على كل نبات طيب الرائحة ، او على شجرة الآس ، بينما مقابلة الارمي (ريحونو : (rihono يعني الآس وحسب . فيجوز ان تكون التسمية ارمية اقتبستها العربية ولاسيما اذا لم يكن شجر الآس معروفا عند العرب الا عن طريق الارميين . والا فمن الصعب ترجيح احد الاحتمالين. اما (الروحاني) فان كان المقصود معناه الديني

فهو الذي يمكن القول بكثير من الاطمئنان انه من الارمية . أي ان السريان (الارميين النصارى) هم الذين صاغوا (روحاني) من مادة (روح) المشتركة بين اللغتين فاقتبستها العربية منهم عندما ادخلوا النصرانية بلاد العرب .

واما ان كان المقصود من (الروحاني) كل ذي روح فعلينا ان نتردد كذلك فى اللفظ اعربي هو أم ارمي .

الـزاويـة

يقول انها من الارمية (زويتو : Zowito K

وقد تطرقنا آنفا الى نشوء كلمة (الزو) بمعنى الزوجين او القرينين من كلمة (طو) التى تطورت فصارت (تو) ثم (زو). ومن الزو سميت (الزاوية)، لانها تتكون من ضلعين مقترنين .

الأس وذريته :

فى اثناء تأثيلنا الالفاظ السالفة مرت بنا كلمة (الاس) بمعنى الاساس ، التى قال المؤلف انها من الارمية (اشيتو : achito) وهي من الالفاظ الاساسية فى اللغة العربية لكننا اغفلناها لما فى ترسيسها من بعض التعقيد الذى آثرنا اجتنابه فى هذا الحديث الموجز . ثم مرت بنا كلمة (الاسل) — زنة العسل — وهو شجر قال المؤلف انه من الارمية (اوسلو : awslo) وهي ترجع بأثلها فى نظرنا الى (الاس) فتخطيناها ايضا لقلة اهميتها . وبعد حين مرت بنا الاصلية فالاصيص ، ثم السخلة ثم سلخ، ثم سنان ، سنة ، شلح ، صل ، صلت .. وكلها يورد مقابلها اللفظ الارمي الذى يقال انها انحدرت منه .

وكلها فى رأينا ترجع الى الاثل الخطير (الاس) الذى تولدت منه كلمات مهمة كثيرة لا فى العربية وحدها لكن فى الآريات ايضا . فارتأينا بعد كل هذا ان نلم المامة يسيرة بالكلمة آملين ان نتبسط فى الشرح والاستقصاء فى مقام آخر .

ان لكلمة (الاس) رسيين اثنين ، احدهما همزة التنبية (آ) والثاني الضمير الرسي (تا) ، ومنهما تكون الضمير العام (أت) كالذى شرحناه فى فصل « اسرار الضمائر » (فى العدد الخامس من « اللسان العربي » لسنة 1967 ، وكتابنا الآنف ذكره)، ولا نرى ضرورة للاعادة فيه الآن .

وقد تطور (الأس) فنشا منه الارث ، ثم الارض وهي بالانكليزية (earth) وبالالمانية (erd) وقد نشأت منها طائفة كبيرة من الالفاظ العجيبة الوافرة العدد المتنوعة الفعاليات .

ومن (الاس) نشأ (الاسل) وهو نبات طويل الاغصان دقيقها ومستقيمها و (الاصل) و (الاثل) وهو شجر ايضا .

ومن (الاس) نشأ (الاصيص) اي الوعاء الذى تزرع فيه الرياحين باعتباره ارضها .

ومن (سل) نشأ (السن) ومنه (السنان) . وهي الابرة الكبيرة، و (السلاء) — بضم السين — وهو شوك سعف النخل ، لشبهه بالمسلة .

ومن (سل) نشأ (اسن) ومنه (السنان) . ولما كان عمر بعض الدواب يقدر بفحص اسنانها ولاسيما الخيل صارت (السن) تعني العمر ايضا ، ومنها صيغت (السنة)!

ومن (سل) نشأ فعل (سلت) ومنه (اصلت) ومنه (الصلت) و(الاصليت) وكلاهما يعني السيف .

ومن (سل) نشأ فعل (صل) بمعنى صفى تصفية، ومنه فعل (نصل) ومنه (النصل). ومن (صل) ايضا نشأ اسم (الصل) اي الحية لشبهها بالاسل والنصل.

ومن (سل) نشأ فعل (سلخ) بمعنى نزع الجلد، ومنه (شلح) — بالتشديد — بمعنى عرى . ومن (السلخ) نشأ اسم (السخلة) : ولد الشاة .

وما هذه الالفاظ الا قليل من كثير، فان الحديث عن الكلمات التى نشأت من (الاس) والالفاظ المتشعبة المتولدة منه يتطلب حديثا مستفيضا سيكون مليئا بالمفاجئات المثيرة . وحسبنا من كل ذلك ان نورد مثلا صغيرا من مواليد الاسل : العسل (من وخز ابرة النحلة) — لسع — علس (مضغ بالعراقية) — علك — اكل — كلا !

اما (الارض) فقد نشأ منها من الالفاظ الكثيرة المتشابكة ما يجعل الحديث عنها هنا امرا فى غير محله .

صـــــورة :

يقول انها من (صورتو : sourto)

هذه الكلمة رسمها من صوت الهواء الذى سبق الحديث عنه . ولا حاجة بنا الى الرجوع الى اول الحديث ، فلنمسك السلسلة من وسطها ، ولناخذ كلمة (زاب) بمعنى جرى ، التى عرفناها آنفا . فهذه صارت (ساب) ثم (سال) ثم (سار) ثم (صار) . ومن هذه الاخيرة نشأ فعل (صيرت الشيء) بمعنى غيرت نوعه او حالته كقولهم (صيرت العنب خلا) . ومن هذه نشأ فعل (صوره تصويرا) بمعنى شكله تشكيلا. ثم نشأت الصورة . ولعل منها فى الانكليزية (sort) شكل ، نمط .

الضـــرع :

ثدي الشاة والبقرة ونحوهما . يقول انها من (صرعو : sar'o) لكننا نرسس (الضرع) من (الدر) ــ زنة الشر . فالذي يبدو لنا ان العرب قلدوا صوت شخيب اللبن عند الحلب بقولهم (در در ..). ومن ذلك (الدرة) ــ بكسر العين ــ ما زالت تعني الضرع بالعراقية ، واما فى الفصحى فتعني اللبن وكثرته وسيلانه ، اما (الدر) فهو اللبن او كثرته .

ومن (الدر) نشأت صيغة (الضرع) ، ومن هذه نشأ فعل (رضع) .

الطحيــن :

الدقيق . يقول انه من الأرميــة (طحينو : thino) ، ثم يذكر الكلمة فى مكان آخر مع مقتبسات العربية من الحبشية . لكن ترسيسها فى العربية واضح ، فان فعل (طحن) اله (حطم) . وهذا اله (حتم) ، وهذا اله (حت) ، وهذا اله (حد) ، وهذا اله (خد) ، وهذا اله (قد)، وهذا اله (قط) اي حكاية صوت القط . ومن الطحن صيغت (الحنطة) التى يطحنونها .

القثـاء :

وردت فى الارمية بصيغة (قطوتو : qtouto) هذه الكلمة ايضا ليست ارمية فى اللها ، وانما انتقلت اليها فيما يظهر من البابلية (قشو: qichchou)

وقد وردت قبل البابلية فى اللغة الشمرية بصيغة (اوكوش : ukuch) وهي من مادة (كش) العربية التى نعتقد انها كانت تعني القطع فى الاصل بدليل ان (الكشة) هي القصة ــ وكلتاهما زنة القوة ــ اي شعر الناصية . والقصة من القص طبعا .

و(القثاء) العربية من (القث) اي القطع ايضا . ومن اخواتها : الجث ، القش ، الحش ...

فانلم تكن الكلمة من العربيةاصلا، ولم تكن قددخلت العربية من البابلية راسا فقد توسطت الارمية فى نقلها الى العربية ، اي يحتمل ان يكون الشمريون قد اطلقوا اسم (اوكوش : ukuch) ــ من مادة (كش) العربية ــ عندما وجدوا هذا النبات فى العراق .

ويلاحظ انها اذ وردت فى الشمرية من مادة (الكش) وردت فى البابلية من (القش) ، وفى الارمية من (القط) ، وفى العربية من (القث) . فلابد ان قبيلا ما ، من هذه الامم او غيرها ، قد اطلق الاسم على النبات من معنى القطع وكل من اقتبسه نطقه على طريقته .

ويجدر بالذكر ان الكلمة موجودة فى الانكليزية بصيغة (cassia) من (القص) بمعنى النبات المسمى بالقثاء الهندي ، ويؤثلونها من الافريقية المسمى بالقثاء الهندي ، ويؤثلونها من الافريقية (akakia) التى يظهر انها مقتبسة من احدى اللغات العراقية القديمة ، مباشرة او مواسطة .

القـرة (زنـة الفـرة) :

هي الضفدع . يقول انها من (قرورو : qrouro) الشرغ اي الحيوان الذى يخرج من بيضة الضفدعة .

ومن الواضح أن اسمها العربي من صوتها ، اي انها سميت قرة لانها تقول (قرورر.. قرردد ..). واما فى الارمية فقد انتقل المعنى الى الشرغ الذى يخرج من بيضة الضفدعة ، اي الكائن الحي الضئيل المرشح لان يكون ضفدعا فى المستقبل ، وهو بطبيعة الحال لا صوت له ، فلا يمكن ان يكون هو اصل التسمية .

القسط :

العدل او العادل . اورده على انه من الارمية (قوشتو : qouchto)

ان اثل القسط في العربية هو (القصد) ومعناه الاستواء والاستقامة ، ومنه الاية « واقصد في مشيك واغضض من صوتك » .

والقصد اثله (القص) الذى فيه من معاني العدل القصاص (العقاب) ، والمقاصة (مجازاة المرء بمثل فعله ، او تسوية الحساب) . واصل معنى القص هو القطع طبعا ، ورسه هو (قط) اي محاكاة صوت القطع .

وقد وردت من (القسط) في العربية صيغة (القسطاس) ومنها في اللاتينية justus : عادل) ، وهو في الفرنسية والانكليزية : just)

القصر :

وردت في الارمية (قصرو : qasro)
ويقول انها من اللاتينية castellum : قلعة

كنا قد تطرقنا الى تاثيل هذه الكلمة (في « اللسان العربي » — العدد الثاني ، لسنة 1965) ضمن حديثنا عن الكلمة العربية (الكاخ) اي الكوخ التى انتقلت الى اللاتينية بصيغة (كاسا : casa بنفس المعنى ، ثم صاغ اللاتين منها كلمتي castrum و castellum بمعنى القلعة . وقلنا ان العربية عادت فاقتبست castrum (لا castellum بصيغة القصر . فما دامت هذه الكلمة قد وردت في الارمية ايضا بصيغة (قصرو) فنحن نرجح ان العرب عن طريقها اقتبسوا (القصر) ، ولو انهم يجوز ان يقتبسوا عن اللاتينية مباشرة ايضا بالنظر لحكم الرومان مناطق عربية كالرقمة التى كان يقطنها الغساسنة مثلا من بلاد الشام .

وهذه الكلمة — القصر — ليست الوحيدة التى توسطت الارمية في نقلها الى العربية من اللاتينية او غيرها من اللغات ، لكننا اوردناها كمثال تدل على غيرها .

الكرخ :

كرخ الماء الى مواضعه : اجراه . يقول انها من الارمية (كرخ : krakh) اجاله حول مكان.

والعراقيون يطلقون (الكرد) — زنة النرد — على ناعورة الماء ، فنحن نؤيد المؤلف الفاضل في ان اصل المعنى هو الجولان حول المكان ، بل الدوران.

و(الكرد) يعني في الفصحى اصل العنق ، وهو من الاعضاء المسماة من معنى القطع ، وربما اطلق اولا على كل ما استدار كالعنق ثم اطلق على الناعورة لاستدارتها .

ومن اخوات الكرد بهذا المعنى (الكرخ) الذى يطلق الآن على الجانب الغربي من بغداد ، وقد كان اطلق اصلا على مدينة بغداد التى بنيت مستديرة في ذلك الجانب فلذلك سموها المدينة المدورة ايضا ، ذلك بان (الكرخ) يعني المدور . والجنوبيون من اهل العراق ينطقون الكرد بابدال كافه جيما مثلثا (tchard) وكذلك فعل قدامى الفرس بكلمة (كرخ) — قبل بناء المدينة المدورة باحقاب لا نعرف عددها — فنطقوها (جرخ : tcharhk) بمعنى العجلة المستديرة اي الدولاب . ومنها في الفارسية (جرخ فلك) اي دولاب الفلك .

واثل كرخ وكرد هو (قرد) اي قطع . فعلى هذا يكون ترسيسها من محاكاة صوت القطع هكذا : قط — قد — قرد — كرد — كرخ .

هيكل :

اصل معناها معبد الوثنيين ، وهي في الارمية (هيكلو : hayklo) . وهذه الكلمة ليست ارمية وانما اقتبستها من البابلية وهذه اخذتها عن الشمرية (السومرية) . وهي في الشمرية تتالف من كلمتين : (أي كال) بمعنى البيت العظيم (اي : عظيم + كال : بيت)

وقد تطور معناها في العربية فصارت تعني البناء المرتفع ، والضخم من كل حيوان ، والتمثال والصورة والشخص . والفرس الهيكل : المرتفع . وقد قال شوقي في وصف الطنبو :

هيكل يحمله من صافنات الخيل هيكل

هذه الكلمة اوردناها نموذجا آخر من الكلمات الدخيلة فى العربية والارمية معا ، مما توسطت الارمية فى نقله الى العربية ، هذا ان لم تكن العربية اقتبستها من البابلية مباشرة .

اليمـيـن :

القسم ـ بفتح السين . قال انها ارمية مـن (يمي : yimi) : اقسم .

والامثل ان يقال انها من (اليميـن) اي اليـد اليمنى التى كان العرب يتفاءلون بها ومنها صاغـوا اسم (اليمن) ـ زنة الشكر ـ اي الفـال الحسن .

وقـد وردت فـى الانكليزيـة بصيغـة (omen) اي الفال ، وهي مـن اللاتينيـة لفظـا ومعنـى . ومن تفاؤل العرب باليمين انهم كانوا يزجرون الطيـر فاذا طار يمينا استبشروا ومضوا فى الامر الـذى كانوا مقدمين عليه ، واذا طار شمالا (اي شآمـا) تشاءموا واوجسوا شرا وانصرفوا عن الشان الذى كانوا ينتوونه .

وصيغة (اليمين) بمعنى القسم فى العربية هي نفسها التى تعني اليد اليمنى ، فلا يبدو ان هنـالك مبررا لاقتباسها من الارمية (يمي) ، بل ان هـذه الاخيرة هي التى اقتبستها الارمية من العربية لانها هي المحرفة عن اللها .

مخطـوطـات لغـويـة

1) « المنتخب فى غريب كلام العرب »
مخطوط مجهول المؤلف
الخزانة العامة بالرباط (خع = عدد 336)
مجلدان مكتوبان فى القرن الماضي فى الاول 149 ورقة وفى الثاني 146 ورقة

(تضم الالفاظ الواقعة ـ كما فى المقدمة ـ على الاجسام والاعـراض من الحيوان والموات والاجناس . .)

2) « المحكم والمحيط الاعظم فى اللغة » لابن سيده (458 هـ / 1066 م)
يوجد الجزءان الثاني والسادس من 18 جـزءا فى خزانـة جامعـة القرويين (خق) = 107 ق و 9 ج و 8 ج

3) كتاب البرصـان والعرجان والعميان للجاحظ
نسخة فريدة فى العالم فى (خق) = ق 87

4) كتاب التعازي والمراثي للمبرد (286 هـ / 899 م) نادر (خق = ق 226)

5) كتاب الامالي لابن دريد (321 هـ / 933 م)
الجزء السابـع وهو من اغـرب الغـرائب التى لا وجود لها بالعـالم (خق = ق 153)

6) اضاءة الرامـوس على القامـوس لمحمد بن الطيب الشرقـي استاذ الشيخ مرتضى الزبيدي (الخزانة الملكية بالرباط عدد 244)

اللغة العربية بين اللغات السامية

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

اللغة التى نزل بها القرءان الكريم ، وهي التى يقال لها العربية الفصحى ، وكذلك سائر لهجات العرب ، هي فروع من مجموعة لغات ، عرفت عند المستشرقين باللغات السامية ، وقد اولع بعض المستشرقين بدرس هذه اللغات ، فالفوا فيها كتبا وابحاثا ، وانشاوا مجلات عدة تفرغت لها ، وما زالوا يسعون فى توسيعها وتنظيمها وتبويبها ، وقد عرفت دراساتهم هذه ، عندهم بالساميات Semitistik وهي تتناول بالدرس ، كل اللغات التى يحشرها علماء الساميات فى مجموعة اللغات السامية ، تتناولها بغض النظر عن وجود اللغة او وجود اللغة او عدم وجودها فى هذا العصر .

فالبحث علم ، والعلوم تبتغي المعرفة ، دون تقيد بزمان او بمكان ، وينفق علماء الساميات مجهودا كبيرا فى المقارنة بين اللغات السامية ، وفى معرفة مميزات كل لغة ، وما بينها وما بين اللغات الاخرى من فروق او تطابق او تشابه .

وترجع تسمية السامية الى عالم الماني اسمه شلوتر Schlotzer فهو اول من استعمل السامية فى بحوثه فى تاريخ الروم القديم ، ويعود فضل ايجاده الى شجرة انساب الامم الواردة فى التوراة ، والتى ترجع انساب البشر الى ابناء نوح الثلاثة : سام وحام ويافث « سفر التكوين — الاصحاح العاشر » .

فاطلق العالم شلوتر لفظ السامية على جملة شعوب ، رجعت التوراة نسبها الى سام بن نوح ،

وشاعت التسمية منذ ذلك الحين ، وخاصة باستعمال المستشرق الالماني ايش هورن Eichhorn وادخاله اياها فى مؤلفاته وبحوثه، واستعملها غيره من العلماء الالمان والانجليز والفرنسيين حتى صارت مصطلح علم عندهم ، ذا مدلول معين مفهوم ، ثم وجد هذا المصطلح سبيله الى الامم الاسيوية والافريقية والقرابة بين اللغات السامية واضحة بينة ، وهي اوضح وامتن واوثق من الروابط التى تربط بين فروع طائفة اللغات المسماة باللغات « الهندو اوروبية » Indoeurpaichen sprachen «او الهندوجرمانية» Indogermanischen sprachen على حد تعبير بعض العلماء وليس الاختلاف بين اللغات السامية القديمة ، يزيد على الاختلاف الكائن بين اللغات الجرمانية .

ولقد ادرك مستشرقوا القرن السابع عشر من امثال : هوتنكر Hottinger (1620–1667م) وبخارت Bochart والبرت سولتنس Albert Schultens (1686–1680) ولود ولف Ludolf وكاسل Edmcastell (1606–1685م) بسهولة الوشائج التى تربط بروابط متينة ما بين تلك اللغات واشاروا اليها ، ونوهوا بصلة القربى التى تجمع شملها ، بل لقد سبقهم الى ذلك علماء عاشوا قبلهم بمئات السنين ، هداهم ذكاؤهم وعلمهم الى اكتشاف تلك الوشائج ، والى التنويه بها .

فقد تحدث عالم يهودي اسمه : يهودا بن قريش Jehuda ben koreish وهو ممن عاشوا فى

اوائل القرن العاشر عن القرابة التي تجمع بين اللغات السامية ، وعن الخصائص اللغوية المشتركة بين تلك الالسن .

كما ابدى هذا العالم اليهودي ملاحظات قيمة من الاسس اللغوية التي تجمع شمل تلك اللغات .

ولقدماء علماء السامية آراء بنيت على اعتبارات دينية ونفسية ، في قدم لغات ابناء سام ، فتعصبوا للغتهم وحملهم تعصبهم هذا وتقديسهم للغتهم ، على تفضيل لغتهم هذه على سائر لغات ابناء آدم .

وللمستشرقين آراء في اقرب اللغات السامية الى الاصل ، فذهب بعضهم الى ان العبرانية هي اكثر تلك اللغات شبها بالسامية الاولى ، وهي لذلك اقرب بنات سام اليها .

وذهب آخرون الى تقديم لغة بني « ارم » على غيرها ، جاعليها البنت الاولى التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الاصلية ، اكثر من اجتماعها في اية لغة اخرى ، ولهذا استحقت في رأيهم التكريم والتقدير .

وذهب آخرون الى تقديم العربية على سائر اللغات الاخرى لمحافظتها اكثر من بقية اللغات السامية على الخصائص السامية الاولى وعدم تنصلها منها وتركها لها كالذي نراه من استعمالها للمقاطع القصيرة الصامتة ، ومن كثرة تعدد قواعدها التي زالت بقواعد بقية اللغات ، غير ان هذه الامتيازات والحصانات التي تتمتع بها هذه اللغة يقابلها من جهة اخرى ، مميزات في العربية ، لا نجدها في اللهجات السامية الباقية ، مما يبعث على الظن انها طرات عليها فيما بعد ، وان اللغة العربية قد مرت باطوار تطورت فيها تصيرا .

فما من قاعدة من قواعد اللغات السامية تابعت نموها ، ونضجت في تطورها كما نضجت في اللغة العربية ، بعد ذلك التقدم المتطاول من اقدم العصور . ففي اللغات السامية اعراب ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق في مواضعه ، ولم يبلغ قط مبلغ القانون الذي نعرف فيه حدود الاطراد وحدود الاستثناء وفي اللغات السامية اشتقاق ، ولكن قوالب المشتقات فيها لم تتميز باوزانها ومعانيها ، كما تميزت مع تطور اللغة العربية .

وفي اللغات السامية حروف لم تعرف في غيرها من العائلات اللغوية ، ولكن لغة من اللغات — سامية كانت او آرية او طورانية — لم تتحرر فيها المخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في لغة الضاد ، فليس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ، ولا مخرج ملتبس بين حرفين .

وفي اللغات السامية نحو وصرف ولكنهما واقفان — فوق المنبت — جذورا كالخشب الذي لا يقبل النمو بعدما وصل اليه ، وما من جذر من جذور نحونا او صرفنا لم يتفرع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه .

ويقسم علماء السامية اللغات السامية الى قسمين : لغة سامية شمالية ولغات سامية جنوبية، ويقسم العلماء اللغات السامية الشمالية الى مجموعتين : مجموعة شرقية ، ومجموعة غربية ، ويقصدون بالمجموعة الشرقية : اللغات السامية المتركزة في العراق ، ويقصدون بالمجموعة الغربية : اللغات السامية المتركزة في بلاد الشام ، ولا يقوم هذا التقسيم على اسس لغوية ، وانما هو تقسيم جغرافي محض .

وتتالف مجموعة اللغات السامية الشرقية من اللغات : البابلية والاشورية والاكدية ، اما المجموعة الغربية فتتكون من الكنعانية والاخلائية والفينيقية والبونية والآرامية والعبرانية والسريانية والنبطية والموابية والامورية والاوغاريتية ، ومن لهجات اخرى محلية .

اما المجموعة الجنوبية فتتالف من اللهجات العربية : المعينية والسبالية والقتبانية والحميرية والحبشية (الجعزية) ومن لهجات اخرى محلية .

واما المجموعة الشمالية فهي :

ا — العربية ماقبل الحجازية او ما قبل القرآنية، ومنها اللهجات ، اللحيانية والثمودية والصفوية .

ب : والعربية الحجازية او القرآنية ومنها تفرعت جميع اللهجات المحكية في البلدان العربية وغيرها .

ولقد توصل علماء اللغات السامية ، بعد البحث والدراسة والتنقيب الى خصائص اللغات السامية ووجدوا انها :

1 — تعتمد على الحروف الصامتة Konsonant اكثر من اعتمادها على الاصوات Vokale فنرى أن اغلب كلماتها تتالف من اجتماع ثلاثة احرف صامتة،

اما الاصوات فلا نجد لها حروفا تمثلها في اللغات السامية ، وهي بذلك على عكس اللغات الارية التي اهتمت بالاصوات ، فدونتها مع الحروف الصامتة.

وقد اضطرت اللغات السامية نتيجة لذلك ، الى الاستزادة من الحروف فزادت في عدادها عن العدد المالوف في اللغات الآرية ، واوجدت لها حروفا للتفخيم والتضخيم والترقيق ، وابراز الاسنان والضغط على الحلق .

2 – ويتولد فيها – اللغات السامية – من تغيير حركات الاحرف الثلاثة الصامتة وتبديلها : معان جديدة ، ولكن من اهم واجبات الاصوات في اللغات السامية تغيير حركات الحروف لتولد معان جديدة ، فالاحرف الثلاثة الصامتة اذن : هي التي تكون مفهوم الكلمة وهيكلها ، ولكن مفاهيم هذه الاصول الثلاثة ، لا تبقى على حالها ، حتى تغيرت حركات هذه الحروف .

3 – ومن الممكن احداث معان جديدة في اللغات السامية ، وذلك باضافة زوائد تتالف من حركة او اكثر ، الى الاصول الثلاثة فيتبدل بذلك معنى الاصل .

4 – وليس في اللغات السامية ادغام للكلمات، اي وصل كلمة باخرى لتتكون من كلمتين ، كلمة واحدة يكون لها معنى مركب من معنى الكلمتين المستقلتين ، كما في اللغات الآرية ، وما نراه من عد كلمتين مضافتين كلمة واحدة ، تؤدي معنى واحدا ، فان هذا النوع من التركيب بين الكلمتين ، شيء جديد في اللغات السامية ، لم يكن معروفا عند اجدادهم القدماء .

5 – وهذا هو سبب ظهور الاعراب في اللغة العربية ، ويذهب العلماء الى ان الاعراب كان موجودا في جميع اللغات السامية ، ثم خف حتى زال من اكثر تلك اللغات ، ونرى له اثرا يدل عليه في العبرانية ، في حالتي المفعول به ، وفي ضمير التبعية ، وفي السريانية والبابلية في ضمير التبعية ، فان هاتين الحالتين ، تدلان على وجود الاعراب في اصولها القديمة .

ويرى العلماء ان الفعل قد تطور في اللغات السامية تطورا خطيرا استغرق قرونا طويلة ، وان ما نعرفه من تقسيم الافعال الى ماض ومضارع وامر، لم يكن معروفا على هذا النحو عند قدماء الساميين. اذن مما سبق توضيحه تبين ان اللغة العربية من اللغات السامية – الآرامية والكنعانية والكلدانية والسريانية والاشورية والعبرانية وغيرها – التي نشات فيما يسمى الآن منطقة الشرق الاوسط . وقد ظلت الآراء مضطربة في الاصل المشترك للغات السامية ، والعلم على اي حال لم يعرف الكلمة الاخيرة .

ومما هو جدير بالذكر ان اللغة العربية ، آخر لغة انفصلت عن اللغة الام « السامية » الامر الذي مكنها ان تأخذ ما في السامية من مزايا ، وتتجنب الى حد بعيد ، كثيرا من مزالق ، مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا اللغة العربية في الانفصال .

وقد استفادت اللغة العربية من تطور السريانية والعبرانية ، وما اعتراهما من تحوير وتجديد ، فجاءت بدايتها لا كبداية هاتين اللغتين بمعنى ان بداية العربية جاءت اقرب الى النضج والاكتمال ، من شقيقتيها ، فكانت بحق بداية جديرة بان تقود الى نتيجة هي اكبر نضجا واستقرارا وسعة.

والمراكز التي تبلورت فيها اللغة العربية هي : اليمن والحجاز ، اما في اليمن فكانت العربية اكثر اتصالا بالاكدية والحبشية من اي لغة اخرى ، على ان الهجرات الجنوبية الى الشمال والغرب جعلت عربية اليمن تؤثر الى حد بعيد في هذه المناطق .

واما في الحجاز فقد كان هنالك تقارب بين العربية والعبرانية . وهكذا فان هجرات القحطانيين واحتكاكهم بالعدنانيين ساعدت على تركيز لغة مشتركة .

وهجرات اليمنيين الى الشام ، وعدم وجود حكومة عربية ، ورغبة العرب بوجه عام في الحفاظ على المقومات القبلية ، لم يكن من شانه الا ان يوسع دائرة اللغة العربية ، بما شملته من تعدد المصطلحات للمعنى الواحد ، اذ كان لكثير من القبائل لهجات خاصة ، دون ان يكون التفاهم مع ذلك صعبا بينها ، واذا كان من الصعب الآن ان نعرف متى نشات اللغة العربية الا اننا لا نعدو الصواب اذا قلنا : انه قد مر اكثر من قرن قبل ظهور الاسلام ، وقبل ان تصل الى درجة الاتقان .

ولم يقتصر العرب على شبه الجزيرة العربية وحدها كموطن لسكناهم ومعيشتهم ، بل هاجر كثير منهم الى البلاد المجاورة لشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام بقرون .

ولما كانت هذه البلاد نفسها موطنا لاناس بينهم وبين العرب صلة شديدة القوة ، كالانباط والاشوريين والكلدانيين ، فقد سهل على المهاجرين من شبه الجزيرة الاستقرار بهذه البلاد ، وكونوا في ظل الحكم الروماني والفارسي ، بعض الممالك التي اشتهر منها : مملكة الحيرة في القرن الخامس قبل الميلاد ، ومملكة غسان في القرن السادس قبل الميلاد .

فلم يكن العرب يعيشون منكمشين على انفسهم، بل كانت لهم علاقات وطيدة ، بمدنية الفرس والروم . وهذا ينطبق ايضا على سكان الحجاز ، وعرب الشام والعراق .

ولقد كان لعرب الحجاز تجارة واسعة مع الفرس والرومان ، وبعبارة ادق مع العراق والشام. وهي تعتبر منذ زمن سحيق العاصمة الروحية للعرب . والتجار يحتاجون الى تعلم لغة البلاد ، التي لهم علاقة تجارية ، ومن ثم كان لابد ان تدخل الفاظ كثيرة الى اللغة العربية ، من الفارسية والرومانية ، وهذه الالفاظ التي تطعمت بها العربية معظمها من الالفاظ الحضارية . ولغة العرب ظلت ترتبط بالجاهلية الى حد ما بالمحسوسات التي يقع عليها بصر العربي ، ولكن الذي يثير انتباه الباحث ، هو ان كل ما يرتبط بظواهر الطبيعة في حدود شبه الجزيرة العربية يمثل ثروة لغوية لا تقدر . واذا كانت قريش زعيمة قبائل العرب طالما كانت تتولى امور الكعبة وتسيطر على تجارة الحجاز ، فان لهجتها استطاعت في النهاية ان تصهر كل اللهجات العربية لتخلق منها لغة مشتركة . ونقول لهجة قريش ، ولا نقول لغة لانها لم تكن ذات علم مكتوب .

قال جماعة من الباحثين : ان قريشا افصح العرب ، وبلسانها القرءان الكريم ، وذلك لانها كانت — قريش — تختار افضل لغات العرب . وهذا الراي منسوب الى قتادة المتوفى سنة 117 هـ .

ويقول الفراء المتوفي سنة 207 هـ : « كانت العرب تحضر المواسم في كل عام ، وتحج البيت في الجاهلية ، وقريش تسمع لغات العرب ، فخلت لغتهم من مستبشع اللغات ، ومستقبح الالفاظ » .

وقال احمد بن فارس المتوفي سنة 395 هـ نقلا عن اسماعيل بن ابي عبيدة : « اجمع علماؤنا بكلام الرواة لاشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وايامهم ومجالسهم ان قريشا افصح العرب السنة ، واصفاهم لغة ، وذلك ان الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمدا، فجعل قطان حرمه، وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج : ويتحاكمون الى قريش في امورهم ، وكانت قريش مع فصاحتها ، وحسن لغاتها ورقة لسانها ، اذا اتتهم الوفود من العرب ، تخيروا من كلامهم واشعارهم ، احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك افصح العرب .

وجاء في مقدمة ابن خلدون : « ان لغة قريش كانت افصح اللغات العربية ، واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني اسد وبني تميم » .

واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان واياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش ، كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد ، عند اهل الصناعة العربية .

وقد توسع العلماء المحدثون في اثر ما كان « لعكاظ » في تثقيف قريش ، وفي تاثر من كان يحضر فيه من الشعراء والادباء بلغة قريش .

ومن هؤلاء سليمان البستاني ، ونظرية ان القرءان الكريم جاء بلغة قريش ، وجدت لها انصارا من العلماء المعاصرين مثل الدكتور طه حسين ومصطفى صادق الرافعي وعدد كبير من المستشرقين، فلهجة قريش على راي هذا الفريق من العلماء هي افصح اللهجات .

وهناك روايات تصف لهجات اخرى بالفصاحة. قال ابو عمرو بن العلاء : افصح العرب عليها هوازن ، وسفلى تميم .

ووصفت بالفصاحة هذيل وثقيف وجرهم ونصر قعين .

وجاء في لسان العرب لابن منظور : « ان بعض العلماء سئل اي العرب افصح ؟ فقال : نصر قعين . »

ووصفت بالفصاحة قيس وتميم واسد ، والعجز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن . وهم خمس قبائل منها : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر ن معاوية وثقيف .

وقال ابو عبيدة : « واحسب افصح هؤلاء بني سعد بن بكر ، وذلك لقول الرسول انا افصح العرب بيد اني من قريش، واني نشأت في بني سعد بن بكر، وكان مسترضعا فيهم ، وهم الذين يقول فيهم عمرو ابن العلاء افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم . »

وقد عدت هوازن وتميم من افصح القبائل في الاسلام ، ولذلك رحل اليها علماء اللغة للاخذ منها : مثل الخليل والكسائي والازهري وامثالهم من العلماء .

وجاء في كتاب المزهر : « ان ابا نصر الفارابي قال في مقدمة كتابه المسمى : «بالالفاظ والحروف» كانت قريش اجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ ، واسهلها على اللسان عند النطق ، واحسنها مسموعا، وابينها ابانة عما في النفس ، والذين نقلوا اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم اخذ اللسان العربي من بين القبائل هم : قيس وتميم واسد . فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما اخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب ، وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم » .

قال الدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العراقي : « والقائلون بأن العربية الفصحى هي لسان قريش، متأثرون من كون الرسول من قريش ، وبأن القرءان الكريم نزل بين قريش . فهو اذن بلغة قريش ، وبما اورده علماء اللغة من انتقاء قريش لادق الالفاظ واعذبها ، وكتقصص سوق « عكاظ » .

اما ان الرسول من قريش فهذا امر مفروغ منه، واما أن القرءان بلسان قريش فمسألة فيها نظر ، وقضية تحتاج الى بحث .

فلو كان القرءان بلسان قريش ، لم سأل رجال منهم في تفسير كلمات من كلام الله ؟

ولم لجأ المفسرون الى الاستشهاد بشعر غير قرشي وبلغات قبائل اخرى لتفسير كلمة من كلام الله ؟ ولم ندر الشعر في قريش ؟

وقد ورد ان قريشا كانت اقل العرب شعرا في الجاهلية، فاضطرها ذلك الى ان تكون اكثر العرب انتحالا للشعر في الاسلام .

وورد ايضا : ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء ، الا في الشعر فانها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن ابي ربيعة فاقرت له الشعراء بالشعر ايضا ولم تنازعها .

ولم استشهد العلماء في اللغة بأبيات من الشعر وبكلام الاعراب ، بدلا من الاستشهاد بلغة قريش ؟ ثم من يثبت مقالة من قال : ان قريشا كانت تتخير الكلام فتنتقي منه اعذبه واصفاه ؛ وليس لهم دليل جاهلي مكتوب ، ولا اثر عتيق يمكن الاعتماد عليه ؟ ثم ما قولنا في حديث طال بحث العلماء فيه وهو : « انزل القرءان على سبعة احرف » وقد قيل ان خمسة منها لعجز هوازن واثنين منها لقريش وخزاعة ، وهو حديث في امره نظر .

على كل حال ينسب الى عبد الله بن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله ، وذلك ان الذى روى عنه ـ ان خمسة منها من لسان العجز من هوازن ـ الكلبي عن ابي صالح ، وان الذى روى عنه ان اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة ـ قتادة وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه (كما في تفسير الطبري ج 1 ص 23) والعجز من هوازن سعد بن بكر ، وجشم ابن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف .

قيل نزل القرءان الكريم بلسان قريش ولسان خزاعة لان الدار واحدة .

وورد ايضا ان القرءان نزل بلسان قريش . وقد اجمل الطبري في تفسيره (جـ 1 ص 25) رايه في لغة القرءان بقوله : ان القرءان كله عربي ، وانه نزل بالسن بعض العرب ، دون السن جميعها ، وان قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التى بين اظهرهم ببعض الالسن التى نزل بها القرءان دون جميعها .

وذهب ابو عبيدة المتوفي سنة 223 هـ الى ان في القرءان لهجات : لهجة قريش ولهجة هذيل ولهجة

هوازن ولهجة يمن ، ولبعضها نصيب كبير فيه . « كما في الاتقان للسيوطي » .

وذكر ابو بكر الواسطي: «ان في القرءان خمسين لهجة ، ثماني لغات دخلت فيه « الاتقان للسيوطي » وذكر ابن النقيب ان القرءان الكريم تضمن مفردات من جميع لهجات القبائل ، وكذلك مفردات من الافريقية والفارسية والحبشية « الاتقان للسيوطي » وجاء ايضا ان الخليفة عثمان بن عفان كان يفضل ان يكون المملي من هذيل ، والكاتب من ثقيف ، وورد انه قال : « اجعلوا المملي من هذيل ، والكاتب من ثقيف ، وان الخليفة عمر بن الخطاب قال : لا يملين في مصاحفنا الا غلمان قريش وثقيف » .

وقال الصاحبي : قال ابو عبيدة : « واحسب افصح هؤلاء بني سعد بن بكر . »

ويتضح للباحث من هذه الاقوال ان الفصاحة والعربية لم تكن خاصة في قريش وان القرءان لم يكن بعربيتها حسب .

قال الدكتور جواد علي : « ان لسيادة لهجة ما من بين لهجات عديدة شروطا منها : نبوغ شاعر او شعراء او كاتب او كتاب في تلك اللهجة ، غاية في البلاغة والفصاحة والصناعة ، فتنتشر آثارهم بين الناس ، ويحاكيهم غيرهم في ذلك ، ويكون ذلك سببا في انتشار اللهجة وتفوقها ، كما حدث عند اليونان في الشعر القصصي الذى بلغ كماله في الياذة (هوميروس) المنظومة بلغة اليونانيين في القرن التاسع قبل الميلاد ، وفي الشعر الغنائي المنظوم بلغة الايوليين احدى اللهجات اليونانية ، وذلك لسبق الايوليين غيرهم بهذا الفن ، فلم يقل بعدهم سائر اليونان هذا النوع من القريض الا بهذه اللهجة ، وكالذى حدث ايضا في الشعر الخورسي المنظوم باللهجة الدورية عند عموم اليونان .

ومن اسباب تفوق لهجة على اخرى ، سبقها في مضمار التاليف او اتخاذها لغة رسمية في دوائر حكومة قوية لها كيان وسلطان ، او جعلها لغة دينية او تاليف الكتب الدينية بها ، كما حدث في الالمانية ، حيث صارت اللهجة التي ترجم بها (مارتن لوثر) الكتاب المقدس ، في القرن السادس عشر ، لغة الادب نظرا لمحاكاة الشعراء والادباء اياه في استعمالها للتعبير عن آرائهم ومنها ، السيادة السياسية والاقتصادية وامثال ذلك من عوامل بسطها العلماء المتبحرون في اللغات ، ولم يرد في كل الروايات ان قريشا كانت تمتلك هذه الاسباب ليجوز لنا القول بان لغتها كانت لغة الادب والشعر في جزيرة العرب قبل الاسلام . الى هنا وضح كلام الدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العراقي . **وانني لارى ان لغة** قريش لها من المقومات ، ما جعلها تصهر في بوتقتها اللهجات الاخرى . وقد تفاعلت مع اللهجات الاخرى تفاعلا افاد العربية ومن الواضح ان المتكلمين بالعربية لم يكونوا طائفة واحدة ، رغم انتسابهم الى العرب ، ولكنهم كانوا قبائل متفرقة في انحاء الجزيرة العربية، وقد اضطرت هذه القبائل الى الاتصال ببعضها لتبادل المنافع من تجارة وغيرها ، فاجتمعت في الاسواق ، واتصلت عند شن الغارات والحروب .

وهذه الاتصالات اوجدت سبيلا لتصارع اللهجات ، فباد الضعيف وانتشر القوي ، وما زالت اللهجات تتصارع حتى كتب للقرشية آخر الامر ، التغلب لاسباب هيات لها سبيل الرسوخ والنصر . ومن هذه السبل :

1 ـ النفوذ الديني :

لقد كان لقريش مكانة دينية ممتازة لقيامهم بسدانة البيت الحرام الذى يفد اليه العرب من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويقدموا قرابينهم ، ويقدسوا آلهتهم . لهذا كان القرشيون موضع تقديس العرب جميعا .

2 ـ النفوذ التجاري :

وقد كان للقرشيين سلطان اقتصادي كبير . فقد كان زمام التجارة بايديهم فيجلبون البضائع من الشام صيفا ، ومن اليمن شتاء ، ويوزعونها على القبائل العربية ، فاصبحوا قبلة انظار العرب جميعا، وقد حدثنا كتاب الله بذلك فقال : « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » .

3 ـ النفوذ السياسي :

وقد تهيا لقريش مكانة سامية بفضل ما اوتوا به من نفوذ ديني واقتصادي وما حبوا به من حضارة، فاصبح لهم نفوذ عند العرب جميعا ويرشد الى هذا ما قاله ابو بكر الصديق في رده على الانصار الذين طمعوا في الخلافة بعد وفاة النبي ـ عليه السلام ـ « لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم » .

4 ــ **النفوذ اللغوي** : ان القرشيين لم يقفوا حجر عثرة فى سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها ، فاضافوا اليها ، ما هي فى مسيس الحاجة اليه ، وما رأوه اخف على اسماعهم ، وايسر على السنتهم .

فهذه العوامل قد هيات للقرشية سبيل الفوز والنجاح ومكنتها من ان تصبح لغة العرب جميعا ، وقد اكتسبت من هذا الصراع امورا عظيمة ، هيات لها سبيل التقدم والرقي .

فانت ترى ان قريشا ، افردت بعلو الكلمة ، وسمة الزعامة ، وسعة الجاه ، ووفرة السلطان وتمام النفوذ الروحي والاقتصادي بين العرب ، لما توافى لهم من ثقافة وخبرة وحنكة .

والذى ورث من لغة الحميريين ليس كثير التمييز من لغة قريش ، سواء فى التصريف ام فى الاعراب ام فى الاسلوب ، بل ان اكثره ظاهر فى اختلاف بعض الالفاظ عن بعض فى الدلالة على المعاني المتحدة ، فلفظ « انطى » فى لهجة الحميريين معناه « اعطى » عند القرشيين ، و « الكتع » عند الاولين هو « الذئب » عند الاخرين ، و «الشناتر» عند حمير هي: «الاصابع» عند قريش ، و«سامدون» فى لغة حمير هي : «الغناء» فى لهجة قريش ، الى غير ذلك مما تجد له نظيرا فى لهجات مضر «كالسدفة» فهي «الظلمة» عند تميم و«الضوء» فى لغة قريش .

ولما كان الخلاف بين الحميرية والقرشية غير متشعب، ذابت لغة الحميريين كسائر اللغات الاخرى فى لغة قريش التى صارت ذات غلبة وسيادة على سائر اللغات وقد استفادت القرشية من صراعها مع اللهجات العربية الاخرى ، امورا كثيرة اهمها :

1 ــ انها استفادت كثيرا من المفردات والاساليب ولاسيما التى كانت تنقصها لتنوعت فنون القول ، وتمكنت من التعبير عن جميع الاغراض ، التى كانت تنقصها ، وغنيت بالمترادف والمشترك والمتضاد ، وغيرها من الامور التى كانت كبيرة الاثر فى نمو اللغة وسعتها .

2 ــ وانها صارت اللغة القومية للعرب جميعا، لان اللغات او اللهجات اذا تصارعت وكتب لاحداها الفوز ، اتجه الجميع الى التكلم بها ولذلك صارت اللهجة القرشية لغة الشعراء فى اشعارهم والخطباء فى خطبهم ، ويؤكد ذلك ان العرب على اختلاف قبائلهم ، ورد الينا شعرهم بلغة واحدة، الا فى القليل النادر ، وهو الذى كان عليه الاعتماد فى تعرف البقية من لهجاتهم .

وانت ترى بعد هذا الاعراب أن احتكاك اللهجات العربية ادى فى نهاية الامر الى تزعم اللهجة القرشية وصرعها جميع اللهجات ، الا انه قد بقى لكل قبيل بعض الالفاظ التى كانوا يستعملونها فى مخاطبتهم ، وفى النادر من اشعارهم والذى يرشدنا الى هذه البقية من اللهجات مصدران :

المصدر الاول :

القراءات التى رويت فى القرءان الكريم عن ائمة القراء الموثوق بهم ، والذين نقلت الينا قراءاتهم من طرق ، لا يتسرب الشك اليها .

وقد روي عن ابي بن كعب ، قال : دخلت المسجد اصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرا ، فخالفني فى القراءة ، فلما انفتل من صلاته قلت : من اقراك ؟ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم جاء رجل فقام يصلي ، فقرا وافتتح فخالفني وخالف صاحبي، فلما انفتل من صلاته ، قلت من اقراك ؟ قال رسول الله ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كان فى الجاهلية ، فاخذت بايديهما ، وانطلقت بهما الى النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقلت استقرىء هذين فاستقرا احدهما ، وقال : احسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كنت فى الجاهلية ، ثم استقرا الآخر وقال : احسنت ، فدخل صدري من الشك والتكذيب اشد مما كنت فى الجاهلية ، فضرب رسول الله صدري بيده ، وقال: اعيذك بالله يا ابي من الشك ، ثم قال : ان جبريل ــ عليه السلام ــ اتاني فقال : ان ربك ــ عز وجل ــ يامرك ان تقرا القرءان على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف عن امتي ، ثم عاد ، فقال : ان ربك ــ عز وجل ــ يأمرك ان تقرا القرءان على حرفين ، فقلت : اللهم خفف عن امتي ، ثم عاد ، وقال : ان ربك ــ عز وجل ــ يأمرك ان تقرا القرءان على سبعة احرف .

فهذا الحديث صريح فى اجازة النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ القراءات التي هي مصدر لاختلاف اللهجات .

والمصدر الثاني : ما رواه الثقات فى كتب النحو والادب واللغة والتاريخ ، من آثار تلك اللهجات ،

ومما يذكر استطرادا بهذا الصدد ، ان الخلاف بين اللهجات متعدد النواحي ، متشعب الجهات ، فتارة يكون الخلاف ناشئا عن اختلاف الحروف واخرى من تباين الحركات ، وثالثة من اختلاف حركات الاعراب والبناء وآونة يتعلق بهيئة المنطق ، وبالنظر الى ما وصلنا من لهجات العرب يمكننا ان نحصر مظاهر اختلاف اللهجات فيما يلي :

1 ـ الابدال : ويشمل ابدال الحروف من الحروف والحركات من الحركات .

2 ـ التصحيح والاعلال .

3 ـ الاختلاف في الاعراب .

4 ـ التردد بين الاعراب والبناء .

5 ـ الزيادة والنقصان .

6 ـ الفك والادغام .

7 ـ هيئة النطق وهي تشمل الامالة والترقيق والتفخيم والاخفاء والاظهار .

8 ـ تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وهو القلب المكاني .

8 ـ دلالة اللفظ على معنيين ، وهو المشترك والتضاد .

10 ـ دلالة عدة الفاظ على معنى واحد وهو الترادف .

ومما سبق بيانه ، يتضح ان قريشا كانت تحتكر التجارة الخارجية في شبه الجزيرة العربية وكانت تقطن مكة ، ومما لا يحتاج الى دليل ان مكة من الزمان القديم العاصمة الروحية للعرب ، الا يكون هذا كافيا لان تتفوق لهجة قريش على غيرها من اللهجات آنذاك .

واذا كنا وصلنا الى هذا الحد من الكتابة عن اللهجات العربية ، وعرفنا آراء علماء العربية فيها ، فلا نرى مانعا من ذكر آراء كوكبة الاستشراق الذين اتوا بآرائهم لمرضاة العلم في ذاته ، دون تعصب أو سطحية .

فالمستشرق « نولدكه » يرى : ان الفروق بين اللهجات في الاقسام الرئيسية من جزيرة العرب ، مثل الحجاز ونجد مناطق البادية المتاخمة للفرات ، لم تكن كبيرة ، وان اللهجة الفصحى مبنية على جميع هذه اللهجات .

ويعتقد العلامة « غويدي » : ان اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها اهل نجد والمناطق المجاورة لها ، ولكنها ليست لهجة معينة لقبيلة معينة .

ويقول « نلينو » : ان اللغة الفصحى وهي لغة الشعر الجاهلي ، هي لغة القبائل التى اشتهرت بالبراعة في نظم القصيد ، والتى تردد اليها النحاة وعلماء اللغة في الاسلام ، ليتعلموا من اهلها صحة النطق بالحروف او المعاني الغريبة والشواهد لقواعد النحو ، وهي قبائل « معد » التى جمع ملوك «كندة» كلمتها قبل منتصف القرن الخامس للميلاد .

ويرى ان اللهجة الفصحى تولدت من احدى اللهجات النجدية، وتهذبت في مملكة كندة وفي ايامها، فصارت اللغة الادبية السائدة بين العرب . وذكر « فيشر » ان العربية الفصحى هي لهجة معينة . ولكن فيشر لم يعين اسم هذه اللهجة .

اما «هارتمن» و«فولرس» فخلاصة رايهما : ان العربية الفصحى هي لهجة اعراب نجد واليمامة ، غير ان الشعراء ادخلوا عليها تغييرات عديدة ، اما الاجزاء الباقية من الجزيرة ، فكانت تتكلم لهجات اخرى .

ومن راي « بروكلمن » و « ويتزشتاين » وآخرين : ان اللهجة العربية الفصحى لم يتكلم بها على الشكل الذى نعرفه . ولم يشرح « بروكلمن » علاقة هذه اللهجة ببقية اللهجات .

والعالم «لندبرج» يقول : « ان قواعد اللهجة العربية الفصحى ، من وضع الشعراء ، فمن شعرهم استخرجت القواعد ، ومن قصائدهم استنبطت . »

هذا مجمل آراء كوكبة من كواكب العلم والاستشراق والدراسات الواسعة ، ومع انها آراء تبدو مختلفة ، الا انها جميعها تعطي صورة صادقة لفصاحة القبائل العربية المنتشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها .

ومما يدعو الى الانتباه ان العلماء لم يتفقوا على اول لاهج بالعربية ، ولكن باحثي اللغات افترقوا شيعا وطوائف ، حسب ما بدا لهم من أساسها الحدس والتخمين .

فيرى فريق من باحثي اللغات : ان العربيـة نشأت على يد القبائل البائدة التي لم يشملها الفناء والهلاك كطسم وجديس ، ويستند اصحاب هـذه الفكرة الى التوافق بين النقوش المعثـور عليهـا ، والاصوات التي امتـازت بهـا الساميـة كالضـاد والغيـن .

ويتجه آخرون الى ان يعرب بن قحطان هو اول متكلم بالعربية ، ويؤيدهم كثيرون محتجين ، بـأن العرب البائدة ، قد ذهبت ادراج الرياح فليس لها اثر محقق سوى المروي من قصصـهـا فى الكتـب السماوية ، والمنقوش على الآثار المعثور عليها . وهذا الرأي منسوب الى اليمانيين الذين يعتقدون انهـم أصل العرب . ويتجه جماعة الى ان اسماعيل هو اول متكلم بالعربية مستدلين بما ورد فى الاثر من ان اول من فتق لسانه بالعربية اسماعيل .

وجاء فى المزهر ، ان اول من تكلم بالعربية ، ونسي لسان ابيه هو اسماعيل ـ عليه السلام ـ

ويرى بعض العلماء : ان العربية هي لغة العرب العاربة ، ومنها انتقلت الى القحطانيين فالعدنانيين .

وقال فريق : ان لسان جميع من كان فى سفينة نوح هو السريانية ، الا ان واحداً منهم هو جرهم ، فكان لسانه لسان العرب الاول ، فلما خرجوا مـن السفينة تزوج « ارم بن سام » بعض بنات جرهم ، ومنهم صار اللسان العربي فى ولده : عوص ابي عاد، وعبيل ، وجاثر أبي ثمود ، وجديس .

تلك آراء العلماء وقد عـززت بالادلـة التي وضـحت لاصحابها ، ومن النظر البين فيها تتجه النفس الى ان العربية اخذت من بقايا القبائل البائـدة ، فليس هلاكها مؤثرا فى لغتها ، فهناك قبائل بقيت كطسم وجديس ، ولانه من غير المعقـول ان يكـون « يعرب » اول ناطق بها ، لانه وفد من العـــراق متكلما بلغته التي تفاهم بها فى وطنه الذى ارتحل عنه ، وهي غير عربية ، فترك « يعرب » للغتـه التي تعودها منذ نعومة اظفاره ، ليتكلم بلسان جديد هو : العربية مناف للمألوف ، ومخالف للمعروف .

كذلك لا يمكن القول ، بأن اسماعيل العبري اول لاهج بها ، بناء على اثر نبوي فالطعن فى هـذا الحديث بناء على حال اسماعيل قوي ، ولكننا نقبله ونفسره بما يساير الواقع ، ويتفق مع الحاصل ، وهو ان اسماعيل اول ناطق بالعربية من العدنانيين بعد تعلمها من مخالطة الجراهمة ـ التي هي فـرع قحطاني ـ عند نزوله مع امه ببطن مكة سنة الـف وسبعمائة قبل الميلاد ، وعلى ذلك لا تنافي بين الاثر والواقـــع .

والقحطانيون وقد تلقوا لغتهم من بقايا العـرب البائدة ، لم يكن لهم لسان موحد فى شتى العصور لان العوامل اللغوية فعلت فعلها فتفرعت الى لهجات:

اللهجة المعينية : وهي منسوبة الى المعنيين الذين اسـسوا اقدم مملكة فى بلاد اليمـن ، وقـد اتخذوا « قرنا » عاصمة لملكهم فى القرن الثامن قبل الميلاد غالبـا .

اللهجة السبئيـة : وتنسـب الى السبئييـن الذين قامت دولتهم القوية علىانقاض الدولة المعينية، وقد اتخذوا «مارب» عاصمة لهم .

اللهجـة الحميريـة : وهـي منسوبـة الـى الحميريين الذين نازعوا السبئيين الحكم امدا طويلا.

اللهجة القتبانية : وهي منسوبة لقبائل قتبان التي نشأت مملكتها فى المنطقة الساحليـة شمـال «عدن» .

اللهجة الحضرمية: وهي منسوبة الى قبائـل (حضرموت) وقد انشأوا مملكـة قويـة نازعـت « سبـــأ » السلطان .

فالقحطانيون تلقـوا هذه اللغة ، عـن بقايـا القبائل العربية البائدة ، وقد توسعوا فيها حسب مطالب الحياة ، واخذها العدنانيون عنهم ، لجوارهم لفرع قحطاني وهو «جرهم» .

فالعربية عريقة فى القدم والثبات ، لها تاريخ ممتد طويل فى الزمن الماضي وان التاريخ الطويـــل ليعطي اللغة فاعلية اكثر ، وتفاعلا اسلم ، وتبلـورا وتناسقا مع مقتضيات الزمان ، ومتطلبات الحياة .

ومصادر اللغة العربية الاساسية : يمكـن ان نستقيها من القـرآن الكريـم والشعـر والامثـال والقصص .

اما القرآن فضلا عن كونه احـدث تغييـرا جذريا فى التفكير العربي فى جميع مناحي الحياة ، فقد كان مصدرا عظيما للغة التي اغناها بمصطلحات كثيرة ، وبأسلوب جديد ، وكثير من هذه المصطلحات والاساليب يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين والعقائـــد والعبادات والمعاملات .

وكان النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقدم هذا الاسلوب ـ المنزل عليه في صورة وحي ـ كاخبار او جواب عن اسئلة يثيرها العرب « يسالونك عن الاهلة ـ يسالونك عن الشهر الحرام ـ ويسالونك ماذا ينفقون ـ يتساءلون عن النبأ العظيم » الى آخر تلك الاسئلة .

وفي عهد الرسول لم تثر اسئلة كثيرة حول نصوص القرءان ، فكان على الصحاب ان ياخذوا على انفسهم ثقل هذه المسؤولية ، فلم يقدم على ذلك الا قليل منهم كعكرمة ، وابن عباس الذين تصديا للجواب على كثير من الاسئلة التي اثارها المستفسرون .

واثار الخلاف في قراءة القرءان مشكلة ظهور عدة روايات ، تنوقلت عن جماعة معينة من القراء ، واحتفظت الآيات بوجه عام بصورتها الحقيقية ، وانما كان الخلاف يتعلق بالحركات ، لا بجوهر اللفظ نفسه ، ومهما يكن من شيء فان القرءان كان مرجعا اساسيا لرواة اللغة الذين اعتمدوه كنقطة استقرار واستنتاج ، وقد حفظ عدد من الاستعمالات التي لم تعد اليوم جارية في الاسلوب العربي مثل : « ان هذان لساحران ـ قال رب ارجعون ـ والارض فرشناها ـ فقد صغت قلوبكما » .

وكل هذه الاستعمالات وغيرها كان يستشهد للتدليل على صحة ما يقابله من غير القرآن .

ولم يحظ الحديث بمثل هذه الحظوة ، ومع ذلك فتوجد تراكيب مشهورة وردت قصدا او ضمنا في احاديث النبي ، حتى قيل انها لم تسمع من غيره من قبل ، ومنها : « مات حتف انفه ـ الحرب خدعة ـ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

واما الشعر : فمصدر بالغ الاهمية للغة ، حتى قيل انه لولا الشعر لضاع نصف اللغة ، وانما ظل الشعر مصدرا للغة لسهولة حفظه وروايته ، ولانه لا يحتمل المكذوب والمدسوس ، مثلما يحتمله النثر ، واذا كان الشعر لم يسلم من التحريف والانتحال ، فان بعض الادباء عمدوا الى جمع كثير منه كتابة في وقت متاخر نسبيا ، كابي تمام «الحماسة» وابي فرج الاصفهاني « الاغاني » والذين تصدوا من جماع اللغة للتاليف في هذا الباب ، عمدوا الى الاستشهاد بالشعر ، كما فعل النحاة ايضا ، وهكذا استشهدوا بالشطر التالي على ان « عزب » تطلق على الذكر والانثى .

يا من يدل عزبا على عزب

كما استشهدوا في مخاطبة الواحد بلفظ التثنية بقول سويد بن كراع :

فان تزجراني يابن عفان انزجر
وان تدعاني احم عرضا ممنعا

وقس على هذه الامثلة ، وقد كان ابن عباس يقول : اذا قرأتم شيئا من كتاب لم تعرفوه ، فاطلبوه في اشعار العرب ، لان الشعر ديوان العرب .

والشعر : هو الكلام الموزون على روي واحد المقوم على حذو واحد لا يخالف بعضه بعضا في الوزن والروي ، وسموه شعرا، لانه الفطنة بالغوامض من الاسباب ، وسموا الشاعر شاعرا : لانه كان يفطن لما لا يفطن له غيره ، من معاني الكلام واوزانه ، وتاليفه واحكامه وتثقيفه ، فكان لا يفوته من هذه الاسباب كلها شيء قال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم
ام هل عرفت الدار بعد توهم

يعني ان الشعراء لم يدعوا شيئا، الا وفطنوا له، يقال شعرت بالشيء اذا فطنت له ، قال الكسائي في قوله تعالى : « ولكن لا تشعرون » شعرت بالشيء شعرا وشعورا ، وبعضهم يقول مشعورة ، وقال ابو سعيد : هو شعرة فحذفوا الهاء : قال وهو مثل : الدرية والفطنة ، وهو على وزن « فعلة » قال : وقيل شاعر لانه يشعر بالشيء ويفطن له ، قال : ومنه قولهم : « ليت شعري » اي ليتني اشعر به .

وسموا الكلمات المنظومة المؤلف بعضها الى بعض « قافية » وجمعها « قواف » قال النابغة :

قوافي كالسلام اذا استمرت
فليس يرد مذهبها التظني

يعنون بالقوافي : الكلام الذى يقفو بعضه بعضا على مثال واحد ، ثم سموا اجتماع القوافي « قصيدة » قال جرير :

في ليلتين اذا حدوت قصيدة
بلغت عمان وطيء الاجبال

يعني بالقصيدة : الكلمة التى ملئت بالمعاني ، وكثرت فيها الالفاظ المستحسنة يقال ناقة قصيدة اي ممتلئة كثيرة اللحم سمينة ، فكأنهم شبهوا القصيدة بذلك ، قال الشاعر :

نظمت وصاحبي ســرح كنــاز
كركــن الرعــن ذعلبــة قصيــد

فأي لغات الامم لها كلغة العرب هذه الاسباب اللطيفة ، والمناقب الشريفة التى خصت بها ، واي امة جملت للغتها هذه الحوزة ، واتخذت لها هــذه الدواوين، واحتاطت لها هذا الاحتياط .

فالعرب تكلموا بالشعر الرصين، المحكم المعاني، الموزون بالعروض ، المقوم بالانحــاء ، من غيــر ان يعرفوا عروضا او نحوا ، ابدهم الله بقيله ، والهمهم وزنه ، حتى ابرزوه بالفاظ حسنة ، ومعان متقنة ، وقواف موزنة ، ومصاريع مستوية ، فرواه اهــل اللب والادب منهم ، وقبله اهل الشرف والحسب منهم ، وجعلوا رويه فى ذكر الاحساب والمآثر ، ومدح الملوك والعظماء ، والنبلاء من النــاس ، وفى ذكــر المثالب والســباب ، وهجاء اهل الضغائن والاحقاد ، وفى ذكر الوقائع والحروب .

ونشر كل شاعر محاسن قبيلته ومفاخرهــا ، ومساويء أهل الشنآن والبغضاء لهم ، واستفتحوا كلامهم بذكر النسيب ، وبسطوه بصفات الديــار والقفار والنجع والامطار ، ونعت الخيــل والابــل والوحش ، وغير ذلــك .

فتقيدت بالشعر الالفــاظ الغريبــة والمعــاني اللطيفة ، وحفظ الرواة منهم كثيرا من ذلك الشعر، ودونوه ورواه السلف للخلف ، واعتنى به الخلــف عن الســلف .

واما الامثال : فتعتبــر كذلــك مــن المصــادر الاصيلة للغة العربية ، وللعرب منها الشيء الكثير ، وهي ذات اهمية بالغة من حيث ارتباطها اجتماعيــا وادبيا بحياة العرب كما ان كثيرا منها يصلح تطبيقه على غير العرب من الامم والافراد كقولهم : « الحرب خدعة – ومعظم النار من مستصغــر الشرر – ولا يطاع لقصير امر » . وقد اخذت كثيــر من دول أوربا عددا من الامثال العربية .

واما القصص : فوراء كل مثل قصة ، حفظت كتب الامثال منها وخصوصا كتاب «مجمع الامثــال» للميداني (517 هـ)، والقصص تمثل بدورها نمــاذج صادقة من تفكير العرب وآدابهم واهميتها اللغويــة تتمثل فيما شملته من غريب اللفــظ ، وجمــال الاسلوب ، واحسن مرجع لها هو كتاب « الامالي » لابي علي القالي ، وكتــاب « الاغانــي » لابــى فرج الاصفهانــي ، وكتــاب « البيــــان والتبييـــــن » للجاحظ .

وخلاصة القول : ان القرآن والشعر والامثال والقصص ، كل منها قد ادى دورا بارزا فى حفــظ اللغة وتقويمها ، الا ان جميع الدراسات اللغويــة اثبتت فى وضوح ان سبب نشاة اللغة العربيــة ونموها واتساعها وشمولها وتبلورهــا وتطورهــا ، هو : القرءان الكريم قبل غيره ، وذلــك ان الفاظــا كثيرة ، يرددها القرءان كانت مثار اسئلة المسلميــن منذ عهد الرسول وكان بين هذه الالفاظ ، ما هو غير عربي ، ثم كان المعنى اللغوي يتعين فهمــه ، قبــل الاقدام على التاويل الشرعي ، فنشا من ذلك العناية بتفسير القرآن الكريم .

واختلفت الروايات فى قراءة القرءان ، فنشا عن ذلك علم القراءات التى كانت ذات ارتباط وثيق بالنحو ، واخيرا فان وضع قواعد النحو كان ضروريا لحفظ آيات القرءان على صورتها الاصلية ، وبقطع النظر عن تعدد القراءات . ولحسن الحظ فقد كان العرب يفطنون الى ضرورة تدوين اكثر ما يمكن من الاشياء التى يخشون على ضياعها بسرعة ، كما فعلوا فى تدوين المصحف مثلا ، فقد بداوا فى ذلك منذ عهد ابي بكر الصديق ، وهذا يدل على ان العرب كان فيهم عدد ممن يحسن الكتابة والقراءة ، بل يمكن ان يفهم من تعليم اسرى مكة لصبيان المدينة اثر معركة بدر الكبرى ، ان الكتابة والقــراءة كانتــا تنتشران بمكة التى عرفتهما قبل المدينة ، ومن ثم فتدويــن العلوم المتصلة بالقرءان ، قد سبق تدوين غيرها من العلــوم .

وبالرغم من ان الكتابة كادت تكون مجهولة ، فى باقي اجزاء شبه الجزيرة العربيــة ، فان الالفــاظ اللغوية التى حفظتها القصائد تشكل ثروة هائلــة. ولقد كانت لغة الشعر كما يقول : « بروكلمان » اشبه ما يكون بنهر جداوله هي اللهجات المحلية للقبائل ، والتى اشتقت من العين نفسها .

واذا كان للقــرءان الفضل فى انتشــار اللغــة العربية بشكل لم تكن تعرفه لغة اخرى فى العالم ، فان الموارد الاخرى التى استقى منها الرواة ودارسوا اللغة الاولون قد ادت بدورها خدمة للعربية لا تنكر.

وقد ظلت اللغة العربية على متانتها في عهد الرسول ، وفي ايام الخلفاء الراشدين ، وما سجل من الهفوات واللحن ، على بعض العرب آنداك لم يكن شيئا يذكر بالقياس الى ما بلغته العربية من فوضى فيما بعـــد .

والى البصريين يرجع الفضل بطبيعة الحال في تحقيق اللغة، وتمييز صحيحها من فاسدها ، وغريبها من مستعملها ، وان كان الكوفيــون، قد ساهمــوا بدورهم في هذا الميدان الا ان مؤلفاتهم على العموم، لم يتح لها تاثير كبير من حيث الذيوع والانتشار .

مراجـع هـذا البحـث

1 ــ « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي جـ 1 القسم اللغوي ــ مطبوعات المجمع العلمي العــراقــي .

2 ــ كتاب « فقه اللغة « للصباحي طبعة المؤيــد 1910 م

3 ــ كتاب « غرائب القرءان » للنيســابوري .

4 ــ مقدمة ابن خلدون ــ طبعة كتاب التحرير 1386 هـ القاهــرة .

5 ــ كتاب « الخصائص » لابن جني جـ 1 مطبعة الهلال بالفجالة مصر 1913 م .

6 ــ كتاب « لسان العرب » لابن منظور طبع دار الصاوي 1355 هـ مصر .

7 ــ كتاب « المحتسب في القراءات » لابن جني طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية 1386 هـ القاهــرة .

8 ــ كتاب « المقتضب » للمبــرد الجــزء الاول والثاني طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية 1386 القاهــــرة .

9 ــ كتات « تحرير التحبير » لابن ابي الاصبع ــ طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية 1383 هـ القاهــــرة .

10 ــ كتاب «الاغاني» لابي فرج الاصفهاني طبــع دار التحرير للطبع والنشر 1384 هـ القاهرة .

11 ــ كتاب « تاريخ الادب الجاهلي » لعميد الادب العربي الدكتور طه حسين . القاهرة .

12 ــ كتاب « تاريخ ادب العرب » لمصطفى صادق الرافــعــي .

13 ــ كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة المعاصــرة ــ مجموعة بحوث القيت بجامعة برنستون بامريكا سنة 1953 م طبع مؤسسة فرانكلين .

14 ــ كتاب « الاتقان في علوم القرءان » الجزء الاول للسيوطي . طبع الحلبي بمصر 1965 م.

15 ــ كتاب « اللهجات العربية » لابراهيم نجا ــ مطبعة السعادة بمصر 1965 م .

16 ــ كتاب « الزينــة في الكلمــات الاسلاميــة »للرازي جـ 1 الطبعة الثانية ــ دار الكتاب العربي

17 ــ مجلة «اللســان العربي» العدد الثاني ــ الرباط ــ المغــرب .

18 ــ كتاب « اشتات مجتمعات » لعباس العقاد ــ الطبعة الثانية ــ دار المعارف بمصر .

19 ــ مجلة « الرواد » العدد الثاني من المجلد الرابع ــ 1968 م ليبيا .

20 ــ مجلة «اللغات» المجلد الاول ، تصدر عن مركزاللغات بتونس 1964 م .

21 ــ مجلة « المعرفة » المجلد الاول تصدر بالمملكة العربية السعودية 1379 هـ .



الاستاذ المحاضر فى الجامعة الاردنية

ان أول ما نلتفت اليه حتى نتحدث عن اللغات السامية فى مجال علم اللغات ، هو ذلك المصدر البعيد، الذى نبعت منه هذه اللغات السامية جميعا، وتشعبت عنه فى الشمال والجنوب فى الاقطار المختلفة التى استقر فيها ابناء هؤلاء الساميين منذ اقدم العصور .

وقد اختلف العلماء فى تعريف هذا المصدر البعيد وفى نعته وتسميته ، فمنهم من قال : « ان هذا المصدر الذى تشعبت عنه سائر اللغات السامية هو اللغة (السامية الاولى) التى نطق بها فى اعماق الدهر اقوام زالت بزوالهم وفنيت بفنائهم ، وبقيت منها ظلال ورسوم ، يلمحها الرائي على السنة احفاد اولئك الاقوام ، الذين تنوعت السنتهم باختلاف مواطنهم (1) فى الشمال والجنوب .. »

ومنهم من قال : « ان هذا المصدر الذى تشعبت عنه سائر اللغات السامية ، انما هو اللغة (العربية الاولى) ، التى نطقت بها سبأ فى غابر الدهور ، حين عمرت اليمن وجعلت منها موطنا لها ، وجعلت تبتعد هذه الساميات عن امها السبئية بتراخي العصور ، وتنائي الديار ، واختلاط هؤلاء النازحين بمختلف الاقوام (2) ممن جاورهم فى اصقاع الارض ..».

ثم ان هؤلاء العلماء قسموا هذه اللغات السامية الى اسر ، عرفت فيها اللغة الكنعانية وما تفرع منها بالاسرة الغربية ، وعرفت فيها اللغة البابلية وما تفرع منها بالاسرة الشرقية . ثم عرفت فيها اخيرا اللغة العربية وجارتها الحبشية وما تفرع منها بالاسرة الجنوبية .

وان موضوعنا الذى نخوض فيه يقتضي ان نطيل الوقوف عند الكنعانية التى اعتبرت الاصل الذى تشعبت منه لغات الاسرة الغربية . وكانت اللغات العبرية واحدة من هذه اللغات .

وعلى الرغم من ان هذه اللغات العبرية قد تسرب اليها الكثير من الدخيل ، بسبب هجرة

(1) ذكر هذا الراي المستشرق (اولس هاوزن Ols Housen) فى صدر كتابه ، الذى تحدث فيه عن « اللغة العبرية وتاريخ نشأتها » . والكتاب موضوع فى اللغة الالمانية ومترجم الى الانجليزية .

(2) ذكر هذا الراي المستشرق اليهودي : (ليون ماحرز Lion Mahraz) وكذلك الدكتور علي العناني ، وذلك فى كتابهما الذى صدر بعنوان:« الاساس فى الامم السامية ولغاتها » وقد وضعاه فى اللغة العربية .

ابنائها العبرانيين الى مصر ، واقامتهم الاجيال الطويلة فيها ، ثم تشردهم بعد ذلك في بلاد (ملكان) قرابة نصف قرن من السنين ، وهي ايام التيه في سيناء .

وعلى الرغم من ذلك ، فان هذه اللغة ظلت قريبة الشبه من امها الكنعانية ، وغير بعيدة عنها . حتى كان اليهود انفسهم يصفون لغتهم العبرية ، بانها (لسان كنعان) . وقد ورد ذلك صراحة — وفي مواطن كثيرة — في اسفار كتابهم المقدس .

* * *

وان اللغة العبرية لم تشارك الكنعانية في اصولها فحسب ، بل شاركتها في حروفها ، ومن اجل ذلك كتبت العبرية — اول ما كتبت — بالحروف الابجدية الكنعانية ، وظلت تكتب بها طوال العهد الذى مر بالعبرانيين منذ استوطنوا ارض كنعان ، الى ان كان السبي وخراب بيت المقدس . وكان شاهد ذلك ، النقش الذى خلفوه في نفق (عين سلوان) عند الزاوية الشرقية من سور مدينة القدس الحالي (3) ، كما كان شاهد ذلك النقود التى عثر عليها في اطلال بيت المقدس من ايام عهد (الهيكل) ومن ايام عهد (المكابيين) الذين شردهم الرومان بعد ثورتهم عليهم .

وقد بقي من آثار اللغة العبرية — التى هي بنت الكنعانية — الكتاب المقدس في عهده القديم ، الذى يدل عليها اكمل دلالة ، ويسهل دراستها للباحثين ، ويقدم لهم صورة تكشف الكثير من ملامح امها الكنعانية ، التى كان من بناتها الى جانب العبرية : الفينيقية والنبطية والعمورية والموابية ، وسواها من ساميات الاسرة الغربية .

وحين نبتغي مقارنة لغات الاسرة الغربية ، بلغات غيرها من بنات الاسرتين الباقيتين ، لا نجد امامنا ما يصلح لمثل هذه المقارنة غير لغتين اثنتين فقط ، هما : اللغة العربية من بنات الاسرة الجنوبية ، ثم اللغة الآرامية (ام السريانية) من بنات الاسرة الشرقية . وذلك لان ما عداهما ، اما انها ضاعت معالمها الاصيلة ، لكثرة ما اقتحم عليها من دخيل الشعوب المجاورة ، كاللغة الحبشية في الاسرة الجنوبية واما انها زالت بزوال اهلها ، كالآشورية، والكلدانية. وسواهما من بنات الاسرة الشرقية المتفرعة عن البابلية .

ولما كانت اللغة العربية هي موضع الاهتمام كله بالنسبة لنا — نحن ابناؤها الناطقين بها — وفي ظلها ندرس اللغات السامية من اجل ان نستكمل الاحاطة بها ، ونتوغل الى جذورها البعيدة خلف اعماق الدهر ، حين كانت المبتدأ الذى منه تشعبت هذه اللغات السامية جميعا ، كما تكاد تجمع آراء الباحثين ، لذا فان مثل هذه المقارنة بينها وبين ما نتوصل الى معرفته من بنات هذه الاسر جميعا ، هو نهاية المدى وخاتمة المطاف والغاية التى نستهدفها من هذه الدراسة .

اذن بقي علينا ان نلتمس مثل هذه المقارنة بينها وبين اللغة الآرامية (ام السريانية) ، وعندها لابد لنا من الوقوف عند مدينة (الرها) لنلم بتاريخها ، ونعرف اخبار علمائها الذين احتفوا لغتهم بالكثير الكثير من روائع المؤلفات في مواضيع مختلفة . ثم نلتفت بعد ذلك الى الاثر الخالد وهو الانجيل في اللغة الآرامية لغة السيد المسيح ، الذى كان وجده السبب في بقاء هذه اللغة تتردد في ساحات الكنائس على السنة المصلين. ورغم ذهابها من حياة الناس ، حيث استبدل بها اهلها في كثير من ارجاء الارض لغة الشعوب التى فرضت عليهم سلطانها .

ولن ينقص من الاهتمام بهذه اللغة ، كونها لغة انحسر ظلها ، واصبحت في عديد اللغات التاريخية ،

---

(3) اسمها في لغة الكنعانيين القدماء (شلوح) وكانت تطلق على الينابيع وعنهم نقلها العبرانيون، وفي اللغة المؤابية تقابلها كلمة : (اشوح) ، وقد وردت في (حجر ذيبان) ، واشير بها الى مورد الماء . وهذا الحجر عثر عليه في الاردن على مقربة من بلدة مادبا.

(4) الرها: اسمها الآرامي (ارهولي) ، واسمها اليوناني اديسا — Edessa) ، وقد كانت حاضرة العلم . وفيها قامت لها مدارس تنقل الحضارتين الافريقية والهندية الى ابناء المشرق ، ويؤلف علماؤها في ذلك الكتب الكثيرة . وهي التى اعتمدها المترجمون في عهد الخليفة المامون العباسي.

التي تدرس من أجل ان تبرز غيرها ، بسبب صلتها بها وقربها منها ، واشتراكها معها في الاصول والاعراق، وذلك حالها مع اللغة العربية وموضعها منها ، ومكانها في ابراز أصولها البعيدة ، ومن اجل هذا :

فان دارس اللغة العبرية في اصولها القديمة والحديثة ، باعتبارها لغة تاريخية ذات علاقة وثيقة – من ناحية الاصول والمصادر – باللغات السامية في أسرها الثلاث ، وبالتالي باللغة العربية ، يحسن به ان يحيط الى جانبها باللغة الآرامية ، ولو وقف ذلك عند حد قراءة النصوص ، وتصريف الافعال والاسماء مع الضمائر ، والالمام بتاريخ هذه اللغة ، ومدارس علمائها يوم كانت في عهود ازدهارها ونهضتها ، وبذلك يكون قادرا على المقارنة بينها وبين العبرية من ناحية ، ثم المقارنة بينهما معا وبين اللغة العربية من ناحية اخرى .

* * *

وحين نبلغ هذا المدى ، يجدر بنا ان نعلم بأن مقارنة لغة بسواها من اللغات القريبة منها او المشاركة لها في اصولها – كما هو الحال بين اللغات السامية على اختلافها – انما هو علم له قواعده واصوله ، يسمونه (علم اللغات) ، وهي تسمية كان لها مدلولها منذ عهد اليونان الاقدمين ، حين كانوا يحملون مشعل المعرفة لمن عاصرهم من اهل زمانهم ، وكانوا يلفظونها يومذاك (فيلولوجيا) وهي مركبة (5) من كلمتين : (فيلوس) ومعناها صديق ، و (لوجوس) ومعناها كلمة ، وعلى ذلك يكون معنى الكلمتين حين اجتمعتا معا هو : (صديق الكلمة) وقد رمزوا بها الى العالم الباحث .

واول من نطق بالكلمة المركبة هو الحكيم (افلاطون) ، واراد بذلك توجيه الرغبة الى البحث العلمي . ثم صار هذا اللفظ يطلق على كل تفرغ الى استيعاب المعرفة ، ايا كان نوعها ما دامت هذه المعرفة تتناول شأنا من شؤون اللغة ، والبحث في تاريخها واصولها ، وقد استعمل هذا اللفظ قبل الميلاد في مدرسة الاسكندرية للدلالة على معرفة علوم اليونان والرومان في لغتيهما الاغريقية واللاتينية .

ثم تجوز الناس فيه فاذا هم يطلقونه على كل علم من العلوم مهما كان نوعه ، ومهما اختلف موضوعه، ومهما تشعبت فيه المسالك واختلفت الاسباب . واستمر به الحال على هذه المنوال ، حتى كان بدء عهد النهضة العلمية في ايطاليا ، وعند ذلك عاد لهذا اللفظ معناه ، الذى حدد له ايام مدرسة الاسكندرية . وفي اواخر القرن الثامن عشر ، اتسعت دائرة هذا الفن اللغوي ، فشمل البحث فيه كل لغات بني الانسان ، وليس فقط اللغتين : اليونانية والرومانية ثم ما في هذه اللغات الانسانية من انتاج عقلي ، حتى اصبحت كلمة (فيلولوجيا) تدل على المعنى الآتي وهو : « علم اللغات ، الباحث عن جميع الدراسات ، لدى كل امة من الامم ، لمعرفة اللغات واصولها ، وكل ما انتجته معرفة الانسان ».

لذلك كان على (علم اللغات) ان يقدر درجات الرقي الانساني العام ، في اللغة والادب وفي النظم الاجتماعية وفي الحياة الفردية ، وفي الدين والصناعة والعلوم . ومن اجل ذلك صح ان يقال : (الفيلولوجيا المصرية) او (اليونانية) او (العربية) او (السريانية) او (العبرية) او (الهندية) و ما سواها . والمراد من ذلك هو كل ما لهذه الامم واحدة واحدة من انتاج عقلي ، ونصيب مدني مدون في لغاتها .

على أن العلماء الذين تفرغوا لدراسة (علم اللغات) ، اصطلحوا ازاء هذا المعنى العام على وصف (الفيلولوجيا الرتيبة) او (الفيلولوجيا المحتذاة) . وذلك عند الاشارة الى ما كان للاغريق والرومان (6).

وغرض علماء اللغات عندها من ذلك ، هو الاشارة الى ما كان يقصد بمدلول (الفيلولوجيا) في مدرسة الاسكندرية ، من انها العلوم اليونانية والرومانية

(5) فيلولوجيا : هذا التركيب المزجي يكتب باللاتينية (Philologia) كما ان كلمة (فيلوس) : تكتب باللاتينية (Philos) وكلمة (لوجوس) : تكتب باللاتينية (Logos) ، وذلك لمن اراد البحث عن مدلولها مفصلا في المراجع غير العربية .

(6) الرتيبة : ومثلها كذلك (المحتذاة) ، ترجمة حرفية للاصل اللاتيني وهو (Classique) الذي كثيرا ما يستعيرونه الى العربية بلفظه حين يقولون : (كلاسيكي) .

القديمة ، وعلوم (التحرر الانساني) التى ابتدات منذ القرن الثاني قبل المسيح ، فى مدرسة الاسكندرية المذكورة (7) ، والتى ظهرت بقوة فعالة من جديد فى عهد احياء العلوم .

* * *

ويمكن حصر (الفيلولوجيا) المحتذاة بعد عصر احياء العلوم فى (ايطاليا) فى اربعة ادوار وان تداخل بعضها فى البعض الآخر .

الدور الاول : وهو (الدور الايطالي) ويمتد تاريخه من منتصف القرن الرابع عشر الى منتصف القرن السادس عشر .

الدور الثاني : وهو (الدور الفرنسي) ويمتد تاريخه من منتصف القرن السادس عشر الى أواخر القرن السابع عشر .

الدور الثالث : وهو (الدور الهولندي البريطاني) الذى بدأ تاريخه من أواخر القرن السابع عشر ، واستمر الى نهاية القرن الثامن عشر .

الدور الرابع : وهو الاخير ويسمونه (الدور الالماني) ، اذ بدات به المانيا من اواخر القرن الثامن عشر ، ولا يزال فى نموه المطرد حتى الآن .

ولو ذهبنا نحصي ما انتجه كبار الباحثين والمفكرين من العلماء فى هذا المجال ابتداء من (الدور الاول) ، حتى (الدور الاخير) ، لضاق بنا الحصر لكثرته البالغة .

* * *

والى جانب (الفيلولوجيا الرتيبة) ، ابتدات (الفيلولوجيا العامة) او (علم اللغات)، وذلك فى اواخر القرن الثامن عشر ، فانفردت للبحث اللغوي ، فى كل اللغات الانسانية قديمة وحديثة ، حية وميتة ، وذلك لمعرفة ما فى هذه اللغات جميعها من انتاج عقلي ، فى مجالات الدين، والعلم، والفلسفة، والادب ، وتاريخ الادب، والمقارنات اللفظية، والمعنوية ولذلك سميت (الفيلولوجيا العامة).

وقد وصلت ابحاث هذا العلم اللغوي الشامل الى نتائج كبرى ، غيرت وجه التاريخ الانساني ، واقامت النهضة العلمية الحديثة ، على اسس ثابتة ، ودعائم قوية ، وكونت علوما مستقلة ما كانت لتظهر فى عالم الوجود ، لولا علم اللغات .

* * *

واما ما حصلت عليه البشرية من فوائد (علم اللغات) ومنافعه الكبرى ، فقد كان كثيرا لا يحصى، وحسبنا أن نذكر من ذلك انا بفضل هذا العلم ، توصلنا الى معرفة العاديات وحل النقوش والخطوط القديمة ، ومعرفة لغات هذه الخطوط وتلك النقوش، ومنها الهيروغلوفية والكتابة السنسكريتية ، والخط المسماري فى اللغات : السومرية والبابلية والآشورية.

وبينما كان التاريخ العام يستند الى قاعدته الاسطورية القديمة ويعتمد على روايات الكتب المقدسة، ويرى فى رحلات الرحالين ، واقوال الرواة ، والاخبار التى تقوم على الحدس والتخمين ، بينما كان التاريخ العام كذلك ، اذ بهذا العلم يزحزحه بقوته الجبارة ، عن مكانته تلك ، ليرتكز على الادلة الملموسة والشواهد المرئية ، من الآثار القديمة ، والعاديات السالفة والوثائق التاريخية المدونة ، والمخطوطات القديمة ، فيغير بذلك وجه التاريخ العام تغييرا كليا، ويقسمه الى قسمين :

الاول : ويتناول ما دونت حوادثه الآثار ، ودلت عليه السجلات الرسمية ، واوضحته واقرته العلوم الطبيعية التجريبية ، ويعرف بالتاريخ الصحيح .

والثاني : ويتناول التاريخ المروي، او التاريخ الاسطوري . وهو ما لم يتوافر فيه ما توافر فى التاريخ الصحيح من ادلة وبراهين . على ان هذا النوع

(7) التحرر الانساني : ترجمة حرفية كذلك لكلمة (Humanism) التى يستعيرونها هي الاخرى الى العربية حين يقولون : (هيومانزم).

من التاريخ لا يكون محلا للطعن او الرفض الا اذا جاءت البراهين الاثرية ، والنتائج العلمية الطبيعية بعدم صحته ، والا بقي الحكم له او عليه للمستقبل ، وما عسى ان تأتي به البحوث اللغوية الاثرية ، او تجارب العلوم الطبيعية مما يؤيده او ينفيه .

* * *

ومن فوائد علم اللغات ايضا ، دراسة المعتقدات القديمة، وتطور الفكر الانساني ، ومدنيات الاجناس البشرية ، وروابط الامم والشعوب ، ومكانتها في المجهود العقلي الانساني والانتاج الاجتماعي المدني.

وقد انتج (علم اللغات) علوما كثيرة ، لها اهميتها الكبيرة في حياة الانسان وكذلك في ثقافته العامة ، منها :

(علم مقارنة اللغات) مقارنة لفظية ومعنوية ، و (تاريخ ادب اللغة) ، بعد ان كان ادبا فقط ، و (تاريخ آداب اللغات المقارن) ، و (علم فقه اللغة) ، و (النقد الفني) ، و (النقد الادبي الكامل) . وكان هذا العلم الاخير موجودا من قبل ، ولكن على مستوى لا يجاوز حد البساطة في اذواق الادباء والمتاخرين والمتادبين من (8) اسلافنا القدماء.

وخلاصة القول ، فان (الفيلولوجيا العامة) او (علم اللغات) ، لم يجاوز كونه وليد القرن التاسع عشر ، وان ما تقدم هذا العهد من الاشتغال بقواعد اللغتين الافريقية واللاتينية ، وما تقدمه من الابحاث المستفيضة في ضوابط اللغتين العربية والعبرية . ان ذلك كله لم يصل الى توسيع دائرة البحث اللغوي الذي يمكن ان تسمى نتائجه (علم اللغات) . وان الفكرة المتطرفة القائلة بأن (اللغة العبرية) هي اللغة الانسانية الاولى، كانت مثبطة للهمم في البحث اللغوي الحر .

على ان التقارب بين اللغتين : العبرية والعربية، دفع المستشرقين اليهود ـ منذ القرن العاشر الميلادي ـ الى البحث والمقارنة بينهما من جهة ، وبين (العبرية) و (الآرامية) من جهة اخرى . وفي القرن السابع عشر ادرك المستشرقون مدى القرابة بين اللغتين : (الحبشية) و (العربية)، فدفعهم ذلك الى البحث عن هذا التشابه ، بين (العربية) واللغات السامية الاخرى، فوصلوا من ذلك الى معرفة المجموعة السامية .

وفي القرن التاسع عشر ، وصل الباحثون بفضل (علم اللغات)، الى الكشف عن العلاقة بين السنسكريتية (الهندية القديمة المقدسة) وبين الفهلوية (الفارسية القديمة) من جهة ، وقرابتهما الى اللغات الاوروبية من جهة اخرى ، فوصلوا من ذلك الى تكوين مجموعة (اللغات الآرية) ، او (الهندوجرمانية). وذلك الى جانب المجموعة المتقدمة، التي عرفت بمجموعة (اللغات السامية) . ومن هناك انطلقوا الى دراسة اللغات الاخرى في مختلف انحاء هذا الكون الفسيح، فوصلوا من ذلك الى سلسلة طويلة يضيق منها الحصر .

المراجع :

1 ـ كتاب الاساس في الامم السامية وشعوبها ولغاتها ، للدكتور علي العناني ورفيقه ، ط 1 الجزء الاول . القاهرة ـ مطبعة بولاق 1925، ومن مواطن مختلفة فيه .

2 ـ كتاب تاريخ اللغات السامية للدكتور اسرائيل ولفنسون ، وفيه بحث عن اللغات السامية جميعها وشواهد وشروح ، وقد اعتمدت الكثير منها . ط 1 (القاهرة) 1929 .

3 ـ كتاب بروتو كولات حكماء صهيون ، من الاجزاء الاربعة . وخاصة ما تناول العبرية وما جاورها من لهجات كنعانية ، تاليف عجاج نويهض . ط 1 . بيروت 1967 .

(8) فقه اللغة : كان هذا العلم معروفا ايام حضارة العرب ، ولكن في مدلول محدود لا يجاوز حقيقة الفاظ اللغات وكلماتها . وفيه الف الثعالبي كتابه: (فقه اللغة). وهو اليوم علم واسع ، يتناول فيما يتناوله في اللغات الحديثة ، العلم الذي يطلقون عليه : (Etymologie)

التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطويرها

الاستاذ محمد المبارك

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

ان بين الاسلام واللغة العربية صلة وثيقة وتلازما طويل الامد عميق الغور عبر الزمان وعلى مر العصور وفي آفاق الارض التي وصلا اليها وبلغا حدودها وليس التساؤل عن وجود هذه الصلة فتلك بديهية مستقرة في الاذهان ولكن عن طبيعة هذه الصلة واسبابها وجوانبها وتجلية لهذا الموضوع نعرضه من جوانب مختلفة ونحاول ان نبرز مواطن اللقاء وانواع الارتباط بين الاسلام واللغة العربية .

اولا : الارتباط التاريخي :

اللغة العربية كما هو معلوم لغة معرقة في القدم استقلت عن اخواتها الساميات وتميزت منهن بخصائص واخذت صيغا واشكالا انفردت بها وظهر الاسلام فكانت هي اللغة التي حملت رسالته وعبرت عن مبادئه وتعاليمه فنزلت آيات القرآن الكريم بها حتى اتم الله آياته فكان القرآن الكريم الكتاب العربي المبين كما وصفه منزله سبحانه في عدد من آياته :

« انزلناه قرآنا عربيا » 12 ـ 2 و 20 ـ 113

« اوحينا اليك قرآنا عربيا 42 ـ 7 ، « انا جعلناه قرآنا عربيا » 43 ـ 3 ، « بلسان عربي مبين » 26 ـ 195 وآيات اخرى بهذا المعنى .

وكانت السنة اي اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله التي رواها الصحابة المصدر الثاني للاسلام عربية اللغة كذلك وهكذا ترافق الاسلام واللغة العربية منذ ذلك الحين وسارا معا عبر القرون فكانت اللغة العربية معبرة عن الاسلام وحضارته وكان الاسلام متخذا من العربية وسيلة للتعبير عن عقيدته واحكامه واستمر ذلك حتى العصر الحاضر .

ثانيا : الارتباط الجغرافي :

ولئن كان الاسلام قد عم السواد الاعظم من العرب في وقت مبكر فانه سرعان ما تجاوز الدائرة العربية الى ما هو اوسع منها فدخل بلادا وعم شعوبا ليست العربية لغتها فنشر العربية في قسم من هذه البلاد حتى اصبحت لغتها الوحيدة وذلك كبلاد الشام والعراق وشمال افريقيا وانضافت شعوب هذه البلاد الى الدائرة العربية وان كانت لبعضها سابقة صلة بالعروبة ثم تجاوز الاسلام هذه الدائرة الى بلاد اعجمية اللغة فدانت شعوبها بالاسلام فكانت العربية بالنسبة اليها لغة الدين الجديد المشتمل على عبادات قوام شعائرها اللغة العربية وعلى معاملات

واحكام انما تؤخذ من مصادرها العربية في القرآن والسنة واقوال السلف وهكذا ظهرت احداث جديدة هامة نلخصها فيما يلي :

1 ـ اصبحت العربية لغة الثقافة بالنسبة الى الخاصة فنشأت طبقة من علماء الدين من الاعاجم تعلموا العربية وحذقوها ثم اتسع الامر فكانت لغة الثقافة بوجه عام ولم تقتصر على الثقافة الدينية اذ اصبحت لغة الحضارة الاسلامية في جميع ميادينها وتكون على مر العصور ذلك الانتاج الضخم في ميادين الفقه والعلوم الاسلامية واللغة والادب والفلسفة والتصوف والتاريخ والطب والعلوم اشترك في تكوينه ابناء البلاد التي دانت بالاسلام والتي غدت جزءا من الدولة الاسلامية ولو لم يكونوا عربا في انسابهم ولغاتهم .

2 ـ اثر العربية في لغات الشعوب الاسلامية :

وفي خلال هذا التمازج اللغوي والتفاعل الحضاري دخلت الفاظ عربية كثيرة في لغات تلك الامم التي دخلت في الاسلام سواء اكان من الفاظ العبادات ام كانت من الالفاظ التي ادخل الاسلام مفاهيمها الجديدة كصفات الله تعالى والمعاملات الفقهية والاحكام القضائية والتنظيمات الادارية والسياسية والمفاهيم الاخلاقية والدينية وشاعت هذه الالفاظ ودخلت في لغات تلك الاقوام .

3 ـ اصبحت اللغة العربية مصدرا تنهل منه تلك اللغات ما تحتاج اليه من الفاظ حضارية جديدة اما لفقدان هذه الالفاظ فيها او لقصورها عن توليدها او رغبة في جمال اللفظ العربي المعبر عنها .

وهكذا دخل عن هذه الطريقين كثير من الالفاظ العربية في اللغات الفارسية والتركية والكردية والسواحلية وغيرها بنسبة كبيرة .

4 ـ ونضيف الى ذلك امرا آخر ذا شان كبير وهو شيوع **الحرف العربي** باعتباره اداة لكتابة لغات الشعوب الاسلامية فاصبحت اللغة الفارسية والتركية والاوردية والجاوية (لغة اندونيسيا والملايو) وغيرها تكتب بالحروف العربية وقد وضعت للاصوات التي ليس لها في العربية حرف يصورها اصطلاحات خاصة كالباء المنقطة بثلاث نقط لرسم حرف الـ (P) في الفارسية والتركية وغيرها من الحروف التي ليست في العربية .

وهكذا كان سببا في **انتشار الكتابة العربية** او الرسم العربي في دائرة واسعة جدا تشمل شعوبا كثيرة مختلفة اللغات فكان بذلك حدا ادنى من التفاهم عن طريق الكتابة والحروف وهذه ظاهرة اجتماعية لغوية ذات آثار بعيدة في تفاهم الشعوب والتقائها وتعاونها تشبه ما عند الامم الاوربية التي تستعمل الحروف اللاتينية وتشترك في عدد من المفردات .

وهكذا فان الاسلام كان سببا في انتشار العربية لدى نخبة عالية من ابناء الشعوب التي تدين بالاسلام والمنتشرة في اقطار آسيا وافريقيا وفي انتشار عدد كبير من الالفاظ العربية في لغاتها وفي استعمال الحرف العربي وذلك كله يسهل تعليم اللغة العربية مع وجود الدوافع الدينية والثقافية لتعلمها وهي فعلا تعتبر اللغة الثانية في كثير من هذه البلاد . بل ان ثمة عددا كبيرا من المدارس والمعاهد والجامعات تعلم باللغة العربية او تحلها في المحل الاول بعد لغة البلاد في كثير من البلاد الاسلامية كايران وباكستان واندونيسيا .

الارتباط الفكري والحضاري :

ان الاسلام اذ اتخذ من العربية لغته منذ ظهوره استعمل مفرداتها للدلالة على مفاهيمه الجديدة فاكتسبت كثير من الالفاظ معاني جديدة حملها الاسلام وكثيرا من ما نسي المعنى اللغوي الاصلي وبقي المعنى الجديد كلفظ الجهاد والانفال والزكاة والجنة .

لغة خالدة لمفاهيم خالدة :

وثمة نكتة هامة لم يلتفت اليها الباحثون الالتفات الواجب ولم يولوها ما تستحق من العناية بل لعلهم لم ينتبهوا اليها وهاأنذ اعرضها بين يدي الاخصائيين وقراء العربية عامة .

ان الاسلام جاء بعقائد ومفاهيم ثابتة لا تتغير ولا ينبغي ان تتغير ولكن انى لنا ذلك واللغة تتطور

ودلالة الالفاظ او معانيها في تبدل مستمر في جميع اللغات ؟ وهنا نجد في اللغة العربية وحدها دون غيرها الحل لهذه المشكلة . ذلك ان من خصائص اللغة العربية ثبات الحروف الاصلية الثلاثة من كل مادة مهما يطرأ على الكلمة من تبدل في اشتقاقها وصيغتها كحروف ع ل م فان جميع الالفاظ التى اشتقت او يمكن ان تشتق من هذه المادة كالعلم والعلوم والعلماء والاستعلام والمعلومات والمعالم والتعليم والاعلام وغيرها من الالفاظ المشتقة من هذا الاصل تشتمل على جميع الحروف الثلاثة ويقابل ثبات الحروف الثلاثة ثبات المعنى الاصلي والمفهوم المشترك بين الالفاظ وهكذا تبدو خاصة بثبات الاصول في صورتها اللفظية ودلالتها المعنوية وهذه الخاصة هي التى يتطلبها الاسلام لامكان تثبيت المفاهيم التى يريد تثبيتها في مبادئه واحكامه مع بقائها واستمرارها في اللغة الشائعة المستعملة عند ابنائها دون ان تحدث فجوة واسعة بين الاصل اللغوي المستعمل وما انتهى اليه في صورته ومعناه وهكذا يبقى ابناء العربية على صلة وثيقة وفهم صحيح للنص القديم مهما يطل العهد به . واما اللغات الاخرى فان الالفاظ فيها يعتريها التبدل والتحول في صورتها حتى تتغير حروفها واصواتها فلا تكاد تعرف اصلها وفي دلالتها المعنوية كذلك وبهذه الصورة يصبح بين الفاظ النص القديم وما انتهت اليه هذه الالفاظ في تطورها بون كبير يؤدي اما الى جهل المعنى القديم او الى الوقوع في خطأ جسيم يحمل اللفظ القديم على اللفظ الحديث او المعنى الجديد .

فالفاظ الحق والمدعى والقضاء والحكم واليمين والبينة والشاهد والرهن والاجل والعقد والشرط والخصم وغيرها كذلك من الفاظ العقائد والعبادات ثابتة المعنى ولا تزال مستعملة ومفهومة من الناس الى يومنا هذا .

مصطلحات جديدة :

وقد ظهرت بعد الاسلام مصطلحات لغوية في ميادين الفقه والكلام والتصوف والفلسفة والمنطق والسياسة والادارة واصبحت جزءا من الثقافة الاسلامية وثبت الكثير منها في المعاجم اللغوية او على الاقل في اللغة العربية التي يستعملها الادباء والكتاب وربما دخلت لغات الشعوب الاسلامية باعتبارها مصطلحات اسلامية باللغة العربية كهذه الالفاظ :

(العقد الفاسد، المساقاة، الذات والصفات، والفناء ووحدة الشهود والمرض والجوهر والدور والتسلسل وامثالها) .

القرءان الكريم :

وقد كان القرءان العظيم عاملا قويا في كل ما تقدم لان المسلمين اجمعوا على ان القرءان بنصه العربي المنزل المحفوظ حتى يومنا هذا هو وحده القرءان وان ترجمته الى اي لغة اخرى لا تسمى قرءانا وليس لها احكامه فلا تكون مصدرا للاستنباط ولا يتعبد بها بل لا يجوز ترجمته ولكن ترجمة معانيه بحيث تعتبر الترجمة تفسيرا له باللغة الاجنبية وبناء على هذا الاساس حرص المسلمون على تعلم القرءان بنصه العربي حفظا او حفظا وفهما وبقدر الطاقة واكثروا من تلاوته تعبدا بحروفه العربية التى اضطروا الى تعلمها فكان ذلك عاملا هاما في تقوية هذه الصلة بين الاسلام واللغة العربية وفي انتاج النتائج الكثيرة التى بيناها فيما سبق من كلامنا .

ومن اجل هذا ايضا كان من مداخل الشعوبية وطرائقهم ابعاد الناس عن الفصحى لاحلال العامية مكانها والدعاية لترك الحروف العربية والكتابة العربية والسعي لالغاء النحو العربي وافساد ملكة اللغة وذلك كله يؤدي طبعا الى ابعاد الناس عن الفصحى والى تفرقهم امما مختلفة والى تهديم هذا الجسر العظيم الذى يصل بينهم وبين الشعوب التى دانت بالاسلام وقرات القرءان وتعلمته وتعلمت الحرف العربي بل اتخذته اداة للغتها .

وبهذه الدراسة يبدو لنا الطريقان : طريق التشتت والتطفل على الغير وطريق الوحدة وثبات الذات والتحرر وذلك هو طريق الحرف العربي واللغة الفصحى والقرءان العظيم المنزل بلسان عربي مبين .

علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل

الدكتور عبد العزيز مطر

جامعة الكويت

ظاهرة صوتية ذات اثر فى التطور اللغوي ، اعترف بها ، ورسم حدودها ، وبين اثرها اللغويون المحدثون ، ويمثلهم فى هذا البحث : اللغوي الانجليزي «دانيال جونز» (Daniel Jones) واللغوي العربي الدكتور ابراهيم انيس .

وسيضيف هذا البحث حقيقة جديدة ، هي ان هذه الظاهرة الصوتية قد عرفت ايضا عند اللغويين القدماء : ويمثلهم : سيبويه (ابو بشر عمرو ت 180 هـ) وابن جنى (ابو الفتح عثمان ت 392 هـ).

وسنبدأ اولا بتعريف هذه الظاهرة ، وتحديد معالمها ، وبيان اثرها فى التطور الصوتي عند المحدثين ، ثم نعزز ذلك بعرض ما قاله لغويونا القدماء فى هذا الصدد .

1 ـ التماثل عند المحدثين

عقد دانيال جونز فصلا فى كتابه (1) (An out line of english phonetics) تناول فيه ظاهرة التماثل (Assimilation) واثرها فى تطور اصوات اللغة الانجليزية

وقد عرف التماثل بانه « استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاورا له فى الكلمة او فى الجملة »

(1) صفحة : 217 الفقرات من : 837 الى 853

ثم اضاف «دانيال جونز» ان هذا الاصطلاح قد يتسع فيشمل الحالات التى يتم فيها ادغام احد الصوتين فى الآخر ، بحيث يكونان صوتا واحدا ويسمى هذا النوع «التماثل المجمع او الادغام» (Coalescent assimilation)

ويشرح هذا التعريف فى معادلتين على النحو التالي :

1 ـ التماثل العادي : الصوت : A يستبدل بالصوت B تحت تأثير الصوت : C

2 ـ التماثل المجمع (الادغام) : الصوتان : A, C قد اثر كل منهما على الآخر ، وادغما واجتمعا فى الصوت الموحد : B

ونكتفي من امثلته بما يأتي :

يمثل «جونز» للتماثل العادي غير التاريخي بالتغير الذى يطرا على صوت الـ S فى الكلمتين: (Horse, shoe) عندما تركبان معا نحو Horse-shoe (حدوة الحصان) حيث تنطق الـ S هكذا Sh (ش)

ويمثل للتماثل المجمع (الادغام) Coalescent Assimilation بالكلمتين you don't فانهما تنطقان معا هكذا (Dountshu)

كذلك يمثل «جونز» بالكلمتين Roast beef حيث تحولت الـ S الى Z تحت تأثير صوت الـ B المجهور .

ومن العرب المحدثين عقد الدكتور ابراهيم انيس فصلا في كتابه « الاصوات اللغوية » (2) تحت عنوان : المماثلة Assimilation شرح فيه الظاهرة ، وبين نوعيها الرجعي (3) والتقدمي (4) ومثل لكل منهما ، ثم وضح درجات تأثر الاصوات المتجاورة .

وقال في شرح المماثلة .. « تتأثر الاصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام ... ومجاورة الاصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل ، هي السر فيما قد يصيب بعض الاصوات من تأثر ».

والاصوات في تأثرها تهدف الى نوع من المماثلة او المشابهة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات او المخارج ، ويمكن ان يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة . وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة ، غير ان اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه (5)

ومع ان استاذي قد وفى هذه الظاهرة حقها شرحا وتوضيحا ، وتمثيلا وتعديلا ، لحظت انه لم يربط بين ما قرره المحدثون وما ذكره سيبويه وابن جني ، على ما سنوضحه بعد .

ونمضي الآن في توضيح هذه الظاهرة ، وتحديد معالمها والتمثيل لها بامثلة من الفصحى واللهجات الحديثة ، ثم نعقب بعرض آراء سيبويه وابن جني وتحليلها .

اذا تجاور صوتان تجاورا تاما ، بحيث لا يفصل بينهما صوت لين (حركة) وكانا مختلفين في صفة الجهر والهمس ، او الشدة والرخاوة ، او الاطباق والانفتاح ، فان هذين الصوتين يميلان الى الانسجام بأن يصبحا متماثلين في الصفة ..

واذا كان هذان الصوتان المتجاوران متقاربين مخرجا او صفة ، او متجانسين ، فان التماثل بينهما قد يصل الى ان يفنى احدهما في الآخر بادغامه فيه.

وفيما يلي توضيح لهذا التحديد للتماثل ، وبيان درجات التأثر بين الصوتين المتجاورين :

1 ـ الجهر والهمس : يقول الصرفيون ان تاء (افتعل) اذا كانت زايا قلبت التاء دالا ، نحو ازدجر ، ازدهى ، ازدان ، ازدلف ...

فما التفسير الصوتي لقلب التاء في : ازتجر ، وازتهى ، وازتان ، وازتلف وامثالها دالا ؟

في ضوء ظاهرة التماثل نقول : ان التاء قد جاورت الزاي ، والتجاور هنا تام ، اذ لم يفصل بين الزاي والتاء حركة . ولما كانت الزاي صوتا مجهورا وكانت التاء صوتا مهموسا فان الصوتين يميلان الى تحقيق الانسجام بينهما ، وهنا تأثرت التاء المهموسة بالزاي المجهورة فجهر بها ، وحين يجهر بالتاء تصبح دالا لان التاء والدال من مخرج واحد ، فاصبحت الدال والزاي متقاربين كلاهما مجهور ..

ويسمى التأثر الذي تم في هذه الامثلة تأثرا تقدميا ، اي ان الصوت الثاني وهو التاء تأثر بالاول وهو الزاي .

وفي قراءة ابن مسعود : (اذا بحثر ما في القبور) اي بعثر ، يقال ان العين وهي صوت مجهور ، جاورت الثاء وهي صوت مهموس ، فتأثرت العين بالثاء فهمست ، وحين تهمس العين تصبح حاء لان الحاء هي النظير المهموس للعين المجهورة ، ويسمى التأثر الذي تم هنا تأثرا تخلفيا اي ان الصوت الاول وهو العين ، تأثر بالثاني وهو الثاء .

وفي اللهجة المصرية تنطق : جهاز تسجيل ، هكذا : جهاس تزجيل .

---

(2) الفصل السابع : من ص 126 الى 148 (ط 3 ـ 1961)
(3) (Régressive)
(4) (Progressive)
(5) الاصوات اللغوية : 126 .

وقد حدث هنا نوعان من التأثر : تأثر الزاي المجهورة في « جهاز » بالشاء المهموسة في «تسجيل»، تأثرا تخلفيا ، فهمس بالزاي فأصبحت سينا . وتأثر السين المهموسة في «تسجيل» بالجيم المجهورة تأثرا تخلفيا ايضا ، فجهر بها ، وحين يجهر بالسين تصبح زايا لانها نظيرها المجهور .

وفى اللهجة المصرية ايضا ننطق : «خمس دقائق » هكذا : خمز دآيء . وننطق «بالنسبة» هكذا : «بالنزبة» . «وعلى حسب وداد قلبي» هكذا: «على حزب» .. والذى حدث هنا تماثل قلب فيه الصوت المهموس وهو السين الى نظيره المجهور وهو الزاي ، بسبب مجاورة السين للصوت المجهور ، وهو الدال ، او الباء ، تحقيقا للانسجام الصوتي .

كذلك ننطق كلمة «اشدق» وكلمة «مشغول» بجهر الشين ، بحيث تقترب من الجيم الشامية (ج) وتفسير ذلك ان الشين ، وهي مهموسة ، جاورت الدال وهي مجهورة ، فجهر بالشين ، ليصبح الصوتان المتجاوران مجهورين .

2 ـ **الشدة والرخاوة** : قال اللغويون ان كلمة ست (للعدد 6) اصلها : سدس ، فقلبت السين تاء فاصبحت سدت ، ثم ادغمت الدال في التاء . وتفسير الحالة الاولى ان السين وهي صورة رخو ، جاورت الدال وهي صوت شديد ، فتأثر الصوت الثاني بالاول تأثرا تقدميا فقلبت السين الى نظيرها الشديد وهو التاء . اما الحالة الثانية فقد فني فيها الصوت الاول ، وهو الدال ، في الصوت الثاني وهو التاء ، والتأثر هنا تخلفي .

وقوله تعالى : (وجاءت سيارة) قرىء بادغام التاء في السين . وتفسير ذلك ان التاء وهي صوت شديد جاورت السين وهي صوت رخو ، فتأثر الصوت الاول بالثاني فقلبت التاء الى نظيرها الرخو وهو السين . ثم حدث الادغام .

وقوله تعالى : (ولولا اذ دخلت جنتك) قرىء بادغام الذال في الدال وتفسير ذلك ان الذال وهي صوت رخو جاورت الدال وهي صوت شديد فقلبت الذال دالا ليصبح الصوتان شديدين ، ثم حدث الادغام .

ومن ذلك قلب الباء الشديدة الى نظيرها الرخو ، وهو الفاء ، في قوله تعالى : (ان تعجب فعجب) وبعد القلب حدث الادغام .

3 ـ **الاطباق والانفتاح** : يقول الصرفيون : اذا كانت فاء (افتعل) صوتا من اصوات الإطباق : الصاد او الضاد او الطاء او الظاء ، قلبت تاء الافتعال طاء ، نحو : اصطبر ، واضطرب ، واطرد واظطلم ، وهي صيغ (افتعل) من الصبر ، والضرب ، والطرد ، والظلم ..

والذى حدث هنا هو قلب الصوت المنفتح وهو التاء ، الى نظيره المطبق وهو الطاء ، بسبب مجاورة التاء للصوت المطبق ، وهو الصاد ، او الضاد ، او الطاء او الظاء ..

والتاثير هنا تقدمي ، اي ان الصوت الثاني تاثر بالاول . وانما تم هذا التاثر ، ليتحقق الانسجام بين الصوتين المتجاورين بحيث يكونان مطبقين .

وفى اللهجات نقول : مصطرة اي مسطرة، والماء يصخن ، بقلب السين صادا ، وتفسير ذلك ان الصوت المنفتح وهو السين جاور الصوت المطبق ، وهو الطاء في : مسطرة ، والصوت المستعلى وهو الخاء في : يسخن ، فقلبت السين الى نظيرها المطبق وهو الصاد ، تحقيقا للانسجام بين الصوتين المتجاورين .

4 ـ **انتقال مجرى الهواء** : يقرر علماء الاصوات ان مجرى الهواء مع الاصوات العربية يكون من الفم ، الا في صوتي الميم والنون ، فان مجرى الهواء معهما من الانف ..

وقد ينتقل مجرى الهواء مع اصوات الفم الى الانف ، وقد ينتقل من الانف الى الفم ، تحت ظروف لغوية خاصة ، هي التماثل غالبا ..

ومن امثلة ذلك : ما رواه سيبويه في كتابه : (: 412/2) من قولهم : اصحمطرا ، يريد اصحب مطرا . فقد انتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف ، بسبب مجاورة الميم . وحين ينتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف تصبح ميما ، ثم حدث الادغام . كذلك انتقل مجرى الهواء مع النون من الانف الى الفم في مثل : ان لم تفعل ، حيث ادغمت النون في اللام ، وذلك ان النون ومجرى الهواء من الانف ، جاورت اللام ، ومجرى الهواء معها من الفم ، فقلبت النون لاما ثم حدث الادغام .

5 ـ **انتقال مخرج الصوت** : روى سيبويه في كتابه (: 2 / 414) انه يقال في عنبر : عمبر بالميم

وفي القرءان الكريم : (انبئهم) و (من بعد) اجمع القراء على قلب النون ميما .

وفي لهجة الكويت تقول : السمبوك بدل السنبوك (نوع من السفن الصغيرة او القوارب ذكره الزمخشري في الاساس (قرب) .

والتفسير الصوتي لما حدث هنا : ان النون جاورت الباء ، وتحقيقا للانسجام بينهما انتقل مخرج النون الى مخرج الباء ، وحين تنتقل النون الى هذا المخرج تنطق ميما ، لان الميم كالنون من اصوات الانف، وكلاهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ووجود الميم مجاورة للباء يحقق انسجاما اكثر لان الميم في اصوات الانف ، تناظر الباء في اصوات الفم .

كذلك ينتقل مخرج القاف في لهجة الكويت الى وسط الحنك اذا جاورت صوت اللين الامامي (الكسرة او ياء المد أو الفتحة المرققة او الف المد) نحو : جربه ، جدر ، رفيج ، وجاسم ، بدل قربة ، وقدر ، ورفيق ، وقاسم .

وتفسير ذلك : ان صوت اللين الامامي جاور القاف ، ولما كان صوت اللين الامامي صوتا يرتفع معه اول اللسان نحو الحنك ، او يهبط نحو قاع الفم ، فقد جلب مخرج القاف الى الامام ، فخرجت من مخرج الجيم ، لان كليهما صوت شديد مجهور .

كذلك ينتقل مخرج الكاف الى الامام في لهجة الكويت ، اذا جاورت الكاف صوتا من اصوات اللين الامامية ، فيجذبها الى وسط الحنك ، فتخرج من مخرج الشين ، والجيم ، لتخرج صوتا بينهما ، وهو صوت كالجيم الفارسية ، او كصوت (ch) في الكلمة الانجليزية : (Chicken)

وذلك مثل : جبير ، جلب ، باجر ، اي كبير وكلب وباكر .

ففي الحالات الخمس السابقة يبدو اثر ظاهرة التماثل واضحا ، حيث قلب صوت الى صوت يناظره، تحت تاثير صوت ثالث ..

6 ــ **الادغام** : يعد الادغام اقصى درجات التاثر بين الاصوات المتجاورة حيث يفنى احد الصوتين في الآخر ، بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحدا كالصوت الثاني غالبا أي انه تاثر تخلفي ..

فاذا تجاور صوتان متقاربان، او متجانسان نحو: انعت طالبا ، ادغم الصوت الاول وهو التاء في الثاني وهو الطاء ، فنطقت الكلمتان : انعطالبا (سيبويه : 418/2) ونحو : حدتهم اي حدثتهم ، حيث ادغمت الثاء في التاء (سيبويه 420/2)

ونحو خبطه اي خبطته ، حيث ادغمت التاء في الطاء ، والتاثر هنا تقدمي حيث تاثر الصوت الثاني بالاول ففني فيه (سيبويه 2 / 423)

وكذلك قوله تعالى : (وجاءت سيارة) حيث ادغمت التاء في السين .

والتجاور في الامثلة السابقة تام ، حيث لم يفصل بين الصوتين بصوت لين ويسمى هذا الادغام عند القراء : « الادغام الصغير » .

وقد يحدث الادغام مع وجود فاصل هو حركة قصيرة ، وهذا النوع وارد في قراءة ابي عمرو ابن العلاء ، نحو قوله تعالى : (فكلا من حيث شئتما) حيث ادغمت الثاء في الشين ، مع وجود فاصل بينهما هو الضمة في (حيث) وكقوله تعالى : (واذا النفوس زوجت) بادغام السين في الزاي مع وجود فاصل بينهما هو ضمة (النفوس) .

7 ــ **التماثل بين اصوات اللين** : كما يحدث التماثل بين الاصوات الساكنة ، يحدث بين اصوات اللين تحقيقا للانسجام الصوتي بينهما ، هو المسمى عند المحدثين (Vowel harmony)

ويمكن ان نمثل له بما روي ان بني تميم كانوا يقولون : لئيم ، شهيد ، سعيد ، ونحيف ، ورغيف ونخيل ، بكسر اوائلها (6) وما يشيع في بعض اللهجات الحديثة من كسر الاول في نحو سعيد ونشيط وكبير ... ونحو تحية ، بكسر التاء ، تحقيقا للانسجام بين صوتي اللين المتجاورين .

ومن ذلك فتح الميم في مروحة ومبرد في اللهجات الحديثة ، بدلا من كسرها كما تقضي العربية الفصحى في صيغة اسم الآلة .

ب ــ المضارعة عند سيبويه هي التماثل عند المحدثين :

---

(6) كتاب سيبويه : 255/2

تناول سيبويه في اكثر من موضع من كتابه ، ما يحدث من تقريب بين الاصوات المتجاورة سمى هذه الظاهرة المضارعة (: 426/2) وسماها التقريب ايضا (259/2،427) كما تناول اقصى درجات التأثر بين المتجاورين ، أي الادغام (404/2 — 426) .

وتتضح نظرية التماثل عند سيبويه في الباب الذي عقده تحت عنوان : « هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه ، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه » (426/2)

ويعني سيبويه بالحرف الذي يضارع به حرف من موضعه : « الصاد الساكنة اذا كانت بعدها الدال ، وذلك نحو : مصدر ، واصدر ، والتصدير »

وبعد ان يبين سيبويه ان ادغام الصاد في الدال، او ابدال الدال حرفا يناسب الصاد كالطاء غير ممكن في هذه الامثلة ، يفسر ما حدث في هذه الامثلة بانه مضارعة الصاد بالزاي ، اي تقريبها منها ، لان الزاي مجهورة كالدال ، فيتحقق بهذا الانسجام بين المتجاورين. وقد فسر سيبويه هذه المضارعة في موضع آخر من كتابه (259/2) اذ قال ، وهو يعلل امالة الالف الى الياء بسبب الكسرة ، بانها تقريب بين الحرفين : « ارادوا ان يقربوها منها كما قربوا في الادغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر ، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة ، لان الصاد قريبة من الدال فقربها من اشبه الحروف من موضعها بالدال » .

ولكن سيبويه في المثال الاخير : صدر ، لم يقيد الصاد بأنها ساكنة ، كما جاء في النص الذي عالج فيه المضارعة (426/2) .

ومما يؤيد ان ما حدث في الصاد هو تقريبها من الزاي قول سيبويه « ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الاجحاف بها للاطباق » ثم يعقب سيبويه بانه سمع العرب الفصحاء يجعلون الصاد زايا خالصة اي بدون اطباق ، ويتظر لذلك بذهاب الاطباق في الادغام ، ويعني بذلك قولهم « افحسالما ، اي افحص سالما » (418/2)

اي انهم يقولون في التصدير : التزدير ، وفي الفصد ، الفزد ، وفي اصدرت : ازدرت .

ويعلل سيبويه المضارعة في حالتي التقريب من الزاي ، او ابدال الصاد زايا بما نسميه « الانسجام الصوتي » ، فيقول : « وانما دعاهم الى ان يقربوها ويبدلوها ان يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا السنتهم في ضرب واحد ، اذ لم يصلوا الى الادغام (الذي هو اقصى حالات التأثر بين الاصوات المتجاورة) ولم يجسروا على ابدال الدال صادا ، لانها ليست بزيادة كالتاء في افتعل (اي ان الصوت الاول هو الذي تأثر بالثاني وهو التأثر التخلفي) .

واذا كان اللغويون المحدثون يشترطون لتأثر احد الصوتين بالآخر ان يكون التجاور تاما بان يكون الاول مشكلا بالسكون (7). فان سيبويه قد نص على ذلك عندما قال : « فاما الذي يضارع به الحرف من مخرجه فالصاد الساكنة ، اذا كانت بعدها الدال» (426/2) كما يتضح ذلك من امثلة : التصدير ، اصدر ، الفصد ، اشدق ، اشدر (اي اجدر)، اجدمعوا ، واجدرءوا (اي اجتمعوا ، واجترءوا) .

وان كان سيبويه قد خالف ذلك عندما قال في موضع آخر : ان في (صدر) تقريبا من الزاي (259/2). مع ان الفاصل هنا حركة .

ولكن شرط الابدال عند سيبويه الاتتحرك الصاد، فقد قال بعد ان ذكر ان بعض العرب يبدل الصاد في التصدير والفصد زايا خالصة : « فان تحركت الصاد لم تبدل ، لانه قد وقع بينهما شيء » يعني الحركة الفاصلة بين الحرفين .

وهذا يدل على فهم سيبويه لمعنى التجاور ، وعلى انه يرى ان الحركة تقع بعد الحرف .

ولكن هناك استثناء من شرط سكون الحرف الاول في حالة المضارعة ، اذ لحظ سيبويه ان العرب قد يضارعون في حالة الفصل بالحركة ، نحو صدقت . ثم قال « والبيان فيها احسن » (427/2) واورد استثناء آخر من شرط التجاور اذ قال : « وربما ضارعوا بها وهي بعيدة نحو مصادر ، والصراط ، لان الطاء كالدال » (يظن سيبويه ان المضارعة خاصة بالدال ، ولهذا يشبه بها الطاء حين وجد مضارعة في الصراط) ثم اورد سيبويه ثلاثة امثلة اخرى تمت فيها المضارعة مع التجاور التام

1 — اشدق ، حيث تجهر الشين ، وهذا معنى قول سيبويه « فتضارع بها الزاي » وسبب الجهر

---

(7) الدكتور ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية : 131 .

هنا ان الشين وهي صوت مهموس جاورت الدال ، وهي صوت مجهور ، فجهر بها لتحقيق الانسجام والتقارب ، وحين يجهر بالشين تقترب من الزاي .. ولما كانت الزاي من مخرج غير مخرج الشين فقد عبر عن ذلك سيبويه في عنوان هذا الباب ، حين قال « والحرف (الشين) الذي يضارع به ذلك الحرف (الزاي) وليس من موضعه »

2 ــ اجدر ، حيث تنطق الجيم قريبة من الزاي ، اي جيما شديدة التعطيش ، وكتبت عند سيبويه : اشدر ولما كانت الجيم والدال من الاصوات المجهورة ولم يجد سيبويه تفسيرا لهذه المضارعة ، علل ذلك بالقياس على المضارعة مع الشين في اشدق ، اذ قال « وانما حملهم على ذلك انها (الجيم) من موضع حرف قد قرب من الزاي» يعني الشين في اشدق .

3 ــ اجدمعوا اي اجتمعوا ، واجدرءوا ، اي اجترءوا . والذي حدث هنا ان التاء وهي صوت مهموس جاورت الجيم ، وهي صوت مجهور ، فتأثرت بها تأثرا تقدميا (الثاني بالاول) فجهر بها اي ابدلت دالا .

وفي موضع آخر يفسر سيبويه ، في ضوء المضارعة والتقريب ، قول العرب فيما كان على وزن مفتعل من الصبر : مصطبر : فيقول « فابدلوا مكانها اشبه الحروف بالصاد ، وهي الطاء ، ليستعملوا السنتهم في ضرب واحد من الحروف ، وليكون عملهم من وجه واحد ، اذ لم يصلوا الى الادغام » (421/2) ومعنى قوله « ليستعملوا السنتهم في ضرب واحد » ان نطق الصاد وهي مطبقة لا يلائم نطق التاء ، وهي مرققة فابدلوا مكان التاء طاء للانسجام بين الصوتين المطبقين .

ومن المضارعة عند سيبويه ايضا : قلب السين صادا اذا كانت بعدهما القاف في كلمة واحدة ، عند بني العنبر ، ويعلل ذلك بقوله : « ابدلوا من موضع السين اشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد ، وهي الصاد» (427/2) ثم قاس على ذلك الخاء والعين « لانهما بمنزلة القاف ، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم ، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق » ثم قاس الطاء على القاف ، لانها في التصعد مثل القاف (428/2).

اي ان السين لما جاورت واحدا من هذه الاصوات المستعلية تأثرت به فتفخمت ، وحين تفخم السين تبدل صادا . ولكن سيبويه يبين ان « الاعرف الاكثر الاجود في كلامهم ترك السين على حالها وانما يقولها من العرب بنو العنبر » (428/2).

وفي ضوء المضارعة كذلك يفسر سيبويه قول العرب : ست (اي العدد 6) ويذكر ان اصلها سدس. ويبين ان العرب لم يدغموا الدال : « كرهوا ادغام الدال فيزداد الحرف سينا ، فتلتقي السينات ، ولم تكن السين لتدغم في الدال .. **فابدلوا مكان السين** اشبه الحروف بها من موضع الدال ، لئلا يصيروا الى اثقل مما فروا منه اذا ادغموا ، وذلك الحرف التاء ، كأنه قال سدت ، ثم ادغم الدال في التاء » (428/2)

ويدل على تعمق سيبويه في فهم سر المضارعة واستخدامها في تفسير التغير الصوتي قوله في تعليل قول بعض العرب : يستيع بدل يستطيع : « ان شئت قلت : ابدلوا التاء مكان الطاء ليكون ما بعد السين مهموسا مثلها ، كما قالوا : ازدان (اصلها : ازتان) ليكون ما بعدها (الزاي) مجهورا » (429/2) .

اما المضارعة في الحركات (اصوات اللين) فتبدو عند سيبويه فيما يلي :

1 ــ الامالة (259/2) قال : « فالالف تمال اذا كان بعدها حرف مكسورة ، وذلك قولك عابد ، وعالم ومساجد،ومفاتيح،وعذافر،وهابيل. **وانما امالوها للكسرة التي بعدها ، ارادوا ان يقربوها منها كما قربوا في الادغام الصاد من الزاي »** اي ان الغرض من الامالة هو الانسجام بين اصوات اللين .

ويؤيد ذلك قوله في باب ما تقلب فيه الواو ياء اذا سكنت وقبلها كسرة (نحو ميزان وميعاد) « فكان العمل من وجه واحد اخف عليهم (وجود حركة الامالة بعد الكسرة) .. كما انهم اذا ادنوا الحرف من الحرف كان اخف عليهم ، نحو قولهم : ازدان واصطبر » (357/2)

2 ــ في تفسير باب فعل يفعل (مثل فتح يفتح) الذي ورد في الافعال التي عينها او لامها من حروف الحلق (ا ــ هـ ــ ع ــ ح ــ غ ــ خ) قال : « وانما فتحوا هذه الحروف لانها سفلت في الحلق ، فكرهوا ان يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا من الحرف الذي في حيزها

وهو الالف » (253/2) اي ان الفتح لمناسبة حروف الحلق لان الفتحة بعض الالف ، ومخرج الالف (عنده) من اقصى الحلق مع الهمزة والهاء (405/2)

وهكذا نجد ال (Assimilation) وال (Vowel harmony) اي التماثل او المضارعة او التقريب ، والانسجام بين اصوات اللين ، واضحة جدا في فكر سيبويه (ت 180 هـ) .

الادغام الاصغر والتقريب عند ابن جني

عالج ابن جني ظاهرة «التماثل او المضارعة» تحت عنوان «الادغام الاصغر» وتعريفه وامثلته تنطبق على المضارعة عند سيبويه : يقول ابن جني في الخصائص (141/2) في تعريفه « واما الادغام الاصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وادناؤه منه ، من غير ادغام يكون هناك ، وهو ضروب . »

وقد اورد ابن جني من ضروب هذا التقريب : قلب تاء الافتعال طاء اذا كانت الفاء صادا او ضادا او طاء او ظاء (141/2) وقلبها دالا اذا كانت الفاء زايا او دالا او ذالا (142/2) وقلب السين صادا اذا وقعت قبل الحرف المستعلى فتقترب منه (142/2) واورد ايضا تقريب الصاد من الزاي لمجاورة الدال ، في مصدر، والتصدير، وقول العرب في مثل « لم يحرم من فزدله» اي من فصد له . ويقدم تفسيرا علميا في ضوء التقريب ، او الادغام الاصغر ، فيقول في هذا المثل « اصله : فصد له ، ثم اسكنت العين ، على قولهم في ضرب : ضرب (بتسكين الراء بدل خفضها) وقوله (القطامي) :

ونفحوا في مدائهم فطاروا

فصار تقديره : فصدله ، فلما سكنت الصاد فضمنت به ، وجاورت الصاد ـ وهي مهموسة ـ الدال ـ وهي مجهورة ـ قربت منها بأن اشممت شيئا من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر (الخصائص: 144/2) .

ولو ان لغويا محدثا فسر التماثل في هذه الحالة لما خرج عما قاله ابن جني في هذا التفسير.

كذلك يفسر ابن جني ما فسر سيبويه من قبل قول العرب : ست (العدد 6) واصلها سدس (الخصائص : 145/2) .

ولم ينس ابن جني التقريب في الحركات، ونعد من ذلك عنده الامالة « انما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت» اي الفتحة الى الكسرة (141/2) من ذلك عنده الامالة « انما وقعت في الكلام لتقريب العرب : شمير وبمير ورغيف ، بكسر اوائلها (143/2) . وقولهم : فعل يفعل (باب فتح) مما عينه او لامه حرف حلقي ، نحو سال يسال وقرا يقرا . . « وذلك انهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق ، لما كان موضعا منه مخرج الالف التي منها الفتحة » (143/2).

وقد تحدث اللغويون واصحاب المعجمات عن المضاربة والتقريب ، وفسروا في ضوئها كثيرا من التطور الصوتي ، ولكن ما قالوه لم يخرج عما وضع أسسه ، وبين حدوده ، سيبويه وابن جني .

اليس لنا ان نقول ان علماء الاصوات العرب القدماء قد سبقوا اللغويين المحدثين في كشف اسرار التفاعل بين الاصوات المتجاورة ، وابتكار نظرية التماثل Assimilation ؟ بلى ا.

حاجتنا الى التعبئة العلمية

الدكتور محمد يحيى الهاشمي

رئيس جمعية الابحاث العلمية

حلب (سوريا)

في عام 1954 القيت في قاعة دار الكتب الوطنية في حلب محاضرة بعنوان « لماذا تخلف العرب عن الكشوف العلمية ؟ » ، واعدت القاءها مع بعض تعديلات على مدرج الجامعة اللبنانية في بيروت في عام 1956 ، ونوهت عنها في المحاضرة التي كنت القيتها في نفس العام على مدرج الجامعة السورية في دمشق عن الفوسفات ، وقد نشرت نفس الموضوع في اللسان العربي (عدد 5 ، 1967) بعنوان « العرب والكشوف العلمية » ، ولابد لي هنا من التنبيه الى حاجتنا للتعبئة العلمية لمعالجة تخلفنا عن الامم الراقية ، لان هذا التخلف او بالاحرى التخاذل الذي بلينا به جعل الشقة بيننا وبين المتقدمين بعيدة جدا (1) ، قد نشعر بذلك شعورا صادقا ، ولكننا لا نجد الحاجة الضرورية لتلافي الاخطاء الماضية . وان مجاراة الامم المذكورة في هذه الميادين الحيوية والفعالة لا ياتي بالكلام ولا بالتمني ، بل لا بد من العمل المثمر المنتظم والتعاون والتكاتف. ان عهد المتعة والتقديس ، والاتكالية السلبية قد مضى ، واتى عهد الفكر الصائب والتنفيذ المجدي ، متكاتفين لا متخاذلين .

كان القدماء فيما مضى يؤلهون القوة الطاغية الجبارة ، لانهم كانوا حيارى لا يدرون من امرهم شيئا ولا يجدون من عللهم مخرجا ، فكان القدماء معذورين في تلك الاتكالية العقيمة ، بل العائقة ايضا في التقدم والاستفادة من مرافق الحياة . اما نحن فغير معذورين في مثل هذا العقم وهذا الخضوع الاعمى . وان السر الحقيقي في هذا التقدم بين الامم هو في التعاون والتكاتف للبحث والتنقيب . تعاونت الامم فتقدمت ولا يمكننا التقدم الا بضم جهودنا الى بعضها بعضا ، وفتح العقول والافئدة للعلوم النافعة وتطبيقاتها العملية ، فالعلم لا يدرس في المعاهد ، والجامعات فحسب ، بل في المخابر والمصانع والمعامل. ومن ثمراته تلك الانقلابات الحيوية التي نجدها في عالم الطب والزراعة والكيمياء والميكانيك والكهرباء والطاقات المختلفة ، فالامم التي كانت في فقر مدقع من جراء ضعف اراضيها في قوة الانبات وصناعاتها متاخرة من جراء قلة مواد الخام والخبرة الفنية ، فبفضل تطبيق العلم على العمل بدلت معالم اراضيها من ضعف في الانبات الى قوة فائقة في ذلك ، فاوجدت لها منبعا

(1) لاجل ضرب مثل على تأخرنا وتقدم غيرنا من الامم، فانه تأتيني في كل اسبوعين جريدة الكيمياليين Chemikerzeitung التي تصدر في هايدلبرغ وفي كل عدد اخبار عن اكتشافات معلن عنها واكتشافات تعطى برموزفقط ، ولاجل معرفتها يلزم الاتصال بالهيئات اللازمة لكشف النقاب عنها بشروط خاصة ، واني لا اكاد اطلع على الكشوف المعلن عنها فقط ، حتى تفاجئني كشوف جديدة في العدد الجديد، ونحن منذ الاجيال لم نسجل ولو كشفا واحدا له قيمة . هذا في فرع من فروع العلم فقط .

جديدا للخامات الصناعية وسوقا للمنتوجات . ان التخطيط العلمي يلزم ان يمشي مع التخطيط الاقتصادي جنبا الى جنب ، لاننا متى ما علمنا ان من ثمرات العلم النتائج الاقتصادية اقبلنا عليه الاقبال الكلي ، فمن الضروري تنظيم هذا التخطيط العلمي وجعله يسير مع التقدم الصناعي والزراعي جنبا الى جنب ، فالعلم يلزم ان يكون هو المسيطر فى حل مشاكلنا فى الحرب والسلم على السواء ، لان هذه الامور لا تزدهر الا بالعلم وان الصناعات التى لا تعتمد على ذلك بادت امام الصناعات الحديثة التى اتخذت من العلم هاديا واماما .

نحن نضيع كثيرا من الاوقات فى البحث عن الالفاظ بدلا من الترجمة راسا من قبل اختصاصيين فى الموضوع ممن عرفوا لغتهم جيدا مع فتح المختبرات للتجارب والاستفادة العملية. ولو ان سلفنا فى العهد العباسي عمل ما عملنا لما ترك لنا تراثا شامخا ادرك العالم المتحدث اليوم اهميته وقيمته . ولو ان اليابان لم يقتبس علوم الغرب وصناعاتها راسا وسلك سلوكنا لبقي حتى اليوم يبحث عن الالفاظ الجوفاء وكان من المتخلفين مثلنا ، ولعله بقي فى مؤخرة الامم بدلا من ان يكون فى مقدمتها . ان من يريد تعلم السباحة لا يضيع اوقاته فى معرفة الالفاظ المتعلقة فى السباحة بل عند دراسة قوانينها ان يبتدىء القول على العمل راسا . حتى اننا يلزم لمعرفة القانون العلمي وضع التداريب المختلفة التى توصلنا من الجزئي الى الكلي .

ان هناك الكثيرين من المدرسين فى الاعدادي والثانوي والجامعي مع الاسف يبتعدون عن التجارب، حتى ان بعض اساتذة الكيمياء يترفعون عن مسك انبوب الاختبار بايديهم بل يكتفون ببعض التجارب من قبل المساعد او الطالب بالذات ، ويجدون انفسهم ارفع من ان يختبروا بذاتهم ويثقلون طلابهم بمعلومات نظرية معقدة هم انفسهم بعيدون عن فهمها . واني شاهدت فى الغرب اساتذة كبارا ممن نالوا جائزة نوبل او ان تلامذتهم نالوا هذه الجائزة لا يترفعون عن عمل التجارب بالذات .

نحن اليوم فى سبيل نهضة شاملة ، وما زالت فى هذه البلاد امكانيات كثيرة من خامات معدنية غير مستثمرة واراض غير مزروعة على النمط العلمي الحديث ومصادر للطاقة والقوة . وكل هذه الامور تحتاج الى عمليات حصر وتقص وتنظيم وتخطيط ، ثم الى وضع برامج مدروسة مفصلة بطرائق الاستنباط والاستغلال والتصنيع .

لم تعد الحياة تطيق التواني ولم يعد لمتخلف مكان فيها . ولا يزال العلم فى حاجة الى المزيد من التقدير ، ولو انه اعطي من الرعاية ما يستحقه لافادت الامة منه خيرا كثيرا ، ولو امكن استخدام العلم فى مشروعاتنا لارتفع الانتاج وقلت التكاليف وارتفع مستوى الحياة بين افراد الشعب وكان التقدم العلمي المستمر يخلق ثروات اقتصادية، ولذلك ينبغي تتبع التقدم فى العلم والتعرف على موارد الثروة عندنا ، فالامم تنفق على البحث العلمي بسخاء ، والغربيون مع كثرة المنتسبين للعلم يحتفلون كرامة العالم ويسعون دوما لرفع مكانته وتقديمه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . اما نحن فان غايتنا من العلم غاية محدودة ، وهي اما التوظف او معاطاة بعض المهن المحدودة مثل الطب والصيدلة او غير ذلك للكسب الفردي ، لا لازدياد الثروة القومية واذا حدث ذلك فانه بالنسبة قليل . ونسمي علمنا بالعلم التجاري ، والتجاري الذي يزيد الثروة القومية ويؤمن الربح الفردي ايضا . اننا نقول ان فلانا موفق فى علمه ومقياس ذلك انه جنى ثروة فردية دون ان يتقدم فى اختصاصه ، كما اننا نقول ان فلانا فاشل فى عمله وان كان من المساهمين فى نهضة صناعية زادت فى الثروة القومية ، لانه لم يجن ثروة خاصة . ان الصناعات المحدودة مثل معامل الغزل والنسيج او معامل الاسمنت او الزجاج او غيرها هي ثمرة من ثمرات المتخصصين ، ولو اننا اعطينا لهؤلاء المتخصصين ما يليق بهم من العون المادي او المعنوي لكان للنهضة الصناعية شان غير شانها .

ان العلم والتطبيق يحتاجان دوما الى المران والممارسة وان اصحاب الشركات ورجال الاموال ، وجميع الموجهين للمقدرات فى الاقطار العربية كلها مسؤولون عن صقل مواهب الاختصاص ، ولا يخفى ان الاشراك فى العمل يكون السبب فى صقل المواهب وشحذ القابلية ورفع السوية وجعل البصر حادا ، كما ان الاهمال يعمل عكس ذلك فانه يقتل نواة القابلية فى الصميم . يجب علينا الافتخار بقابليات فذة فى البلاد ، كما علينا اذا وجدنا من هم ضعفاء فى اختصاصهم القيام بتنمية ذلك والابتعاد عن الغلو فى ادعاء العلم وزيادة التقدير .

اننا كثيرا ما نظهر عدم اهمية الاختصاص ونلقي في روع الامة بصورة لا شعورية بان الاختصاصي الوطني هو دون الاجنبي لا من جهة المران والعمل ، بل من حيث الماهية والجوهر . واعتاد البشر عند تكرار حادثين هما القيام بالتعميم والاستدلال بالشاهد على الغائب ، وبذلك نظن اننا وجدنا قانونا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والحقيقة هي غير ذلك . ان الفروق بين الخبراء الوطنيين والاجانب هي فروق عرضية وليست جوهرية ، واذا اتيح للخبير الوطني ما أتيح للخبير الاجنبي لاظهر نفس النتيجة .

متى نبدل التخاذل بالتعاون ونصبح بفضل النضج العقلي اخوانا متحابين ؟ لقد برهنا على اهليتنا في الماضي ، كما برهن نفر منا على اهليته في تلقي العلوم في العالم الاوربي والامريكي في الحاضر ، وكثيرا ما نسمع عن علماء امريكيين هم من اصل عربي؟ فلماذا يا ترى لم نبرهن على اهليتنا في الحاضر وفي الوطن العزيز ؟ وفي الحقيقة يجب علينا دراسة هذه النقطة الحيوية الهامة ، لا في سن القوانين بل في الدراسة العميقة وتجنب الاسباب المؤدية الى عدم الانتفاع من خبرات امثال هؤلاء . ولعل من اعظم المآسي في الوقت الحاضر في الحياة العلمية هجر نفر لا يستهان به من اهل الخبرة والعلم اوطانهم والانتماء الى امم مختلفة ورغم اني نبهت مرارا الى ذلك وناديت المربين في آخر كتابي عن « المثل الاعلى في الحضارة العربية » فلم يلق ندائي اذنا صاغية .

نحن اليوم بحاجة ماسة الى تعبئة علمية واسعة النطاق تشمل جميع المهن والطبقات لتأتي تلك التعبئة ، بل ذلك النفير بالثمرة المرجوة .

واذا طالعنا تاريخ العلوم وخاصة في العصر الحاضر لمسنا دور العصامية في تركيز العلم فقد قال فولر « ان اول من حضر البولة بطريق التركيب من المواد غير العضوية) ، وليبيغ (ابو الكيمياء الزراعية) . ولم يكن الاول استاذا في جامعة بل مدرسا في مدرسة صناعية ومع ذلك لقد ثبت اسمه في سجل الخلود .

ان التعبئة العامة تستلزم التعاون ، كما تتعاون الفرق المختلفة في المعارك الحاسمة . فهي لا تقتصر على رجال العلم والمال ومن في يدهم مقدرات البلاد فحسب ، بل يلزم ان تتعدى الى اهل الخبرة العملية واهل الادب والفن .

واعتقد ان الادب والفن كماليان لا اساسيان كالزهر على مائدة الطعام ، ولكن اذا لم يكن على المائدة غير الزهور فماذا يستطيع تناوله الجائع المسكين ؟ ان كثيرا من الافكار النظرية بقيت في ادمغة المفكرين لولا ما يتاح لها من عمال ماهرين ابرزوها الى حيز الوجود ، فان نظرية فاراداي في المجال المغناطيسي الكهربائي لها الفائدة العملية ، لولا ما يتاح لسيحنس ذلك الحداد الماهر تركيب اول محرك كهربائي ، ولولا اديسون لما تمتعنا بالمصباح الكهربائي والحاكي والصور المتحركة .. علم ومال وعمل هذه قوام الحياة الثلاثة التي لا بد منها لنهضة علمية حقيقية .

اما الفن والادب فلها صلة وثيقة بالعلم وتفتيق القابلية العلمية . نرى ذلك عند الفنانين والادباء القدماء ، فكل من زار مدينة فينشي في ايطاليا مهبط راس ليوناردو دافنشي يجد ما اهداه هذا الفنان العبقري للعلم (1). ولا ينكر احد ما اهداه الشاعر الالماني غوته للعلم ايضا ، وعندما كان وزيرا للمعارف ساهم مساهمة فعالة في تقديم المخترعين والمكتشفين .

واذا نظرنا الى ادبنا القديم نراه على اتصال وثيق بالعلم . ولعل ابرز شخصية تمثل ذلك هي الجاحظ (2). اما ادباؤنا في العصر الحاضر فالكثير

---

(1) لقد اقيم لهذا الفنان والعالم الكبير في مدينة فلورانسا وفينشي من ايطاليا مهرجان بمناسبة مرور 450 عاما على وفاة هذا العبقري . وقد القى محرر هذه الاسطر محاضرة بعنوان : « ليوناردو دافينشي رائد البحث العلمي الطبيعي في اوروبا » . بين فيه اهميته في البحث واسبقيته لفرنسيس بيكون المعروف حتى الآن انه الرائد لذلك . ولقد اظهر عالمان بان هذا العالم والفنان الكبير استقى بعض معلوماته عن العرب .

2) لقد اشتركت في المؤتمر العشرين لتاريخ الطب الدولي العشرين وقدمت بحثا باللغة الالمانية بعنوان: « علم الحياة عند الجاحظ » وبينت في هذاالموضوع اسبقيته لباستور وداروين وغيرهم من كبار العلماء . وقدمت نسخة من هذا البحث الى المجلس الاعلى للعلوم في دمشق .

منهم بعيدون عن الروح العلمية العصرية ولا يجارون متطلبات الزمن . ندعو الادباء الى التجند فى هذه الصفوف ، لان الحاجة ملحة والتقصير الذى وقعنا فيه يضطرنا الى ان نوجه نداءنا اليهم لتصوير الزمن الذى نحن فيه والواجبات المحتمة علينا .

نحن واقفون على شفاجرف هار، وان الكشوف الحديثة من الطاقة الذرية الى الهيدروجينية الى الكوبلتية الى الصواريخ الموجهة تجعل حياة هذا الكوكب الذى نعيش فيه فى خطر ، فعلى رجال الفكر من العرب ان يصرخوا صرختهم لايقاظ الضمير الانساني من جهة ولبعث المروءة بين المواطنين من اجل التعبئة العلمية الجديدة التى يلزم ان تتناول جميع الصفوف من ابناء الامة من جهة اخرى ، ولكن لا لاجل افناء البشرية والقضاء عليها ، بل من اجل سعادة الانسان ورفاهيته .

لقد كتبت كثيرا فى هذا المضمار ولم اجد اي صدى لكلماتي ، فكأنها صيحة فى واد او صرخة فى رماد ،

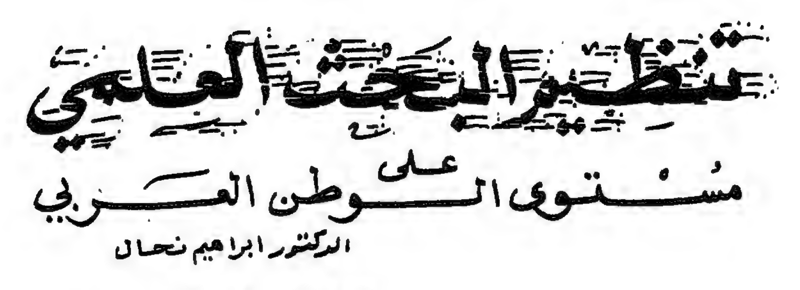
معطيات الاداب الانسانية

فى اطار توسيع شبكة الثقافة العربية وتطعيمها بما قد يفيدها من خلاصات الثقافات الاجنبية وتوطيد دعائم التبادل بين معطيات الآداب الانسانية فى نطاق أوسع ، يعتزم المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي تنظيم دراسات شاملة حول مقومات ومظاهر ثقافة كل امة فى مواسم موقوتة مع دراسة مقارنة مع الحضارة العربية .

ولذلك فهو يقترح لسنة 1970 تنظيم موسم ثقافي على الصعيد العالمي تشارك فيه دول مختلفة بدراسات وابحاث تتصل بآداب كل امة ومميزات هذه الآداب .

وقد طلب من بعض الباحثين ان يوافوه بما ستجود به قريحتهم فى هذا الباب لتوزيعها فى العالم على نطاق واسع .

وتفضلوا بقبول خالص تحياتنا، والسلام .



كلية الزراعة ـ جامعة حلب (سوريا)

انه لمن الثابت الآن ان البحث العلمي هو المحرك الاساسي لتطور المجتمعات البشرية فى عصرنا الحاضر وستزداد اهمية هذا المحرك باضطراد فى المستقبل . وقد ظهرت هذه الحقيقة بصورة جلية فى البلاد المتقدمة حيث تدم البحث العلمي فوائد عديدة شملت معظم مرافق الحياة . فقد ساعد على اكتشاف الثروات الطبيعية وتنظيم استثمارها واكتشاف الطرق لتفهم قوانين الطبيعة بغية الاستفادة منها فى حياة البشر كما ساهم البحث العلمي فى دراسة الانسان من وجوه متعددة حيث قدمت العلوم البيولوجية والطبية والاجتماعية فوائد جمة للانسان المعاصر .

لقد ازدهر البحث العلمي بصورة خاصة فى الدول الكبرى التى اخذت تخصص له ميزانية ضخمة لخدمة الصناعة والصحة العامة والدفاع الوطني بالاضافة الى اشباع لعطش الانسان لاكتشاف قوانين الكون والاطلاع على اسراره .

وهكذا ولدت فى بداية القرن العشرين فى تلك البلاد حضارة تعتمد فى ابراز شخصيتها على مؤسسات علمية للبحوث وقد ظهرت بوادر هذه المؤسسات فى البلاد العربية .

وبذلك انشئت فى كل دولة مراكز وطنية للبحوث العلمية اخذت على عاتقها القيام بالبحوث المتعلقة بخطة التنمية فى الدولة ، الا ان التطور السريع للبحث العلمي فى السنوات الاخيرة واتساعه الكبير الذى شمل العالم اللا متناهي فى الصغر والعالم اللا متناهي فى الكبر قد حملا الباحثين الوطنيين على التعاون فيما بينهم فى مجالات البحث العلمي. وهكذا ولدت فى هذه الدول مؤسسات وهيئات مشتركة للبحث العلمي تضم باحثين من الدول المشتركة وذلك بغية التخفيف من كثرة التكاليف التى تتطلبها بعض البحوث والاستفادة من ندرة الاختصاصيين فى بعض المجالات العلمية بحيث يجري توحيد جهودهم وتوجيهها فى ابحاث متفق عليها من قبل جميع الدول. وقد ظهرت هذه البادرة بوضوح فى الدول الغربية .

وقد اتبعت المنظمات الدولية هذه الخطة ايضا وقامت بانشاء بعض المراكز الاقليمية للابحاث العلمية المتخصصة لخدمة مناطق متشابهة مثل **مركز الابحاث الحراجية للشرق الاوسط** الذى انشيء من قبل منظمة التغذية والزراعة العالمية ومراكز مشابهة فى اميركا الجنوبية .

شعرت بعض الدول العربية بعد استيقاظها من غفلتها الطويلة باهمية البحث العلمي فى تطورها الاجتماعي والاقتصادي والفكري وفى الدفاع عن كيانها واستقلالها فاخذت كل دولة عربية تتبع فى هذا المجال طريقا تراه مناسبا . الا انه ، نظرا لقلة الخبرات العلمية القومية المتوفرة فى هذه الدول واضطرارها للاعتماد على الخبراء الاجانب وكذلك نظرا لضعف الامكانيات المادية التى يمكن ان تخصص للبحث العلمي عند بعضها فقد نشأ البحث العلمي فى كثير من الدول على أسس غير سليمة بحيث لم يستطع ان يؤدي الخدمة المبتغاة منه . كما أن استقلال كل دولة عربية فى ابحاثها العلمية قد جعل معظمها يحصر اهتمامه بايجاد الحلول السريعة لبعض المشاكل الزراعية او الصناعية او الاجتماعية الملحة كما جعل بعض الدول العربية عاجزة عجزا تاما عن وضع خطة كاملة للبحث العلمي تخدم كافة النشاطات . وهكذا اهملت فى هذه الدول البحوث الطبية والبترولية والفلكية والجيولوجية والهيدرولوجية ووجوه مختلفة من البحوث الدراسية كدراسة المناطق الجافة وطرق احيائها وبعض البحوث الحراجية كدراسة الاخشاب المحلية وطرق تصنيعها بالرغم من ان هذه البحوث المهملة ترتبط ارتباطا وثيقا بتطور هذه البلاد .

وقد اهملت هذه البحوث بالرغم من اهميتها لسببين هما : عدم توفر الامكانيات المادية لكل هذه البحوث وعدم امكانية **توفير الجهاز العلمي الوطني اللازم لتخطيط وقيادة هذه الابحاث والاستفادة منها فى الحياة العملية .**

لقد اثبتت تجارب العشرين سنة الماضية ان **اعتماد الدول العربية فى نهضتها على الخبراء الاجانب لا يمكن ان يكون الا حلا مؤقتا ولفترة قصيرة جدا** من الزمن كما ان الاعتماد على الخبراء قد اثبت فى بعض الدول العربية فشله التام فى تحقيق تقدم ملحوظ حتى فى ابسط مرافق الحياة .

ولذلك فان البحث العلمي لم يقدم للمجتمعات العربية الفوائد التى جنتها منه الدول الاخرى والتى تجنيها منه باستمرار . ويظهر بجلاء تام ان الفرق بين المجتمعات العربية والمجتمعات المتطورة سيزداد باضطراد مع مرور الزمن ان لم تبادر المجتمعات العربية الى وضع كل ما بوسعها لتفجير وتنظيم طاقاتها الفكرية باسلوب علمي حديث بغية ايجاد اسس سليمة لكافة المشاكل الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية التى تعانيها هذه المجتمعات .

لقد اثبتت تجارب عدد كبير من الدول العربية وغير العربية ان الدول الصغرى تعجز منفردة عن ايجاد الحلول العلمية لمشاكلها المتنوعة والامر يظهر بوضوح تام فى الدول العربية التى تعتبر من البلاد النامية التى لا تتوفر عند كل منها على حدة فى اغلب الاحيان الامكانات البشرية والمادية التى يتطلبها البحث العلمي المتكامل فى كافة فروعه ونشاطاته .

ان الوطن العربي بمناجمه الفكرية وثرواته الطبيعية يملك دون ادنى شك **المؤهلات الاساسية** لتطوير شعبه ورفعه الى مستوى الامم المتقدمة ولجعله يساهم من جديد فى تطوير الانسانية جمعاء ، الا ان **الامكانات الفكرية مبعثرة وغير منظمة** وغير مستغلة لدرجة ان **الوطن العربي يعاني بشدة من هجرة الادمغة الى البلاد المتطورة .**

ولعل من المسلم به فى هذا العصر ان **القوة الحقيقية للبلاد العربية هي القوة الناتجة عن القدرة على الاكتشاف والاختراع والابداع وعلى تحويل ذلك الى منتجات متنوعة يمكن ان تستفيد منها المجتمعات العربية** . ان بلوغ هذه القوة يتطلب فى الدرجة الاولى تنظيم البحث العلمي بشكل يهيىء بيئة ملائمة للكشف والاختراع والابداع على مستوى الوطن العربي .

اننا نؤمن بأن **هذا هو السبيل الوحيد للارتفاع بالعرب الى مصاف الامم الحديثة** . والحقيقة ان تنظيم البحث العلمي على مستوى الوطن العربي سيؤدي حتما الى الاستفادة بشكل فعال من الطاقات الفكرية المبعثرة فى هذا الوطن والتى يهاجر قسم كبير منها وذلك عن طريق جمعها فى مؤسسات مشتركة كما انه سيساعد **على تكوين نواة من الباحثين والعلماء المتخصصين فى مجالات ضيقة من العلوم تؤهل الامة العربية للانفتاح على العالم الحديث بنوافذ عريضة .**

ان تنظيم البحث العلمي على مستوى الوطن العربي سيسمح بتوفير الامكانات المادية اللازمة لبعض انواع البحوث التى كان من المتعذر ان تقوم بها

كل دولة عربية على حدة والتى عجزت الدول العربية عن القيام بها حتى الآن مما جعلها من الدول المتاخرة فى مضمار بعض العلوم مثل الابحاث الذرية والفلكية والطبية والعسكرية ، هذا فضلا عن الروابط المتينة التى ستنشا نتيجة هذا الاحتكاك العلمي بين النخبة المفكرة فى البلاد العربية والتى ستكون بمثابة الركيزة المتينة لاتحاد الدول العربية ولتكوين دولة عربية عصرية تملك كل وسائل النمو والتطور الذاتي وتفيد الانسانية بقدر ما تستفيد منها . هذا ومن الجدير بالذكر ان **تنظيم البحث العلمي** على مستوى الوطن العربي بخلقه مؤسسات علمية رفيعة **سيكون من العوامل الهامة للاحتفاظ بالعلميين** فى الوطن العربي **وحث الاخرين الموجودين** فى الخارج **على العودة الى الوطن** الام للمساهمة فى نموه بعد ان توفرت لهم البيئة العلمية الملائمة لابحاثهم والامكانيات المادية لحياتهم .

اسس تنظيم البحث العلمي

ولبلوغ الاهداف التى حددناها فى الفقرة السابقة نقترح انشاء مؤسسات الابحاث التالية :

- منظمة عربية عليا للابحاث العلمية .
- مراكز ابحاث عربية متخصصة .
- مراكز محلية للابحاث .

وسنهتم فى هذه المذكرة بصورة خاصة بالمنظمة العربية العليا للابحاث العلمية وبالمراكز العربية المتخصصة اذ ان المراكز المحلية للابحاث هي من اختصاص كل دولة على حدة .

المنظمة العربية العليا للابحاث العلمية :

تنشا هذه المنظمة على مستوى الوطن العربي وهي تعتبر الهيئة البحثية العليا فى الوطن العربي وتلحق بجامعة الدول العربية .

أ ــ اهداف المنظمة :

- اعداد خطة الابحاث العلمية واعداد الباحثين على مستوى الوطن العربي .
- لها دور استشاري فى مساعدة الدول العربية الاعضاء فى جامعة الدول العربية على تخطيط سياستها الزراعية والصناعية والتعليمية بحيث تنسجم مع الابحاث العلمية الجارية فى كل بلد عربي من جهة وعلى مستوى الوطن العربي من جهة اخرى.
- انشاء مراكز ابحاث عربية متخصصة فى البلاد العربية .
- تدعيم الصلات بين مراكز الابحاث المحلية فى كل دولة عربية والمراكز العربية المتخصصة والهيئات والمؤسسات البحثية فى الوطن العربي لتنسيق نشاطاتها وتبادل الخبرات فيما بينها .
- الاشراف على تعريب المصطلحات العلمية وتوحيدها بين البلاد العربية (1) وتاليف معجم عصري للمصطلحات العلمية باللغات العربية والانكليزية والافرنسية .
- تنسيق التعاون العلمي والتكنولوجي بين الوطن العربي والهيئات الدولية والبلاد الاجنبية .
- الاشراف على تاليف الكتب العلمية القيمة من قبل الباحثين والعلميين العرب باللغة العربية او باللغات الاجنبية وعلى ترجمة الكتب العلمية العالمية الى اللغة العربية .
- الاشراف على اقامة دوريات تدريبية فى حقول متخصصة من العلوم للعاملين وللذين يهيأون للعمل فى البحوث العلمية فى الوطن العربي .
- نشر ملخصات دورية عن الابحاث المنشورة فى البلاد العربية وفى العالم على ان تكون هذه الملخصات مكتوبة باللغة العربية وباحدى اللغات الاجنبية .

ب ــ صندوق المنظمة :

للمنظمة صندوق خاص يمول بمساهمة الدول العربية الاعضاء فى الجامعة العربية بنسبة الدخل القومي لكل منها .

---

(1) ذلك من اختصاص المكتب الدائم للتعريب بقرار من مجلس جامعة الدول العربية فى دورها العادي الحادي والخمسين (مارس 1969) والمكتب الدائم منكب الآن ضمن تصميمه المشاري على اعداد معجم علمي وتقني عام بثلاث لغات .

ج ـ بنيـة المنظمـة :

تتكون المنظمة من اللجان والمجالس التالية :

ـ مجلـس الـوزراء .

ـ المجلس العلمي للمنظمة .

ـ اللجان المتخصصة .

ج ـ 1 ـ مجلس الوزراء :

يتألف مجلس الوزراء من ممثلين للدول الاعضاء فى الجامعة العربية على مستوى الوزراء المختصين (وزارة التخطيط ، وزارة البحث العلمي) ويشغل رئاسة المجلس ممثلو الدول فيه بشكل دوري .

يختص هذا المجلس بما يلي :

ـ تنسيق العمل بين الحكومات التى يمثلها وبين المنظمة العربية العليا للابحاث بغية تنفيذ القـرارات المتخـذة .

ـ الموافقة على خطة الابحاث الموضوعة من قبل المجلس العلمي للمنظمة والمقترحة من قبـل اللجـان المختصـة .

ـ الموافقة على الميزانية المقترحة من قبل المجلس العلمي للمنظمة واقرارها .

يجتمع المجلس فى دورة عادية فى شهر تشرين الاول (اكتوبر) من كل عام كما يجتمع ايضا بناء علـى طلب المجلس العلمي للمنظمة او بناء على طلب احـد اعضائـه .

يتخذ المجلس قراراته باكثرية عشرة اصـوات من اصل اربعة عشر صوتا وتعتبر القرارات نافـذة وملزمة بالغاية والوسيلة .

ج ـ 2 ـ المجلس العلمي للمنظمة :

وهو يتالف من احد عشر عضوا يعينهم مجلس الوزراء اي أن تعيين الاعضاء يكون جماعيا وينظـر فيه الى اختصاص المرشح للعضوية وكفاءته العلميـة ونزاهته دون النظر الى اعتبار آخر .

ان مدة العضوية هي اربع سنوات يكون العضو فيها بعيدا عن كل تدخل حكومي وكل مساس بحريته ويعاد انتخاب خمسة من اعضاء المجلس كل اربـع سنوات .

للمجلس العلمي رئيس ونائب للرئيس يجـري انتخابهما من قبل المجلس العلمي بالاكثرية العاديـة لمدة اربع سنوات .

تلخص اختصاصات المجلس العلمي فيما يلي :

ـ مناقشة خطة الابحاث المقترحة من قبل اللجان المتخصصة وتنسيقها والقيام باقرار خطة الابحـاث العامة الطويلة الامد والبرنامج السنوي للابحـاث فى مراكز الابحاث العربية المتخصصة .

ـ مناقشة ميزانية الابحاث المقترحـة من قبـل اللجان المتخصصة ووضع الميزانية السنوية للابحاث.

ـ تقديم مشاريع اللوائح التنظيمية التى يراهـا ضرورية لتحقيق اهداف المنظمة الى مجلس الوزراء لاقرارها .

ج ـ 3 ـ اللجان المتخصصة :

وهي لجان مؤلفة من اعضـاء متخصصيـن فى فروع العلوم التى يراد الاهتمام بالتوسـع فى دراستها وتتالف كل لجنة متخصصة من عشرة اعضاء يتـم تعيينهم على غرار تعييـن اعضـاء المجلـس العلمـي للمنظمـة .

تقترح كل لجنة خطة الابحاث الطويلة الامـد الخاصة بها على مستوى الوطن العربي والبرامـج السنوية للابحـاث وتعرضـها على المجلس العلمي لاقرارها .

ويمكن انشاء اللجان المتخصصة التالية :

لجنة الابحاث الطبية ـ لجنة الابحاث الذرية ـ لجنة الابحاث الفضائية ـ لجنة الابحاث الزراعية ـ لجنة الابحاث الجيولوجية ـ لجنة الابحاث الكيميائية ـ لجنـة الابحـاث الحراجيـة ـ لجنـة الابحـاث الفيزيائية ـ لجنة الابحاث العسكرية .

مراكز الابحاث العربية المتخصصة :

وهي مراكز تنشا في بلد عربي معين بناء على قرار صادر عن المنظمة العربية العليا للابحاث العلمية للاهتمام ببحوث متخصصة تهم الوطن العربي او قسم منه وذلك للتخفيف من كثرة التكاليف ولندرة الاختصاصيين بحيث يتطلب الامر تجميعهم في مؤسسة واحدة تخدم مطالب اكثر من بلد ، وتكون هذه المراكز تحت اشراف المنظمة العربية العليا للابحاث العلمية المباشر .

ومن امثلة هذه المراكز التي يمكن انشاؤها في الوطن العربي :

مركز الابحاث البترولية ويمكن انشاؤه في الكويت ـ مركز الابحاث الذرية في الجمهورية العربية المتحدة ـ مركز ابحاث المناطق الجافة في الجمهورية العربية السورية . الخ ..

ادارة المركز العربي المتخصص :

يدير المركز العربي المتخصص مجلس ادارة يتالف من :

ـ رئيس المركز وهو رئيس المجلس

ـ ممثل عن اللجنة المتخصصة في المنظمة العربية العليا للابحاث العلمية .

ـ ممثل عن المركز المحلي للابحاث في البلد الذي يوجد فيه المركز (او ممثل عن الهيئات البحثية المعادلة له .)

ـ ممثل عن الجامعة . (القسم المتخصص) .

ـ رؤساء الاقسام في المركز نفسه .

الميزانيـــة :

ميزانية المركز مستقلة ويساهم فيها البلد الذي يوجد فيه المركز بحدود 15 ٪ والمنظمة العليا للابحاث العلمية بحدود 85 ٪ .

تعييـن الباحثيـن :

يجري تعيين رئيس المركز العربي المتخصص والباحثين من قبل المنظمة العربية العليا للابحاث وذلك دون النظر الى الجنسية بالاستناد الى كفاءته العلمية والخبرة والنزاهة .

الملاك ونظام الترفيع والرواتب :

يضع المجلس العلمي للمنظمة العربية العليا للابحاث ملاكا موحدا لكل المراكز العربية المتخصصة ونظاما موحدا للترفيع للباحثين وجدولا بالرواتب والتعويضات الخاصة بالباحثين والموظفين والعاملين في هذه المراكز .

المراكز المحلية للابحاث :

وهي مؤسسات للابحاث العلمية تنشا في كل بلد عربي تكون مسئولة عن اجراء الابحاث العلمية المتنوعة التي تخدم التنمية في الدولة .

وتحتوي هذه المراكز على اقسام الفروع للعلوم المتنوعة :

قسم الابحاث الزراعية وقسم الابحاث الحراجية وقسم الابحاث الجيولوجية وقسم الابحاث الطبية وقسم الابحاث الكيميائية الخ ...

ان كل دولة حسب امكاناتها المادية والبشرية وحسب حاجتها يمكنها ان تركز اهتمامها على قسم معين من الابحاث اكثر من غيره الا انها تستطيع ان تستفيد من المراكز العربية المتخصصة للابحاث لايجاد الحلول لمشاكلها التي لا تستطيع ان تجد لها حلا بنفسها اما لاسباب مادية او لندرة الاختصاصيين او غير ذلك .

ومن هنا تبرز اهمية المراكز العربية المتخصصة للابحاث في دعم المراكز المحلية للابحاث وفي دعم خطط التنمية عند حكومات الدول العربية

ومن الجدير بالذكر بأن هذه المراكز المحلية للابحاث العلمية يجب ان تعمل بانسجام تام مع الابحاث العلمية التي تجري في الجامعات ولذلك فاننا نقترح ان يوجد ممثلون عن الجامعات في مجالس ادارة هذه المراكز وفي اللجان المتخصصة المتفرعة عنها

التعريب أهم وسائل تقدمنا العلمي

الدكتور عبد الغني ماجد السروجي

تفضل الاخ الدكتور فاتحف «اللسان العربي» بهذه المحاضرة القيمة التي القاها في المؤتمر العربي السادس لطب الاسنان ببغداد ونحن ننشرها شاكرين :

شكا الوزير ابو طالب العلوي آثار بثر في جبهته الى الحكيم ابن سينا ونظم شكواه شعرا وانفذه اليه :

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه
وغرس انعامه بل نشء نعمته
يشكو اليه ادام الله مدته
آثار بثر تبدى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مغتنما
شكر النبي له مع شكر عترته

فاجاب الشيخ الرئيس من ابياته ووصف في جوابه ما كان به برؤه من ذلك فقال :

الله يشفي وينفي ما بجبهته
من الاذى ويعافيه برحمته
اما العلاج فاسهال يقدمه
ختمت آخر ابياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من
دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره الا الخفيف ولا
يدني اليه شرابا من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد معتصرا
فيه الخلاف مدافا وقت هجعته
ولا يضيق منه الزر مختنقا
ولا يصيحن ايضا عند سخطته
هذا العلاج ومن يعلم به سيرى
آثار خير ويكفي امر علته

انها شكوى مريض ... ! وصفة طبيب لم تكتب بالصيغة اليونانية ولا السريانية ولا الفارسية وانما كتبت باللغة العربية .. وبلغة الاحساس المرهف بلغة الشعر ... لقد كان ابن سينا على علم باللغات الاعجمية ولكنه لم يصف علاجه الا بالتعابير العربية التي اتقن علمه بها وحبر كتبه فيها فترجمت الى معظم لغات العالم وظلت زهاء ستة قرون المرجع العالمي في الطب ، واستخدمت كأساس للتعليم في جامعات فرنسا وايطاليا وظلت تدرس في جامعات مونبلييه حتى اواخر القرن التاسع عشر ...!

وانه لمن دواعي البشر ان استوحي من كلمات طبيبنا العظيم القوة على معالجة موضوع نحن في امس الحاجة اليه إنه تعريب مصطلحاتنا الطبية وان شئت فقل نقل علومنا الطبية . وقد كان لي شرف المثول على هذا المنبر في مؤتمرين اثنين الاول في بيروت والثاني في عمان وقد اتخذت فيهما التوصيات

والقرارات التى تناسب ما نحن بصدد بحثه آنذاك على ان تلتزم به الحكومات العربية وتنسق العمل المؤدي اليه والى حسن تنفيذه .

ودارت الايام واقف اليوم للمرة الثالثة لا لاردد ما قلته فى المرة الاولى على لسان المتنبي :

ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان

ولكن لاقول كلمتي فى هذا الشان يحفزني الى القائها عروبة جبلت بدمي وايمان بان الفرصة مؤاتية ليكون لاطباء الاسنان العرب اول منطلق لهم نحو تامين نقل علومهم بالجهد والصبر والتنظيم فنحذو بذلك حذو الاقوام التى تحترم نفسها وتحافظ على لغتها وكرامتها .

واحمد الله ان سهل لنا هذا اللقاء الاخوي فالف بين قلوبنا وقابل بيننا لنتبادل الراي ونتداول البحث والمشورة ، فندني الينا علم الانسانية ليكون عونا لنا على خدمة شعبنا من عنت المرض وصولة الداء.

ولكني اتساءل كيف يمكن ان ندني علم الانسانية الينا ؟

وكيف يمكن ان ناخذه وننقله ونتفاعل معه ونبتكر فيه ؟

ان الامر ميسور لتحقيق ما نسأله فقد افاء الله على امتنا العربية بكثير من العلماء الافذاذ الذين اتقنوا علمهم فى وطنهم واختصوا بجزء منه فى البلاد الاجنبية وقدمت لهم المساعدات المستطاعة ليقطفوا الثمار الضرورية لنهضة علمنا العربي وليكونوا اهلا للبحث والارشاد .

وعلى الرغم مما يظهره بعضهم من كبرياء وصلف على ثقافات غيره ، وادعائه بان يكتفي بالمنهل الذى نهل منه ، على الرغم من كل ذلك فهناك فئة واعية لمتطلبات وطنها وحاجاته ، تود ان لا تتأثر شخصيتنا الى الحد الذى يفقدها اصالتها لدرس بضع سنين فى بقعة من هذا العالم لا يجيز لنا ان نعتمد فى راينا واقوالنا وسلوكنا على ما رأينا وسمعنا فى التالها وتتناسى ما لنا من تقاليد وعادات .. ولعل لهؤلاء البعض عذرهم ان تنكروا لذواتهم ... بيد انه لا عذر لهم ابدا ان هم وازنوا بين مستوى الامة التى درسوا عنها او فيها ... وبين مستوى بلادهم لان عليهم رسالة يجب ان يؤدوها الى اهليهم والى وطنهم والى شعبهم ، واهم ما فى هذه الرسالة هو نقل العلوم التى اختصوا بها الى لسانهم الاصلي ليبنوا مع البنائين لبنات حضارتنا العربية وستكون باذن الله منارا للانسانية ورحمة للعالمين ...

وانني اقول لزملائنا الكرام الذين كانت جل يترك راسه حيث تعلم وقدمه حيث يعيش ... وانه لمن الغريب حقا ان يتنكر احد للغته وينفر عن تاريخه ومقدساته ويترك الياس يدب الى قلبه يوهن من عزائمه يتالف ويتضجر ولا يضع الحلول البناءة التى تخرجنا مما نحن فيه ولله در شوقي حين قال :

مثل القوم نسوا تاريخهم
كلقيط عيي فى الناس انتسابا
او كمغلوب على ذاكرة
يشتكي من صلة الماضي انقضابا

وانني اقول لزملائنا الكرام الذين كانت جل دراستهم بلغة اجنبية ان يمارسوا الترجمة والتعريب وان ينموا احساسهم بتذوق مصطلحات لغتهم العربية ليكون مجهودهم مثمرا مفيدا عظيما واني اعتقد ان من واجبهم ان يترجموا كما ان من واجب الدولة ان تنتقي منهم المترجمين المبرزين لتدفع رواتب سخية كما كان ايام المامون فيحكى عنه انه كان يدفع رواتب خيالية لكبار المترجمين،اذ يقال ان راتب كل من حنين بن اسحق وحبيش الاعسم وثابت بن قره بلغ خمسمائة دينار فى الشهر، وهو مبلغ لا نكاد نتصوره لمترجم حتى يومنا هذا . ويقول ايضا انه كان يوزع فى كل اسبوع يوم الثلاثاء جوائز عن الاعمال العلمية والادبية الممتازة . واصبحت الكتابة والاشتغال بالعلوم والآداب من اعظم المهن حتى لقد ذاع المثل القائل : الكتابة اشرف المهن بعد الخلافة .

لقد سمعتم حتى الآن محاضرات عديدة باللغة العربية ، فهل شعرتم بغرابة او استهجنتم احداها ام انكم وجدتم فيها لذة ومتعة ووقعا محببا الى نفوسكم .

الا تتمنون معي ان تكون لكم القدرة على الاداء بهذه اللغة الحبيبة ؟. قولوا بربكم الم تمازج نفوسكم وتهفوا اليه افئدتكم ؟

اننا وايم الحق يجب ان نعرف واقع لغتنا الذى هو **استمرار لواقع لغوي** سبقه مع وجود اختلاف هين بين كلا الواقعين ، شان الكائن الحي المتطور يفيد من تقدم الزمن ، ومن صلاته بالآخرين واؤكد لكم ضرورة رعاية هذا الواقع اللغوي فى الوطن العربي وتناوله بالدراسة على ضوء ما سبقه مما ورد موصوفا فى المراجع لتكتمل بذلك حلقات اللغة الفصحى ، ونحس نحن العرب اننا امة ينبغي ان تعتز بماضيها اذا كانت تريد ان تعز فى حاضرها ونؤمن بان الفصحى التى حملها العرب الاولون ليفتحوا بها اوطانا ويغزوا بها لغات ورطانات فى الشرق والغرب **هي الرابطة الوحيدة التى يمكن ان تجمع العرب فى** كل مكان ، وقد اورد المفكر الفرنسي الكبير الاستاذ جاك بيرك فى محاضرة له على مدرج جامعة دمشق خلال شهر تشرين الثاني 1967 قوله « **ومن الثوابت ايضا اللغة** واقول : ان التفسيرات الاقتصادية اذا كانت تنكر اهمية اللغة ، فليس ذلك ممكنا لواحد مثلي عاش مع الحضارة العربية ، ووجد ان اللغة العربية تضمن منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى اليوم البنى ذاتها ، تلك البنى اللغوية التى هي فى الوقت ذاته بنى معنوية او خلقية واجتماعية فمن **حق المجتمعات العربية ان تكافح فى سبيل الحفاظ على لغتها الاصلية** بصورة خاصة . وما يمسكها بهذه اللغة الا نوع من التعلق بما اسميه الثوابت التى تمكننا من اجراء بعض التبدلات حسب ضرورات كل عصر » .

اسمحوا بدعوتكم لسماع نص صغير لوصف تشريح الغزالة فى كتاب حي بن يقظان لابن الطفيل الاديب والطبيب الاندلسي اذ يقول :

(فصار لا يدنو اليه شيء منها سوى الظبية التى كانت ارضعته وربته ، فانها لم تفارقه ولا فارقها، الى ان اسنت وضعفت ، فكان يرتاد بها المراعي الخصبة ، ويجتني لها الثمرات الحلوة ويطعمها .

وما زال الهزال والضعف يستولي عليها ويتوالى الى ان ادركها الموت ، فسكنت حركاتها بالجملة وتعطلت جميع افعالها ...

فلما نظر الى جميع اعضائها الظاهرة ولم يرى فيها آفة ظاهرة ـ وكان يرى مع ذلك العطلة قد شملتها ولم يختص بها عضو دون عضو ـ وقع فى خاطره ان الآفة التى نزلت بها ، انما هي فى عضو غائب عن العيان ، مستكن فى باطن الجسد ، وان العضو لا يغني عنه فى فعله شيء من هذه الاعضاء الظاهرة . فلما نزلت به الآفة عمت المضرة وشملت العطلة ، وطمع لو انه عثر على ذلك العضو وازال ما به ، لاستقامت احواله وفاض على سائر البدن نفعه ، وعادت الافعال الى ما كانت عليه ...

فعزم على شق صدرها وتفتيش ما فيه ، فاتخذ من كسور الاحجار الصلدة وشقوق القصب اليابسة ، اشباه السكاكين وشق بها بين اضلاعها حتى قطع اللحم الذى بين الاضلاع. وافضى الى الحجاب المستبطن للاوضاع فرآه قويا ، فقوي ظنه بان مثل ذلك الحجاب لا يكون الا لمثل ذلك العضو بانه اذا تجاوزه لقي مطلوبه فحاول شقه ، فصعب عليه لعدم الآلات ولانها لم تكن الا من الحجارة والقصب فاستجدها ثانية واستحدها وتلطف فى خرق الحجاب حتى انخرق له ، فافضى الى الرئة فظن اولا انها مطلوبه فما زال يقلبها ويطلب موضع الآفة بها ...

وجرد القلب فرآه مصمتا من كل جهة فنظر هل يرى فيه آفة ظاهرة ؟ فلم ير فيه شيئا فشد عليه يده فتبين له ان فيه تجويفا ، فقال لعل مطلوبي الاقصى انما هو فى داخل هذا العضو وانا حتى الآن لم اصل اليه فشق عليه فراى فيه تجويفين اثنين : احدهما من الجهة اليمنى والآخر فى الجهة اليسرى والذى فى (الجهة) اليمني مملوء بعلق منعقد والذى فى (الجهة) اليسرى خال لا شيء فيه فقال :

لن يعدو مطلبي ان يكون مسكنه هذين البيتين » .....

... انها وربي الجزالة والفصاحة والعلم ، فما **احلى هذا الجرس واقوى هذا البيان واشرق هذه المعاني ، فهل نترك هذه اللغة القوية لنلحق بالرطانات الاعجمية** . فتعالوا يا اخواني لنرجع الى فصحانا نفيها الخير العميم ؟ ....

نحن لم نعدم الرجال المخلصين والعلماء النابغين من ذوي الاناة والهدف البعيد الذين قدموا الحلول البناءة لياخذ العلم العربي مجراه ويصبح مسايرا

لنهضة العلم العالمية فاقروا مبدأ الترجمة والتعريب وترجموا حسب امكانياتكم الفردية مصطلحاتنا العلمية واستنكروا تلك الصيحات التى تعزو الى اللغة العربية قصورها عن احياء كلمات تنسجم مع هذه المصطلحات او توليد كلمات لها معان تلبي حاجة تطور العلم الذى يطالبنا كل يوم باختراع جديد وكشف حديث .

ومن نافلة القول ان نتجاهل واقعنا اللغوي الخالد واقع العربية الفصحى التى نصوغ بها شعرنا ونثرنا وحديثنا الجاد وحياتنا الراقية ، العربية التى فرضت وجودها منذ وجدت واستوت على المثال الذى ندرسه وننطقه فمنذ فجر التاريخ هذه اللغة لم ينقطع حتى الآن استعمالها من الالسن الناطقة بالضاد وساعد على استمرار هذا الوجود ذلك التراث الادبي العظيم وفى قمته **القرآن الكريم ، تلكم المعجزة البيانية الخالدة التى كفلت للفصحى دوامها وبقاءها** بدلا من تفرقها الى لغات شتى ، كما منحتها استقرارا فى الصورتين اللفظية والتعبيرية على مدى القرون وليس من المقبول ان يقال بان حديثنا العربي لغة متكلفة مصنوعة بل هو عادة وسجية تناولتها يد التعليم والتربية بالتهذيب والتعديل فهي عملية لابد منها لكل ناطق بلغة حية . فالانكليزي مثلا يتلقى من ابويه لغة الحديث الجارية ولكنه يهذب نطقه ويقوم لسانه فى مراحل التعليم المختلفة ليستطيع دراسة آداب لغته ومواصلة البحث العلمي بها . . ولا يمكن القول بأن الطريقة التى يلقنها الطفل فى الريف الانكليزي هي الصورة المثالية لنطق الانكليزية التى يريدها المجتمع الانجليزي للغته وللناطق بها ، وكذلك اللغة الروسية والفرنسية والالمانية وغيرها . ولا يمكن القول بأن اللغة المدروسة فى معاهد التعليم هناك مصنوعة متكلفة لمجرد اختلاف ما بينها وبين سابقتها .

لا احب ان يفهم من قولي انني امج تعلم اللغات الاجنبية ولكني احب أن اقرر ان **الضرورة ملحة لاتقان اللغات على اختلافها وان تكرس كلها لانماء مداركنا وابحاثنا العلمية التى شحت مياهها وهي بحاجة الى روافد .**

طالعت فى الصحف من زمن قريب توصيات اللجنة الصحية الدائمة لجامعة الدول العربية فكان من جملة هذه التوصيات ان تهيىء الدول العربية جميع الاجراءات الكفيلة **بجعل اللغة العربية لغة التعليم الطبي وفسح المجال لطالب الطب لاتقان لغة اجنبية واحدة على الاقل تساعده على متابعة العلم وتطوره** . والعمل على تنسيق نظم التدريس بين مختلف البلاد العربية وتبادل المدرسين بين البلاد العربية حسب الامكانيات وايجاد اتحاد لكليات الطب فى البلاد العربية يسعى الى تحقيق هذه التوصيات .

لا تتحقق هذه التوصيات بالنسبة لنا الا بتوحيد جهودنا على مستوى وطننا العربي الكبير وعلى الخصوص البلاد التى تملك كليات لطب الاسنان وذلك بانشاء **مؤسسة علمية لطب الاسنان** لانها ضرورة من ضرورات بحثنا العلمي الحديث لان عددا كبيرا من العلماء فى شتى انحاء العالم ينشرون تيارا ضخما من المعلومات حول ابحاثهم . وهذه المعلومات ترسل عادة على شكل تقارير ونشرات واوراق ومقالات ومجلات ، وان تطور بحوثنا وتشعبها جعل الاطلاع على ما يجري من ابحاث البلدان الاخرى ضرورة لابد منها ، هذه الضرورة بالذات تدفعنا الى وضع برنامج خاص بالترجمات العلمية ، حتى يتسنى للمترجمين ترجمة هذا السيل من الابحاث العلمية الواردة من الجامعات العلمية من الشرق والغرب على السواء . ولا اكون مخطئا اذا قلت انه لا يصلح علم آخر هذه الامة الا بما صلح به علم اولها فان دار الحكمة التي انشاها المأمون التى كانت **مكتبة ومؤسسة للترجمة** كانت اجمل هدية تتفق ومزاج الجمهور العربي فى ذلك التاريخ. ونعلم ان دور الكتب العربيةفى ذلك الوقت نمت فى كل مكان نمو العشب فى الارض الطيبة ففى عام 891 م احصى مسافر **عدد دور الكتب العامة فى بغداد باكثر** من مئة . وبدأت كل مدينة تبني لها دارا للكتب يستطيع اي انسان استعارة ما يشاء منها وان يجلس فى قاعات المطالعة ليقرأ ما يريد ، كما يجتمع فيها المترجمون والمؤلفون فى قاعات خصصت لهم يتجادلون ويتنافسون كما يحدث اليوم فى ارقى الاندية العلمية.

فمكتبة صغيرة كمكتبة النجف فى العراق كانت تحوي فى القرن العاشر اربعين الف مجلد بينما لم تحو اديرة الغرب سوى اثني عشر كتابا ربطت بالسلاسل خشية ضياعها . وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة ، بل انه كان لكل مستشفى يستقبل زواره قاعة صفت على رفوفها **الكتب الطبية** الحديثة الصدور تباع لتكون **مادة لدراسة الطلاب ومرجعا للاطباء** ، يقفون منه على آخر ما وصل اليه العلم الحديث . فاين هي تلك المكتبات الحافلة بالكتب العربية . . . الكتب التى لم تكن مطبوعة على آلة بل

نسخت باليد وبذل فيها كاتبوها مجهودا مضنيا دام شهورا طويلة واحيانا بضع سنوات ، ولم تكن تلك الكتب رخيصة الثمن فقد تقاضى ابن الهيثم مثلا 75 درهما اجرا لنسخ مجلد من مجلدات اقليدس ، وهو مبلغ لا يستهان به عاش منه ابن الهيثم ستة اشهر . ولقد ترك ابن الجزار الطبيب والرحالة القيرواني عند وفاته 250 طنا من لفائف رق الغزال التى كتبها بنفسه .

هكذا كانت مؤسسات الترجمة والتعريب عند اجدادنا فهل اعددنا مثلها ؟

وهل فى مكنة امة ناهضة ترغب فى مسايرة العصر ان تتخلف من ادراج علم العالم الى لغتها ليكون العلم فى متناول كل شغوف بالمطالعة والبحث . وجل ما يميزنا فى الوقت الحاضر عن اجدادنا انهم وجدوا علما سابقا فاقبلوا على نقله ثم زادوا عليه واذابوه فى بوتقة علمهم وعبقريتهم ورفدوا الانسانية بابتكاراتهم وابحاثهم .. اما نحن فنجد علوما تسير معنا وتسبقنا فلذا كان من الضروري الاطلاع عليها وعلى كل ما يصدر منها لنا بعدئذ جولات فى مسيرة الحضارة الحديثة .

ومما يلاحظ فى زمننا الحاضر ان الاختصاص اخذ يلعب دورا هاما فى تطور الامم ، وعلى الامم التى ترغب بالبقاء والاستمرار ان تتجه كليا نحو **التخصص العلمي** فى شتى ميادينه **والانسان المختص فى عالم اليوم هو الرجل الذى يعرف كثيرا وعليه ان يقرأ الكثير** مما يكتب حول حقل معين من ميدان اختصاصه والا فلا يمكن اطلاق اسم (الاختصاص) على علمه وبحثه .

ولكن هناك صعوبة تواجه الاختصاص فى شتى البلدان وهي ان الابحاث العلمية التي تنشر تكون عادة مكتوبة بلغات مختلفة متعددة ولا يمكن لعالم مهما كان عظيما ان يتجاهل ابحاث ومكتشفات العلماء الآخرين ...

وكذلك لابد ان يعمل **برنامج للترجمة والتعريب على نقل شتى الابحاث العلمية الجارية الى اللغة العربية** ووضعها تحت تصرف العلماء الباحثين فى شتى المخابر والمراكز والمعاهد والجامعات العربية . **ولابد ان يكون لهذا البرنامج استقلال ذاتي** يحشد فيه اكبر عدد من العلماء المختصين بالترجمة ولابد من ايجاد جماعات تتكلم لغات اجنبية متعددة نستطيع ان نترجم عددا كبيرا من الوثائق والابحاث الاجنبية . وان يكون هؤلاء المترجمون فى مستوى علمي لا يقل عن مثيلهم فى البلاد الاخرى.

ولما كان من الصعب ان يوجد عالم واديب فى آن واحد ، ومن الصعب ايضا ان يوجد مترجم مارس البحث العلمي فى لغتين مختلفتين فى آن واحد لهذا السبب فان مخطوطة الترجمة بعد ان ينتهي منها المترجم يجب ان تحول الى قسم التحرير لينظر فيها قبل ان تدفع الى المطبعة فتمر على قسم التحرير العلمي حيث يعاد النظر بالتعابير العلمية التى تتطلب الدقة وقد يستدعى المترجم للادلاء ببعض الايضاحات والاتفاق معه على المصطلحات عندها تحول المخطوطة الى القسم الادبي حيث تجري التصحيحات بالاتفاق بين كل من المحرر الادبي والعلمي .

ولكي نقضي على الفوضى فى وضع المصطلحات العلمية والطبية او التخلص من اوصابها واوشابها يجب حصر جميع المصطلحات التى وضعت وانتخاب الاصلح منها وان تؤلف **لجنة من البلغاء** يجرون هذا الانتخاب وان تكون المعاجم الموجودة حاليا هي المنطلق الاول فى ذلك كالمعجم الكثير اللغات من الافرنسية الى العربية ومعجم يوسف حتى من الانكليزية الى العربية او اعتماد قاموس الاتحاد الدولي لطب الاسنان (Dental Lexicon) وغيرها .

ولابد كذلك ان نقف على كثير من الابواب التى طرقها كتابنا وادباؤنا الاولون لناخذ من تعابيرهم ما يخدم مجريات علمنا الحديث ويعزز لغتنا ويقويها . فاسمحوا لي ان اسمعكم شيئا مما ذكره الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين قال :

« قال صحت التجربة وقامت العبرة على ان سقوط جميع الاسنان اصلح فى الابانة عن الحروف، منه اذا سقط اكثرها وخالف احد شطريها الشطر الآخر .

وقد راينا تصديق ذلك فى افواه قوم شاهدتهم الناس بعد ان سقطت جميع اسنانهم وبعد أن بقي منها الثلث أو الربع .

وكان عبد الله بن ابي غسان ظريفا يصرف لسانه كيف شاء ، وكان الالحاح على القيء قد برد اسنانه ، حتى لا يرى أحد منها شيئا الا ان تطلع في لحم اللثة او في أصول منابت الاسنان .

وكان سفيان ابن الابرد الكلبي كثيرا ما يجمع بين الحار والضار فتساقطت اسنانه جمع ، وكان في ذلك كله خطيبا بينا .

« وقال اهل التجربة ، اذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الاسنان تشمير وقصر سمك (التشمير : التقليص ، والسمك بالفتح الارتفاع) ذهبت الحروف وفسد البيان » .

كما يجب ان تقوم لجنة ثانية بحصر المصطلحات العربية المبثوثة في معاجم اللغة العربية وارى ان يكون الانطلاق من كتاب المخصص لابن سيده وكتاب خلق الانسان لابن ثابت وما يشبههما .

ولابد أن تاخذ هذه اللجان بعين الاعتبار اصول التعريب من حيث التعريب اللفظي او المعنوي او توليد معان جديدة او نحت كلمات جديدة . ولا يجوز أن ننحت كلمة الا اذا اعيتنا وسائل اللغة عن ايجادها في بطون القواميس وعلى سبيل المثال لقد ترجمت كلمة (La Pyorrhée) او Parodontium) او Periodonitum) بكلمة (الرعال) واعتمد في ذلك على نحت كلمة (رعل) التي ترمز حروفها الراء الى الرباط والعين الى العظم واللام الى اللثة .

فلو نتحت القاموس – وليكن قاموس المحيط للفيروز آبادي – لوقفت في هذه الكلمة على تفسير طويل لها من معانيها : مثلا رعله كمنعه طعنه طعنا شديدا ، والرعل انف الجبل ومن الرجل ثيابه ويقال لما تهدل من الثياب ارعل وكذا ما انثنى من العشب وطال الخ ...

اذن هناك معنى لهذه الكلمة ولا يجوز أن ننحت كلمة لها اصل في اللغة .

اما لو اعتمدنا كلمة النساع : الفيناها مشتقة من نسع كمنع او نساع ونسوع ونسعت الاسنان كمنع نسعا ونسوعا : انحسرت اللثة واسترخت ، كنسعت وثنيتاه خرجتا من العمر والمراة نسعا ونسوعا طال ظهرها او سنها او بطنها . وهذا المعنى قريب من المعنى المطلوب .

ولنأخذ مثلا آخر لما ورد ذكره على لسان العرب :

فلو رتبت الاسنان كما نطق بها العرب لاصبح هذا الترتيب على النحو التالي :

الثنية والرباعية والناب والضاحك والعارض والطاحن والرحى والناجد وهذه الاسماء خير من الاسماء المركبة .

ولو اخذت كلمة **القصم** لامكن استعمالها في انكسار السن عرضا . فيقال : رجل اقصم الثنية وامراة قصماء من قوم قصم .

وكذلك كلمة **الانقياص** لامكن استعمالها لانشقاق السن طولا فيسقط نصفها او بعضها . وكلمة **القضم** فيقال قضمت اسنانه تقضم قضما ، وذلك اذا انكسرت اطراف اسنانه وتفللت .

وكلمة **الحبر** : وهو صفرة تركب الاسنان ، فاذا كثرت وغلظت ثم اسودت او اخضرت فهو القلح وامراة قلحاء وقوم قلح .

وهناك كلمات لا حصر لها يمكن الاستفادة منها او احياؤها وليس لدي وقت كي أسترسل في سردها وبيان جمالها وتوافقها واني اختم كلامي بابيات لابن سينا حكيمنا العظيم يقول فيها :

هذب النفس بالعلوم لترقى
وذر الكل فهي للكل بيت

انما النفس كالزجاجة والعلم
سراج وكلمة الله زيت

فاذا اشرقت فانك حي
واذا اظلمت فانك ميت

والسلام عليكم ورحمة الله .



لقد استقر الراي العلمي اليوم عند مؤرخي الحضارات القديمة على ان الحضارة الانسانية الام التي نشأت فيما قبل التاريخ انما هي حضارة « مثلث الحضارة القديمة » كما سماه جورج شفاينفورت Georges Schweinfurth ويعني به اليمن وحضرموت على راس المثلث ، ووادي النيل في مصر في احد ساقيه ، واراضي الرافدين في العراق في الساق الثاني ، وما بين هذين الساقين في بلاد الشام (1) في قاعدة المثلث .

كما استقر الراي العلمي على ان هذه الشعوب كلها :

ا ــ ترجع الى اصول عربية لا شك فيها .

ب ــ وانها نزحت تحت ضغط عوارض الطبيعة في جنوبي الجزيرة العربية عندما اشتد جفافها وضاقت عن أهلها .

ج ــ وان هذه الشعوب خرجت الى مناطق هجرتها متحضرة ومالكة لناصية الحضارة ، ولذلك تشابهت حضاراتها في اصولها .

د ــ بل جزم علماء الآثار اخيرا اعتمادا على دراساتهم العلمية في السنوات الاخيرة في البلاد العربية ، وذهبوا الى ابعد من ذلك وقالوا : استطاعت الابحاث الاثرية ان تعد خمس موجات منها ، وان تؤكد ان ءاخرها واقواها كانت موجة العرب المسلمين قبل اربعة عشر قرنا ، **وانه لا ريب قد سبق هذه الهجرات العربية التاريخية الخمس هجرات عربية قديمة اخرى قبل التاريخ : امتدت على افريقية** الشمالية والبلقان وايطاليا واسبانيا وفرنسا وايرلندا وبلاد الشمال (2)، بل ذهبت مجلة « اللسان العربي » في العدد الثالث منها الصادر في شهر آب من سنة 1965 ، وفي الصفحة 130 الى ما يدل على ان القرطاجيين الكنعانيين ــ البونيين ــ قد وصلوا الى البرازيل في خط هجرتهم القديمة في مطالع التاريخ ، وهذا ما قد اثبتته البحوث العلمية الحديثة : من وصول العرب الى امريكة في مطالع العهود التاريخية (3) .

والمشكلة التي اعترضت هذا الجزم هي :

ا ــ اذا كانت الحضارة الانسانية الام انما انطلقت من جزيرة العرب .

---

1) كلمة « الشام » تعني بلاد الشمال من شبه الجزيرة العربية ، وهي تشمل اليوم ما هو معروف بفلسطين والاردن وسوريا ولبنان .

2) « مجلة الحوليات الاثرية السورية » ، المجلد السابع سنة 1957 ، الصفحة 4 ، الدكتور سليم عبد الحق مدير الآثار ؛ وكتاب « الايتروسك في غربنا وفي اصولنا الفرنسية » لمؤلفه الفرنسي « هيليردو بارانتون « Les Etrusques en notre Occident et nos origines françaises » طبع باريس سنة 1946 ، المكتبة الشرقية والامريكية لصاحبها « ميزون نوف G. P. Maisonneuve الصفحة 1 ، وكتابنا « قلعة طروادة التاريخية » طبع بيروت سنة 1964 ، مكتبة لبنان ، الصفحات 54 ، 56 ، 61 ، 71 .

3) انظر كتابنا « المدخل الى التاريخ العام للقانون » الطبعة الثانية ، طبع دار الفكر بدمشق سنة 1963 ، الصفحة 541 .

ب ــ واذا كانت كلمة « العرب » ومادتها كما جاءت في اللغة العبرانية السامية انما تدل فقط على الصحراء والجفاف والبدو (1) .

ج ــ واذا كانت الحضارة لا يمكن ان تنشأ في صحراء جافة ، المخيف والحال كما ذكرنا يمكن الجزم بنشوء الحضارة الانسانية الام في جزيرة العرب الصحراوية الجافة ؟ ، فان هذا مما يتنافى مع شروط الحضارة .

وللجواب على ذلك لابد من الاشارة الى البحوث العلمية الحديثة الجازمة التالية :

اولا ــ نظرية البحاثة « كيتاني » حول انواء جزيرة العرب فيما قبل التاريخ ، وانها كانت اجواء ممطرة ، وان ارضها كانت ممتلئة بالانهار .

ثانيا ــ معنى كلمة « العرب » ومادتها في اللغة العربية الفصحى المؤيدة لذلك .

ثالثا ــ بطلان مزاعم العبرانيين فيما سجلوه في كتب لغتهم من معنى لكلمة « العرب » ومادتها : من انها تعني الصحراء والجفاف والبدو .

رابعا ــ نصوص من التاريخ القديم الدالة على رطوبة الجزيرة العربية فيما قبل التاريخ .

خامسا ــ نصوص القرآن الكريم عن انواء الجزيرة الممطرة في عهد العرب البائدة ، وكثرة الانهار في أراضيها .

سادسا ــ واخيرا نصوص الحديث النبوي في ذلك ايضا .

نظرية البحاثة كيتاني Ceatani

لقد دلت البحوث والدراسات الحديثة التي قام بها السياح والعلماء عن بلاد العرب على ان تغيرا كبيرا قد طرأ على جوها ، وان هذا الجفاف الذي يكتنف هذه البلاد في ازماننا لم يكن على النحو الذي نعرفه في العصور التي سبقت الاسلام كثيرا (2) .

وكان للبحاثة « كيتاني Ceatani » الفضل في لفت انظار العلماء الى هذه الظاهرة الهامة : ظاهرة التغير الذي طرأ على جو بلاد العرب ، والجفاف الذي حل بها في اواخر الدورة الجليدية الرابعة الاخيرة .

ففي الوقت الذي كانت فيه معظم النواحي الاوربية وشمالي آسية تغطي الثلوج ارضها ، كانت جزيرة العرب ذات جو معتدل ، وامطار غزيرة ، واشجار وزروع . . ثم اخذ الجو يتغير في بلاد العرب، نفقد الجو رطوبته ، وسارت البلاد فيها بصورة مستمرة وبطيئة نحو الجفاف منذ اكثر من اربعة عشر الف سنة ، فاثر ذلك بالطبع في حياة سكانها وفي حياة حيواناتها ونباتاتها : فانقرض ما لم يتمكن من تكييف نفسه مع المحيط الجديد ، وظهرت الحاجة الى الهجرات ، فكانت الهجرات التي نتحدث عنها الآن، وخاصة بعد ان جفت انهار الجزيرة وتركت لنا آثارها وهي الاودية ، وقد كان بعضها انهارا عظيمة في وقت من الاوقات (3) .

وقد تصور « كيتاني » بلاد العرب في الدورة الجليدية الاخيرة جنة بقيت محافظة على بهجتها ونضارتها مدة طويلة ، وكانت سببا في رسم تلك الصورة البديعة في مخيلة كتاب التوراة عن « جنة عدن » ، وأن جنة عدن المذكورة في العهد القديم هي هذه الجنة التي كانت في نظر « كيتاني » في داخل بلاد العرب (4) ، والتي يقول عنها في الجملة : انها بلاد كانت كثيرة الامطار ، وكثيرة الانهار ، وكثيرة الاشجار .

ويؤيد هذه البحوث العلمية ان كلمة « العرب » وجميع مادتها ومشتقاتها انما تدل :

ــ على المياه الكثيرة ، الصافية ، الشديدة الجريان .

ــ او على الانس وعلى الصفاء الملازمين للمياه الكثيرة الصافية .

وهكذا فاننا نورد فيما يلي موجزا عن هذه المعاني في معاجم اللغة العربية :

---

1) تاريخ العرب ، لجواد علي ، الجزء الاول طبع بغداد سنة 1951 ، الصفحة 173 ، وكذلك تاريخ العرب مطول ، لفليب حتي ، الجزء الاول ، طبع بيروت سنة 1958 ، الصفحة 53 .
2) تاريخ العرب لجواد علي ، الجزء الاول ، الصفحة 97 ، طبع بغداد سنة 1951 .
3) تاريخ العرب السابق ، الجزء الاول ، الصفحات 158 ــ 159 .
4) نفس المرجع السابق ، الصفحة 159 .

— « العربية » النهر الشديد الجري ، وجمعهما « عربات » . وما كان المكان ليصلح منزلا للقوم الا اذا كان فيه ماء ، ولذلك كثرت الامكنة التي حملت في جزيرة العرب اسم « عربة » مثل باحة اسماعيل في مكة ، فقد سميت « عربة » لوجود ماء زمزم فيها ، وهكذا لم تلبث صيغة الجمع لكلمة « عربة » اى عربات ان اصبحت علما فى اللغات العربية القديمة على مهد العرب فى جزيرتهم لكثرة المياه والانهار فيها ، والى هذا الاسم نسبوا وسموا عربا باسم بلدهم « العربات» ولا لمعنى « البداوة والجفاف والصحراء » كما نقل عن العبرانيين (1) .

— و « العربات » سفن رواكد كانت على مياه دجلة .

— و « العرب » الماء الكثير الصافي .

— و « والاعراب » الذين يرتادون الكلا ويتتبعون مساقط الغيث ومظان المياه ، لا مناطق الجفاف والصحراء .

— و « التعريب » الاكثار من شرب الماء الصافي

— و « عرب البئر » كثر ماؤها .

— و « اعرب بحجته » اذا افصح بها حتى عبرت عما يريد ، وكانها اصبحت كالماء الصافي الذي لا لا يخفي ما فيه .

— و « امراة عروب » اى متحببة الى زوجها ، وذلك لصفاء مزاجها كما هو شان الماء الصافي .

— و « عربت المعدة » اى فسدت وسالت كالماء

وان معاني هذه المفردات تدل باجمعها على ان لكلمة « العرب » ومشتقاتها ومسمياتها صلة بالماء الكثير الصافي ، وليس من المعقول ان يطلق العرب على هذه المعاني كلها كلمة لا تدل مادتها في اللغات السامية الا على الجفاف والصحراء كما زعم العبرانيون !!

بطلان مزاعم العبرانيين

لقد زعم المستشرقون اليهود بأن معنى كلمة « العرب » ومادتها فى اللغة العبرانية انما يعني فى الاصل « الجفاف والصحراء والبدو » (2) ، وان كلمة « عرب » ماخوذة من مادة « عرب » بمعنى « امحل او اجدب » فى كثير من اللغات السامية ، وان صيغة « عرابة او عربة » العبرانية استعملت اسما للارض القفراء (3) .

ولنا على ما وصل اليه المستشرقن فى مصادرهم اليهودية المزعومة ملاحظات اساسية اهمها ما يلي :

اولا — اهمال هؤلاء الباحثين لما جاء في أهم اللغات السامية اليوم وهي اللغة العربية والتي يحمل اصحابها وحدهم اسم « العرب » ، وهو اهمال غير مغتفر ولا يدل على حسن قصد ، خاصة وان معنى المادة فى اللغة العربية جاء مخالفا تمام المخالفة لما جاء في اللغة العبرانية ، وان موضوع المخالفة متعلق ببلاد اللغة العربية ، ولا يجوز الحكم على معاني كلماتها الاساسية بمعان مستوردة من لغة غير عربية !

ثانيا — ان هذا الخلاف الكبير المتناقض فيما بين اللغتين العبرانية والعربية فى معنى كلمة « عرب » يوجب على الاقل لفت النظر اليه ، وايجاب الاخذ بالمعنى الثابت عند اهل اللغة العربية لا عند اصحاب اللغة غير العربية ، ثم متابعة البحث لمعرفة السبب فى هذا التغاير المتناقض ، ما دامت اللغتان ساميتين، والكلمة كلمة اساسية فى اللغة العربية وفى تاريخها وتاريخ بلادها ، وهذا ما لم يفعلوه بكل اسف !

ثالثا — اهمالهم الاخبار التي وردت فى كتب اليونان والرومان وغيرها من النصوص القديمة ، وكذلك ما نقل عن المصريين القدماء (4) ، وكلها كانت تقول بوجود انهار طويلة فى بلاد العرب، وبوجود اخشاب ضخمة فيها ، وبانها « ارض الله » كما سماها المصريون لوفرة خيراتها ونتاج اشجارها من البهار والتوابل ، رغم ان كتب الاخبار القديمة فى ذلك متوفرة

---

1) مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، طه باقر 172 — 174 .

2) تاريخ العرب السابق ، لجواد علي ، الجزء الاول، الصفحة 173 ، وكذلك تاريخ العرب مطول ، لفيليب حتي ، الجزء الاول ، الصفحة 53 ، طبع بيروت سنة 1958 .

3) تاريخ العرب السابق ، الجزء الاول ، الصفحات، الجزء الثاني الصفحة 189 ، طبع بغداد سنة 1956

4) تاريخ العرب السابق ، لجواد علي ، الجزء الاو ، الصفحات 98 ، 102 ، وكذلك مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الثاني السابق ، الصفحة 189 .

للباحثين كما سوف نعرضه بايجاز في البحث الخاص بها بعد هذا البحث .

وابعا ـ عدم استعراض نصوص العهد القديم « التوراة » فيما يتعلق بالدلالة على مفهوم كلمة «عربة» فيها وهي كثيرة . وكلها تنادي نداء صريحا بان كلمة « عربة » ومادتها انما تدل حصرا على «الارض الجيدة ذات الامطار والعيون والانهار ، وانها تفيض لبنا وعسلا » في ارض الكنعانيين الساكنين في ارض العربة (1) » . وقد استخرجتها كلها من اسفار العهد القديم فبلغت العشرات (2) ، وهذا ما يبطل ما جاء في كتب اللغة العبرانية من ان كلمة « عربة » انما تدل على « الصحراء والجفاف والبدو والجدب والارض القفراء !! » اذ كيف يجوز للتوراة ان تصف مساكن الكنعانيين في « العربة » بالارض الجيدة ذات الامطار والانهار والعيون واللبن والعسل اذا كانت كلمة «عربة» في العبرانية لا تدل الا على الصحراء والجفاف والجدب ؟ ! . . اللهم ان هذا لبهتان عظيم !! وقد ابى الله الا ان يفضحه وان يظهر بان معنى الكلمة في اللغة العبرية هو نفسه في اللغة العربية .

نصوص التاريخ القديم

واذا ثبت لدينا فيما تقدم من نظرية « كيتاني » العلمية ، ومن نصوص التوراة في « العهد القديم » ان معنى كلمة « عرب » ومادتها انما تدل على الماء الصافي الكثير ، والارض الجيدة الكثيرة الامطار والانهار ، وذلك تماما مثل ما جاء في معنى هذه المادة في اللغة العربية ، وعلى خلاف ما جاء في اللغة العبرانية المجردة من اي دليل علمي ، فلنستمع الآن الى نصوص التاريخ القديم من عهد الفراعنة واليونان والرومان ، وكلها تدل على بقايا رطوبة الجزيرة العربية حينئذ مما هو معروف قبل التاريخ ، على الرغم من اشتداد حلقات زحف الجفاف على الجزيرة الذي كان قد بدأ قبل ذلك بآلاف السنين ، ثم ما زالت حلقات تشتد يوما بعد يوم .

فلقد جاء في النصوص المصرية القديمة ما يثبت وجود اخشاب ضخمة في شبه جزيرة العرب، وان المنطقة الواقعة بين « الملا » و « معون » أو « معان » من المناطق الصحراوية في الوقت الحاضر من اراضي ثمود قديما ، قد كانت من مناطق الغابات المكتظة بالاشجار ، ولعل ذلك كله هو الذي حمل المصريين القدماء على ان لا يسموا بلاد العرب باسمها الخاص بها ، وانما سموها في كتاباتهم بـ « ارض الله» ، ووصفوها بنتاج اشجارها من البهار والتوابل (3) .

اما الروايات اليونانية والرومانية القديمة فكانت تقول صراحة بوجود انهار طويلة في بلاد العرب (4) .

ـــ فان هيرودوت (ابا التاريخ وقد زار بلاد العرب بنفسه) قد ذكر خبر نهر في بلاد العرب دعاه « كورس » ، وقال عنه انه من الانهر العظيمة ، وانه كان يصب في البحر الاحمر ، وان ملك العرب قد كان عمل على جلب المياه من هذا النهر العظيم بثلاثة انابيب من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات ، تمتد الى الصحراء على مسيرة اثني عشر يوما من النهر ، فتصب في مواضيع منقورة تستعمل لخزن المياه .

ـــ وكذلك ذكر « بطليموس » اسم نهر عظيم سماه « لار Lar » وقال انه ينبع من منطقة «نجران» ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مخترقا بلاد العرب حتى يصب في الخليج الفارسي .

وهكذا فقد تضافرت ايضا الاخبار القديمة لتدعيم حقيقة ما قد كانت عليه بلاد العرب من انواء رطبة وامطار وانهار ، كما جاءت في معنى ذلك نظرية كيتاني ، وكما دعمها المعنى اللغوي لكلمة « عرب » ومادتها في اللغة العربية واللغة العبرانية كما ابتنا تحقيقه اعلاه .

في نصوص القرآن والسنة

والآن نأتي في آخر المطاف من هذا البحث السريع الجديد الى معجزة الاخبار في ذلك ، وهي

---

1) انظر سفر الخروج ، الاصحاح الثالث ، الفقرتين 7 ـ 8 ،وكذلك سفر التثنية ، الاصحاح الحادي عشر ، الفقرة الثلاثين .
2) انظر كتابي « المدخل الى التاريخ العام للقانون » ، الطبعة الثانية سنة 1963 ، الصفحة 578 .
3) تاريخ العرب ، لجواد علي ، الجزء الاول ، الصفحتان 102 ، 105 ، وكذلك مقدمة في تاريخ الحضارات ، لطه باقر ، الجزء الثاني ، الصفحة92 .
4) تاريخ العرب السابق ، الجزء الاول ، الصفحة 189 .

نصوص القرءان والسنة التي لا تدع بعد ذلك شكـــا فيما نقلناه عن انواء جزيرة العرب فيما قبل التاريخ ، وأن جزيرة العرب كانت ذات انواء رطبة ، وسمـــاء كثيرة الامطار ، وارض كثيرة الانهار .

والمعجزة في هذه النصوص انها تدعم منذ نحـو اربعة عشر قرنا وبكل صراحة تلك البحوث والاتجاهات التي انتجتها الدراسات العلميــة الحديثــة ، تلــك الدراسات التي لم يكن من الممكن لها ان تقوم في تلـك العصور ، ومن قبل امة امية حين نزل عليها القرءان المعجز في كل شيء .

اما نصوص القراءن الكريـــم فقـــد قاربـــت نحوا من اربعين آية ، وجاءت كلها في معرض التذكيـر للعرب في عهد الرسول العربي العظيـم محمد عليـــه الصلاة والسلام ، والدعوة الى الاتعاظ بمن تقدمهم من الاقوام اصحاب المياه والجنان والعمران والقوة والآثار:

— من قوم عاد واهل سبأ في اليمن وما حولها من جنوبي شبه الجزيرة العربية ، وخاصة قوم عـــاد من العرب البائدة ، والذين كانوا اول الخلفاء لقوم نوح بعد كارثة الطوفان (سورة الاعراف ، الآية 69) .

— وكذلك قوم ثمود في شمال شبه جزيرة العرب ومطالع بلاد الشام ، والذين كانوا اول الخلفاء لقوم عاد بعد ان أبادهم الله (سورة الاعراف ، الآيات 72 — 77)

ونكتفي هنا وفي هذا البحـــث الوجيز بنقـــل آية واحدة من القرءان الكريم ، وهي الآية الســادســـة من سورة الانعام ، اذ فيها كل ما نريده من صراحـــة القول ، وقطعية الدليل ، حينما خاطب العرب في عهد ظهور الرسالة الاسلامية ، وتذكيرا لهم بمن قبلهم من الاجداد في سالف الازمان حين عصوا الله فاهلكهـــم ، فقال في ذلك : « الم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن، مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ، **وارسلنا السمـــاء عليهم مدرارا ، وجعلنا الانهـــار تجري من تحتهـــم** ، فأهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين » .

ففي ذلك صراحة ليس بعدها صراحة في وجود الاجواء الممطرة والانهار لدى سكان شبه جزيرة العرب القدماء ، كما قد برهن عليه البحالة كيتاني بوسائـــل العلم الحديث ، مما قد تغير مع هلاك اولئك الاقوام ، وهو كما يبدو من اعظم اسباب التمكين لاولئك الاقوام في الارض العربية ، وللحضارة الانسانية الام الاولـــى فيها مما لم يكن للعرب فيما بعد ، وخاصة في عهـــد الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث كان الجفاف قد استولى على الجزيرة العربية في معظمها .

ويتفق مـع نص الآيــة السابقــة من كثـــرة الامطار والانهار قديما في شبه جزيره العرب ، ما جاء في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، وحتى يخرج الرجـل بزكاة ماله فلا يجد احدا يقبلها منه ، **وحتـى تعـود ارض العرب مروجا وانهارا** » . ففي قولــه عليه الصـلاة والسلام « حتى تعود » صراحة جازمة ايضا بما كـان في جزيرة العرب قديما من مروج وانهار لكثرة الامطار، وانها ستعود مروجا وانهارا .

وقد نقل هذا الحديـــث ايضا الامـــام احمد في مسنده مبتدئا بلفظ : « لا تقوم السـاعــة حتى تعـود ارض العرب مروجا وانهارا . . . » ، وكذلـــك رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، وكذلك صاحب كنـــز العمــــال .

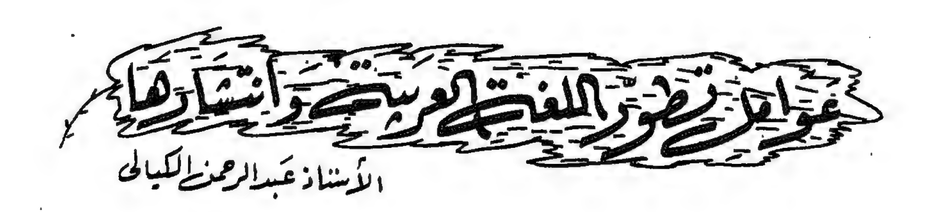
الخـــاتمـــة

وبالاشارة الى اصـــول هذيـــن المبحثيـــن الاخيرين من نصوص القرءان والسنة الكثيـرة مما لا يتسع المقام لاكثر منه ، تكون :

اولا — قد اتينا على آخر الادلة في هذه الدراسة الجديدة حول معنى كلمة « العرب » وجميع مادتها ، وانها الماء الكثير الصافي خلافا لما زعمه العبرانيون في معاجمهم من ان مادة الكلمة تعني الصحراء والجفاف كما نقله عنهم المستشرقون اليهود ، وكما اثبتنا كذبه بنصوص توراتهم المعروف « بالعهد القديم » .

ثانيا — تكون ايضا قد قضينا على المشكلة التي اثارها المستشـرقون اليهود امام الجزم العلمـــي بان الحضارة الانسانية الام انما نشأت من جزيرة العرب ، ومنها انتشرت في بلاد الرافدين في العراق ، وفي وادي النيل في مصر على ايدي الهجرات العربية القديمة فيما قبل التاريخ وبعدها ، من عهد قوم عاد « التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا (قطعوا) الصخر بالواد ، وفرعون ذي الاوتاد (الاهرامات) » .

ونرجو ان تكون كلمتنـــا هـــذه الوجيـــزة في بحثها خير باعث للقارىء العربي الكريم على العمـــل لتصحيح التاريخ وتنقيتـــه من كثيـــر من اغـــلاط المستشرقين اليهود الذين كان معظمهم حربا ثقافيـــة علينا ، قبل ان تكون صهيونية اليوم حربا علينا سياسيا واستعماريـــا .



نستطيع تاريخيا ان نقول بان اللغة العربية نشأت في الجزيرة العربية مهد اللغة السامية وبناتها . وهي اقدم تلك البنات ، واقربها الى هذه اللغة التي لم يتكلم بلهجاتها الا الساميون بعد ما خرجوا وتفرقوا خارج الجزيرة العربية في تاريخ لم يعلم مداه .

واللغة العربية ، وهي فروع اللغة السامية لم تنتشر خارج تلك الجزيرة الا بعد ظهور الاسلام . اذ امتد الفتح الاسلامي في سرعة لم يماثلها فتح آخر ، الى بلاد سورية، والعراق، ومصر، وفارس، وليبيا، وتونس ، والجزائر ، والمغرب الاقصى ، والسودان ، والصحراء ، وبلاد الاندلس ، وجنوبي فرنسه ، وجنوبي ايطاليا ، وصقلية ، ثم الى بلاد الترك ، والافغان ، والسند ، والهند ، وقافقاسيا ، وسائر البلاد التي فتحها العرب ودانت بدين الاسلام ، واشتركت شعوبها مع العرب الفاتحين في بناء حضارتهم وتكلمت بلغتهم وساهمت بنشر ثقافتهم وتعاليم دينهم .

اللغات السامية وما تبقى منها ؟

واللغات السامية لم يبق منها الا العربية ، والعبرانيه ، والسريانية ، والحبشية . وقد كانت البابلية ، والاكادية ، والارامية ، والكنعانية ، والتدمرية ، والسبائية ، تمثل لغة الاقوام السامية الذين تفرقوا في سورية ، والعراق ، وفارس ، وفلسطين، ولبنان، وشمالي افريقيا . وكانت تكتب وتقرابالحروف التي ابتدعوها، والابجدية التي وضعوها فكانت لكل منها لهجته التي تختلف عن غيره باللفظ ، وبعض المعاني حسب المحيط الذي نشأ فيه وحسب التطور الاجتماعي ، والحضاري ، الذي وصل اليه.

العرب قبل الاسلام :

قال المؤرخ جرجي زيدان في كتابه « العرب قبل الاسلام» (ص 32) (اصطلح المؤرخون في هذا العصران يسموا الشعوب التي تتفاهم بالعربية والسريانية والحبشية والتي كانت تتفاهم بالآشورية والفنيقية ، والآراميه شعوبا (سامية) نسبة الى (سام) ابن نوح لان هذه الامم جاء في التوراة انها من نسله . وسموا لغاتهم (اللغات السامية) . ولا خلاف بأن هذه اللغات السامية متشابهة في الفاظها وتراكيبها ، وانها من اصل واحد يسمونه (اللغة السامية) كما تتشابه فروع اللغة اللاتينية ، او فروع اللغة السنسكريتية ، فيقال مثلا ان اللغتين الايطالية والاسبانية اختان امهما اللغة اللاتينية . وان الفارسية والاوروبية اختان امهما السنسكريتية . كما يقال ان اللغات العامة في الشام ومصر ، والمغرب ، والعراق ، والحجاز ، واليمن ، والسودان اخوات ، امها اللغة العربية الفصحى ، فهذه الامهات لا تزال محفوظة ويمكن رد بناتها اليها .

اما ام اللغات السامية فلا وجود لها الآن، وقد زعم فلاسفة اللغة انها العبرية وظن غيرهم انها العربية،

وزعم غيرهم انها البابلية ، ولا تخرج اقوالهم عن حد التخمين) .

وقد باد اكثرها لان حضارة الاقوام والقبائل التي كانت تتكلم بها زالت ، ولم يبق منها الا اللغة العربية ، واللغة العبرانية ، واللغة السريانية ، واللغة الحبشية.

اللغة العربية والاقوام التي تتكلم بها :

أما اللغة العربية ففي الوقت الحاضر يتكلم بها ثمانون مليونا من النفوس يقطنون البلاد العربية : (مصر واليمن ، والجزيرة العربية السعودية ، والكويت ، وسورية ، ولبنان ، والعراق، وبلاد الاردن، وفلسطين، وبلاد المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، والسودان، وحضرموت ، وعدن ، والبحرين) . وكان يشيع استعمالها والتكلم بها كلغة دين ، وادب ، وعلم ، وفن ، وطب ، وفلسفة ، وتشريع ، وتجارة ، وسياسة ، بين الامم الاسلامية التي دانت للعرب ودخل الاسلام الى قلوبهم وديارهم وانتشرت حضارته بينهم ، وبقوا تحت حكم خلفائهم وملوكهم وامرائهم اكثر من تسعة قرون، من عصر صاحب الرسالة المحمدية وخلفائه الراشدين وزمن دولة الامويين والعباسيين ودولة الفاطميين والايوبيين في مصر وسورية ، والعراق ، وشمالي افريقيا ، ودولة الامويين في الاندلس ومن حكمها ، وحكم شمالي افريقيا من دولة الموحدين والمرابطين وملوك بني حفص وغيرها ، ودولة الحمدانيين وبني مرداس والمماليك السلجوقيين ، والجراكسة في بلاد الشام ومصر ، ودولة آل بويه في العراق ، ودولة خوارزمشاه ، والاتابكية ، وبني آرتق ، ثم دولة ملوك سامان فيما وراء النهر وخراسان ، ودولة ملوك آل سبكتكين ، ودولة بني طولون ، ودولة الاخشيدية في مصر ، وملوك كرمان وغزنه ، الى ان انتهت الخلافة العربية وقام بالفتوحات دولة بني عثمان ، ودولة هلاكو والتتار، وملوك فارس، وحلت لغات هذه الدول التركية والتتارية والفارسية والاوردية في بلادهم محل اللغة العربية . واخذ كل من هذه الدول ينشر لغته في بلادها وارجائها، ولكن بالرغم عما اصاب الامبراطورية العربية، والبلاد الاسلامية من كوارث ومحن وانحلال فقد بقيت اللغة العربية في هذه البلاد لغة الدين والشرع والعبادات ، والتعليم ، تقوى وتضعف حسب تطور كل دولة وكل مملكة ، وبمقدار تمسك اقوامها بالدين الاسلامي ، وتعاليمه ، وبمقدار انتشار العلم وزوال الامية من بين افرادهم ، وبمقدار وجود المدارس الدينية ، والمؤسسات الروحية ، والجامعات العلمية ، ووجود المكاتب العامة ، والخاصة ، والمطابع ومطبوعاتها في البلاد الاسلامية و في البلاد التي توجد فيها اقوام اسلامية كالهند ، والصين ، وبلاد غربي آسيا وبلاد السوفيات ، وتركيا ، ودول افريقيا المسلمة ، واندونيسيا ، وافغانستان ، وباكستان .

اللغة العبرية ، واللغة الحبشية ، واللغة السريانية ، وما آلت اليه كل منها :

واما العبرية فقد انحصرت في بقايا بني اسرائيل بحسب العوامل الزمنية والسياسية ، والثقافية . وانحصرت السريانية في بعض القرى والاماكن التي يقطنها بقايا الآشوريين في العراق، وبعض قرى لبنان، وسورية ، وايران .

وانحصرت الحبشية (الامهرية ، والصومالية والحميرية) بسكان اثيوبيا والصومال .

وتختلف اللغات الانسانية في مبلغ انتشارها كما ذكر الدكتور علي عبد الاحد الواني في كتابه (علم اللغة) اختلافا كبيرا ، فمنها ما يتاح له فرص مواتية فينتشر في مناطق واسعة من الارض ويتكلم به عدد كبير من الامم ، كما للاتينية والبورتغالية والافرنسية والالمانية في العصور الحديثة .

(ومنها ما تسد امامه المسالك فيقضى عليه ان يظل في منطقة ضيقة من الارض ولفئة قليلة من الناس).

اسباب انتشار اللغة العربية :

اما انتشار اللغة العربية فيعود الى عدة عوامل :

أولا — ان اللغة المذكورة عاشت في صراع مع لغة اخرى أو لغات اخرى . وتقضي نواميس التنازع اللغوي ان يكتب لها النصر فتحتل مناطق اللغة او اللغات المقهورة فيتسع بذلك انتشارها . وتدخل امم جديدة في عداد الناطقين بها ، كما حدث للغة اللاتينية في العصور القديمة وكما حدث للغة العربية في العصور الاسلامية اذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الاخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية حتى بلغ عدد الناطقين بها (80) مليونا من النفوس ينتمون الى خمس عشرة دولة بعد ان كانوا لا يتجاوزون العشرة آلاف يقطنون منطقة في الجنوب الغربي والشمالي من جزيرة العرب .

ثانيا — ومن دواعي انتشار اللغة ، ان ينتشر افراد شعب ما على اثر هجرة ، او فتح او استعمار يتم في مناطق جديدة بعيدة عن اوطانهم الاولى وتتكون من سلالاتهم بهذه المنطقة امة ، او امم متميزة كثيرة السكان ، والامثلة على ذلك كثيرة في العصور القديمة والعصور الحديثة .

ففي العصور العربية القديمة هاجرت قبائل عديدة من العرب يمنيون وعدنانيون كما جاء في تاريخ خطط الشام وتاريخ العرب قبل الاسلام ، فقد هاجرت (سليخ وغسان ، والضجاعم الى الشمال من بلاد الشمال، وهاجر التنوخيون الى الجنوب وسليم، وقضاعة ، وعاملة الى فلسطين ، ثم لخم ، وجزم ، وذبيان وكلب الى الرملة والجولان ومصر . ثم جهينة والقينة وبهراء ، وتنوخ الى حوران وجبال الشراة ومدائن صالح ، ثم اياد وطي وكندا ، وزبير وهمدان ويحصب ، وقيس ، وهم من عرب اليمن فنزلوا حمص وحماه وسلميه، وتدمر، وحلب وكانت دمشق منازل ملوك غسان ، واهلوها وما جاورها من قبائل وقرى من بطون قيس ، وبها جماعة من قريش .

وسكن بنو تنوخ بقاع حلب، ومنبج، والموصل. وسكن بنو بكر بن وائل ديار بكر واورفه . ولم تقتصر الهجرات العربية الى سوريا وفلسطين ولبنان ، بل امتدت الى العراق ايام المناذرة ، وزادت اكثر فاكثر ايام الفتح الاسلامي عندما قاد الجيوش العربية سعد ابن وقاص،وخالد بن الوليد، وابو عبيدة بن الجراح،ثم تتابعت ايام الامويين وايام العباسيين فامتدت الى بلاد واسط والكوفه والبصرة ، وبغداد ، والموصل ، والرقه ثم الى بلاد فارس وما وراء النهرين وبلاد افغانستان والسند والهند والصين ثم الى قافقاسيا حتى باب الابواب وكذلك تدفقت هجرة القبائل العربية ايام عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وموسى ابن نصير وغيرهم من قواد العرب والفاتحين الى شمالي افريقيا والسودان ثم الى بلاد الاندلس حتى جنوبي فرنسا وجنوبي ايطاليا ، ثم الى صقلية . فاستوطنوا وتزاوجوا واختلطوا مع البربر وانشاوا المدن ، والقرى والثغور ، والعواصم ، واقاموا المنشئات واسسوا الحضارة ، وعملوا على نشر الاسلام والعلم ، واللغة العربية ، وكانوا في حكمهم عادلين وفي فتوحاتهم بانين ، وفي حضارتهم عاملين لخير الدنيا والدين فلم تقو عوادي الزمن وعواصف الايام على ازالة آثارها الخالدة وما لها من فضل على الاجيال الآتية .

— كيف انتشر الدين الاسلامي وانتشرت معه اللغة العربية :

وكان من تاثير تلك الفتوحات والهجرات المتواليات ، وتلك الحضارة الشاملة انتشار اللغة العربية وازدهار فنونها ، وعلومها ، وآدابها ، لان الذين هاجروا الى تلك البلاد حملوا معهم حضارة الشرق الاسلامي ، وتعاطوا التجارة ، والزراعة ، والصناعة ، واختلطوا بالسكان فاحكموا الاندماج ، والترابط ، والامتزاج ، ونشروا الدين وعمموا العلم ثم تعاونوا على تاسيس الملك وادارته وبناء المدارس ، والجوامع ، والمعاهد، واسسوا المكاتب ، واكثروا من التاليف والنشر . وكانوا في اخلاقهم ودينهم وآدابهم ، ودفاعهم عن الحق وحرية الفكر ، والعمل ، وفي تنفيذهم لاحكام الشريعة في قضائهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم وفي دفاعهم عن كرامة الدين والوطن من اعدل الحاكمين كما شهد بذلك « غوستاف لوبون » العالم الاجتماعي النفساني .

وكانت عهودهم ارقى العهود اجتماعيا ، وحضاريا ، واقتصاديا ، وثقافيا يبرهن عليها ما الف في ايامهم من ملايين الكتب ليس في بلاد الاندلس ومصر والعراق والقيروان فحسب بل في سائر البلاد الاسلامية وكلها باللغة العربية حاوية انواع العلوم والفنون والآداب وبالخاصة ما الف ونشر في بلاد فارس ، والهند ، وبخارى ، وطاشقند ، وحيدر آباد ، ودلهي ، ثم ما ظهر في جميع البلاد الاسلامية من علماء وفلاسفة ، واطباء ، وادباء ، وشعراء ، وفلكيين ، ورياضيين ، وكيميائيين ، وبنائين ، ورجال صناعة ، وتجارة ، وفن ، ورجال حرب ، وهندسة ، وزراعة وعمران في عصور عبد الملك ، وابنه الوليد ، وابنه هشام ، وكذا في ايام جعفر المنصور، وهارون الرشيد ، والمامون ، والمعتصم ، وفي ايام الفاطميين ، والحمدانيين والامويين في الاندلس ومن اتى بعدهم من الموحدين والمرابطين ، كل هذا وسواه ليدل الباحث على ما وصل اليه العالم العربي الاسلامي من الرقي وما كان من انتشار الدين الحنيف من تاثير على انتشار اللغة العربية ونهضتها وما كان لحضارتهم من تقدم وعز ومنعة ، وسمو وحرية ساعد على رقي المدينة الاسلامية والتقدم البشري مع التقدم في الآداب ، والدين ، والاخلاق الذي ضمن رفاهية الشعب ، وقيام المشافي والبيمارستانات والخانقاهات والسبل ، والمبرات

والملاجيء والمعاهد ، والمكاتب ، ودور الايتام بسرعة حيرت المؤرخين والباحثين .

وفي ذلك يقول الفيلسوف اوزفالد شبنغلر الالماني في كتابه عن سقوط الحضارة الغربية :

« ان الحضارة العربية كانت تؤمن بثلاثة ابعاد (الطول والعرض والعمق) لكن الفرق بين العمق الفادستي) الفادستية مذهب منسوب الى فادست الالماني الطبيب العالم الاسطوري الذي باع روحه للشيطان وعليها بنى « غوته » روايته فادست ، والعمق الغربي ان الاول يتسامى ليحلق في الفراغ بينما العمق العربي ينحدر ليغوص في الاعماق لباطن الارض ، وهذا وحده كاف ليفسر لنا سر الحميا الجبارة التي دفعت بالحضارة العربية عندما انطلقت اخيرا من قيودها واغلالها لتلقي بظلالها على جميع البلدان التي تنتمي اليها باطنيا منذ قرون وقرون وقرون سبقت انطلاقتها الاولى .

ان هذه الحميا لدلالة على ان النفس العربية هي في عجلة دائمة من امرها . فهي تلاحظ اعراض شيخوختها حتى بلوغ شبابها . وانه والحق يقال لا مثيل هنالك في التاريخ لتحرر الجنس الوثني وانطلاقه كما حدث للجنس العربي بتحرره السريع ، وانطلاقه المعجز ، فلقد فتحت سوريا لا بل حررت عام 634 م . وسقطت دمشق عام 637 م واستعيدت مصر عام 645 م . وبلغ العرب الهند في ذات التاريخ . وفي عام 647 م عادت قرطاجنة . وفي عام 676 م استعيدت سمرقند . وفي عام 710 م سقطت اسبانيا . وفي عام 734 م اخذ العرب يقرعون ابواب باريس .

لقد ضغطت في هذه السنوات القلائل جميع العواطف العربية المدخرة ، والآمال المؤجلة ، والاعمال المحفوظة ، هذه التي يكفي لتملأ قرونا وقرونا من التاريخ) .

ثم يقول الفيلسوف المنصف (فالصليبيون امام القدس، وسلالة هوهنشتاوفن في صقلية، والهانسا في البلطيق ، والفرسان التيوتينيون في الشرق السلافي والاسبان في امريكا ، والبرتغاليون في الهند الشرقية، وامبراطورية شارل الخامس التي لم تغرب الشمس عنها ، وبداية العصر الاستعماري الانكليزي تحت رعاية كرومويل هذه الانطلاقات كلها تعادل في زخمها انطلاقة واحدة حملت العرب الى اسبانيا وفرنسا وجنوبي ايطاليا والى الهند وباكستان) .

ـ الاسباب الاخرى لانتشار اللغة العربية :

ومن الاسباب الفعالة التي ساعدت على انتشار اللغة العربية خارج البلاد العربية يرجع ولا شك الى الاسلام ذاته ، في عدالته وصدق معاملاته ، وقضائه ، مما جلب قلوب الرعايا وحبب الى النفوس تعلمها ، والايمان بشريعتها ، والطاعة لقرءانها .

ثم لاطلاق الاسلام الحرية في العقيدة ، والفكر والعمل وفقا للقاعدة الاساسية الاسلامية التي اعلنها (الخليفة الثاني عمر) عندما سأل عامله (متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟) .

ثم للمساواة التي شرعها الاسلام بين افراد الناس على اختلاف طبقاتهم ، ومللهم والوانهم ، ونحلهم ، اذ جعل الجميع يتساوون امام الحق والمسؤولية والشريعة ، اذ تقول الآية الكريمة (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وبنص الحديث الشريف قائلا (ليس لعربي على اعجمي من فضل الا بالتقوى). ثم يقول الرسول الاعظم (الخلق كلهم عيال الله واقربهم اليه انفعهم لعياله) ، وفوق كل ذلك امر الاسلام بالعدل بين جميع الناس فقال عز من قائل (ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) فبهذه المباديء التي قام عليها الاسلام وغيرها انفتحت القلوب المغلقة، واسهم الناس ، واطاعت الشعوب ، وتعلمت افرادها اللغة العربية لغة القرآن والحديث .

فالشعوب والامم مهما تكن اجناسها ، ونحلها ، والوانها ، وانواعها ، لا تقبل على طاعة الحاكمين ؛ وتتعلم لغتهم عن رغبة وطواعية ، وتخضع لاحكامهم بقبول ورضى ولا تعيش في ظلهم بناءة ، عاملة ، ومنتجة ، وهادئة ، الا بفعل العدل ، والمساواة والرعاية ، والحرية والشعور بالحماية والتعاون ، حسب منطوق الحديث الشريف (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) اضف الى هذه الفضائل والمباديء السامية ، روح النفس العربية في الامة ذات القومية المتفتحة ، غير المتعصبة ، ولا المحتكرة ، قومية تنظمها الاخلاق ، الاخلاق الحميدة ، والحميدة فقط على وجه التخصيص ، الاخلاق التي تغلب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، والوجدان على العقل، والعدل على الظلم ، والروية على الاندفاع ، والعفو على السفك ، اخلاق تؤمن بان الغاية الشريفة لا يجوز ان يسلك اليها بوسائل غير شريفة ، وهذا ما عجل بانتشار الاسلام ولغته وساعد على تعرب الاقوام ،

اضف اليه اهتمام الراعي برعيته ومسؤوليته تجاهها، وصلاح اللغة العربية للنمو والتوسع والتطور . واخيرا تشجيع ذوي الإمر من ملوك وخلفاء وامراء ووزراء لرجال العلم والعلماء والتعليم واغداق الاموال الوفيرة والمكافأة السخية لخدمتهم العلم ونشره والتاليف في مختلف انواعه ولمن درس وخدم اللغة والشريعة والادب والفن .

ـ العوامل الاخرى التى ساعدت على انتشار اللغة العربية :

ومن الاسباب التى ساعدت على انتشار اللغة العربية ، مقوماتها الطبيعية فى الاوطان الاصليةنفسها، فياخذ افرادها ، وطوائفها في الزيادة المطردة ، وتنشط حركة الاقتصاد والعمران في بلادها ، فتكثر فيها المدن والقرى ، والدساكر ، والعواصم ، وتتعدد المناطق ، والاقاليم ، فيتسع لذلك نطاق انتشارها ، ومدى ارتقائها ، كما حدث لكثير من الدول كالانكليز، والافرنسيين ، واليابان ، والاسبان ، والبرتغال فى بلادهم والبلاد التى احتلوها ، واستعمروها والتى هاجروا اليها .

ثم شغف العرب وظماوهم للحصول على المعرفة والعلم اينما كان ومن حيث كان والاخذ بهما من مواردهما، والعمل على نشرهما، وقد سار الاقدمون من العرب وتبعهم المتاخرون على هذه السنة ، وشاركهم فى ذلك اهالي البلاد التى دانت لهم فكثر من بينهم حملة العلم ، والنبغاء ، وارباب التبحر والاختصاص ، وظهر فيهم اهل المواهب والذكاء فترجموا كتب الاقدمين من هنود وعجم وسريان ويونان الى لغتهم العربية واستقدموا منهم الفلاسفة والاطباء والعلماء الى بلادهم للاستفادة منهم وللترجمة والتدريس . ونقلوا من البلاد البعيدة ذات الحضارة الكتب العلمية وانشأوا دورا للنقل والترجمة والمكاتب للدروس والمطالعة ، وبنوا المدارس والمعاهد العلمية للتعليم والتدريس ، واسسوا الجامعات فى عواصم بلادهم . وبذلوا المال بسخاء لم يعرف له نظير . وتبادلوا مع الشعوب ما رزقهم الله به من علم ولغة وادب وفن وتجربة .

وبهذا الشغف والظما ، والتشجيع والسخاء والكرم ـ الدافع القوي ـ والخصلة السامية ازدهرت الحضارة العربية ، وعم الاسلام ، وانتشرت اللغة العربية ، ونبغ العلماء ، والشعراء ، ورجال اللغة والادب ، والقراء ، والفقهاء ، ورجال الحديث وائمة المذاهب ، والمؤرخون ، واصحاب التفاسير ، والاطباء ، والفلاسفة ، والقضاة ، والمهندسون ، والرياضيون ، والفلكيون ، وسواهم من صنوف العلماء والادباء والمتخصصون وكلهم تثقف بالثقافة العربية وباللغة العربية ، لغة الدين والحكم والتاليف ولغة الدولة ، ولغة العلم والفن والادب ، والغناء والموسيقى ، تجمعهم لغة القرءان والحديث واللغة الفصحى وان كانوا من اقوام مختلفة وطبقات متباينة واقاليم قريبة او نائية ، وان كانوا فى لهجاتهم متفرقين ، فللعراقي لهجته وللشامي لهجته وللمصري لهجته وللمغربي لهجته وللخراساني لهجته ، عدا لهجات العواصم والمدن ، والارياف ، ولهجات اهل المهن والحرف ، ولكن الخمسمائة مليون من العالم الاسلامي لم تخرج لهجتهم عن اللغة الفصحى التى حفظها القرآن والحديث فيما يؤلفون وينشرون ويتعلمون ويدرسون ويتراسلون .

وقد ساعد على انتشار اللغة فيما عدا ذلك فى القرون التى تلت ظهور الاسلام وفى عصرنا الحديث ازدهار حركة التاليف والنشر لقد ملئت الدنيا بالمؤلفات المخطوطة فى كل علم وفن وادب .

وكان من المحزن، والمؤسف، ومن الخسارة التى لم تعوض ، ان اصيب العالم الاسلامي فى الشرق والغرب بغزوات المغول ووحشيتهم وبغزوات التتار ومظالمهم والصليبيين وحروبهم ، والاسبان وبربريتهم ومحاكمهم فى بغداد ودمشق والقاهرة والاندلس ، فارتكب الجميع قتل المغلوبين ، ونهب اموالهم وقصورهم وتهجيرهم بعدما خربوا القلاع ، والمساجد ، واتلفوا معظم المكاتب وما فيها من مخطوطات ، ونفائس واضاعوا على العالم ثروة لا مثيل لها من العلم ، والحضارة . وقد شاءت الاقدار ان يكون نصيب بغداد من الضياع فوق ما يتصور لقد بقي ماء دجلة عشرة ايام اسود من كثرة ما القي فى جوفه من المخطوطات لتمر من فوقها الجنود .

ـ اثر القرءان والحديث والاسلام فى انتشار اللغة العربية ونموها ، وتطورها ، وارتقائها :

وفى هذا الموضوع يقول صاحب كتاب فقه اللغة الاستاذ الجليل الدكتور علي عبد الواحد، ما يلي: (ان القرءان العظيم مفخرة العرب فى لغتهم اذ لم يتح لامة من الامم كتاب مثله (لا ديني ولا دنيوي) من حيث

البلاغة والتاثير فى النفوس والقلوب سواء حين يتحدث عن الله الواحد الاحد، وعن عبادته، وعظمته، وجلاله، او عن خلقه للسماوات ، والارض ، وما بينهما، او عن البعث والنشور، او حين يشرع للناس مناهج حياتهم ، ويقيمها على اسس قويمة ومبادىء سامية تحقق لهم السعادة فى الدارين الاولى والآخرة)، وحين يقول الله فى كتابه مخاطبا الانسان « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

وبعد هذا يمكن تلخيص العوامل التى اثرت تعاليم الاسلام وكتابه المنزل على رقي اللغة العربية وانتشارها وتهذيبها وتوحيدها بما يلي :

أ ـ تقوية سلطان اللغة القرشية . فقد كان لمجيء القرءان والحديث بلغة قريش وهما دعامة الشرع الاسلامي الذى اعتنقته قبائل العرب اعظم تاثير فى توطيد هذه اللغة وتثبيت اركانها وقواعدها وتقوية سلطانها على الالسنة واللهجات

ب ـ تهذيب اللغة العربية وتنقيحها والنهوض بها الى ارقى مستويات اللغات والآداب .

ويبدو اثر ذلك فى مختلف النواحي اللغوية (فى الاغراض ، والمعاني والاخيلة ، والاساليب) .

اما الاغراض : فقد اتسعت ايما اتساع بفضل القرءان ، والحديث ، وبانتشار الاسلام وتعاليمه فى امم ذات ثقافات عريقة ، وبما افاده العرب ولغتهم من الاحتكاك بهذه الثقافات وقد فتح القرءان والحديث للغة العرب ابوابا كثيرة من فنون القول عولجت فيها امور لم تكن العربية عالجتها من قبل، وذلك كمسائل القوانين والتشريع والقصص ، والتاريخ ، والعقائد الدينية ، والجدل فيما وراء الطبيعة ، والاصلاح الاجتماعي ، والنظم السياسية، وشؤون الاسرة ، واصول القضاء ، ودراسة مظاهر الكون والحياة ، والفلك ، والطبيعة والنبات والحيوان وهلم جرا .

ثم يقول الاستاذ علي عبد الواحد (وقد اضيفت الى هذه الاغراض فيما بعد اغراض كثيرة يرجع فيها الفضل الى الاسلام وانتشاره ، واتساع رقعة المملكة العربية وارتقاء مظاهر المدنية فيها . والى ما ورثه العرب عن الامم التى دانت لهم ولحضارتهم ، من علوم ، وفنون ، وصناعات ، وثقافة ، وعمران . وما اقتبسوه من لغاتهم وفنونهم ، وما ترجموه من مؤلفاتهم فى مختلف الشؤون ، واوجه الحياة . فتناولت العربية بجانب ما تناولته من قبل ، شؤون التاليف فى الرياضيات والفلك والطب والطبيعة والمنطق والكيمياء والفلسفة ، والفقه ، وفنون اللغة، والنقد الادبي ، وتاريخ الادب والرسائل السياسية ، وضبط امور الدولة وتنظيم شؤون الدواوين ، والرد على المذاهب الزائغة ، ومقاومة الكفر والزندقة والالحاد ، وصنع القصة والرواية ، والمقامات وهلم جرا .

وقد نجم عن اتساع اللغة العربية وارتقائها فى ناحية الاغراض اتساع وارتقاء فى **ناحية الاخيلة والاساليب .**

ثم قويت على تجلية المعاني الدقيقة التى جلبتها العلوم السابق ذكرها واستخدمت فيها الحجج العقلية والبراهين المنطقية ، والادلة الفلسفية وادخلت فيها عناصر جديدة للخيال والتشبيه ، وتهذبت اساليبها ، وتشكلت فى صور الاساليب العلمية) .

ثم يقول (واما المفردات ودلالتها ، فكان الاثر فيها واضحا كل الوضوح ، فقد تجرد كثير من معانيها القديمة ، واصبحت تدل على معاني خاصة تتصل بالعبادات والشعائر ، وشؤون السياسة ، والادارة والحرب ، ومصطلحات العلوم والفنون ، ومن ذلك الفاظ الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والخليفة ، والامام وامير المؤمنين ، والقاضي ، والوالي ، والعامل ، والكاتب ، والوزير ، والشرطة، والدرك ، والوظيفة ، والقطائع ، والجريدة ، والصائفة (التى تذهب ايام الصيف) ، والشاتية (الكتيبة التى تذهب ايام الشتاء) والمرتزقة، والمتطوعة ، والشحنة، والثغور ، والعمارة ، ودار الصناعة ، وديوان الجند، وديوان الرسائل ، وديوان الخاتم ، والسرير ، والسكة والطراز ، والمقصورة ، والتعجب ، والنعت ، والتوكيد ، والتجويد ، والحد ، والتعزير ، والتكدير، والشبهة ، والقياس ، والتعريف ، والتصريف ، والقضية ، والسالبة ، والموجبة ، والمقدمة ، والنتيجة ، والصرع ، والاستسقاء ، والذبحة ،

والربو ، والوافدة ، والامزجة ، والشلل ، والمثلث ، والمربع ، والدائرة ، والكون ، والحوادث ، والوجود ، والعرض ، والازل ، والابد ، والبداية ، والنهاية ، والمطلق ، وما الى ذلك من آلاف وآلاف المفردات التي تستخدم في مختلف العلوم والفنون . وبجانب هذه الالفاظ العربية الاصل ، اقتبس العرب لنفس الاغراض الفاظا اعجمية من لغات كثيرة وخاصة من الفارسية ، واليونانية ، والسريانية بعد ان عربوها وصقلوها بمناهج اللسان العربي. ومن ذلك الفاظ البند ، والديوان ، والعسكر ، والصهريج ، والقيروان (اي القافلة) والطنبور ، والبابونج ، والزرنيخ ، والمالخوليا ، والاصطرلابه ، والطلسم ، والمغنطيس ، والقانون ، والاسطول ، والبارجة ، والفلسفة ، والهيولي وهلم جرا .

وقد جرت عادتهم في الغالب ان يبحثوا للمعنى الجديد عن لفظ عربي عن طريق الاشتقاق ـ الذي هو من اهم خصائص اللغة العربية ـ او عن طريق المجاز ، واذا اعيتهم الحيلة عمدوا الى تعريب اسمه الاجنبي. وكثيراً ما يلجأون الى هذه الوسيلة الاخيرة من بادىء الامر ، اذا كان اللفظ يدل على معنى اصطلاحي دقيق يخشون ضياعه في ثنايا اللفظ العربي .

ـ ما كان من ءاثار القرءان في الادب العربي :

واول ءاثار القرءان الكريم انه جمع العرب على لغة قريش ولهجتها الفصحى . وحقا كانت هذه اللهجة تسود القبائل في الشمال زمن الجاهلية . غير ان هذه السيادة لم تكن تامة فقد كان الشعراء هم الذين يستخدمونها غالبا .

اما قبائلهم فكانت تلوك لهجات تختلف عن اللهجة القرشية قليلا ، وكثيرا ، حسب قربها من مكة او بعدها ، فعمل القرءان على تقريب ما بين هذه اللهجات من فروق واستكمال السيادة للهجة القرشية ، اذ كان العرب يتلون آياته وسوره آناء الليل واطراف النهار ثم اخذت هذه اللهجة تعم بين القبائل البدوية متغلغلة في الانحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم الحميرية ولما فتحت الفتوح ، ومصرت الامصار ، اخذت لهجته تسود في مشارق الارض الاسلامية ومغاربها ، اذ كانت تلاوته فرضا مكتوبا على كل مسلم ومسلمة . وحث الاسلام على حفظه وتلاوته .

ثم يقول الاستاذ (ولا شك ان هذا الحفظ اتاح للهجة قريش انلاتنتشر في العالم الاسلامي فحسب، بل تحفظ ايضا ، وتظل على مر العصور جديدة غضة لا تبلى مع الزمن ثم انها اكتسحت ما لقيت من لغات، اذ اتخذتها شعوب لاعداد لها لسانها ، فأصبح هو اللسان الادبي واللسان العلمي من اواسط آسيا الى المحيط الاطلسي . فكل من عاشوا في هذا الاتحاد تكلموا العربية القرشية اذ حلت محل لغتهم الاولى واصبحوا عربا يعبرون بالعربية الفصحى عن مشاعرهم وعقولهم ، وعواطفهم ، ومعارفهم بفضل القرآن. فهو الذى حفظ العربية من الضياع ونشرها في الارض وجعلها لغة حية خالدة .

وثاني آثاره انه حول العربية الى لغة ذات دين سماوي وبذلك اصل فيها معاني لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها .

ويقف عادة مؤرخو الادب عند الفاظ ابتداء مثل الفرقان ، والكفر ، والايمان ، والاشراك ، والاسلام ، والنفاق ، والصوم ، والزكاة ، والتيمم ، والركوع ، والسجود ، والتشهد ، والتسليم ، والتكبير ، والاذان ، والقنوت ، والتهجد ، والطلاق، والفاتحة وغير ذلك من كلمات الدين الاسلامي. ولكن من الحق ان المسألة لم تكن مسألة الفاظ انما كانت مسألة دين جديد له مضمونه الذى لم يكن العرب يعرفونه .

وبمر الزمان تكونت حوله علوم، ولا مبالغة اذا قيل ان كل ما كسبه العرب من علوم ومعارف ، انما كان بفضل ما غرس فيهم القرآن من حب للعلم كما تقدم ، ومن هذه العلوم المختلفة علم التفسير ، وعلم اسباب النزول ، وعلم اعجاز القرآن وعلم نحوه واعرابه وعلم خاصه وعامه ، مما هيأ علوم البلاغة .

ومن العلوم المهمة المتفرعة عنه علم الفقه واصوله . ولا نبالغ اذا قلنا ان العلوم الاسلامية كلها قامت لخدمة القرآن وتعاليمه فهو الذى هيأ بقوة لنهضة العرب والاسلام العلمية .

وثالث آثاره كما ذكر العلامة الدكتور شوقي ضيف في تاريخه عن الادب العربي (ان القرآن هذب اللغة العربية من الحوشي ، ومن اللفظ الغريب . فاقامها بهذا الاسلوب البالغ الروعة الذى ليس له سابقة ، ولا لاحقة في العربية ، هو الذى اقام عمود الادب العربي منذ ظهوره فعلى هديه اخذ الكتاب

والخطباء والشعراء يصوغون آثارهم الادبية . مهتدين بديباجته الكريمة وحسن مخارج الحروف فيه ، ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها ، وحيث تجلى عن مغزاها مع الرصانة، والجزالة ، والحلاوة .

وكان العرب ولا يزالون يتحفظونه . فهو معجمهم اللغوي والادبي الذي ساروا على هداه مهما اختلفت اقطارهم او تباعدت امصارهم، واعصارهم.

ويأتي الحديث الشريف بعد ذلك من حيث التأثير على نشر اللغة العربية وتهذيبها ، لانه فصل اركان أصول الدين ، واحكامه التى اتت مجملة دون تفصيل . وهو عماد السنة ، والرسول اوتي جوامع الكلم ، ولم يتكلم بكلام كما يقول الجاحظ « الا وقد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق . » وكان له الاثر البالغ فى توسيع المادة اللغوية ، بما اشاع من الفاظ دينية وفقهية . واحاديث الرسول المسندة ذات الفاظ عربية سليمة ، وكنز ثمين لها . وقد استمد المتادبون من هذا الكنز فى رسائلهم واشعارهم ما اضاف اليها على مر العصور رونقا وحلاوة .

ـ خصائص اللغة العربية ومميزاتها التى ساعدت على نموها ، ونمو العلم ، والادب :

تمتاز اللغة العربية عن سائر اخواتها اللغات السامية ، وعن سائر لغات البشر بوفرة كلماتها حتى قال السيوطي فى « المزهر » ان المستعمل والمهجور منها يبلغ عدده (12.313.780) والزبيدي يقول فى « تاج العروس » ان الصحيح يبلغ (6.620.000) والمعتل يبلغ (6.000) كلمة وذكر ايضا ان كتابه حوى (120.000) كلمة .

وعدا عن وفرة المفردات فانها ذات اطراد فى القياس فى ابنيتها ، وعن هذا وعن تنوع اساليبها ، وعذوبة منطقها، ووضوح مخارجها، ووجود الاشتقاق فى كلماتها يقول الاستاذ الفاضل محمد عطية الابراشي فى كتابه الآداب السامية . وقد صانت هذه الخصائص اللغة العربية زمن جاهليتها قرونا سحيقة ، وهي فى جزيرة العرب ودفعت تقدمها فى النظرية التى نشأت عليها آمنة شر الامتزاج بالفاتحين، او لهجة المغيرين حتى ظن كثير من العلماء انها وليدة المواضعة واصطلاح متعمد من حكماء اهلها لانها لغة فطرية وفطرية تدريجية ، من اقدم اللغات السامية ، وهي اصلها على راي كثير من علماء عصرنا الشرقيين ، والغربيين . ثم يقول هذا ولا يمكننا ان ننسى ان الاعراب والايجاز ، والسجع ، وكثرة المترادفات ، ودقة التعبير ، تضاف الى خصائص هذه اللغة التي هي من اقدم اللغات الحية. فليس فى العالم اليوم لغة محكية اقدم منها . ولا تزال تحتفظ بالاعراب تاما كاملا شان جميع اللغات القديمة .

اما اللغات المذكورة فعلى راي الاستاذ الجليل عمر فروخ فقد فقدت الاعراب فى اللغة الدانماركية، واللغة الروسية ، وهناك للاعراب فى اللغات الباقية.

ويبدو ان اللغة العربية ، انفصلت عن اخواتها الشمالية من اللغة السامية الام منذ زمن بعيد جدا ، ثم عادت فانفصلت من المجموعة الشمالية ايضا منذ زمن بعيد .

ونحن اذا دققنا فى اللغات السامية وجدنا اللغة العربية اتمها صيغا واكملها صرفا ونحوا ، وارقاها بيانا وبلاغة ، واحسنها اسلوبا ، فمن اجل ذلك لا يستبعد ان تكون هذه هي اللغة السامية الام والفصحى ؛ وان البابلية ، والكنعانية ، والآرامية والحبشية لهجات لها ، ومع كثرة الصلات التى كانت بين عرب الشمال والجنوب منذ اقدم الازمنة فان لغة حمير ابتعدت كثيرا من اللغة المضرية (العربية الشمالية التى نزل بها القرآن حتى قال ابو عمر ابن العلا منذ صدر الدولة العباسية (ما لسان حمير واقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا) .

وكان جميع العرب الذين يسكنون النصف الشمالي من الجزيرة فى البحرين واليمامة ونجد والحجاز سواء أكانوا ينتسبون الى مضر او اليمن ،، يتكلمون لغة واحدة ، وينظمون اشعارهم منها .

ولقد راينا شعراء الجاهلية من اي المواطنين كانوا ينظمون قصائدهم بلغة واحدة فى كل شيء ، ثم يحملون تلك القصائد لينشدوها فى اسواق العرب اوفى جميع البلاد العربية فى العراق والشام ، وحتى فى اليمن نفسها مما يدل على ان لغة مضر كانت فى الجاهلية اللغة العامة للعرب .

وبالرغم عن هذا لم يمنع ان يكون للعرب لهجات محلية ماثورة فى قبيلة او قبيلة . على ان معنى اللهجة هنا ، انما هو استعمال الفاظ مختلفة

للمعنى الواحد في بعض الاحيان ، والمجيء بصيغ متباينة لتلك الالفاظ احيانا . اما التركيب ، واما النحو والمنطق اللغوي ، فكانت كلها واحدة .

ويقول الاستاذ علي عبد الواحد الوافي (ومن اهم خصائص اللغة العربية عاملان لم يتوافرا لغيرها من اللغات السامية . احدهما انها نشأت في اقدم مواطن الساميين. وثانيهما ان الموقع الجغرافي لهذا الوطن قد ساعد على بقائها حينا من الدهر متمتعة باستقلالها وعزلتها .

وكان من اثر هذين العاملين ان احتفظت باكبر قدر ممكن من مقومات اللسان السامي الاول ، وبقي فيها من تراث هذا اللسان ما تجردت منه اخواتها السامية فتميزت عنها بخواص كثيرة منها ومن اهمها الامور الآتية :

أ ـ انها اكثر اخواتها احتفاظا بالاصوات السامية ، فقد اشتملت على جميع الاصوات التي لاخواتها ، وزادت عليها بأصوات كثيرة لا وجود لها في واحدة منها وهي (الثاء ، الذال ، الظاء ، العين، الصاد) .

ب ـ انها اوسع اخواتها ثروة في اصول الكلمات والمفردات فهي تشتمل على الاصول التي تشتمل عليها اخواتها السامية ، ومعظمها ، وتزيد عليها بأصول احتفظت بها من اللسان السامي الاول . ولا يوجد لها نظير في اية اخت من اخواتها هذا الى انه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف انواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ما لم يجتمع مثله للغة سامية .

ج ـ وتمتاز اللغة العربية عن غيرها بأن الاصل الواحد يتوارد عليه مئات من المعاني بدون ان يقتضي ذلك اكثر من تغييرات في حركات اصواته الاصلية نفسها مع زيادة بعض اصوات عليها ، او بدون زيادة، وان كان ذلك يجري وفق قواعد مضبوطة دقيقة نادرة الشذوذ مثلا (علم ، علمنا ، أعلم ، يعلم ، تعلم أعلم ، اعلمي ، علم ، نعلم ، تعلم ، تعالم ، علم يعلم ، علم ، علامة ، علم ، علوم ، اعلام ، علامات ، عليم ، علامة ، علماء ، عالمون ، متعلم ، معلم ، معالم معلم ، معلم ، معلوم ، عالم ، عالمون ، عالم ، عوالم) ... الخ. هذا ولم تصل اي لغة سامية اخرى في هذه الناحية والى هذا الشأو .

د ـ ومن ذلك ايضا نظام جمع التكسير الذي لا تشاركها فيه الا اختاها الجنوبيتان اليمنية القديمة ، والحبشية . فقد توسعت هي توسعا كبيرا حتى اصبح للمفرد الواحد عدة جموع من هذا النوع، (كنهر وانهر ، ونهور ، وانهار . وبحر وبحار، وبحور وابحر) .

هـ ـ ومن مميزاتها النحوية تلك القواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الاعراب والتي تتمثل في اصوات جد قصيرة تلحق اواخر الكلمات ، لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة ، وهذا النظام لا يوجد له نظير في اخت من اخواتها السامية ، اللهم الا بعض آثار ضئيلة في العبرية والآرامية ، والحبشية .

و ـ ومن خواص اللغة العربية ومميزاتها ، انها اوسع ثروة في اصول الكلمات والمفردات ، من اخواتها اللغات السامية ، هذا الى انه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف انواع الكلمة اسمها ، وفعلها ، وحرفها . ومن المترادفات في الاسماء والافعال ، والصفات ، ما لم يجتمع مثله في لغة اخرى . فلقد جمع للاسد خمسمائة اسم ، وللثعبان مائتا اسم ، وللعسل اكثر من ثمانين اسما. ويروي الفيروزبادي صاحب القاموس ان للسيف في العربية الف اسم على الاقل ويقدر آخرون ان للداهية اربعمائة اسم ، ولكل من المطر والريح والظلام والناقة والحجر ، والماء ، والبئر اسماء كثيرة تبلغ عشرين في بعضها ، الى ثلاثمائة في بعضها الآخر . وقد جمع الاستاذ (درهام) المفردات العربية المتصلة بالجمل وشؤونه فوصلت الى اكثر من خمسة آلاف وستمائة واربعة واربعين وكذلك الشأن في الاوصاف فلكل من الكريم والبخيل ، والشجعان والجبان ... في اللغة العربية عشرات الالفاظ وقد احسن بيانا ابن سيد في كتابه « المخصص » ، كما احسن ابن جني في كتابه « الخصائص » ، وكما افاد كثيرا الثعالبي (في كتابه فقه اللغة) وكان صاحب تهذيب اللغة ابو منصور محمد بن احمد الازهري المولود سنة 282 والمتوفى سنة 370 ممن خدم اللغة واجاد في بيان خصائصها ومعاني مفرداتها ويوجد كثير من علماء اللغة ممن اتوا في قواميسهم وكتبهم ما يدل على فضلهم وتبحرهم ، وعلى ما للغة العربية من خواص ومفردات تعد بمئات الالوف كما تقدم ذكره.

ـ اللهجات العربية وسبب حدوثها وماذا تتناول :

اما اللهجات العربية فالبحث عنها ولا شك هام، ويحتاج الى دراسة خاصة لانها يجب ان تتناول اللهجات القديمة والحديثة . وهي متعددة كل منها بحسب القبائل ، والاقاليم ، والاماكن ، والطبقات من المجتمع العربي وبحسب البيئة والثقافة . فلمصر لهجتها ، وللعراق لهجته ، وللمغرب لهجته ، ولبلاد الشام لهجتها وكذا لليمن، والحجاز ، والكويت ، ونجد ايضا لبلاد شمالي افريقيا لهجاتها . وذلك لاختلاف الاقوام والقبائل التي تسكنها واختلاف حياتهم ومعيشتهم وحضارتهم .

وهو امر طبيعي يتبع قانون التحول ، والتطور ، والانتخاب ، والحاجة ، والتنازع ، والتربية ، واختلاف اللهجات قد يتناول الاصوات ، وقد يتناول بنية الالفاظ واعرابها ، وقد تكون الالفاظ اصيلة او دخيلة ، منحوتة او معربة ، محرفة او مشوهة ، وقد يكون معناها مختلفا عن غيرها .

وقد يكون الدخيل الاعجمي او المنحوت ، او المشتق قليلا او كثيرا تبعا لتقدم المجتمع وتأخره في العلم ، والمدنية ، وتبعا لكون اصحاب اللهجة المختلفة من الحكام او المحكومين او من المستعمرين او من المستقلين ، وتختلف لهجات المدن عن الارياف ، وفي القطر الواحد قد تتعدد اللهجات بين النساء والرجال وبين اقسام المدن ومحلاتها واحيائها ، وبين اقسام المتعلمين ، والاميين بحيث يصعب على ابن هذا القطر الواحد ان يفهم الكلام الدارج من ابن القطر الثاني كما تختلف لهجة رجال العلم ولغة ارباب المهن والحرف والصنائع والاعمال عن رجال الفن ، والادب والحكومة وارباب الحكم والادارة ورجال الحرب والامن .

ـ ما هو المرجع للغة العربية وتوحيد لهجاتها والباعث لحفظ الفصحى وسلامتها ؟

مهما يكن واقع الحال في تعدد اللهجات في الماضي والحاضر فلا مرجع لتقويمها وازالة منحرفها وتوحيدها وحفظ الفصحى وتعميمها ونشرها واستكمال سلامتها الا بنشر العلم وتقوية الثقافة الخاصة والعامة ، وانتشار التعليم والقضاء على الامية ثم انشاء المعاهد العلمية والجامعات والمجامع العلمية واللغوية وانشاء الكليات والمدارس الثانوية والابتدائية وتعميم الجمعيات العلمية والادبية والفنية والمكتبات والاكثار من المطابع والاكثار من تاليف الكتب في كل علم وفن وبحث ، وان تكون الفصحى لغة التدريس والتاليف والنشر خاصة لغة الصحف والتمثيل ، والاذاعة ، والاعلان والخطابة فيجب ان تكون هي اللغة الفصحى ، واللغة الفصحى مع كل هذه المقومات اللغوية والثقافية مرجعها الاول وحافظها الاقوى والاهم هو القرآن والحديث ولا يزيل ضعفها ويوحد لهجاتها ويقوم معوجها الا الادب العربي السليم في الشعر والنثر والكتابة ، والغناء ، والتمثيل ، والاذاعة ، والاعلان ، وما يشمله الادب العربي من تاريخ ومحفوظات ومخطوطات ومطبوعات. والامية كلما زالت ، او تقاربت كتب التعليم ومناهج التعليم في جميع درجاته في البلاد العربية وتوحدت، وعمت الوحدة المجامع اللغوية والعلمية ، وتطورت وساعدتها الحكومات وامدتها المؤسسات الاهلية بما يلزمها من المساعدات المادية والمعنوية لتفاهم العرب واسرعوا بتقدمهم ورقيهم وتشييد حضارتهم بالقوة التي كانت لآبائهم في فجر انطلاقتهم الاولى وفي عصورهم الذهبية والمولى يؤيد من ينصره وهو على كل شيء قدير .

العربية ورجال المهجر

كيف ينبغي أن تستفيد العروبة والاسلام من آلاف الاختصاصيين العرب في « مهاجر » أمريكا ؟

للاستاذ فؤاد الشايب

مدير مكتب الجامعة العربية
بوينوس – ايرس

توصلنا من حضرة الاستاذ فؤاد الشايب مدير مكتب الجامعة العربية فى بوينوس ايرس بامريكا الجنوبية بجواب متاخر من الاستفتاء حول علاقة الاسلام باللغة العربية وهو يلقي اضواء جديدة على المشكل من جهة خاصة تتصل برجال المهجر العرب فى القارة الامريكية ونحن ننشره شاكرين :

ان مصير اللغة العربية فى المهاجر يبقى ابدا فى قمة المشاغل والاهتمامات التى اعانيها ويدي مغلولة الى عنقي. عسى ان يكون فى اثارة المشكلة ، والتعاون فى مجابهتها ما يضعنا واياكم فى الطريق العلمية والعملية الصحيحة ، التى يؤلف (استفتاؤكم) مرحلة ضرورية من مراحلها الاولية .

وانني اذ اشكر لكم اشراكي فى الاستفتاء ، اغتنم الفرصة لادلي ببعض الراي الصريح ، الذى يتجاوز الدراسة الى حيز العمل السريع المنقذ ، فى مجابهة القضية . راجيا ان يكون شفيع هذا الراي ، شعوركم معنا بأن الذى يعيش مع المحنة عن كثب ، لا يستطيع ان ينظر اليها بقلبه ولسانه ، دون يده .

عسى ان يكون لكم ولنا بعض بعض اليد الصغيرة، فى المرور من مرحلة التفكير الى مرحلة التدبير .

جاء الاسلام والعرب ثقافة ودولة. كانت العربية، فى عصر النبي ، مهيأة عبر اطوار متعاقبة من التطور والتكامل ، لان تكون لغة الدولة ، وحاملة رسالتها الثقافية .

فاذا قلنا ان اللغة العربية تعززت بالقرءان ، كان ذلك صحيحا . واذا قلنا أن الاسلام اعتز باللغة العربية ، وسال على اسلات اقلامها ، كان ذلك صحيحا ايضا . فالوحي اختار منزله الصالح فى الارض ، والمنزل الصالح تسامى حتى استحق استيعاب الوحي .

ان مدى التلازم والترابط بين الاسلام واللغة مدى غير محدود . فاذا نظرنا الى كيف أصبحت اللغة العربية اداة الادب والعلم والحضارة عامة ، فيما تجاوز التخوم العربية الى بلاد فارس والروم ، وكيف اصبح لتاريخ الفكر العربي اشراق حضاري ساهم فيه مثقفو العصر ، على اختلاف اعراقهم ، ادركنا اهمية الحدث الحضاري ، فى تلازم الاسلام واللغة معا فى تكوينه ، دون ما تفاضل او تشاد بين سهم الدين وسهم اللغة فى حركة التكوين هذه .

من حيث اللغة ، لم يكن فى تاريخ العصر ، بين لغات الارض ، ما هو اكثر تفجرا واشتمالا من اللغة العربية ، ضمن حدود السلطان العربي الاسلامي وخارج حدوده ايضا . فكان لزاما على كل من يريد ان يعلم ويتعلم فى هذا المدى الجغرافي الواسع ، ان تكون بين يديه كبرى ادوات العلم والتعليم : لغة العرب

من حيث الدين فقد سجل الاسلام حدثا فذا فى تاريخ تفجر الحركات الانسانية على انه توحيد بين الدين والثقافة فى تناسق من الاشراق الفكري والنزوع الانساني . وكان الفتح ، بخلاف الكثير من الغزوات فى العالم ، ثورة ثقافية جديدة عنت لها القلوب قبل الرقاب . وبديهي ان تشرق اللغة ، فى حمى الدولة ، دينها ثورة ثقافية ورسالة حضارية .

وما يقال فى تلازم الاسلام واللغة العربية ، يقال فى تلازمهما غروبا . لكن تلازم الغروب تدلمه صفة خاصة ، اذ ليس ضعف اللغة هو الذى ادى الى ضعف الاسلام والدولة العربية . بل بالعكس . فان تقلص ظل الدولة قد ادى الى تقلص ظل اللغة . وفى هذا التلازم الغروبي، ما يشير الى اهمية سلطان الدولة ، فى اقامة كيان الثقافة والحضارة .

على انه بالرغم عن اهمية عامل السلطان السياسي ، فى تكوين الكيان الثقافي الحضاري ، فقد ناضل الاسلام ، واللغة ، منفردين او مجتمعين ، طوال حقبة وبدون سلطان الدولة ، نضالا جبارا ضد قوى الظلم والظلام . بما لم يتيسر ويتوافر كله ، لاي دين واية لغة فى نهضات الزمن الاخير .

على انه يجب القول هنا ، انه بينما كان الدين منصر مقاومة ، فى كثير من الحالات السلبية ضد الضياع والخضوع ، كانت اللغة ، من جهتها ، عنصر هجوم فى معاقل الظلم والظلام. ومع اطلالة النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان يشهد فى سماء الشرق ان اللغة العربية غدت طليعة الاشراق العربي الجديد .

وعندما تنادى العرب الى ثورة قومية ضد الدولة العثمانية المتلبسة بالاسلام ، وانحسر قناع العداء التركي للعنصر العربي ، بحيث غدا الدين شعارا سياسيا ، وليس ايمانا ، وليس صدقا وحقا ، كانت اللغة العربية تقف على قدميها من جديد ، فى دعوة الى احياء التراث الحضاري ضد مزوري هذا التراث الدائبين على طمس معالمه وجوهر فضائله . وعبر اللغة بدات حركة تلاقح فكري بين الشرق والغرب ، بالترجمة والنقل ، من اهم مظاهرها فى القرن التاسع عشر ، ادب النزعات القومية . ونشات اجيال عربية جديدة فى دور ثقافي ركناه : احياء التراث العربي وتأكيد الوجود القومي المشترك .

ومن اهم ملامح الدور القيادي الذى نهضت به اللغة العربية ، نثرا وشعرا فى المواطن العربية نفسها، وفى المهاجر التى نزح اليها النازحون ، ان شارك المثقفون ، مسلمين ومسيحيين ، فى احياء التراث العربي وفى الدعوة الى قومية عربية مستمدة من امجاد هذا التراث . ولا يجهل باحث فى ادب القرن التاسع عشر وطلائع العشرين ، اسماء الاعلام العرب الذين كانوا على القيادة الفكرية فى المواطن والمهاجر .

وفى المهاجر بصفة خاصة ، وباندفاقة نادرة المثال، تغنى الشعراء والمؤرخون بامجاد الامة الواحدة،

التي تحدرت دولة وكيانا من فجر الاسلام . وجرت كلمتا (الاسلام) و (العروبة) على اقلامهم ولهواتهم مترادفتين غير منفصلتين في الجوهر . وتسابقت محافل الشعر الى احياء ذكرى المولد النبوي ، في عواصم المهاجر ، ولم يخل ديوان شاعر مسيحي من قصيدة او قصائد تتغنى بمجد الرسول على انغام نهج البردة وعلى انغام واوزان سواها . وبهذا تتجلى عبقرية اللغة العربية مصعدة بالعمل الادبي ، في احياء التراث منظورا اليه في كلياته المطلقة ومعانيه الخالدة.

من هذه الزاوية ننظر الى كل دعوة تمس كيان اللغة وجوهرها ، كانها دعوة الى توهين العروبة والاسلام على السواء .

ومن هنا ننظر الى ضعف الاسلام في نفوس المهاجرين المسلمين الذين نزحوا الى المهاجر الامريكية، على انه ضعف في اللغة التي تمارس بها العقيدة . وان تكن ثمة اسباب اجتماعية وجيهة في تفسير تضاؤل الوعي الاسلامي ، فيجب الا ننسى ان من اخطر بواعث الوهن الديني وهن اللغة في ربط ما بين لسان المؤمن وشعوره .

وقد شهدت جمهورا مسلما في جامع مهجري ، يصغي الى واعظ خطيب يتدفق بلاغة وبيانا ، حتى انتقلت الى الجمهور حماسته كما تنتقل الكهرباء ، وراح بعضهم يبكي وينشج . فسالت بعضهم : لماذا تبكون ؟ اتفهمون كل ما قاله الواعظ ؟ قالوا اننا نبكي لاننا لا نفهم .

وجاء المترجم يلخص عظة الخطيب ويترجم بعض الآيات فتحركت الرؤوس مرتعشة ببعض المعاني . ولكن الوجوه ظلت جامدة والعيون عطشى لا يطل منها ذلك الاشراق العجيب الذي ينبعث من الاعماق ، حيث تخترق الكلمة الشغاف وتستقر في منابع الاشراق . وتوارى المترجم كانه اقترف ذنبا واحاط الجمهور بالخطيب وهم لا يعرفون العربية وهو لا يعرف الاسبانية ، وفي عيون الجميع ذلك الوله الذي يعبر عن عجز البلوغ وامتناع اللقاء .

وفي الجواب عن فقرة من سؤالكم اقول :

ليس للفكر الاسلامي عن طريق لغة القرآن ، اي تاثير في لغة الجالية الاسلامية العربية في الارجنتين ، او في لهجاتها . وعددها يكاد يبلغ الاربعمائة الف نسمة — بل اكاد اقول — دون النظر الى العدد الضئيل المحدود من المتنورين — ان ليس للثقافة الاسلامية اثر في تكوين شخصية المسلم المهجري . فلا هو يتلقى الفكر الاسلامي عن العربية ولا هو يتابعه عن الاسبانية في اقل تقدير . انه مسلم لانه لا يتنكر لمولده الديني ، ولكنه يغرق في العجمة باستمرار . وان يكن فخورا بانتسابه فلا يكفي ان يكون الفخر وحده عامل المقاومة والاستمرار .

بل لنقل العكس في تاثير اللغة الخارجية على العربي المسلم في المهاجر . ان صديقا لي يدعى حسين عباس ، هو في الهوية وفي المجتمع (خوسيه ابه) . اما (خوسيه) فهي ترجمة (حسين) . واما عباس فقد اصبح (ابه) ، كما اصبح عبد الكريم (امريكو) . وهكذا تريد الدولة ان تعطي رعاياها اسماء تنسجم مع اسمائها ، لينصهر المواطن في وطنه الجديد . وفي هذا الوطن الجديد، الوف المدارس الاجنبية للانكليز وللفرنسيين وللبرتغاليين، كجاليات، بل لليهود مئات المدارس وعشرات للارمن . وليس للجالية العربية التي تبلغ المليون نسمة في المهجر الارجنتيني ، سوى بضعة مراكز للتدريس العربي غير النظامي لا يكاد يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة .

ايها السادة في المكتب الدائم لتنسيق التعريب — في الرباط

انني اذ اتخطى في جوابي عن سؤالكم حدود السؤال ، الى طرح قضية ومعالجة ماساة ، فلانني اريد ان اهتبل الفرصة لاخاطبكم ليس كمكتب تعريب فحسب بل كجماعة توجيه ايضا ، لاسيما وقد تجاوزتم في سؤالكم المحيط العربي الى المجتمعات خارج الوطن العربي .

ليس شاني في هذه العجالة ، ان اعنى في كيف يصح اسلام المسلم في باكستان — وايران وتركيا والصين مثلا — بل انني لاعني حقا في كيف يصح اسلام المسلم العربي بالذات في مهاجره الاسيوية والافريقية والامريكية . والمسلم العربي ، كما ارى بوضوح ، لا يمكن ان يصح اسلامه الا بعربيته ، كما لا يمكن ان تصح عروبة اي عربي آخر الا بعربيته ايضا . ان صاحب الرسالة مسؤول ، والعربي هو وريثها الوحيد . وقد راينا كيف نهضت

اللغة العربية فى بدء عصر النهضة الحديثة ، بدور الذين والدولة معا فى قيادة الموكب العربي الصاعد . وليس من شك فى ان هذه الظاهرة الرائعة حدث من احداث التاريخ جدير باهتمام الباحثين وعنايتهم والحاكمين المسؤولين مثلهم ايضا .

ان رقم **المليون عربي مسلما ومسيحيا ، فى الارجنتين يقفز الى اربعة ملايين حتى الخمسة فى دول امريكا اللاتينية** . وعندما نعود الى تاريخ هذه الهجرة العربية الضخمة ، منذ مائة عام ، نفكر فى مآسيها وفواجعها . ولكن عندما ننظر اليوم الى واقع هذه الهجرة ، لا نلبث ان نحمد عواقبها من باب لا تكرهوا شيئا لعله خير لكم . افكر فى الزخم الروحي والثقافي الذى اعطته هذه الهجرة لتاريخ اللغة العربية والفكر العربي فى المهاجر . وافكر فى هذه المعجزة التى تمت على ايدي المهاجرين الرواد ، احيوا امجاد الاندلس فى الامريكات . ثم افكر فى تلك الانطلاقة المستقبلية الكامنة فى اعماق اربعة ملايين عربي ، عندما تستطيع ان تفجرها اللغة العربية ، والتعليم العربي ، فتردها للعروبة قوى عاملة فى كتل بشرية ضخمة تعد نفسها لمستقبل عالم جديد بينما هي اليوم فى واقعها قطع جليدية مبعثرة فى المحيط ، آخذة يوما بعد يوم بالذوبان او بالانحدار نحو القاع .

اريد ان احتفظ قليلا فاقول : **لولا مجهودات** مشكورة اتخذت طابعا جديا فى الاعوام الاخيرة ، **لاحياء الدين الاسلامي** فى قلوب المسلمين وعقولهم من جهة ، ولولا ما تثيره قضية فلسطين فى نفوس هؤلاء القوم العرب أو من أصل عربي ، من جهة ثانية ، لكانت الصورة اكثر ظلاما . ولكن هذا وذاك ، لا يتذرع باللغة العربية سبيلا الى احياء الدين او احياء الشعور القومي . وان تذرع فقليلا جدا . ويبدو بالاجمال ان هناك غفلة لدى قادة الراي ، عن اهمية اللغة فى ربط ما بين العربي ودينه ، وربط ما بين العربي وقوميته .

مثال ذلك :

انا لا اوافق على ان احياء الدين الاسلامي لدى المهاجرين ، يمكن ان يسلك مسالك التبشير المسيحي فى الاصقاع البعيدة ، حيث يتم التبشير بلغة المحيط ووفق لهجاتهم وتصوراتهم المحلية ، كان يصوروا مريم العذراء — مثلا — بصورة صينية او هندية او زنجية ، تقريبا للصورة من اذهانهم ووجدانهم . والفرق ان الاسلام مغروس فى العروبة والعربية ، وبهذا يتميز كرسالة سماوية ، وانسانية ، عما سبقه من اديان .

ومثال ذلك ايضا :

فى تجاربي الشخصية ودراساتي للادب المهجري فى اوائل هذا القرن ، ان الادباء والشعراء المسيحيين، الذين كانوا رواد نهضة ادبية مشهودة فى الامريكات قد وصلتهم لغتهم وصلا روحيا قويا بقوميتهم وبتراثهم العربي ، الذى فى قمته القرآن الكريم . وكانوا اكثر وعيا وتفهما للاسلام ، وامتزاجا به ووفاء لحقه عليهم ، ليس اكثر من العامة العربية فحسب، بل اكثر من العامة الاسلامية نفسها . وذلك من بديهيات نفاذ اللغة الى التاريخ والتراث ، ومن وعي هذا التاريخ ، وهذا التراث الحضاري، بلغته لا يمكن الا ان يحبه ويفي له .

ومثال ذلك ايضا :

انه قد غدا من الثابت، فى السابق واللاحق، من دراسة ثقافات الدعاة وسير حياتهم — من اجانب وعرب — ممن دعوا الى التاليف والكتابة بالعامية ، حتى ممن دعوا الى الكتابة باللاتينية ، انهم اصحاب اغراض واهواء مشبوهة . بل خرج بعضهم من الشبهات الى الافتضاح ، وغدوا يشار اليهم بأنهم يعادون العربية لانهم يريدون أن يحرروا انفسهم من تلازم الذين واللغة والعروبة ، اما لانهم يخشون العروبة ، او لأنهم يخشون الاثنين معا . وليس من شك بعد فى ان الدعوة الى العامية محاولة لتحطيم جوهر الوحدة ، والدعوة الى اللاتينية بحجة العالمية ، محاولة لتحطيم مجد الرمز . فاللغة العربية ، بالدولة العربية القادرة ، غدت خلال قرون طويلة لغة الشعوب فى آسيا وافريقيا واوربا . وقد اتتها العربية بين يديها ولم تهدر هي سلامتها تحت اقدام العالمية . وادبنا العربي الحديث ، قد قصر عن العالمية ليس لانه مكتوب فى الحرف العربي بل لان الادب الجديد نفسه كعنصر ابداع ، لم يرق بعد الى العالمية، وما رقي منه حتى الآن، موجود فى مكاتب العالم مترجما مصغى اليه محتفى به . ثم لا ننسى شأن الدولة فى المرور الى المستويات العالمية ...

— 2 —

الاستنتاج بنقاط مختصرة :

— المهاجرون العرب وابناء المهاجرين بحاجة ماسة وعاجلة الى تعلم اللغة العربية والتدرج فى فهمها، ابتدائيا واكماليا وتثقيفيا .

— حتى الآن تراخت الدول العربية ، منفردة او مجتمعة ، عن تقرير خطة مدروسة وتنفيذها .

— اهم ما يجري من حوار حول هذا الشان قول الدول العربية انه من شان المغتربين العناية بلغتهم ، لاسيما وان كثيرين منهم اصحاب ثروات وقدرات . وقول المغتربين فى الرد على هذا القول ان الدول العربية تهمل المغتربين وتدير لهم ظهورها ، وهي التى يجب ان تفتح المدارس وتنفق عليها ، كما تفعل بعض الدول الاجنبية فى مساعدة جالياتها المهجرية — وبالفعل تفعل — .

— ان هذا الحوار سمعته منذ عشرين عاما ، ولا يزال دائرا وسيظل دائرا ، كالرحى تدور على نفسها وليس ما تطحنه .

— بالحق ان المغتربين اولى بالانفاق على مدارسهم . ولكن الحجر الاساسي لبدء العمل يجب ان تضعه الدولة العربية — اقول الدولة واعني جميع الدول —

— فالقضية ليست قضية من ينفق . بل هي الآن واليوم قضية من يبدأ . والدولة هي التى تبدأ، والاهلون سيتولون الانفاق يقينا . ولكن بعد مرور مرحلة الحجر الاساسي .

— ان القيادات الفكرية فى واقع الجاليات الحالي ، ضعيفة ، وغالبا ما تكون مفتقدة والدولة العربية فى المرحلة الاولى ، يجب ان تتولى قيادة الراي. وانا على يقين انها ما ان تضع النار فى الشعلة حتى يتكامل الاشتعال بناموس حركة الشرارة .

— ان المدرسين يجب ان ياتوا من البلاد العربية ومعهم خبرة التدريس ومواد التدريس وبعض العون المادي لبدء التاسيس . اما اشادة البناء المدرسي فيمكن بيسر ان يتم من قبل الجاليات .

من المفيد ان تعلم الدول العربية بأن حكومة الارجنتين — مثلا — تشجع تشييد المدارس النظامية التى تدرس لغة البلاد واية لغة اخرى ، ما دام البرنامج نظاميا . والمساعدة الحكومية يمكن ان تبلغ السبعين بالمئة من ثمن الارض والبناء . فما قول الاخوان فى هذا ؟

— اقول يجب ان ياتي المدرسون من البلاد العربية حاملين علما واخلاقا وشعورا بالمسؤولية الكبرى . ليس لان المدرسين مجرد مساعدة (انفاقية) بل لانهم يتولون رسالة ويقومون بدعوة . وهنا اهمية الفكرة .

—بدات الجامعة العربية بتاسيس صندوق الدعوة العربية . وليس اهم ولا اجل من ان تبدا الدعوة العربية من اللغة العربية ، ويكون الانفاق على (اللغة) جزءا كبيرا من الانفاق على (الدعوة) : الدعوة للغة، الدعوة للتراث العربي ، الدعوة لفلسطين. وكيف تنفصل الدعوة لفلسطين عن الدعوة لها فى الجاليات العربية التى هي فى المقام الاول سلاح الدعوة ويجب ان تكون سلاحها ؟ .

— وفى رايي الاخير ان صندوق الدعوة العربية باشراف الجامعة العربية ، يجب ان يتكامل ويتصاعد بمساعدة الدول العربية والجماهير العربية ، وان يعلن بأن تعليم ابناء المغتربين جزء من الدعوة ، وموارده ونفقاته جزء من موارد صندوق الدعوة ونفقاته .

— 3 —

قد يعترض معترض ويقول : ان الامية تسود ارجاء الوطن العربي بنسب تتراوح بين خمسين بالمئة وسبعين بالمئة . واولى بالدولة العربية ان تعنى باميبها قبل ان تعنى بمهاجريها والاعتراض مرفوض لاسباب ، اهمها :

اولا — ان المواطن العربي يربيه وطنه ويوجهه ويواصله روحيا باخلاقية الوسط والمجتمع ، ولا خوف عليه من الضياع . اما المهاجر العربي فهو (يتيم العرب) والمهاجرون يتامى لا صلة لهم بأرضهم ووطنهم فما حكمة القول ان نتركهم يتامى .

ثانيا – اذا كان المواطن المقيم جزءا من بناء الوطن الداخلي، فالمواطن المغترب امتداد لكيانه المادي والثقافي معا . وهو حياة اجتماعية اخرى فيما وراء حدود الوطن . وفي ظروفنا السياسية الراهنة ، يمكن ان يكون المغترب اجدى فعالية من المقيم ، في خدمة بلاده وقضاياها الخارجية . وعلى هذا فان المغتربين ثروة بشرية وموجة حضارية من الطراز الفريد في تاريخ العرب الحديث .

ثالثا – ان النهضات في حياة الامم حركة شاملة ذات اجزاء متكاملة ، لا يهمل بعضها لحساب البعض الآخر، كأن يعمل للسياسة دون الاقتصاد ، او للاقتصاد دون الثقافة ، او للرجل دون المراة ، او للمواطن دون المغترب . هذا اذا وضعنا بديهية اننا امة ذات مستقبل ورسالة حضارية . واننا يجب ان نخطط لهذا المستقبل ولهذه الحضارة . واللغة تراثنا الحضاري الخالد .

قد يعترض معترض آخر ويقول : قضي الامر واندمجت الجاليات العربية في محيطاتها وابتلعتها اوطانها الجديدة التي تنتسب اليها وتندمج فيها .

والرد على الاعتراض :

اولا – لا يهم ان تكون الاجيال من اصل عربي قد انتسبت واندمجت . فالبلاد العربية بالواقع لا تفتش عن مزيد من عدد الرعايا ، التي لا يضير اوطانها ان تحمل في جنباتها روحانية الثقافة العربية العريقة ، بل تفتح لها صدرها اذا وجدت .

ان مجتمعات جديدة ، مثل مجتمعات امريكا اللاتينية ،تفتش عن جذور لها في الاعماق ، لانه ليس لها في تاريخها تلك الجذور . وهي برغم اتجاهاتها نحو الثقافة الاوربية بدافع السياسة احيانا ، والتقليد للغرب احيانا اخرى ، لا تجهل انها امتداد لحضارة اللغة الاسبانية التي تؤلف العربية خمسة عشر بالمائة من قاموسها الرسمي او اكثر (1) . وللاندلس الاسبانية التي عاشت في دم اهل البلاد ثمانمائة سنة ، وظلت تمتد وتنتشر بعد ذلك في العادات والتقاليد والاقوام النازحة هنا وهناك ، حتى بعد غروبها السياسي . ففي الارجنتين والبرازيل – مثلا – يرمز الى رجل (الغاوتشو) – رجل الصحراء – على انه نموذج الاصالة الوطنية، وعلى انه الدفقة العربية التي انساحت في ارجاء البلاد من الاندلس وعلى انه يمثل حقا عراقة الاصول الاولى التي انغرست في الارض قبل ان تفد اليها وفود المهاجرين من اوربا . وفي الارجنتين اليوم تيار ثقافي قوي يريد اعطاء البلاد اخلاقية عريقة ، هي اخلاقية الرجل (الغاوتشو) ساكن البلاد القديم ، رجل المروءة والحرية والفروسية ، ضد التيار الاوربي الغربي الذي هو في راي بعض الوطنيين الارجنتينيين من هذه المدرسة تزوير لشخصية الارجنتين الثقافية والاخلاقية – ولهذا الموضوع حديث طويل (2) .

اذن فلا الذين استوطنوا هذه المهاجر بعائدين ، ولا اوطانهم العربية بحاجة حقا الى عددهم . ان خمسة ملايين في المهاجر الامريكية كلها يمكن ان تنتجهم الامة العربية في مدى خمسة اعوام او اقل . ولكنها

---

(1) يعيش في مدينة (كوردوبا) المدينة الثقافية الجامعية الاولى في الارجنتين ، عربي سوري هو الاستاذ يوسف الغريب . وينصرف الى ترجمة الآثار العربية الى الاسبانية . وقد ترجم (كليلة ودمنة) و (عمر الخيام) ومجموعات من حكم العرب واقوالهم في كتاب (الحكمة العربية) ، كما ترجم جبران ونعيمة وشفيق المعلوف . وقضى خمسة عشر عاما في ترجمة القاموس الاسباني الرسمي الى اللغة العربية ، في اكثر من ثلاثمائة الف كلمة ، مشيرا الى الاصل العربي للكلمات الاسبانية . وهو قاموس فريد من نوعه يقع في ثلاثة اجزاء جاهزة للطبع . والاستاذ الغريب في سن السبعين ويعتبر نموذجا للرجل العربي المغترب الذي كرس نفسه لخدمة لغته وتراثه .

(2) يساعد مكتب الجامعة العربية في بوينوس ايرس احد الباحثين المؤرخين المعروفين (سيزار كيروس) في تأليف كتاب عن الجذور العربية لرجل (الغاوتشو). ومساهمة هؤلاء الصحراويين الارجنتينيين في معركة استقلال الارجنتين ، كمحاربين اشداء وفرسان مروءة ووطنية .

لا يمكن ان تؤلف هجرة جديدة ، على هذا المدى الفريد في التاريخ الحديث . لقد كانت الهجرة رمية اقدار. ومن ذكاء السياسة احيانا ان يتحالف الانسان مع اقداره . عندما يكون هذا التحالف فاعلا ايجابيا مخصبا .

ثانيا ــ من عجيب امر هذه الهجرة ، ان الابناء والاحفاد ، الذين هم ارجنتينيون بالمولد لا بالتجنس ، يستفيق جمع منهم على (شرف الانتساب) ، فاذا بهم اكثر احساسا بقضية الوطن الذى تحدر آباؤهم واجدادهم منه . ولهذه اليقظة الروحية اسباب ، اهمها : ثقافة الاجيال الجديدة من جهة ، وبراءتهم من مركب النقص والاضطهاد من جهة ثانية . وعلى النقيض كان آباؤهم واجدادهم فقراء اميين مصابين بذكرياتهم المريرة ، يشعرون بالاضطهاد، سواء فى تذكر المواطن التى هجروها ، ام فى المواطن التى لجاوا اليها . فهم ليسوا سوى طالبي امان ورزق ، ونسيان ايضا . ولكن يجب الا ننسى مع ذلك ، ان الدفقة المهجرية الثقافية فى اواخر التاسع عشر واوائل العشرين ، مما المعنا اليه ، قد صدرت عن هؤلاء المترحلين الاميين الذين ، كما يقول بعضهم ، (علمتهم غربتهم الوطنية) ، والذين فهموا اسرار اللغة ، فى المهاجر ، ودرسوا التاريخ ، واعطوا الادب العربي حياة جديدة.

ان المستيقظة مشاعرهم من الاجيال الجديدة ليسوا كثيرين بعد ولكنهم قلة تدل على وجود الينابيع فى الارض العميقة .

قد يكون ارتداد بعضهم الى الينابيع نموذجا امريكيا لاتينيا شائعا فى التفتيش عن اصالة ، عن عراقة ، عن جذور عميقة . ولكن من المؤكد ان الارتداد الى منابع النسب العربي ، عن طريق الدين، او عن طريق اللغة والتراث عامة ، يحمل شعورا عميقا ، غير مزيف بشهوة التفتيش عن (مظاهر) الاصالة وحدها .

حتى الارجنتيني نفسه من مدرسة (الفاوتشو) يتجاوز فى نظرته الى المنابع، موضوع الدراسة التاريخية ، والبحث العلمي ، ويعتبر وجود (الفاوتشو) فى الاصول مسالة ثقافية اخلاقية .

ثالثا ــ يقال ان الجاليات العربية تفسخت فى المرحلة الزمنية الاخيرة ، سياسيا وقوميا ودينيا ، وغدت مجموعة من المتناقضات والاتجاهات .

وهذا صحيح . بقي ان نعرف بالتفصيل وجه هذه الصحة . ان امراضهم ليست من صنعهم بل من صنع اوطانهم . والتفسخ هو بضاعة مصدرة من المواطن الى المهاجر ثم ان هذا العالم قد تقلصت ابعاده وغدت تجري اخباره بسرعة البرق . وهؤلاء العرب يعيشون فى هذا العالم وليس فى الكهوف المحجوبة عن اجنحة الطيران والسنة البرق . وكثيرا ما نعجز فى الاجابة عن تساؤلاتهم وحيراتهم وشكوكهم . ثم كثيرا ما نطلب اليهم ان يديروا ظهورهم لمشاكل اوطانهم . ويكون الابعدون قدوة للاقربين . ولكن كلامنا بالحق ليس سوى (موعظة حسنة) .

ومع ذلك فكثيرا ما جردوا قضية اوطانهم تجريدا ورفعوها الى مستويات العقائد والكليات وتجاوبوا مع ثورات اوطانهم فى الاحزان والافراح ، والهزائم والانتصارات . وقاموا وقعدوا على آمال مشرقة وخيبات مريرة .

ومع ذلك فقد منحوا بلادهم مدرسة ادبية فريدة وفجروا فى المهاجر وفى المواطن مشاعر قومية اصيلة، اقوالا واعمالا ، خلال خمسين سنة من اوائل هذا القرن . وارسلوا الى اهلهم مليارات من الاموال كانت بالواقع جزءا لا يتجزأ من الدخل القومي العام الذى ساهم فى رفع مستوى المعيشة فى قرى ومدن كثيرة كبيرة وصغيرة . ولم يكن شعر المهجر وحده الذى يبلغ الاوطان ويثير المشاعر والمخيلات ، بل كانت الوف الرسائل الصغيرة تصل كل عام ليقرأها تحت ضوء قناديل الزيت والكاز فى القرون النائية وازقة المدن الخلفية ، الوف المواطنين المتواصلين مع اهلهم برسائل الاشواق والاحزان .

لقد منحوا كثيرا ولم نمنحهم شيئا . لم ينسوا اصولهم الى الحد الذى يزعمه المتعبون ، بل نحن فى المواطن قد نسيناهم. وعندما يخطر لنا ان نفكر بهم ، فى شان انشاء مدرسة عربية ، لا نزال منذ ربع قرن نتساءل كاننا اذكياء :من يبدأ؟ هم ام نحن ؟.. من يدفع ... هم ام نحن ؟

يستوي فى اهمال المغتربين جميع المواطن العربية بالاضافة الى الموطنين الاساسيين : سوريا ولبنان . والا فكيف نريدهم، للغة والتراث ولفلسطين، وننظر الى واجبات الدول العربية ازاءهم كوحدة ايضا لنشعرهم حقا بانهم اصحاب حقوق واصحاب تبعات معا ؟

لماذا — مثلا — لا يشترك كويتي فى مساعدة مدرسة وسعودي فى ترميم كنيسة ، وليبي فى انشاء جامع ؟ لماذا لا يدعى كاتب سوري الى المغرب او طبيب لبناني الى اليمن ؟ ولماذا لا نستفيد من خبراتهم ونحن نركض وراء الاجانب من اصحاب الخبرات ؟ ولماذا لا نقيم لهم حلقات دراسية وبعثات جامعية .. وجولات سياحية؟ والخ الخ الخ .

بل لماذا لا نبدأ على الفور بتخصيص جزء من دخل صندوق الدعوة العربية لتعليم اللغة العربية ونشر آدابها وتراثها ؟ ولماذا لا نضع خطة علمية مقررة على مراحل ، تشترك فى تمويلها الدول والجماهير معا ، فى المواطن والمهاجر ؟

ايها الاخوة فى المكتب الدائم لتنسيق التعريب

ارجو معذرتي اذا استطردت من الجواب عن اسئلة استفتائكم الى الخوض فى تفاصيل الوضع الاجتماعي والثقافي العربي فى المهاجر. وفى رأيي ان **هذا التفصيل ملازم لجوهر القضية ، لاننا اذا طمحنا الى بعث اللغة العربية خارج حدود الوطن** العربي ، وجب علينا **ان نعرف ما هي الشروط الاجتماعية والثقافية الكائنة** والتى يجب ان تكون ، لتصبح مطامحنا اكثر من امنيات وابعاد من مجرد (دراسات) .

احييكم واشكركم واضع نفسي ، ما دمت فى هذا المهجر ، صاحب مسؤولية ، تحت تصرفكم فى كل ما يخدم الاهداف السامية التى تعملون فى سبيلها .



تحديات في وجه اللغة العربية

التبشير واللغة العربية

الأستاذ أنور الجندي

(القاهـرة)

واجهت اللغة العربية منذ اوائـل العصر الحديث تحديات خطيرة جائرة من خلال النفوذ الاستعماري الذى سيطر على العالم العربي ، ورأى فى اللغة العربيـة عاملا من العوامل الخطيرة التى تعـارض تثبيت قواعده . ومن هنا فقد عمد النفوذ الاستعماري الى عملين خطيرين :

اولهما : تجميد اللغة العربية عـن التوسع فى العالم الاسلامي

ثانيهما : توسيع نطاق اللغات الاجنبية وتشجيع اللهجات المحلية

وقد كان لمخطط التبشير الذى نفذه الاستعمار فى العالم العربي اثره الواضح فى هذا المجال

فقد وجه التبشير الى اللغة العربية حملة ضخمة قوامها حقيقة اساسية هي ان القضاء على القرآن مصدر الاسلام وقانونه الاسلامي يتطلب القضـاء على اللغـة العربية الفصحى ولما كان التبشير والنفوذ الاستعماري لا يستطيع ان يكشف هذه الحقيقة صراحـة فانـه اخفاها وراء كل خطوة اتخذها بشأن الدعوة الى العامية او مهاجمة اللغة العربية وانتقاصهـا او الدعـوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية .

وتكشف جميع النصوص التى بين ايدينا على ان هذا الغرض الدفين واضح فى عقل كل من يتصدى لهذا الغرض ، ويبدو خطر الدعوة الى تحطيم اللغـة العربية واضحا حينما نـرى ان عـددا كبيـرا من المبشرين والمستشرقين قد تصدوا للكتابة فى هـذا الموضوع واقاموا من انفسهم خداما لهـذه الغايـة لا يرون بأسا فى التخفي وتغيير شخصياتهم فى سبيل تحقيق ما يريدون ، حتى ان « ولهـم سبتيـا » اول الدعاة الى العامية ومدير دار الكتب بالقاهرة يختـار ان يعيش فى حي وطني « لكي يستقـي العاميـة من منابعها الاصلية ولا يدون الا ما يسمعه ، ثم يدون مـا يسمعه باذنه على كم قميصه خوفا من ان يلاحظه احد المتكلمين فيفقد طبيعته وحريته فى الكلام »

وقد شغل عدد من هؤلاء الاجانب بأمر «العامية» المصرية واهتموا بها والفوا عنـها وفى مقدمتهـم ولهم سبتيا ، وكارل فولرس ، وسلدن ولمور ، ووليم ويلكوكس . وقد بدأ ذلك منذ 1880 واستمر حتى عام 1926 تقريبا .

وفى خلال ذلك كان لطفـي السيد وقاسم امين وسلامة موسى قد حملوا لواء هذه الدعوة ثم اتصل ذلك بالدعوة التى دعاها عبد العزيز فهمي عام 1941 عندما نادى بالكتابة بالحروف اللاتينية هذا فى مصر وفى المغرب تولى كولان ومن بعده ماسينون لواء هذه الدعوة وفي لبنان ظهر كثير من الدعاة الى الحروف

اللاتينية والعامية اللبنانية ، وقد كان هدف هذه الدعوة التى حمل لواءها التبشير اساسا لخدمة مخطط السيطرة الاستعمارية الثقافية انما يرمي الى تمزيق اللسان العربي فى العالم الإسلامي كله وليس العربي وحده ، والقضاء على لغة القرآن كلية باحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى فى كل قطر وبذلك ينفرط عقد الوحدة الجامعة التى كان قوامها هذا الكتاب المنزل والذى حفظ وحدة اللغة العربية طوال اربعة عشر قرنا .

ويؤكد الباحثون ان اهتمام الاجانب بالعامية « لم يكن من اجل البحث العلمي ــ ولا من اجل حاجتهم الى معرفة لهجات البلاد العربية التى تقتضي مصالحهم ان يعيشوا فيها ــ وتعاملوا مع اهلها وانما من اجل القضاء على العربية الفصحى واحلال العامية محلها (1) »

ومن الواضح ان هؤلاء الاجانب من المبشرين هم الذين وضعوا فى مؤلفاتهم هذه الخطة الكاملة التى ما يزال يستقي منها كل دعاة الشعوبية والتغريب واتباع المستشرقين والمبشرين من ادعاءات حول ما يصفونه بصعوبة اللغة العربية ، وصعوبة الحروف العربية ، واتهام اللغة العربية بانها لا تستطيع مجاراة العلوم الحديثة والفوارق الواضحة بين لغة الحديث ولغة الكتابة .

ولقد يدهش بعض البسطاء لاهتمام الاستعمار والنفوذ الاجنبي باللغة العربية بغية القضاء عليها ، ولو علموا مكان اللغة العربية من الاسلام والثقافة وكيان الامم لما دهشوا ، فاللغة هي روح الامة ومزاجها ، وهي ينبوع ما عند الامة من المزاج الخلقي والشعور النفسي .

فلا تفكر الامة الا بلغتها ، والفرق بين الفكر وبين اللغة دقيق وخطير ، ولذلك فان القضاء على اللغة انما يراد به القضاء على روح الامة وافساده .

وفى هذا يقول المازني :

« ان الانسان لا يستطيع ان يفكر الا بالالفاظ فهي وحدها اداة التفكير فلا سبيل اليه بدونها ومن المستحيل ان تمثل معنى مجردا عن الفاظ معينة ، ولكل لغة اساليبها وطرائقها فاساليب التفكير وطريقة التصور خاضعة للاساليب التى يتالف على مقتضاها الكلام فى اللغات المختلفة ومن هنا يتفق ويتشابه ابناء كل لغة ويختلفون عن ابناء كل لغة اخرى ، وهذا هو الفرق بين الانجليزي والفرنسي ، وما بين الانجليزي والهندي . »

وتمتاز اللغة العربية فى هذا المجال عن اللغات الاخرى بان لها « كتابا » هو رسالة السماء الى المسلمين ، ومن هنا فهي تترابط بعد الجماعة العربية التى تتكلمها بجماعة اخرى تزيد خمسة اضعاف من المسلمين الذين يجدون فى هذا الكتاب لغة دينهم ولغة ثقافتهم ، ومن هنا فقد اصبح للغة العربية بهذا الوضع مكان فريد وخطير كان على الاستعمار ان يواجهه بحزم فحيث يذهب الاسلام تذهب اللغة العربية ، ومن هنا فقد عمد الاستعمار الى تجميد اللغة العربية فى مختلف بلاد العالم الاسلامي التى سيطر عليها واعان لغته الاجنبية على السيطرة ، كما خلق من اللغات المحلية قوى يركز عليها لمحاربة اللغة العربية .

ومن هنا وفى سبيل اقصاء القرءان عن ثقافة الامم المسلمة سيطر النفوذ الاجنبي على وسائل التعليم وادارها بلغته التى اصبحت هي اللغة الاولى فى كل قطر محتل ، واجرى تجميد المعاهد الاسلامية الخالصة كالازهر والقرويين وقد اشار المبشر الاكبر «زويمر» الى خطورة اللغة العربية حين قال :

« ان اللغة العربية هي الرباط الوثيق الذى يجمع ملايين المسلمين على اختلاف اجناسهم ولغاتهم» وكان هذا اشارة الى ضرورة العمل على هدم اللغة العربية الفصحى التى هي لغة القرءان .

وهذا هو المعنى الذى تلفت اليه المرحوم مصطفى صادق الرافعي فى حملته على لطفي السيد ودعاة التسوية بين العامية والفصحى ، فقد كان الرافعي يعرف ان الهدف من ذلك هو احلال « لغة وسطى » قريبة من العامية لتكون لغة الكتابة وبذلك يبتعد المسلمون عن لغة القرءان البليغة وبذلك يصبحون عاجزين عن فهم القرءان او التعامل معه وهذا ما يهدف اليه الاستعمار .

(1) كتاب تاريخ الدعوة الى العامية

ومن اخطر دعوات التبشير والتغريب تلك الدعوى التى تتحدث كثيرا عن الادب الشعبي والفلكلور ولا يفهم الالحاح فى هذه الدعوة الاجنبية الا حين نرى حيرة سبتيا وفولرس وولور وويلكوكس فى البحث عن ثقافة شعبية يريدون اسنادها الى اللهجات العامية وبذلك يستطيعون ان يقولوا انها « لغة » وشرط اللغة ان تكون لها ثقافة ومن هنا عمدوا جميعا الى جمع المواويل والازجال والحكم العامية .

وقد جرت هذه الدعوة فى الوقت الذى كان « دنلوب » يستولي فيه على مقاليد التعليم فى مصر ويضع النظام الذى يريد به تغليب العامية والانجليزية واختصر دراسة العربية وكل ما يتصل بها بعد الاحتلال .

ثم جاء « سلدن ولمور » بعد الاحتلال فاضاف الى دعوة من سبقوه الى العامية — العمل على كتابة العامية بالحروف اللاتينية.

وآزرت مجلة المقتطف وبعض الكتاب من خريجي الارساليات والمعاهد الاجنبية هذه الدعوة ورددوا آراء هؤلاء التى تتلخص فى اثارة الشبهات عن الخلاف بين لغة الكلام ولغة الكتابة وضرورة احلال اللغة الاجنبية فى التعليم نتيجة الارتباط بالدول الاوربية .

وكان سعد زغلول « اول ناظر للمعارف العمومية هو اكبر دعاة بقاء اللغة الانجليزية لغة عامية للتعليم ، وقد استطاع الاستعمار والنفوذ الاجنبي به ان ينقل السهام الموجهة الى كرومر ودنلوب الى قلب وزير عربي هو الذي تصدى ليحمل لواء الدفاع عن بقاء اللغة الانجليزية كاساس للتعليم وتجميد اللغة العربية .

وعارض هذا الاساس كبار قادة الصحافة والسياسة فى هذه الفترة وفى مقدمتهم : مصطفى كامل ومحمد فريد وعلى يوسف واشاروا الى مدى الخطر الناتج من هذا الاجراء . وكيف انه يؤدي الى حصر العلم في طبقة ضيقة جدا من الامة ويقلل الاساتذة الاكفاء ويلاشي القدرة العلمية والفنية التي بلغتها البلاد بما يميت هذه اللغة شيئا فشيئا .

ونصح المستر بلنت للمصريين والعرب بأن يحافظوا على لغتهم ودينهم، فقال اذا اراد المصريون أن ينالوا استقلالهم ويتحرروا وطنهم فعليهم الاحتفاظ بما احتفظت به كل امة مهضومة ، وهو « الدين واللغة » فان الامة التى تقبل لغة الفاتح تشكل على نفسها الذل والطاعة العمياء والامة التى تقبل دين من اغتصب بلادها تخون شرفها الوطني

ولعل اخطر ما تحمله خطة الغزو الاجنبي بالنسبة للغة العربية هو ما حاوله « ويلكوكس » من تاصيل للعامية والادعاء بانها لغة خاصة مستقلة عن اللغة العربية وانها جاءت من لغة اخرى ماتت هي اللغة البونية ، فقد نشر رسالة عام 1926 بعنوان « سوريا ومصر وشمال افريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية » : زعم فيها ان اللغة التي يتعلمها الناس من حلب الى مراكش بما فى ذلك مالطة هي اللغة الكنعانية او الفينيقية او البونية ، كما زعم ان اللغة البونية التي هي اساس لغة الحديث عندنا لا صلة لها بالعربية الفصحى فقد دخلت مصر قبل ان تدخلها الفصحى بالف سنة وانها انحدرت اليها من الهكسوس (1) .

وهذه محاولة جريئة وماكرة ومبطلة للقول بان اللهجة العامية هي لغة قائمة بذاتها وانها كانت موجودة قبل الاسلام والهدف من هذا هو تاصيل الدعوة الى العامية فى محاولة لاحلالها لغة للكتابة حيث يردد هؤلاء جميعا العلاقة بين العامية والعربية ويقارنوها بالعلاقة بين اللاتينية واللغات الاوربية الحديثة وهي مقارنة باطلة ومضللة وقد رددنا على هذه الاتهامات فى كتابنا « اللغات العربية بين حماتها وخصومها » .

والمعروف ان ولكوكس كان من اكبر دعاة العامية وانه ترجم الانجيل بالعامية — كما ترجم بعض قطع

---

(1) لزيادة التفاصيل راجع كتابنا (اللغة العربية بين حماتها وخصومها) وكتاب تاريخ الدعوة الى العامية.

لشكسبير وقد وجدت هـذه الترجمـات ازدراء او احتقارا كبيرين ولم يتقبلها احد .

كما اجرى هؤلاء الاربعة (سبيتا ، فولرس ، ولمور ، ويلكوكس) محاولات متعـددة للدفـاع عن العامية وذلك بادعاء القول بأن لها قواعد محددة .

وكان الهدف من هذه الحملات المتواليـة التى بدات (1880 – واستمرت الى 1926 واضحا هو ليس فقط كما يقول بعض الباحثين الذين لم ينظـروا الى الامور نظرة عميقة « فصل المسلميـن والعـرب عـن ماضيهم وتفتيت وحدتهم بل هو اكبر من ذلك واخطر وهو السر المكتوم فى حنايا الصدور : القضاء على لغة القرآن واحلال لهجات تصبح لغات فينطوي كتـاب الاسلام الاكبر ويفقد خاصيته الكبرى وهي وحـدة الفكر بين المسلمين .

ومن خلال هذه المخططات التى رسمها التبشير والاستشراق ، انبثقت دعوات لطفي السيد وسلامة موسى وعبد العزيز فهمي فى مصر وغيرهم فى لبنان (المعلوف والخوري ومارون غصـن) – وما تـزال كتابات دعاة العامية فى مصر والعالم العربي الى اليوم تستمد مصادرها ودفاعها وهجومها على الفصحى من هذه الكتابات التى وسدت لهم مجال الدعوة الباطلة .

وكذلك فعل التبشير والاستشراق فى كـل جوانب الفكر الاسلامي هذا الفعل ، فاعد ركيـزة اساسية باقلام رجالـه وتـرك لتابعيـه وخدامـه الانتفاع بها وترديدها ولقد قرات فى الاعوام الاخيرة رسالة القيت فى احدى المؤتمرات الغربية عن العامية، لا تكاد تخرج فى مضمونها عن كلام ويلمور وويلكوكس وان كانت بحروف عربية وبتوقيع اسم عربي .

ولم تمر هذه الحملات على اللغة العربيـة دون معارضة وتفنيد بل لقد واجهت هذه الحملات ردود فعل قوية وكتب الكثيرون يفندون آراء لطفي السيد ورد عليه مصطفى صادق الرافعي وعبـد الرحمـان البرقوقي ، وفند الدكتور احمد الحوفي آراء سلامـة موسى وفند عبد الوهاب عزام وكثيـرون آراء عبـد العزيز فهمي .

وما يزال يردد هذه الدعوى كثيـرون فى هـذا الجيل من امثال ميخائيل نعيمـة وليويـس عـوض وسعيد عقل وسوف لا يكون رجاؤهم باكثر من رجـاء من سبقوهم .

صدرت للاستاذ انور الجنـدي الموسوعة الاسلامية العربية فى عدة مجلدات نخص بالذكر منها بحوثا حول الفكر العربي فى معركة التغريب والتبعية الثقافيـة ومعالم الفكر العربي المعاصر والفكـر الاسلامي والثقافة العربية ، ولسيادته ايضا « معالم الادب العربي المعاصر » (1871 – 1939) .

الجيل العربي الجديد
يجب أن يكون موحد الثقافة:
- معرفة حقيقة جوهر الدين
- مواكبة الحضارة الحديثة

الأستاذ: محمد سماك (لبنان)

انني من الذين يذهبون مذهب الربط بين الاسلام والعربية. وحسبي برهنة على ذلك ان القرءان الكريم قد انزل باللسان العربي ، وان ملايين المسلمين - عربا وعجما - مضطرون الى ان يرتلوه ويتلوه به . ثم انني الاحظ ان مستوى العربية في البيئات الاسلامية ارقى منه في المجتمعات غير الاسلامية . فانتشار اللغة العربية - في اعتقادي - منوط بانتشار الاسلام . ونحن نعلم انه لما خرجت الدعوة من شبه جزيرة العرب خرجت العربية من تلك البيئة الجغرافية المحدودة ، وانطلقت انى انطلق الاسلام . بل الاحظ ان العربية موقرة ، مبجلة في اوساط المتدينين ، اي حيث يقوى الوازع الديني ويشتد .

اما اليوم فان الثقافة الرائدة في لبنان هي الثقافة الاجنبية التي تحمل لواء نشرها وتعميمها البعثات التبشيرية المسيحية الاجنبية وبعض المؤسسات الاجنبية والمحلية الخاصة .

ثم ان كون نصف سكان لبنان على الاقل من غير المسلمين ، وحرصهم على اظهار لونهم وكيانهم الذاتي وسط مجموعة من الشعوب الاسلامية التي تحيط بهم في منطقة الشرق الاوسط ادى الى اندفاع هذه الفئة من اللبنانيين نحو الثقافة الغربية بصورة عامة لارتباط مستقبلهم السياسي ومصالحهم العامة بالعالم الغربي .

ان هذا التيار الثقافي جرف عددا كبيرا من المثقفين المسلمين وبصورة خاصة اولئك الذين تربطهم بالاسلام لوراثة اكثر من الايمان، او الذين يمارسون الاسلام بالعصبية اكثر مما يمارسونه بالعبادة .

وكما هو طبيعي ، فقد تركت الثقافة الغربية آثارها العميقة على :

1) تفكير هؤلاء .

2) وعلى طريقة تفكيرهم .

واذا كان موضوع الفكر في حد ذاته ليس هو موضوعنا ، الآن فان طريقة التفكير واللغة هي اداته ووسيلته التعبيرية تكشف لنا عن الوقائع التالية :

1 - هناك دعوة ملحة لاستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني كما جرى في تركيا على يد (اتاتورك) ويتزعم هذه الدعوة الاديب اللبناني (سعيد عقل) وقد الف بالفعل كتابا اسمه (يارا) بهذه (اللغة الجديدة) .

2 — وهناك ايضا دعوة لاستبدال اللغة العربية الفصحى باللغة المحلية المحكية . وقد نشرت بالفعل عدة مقالات وابحاث وصدرت كتب مختلفة « بهذه اللغة » ايضا .

3 — وهناك كذلك دعوة تلقى رواجا واسعا فى اوساط المثقفين اللبنانيين للخروج من دائرة التعبير اللغوي التقليدي الرصين ، الى دائرة اقل التزاما بمبادىء اصول اللغة ، وذلك على غرار ما يجري فى الدول الاوروبية حديثا ، ولعل ما بات يعرف الآن بالشعر الحديث هو واحد من نتائج هذه الدعوة .

على ضوء هذه المعطيات الاولية قد يكون من المفيد ان نعود قليلا الى الوراء ، الى فترة الحكم العثماني فى المنطقة العربية ، فلقد كان دين الدولة الاسلام ، دستورا وممارسة ، وكانت العناصر غير الاسلامية خاصة فى لبنان ، تحمل لواء اللغة العربية فى مختلف اقطار المنطقة ولاسيما فى مصر والعراق . اذ انه فى ذلك الوقت ، لم تكن « شخصية » تلك العناصر تتمتع بما تتمتع به الآن من استقلال ذاتي عن بقية مجموعة الشعوب العربية .

اما فى وقتنا الحاضر فلا يقتصر ما هو كائن على عكس ما كان ، بل ان شعارات الثورية والتقدمية تعم بعض الدول العربية حتى لتبدو هذه الدول ، وكأنها تحللت ، او على الاقل تحاول ان تتحلل من الاربطة التى تشدها الى الاسلام كدين للعبادة وكمنهج فى الحياة .

واذا اخذنا لبنان الذى كان منارة الثقافة العربية ، بالتالي منارة اللغة العربية فى العهد العثماني ، فاننا نجده الآن يتجه بعمق نحو الثقافة الغربية شكلا ومحتوى ، نتيجة التحولات المشار اليها فى صميم تكوينه المجتمعي . فانتاج دور النشر اللبنانية هو بالفعل انتاج غزير جدا ، غير اننا بعد التعمق فى درسه نجد ان اكثريته الساحقة هي عبارة عن مترجمات او مقتبسات من الادب او الفكر الغربي ، ونجد ايضا ان الانتاج العربي الصميم غالبا ما يقتصر على اعادة طبع مؤلفات قديمة او تلخيص لتلك المؤلفات . واما الانتاج الحديث فهو فى اكثريته منطلق فكريا من معطيات لا تمت الى العربية الا بصلة كون الحواجز مرفوعة بين منابع الثقافة العالمية فى عصر صغرت فيه الدنيا ولم يعد يحسب للمسافات حساب .

وهناك ايضا امر آخر لابد من الوقوف عنده وهو ان نوع المادة المكتوبة فى الثلث الاخير من القرن العشرين تفرض الى حد معين نوع اللغة . وبكلام آخر ، لقد تفتحت امام العالم آفاق علمية واسعة من المعرفة ، واستحدثت كلمات وتعابير لم تكن موجودة فى اللغات من قبل ، ولما كان موكب الحضارة العربية فى هذا الوقت متقصرا عن اللحاق بالركب العالمي ، فان اللغة العربية تبدو بالتالي مقصرة هي الاخرى . ليس المهم هنا القاء المسؤولية على عاتق اللغة او على عاتق اصحاب اللغة انما المهم هو اقرار الحقيقة التالية :

ان انتشار او انحسار اللغة العربية ليس مرتبطا دائما بقوة او بضعف الاسلام ، انما هو انعكاس لمدى انفتاح او انغلاق الفكر العربي ولمدى تقصيره او مساهمته فى عالم الكشوف العلمية والتحولات السريعة فى معرفة حقائق الكون المجهولة .

ومهما بذل المعربون من جهود فانهم يبقون عاجزين عن ازالة هذه الوصمة عن جبين اللغة العربية رغم ان هذه اللغة مهيأة فى تكوينها الطبيعي لاستخراج كل ما يحتاجه العلم الحديث من كلمات وتعابير جديدة .

ان المجتمع العربي كما يبدو اكثر وضوحا فى لبنان منه فى اي مكان آخر يقوم على اساس ثقافتين اثنتين ، الاولى : **ثقافة دينية تجهل اصول العلم** والتقنية الحديثتين ، والثانية : **ثقافة علمية مجردة** ، جاحدة او جاهلة لحقيقة الاسلام . ومن المؤسف ان يكون الاحتكاك بين هاتين الثقافتين ، على حساب اللغة العربية من حيث ان الاولى المتهمة بالجهل والتاخر **والعجز عن مواكبة تطور العصر تستعمل اللغة** العربية اداتها التعبيرية ، فتنفر الثانية منها وتزيد فى اندفاعها نحو اللغات الاجنبية التى تعتبرها لسان الحضارة . ولذلك فكثيرا ما نسمع مهندسا او طبيبا او حتى محاميا يدعي انه يفكر باللغة الاجنبية ، افضل واسرع مما لو يفكر باللغة العربية . من كل ذلك ، اريد ان اسجل الحقيقة التالية ، وهي ان **هناك اسبابا نفسية واخرى ثقافية حديثة الى جانب الاسباب الدينية ، تلعب دورا اساسيا فى تقرير قوة او ضعف اللغة العربية فى المجتمعات الاسلامية .** ولعل ذلك ما يفسر الفشل فى تعميم اللغة العربية حتى الآن فى الباكستان واندونيسيا وماليزيا او حتى

في بعض الاقطار الافريقية حيث كل السكان او اكثريتهم الساحقة من المسلمين الذين يتمسكون بلغة القرآن الكريم كاحدى الروابط الدينية المقدسة التي لا انفصام لها .

اما كيف يمكن التغلب على هذا الواقع فربما تكون هناك وسائل عديدة اهمها في نظري يقوم على تنشئة جيل جديد يدرس :

1 ـ الثقافة الدينية جنبا الى جنب مع الثقافة العلمية الحديثة .

2 ـ ويدرس مختلف انواع العلوم باللغة العربية بعد أن يكون قد تم تعريب المصطلحات والمفردات المستحدثة . وبذلك ينبثق من المجتمعات الاسلامية جيل موحد الثقافة يجمع بين معرفة حقيقة جوهر الدين الاسلامي من جهة ، ويواكب سير الحضارة العصرية من جهة ثانية بلغة واحدة قادرة على أن تلبي كل حاجيات التطور ومتطلباته .



العربية تحمل في ذاتها نزعة إنسانية.. هي إسهام العرب في حضارة العالم

الأستاذ زكي الارسوزي

احد المؤرخين الفرنسيين (ارنست دين) يقول في حديثه عن الوحدة الالمانية ان مصير اللغة يتبع المصير السياسي لمتكلميها ويضرب لنا مثلا بتناوب الناس في الاقبال على اللغة الالمانية او اللغة الفرنسية تبعا لمركز كل من المانيا وفرنسا السياسي في العالم ، وللعرب تجاربهم من هذا القبيل ، فلما بلغ المد العربي في غضون القرون الوسطى سهول فرنسا اصبحت ثقافة العرب منهل الشعوب الاوروبية واليك بعضا مما ورد في هذا الشان على لسان احد ادباء ذلك العصر :

« يطرب اخواني المسيحيون لاشعار العرب وقصصهم ، فهم يدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المحمديين ، لا لتنفيدها بل للحصول على اسلوب عربي صحيح رشيق ، فاين تجد اليوم علمانيا يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة، واين ذلك الذي يدرس الانجيل وكتب الانبياء والرسل ؟ وا اسفاه .. ان الشباب المسيحيين الذين هم من ابرز الناس مواهب ليسوا على علم من اي ادب ولا اية لغة غير العربية ، فهم يقراون كتب العربية ويدرسونها بلهفة وشغف ، وهم يجمعون منها مكتبات كاملة تكلفهم نفقات باهظة ، وهم يترنمون في كل مكان بمدح تراث العرب وانك لتراهم من الناحية الاخرى يحتجون في زراية اذا ذكرت الكتب المسيحية بان تلك المؤلفات غير جديرة بالتفاهم فوا حر قلباه !.. لقد نسي المسيحيون لغتهم ولا يكاد يوجد منهم واحد في الالف قادر على انشاء رسالة الى صديق بلاتينية مستقيمة ولكن اذا استدعى الامر كتابة العربية فكم منهم من يستطيع ان يعبر عن نفسه في تلك اللغة باعظم ما يكون من الرشاقة . بل لقد يقرضون من الشعر ما يفوق في صحة نظمة شعر العرب انفسهم – الفارو » .

ولكن لما كرت اوروبا على العرب واحتلت فرنسا لبنان ارتفع صوت مماثل لصوت الفارو في الشكوى غير ان الشكوى في هذه المرة كانت من مدرس اللغة العربية على اهمال الناس لغة اجدادهم من اجل لغة الفاتحين (اللغة الفرنسية)

واذا كان مصير اللغة يتبع مصير متكلميها افلا تختلف اللغات بعضها عن بعض من حيث المقدرة على البيان وتشخيص المعنى ونقله حيا الى الاذهان ؟ في مجال المفاضلة بين لغة واخرى كمجموعة من الادوات. يقول المفكر الالماني هوستون شامبرلن : لو بقي «كانت» على لغة اجداده الانجليز ما كان بلغ ما بلغ من شاو في الفلسفة. وهو يستعمل اللغة الالمانية. واذا كانت شعوب أوروبا قد اتخذت اللغة اللاتينية لغة اساسية في تعليم الناشئة ، فان الاختيار لم يكن بتاثير الذكريات التاريخية (ذكريات روما القديمة) بل لان اللاتينية اصلح من لغات هذه الشعوب لايضاح المفاهيم الانسانية .

واما مقدرة اللسان العربي على البرهان فقد استرعت انتباه كل من اولى عنايته دراسة لغة الضاد واليك بعضا من مأثور القول في هذا الشأن :

« فاما ما نحن بصدده من ذكر اللغة العربية فلا نزاع في ميزتها على سائر اللغات وفضلها ، اما السعة فالامر فيها واضح ومن تتبع فيها جميع اللغات لم يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الاسماء للمسمى الواحد ، على ان اللغة الرومية بالضد فان الاسم الواحد يوجد فيها للمسميات المختلفة كثيرا » (سر الفصاحة لان سنان الخفاجي) يضاف جمال الصوت الى ثروتها المدهشة في المترادفات (المزهر في علوم اللغة للسيوطي) نعم ان المعاني يمكن ان يعبر عنها باللغات الاجنبية ، ولكن العربية تستطيع ان تنقلها بدقة اكثر وايجاز اتم » . (المزهر) وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز ، وان ما بها من كنايات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيرا فوق لغة بشرية اخرى . . ومثل هذا الحال يجعل الترجمة المرضية من العربية واليها امرا مستحيلا . وهي مع هذه السعة والكثرة اخصر اللغات في ايصال المعاني ، وفي النقل اليها يبين ذلك ان الصورة العربية لاي مثل هي اقصر في جميع الحالات فليس كلام ينقل الى لغة العرب الا ويجيء الثاني اوجز من الاول مع سلامة المعاني وبقائها على حالها .

ولقد ادهشت اللغة العربية بمقدرتها على البيان. يقول ابو داود المطران وهو عارف باللغتين العربية والسريانية: انه اذا نقل الالفاظ الحسنة الى السرياني قبحت وحسنت « واذا نقل الكلام المختار من السرياني الى العربي ازداد طلاوة وحسنا . ويقول الفارابي بصدد البيان في لغة الضاد . هذا اللسان كلام اهل الجنة وهو المنزه من بين الالسنة من كل نقيصة والمعلي من كل خسيسة والمهذب مما يستهجن او يستبشع وفضلا عن ذلك فان فصاحة العرب الفطرية عجيبة » .

ومع ما عليه مركز العرب السياسي اليوم من وهن فان الاستاذ هنري دوباستيه يكتب في جريدة (لوموند) عن رسالة اللغة العربية نحو الثقافة الانسانية :

« ان اللغة العربية التي نبتت في الصحراء ، حيث يشخص النظر في كل ليلة نحو السماء المتلالئة بالنجوم ، ان تلك اللغة بمحتواها الانساني والالهي ، توجه الذهن نحو السمو ، نحو المثل الاعلى ، نحو المطلق . وهكذا فان اللغة العربية تحمل في ذاتها نزعة انسانية كانت نزعة المسيح والتى لا تستطيع لغاتنا البربرية البتة ان تعبر عنها بوجه من الوجوه وهي تشكل اسهام العرب في حضارة العالم . وهذه اللغة هي كنز العرب .

ونحن الاحفاد ، يحق لنا ان نضيف راينا في مزايا اللسان العربي الى آراء السباقين في هذا المضمار ولاسيما اذا كان هذا الراي يفسر لنا سر تفوق هذا اللسان على غيره من اللغات . فنحن نرى ان اللسان العربي اقوى من اللغات الاخرى في توضيح المفهومات الانسانية بمثابة حسن الرؤية من حواس الجسد . ومزية اللسان العربي هذه ترجع الى الخيال المرن المتضمن في الكلمة والخيال المرن او الصورة هذه تبرز من ثنايا البنية الاشتقاقية للكلمة العربية كظهور صورة الاشراق في معنى كلمة « ذكاء » المتضمنة صورة ذكاء الشمس . ولقد مثلث ذات مرة الكلمة العربية بين شقائقها في الاسرة بمصباح في ثريا يزداد معناها تألقا بتجاوبه مع معاني شقائقه في الاسرة . كما مثلتها مرة اخرى بنغمة في انشودة من حيث اثارتها للانفعالات العميقة في تشخيص المعنى وتحقيقه .

فالى م يرجع امر مزايا اللسان العربي هذه ؟ ترجع هذه المزايا الى نشأة لساننا البدائية والانسجام بين المحسوس والمعقول بين المسميات الحسية وبين المعاني المجردة كما ترجع الى الانسجام بين المضمون وبين العبارة ، اي بين المعني المتضمن في العبارة نفسها . ظل اللسان العربي امتدادا لعبارة الهيجان الطبيعية وتجسيدا لها . الاخ والاخوة والاخاء هي امتداد لعبارة آخ عبارة التوجع الطبيعية . واذا اضيف الى صوت الهيجان اصوات اخرى كالاصوات المستحدثة في الفم (بت الحاصلة من تقاطع اللسان بالنطع ومنها . بتر والباتر واذا اضيفت الاصوات المقتبسة من الطبيعة الخارجية كصوت خرير الماء ومنها خرب وخر ؟

واذا تجمع ذلك كله فان الحياة تنمو فى تطورها بالاستناد الى الايقــاع والى حسن الرؤيــة المتصفــة بالوضوح والدقة .

فالى نشأة كل من الكلمـات العربيــة من صوت طبيعي يرجع الانسجام بين المحســوس والمعقــول . كلمتا ذكاء ـ الشمس والذكاء فى النفس يرجعان الى صــوت ذلك وتكــون الشــرارة الــى حــالــة مــن الدلك صورة حسية للاشراقة (الذكاء) فى النفس . وكذلك الكلمتان شريعة وشارع ترجعــان الى صوت شر والشارع تعريف بالمحسوس للشريعة كمجموعــة قواعد يسلك عليها الناس فى علاقاتهــم بعضهم مــع بعض .

وليس البيان فى اللسان العربي بالمجاز فحسب بل هناك البيان الصوتي ايضا . معلوم ان اللســان امتداد صوتي لعبارة الهيجان التى تجسد الشعــور وتشرك بتجسيدها اياه الآخرين . واليك مثالا عن هذا المعنى فى لساننا عن الاعراب .

حــركــة الفتــح تعبــر عن معــنــى الركـــون الحاصل من ركون اللسان عند خروج الصوت وتعد الذهن فى المفعول والفعل الماضي الى المشاركة فى هذا المعنى . وحركة الضمة الحاصلة من تدافع الصوت تعبر عن الفعاليــة وتعــد الذهــن للمشاركة فى معنى الفعالية فى الفاعل وفى الفعل المضارع .

ذلك هو اللســـان العربــي يمثــل الحيــاة فــي صعودها نحو الحق والحقيقة .

الإسلام ولغة القرآن
في نظر الجامعة السورية

تلقينا من وزارة خارجية الجمهورية العربية السورية اجوبة جامعة دمشق وجامعة حلب ومديرية البحوث ، بوزراءالتربية عن الاستفتاء الذى نظمه المكتب الدائم للتعريب فى العام الماضي حول « علاقة الاسلام باللغة العربية » وقد وصلتنا هذه الابحاث بعد ان اصبحالعدد السادس من مجلة « اللسان العر بي » جاهزا للطبع فارجأناها الى هذا العدد معتذرين :

لا ريب ان هناك قدرا من التلازم بين الاسلام واللغة العربية ، بمعنى ان الاسلام كلما ارتفع شانه وشاعت احكامه ازداد معه شان اللغة العربية قوة ورفعة وانتشارا ، وان اللغة العربية كلما ارتفع شانها وتوسع انتشارها او ازدادت درجة التعمق فيها والدراسة لعلومها ، ازداد بذلك امر الاسلام ظهورا واصبح السبيل الفكري اليه اشد جلاء واستقامة ووضوحا .

وكيف لا يكون اشتداد الوازع الاسلامي اعظم سبيل الى قوة اللغة العربية والمزيد من انتشارها ، وان الاقبال على تعلمها انما يكتسب اذ ذاك معنى التعبد لله عز وجل والعكوف على فهم دينه واحكامه .

وقد فرغ الفقهاء من بيان انه يجب على المسلم ان يتعلم من اللغة العربية ما يبصره بحكم الله عز وجل فى كتابه وسنة رسوله ما لا غنى له عنه ، وفى ذلك يقول الامام الشافعي رحمه الله فى كتابه « الرسالة » :

(فعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد به أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وامر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ، ومهما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته وانزل به آخر كتبه ، كان خيرا له) .

غير انه لا ينبغي ان يكون خافيا فى هذا الصدد ، ان مرد هذا التلازم انما هو نزول القرءان بلغة العرب ، فلولا ان الله عز وجل اقتضت حكمته اختيار هذه اللغة ترجمانا لكلامه وتعبيرا عن خطابه لكان شانها كشان اي لغة اخرى بل ولنشا التلازم الذى ذكرنا بين الاسلام واللغة الاخرى التى كانت الحكمة الالهية تختارها .

ومن هنا نعلم انه لا يمكننا ان نقول بحال : انه لولا ان اللغة العربية هي لغة القرءان لما انتشر الاسلام .

والواقع التاريخي الذى يبدأ من عصر البعثة النبوية الى يومنا هذا ، اعظم دليل وبرهان على واقع هذا التلازم الذى ذكرناه ، وفيما يتعلق بواقع بيئتنا السورية خاصة ، فان مما هو مشاهد ومعروف عندنا لكل احد انه عندما كانت البرامج التعليمية عندنا فى المدارس الابتدائية والثانوية تعني كثيرا بتدريس

القرءان والعلوم الدينية ، كانت الملكة العربية لدى الطلاب فى غاية القوة والاشراق وكانوا من اجل ذلك يهضمون فى دراستهم العربية منهاجا زاخرا بالعمق والقوة، فلما قلت العناية اخيرا بالقرءان ودراسته وما يحف به من العلوم الدينية التى تبث الوازع الديني فى النفوس وتشد من ازره ضعفت الملكة العربية لدى الطلاب ضعفا بينا وخطيرا ، واصبح منهاج الدراسة العربية ، رغم ضآلته الشديدة بالنسبة للمنهاج القديم عقبة كاداء فى طريق الطالب لا يكاد يجتازها الا زحفا وجرا . . هذا بالرغم من حشد كل ما قد يظن انه ضمانة لتقوية الطلاب فى هذه المادة، فى النظام الدراسي العام، من مثل الاكثار من الساعات الدراسية ، واشتراط المزيد من الدرجات للنجاح فيها وما الى ذلك .

ولا ريب ان من نتيجة التلازم الذى ذكرناه ، ما هو واضح لكل متامل من تأثر الوازع الديني والوعي الاسلامي بما يعتري اللغة العربية من قوة أو ضعف .

ونحن هنا لا بد ان نفرق بين العاطفة الاسلامية ، والوعي الاسلامي، فاماالعاطفة، فلعل التلازم بينهاوبين اللغة ضئيل ، ومرد ذلك الى ان للاسلام فى مجموعه سلطانا على الفطرة الانسانية اذا خلي وشانها ، فالفطرة تنقاد وتتاثر بالاسلام كعقيدة وايمان دون اي حاجة الى وساطة لغة ، اما الوعي الاسلامي وما يتبعه من الوازع الديني الصحيح ، فان منافذه الى الفكر والعقل لا يكون الا فى طريق اللغة العربية .

ان بلدة اسلامية كتركيا مثلا ، لا يعدم معظم اهلها عاطفة دينية متاججة رغم جهل عامتهم باللغة العربية ، ولكنهم لا يركنون اطلاقا الى اي ركن شديد من الوعي الاسلامي الذى هو وحده الذى يقدر أن يحمي افكارهم الدينية من اي تلبيس او خداع ديني قد يتسلل اليهم .

ومن اجل ذلك ملاحظة ان الكيد التبشيري ضد الاسلام انما يستهدف تلك المناطق الاسلامية التى توجد فيها حرارة عاطفية نحو الدين ، ولكنها تعيش قاصية من الوعي الاسلامي بسبب انحباسها فى سجن العجمة وانسداد المنافذ التى توصل افكار اهلها بحقيقة الاحكام الاسلامية وما تنطوي عليه من منهج وتنظيم

اما فيما يتعلق بمدى تاثير الفكر الاسلامي عن طريق لغة القرءان فى اللهجات أو اللغات الاقليمية فى الاقطار الاسلامية ، فان الامر يختلف بالنظر الى اختلاف التاريخ .

ففيما مضى ، وحينما كان سلطان الاسلام منبسطا على نفوس الشعوب الاسلامية وسلطاتها الحاكمة معا ، كان تأثير الاسلام على اللهجات واللغات الاقليمية تأثيرا عظيما وكليا ، ولا يجهل احد ان معظم البلاد العربية اليوم انما كان اهلها اخلاطا من الاعاجم المختلفين ، ولا يجهل احد أن التاريخ القديم والقريب يملأ اذهاننا بأمم من الاكراد والاتراك والفرس والشركس والهنود تجردوا عن خصائصهم اللغوية ، وصقلت السنتهم اللغة العربية بتأثير منالفكر الاسلامي الذى سيطر على نفوسهم .

اما اليوم فمن المؤسف ان نقول : ان التاثير الاسلامي فى اللغات الاقليمية او اللهجات المحلية لم يعد قويا كما كان ، ذلك ان سلطان الاسلام قد انحسر مده ولم يعد يتجلى الا فى نفوس الشعوب الاسلامية كشعوب ، وهذا القدر لا يكفي لظهور اثر الاسلام ولغة قرءانه على اللغات الاقليمية أو اللهجات العربية المختلفة .

ان اللهجة الاقليمية التى تشيع فى تعابير اقليمنا السوري ، ليست من اللهجات البعيدة عن اللغة العربية الاصيلة ، ومن ثم فان تاثيرها على اللغة العربية تأثير جزئي ولا ريب أن يضعف ويقوى حسب اختلاف التاثير الديني قوة وضعفا .

ومع ان هنالك لهجة عربية اقليمية لدينا ، فان اللغة العربية الاصيلة ، هي وحدها اللغة العلمية واللغة الدراسية فى شتى مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي ، ومهما كانت العلوم التى تدرس فان الاداة التعبيرية عنها هي اللغة العربية وحدها .

اما اللغات الاجنبية ، فشانها كشأن المواد الدراسية التى يتلقاها الطالب فى المدرسة قصدا الى تتميم مقوماته الثقافية وتسهيلا لوسائل الترجمة والتعريب .

الإسلام عز العروبة

الأستاذ درويش العلواني

وزير الدولة والاوقاف سابقا
(دمشـــق)

يظن بعض ذوي التفكير السطحي ان القوميـة لا تكمل الا اذا ابتعدت عن الدين وكأنها شيء فوق الاديان او لا صلة لها بها ، وما عرفـوا ان القوميـة العربية بصورة خاصة لا تستطيع الابتعاد عن الاسلام ولا عما جاء به كما لا تستطيع اللغة العربية ان تكون ذات شان بعيدة عن القرءان الكريم . واننا لا نستطيع ان ندرس التاريخ العربي بعيدا عن الواقع الاسلامي والحضارة الاسلامية .

ويظن آخرون ان الاسلام كائن مستقـل عـن العرب والعروبة وانه دين فقط كغيـره من الاديـان السماوية لاعلاقة له بمنشئه ولا بالامة التى خرج منها صاحب رسالته ولذا يرون ان القومية العربية ضد الاسلام وانه بالتالي يجب ان يحاربوا هذه الفكـرة الدخيلة .

كلا الطرفين مغال فى نظرته بعيد عن الصواب لان العرب المسلمين لا يقرون العصبية العنصريـة تمشيا مع هدي رسول الله الذى يقـول : «ليست العربية لاحدكم من اب ولا من ام ، وانما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي » .. وكـان يقـول : « سلمان منا ءال البيت » .. رغم انه فارسي . كما دعا المسلمين الى حب العرب اذ قال : « احبـوا العرب لثلاث : لانني عربي والقرءان عربـي ولسان اهل الجنة فى الجنة عربي ».

ففي أواخر القرن السادس للميلاد كانت القوتان المتقابلتان المسيحية والمجوسية تحيطان بشبه جزيرة العرب وظلت ارض العرب واحة حصينة آمنة مـن الغزو الى حد ما الا من بعـض اطرافهـا ، وكـان لموقعها وطبيعتها الجغرافية اثر فى حماية اهلها وفى تكوين طباعهم ومزاياهم ، فقد حصنتهم البحار المحيطة من ثلاث جهات والصحراء من الجهة الرابعـة مـن تغلغل الاعاجم ونفوذ الدولتين الكبيرتيـن اذ ذاك : دولة الفرس ودولة الروم وجعلتهم يعتزون بالحرية ويفخرون بالاباء والشمم ويباهون بالحمية والنجدة والكرم والوفاء مما طبـع العربـي على خصائـص وميزات ظلت ترافقه زمنا طويلا .. وكانت سببا فى اثارة الغيرة والحقد لدى العناصر الاعجميـة التى ابت ان تقر لهم بميزة او فضل ولو ظهر الاسلام فى بلادهم وكان القرءان عربيا وصاحب الرسالـة من اشرف بطن فى العرب ومن خير ولد آدم وكان خيارا من خيار .

لم تكن هنالك مناطق زراعية الا فى اليمن وبعض الواحات التى تصل اليها الاودية حاملة بعض المـاء عقب الامطار العارضة والنادرة والمفاجئة او بعـض العيون والينابيع القليلة فى اكناف الجبال العالية او القريبة من البحر . كما لم تكن هنالك صناعة تذكر الا

ما كان من صنع ادوات الترحل والسفر وادوات الحرب والقتال وحتى هذه كانوا يستوردونها من البلاد المجاورة اذ كانوا يشاركون فى رحلة الشتاء والصيف الى اليمن والشام ويقيمون الاسواق للمبادلة والتجارة فى مكة وما حولها والمدينة وما جاورها وكان البيت العتيق الذى جعله الله للعرب مثابة وامنا فاطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اثر فى تنظيم مكانة ام القرى . هذا المركز التجاري الهام لمكة الكرمة جعل من فيها من العرب من قريش واحلافها سادة الجزيرة وامراء الجيوش فى الحروب واصحاب الحل والربط بين القبائل الاخرى واهل الفصاحة والبيان فكثر فيهم الخطباء والشعراء وازدانت اسواقهم بالمناظرات والندوات الادبية الى جانب البحث فى الشؤون الاجتماعية والسياسية التى تنظم حياتهم القبلية على نطاق محدود .

لم ينذ من بلاد العرب عن جهالة المدينة المعاصرة لهم الا بعض اطراف الجزيرة فى اليمن وما جاورها وبلاد الشام وارض الحيرة مما جعل هذه المناطق طعمة للغازين بسبب ازدهار الحياة فيها ولطافة الطبيعة نسبيا ووفرة الانهار والامطار فاقاموا السدود وبنوا المدن والحصون وزرعوا الارض وصنعوا ما هم بحاجة الى صنعه والى بيعه فى بعض الاحيان الى البلاد الاخرى . وكانت هذه المناطق العامرة الخصبة مادة جذب للديانات الاخرى من وثنية معقدة كالمجوسية فى شرق العراق واليهودية فى اليمن والنصرانية فى نجران وبلاد الشام وبعض انحاء العراق الشمالية فلما جاء الاسلام وجد العرب فيه ضالتهم والفوه منسجما مع بعض طباعهم اذ دعاهم الى حرية الفرد من تسلط الكبراء وحرية الكبراء وحرية الفكر من تفاهة الوثنية وتعقيدات الشرك والى كرامة الانسان باتصاله مباشرة بالواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد . علمهم الاباء والشمم وامرهم برد العدوان على من اعتدى عليهم والاستعداد لارهاب عدو الله وعدوهم . ومنعهم من العدوان لان الله لا يحب المعتدين ، وازال العصبية الجاهلية العمياء وجعل اكرمهم عند الله اتقاهم وساوى بين الناس من كل جنس وامرهم بالتعارف والتعايش السلمي وقال لهم : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . وكان خطابه للناس كافة وليس للمؤمنين وحدهم أو العرب وحدهم بل كانت دعوته انسانية الا اذا حدث عدوان على حدود الله أو عباده. امرهم باقامة العدل ولو كان على انفسهم ومنعهم ان يظلموا بسبب شنآن بينهم وبين غيرهم وقال لهم : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى ». حضهم على طلب العلم لمعرفة آلاء الله و واياته وللاستفادة مما خلق لهم وحثهم على السعي لطلب الرزق وجعل الاجر على قدر المشقة وقال لهم : « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » .

وقد منح الله العرب شرفا ان النبي الكريم منهم والقرءان العظيم جاء بلغتهم وانه ذكرهم فيه كثيرا لعلهم يعقلون قيمة هذا الشرف « انا انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » . وفي هذا تخليد لامة العرب بأن حفظ لها لغتها بحفظ القرءان : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » . وحفظ لها تاريخها ومجدها ان كان بناة الاسلام الاولون من العرب ومن صحابة وعشيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام لا لانهم كذلك بل لانهم شعروا بالمسؤولية اكثر من غيرهم وتحملوها كاملة حتى ان ابا بكر حارب المرتدين لامتناعهم عن دفع الزكاة ولم يرض ان يتساهل فى منع عناق كانوا يؤدونه الى رسول الله ولو نطقوا بالشهادتين وسير جيش اسامة لحرب الروم ولم يتردد فى ارساله رغم حرج الموقف وصعوبة الظروف . وكانت الفتوح وكانت الانتصارات وعلت راية الاسلام يرفعها ابناؤه البهاليل من العرب الاولين فرفع الله شأنهم واعلى منزلتهم وصار التقرب الى حكامهم قربى من الله لانهم حملة رسالته وحماة دينه وكانوا سببا فى ان يدخل الناس فى دين الله افواجا وهذه حقيقة تاريخية لا تعصب عنصري او حجة لاقرار نظرية عرقية لم يدع اليها الاسلام ابدا .

حفظ الله اللغة العربية بالقرآن الكريم :

قرر اكثر علماء الاجتماع وكبار المفكرين فى القضايا التاريخية والسياسية ان اللغة اهم عنصر من عناصر تكوين الامة فهي التى تنقل الافكار بايسر وسيلة الى ابنائها وهي التى تخط طريقة التفكير وتساعد على توحيد الآراء وتجانس الانطباعات وهي التى تعبر عن روح الافراد والجماعات .

... وان حركات التحرير من السيطرة الاجنبية تبتدىء باحياء اللغة والتغني بأجمل ما انتجه شعراؤها وخطباؤها في قصائد وخطب ثم السير على نهجهم وتقليدهم في الاسلوب والموضوع :

ما ارانا نقول الا معارا
او معادا من قولنا مكرورا

وعندما تقوى الامة وتنتصر ستنشر لغتها لا بالقوة بل بطبيعة ما تستوجبه السلطة من وجود رجال يحكمون ومشرعين يشرعون وقضاة يقيمون العدل وتجار يتقربون من الحكام لرواج تجارتهم ورجال صناعة وزراعة يحتاجون لحماية السلطة الحاكمة لازدهار اعمالهم ، كل هذا يستوجب انتشار لغة الحكام الجدد ناهيك من التسابق الى الدخول في الدين الجديد رغبة في الخير او رهبة من الله وما يترتب على بقائهم في الشرك والكفر من عقابهم في الدنيا والآخرة او على الاقل تقربا من الحكام ومشاركة في السلطة على اختلاف وجوهها .

بدهي ، كل هذا حدث للغة العربية عندما نقلها الاسلام الى ارجاء الدنيا مع الفاتحين والى افكار المفكرين لكثير من اهل الارض ولو بقوا على دين ءابائهم واجدادهم فاصبحت واسطة التفاهم بين العديد من العلماء والفلاسفة كما هو الحال بالنسبة للغات الحية الحديثة في العالم المعاصر . ومن اجل فهم القرءان الكريم وضع ابو الاسود الدؤلي في عهد الامام علي قواعد النحو وذلك عندما كثر اللحن في الكلام وتداخلت اللغات الاعجمية من فارسية ورومية في اللغة العربية بسبب الاختلاط بعد انتشار الاسلام ، ومن اجل القرءان الكريم وضعت علوم اللغة من بلاغة وبيان وبديع وجمعت اوزان الشعر في العروض وتقرب المختصون في تفسير القرءان وجمع الحديث الى الله بالتعمق في فهم اللغة العربية واسرارها وبيان اعجاز القرءان وفصاحته ولولا ذلك لتغيرت اللغة العربية وانقسمت الى لهجات واصبحت لغات شتى كما حدث للغة اللاتينية التي نشأت عنها الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية وغيرها . فالاسلام الذي اوجب الصلاة والدعاء والاذان باللغة العربية واوجب تلاوة القرءان وفهمه ، حض المسلمين ان يسارعوا الى فهم اللغة العربية ولو كان المسلم من غير العرب .

... اما العرب انفسهم الذين انتقلوا مع الدين الجديد الى انحاء بعيدة في ءاسية وافريقية واوربة لقد نشروا لغتهم وكتبوا بها ووصفوا اسس حضارة اسلامية عريقة واحتراما لدينهم لم يتهاونوا في لغتهم ولم يفسدوها بالتحريف والرطانة بل بقوا محافظين عليها متمسكين بها رغم المحن التي اصابتهم على مر العصور ورغم تسلط الاعاجم من مسلمين وغيرهم على بلادهم واكبر مثال على ذلك في التاريخ المعاصر الثورة الجزائرية عام 1954 م التي انتهت الى النصر المبين فقد كانت المعارك الحربية تسير فيها جنبا الى جنب مع معركة احياء اللغة العربية والتعريب ولولا الاسلام لكانت اللغة العربية قد زالت بطغيان الفرنسية وجدير بالذكر فضل رجال الدين المخلصين في بلاد المغرب العربي الذين تحصنوا بالمساجد وعلموا القرءان الكريم ونشروا اللغة العربية وفضل جامعة القرويين في «فاس» وجامع الزيتونة في «تونس» ومساجد الجزائر وجهاد جمعية العلماء فيها . وفي المشرق العربي كان حكم المماليك والعثمانيين الطويل كفيلا باندثار اللغة العربية لولا الاسلام والقرءان ولولا النور الذي كان يشع من المساجد والمآذن ويدعو الى الله باللغة العربية .

خلدت الحضارة الاسلامية اللغة العربية وجعلت العروبة والاسلام صنوان تسقى بماء واحد وقد كانت العربية قبل الاسلام لغة الحضارة البدائية بسيطة سهلة تتناول مستلزمات الحياة البدوية في البادية من تنقل وترحل ورعي للابل والغنم وركوب الخيل وغزوات وحروب وفروسية وحض على القتال والثار وتفاخر بالعصبية وتكاثر بالاموال والاولاد ومباهاة بالكرم والمروءة والنجدة ومعرفة بالانساب واقتفاء الاثر وتطلع الى الانواء الجوية وتوقع لتقلباتها من رياح ومطروحر وقر واحاديث تروى في الليالي الطويلة في الشتاء والليالي المقمرة في بقية الفصول ، فلكل هذه الدنيا البدوية لغة تعبر عنها وكان من ذلك ان كثرت المترادفات لكثرة القبائل وتنوعت اللهجات بسبب بعد المسافات والحياة المغلقة التي تعيشها كل عشيرة على شكل وحدة متنقلة .

اما في الحواضر والمدن فكانت اللغة ارقى بسبب تعقد الحياة بعض الشيء وما تستلزمه ظروف الاستقرار من عمران وتنظيم للحياة الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية اذ كانت ادارة القبائل فيها منظمة بعض الشيء فكانت الاحلاف وحقوق الجوار وتنظيم مواسم الأسواق للتبادل التجاري والندوات

للمدارسة في الشؤون العامة ومطارحة الشعر والقاء الخطب وتقدير الرجال وتكريم الشعراء وتسليم الرئاسات وما الى ذلك مما جعل اللغة العربية تتقارب لهجاتها وتتوحد مفرداتها لتكون كلمات مشتركة للحياة المشتركة وكانت لهجة قريش افصح اللهجات ولما جاء الاسلام جعلها اللغة الرسمية وصارت لغة المسلمين في انحاء الجزيرة وتلاشت تدريجيا اللهجات العربية الاخرى .

وهكذا وحد الاسلام وسيلة التفكير وتقاربت المفاهيم واساليب البحث والنقاش بل وظهرت كلمات جديدة كالصلاة والوضوء والزكاة او صار للكلمات القديمة مدلولات جديدة . ولما فرغ المسلمون من الفتح بعد العهد الاموي واتسع لهم الرزق واستقرت بهم الاوحال وانتظمت الدولة الاسلامية وصار لها دواوين وادارات وجيوش جرارة وقيادات وما يتبع ذلك من اعداد وتسليح وتموين وتدريب وانضباط وتوجيه كما اصبحت للحياة الاقتصادية قيمتها الجديدة بعد اتساع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة وتفرع طرق المواصلات وزيادة وسائل النقل وبعد ان اصبح للبريد دوره في تنظيم المخابرات وتنفيذ الاوامر ومراقبة الحكام والموظفين كل هذا استوجب ان تتوسع اللغة العربية لتستوعب متطلبات هذه الحياة الجديدة ورغم انها استعانت باللغات الاخرى لدى المسلمين الجدد من الاعاجم الا انها نظرا لمرونتها وسهولة الاشتقاق فيها تطورت وظهرت فيها كلمات ومصطلحات جديدة اما معربة او موضوعة مما اغناها ووسع افق التعبير بها .

وفي نفس الوقت اخذ عقل المسلمين يتفلسف في الدين فيثير خلافات دينية ويجتهد في كبتها والتوفيق بين مظاهرها بعد ان كانت عقيدة المسلمين في أول امرها بسيطة ساذجة لا تأبه لخلاف ولا تلتفت الى بحث وفلسفة وكاد ينقضي العصر الاول في ايمان لا جدل فيه ولما هدا الناس اخذوا ينظرون ويبحثون ويجمعون بين الاشباه ويقارنون بين المتناقضات وبخاصة لما كثرت الترجمة ودخلت الفلسفة اليونانية وعرفت المذاهب المختلفة في الديانات الاخرى من يهودية ومسيحية وزرادشتية ومانوية وصائبة ودهرية عند ذلك اخذ العلماء المسلمون يتسلحون بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة ليدافعوا عن دينهم امام اصحاب العقائد الاخرى أو أمام المتشككين من الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم أو من المنافقين الذين تظاهروا بالاسلام ليكيدوا له . في هذه الفترات التي انطلق فيها عقل المسلمين في مختلف مجالات العلوم والآداب والمعرفة ازدهرت اللغة العربية أيما ازدهار واصبحت لغة الحضارة الاسلامية وصارت لغة العلم والفلسفة والادارة والاقتصاد وانتقلت مع المسلمين الى انحاء بعيدة في الصين واندونيسيا وجزر « الواق واق » في المحيط الهادي — ويك — حاليا ، وباحتكاك المسلمين مع غيرهم بواسطة التجارة والقوافل انتشر الاسلام من غير حرب ولا فتوح كما في ماليزيا والفيلبين واندونيسيا وغيرها وانتقلت اللغة العربية مع القرءان الكريم الى كل هذه الاصقاع وهي وان لم تصبح لغة الشعوب المسلمة صارت معروفة لديهم مقدسة عندهم ودخلت كثير من كلماتها في لغاتهم وصارت المصطلحات الدينية سائدة بينهم من سلام وتحية وحمد لله وشكره ودعاء وتوسل واستغفار وصار التقي الصالح المقرب الى الله هو الذي يتكلم اللغة العربية ليفهم معاني القرءان وينشر تعاليمه بين مواطنيه واصبحت الحروف العربية حروف اللغات المحلية كالفارسية والاردية مما جعل القرابة اقوى بين هذه اللغات واللغة العربية . وهكذا حفلت مكتبات البلاد الاسلامية بالكتب العربية المخطوطة او المنسوخة في بخارى وسمرقند ولاهور وشيراز ونيسابور ودلهي وعليكرة رغم ان شعوب هذه البلاد غير عربية ولكن الاسلام وحضارته التي شارك فيها المسلمون كان سببا في جعل اللغة العربية لغة الحضارة في القرون الذهبية وعهود الازدهار . حتى ان الافلاطونية والافلاطونية الحديثة والفلسفة الاغريقية بصورة عامة لم تصل مشروحة الى الغرب الا بواسطة العلماء العرب كابن رشد في المغرب والاندلس وابن سينا والفارابي في المشرق وابن الطفيل وابن خلدون وغيرهم .

اليس هذا دليلا على ان الاسلام رفع شان العربية والعرب في الحضارة العالمية لفترة طويلة من الزمن ؟ الا تدلنا آثار العرب في فرنسا واسبانيا وايطاليا وجزر البحر الابيض المتوسط على مدى ما وصل اليه العرب من عزة وفخار بفضل الاسلام ؟

حق الاسلام على كل عربي ان يفخر به :

وبعد ان المنا في هذا الاستعراض الموجز الى ما كسبته اللغة العربية من القرآن الكريم والاسلام الحنيف ومن المسلمين الفطاحل من مفسرين

ومحدثين ولغويين وعلماء كلام وفلاسفة عظام وعلماء فى مختلف العلوم الكونيـة من طب وطبيعة وكيميـاء ورياضيات وفلك وجغرافية وتاريخ وعلم اجتماع . وبعد ان اصبحت الحضارة الاسلامية عربية الشكل والقالب حتى لم يعد المحقق يفرق بين التسمية هل هي اسلامية صرف ام عربية صرف ... فهي كلتاهما معا واصبحت امهات المؤلفات والكتب العلميـة والفلسفية والدينية لا تكتب الا بالعربية وما تـزال الى يومنا هذا شاهد عيان على ذلك فى معظم انحـاء العالم الاسلامي وفى كبريات المكتبـات العالميـة فى الاسكوريال فى اسبانيا وفى باريس ولندن وبرلين وموسكو واسطمبول مخطوطـات ومجلـدات لكتـب عربية اصيلة بعضها لم يشهد النور او لم تصل اليه اعمال المحققين والدارسين وذلك عدا ما فى المكتبات الخاصة من ذخائر وكنوز .

وبعد ان انتشر علماء المسلميـن مـن عـرب وغيرهم فى بلاد الاسلام يعلمـون النـاس القـرءان ويفسرونه وينشـرون تعاليمـه .. صـار ضروريـا على كل مسلم وحتميا ان يتعلم مبادىء اللغة العربية ليزداد ايمانا وقربى الى الله .

بعد هذا كله الا يحق لكل عربـي ان يفاخـر بالاسلام الذى نصر العربية وجعلهـا لغـة الحضـارة والخلود ومكن العربي ان يتصل بكل مسلم فى انحاء الارض بمجرد القـاء تحية الاسلام واقـراء السـلام وهل اكون مبالغا فى النهاية اذا قلت : ان المسلـم لا يحسن اسلامه اذا لم يحب العربية .. والعرب وان العربي لا تصح عروبته اذا لم يفخر بالاسلام ولو كان على غير هذا الدين .



العربية والإسلام بين الغابر والحاضر

الدكتور توفيق برو

استاذ التاريخ فى كلية اللغات
(جامعة حلب)

لا يستطيع الباحث ان يدلي براي جازم فى موضوع السببية بين الاسلام واللغة العربية ، بل يمكن ابداء ملاحظات منها ما هو فى جانب الفكرة او ضدها .

ومما هو فى جانبها :

ا ـ ان الاسلام ـ اثناء نشره ابان حركة الفتوح العربية فى مختلف العصور ـ كان وسيلة احتكاك ولا شك . كان للاسلام دوره التاريخي ، ذلك ان الرغبة فى نشره ، حتى يعم العالم ، كانت احد الاسباب فى دفع العرب الى حركة الفتوح . وهنا تبدو الملازمة بين نشر الاسلام وانتشار اللغة العربية ، لان المسلمين الذين اخذوا على عاتقهم عبء الفتوح عرب ، دينهم عربي وقرءانهم عربي ، ورجال دولتهم عرب ، والدولة التى كونوها عربية اسلامية ، وتسنم الوظائف كان يقتضي معرفة اللغة العربية ، مما دعا الشعوب الاجنبية (الاعجمية) التى انضوت تحت الراية العربية الاسلامية الى تعلم اللغة لعربية لكي يتاح لها الاسهام فى خدمة الدولة . واكثر من ذلك فان الحركة العلمية التى شجعها العرب واخذوا على عاتقهم تنميتها قد اضطلع بها ـ فى باديء الامر ـ اناس من اصل غير عربي اعتنقوا الاسلام وتعربوا . وهناك ايضا طقوس العبادة : فلكي يصبح الانسان مسلما صحيحا كان عليه ان يدرس القرءان ويتعلم آياته الكريمة ومختلف الادعية وسواها من العبارات الدينية التى تقال اثناء الصلاة وكلها عربية .

ب ـ مما لا شك فيه ان هناك جهودا كثيرة قد بذلت من قبل خلفاء المسلمين وقوادهم وولاتهم وتجارهم ومبشريهم فى سبيل نشر الاسلام مع اتخاذ الطرق الناجعة الكفيلة باقبال الاقوام غير العربية على اعتناقه . وقد تبع ذلك حركة استعراب بين هذه الاقوام. انما لم تكن حركة الاستعراب بما يتناسب مع قوة اعتناق العقيدة الاسلامية وسعة انتشارها . ولم يكن من الضروري قط ان كل من يعتنق الاسلام يتكلم اللغة العربية بحيث يستعرب كليا او جزئيا بمعنى انه يتكلمها نوعا ما الى جانب لغته الاصلية .

الى هنا يظهر ان ثمة سببية بين الاسلام وانتشار اللغة العربية . غير ان ذلك ليس كافيا لاثبات انه لولا الاسلام لما تأتى للغة العربية ان تنتشر فى العالم وانه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ، للاسباب التالية :

ا ــ انتشر الاسلام اثناء حركة الفتوح على اقطار كثيرة اصبحت الآن خارج الحظيرة العربية : مثل الاندلس ، ايران ، افغانستان ، تركستان ، السند (الباكستان) . لكننا نشاهد الآن انها اصبحت بعيدة عن العروبة لغة اللهم الا بقاء بعض التاثيرات اللغوية التي لا نزال نشاهدها في لغة سكانها الاصليين ، وذلك في نفس الوقت الذي بقيت فيه محافظة على اسلامها باستثناء الاندلس . والسؤال الذي يطرح في هذه المناسبة : لو ان الفتح العربي والوجود العربي بقيا مستمرين فيها الم يكن ممكنا ان تبقى عروبتها وطيدة ، وتصبح اللغة العربية لغتها الصميمة كما جرى بالنسبة للمغرب العربي ومصر وبلاد الشام والعراق ؟ ــ ليس من شك في ذلك اذن . الا نستطيع أن نستنتج من ذلك ان بقاء سلطان العرب بما يتبعه من حركات استيطان للقبائل العربية في هذه الربوع هو الكفيل بدوام عروبة هذه الاقطار ؟

ب ــ سؤال آخر : لو ان الاسلام لم يكن بين الحوافز الاخرى التي دفعت العرب الى حركة الفتوح، او بتعبير آخر لو كان هناك حافز فكري آخر غير الاسلام قد رافق الاسباب التي دعت اليها ، واستقر العرب بنتيجة ذلك في الاقطار السالفة الذكر المفتوحة وغيرها ، الم يكن من الممكن ان تبقى اللغة العربية هي لغة سكانها ؟ ان الامثلة الشبيهة بذلك متوفرة بالنسبة الى الممالك الاوروبية كفرنسا التي فتحها الافرنج فاصبحت افرنجية اللغة (اي فرنسية) ، وانجلترا التي فتحها الانكلوسكسون فاصبحت لغتها انجليزية ، وامريكا الشمالية التي استوطنها الانجليز اثر حركة توسع استعماري فاصبحت لغتها انكليزية ، مع ان الداعي الى فتح هذه الممالك لم يكن هو نشر الدين .

ج ــ وهناك امثلة كثيرة اخرى في التاريخ القديم والوسيط والحديث تثبت ان انتقال قبائل برمتها ، أو جزء كبير من شعب ما ، من وطنه الى وطن آخر ، وتغلب نسبته البشرية على نسبة سكان البلاد المستوطنة ، يكون عاملا من عوامل طبع المنطقة المحتلة بلغة الشعب القادم ، لاسيما اذا كانت لغته تمتاز بالاصالة والحيوية والتفوق على لغة السكان الاصليين ــ كما هو شان اللغة العربية بالنسبة للغات المناطق التي احتلها العرب .

د ــ وقد يكون النشاط التجاري الصرف من نشر لغة القائمين به ، مثال ذلك تغلب لغة الآراميين في سوريا على لغات بلاد الشام المجاورة لها بسبب نشاط تجارتهم حتى اصبحت اللغة الآرامية لغة عامة في المراسلات التجارية وغيرها في جميع الممالك المجاورة لملكة الآراميين في التاريخ القديم .

وهناك امثلة من الواقع العربي تثبت ان انتشار الاسلام غير كاف لوحده لانتشار اللغة العربية من ذلك :

ا ــ من الواضح ان عروبة المغرب العربي لم تكتمل ــ اثر حركة الفتوح العربية الاسلامية ، بالرغم من اعتناق معظم اهله للاسلام طول اربعة قرون تقريبا ــ الا بعد هجرة قبيلتي بني سليم وبني هلال العربيتين من المشرق العربي الى المغرب واستيطانهما ربوعه في القرن الحادي عشر الميلادي .

ب ــ ومع هذا لا نزال نشاهد في المغرب العربي هذه الظاهرة : ان العنصر البربري في شمالي افريقية العربية يكثر عدده كلما اتجهنا غربا من برقة الى مدينة مراكش وجنوبا من الساحل الى الصحراء ــ اي كلما ابتعدنا عن المراكز العربية ــ وان العنصر البربري في مراكش يبلغ قرابة ثلث السكان ، وهو يكثر عادة في الجبال ومناطق الصحراء وما يجاورها ، وهي المناطق البعيدة عن المحيط العربي الصرف ، ويقل تمييزه في المدن حيث امتزج بالسكان العرب امتزاجا تاما اقرب ما يكون الى الانصهار . فاللغة البربرية لا تزال حية ، اذ لا يزال هناك من يتكلمها لوحدها و من يتكلمها الى جانب العربية ، وربما يكون هناك من البربر نسبة تتراوح بين 10 ــ 14 ٪ تتكلم البربرية والعربية معا، ونسبة تتراوح بين 10 ــ 20 ٪ لا تتكلم سوى اللغة العربية (بناء على احصاء قديم وقد تكون النسبة اقل من ذلك الآن)

كما اننا نشاهد في الجزائر جزرا بربرية ، الا ان افرادها مزدوجو اللغة حيث يتكلمون البربرية والعربية . والذي تجدر ملاحظته أن من يسكن منهم غربي الجزائر شديدو التعرب لسهولة المواصلات مع الاماكن التي يقطنها العرب . مما يستنتج منه أن زيادة الاحتكاك بين البربر والعرب هو العامل الحاسم في تعربهم مع انهم مسلمون منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا . واذا عدنا الى التاريخ لنجد أن فرص

الاحتكاك بين هذين الشعبيين كانت من الامور التي ساعدت على الاستعراب مثل اشتراكهم في الحملات كحملة طارق بن زياد على الاندلس وما تبعها من حملات، واستيطان العرب والبربر معا في الاندلس .

ونلاحظ الامر نفسه بالنسبة للاكراد في العراق وسورية ، حيث نجد ان سكان المدن منهم منصهرون مع العنصر العربي وتكاد لا تفرق واحدا من العنصرين عن الآخر كما هو الامر في دمشق ، بينما نرى ان سكان الجبال والقرى النائية الواقعة على الحدود التركية والايرانية لا يزالون متمسكين بلغتهم، ولا يعرف العربية الى جانبها سوى القلة المثقفة منهم مع أنهم ايضا مسلمون .

* * *

اما من حيث ان الوعي الاسلامي والوازع الديني يقويان ويضعفان تبعا لما يعتري لغة الضاد من قوة وضعف او ان العكس بالعكس :

فاعتقادي - بحسب ملاحظاتي - ان ذلك غير وارد بتاتا ، ولا صلة سببية بين الوازع الديني ولغة الضاد .

ومن حيث المكانة التي يجب ان تحتلها اللغة العربية في بلدنا بالنسبة للغات الاجنبية ، فمما لا شك فيه ان المكانة الاولى يجب ان تحتلها اللغة العربية بالنسبة للغات الاجنبية . وان كان علينا ان نولي اهتماما باللغات الاجنبية فلاجل الاستفادة من تعلمها في اقتباس العلم والتكنيك من الغرب اي دفع طلابنا ومثقفينا الى تعلمها واتقانها ليسهل عليهم متابعة دراساتهم العلمية في بلاد الغرب والاطلاع على المراجع والمؤلفات الاجنبية بكل سهولة ، حتى نتمكن من الاستفادة والافادة .



الوعي الاسلامي يقوى

بانتشار اللغة العربية في الأقطار غير العربية

بقلم مفتشي اللغة العربية الأستاذين حقي المحتسب ونديم عدي (سوريا)

تفضل خبيران من مركز البحوث السورية بالجواب الآتي عن استفتائنا وهما الاستاذ حقي المحتسب ونديم عدي المفتشان الاختصاصيان للغة العربية :

ان دراسة تاريخ الاديان وكيف انتشرت تدل على ان عددا كبيرا منها ــ ان لم نقل كلها ــ قد جاوز المكان الذي ظهر فيه ، وان اللغة هي العامل الاساسي في انتشارها . ان الاديان افكار وتصورات عن الكون ومبدعه ومثل عليا اخلاقية وعبادات وانظمة اجتماعية ، وهذه لا تنتشر الا بواسطة اللغة .

والاسلام قد انتشر عن طريق اللغة العربية اذ حمله العرب نحو البلاد المفتوحة . وساعدت اللغات المحلية على فهمه وايضاحه للسكان الذين لم يتعلموا العربية او لم يتقنوها . وقد تعلم كثيرون من ابناء البلاد غير العربية لغة الدين الجديد ليفهموه وليكونوا اكثر انسجاما مع الدولة العربية الاسلامية . وهنالك بلاد انتشر فيها الاسلام ولم تصبح العربية لغة للسكان المحليين كاندونيسيا ، بل أصبحت العربية لغة العبادة فقط وثمة بلاد انتشر فيها الاسلام كما انتشرت العربية انتشارا محدودا ، فلما تقلص نفوذ الدولة العربية منها ضعفت اللغة العربية فيها حتى زالت او كادت مع بقاء الفاظ كثيرة من العربية شاهدة على تأثيرها في لغة السكان المحليين كايران والافغانستان واواسط آسيا وتركيا . وهنالك بلاد انتشر فيها الاسلام واللغة العربية لم تقلص نفوذهما معا حتى زالا بسبب زوال الحكم العربي والاسلامي كبلاد الاندلس . وهنالك بلاد انتشرت فيها اللغة العربية ولم ينتشر الاسلام انتشارا كاملا كلبنان فهي بلاد عربية اسلامية ومسيحية . وان لغات كثيرة قد انتشرت في العالم من غير وساطة الدين بل بتأثير النفوذ السياسي والاقتصادي والفكري كالفرنسية والانجليزية والاسبانية والبرتغالية ، وحتى في هذه الحالة فقد كان التبشير الديني عنصرا هاما من عناصر انتشار هذه اللغات .

بعد هذه المقدمة يمكننا ان نقول :

1 ــ كان من الممكن ان تنتشر اللغة العربية وان لم ينزل القرآن بها لو ان القوة العربية السياسية والاقتصادية وصلت الى درجة من القوة تبسط معها نفوذها على الاقطار المجاورة وتحمل اليها لغتها ونظرتها الى الحياة وهو انتشار يدوم ما دامت هذه القوة . ولما كان الدين اكثر ثباتا من القوة السياسية والاقتصادية فان اثره في بقاء اللغة العربية او في بقاء آثارها ادوم وابقى . ان الذين ينقلون دينهم او لغتهم الى الامم الاخرى يكونون اكثر نجاحا اذا كانوا اكثر عدلا وذوقا واخلاقا ورقيا .

2 ـ وكان من الممكن ان ينتشر الاسلام ولو انه نزل بلغة اخرى غير العربية على غرار ما حصل فى الاديان الاخرى لما له من قوة ذاتية تتعلق بالمبادىء والقيم والمثل .

3 ـ لقد انتشرت العربية قبل الاسلام فجاوزت الجزيرة العربية الى سوريا والعراق بسبب انتشار السكان ونمو النفوذ السياسي للعرب فى هذين القطرين الى جانب النفوذين الفارسي والبيزنطي .

4 ـ ان قوة اللغة العربية فى بلد عربي عامل على قوة فهم الاسلام ولكنها لا تستدعي بالضرورة قوة الوازع الديني لان هذه القوة اللغوية العربية قد تكون من تأثير الدوافع الوطنية والقومية .

وان ضعف الوازع الديني والوعي الاسلامي لا يحول دون قوة اللغة العربية فى البلد العربي .

5 ـ ان البلاد الاسلامية غير العربية يقوى عندها الوعي الاصلاحي والوازع الديني بانتشار ثقافتها العربية لان دراستها للغة العربية ناتجة عن اسباب دينية لا عن اسباب وطنية وقومية ولان فهم ابنائها للاسلام بلغته الاصلية اقوى من فهمهم اياه بلغتهم المحلية .

6 ـ ان تاثير الاسلام عن طريق لغة القرآن قوي فى البلاد غير العربية . وهو يؤثر فى لهجات السكان ولغاتهم المحلية . ولكنه لا يحولهم الى اللغة العربية الا اذا رافقت الدين الاسلامي هجرة عربية كبيرة تجعل اللغة العربية مسيطرة ثقافيا وعدديا ويكون الدين مثبتا لهذه السيطرة .

7 ـ ان سوريا كانت فيها لغات قديمة قبل العربية ومعها . ودخلتها لغات بعد العربية وتاثيرها فى العامية واضح كما ان لها تاثيرا فى اسماء الامكنة والبقاع والمهن كالسريانية والتركية والفرنسية ، بل ربما وجدنا فى عاميتنا الفاظا فارسية وكردية وهي لا تشوه الطابع العربي الغالب . وان الفرنسية وغيرها من اللغات الراقية تؤثر فى اسلوب الفصحى عن طريق الترجمة ودخول الالفاظ الحضارية تعريبا او ترجمة .

8 ـ ان سوريا لا تسود فيها الا العربية فصحى وعامية الى جانب لغات تتكلمها اقليات محدودة كالشركسية والكردية والسريانية والتركية والاشورية والارمنية وان العربية فصحى وعامية تؤثر فى هذه الاقليات فيتعلمونها وكثيرون منهم ينسون لغتهم الاصلية ويعود ذلك الى المدارس الرسمية واشراف الدولة على التعليم والى التمازج السكاني.

9 ـ ان نشر العربية فى البلاد غير العربية يسهل اذا كانت هذه البلاد تدين بالدين الاسلامي او تكتب باحرف عربية او كانت لغتها بدائية محلية .

القرآن مضموناً ولغة عامل جوهري في وحدة الفكر بين العرب والمسلمين ...
ولكن تعلم اللغات لا يزال الجسر الوحيد إلى العلم والمعرفة

الأستاذ خليل الهنداوي
حلب (سوريا)

لم يعرف دين من الاديان ذلك التلازم او الارتباط مع دين اللغة التي نزل فيها ، او عبر بها عن اغراضه ، كالاسلام .

وهو امر لا يحتاج الى المناقشة ، مادام القرءان الذي هو عمدة الاسلام ، يجعل بيانه احدى معجزاته. وهو الذي تحدى العرب ، وهم في اوج فصاحتهم المعبودة ، ان يأتوا بمثله ، او بسورة من سوره !

والبيان القرءاني تفنن في تفهمه ، وتوضيحه ، وتعليله اقطاب البلاغة في كل عصر ، وضربوا حوله دراسات متنوعة ، وآخرهم عبد الرحمان الرافعي — وهو من هو في عالم البيان — في كتابه « تاريخ آداب العرب » اذ خصص جزءا كاملا من اجزائه الثلاثة في دراسة بيان القرآن »

ولما انتشر الاسلام في ارض العرب وغير العرب ، كان القرءان مصاحبا لهذا الانتشار ، لان الاسلام ، من شعائره الاساسية ترديد آيات من القرءان في كل صلاة ، والرجوع الى القرءان في بيان الاحكام والعبادات . فهو دستور كل مسلم — عربيا كان او اعجميا —

ولذلك كان على كل من اتخذ الاسلام دينا ان يرجع الى القرءان وأن يردد بعض آياته في صلاته ، وان لم يفهمها ، وان يتفهم آيات منه للاطلاع على حقيقة الاسلام .

الاسلام نفسه مظهر من مظاهر اللغة العربية ، كما ان اللغة العربية وعاء من اوعية الاسلام ، فهما متلازمان لا ينفصلان .

ومن هنا يأتي دور حماية اللغة العربية من الاندثار ، كما اندثر الكثير من اخواتها الساميات في سالف العصور .

ومثلا على ذلك ، في حالة مد الاسلام حمل معه اللغة العربية الى الاقطار المفتوحة ، ونشرها واذاعها حتى اصبحت **اللغة الاولى فيها** . وليس التأثير الفارسي بها عنا ببعيد ، فبلاد «فارس» بلاد بعيدة كل البعد عن أن تكون قطرا من اقطار العرب ، ولكن الاسلام ادناها من العرب ، وكان من الفرس ادباء وعلماء وشعراء لا يقلون منزلة عن الادباء والعلماء والشعراء في العرب ، وذلك لان الاسلام الفهم وجمعهم على حب البيان العربي ، لانه بيان القرءان .

والفتح العربي — في حالة جزره — حين انحسر عن تلك الاقطار ابقى القرءان فيها علامة واضحة ، وان لم يبق فيها كلمة متميزة .

وفي حالة استيلاء العثمانيين على الوطن العربي، لم ينقذ اللغة العربية من الاندثار الا القرءان . لان العثمانيين كانوا مسلمين ، والمسلم لا يستطيع ان يناهض القرءان ، ما دام هو لغة دينه ! ولو ان الاحتلال كان اجنبيا ، دينه غير دين الاسلام لكان ، هنالك ، كارثة زعزعت اللغة العربية ، ولعل في قوله تعالى ابلغ معجزة : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وما دام الامر كذلك بالنسبة الى الاعاجم فانه سيكون اشد وقعا بالنسبة الى الاقطار العربية التي تتكلم اللغة العربية ، لهذه الاقطار — برغم وقوعها

تحت الحكم غير العربي ـ بقي وعيهـا الاسلامـي ، ووازعها الديني يربطانها باللغة العربية . وكثيـراً ما تقلصت اللغة العربية في بعض المجالات ، كالدواوين والمدارس التي جعلت اللغة التركية اللغـة الاولى، الا انها لبثت كلغة للتعبير ، وظل القـرءان النفحـة (او القرار) الذى يتردد كل يوم في الجوامع والبيوت ، وفى كل مكان ، مما جعل العـرب يرتبطـون بلغتهم ارتباطا دينيا مقدسا .

وغداة الوعي القومـي الـذى انتشر ، وذيـوع التعليم عادت اللغة العربيـة الى وجودهـا المستقـل وشخصيتها المتميزة .

اما مدى تأثير الفكر الاسلامي ، عن طريق لغـة القرءان ، في الاقطار الاسلامية غير العربية ، فهـو ظاهر في صلب هذه اللغات نفسها، وفى شكل حروفها التى لا تختلف عن الحروف العربية . حتى دخل فى فنونها، ورسم خطوطها، نقيل « الخط الفـارسي ، والخط العثمـاني او الخـط الرقمـي ، كما قيـل الخط الكوفي » ، وقد تجردت اللغـة التركيـة عـلى الحرف العربي لعوامل سياسية .

اوليس ، بعد ذلك ، من معجزة اللغة العربية ان الجاليات الاسلامية ، فى الاقطار الغربية، او الاسيوية، او الافريقية ابقت نفس اللغة ! وقد تختلف اللهجات الدارجة ، ولكن لا يختلف سواء التعبير الفصيح ، لان **القرءان هو الذى جمعها على وحدة التعبير ، والكتابة بالفصحى التى هي لغة القرءان !**

وما ذلك الا لان القرءان يوحد بينها ، ويجمـع بينها . فالشاعر العربي ـ في كل قطر ـ يتخذ لنفسـه الشكل العربي التقليدي نفسه ، والكاتب يكتب لكل من يقرأ العربية بلغة القرءان نفسها .

اما بقية اللهجـات واللغـات الاقليميـة فأمـر انتشارها يعود الى زمان انقطعت فيه أواصر الاجتماع، وجفت موارد اللغة ، وفشت الاعجمية : حتى بات لكل قطر لهجة ، ولكل ثوب رقعة ! وقد تتقارب هذه اللهجات ، وقد تتباعد عن الاصل بحسب مواضعهـا ومواقعها من الكلام .

ولكن هذه اللهجات صائرة حتما الى ان تنصهر وتتهذب وتنقى بفضل التعلم والوعي ، حتى تعود الى المصدر الذى انفصلت عنـه . والشاهد علـى ذلـك هذه الصحف والمجلات والاذاعات التى لا تحيـد عن الفصحى .. ولن يكون ذلك اليوم الذى تتوحد فيه ببعيـد !

اما بالنسبة الى اللهجة الاقليميـة عندنـا ـ فى سورية ـ فهي من اللهجات التى يقل فيها البعـد عن جوهر اللغة الاصيلة باعتبار موقعها الوسيـط بين الاقطار العربية . وما دخلها من حـوشي الالفـاظ ، والتواء التعابير انما يعـود الى العهـود المالكـة التى امتزجت فيها الاجنبية بالعربية ، نتيجـة لضيـاع حريتها ، وان لم تضع شخصيتها !

والآن، كيف يمكن ان نحدد المكانة التى يجب ان تحتلها العربية بالنسبة للغات الاجنبية ؟

لا تعصب اذا قلنا « العربيـة اولا ، ثم اللغـات الاجنبية ثانيا » .

واذا قدر لاسلافنا ان يطلعوا اطلاعا ضيقـا على **تراث الثقافات الاجنبية فى عهودهم بواسطة الترجمة والنقل ، فان تبدل الحياة وتطور العالم ، وتقدم العلم الذي لا وطن له يدعونا الى عدم الاكتفاء بالعربيةوحدها،** ولنا اسوة فى غيرنـا الذيـن يتقنون على الاقل لغة اجنبية بجانب لغتهم ، وهم اقل حاجة اليها منا .

بينما نحن نحتاج الى اللغـات الاجنبيـة ، وسنظل نحتاج اليها زمنا طويلا ، لانها الآن تحمل عنوان الثقافة ، ولا تزال هي الجسر الوحيد الى المعرفة ، وتطور العصر .

والذين يقولون بالاكتفاء باللغـة العربيـة لاي سبب كان انما يدعوننا الى عزلة ثقافية عن العالـم . والعزلة الثقافية فى حياة شعب انما هي دفعـه عـن ركب الحضارة ، حتـى يتفتت ، ويـذوب كيانـه ، ويتلاشى فى مهب الثقافات .

اننا لا نزال فى دور التكويـن : ودور التكويـن يتميز بالاقتباس . وحين سنجد انفسنا ويأتي دورنا فى المشاركة فى الابداع الحضاري ، تعود لغتنا الى احتلال المكانة المرموقة بين لغات العـالم . واللغـة والثقافة اليوم هما توأمان لا ينفصلان .

اللغة العربية وأثر القرآن في تطورها

الأستاذ الفاروقي الرحالي

عميد كلية اللغة العربية
(جامعة القرويين)

تقرر علماء اللغة والاجتماع قديما وحديثا — ان القصد من وجود اللغـة هو التعبيـر عما يختلج فى الضمير من المعاني والاغراض — وان اقرب طريـق وايسر وسيلة الى ذلك هو الالفـاظ والاصوات التى لا تكاد تتفاوت فى الوصول الى هذه الغاية وان كانت تختلف فى ايفائها حقها اختلافا كثيرا — وان الوضـع اللغوي كان من لطف الله بعباده ليتسنى لهم التفاهم والتعاون لان الانسـان لا يمكنه ان يستقل بحياته ولا ان يعيش بانفراده كما ان ذلك اوفق لغرض الدال اذا كان لا يريد اطلاع غير المخاطب على مدلولها ، حيث انها توجد عند الحاجة وتنقضي بانقضائها — وان معاني الحياة اكثر من ان يعبر عنها فلكل لفظ معنى وليس لكل معنى لفظ .

واللغة العربية من بين اخواتها اللغات الساميـة حباها الله عذوبة اللفظ وجمال الاسلوب وغزارة المادة وامدها بقوة الدفاع عن حياتها واستقلالها لما تتوفـر عليه من عوامل التطور وعناصر البقاء ، وهي ككائن من الكائنات الحيـة ، وكمظـهر من مظاهـر السلـوك ، وكظاهرة من ظواهر النشـاط تخضع الى سنة التطور وعوامل الزمان والمكان فتتأثر بذلـك عـلى حسب المستوى الثقافي والحضاري للامة — وتتطور اما الى الحياة واما الى الممات ، واما الى ما بينهما — والبحث عن حياتها او موتها او فتورهـا كالبحث عن عوارض الكائنات كلها — يرجع الى الكشف عن مقوماتهـا ، وطوارئها ، ومدى استعدادها لما يطلب منها .

ثم ان عناصر حياة اللغة تتكون من عدة اصول :

1) الاشتقاق والقياس.
2) وقابلية التطور وصلاحية الاداء.
3) ومرونة الاسلوب وحلاوة المنطق.
4) ووفرة المادة ونماء الثروة.
5) وفصاحة اللفظ وبلاغة الكلام.

اما الاصل الاول فهو فى اللغة العربيـة اجلى مظاهرها ، وسر من اسرار تفوقها وبه كانت احق واجدر بالحياة والبقاء فباب الاشتقاق والقياس واسع فى هذه اللغة لا يضيق مهما اتسع مجال العقل وخياله ومثال لذلك المصدر والصفة فلهما فى اللغة العربيـة العدد العديد من الصيغ والابنية واذا لاحظنا ذلك فى

الافعال ومزيداتها تصاعدت الصور القياسية الى حد لا نظير له فى اللغات الاخرى فالقياس والاشتقاق يجعلان اللغة العربية غنية ثرية ، ويفتحان الباب على مصراعيه امام الكتاب والشعراء لتسجيل افكارهم وابراز مواهبهم واذا تجلت قيمة هذا الاصل الى هذا الحد لم يبق شك فى فضل براعتها ونمو حركتها، واما الاصل الثاني وهو قبول اللغة للتطور وصلاحيتها للاداء فهو فى اللغة العربية بمكان لا يستطيع انكاره .

كانت تستعمل فى اغراض بسيطة مثل التخاطب والعواطف ، والشارات والمواقف وشبه ذلك مما يتناسب وحياة البداوة وقامت بما طلب منها فى هذا الشأن خير قيام وبعد ما خفقت راية الاسلام وانبثت حجته اصبحت اللغة لغة دين وحكم وقصص وسياسة واساليب واحتجاجات فوسعت لغة العرب كل ذلك ولم تضق به ذرعا كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم رحمه الله فى تمجيدها على لسان حالها :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن اي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف الة
وتنسيق اسماء لمخترعات
انا البحر فى احشائه الدر كامن
فهل سالوا الغواص عن صدفاتي

ثم استعملت فى اغراض جديدة اقتضاها الانغماس فى الترف والامعان فى الحضارة كوصف القصور وما بها من الاثاث والرياش والعمران، وكنعت البساتين وما بها من الاشجار والازهار والالوان الى غير ذلك مما يلائم انظمة الملك واساليب الحضارة التي استدعاها التقدم الفكري والاجتماعي ، ثم كانت لغة علم وادب وتاليف وترجمة فلم يضق صدرها ولم يقصر لسانها عما طلب منها فى مصطلحات الطب والصيدلة ، والحكمة والفلسفة ، والفلك والهيئة ، والعلوم الطبيعية والرياضية ، واما الثالث وهو مرونة الاسلوب اي قبولها للابتكار والتجديد فى صوغ المعاني وتقلبات اوضاعها فلها فيه الحظ الاوفر والمقام الاول اذ كانت اللغة فى عهدها الاول عادية وبسيطة كبساطة معانيها لا تكاد تخرج عن الحقيقة فيرسل المتكلم كلامه على حسب مقتضى الحال بدون تكلف ولا تعمل لا فى الفاظها ولا فى معانيها فاذا هي فى صدر الاسلام وما بعده من العصور تتراءى فى لباس انيق وفى صور زاهية تترقى فى البلاغة وتتنوع فى المجاز والتشبيه مما زادها حلاوة فى النفس ولذاذة فى الطبع — وذلك شيء ظاهر فى اساليب الخطباء والشعراء والكتاب الاسلاميين الذين انفسح المجال امامهم ، بما هيأته لغة التنزيل من افاق جديدة فى اللغة وفى المعرفة — ولا يغيب عن الاذهان ان للقرءان العظيم اثرا قويا وتيارا سريعا فى نشر اللغة العربية ورفع مقامها وتوفية كلماتها اذ جاء بما لا عهد للعرب به من كلمات كالساعة والسكينة مثلا فان العرب كانت لا تعرف من الساعة سوى الحصة من الزمان ولا تعرف الساعة بمعنى القيامة كما انها لا تعرف السكينة بمعنى الوقار والطمانينة ، ويقول ابن فارس فى فقه اللغة ان العرب « كانت فى جاهليتها على ارث من ارث ءابائهم فى لغاتهم وءادابهم ونسائكهم وقرابينهم فلما جاء الله تعالى بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات ، وابطلت امور ونقلت الفاظ عن مواضع الى مواضع اخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فكان مما جاء فى الاسلام ذكر المومن والمسلم والكافر والمنافق ، والعرب انما عرفت المومن من الايمان والايمان هو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا بهما سمي المومن بالاطلاق مومنا وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفت منه اسلام الشيء ثم جاء فى الشرع من اوصافه ما جاء وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر . فاما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا خلاف ما اظهروا وكان الاصل من نافقاء اليربوع — ولم يعرفوا فى الفسق الا قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش فى الخروج عن طاعة الله — وكذلك الصيام اصله عندهم الامساك ثم زادت الشريعة النية وحظرت الاكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم الا القصد ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم الا القصد ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء وزاد الشرع فيها ما زاده وعلى هذا سائر ابواب الفقه فالوجه فى هذا اذا سئل الانسان عنه ان يقول فيه اسمان لغوي وشرعي ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الاسلام به وكذلك سائر العلوم كالنحو

والعروض والشعر كل ذلك له اسمان لغوي وصناعي» وقد اصبح كل هذا بحكم القرءان من الالفاظ المستحدثة في العربية بالاضافة الى ما كان جاريا عندهم ودارجا بينهم ويرجع الفضل الى القرءان الكريم في ارشاد اهلها الى العناية بها لما حازته من أسباب القوة ، والرقي ، والحيوية ، قال تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم »» « انا انزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون » ، « وكذلك انزلناه حكما عربيا » ، بل هو اعظم ضمان لصيانتها من الضياع وحمايتها من الفساد فهو ديوانها الجامع ودستورها المانع ، ولذلك نعتقد ان الحق والصواب مع من حث وبحث على حفظ القرءان الكريم صونا لآدابها وعونا عليها لطلابها وقديما قالوا القرءان قاموس من لا قاموس له وسند من لا سند له .

ومن هنا كان لقوة الدولة العربية الاسلامية التي ركزت حياتها على كتاب الله عز وجل اثر كبير في صقل اللغة واستثمارها والتوسع في دلالتها واساليبها لاسيما اذا كثرت الحاجات والمحسوسات وتجددت الوسائل والادوات فان ذلك يساعد على ترقيتها وتوسيع كلماتها ، وما زال الكتاب العصريون يطالعوننا كل حين بأسلوب جديد وابتكار فريد وذلك مما يشهد على قدرة اللغة ومرونتها واستعدادها.

واما الرابع وهو وفرة المادة فهو شيء لا تلام عليه اللغة العربية بل وربما شكا اهلها من كثرة مفرداتها وصعوبة الاحاطة بها وهذه معاجمها تهديك الى الحق في هذا الباب فلسان العرب لابن منظور الافريقي ينطوي وحده على ما يقارب ستين الف مادة واذا اعتبرت ان كل مادة يدخلها الاشتقاق وما يتفرع عليه ادركت ان جملة مفردات اللغة لا تكاد تدخل تحت الاحصاء وبذلك استطاعت لغة العرب ان تقوم بنفسها وتستقل عن غيرها مما حسدتها عليه كثير من اللغات الناهضة ــ ولا عار في وجود الدخيل من اللغات الاعجمية فان ذلك لا ينقصها شيئا من استقلالها لان مقومات اللغة المكونة لجهازها تامة وقائمة ــ ولان اللغات ياخذ بعضها من بعض كما ياخذ الانسان من الانسان وهذا شان الكائنات يرتفق بعضها ببعض ، الا ان نسبة الاخذ قد ترتفع وقد تنخفض ــ ولان الكلمات الدخيلة اقلية ولا اعتبار للاقلية مع الاكثرية ــ ولان هذه الالفاظ اصبحت عربية حيث تكلمت بها العرب وحولتها عن اصلها واخضعتها لنفوذ حكمها الا ترى انها لا تدعه على لفظه الذي كان عليه عند العجم الا اذا كانت حروفه في المخارج والصفات كحروف العرب .

وذلك مثل تنور وصابون فانه اتفقت فيهما اللغة العربية واللغة العجمية وعند ذلك يكون منسوبا الى العرب لا الى العجم اما اذا لم تكن حروفه كحروف العرب او كان بعضها كذلك دون بعض فلابد لها ان تردها الى حروفها ولا تقبلها على مطابقة حروف العجم ــ ومن اوزان الكلم ما تتركه على حاله في كلام العجم ، ومنها ما تتصرف فيه كما تتصرف في كلامها واذا فعلت ذلك صارت تلك الكلم مضمومة الى كلامها كالالفاظ المرتجلة والاوزان المبتداة بها .

ومما يضمن سعة اللغة العربية كثرة المترادفات وهو ما يعين الكاتب المولع بالبديع على شجعه وجناسه وفواصله ، والشاعر المرتبط بميزانه وقافيته وموازنته فوجود المترادفات في اللغة العربية يتوافق مع طبيعتها في السحر والابداع .

وهاهي كتب فقه اللغة تكفلت بضبط مسميات الالفاظ ومواقع استعمالها وما بين معانيها من الفروق وان قلت ودقت فاذا أحكم الكاتب او الشاعر استعمالها كان مصورا للمقاصد والمطالب بكل دقة وبكل وضوح .

واما الاصل الخامس وهو فصاحة اللفظ وبلاغة التركيب فقد بلغت فيه العربية المقام الامثل وقد تجمعت هذه الصفات في مضر ، وانحصرت في قريش ، وتلخصت في النبي الهاشمي صلى الله عليه وسلم كما روى عنه انه قال : « انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش ونشات في بني سعد » . ومن بلاغته صلى الله عليه وسلم انه تكلم بما لم يسمع من العرب قبله كقوله « مات حتف انفه » ــ « وحمي الوطيس » ــ «ولا يلدغ المومن من جحر مرتين» ــ الى غير ذلك مما سجله الجاحظ في كتاب « البيان والتبيين »».

فهذه هي أصول حياة اللغة وبقائها ولا نشك في توفر لغة الاعراب والبيان على هذه العناصر وانها لم تزل كما كانت لغة العلم والثقافة ، لا تتاخر عن مسايرة ركب الحضارة بشرط ان يعمل اهلها على

ضمان وجودها في حياتهم ، ونفوذها في عالمهم ، وكم يلذ لي ان « أورد قصة طريفة أوردها ابن الاثير في المثل السائر قال : « وحضر عندي في بعض الايام رجل من اليهود وكنت في الديار المصرية ، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد لمكان علمه في دينهم وفي غيره وكان كذلك فجرى ذكر اللغات وان اللغة العربية هي سيدة اللغات وانها اشرفهن مكانا واحسنهن وضعا فقال ذلك الرجل : « كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرا فنفت القبيح من اللغات قبلها واخذت الحسن ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السابقة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني — كوميل — مما لا على وزن فوعيل فجاء واضع العربية وحذف منها الثقيل المستبشع وقال جمل فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل في كذا وكذا ..»

الا ان نفسي حدثتني ان هذا الكلام اساء الى العربية اكثر مما احسن اليها لان اليهود لا يمكنهم ان يتجردوا عن سمومهم واحقادهم في كل ما يمت الى الاسلام والمسلمين بصلة وقد اكد الله لنا ذلك في كتابه الحكيم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » وهذه الاساءة تتجلى في ثلاثة مواضيع — الاول قوله : « كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرا » والثاني قوله : « ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السابقة » والثالث قوله: « فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني — كوميل — الخ ووجه ذلك انه يشير الى انها تولدت عن غيرها وانها مأخوذة من اللغات العبرية على الخصوص مع أن اللغة العربية عند المحققين هي شقيقة اللغات السامية وليست متولدة عن شيء منها لا كما يزعم بعضهم انها بنت اللغة العبرية والبينة على انها اصل بنفسها — انها اقرب اللغات السامية شبها باصلها حسبما اثبته الباحثون في نشأة اللغة الاولى وما تفرع عنها من لغات — وانها عاشت في نواحي منعزلة عن بقية اللغات السامية وبذلك يعسر اتصالها بها بصلة الاشتقاق والتفريع .

فاللغة العربية في غنى عن شهادة اليهود — اذ هي اوضح وسيلة للتعبير عن الاغراض واقدر على تصوير الحقائق وتحليل الغوامض ، واوسع من ان تضيق عن موضوع أو محسوس — وهي لغة التنزيل الذي يعتبر حدثا عظيما في تاريخ اللغة العربية لانه نموذج جديد تطورت العربية فيه فكانت خليقة ان تكون معربة عن دين جديد هو في الحقيقة حضارة جديدة ومن الطبيعي ان تتطلب هذه الحضارة الطريفة مادة لغوية جديدة تسمى اللغة الاسلامية او الالفاظ الاسلامية — ومن اجل ذلك وجد الباحثون انفسهم في حاجة الى وضع مؤلفات تشرح هذه اللغة الجديدة فكانت هي الكتب التي تحمل عنوان مجاز القرءان ، او غريب القرءان ، أو مشكل القرءان ، أو تشبيهات القرءان ، أو معاني القرءان ، فمثلا الفاظ الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والفرض والسنة والصدقة والنافلة والحديث وغير ذلك مما يدخل في نطاق اللغة الجديدة — دلت على معان جديدة في هذه الفترة التاريخية من تاريخ اللغة العربية .

ولغة القرءان والحديث طبعت اللغة العربية بطابع واضح مبين هو التزامها الاعراب الذي لم يكن شائعا ولا مستعملا على نحو ما التزمته نصوص القرءان ومعنى ذلك ان العربية في لهجاتها المتعددة لم تكن تتقيد بضوابط الاعراب ولكن لغة التنزيل هي التي جعلت الاعراب سمة لازمة للعربية التي اريد لها ان تكون كذلك — وعلى هذا فلم يخل عصر من عصور التاريخ اللغوي من ازدواجية في اللغة — لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ، ولغة عامية تستعمل في التخاطب والتفاهم ، وربما تعدى الامر فيها مسألة الاعراب الى الالفاظ نفسها حيث تكون بعيدة عن الالفاظ الصحيحة — وعذر العرب انهم كانوا يتاخمون اقواما في اطراف الجزيرة العربية فاعداهم ذلك وغير لسانهم وحرف كلامهم — واعتبارا لذلك يمكن ان تكون صيغ الجموع وغيرها راجعة الى اختلاف اللهجات الخاصة اذا كانت قريبة من اللغة الاصلية .

وعلى اي حال فاللهجات العديدة ، والاستعمالات الجديدة التي لا يعترف بها علماء العربية ما هي الا نتيجة للتطور الطبيعي في اللغة واستمرار لحياتها من حيث انها فرضت نفسها فرضا وجمعت حولها جموعا من الناس .

ومن الاستعمالات الجديدة ما روي ان احد الظرفاء جاء الى ابي تمام الشاعر المشهور وساله ان يعطيه قارورة من ماء الملام حيث انكروا عليه قوله :

لا تسقني ماء الملام فانني
صب قد إستعذبت ماء بكائي

فقال له ابو تمام لا اعطيك ما سالت حتى تأتيني بريشة من جناح الذل وهو يشير في جوابه اللطيف الى قوله تعالى في الوصية بالوالدين : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وهو يريد أن يقول ان لاستعمالات المجاز في العربية الوانا من الابداع والابتكار فكما ان لغة التنزيل ابتكرت المجازات الدقيقة اللطيفة ، فصارت من انفس نفائس العربية ، كذلك يكون من حق الشاعر المبدع ان يبتكر في استعمال المجاز .

ولا ننسى ان المجاز قام بدور كبير في تطور اللغة وفي مسالة الدلالة ، والمجاز واقع في كل زمان، وقائم بكل لسان، والكلمة خاضعة للتغير بحكم الطبيعة، وبحكم الشريعة .

وبعد فقد علمنا ـ ان انتشار الاسلام كان من اقوى العوامل في انتشار اللغة العربية اذ هي لسانه واداته ـ ومن عادة الناس انهم يتسارعون الى تعلم لغة الغالب لكي يضمنوا لانفسهم تقربا من الدولة الغالبة فيتسنمون المراكز ، ويترسمون المناصب وذلك شان المغلوب مع الغالب فلغة الفاتح تنتصر عندما ينتصر وتستقر عندما يستقر وأمان على ذلك هنا ما في تعاليم الاسلام من التسامح واقامة ميزان الحق والعدل ، فاقبل الناس على الاسلام وعلى لغته وسار الاسلام وسارت اللغة معه قدما بقدم ـ وقد اثر القرءان الكريم تأثيرا عظيما فياللغة والبلاغة، وكان باعثا قويا على تدوين اصولها وقواعدها ، وسائر علومها .

ومن الكتب التي عنيت بدراسة لغة القرءان واساليبه كتاب «مجاز القرءان» لابي عبيدة معمر ابن المثنى اللغوي المتوفى سنة 208 هـ وقد كان السبب في تاليفه هو التشبيه القائم في قول امريء القيس

ايقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كانياب اغوال

هل المشبه به معلوم او مجهول ـ وهذا الكتاب يفسر ما في الآيات الكريمة من مواد غريبة ، ويبين وجوه نظم القرءان التي يوجد مثلها في كلام العرب، ويتضمن كثيرا من مسائل البلاغة كالتشبيه والاستعارة والكناية ، والتقديم والتاخير والايجاز والالتفات ، ورتبه صاحبه على حسب ترتيب سور القرءان واياته ليسهل تناوله ويعم نفعه ان شاء الله ـ وكتاب «غريب القرءان» او«مشكل القرءان» لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة 213 هـ ورتبه كترتيب ابي عبيدة ، واعتمد فيه على كتاب ابي عبيدة وعلى غيره ممن سلك هذا المسلك والمراد انه اخذ من ذلك اخذ الناقد البصير الذي يعرف ما ياخذ وما يذر ولذلك تراه مرة ينتقد نقدا لاذعا واخرى نقدا هادئا ـ وكتاب «تلخيص البيان، في مجازات القرءان » ، لابي الحسن محمد بن ابي الحسن المعروف بالشريف الرضي ، المتوفى سنة 406 هـ بين فيه ما في القرءان من استعمالات مجازية ونهج منهج ابي عبيدة في الوضع والتقرير ـ وكتاب ابي القاسم عبد الله بن ناقيا البغدادي المتوفى 485 هـ الذي حلق في اجواء الفضاء ، واضفى على التشبيهات القرءانية انوارا جديدة وقدم معلومات وافادات طريفة فحق له ان يكون مرجعا في الدراسات القرءانية والبحوث البلاغية والاسرار اللغوية ـ وكتاب « الايجاز في انواع المجاز لابي محمد سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعي المتوفى سنة 660 هـ بداه بمعلومات قيمة عن المجاز والبلاغة ورتبه على سور القرءان الكريم وختمه بطرائف وفرائد .

نظرة في الصلات العربية الفارسية حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

نعم ان العرب والعربية ، يوما ، وصلا اقصى الشرق واقصى الغرب ، اقصى الشرق حتى بلغا مشارف الصين وتعدياها ، واقصى الغرب حتى وعلا اعلى جبال البرانس وتخطياها . وقد سارت العربية مع الركبان ، وتغنى بها الحداة ، فسمعها الاغراب عن الاعراب ، فهزهم الشوق الى معرفتها ، فاقبلوا عليها يتعلمونها او غيرة من شهرتها وسلاستها ، فمالوا عليها يريدون ان يعبثوا بها ولكن :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها ، واوهى قرنه الوعل

ولقد خرجت اللغة العربية فى العصور القديمة من الارومة السامية تاركة شقيقاتها : الفينيقية ، الكنعانية ، الآشورية ، العبرية .. وغيرها لتفوقها اساسا وامكانية عشرات المرات ، ولتغزو وحدها لغات فارس ، وباكستان والهند وتركية ، ثم شمال افريقية وقلبها والاندلس وجنوب ايطالية . ولقد لمست اللغة العربية كل لغة من لغات تلك المناطق لمسات تتراوح بين التأثير الزهيد والذوبان التام .

ولا يعني حديثي هذا ان العربية اثرت ولم تتاثر ، لا ، فما من لغة فى الدنيا لم تطعم غيرها ولم تتطعم بغيرها ، واللغة التي لا ترفد ولا ترفد تعتبر جامدة ضيقة المحيط والامكانية . كما لا يضير لغة تأثرها بجارتها او بجاراتها ، ولا يحط ذلك من قدرها .

وبما ان حديثنا محاط باطار تبادل التأثر والتأثير بين العربية والفارسية ، فلأذكر ان للعربية فضلا على الفارسية هو فضل اتمام النقص وسد الحاجة من المفردات التى انتشرت فى اللغة الفارسية، مع اقتباس وتشبع بالادب العربي وتاريخه وتاريخ تطوره اثر انتشار الاسلام والعربية فى الشرق المسلم . وقد اخذوا منا كثيرا واخذنا منهم اكثر ، اخذنا منهم في العصر الجاهلي والاموي والعباسي والانحطاط ، ولا زالت بقاياها فى لغتنا الحديثة الفصيحة منها والعامية، واخذوا منا منذ صدر الاسلام ، ولا زالوا ياخذون حتى اليوم . والعالم عندهم ، قديما وحديثا ، هو الذي يجيد العربية قدر اجادته للفارسية ، ومقياسهم العلمي والادبي للمرء مقدر بمدى معرفته للعربية وتمكنه منها .

يقول العوفي فى كتابه « جهار مقاله : المقالات الاربع » ، فى هذا الشأن ما ترجمته : « لا يبلغ كلام الكاتب درجة عالية حتى يأخذ من كل علم نصيبا ، ومن كل أستاذ نكتة ، وينبغي أن يعتاد قراءة كتاب رب العزة ، وأحاديث المصطفى ، والنظر فى صحف الخلف مثل ترسل الصاحب والصابي وقابوس ، والفاظ الامامى وقدامة ، ومقامات بديع الزمان ، ورسائل عبد الحميد ، ومن دواوين العرب : المتنبي والابيوردي والغزى . ومن شعر العجم الازرقي والفردوسي » .

للتبادل الثقافي مرحلتان : مرحلة ما قبل الاسلام ومرحلة ما بعده . وبما ان المجال ضيق والحديث

شيق ، والمرحلتان واسعتان ، فانني اكتفي باستعراض لمحات ترمي الى مدى التبادل الثقافي الذى كان يجري فى الجاهلية وحتى مطلع القرن الهجري الاول ، مرجئا الحديث عن المرحلة الثانية ، وهي الاوسع ، الى مقالة ثانية ان شاء الله .

اما المرحلة الاولى فقد كان العرب على اتصال مع الفرس منذ كورش الذى توفى (550 ق . م .) اذ دفعوا له الجزية ، ثم اعانوا ابنه « كبوجية » ، والذي اسماه العرب (قمبيز) ، عام (525 ق . م .) على فتح مصر والسودان . كما يروى أن الفرس كانوا يعظمون البيت الحرام ، ويحجون الى مكة ، ويطوفون بالبيت ، ويزمزمون على بئر اسماعيل . ومن جملة الاكاسرة الذين حجوا الى مكة « ساسان بن بابك » مؤسس الدولة الساسانية . وفى ذلك يقول احد الشعراء الفرس مفتخرا :

وما زلنا نحج البيت قدما
ونلقي بالأباطح آمنينا

وساسان بن بابك سارحتى
اتى البيت العتيق يطوف دينا

فطاف به وزمزم عند بئر
لاسماعيل تروي الشاربينا

وقد وجدت مدينة عربية بين دجلة والفرات فى زمان « شاور بن اردشير » سنة 273 م ، قبل ان تعرف مدينة الحيرة وكان اسم مالكها « الساطرون » والعرب تسمي المدينة « ضيزن » ، وسكن فيها قبائل من قضاعة وبني عبيد ابن الاجرم . وكان الساطرون على حرب دائم مع شابور . وقد استطاع هذا فتح المدينة وقتل الساطرون ، وفى ذلك يقول « عمرو بن اله » :

الم يحزنك والانباء تنمى
بما لاقت سراة بني عبيد

ومصرع ضيزن وبني ابيه
واحلاس الكتائب من تزيد

اتاهم بالفيول مجللات
وبالابطال ، سابور الجنود

فهدم من أواسي الحصن صخرا
كأن ثفاله زبر الحديد

وقد كانت الاتصالات العربية الفارسية قبل الحيرة غالبا عبارة عن معارك وغارات من قبل القبائل لتستفيد من خيرات فارس ، فيقوم جند كسرى لصد وقتل العابثين .

اما من الناحية التجارية ، وهو امر هام كذلك ، فقد كانت الجزيرة العربية سوقا لبضائع فارسية وهندية ، كما كانت محطات لقوافل فارسية ، كانت فى طريقها الى بلاد الروم او الى بلاد اليمن السعيد . وقد كانو يخشون على قوافلهم التجارية من هجمات القبائل لذا استعانوا بالعرب كثيرا ، كما اشرت ، على هذه القوافل ايام السلان والصفقة . وقد كانت مكة ، كما نعلم ، سوقا عالمية ، فيها تجار من شتى الاصقاع. وكما يحدثنا الواقدي انه كان فيها ممثلون تجاريون لفارس وبيزنطة ، كما كانت الدراهم الفارسية من العملات الرائجة آنذاك . وقد كانت بلدة « جرة » على الخليج العربي سوقا تجارية لبضائع الهند وفارس ، وقد اسست هذه المدينة فى القرن الرابع قبل الميلاد.

وعندما ازدادت اتصالاتهم بالعرب ، حربا وتجارة ، فكروا بتاسيس امارة على تخومهم ، يحمون بها انفسهم مغبة هجمات القبائل ، فأسسوا دولة المناذرة فى العراق ، ومهمتها جمع الضرائب وتقديمها للبلاط الاعجمي ، وحماية التخوم ، كما فعل الروم بتاسيس دولة الغساسنة على تخوم الشام .

ونظرا الى اهمية الحيرة ومكانتها من الادب العربي والصلات مع الفرس ، ونظرا الى النهضة الشعرية التي برزت فيها ، اجدني مضطرا للوقوف على ابواب الحيرة وقصريها ، لاطرقها ، ولانتظر جواب محدثنا عن الخورنق والسدير .

ترجع نشاة هذه الدويلة الى « جذيمة الابرش » الذي خضع للفرس ، واستعان بهم على شيء من السيطرة على القبائل فى بادية الشام . ثم ان «رقاش» اخت جذيمة تزوجت رجلا من بني اخوالها اسمه « عدى بن نصر اللخمي الايادي » ، ورزقت منه صبيا سمته « عمرا » ، فلما مات جذيمة عام 268 م خلفه عمرو هذا ، واتخذ الحيرة على مقربة من « بابل » ومن الكوفة اليوم ، منزلا له . فمن عمرو هذا جاء ملوك الحيرة .. وقيل غير ذلك .

ويظهر ان كلمة (الحيرة) سريانية ، ومعناها المعسكر ، وهي فى الاصل (حرتا) . وقد كانت مكونة من قصور محصنة حول ميدان واسع . وينسب بناء قصرى الخورنق والسدير الى النعمان الاول الذي

حكم بين 400 ــ 418 م . وقد بنى النعمان قصر الخورنق قرب الحيرة ، بناه المعمار الرومي الشهير « سنمار » . والخورنق كلمة فارسية أصل لفظها (خورنكاه) او (خورنه) ، وهو الايوان لدى ملوك الفرس ، كان يستخدم للاستفادة من اشعة الشمس وللعبادة ، وعربت الكلمة الى (خورنق) ، ثم صارت في مصر (الكرنك) .

كما بنى السدير في بادية الشام ، واصل الاسم (سه دير : القباب الثلاث) . وقد بناهما النعمان عندما ارسل « يزدكرد » وهو « بهرام كور : بهرام الحمار » الى الحيرة لينشأ نشاة فروسية ، ويربى تربية قوية ، ويتعلم القنص ، وينعم بجودة الهواء ، وكم تغنى الشعراء بجمال هذين القصرين ، وخاصة عدي والاعشى .

وتعلم بهرام هناك العربية ، ويحكى انه قال الشعر العربي ، كما نسب اليه اول بيت شعر بالفارسية . وبعد وفاة ابيه نازعه اخوه على الملك ، فاستعان بالعرب ليصل الى الملك ، وكان له ذلك ، ولما اعتلى العرش لم ينس ما كان لعرب الحيرة من يد عليه فقربهم واعلى شأنهم .

وقد كان للنعمان كتائب عسكرية اهمها اثنتان الاولى (الشهباء) وهي فارسية ، والثانية (دوسر : ذات الراسين) وهي عربية . وقد انتقلت التجارة الفارسية رسميا الى عرب الحيرة ، فنقلوا بضائعهم وحموا قوافلهم .

نستدل من ذلك كله ان التبادل جرى عن طريق التجارة اولا وعن طريق الجوار سلما وحربا ثانيا . هذا الاتصال الوثيق كان يجبر الطرفين ان يستخدموا مترجمين يقومون بالاتصال بين القصرين العربي والفارسي ، ومترجمين يرافقون اصحاب القوافل التجارية . فقد كتب (لقيط بن يعمر الايادي) لكسرى وترجم له ، وكان (عدي بن زيد) من تراجمة كسرى ابرويز ، كما كان ابوه زيد على معرفة بالفارسية .

كما كانت مدرسة (جند يشابور) معهدا لدراسة الطب والفلسفة والموسيقى ، فرحل بعض العرب لتعلم الطب ، منهم (الحارث بن كلدة الثقفي) الذي اتقن في ذلك المعهد الطب والعزف ، وذهب كذلك ابنه « النضر » الى هناك ، وكلف بالفارسية . وهو الذي كان يحكي اقاصيص رستم واسفنديار في اوائل البعثة الى مكة ، معاديا في ذلك الدين الاسلامي.

ولقد رحل بعض العرب الى بلاد الفرس بقصد التنزه والسياحة ، او كانوا رسل الملوك والتجار فرات اعينهم معابدهم الكبيرة ، ومبانيهم الفخمة ، وراوا كيف يعيشون ويطعمون ويشربون ، وسمعوا في مجالسهم الحكايات والاقاصيص وحياة الملوك ، فاثر هذا الى حد ما ، في عقلية العربي ، والشاعر منهم خاصة ، فذكر ما راى واستفاد من عبرهم ، واقتبس من معتقداتهم .

كما كان عرب الحيرة اذ ذاك في رخاء يحسدهم عليه غيرهم من العرب ، ولخصب ارضهم وغنى اقليمهم . فكان اذا جاء الشاعر الى الحيرة يتاثر بالطبع من هذه الزيارة ، فيتسع خياله وتتاقلم افكاره. وعلى هذا فقد كان لكل ما مر اثر في الادب العربي وفي الحياة الحضارية والعقلية . فاحاديث جذيمة الابرش واساطير الزباء ، والخورنق والسدير ، والاقاصيص حول سنمار ، والامثال التي ضربت فيه ، ويوما النعمان : نعيمه وبؤسه . كل ذلك وغيره كان سببه هذا الاتصال الذي كان يجري بين الامتين المعنيتين ومن اهم الشعراء العرب الذين ذهبوا الى بلاد فارس: الاعشى ، والذي لقب « صناجة العرب » ، وصناجة كلمة فارسية من (جنك ــ سنج ــ صنج) وهي الآلة الموسيقية المؤلفة من قطعتين معدنيتين مدورتين يضرب بهما . ويكفي ان نورد قطعة من شعر الاعشى لنستدل على كثرة الالفاظ الفارسية المستعملة في الجاهلية . يقول في مجلس انس يصف الخمرة وساقيها والازهار المحيطة بهم . وستجد ثماني عشرة لفظة فارسية اغلبها في وصف الازهار ، في سبعة ابيات :

ببابل لم تعصر فجاءت سلافة
تخالط قنديدا ومسكا مختما

يطوف بها ساق علينا مشوم
خفيف ذفيف ما يزال مقدما

بكأس وابريق كان شرابه
اذا صب في المصحاة خالط بقما

لنا جلسان عندها وبنفسج
وسيسنبر والمرزجوش منمنما

وآس وخيرى ومرو وسوسن
اذا كان هنزمن ورحت مخشما

وشاهسفرم والياسمين ونرجس
يصبحنا في كل دجن تغيما

ومستق سينيـن وون وبربـط
يجاوبه صنـج اذا ما ترنمـا

وهناك ، كذلك غير الاعشى، عدى بن زيد الذي كان عينا للفرس في بلاط الحيرة . ولن ننسى النابغة الذبياني وصاحبه النعمان أبا قابوس ، وما كان له من فضل على ايجاد باب الاعتذار في شعر العرب ، واستخدامه للالفاظ الفارسية في الشعر العربي ، ثم هناك قيس بن الخطيم ، وطرفة ومالك بن نويرة ، وعمرو بن كلثوم ، وحسان .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تاثيرا في الامم وفي آدابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي المجوسية ، والمانوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلفهم بها وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من عناصر الطبيعة وهي التي عبدها الفرس والشرق ، وبدا ذلك كله في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار الشعراء بعد الاسلام كبشار والمعري والمتنبي وابي تمام . ولا ادل على تاثرهم بالاديان الفارسية من قول ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، عند كلامه على اديان العرب في الجاهلية :

« وكانت النصرانية في ربيعة وغسان ، وبعض قضاعة ، وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية في تميم ، وكانت الزندقة في قريش .. اخذوها من الحيرة » . وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فعزله قباذ وعين مكانه الحارث بن عمرو امير كنده . بعد ان اعتنق المزدكية .

وتذكر كتب التاريخ ان يوم ذي قار (610 م .)، فخر العرب ، حصل فيه أول معركة قام بها العرب باجماع تقريبا ضد أمة عربية حاكمة ، واحداث هذه المعركة معروفة ، وقصة ظفرنا فيها تحكي صفحة من صفحات مجدنا العريق . فقد قتل النعمان عدى بن زيد ، فرد كسرى انتقامه بقتل النعمان ، فاستعد العرب واستعد الفرس . وكانت النسوة العرب يحرضن الرجال على الاستبسال ، ويلهبن بطولتهم باناشيد حماسية ، منها :

ان تهزموا نعانق
ونفرش النمارق

او تهربوا نفارق
فراق غير وامق

فتقطع العرب احزمة رواحل نسائهم ، ليستميتوا دفاعا عن الحرائر اللواتي لا يستطعن الفرار على رواحل تقطعت احزمتها . فانجلت المعركة عن هزيمة الفرس، فاشاد الشعراء بقبائل بكر وشيبان وعجل خاصة ، كقول الدهان بن جندل :

ان كنت ساقية يوما على كرم
فاسقي فوارس من ذهل بن شيبانا

واسقي فوارس حاموا عن ديارهم
واعلي مفارقهم مسكا وريحانا

وكان العراق من اخصب اراضي الجزيرة بنهريها ، وبالحضارة المتبقية من حضارات الامم الاصلية ، ومن المناذرة المتاثرين بحضارة الاكاسرة. وقد امر عمر بن الخطاب (رضي) انشاء مدينتي البصرة والكوفة حول الحيرة ، فتحولت اليهما كنوز المدائن وحضارة البلاد . وبما ان سكان هاتين المدينتين من العرب ومن الموالي ، فقد اضطر هؤلاء الى تعلم العربية ، فكانوا اول من اتقن العربية والف فيها .

ولما استقر الاسلام والعرب في العراق وفارس وخراسان حصل الاتصال المباشر بين الامتين . لذا فقد اختلفت عوامل الاتصال والتبادل الثقافي بعد الاسلام عنها قبل الاسلام . فلم تعد فردية ، كما لم تعد سطحية او ضيقة المجال الزمني ، واذا رجحت كفة الفرس في الجاهلية ، واذا كان التاثر من طرف العرب هو الغالب قبل الاسلام فقد اختلف الامر عنه بعد الاسلام ورجحت كفة العرب ، نظرا الى ان الاتصال جماعي وعميق وطويل الاجل .

ويرجع السبب الاول لهذا الاتصال الى فتح العرب لارض فارس وحكمها . ولن اتحدث عن المعارك التي جرت بينهما حتى استقر الامر للعرب ، فهذا حديث طويل لا تسعه صفحات ضيقة المجال ، كما انه ليس محور حديثنا . ومن نتيجة ذلك انفسح المجال لتيارات وصلت الشعبتين ببعضهما حياة وفكرة . وصارت الخيوط التي كانت تصلهما في الجاهلية طرقا نسيحة ممهدة ، وصارت العلائق الفردية روابط اجتماعية وثيقة ، واصبحت الصلات الموقوتة عرى دامت قرونا فسيحة . وحسبنا ان نشير الى ان العرب اسسوا على حدود الفرس عددا من المدن اتخذت الطابع الفارسي ، كما كان اسم اغلبها فارسيا ايضا ، من ذلك : البصرة (بس راه : بعد الطريق) ، الكوفة ، الانبار (المخزن ، ثم صارت

فى العامية عنبر) ، بغداد (الله المعطي ، حديقة الله) .. وسرعان ما امتلأت هذه المدن بالعرب ، وسرعان ما وفد اليها الفرس . ثم غدت مراكز للثقافة العربية الاسلامية .

كما اعتنق الفرس الاسلام مختارين ، تخلصا من المظالم التي اصطلوا بنارها قبل الاسلام ، فتسابقوا الى تعلم العربية على أنها لغة الدين والحكم . وقد ازداد الاختلاط فى زمان العباسيين ، وكما نعلم ان للفرس شأنا قوية فى تأسيسها . ولقد زاحم الفرس العرب فى الوزارة والحجابة وقيادة الجيوش وجباية الاموال وولاية الاقاليم وإدارة الدواوين ومنادمة الخلفاء وقرض الشعر .

ولقد دخلت القرآن الكريم الفاظ فارسية منها : ابريق . طبق . سراب . سجيل . جرف . سندس مسك . كافور . خندق . استبرق . كنز . ومن شاء الاطلاع على الالفاظ الفارسية فى القرآن فليرجع الى الاتقان للسيوطي او الى المعجم الذي كتبه « آرثور جفري » فى الدخيل من كلمات القرآن التي تبنها العرب من الفرس ، وهى مما سنتحدث عنها في مقالتنا القادمة .

* * *

ومن الحق ان نقول ان للفارسية فضل رأب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلبه العصر الجديد بعد الفتح ، فدخلت فى قرآننا ونثرنا وشعرنا وامثالنا . واذا كنا تأثرنا بهم حكما وسياسة وتابعية وديننا ولغة قبل الاسلام ، فاننا اثرنا باستقلالهم وادیانهم ولغاتهم بعد الاسلام . ولما ضاع استقلالهم، واندمجوا فى دولة الاسلام التي قادها العرب ، ولما ضاعت اديانهم وذابوا فى الديانة الاسلامية انغمسوا فى العربية ، قرآنها وآدابها وعاداتها . وما هي الا فترة وجيزة حتى غدت الالفاظ العربية مبثوثة فى النصوص والاحاديث الفارسية بشكل لا يمكن التخلي عنه بأية حال . فما من نص الا وفيه ثلاثون بالمائة أو أكثر من الالفاظ العربية ، وما من قصيدة الا واغلب قوافيها عربية .

ويعتبر الاثر العربي الاول فى الفارسية تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل ، فنراهم منذ اوائل الاسلام يغيرون الالفباء البهلوية بالفباء عربية مضيفين اليها اربعة حروف فقط لم يكن رسمها موجودا فى العربية لعدم وجود نطقها ، فرسموها بشكل مناسب للحروف العربية القريبة النطق منها . فكتبوا (ب) باء بثلاث نقاط ، و (ج) جيما بثلاث نقاط ، وكذا (ث) زايا بثلاث نقاط . ووضعوا خطا آخر فوق الكاف للكاف الفارسية .

(يتبع)

إفريقيا المسلمة متحمسة للغة القرآن
... ولكن ضعف الوسائل يحول دون انتشارها

الشيخ شريف مكي حيدر

(حلب)

لعل اظهر مظاهر الترابط بين الاسلام ولغة القرآن ، ان الاسلام لا يمكن ان يفهم فهما كاملا بدون التعمق بدراسة لغة القرءان ..

فقد نزل الوحي الرباني على النبي الكريم بهذه اللغة التي جمعت فاوعت .. وكانت من البلاغة وسحر القول ما هز النفوس وايقظ الضمائر ..

وحين استفاضت الدعوة المحمدية لم تشمل العرب فحسب ، بل تجاوزتها الى الكثير من اقطار الدنيا فاستجابت لها امم من الشرق ومن الغرب ، متباينة الاهداف والانظمة والعقائد واللغات — استجابت للدعوة المحمدية لا لشيء الا لما تضمنته من مبادىء انسانية ونزعات مثالية ونظم خيرة وسنن كريمة .

وقد اقبل غير العرب على تعلم لغة القرءان بغية فهم محكم آياته فانكشفت لهم آفاق ترفع من كرامة الانسان وتصون حقوقه وتثيره ليكون اداة بناءة في دعم الحضارة الانسانية .

وما هي الا فترات لم تطل ، جيلا بعد جيل ، حتى كانت العزيبة ؛، قد هزت الشدة فطاحل الرجال الاذكياء من مختلف الامم ، فعكفوا وهم يدرسونها ، على التعمق في اسرارها فما كادوا يلمسون هذا الجمال ، وهذا الغنى في الفاظها ومفرداتها ، وفيما تحمله حروفها وحكماتها من دلالات ومضامين هدتهم الى فهم آيات القرءان واحاديث النبي وكل ما يتصل بروح الشريعة الاسلامية حتى اخذوا يؤلفون بالعربية دون لغاتهم الاصلية التي ما كانت لتستطيع التعبير عن آرائهم وخوالجهم بهذه الآفاق المنطلقة .

والتآليف التي تركوها تقل في قيمتها العلمية عن التي الفها ابناء العرب الخلص .. ولا مبرر لهذا الاتجاه الا الحافز الذي دفعهم لادراك اسرار الشريعة الاسلامية ، ثم النزعة التي فاضت بها القلوب بحب هذه اللغة التي نزل بها القرآن فكانت الشعلة التي اوقدت الافكار فتركوا لنا تراثا ضخما ما تزال البشرية تعيش على روائعه مختالة فخورة ..

ولا مجال لذكر الاعلام الذين الفوا في العربية فهم من شتى الامم ، من الفرس والترك والديلم والهنود ، حسبي ان اذكر الفارابي ، وابن جني ، والغزالي ، وابن-سينا ، والفخر الرازي والبيروني ، والسهروردي وعشرات من الفحول الذين تركوا لغتهم وكتبوا تأملاتهم وآراءهم في الدين والتصوف والعلم والادب والحكمة — كتبوها بالعربية الفصحى وما تزال متداولة حتى يومنا هذا ..

وفي خزانتي كتاب باللغة التركية عنوانه « عثمانلي مؤلفلرى (1) لمؤرخ اديب اسمه «بروسلي

(1) الكتاب في مجلدين كبيرين نيفت صفحاتهما على الستمائة صفحة بالحرف الصغير .

محمد طاهر» ترجم فيه لمئات المؤلفين الاتراك الذين دونوا علومهم بالعربية .. فهم مؤرخون واطباء ورياضيون وجغرافيون وشعراء وادباء وعلماء — الفوا بالعربية وبالتركية والفارسية وما الفوه بالعربية اكثر ..

وافتح هذا الكتاب على غير هدى ، واقرأ سيرة عالم عرف باسم الـ «الكافيجي» او «الكافيه جي» انهيه ابي عبدالله بن سليمان بن مسعود الرومي احد فضلاء الاتراك ، هجر قريته « برغمه » وقام برحلات الى اطراف الاناضول ، والى ايران ، والى آسيا الصغرى يتصل بالعلماء ويأخذ منهم ، ثم انتهى به المطاف الى مصر فاتصل بالملك الاشرف بربساي الذى اكرم وفادته وخلع عليه الخلع ، ثم ناط به احدى الرتب العلمية .

لقد ترك هذا المؤلف التركي عشرات الرسائل والكتب بالعربية منها :

1 ـ التيسير فى علم التفسير

2 ـ انوار السعادة فى شرح كلمة السعادة

3 ـ تشريح مسالة الاستثناء

4 ـ الاشراق فى مراتب الطباق

5 ـ سيف القضاة على البغاة

6 ـ الفرح والسرور فى بيان المذاهب

7 ـ نزهة الارواح وغبطة الاشباح فى التصوف

8 ـ شرح تهذيب المنطق والكلام

9 ـ منبع الدرر فى علم الاثر

10 ـ منازل الارواح

11 ـ المختصر المفيد فى علم التاريخ

12 ـ حل الاشكال فى مباحث الاشكال والهندسة

13 ـ تفسير الآيات المتشابهات

14 ـ نزهة المعرب فى المشرق والمغرب

ويصل عدد هذه الرسائل والكتب الى الاربعين كتابا .

واكثر الكتب التى اشار اليها مؤلف الكتاب ، هي مخطوطات فى مكتبات استانبول والاناضول ..

ولا اعلم اذا كانت بعثة الجامعة العربية لتصوير المخطوطات العربية والتى قامت بعدة رحلات الى تركيا ـ قد اهتدت الى هذه الآثار وصورت بعضها !..

* * *

كان علماء الاتراك فى عهد السلطنة العثمانية يؤلفون الكثير من كتبهم بالعربية كعلماء الفرس تماما ..

ومنذ عهد الغازي اتاتورك ، وقبله بسنوات ، اي منذ ذرت « المنصرية الطورانية » قرنها ـ توقف هذا الاتجاه ، بل قضي عليه تماما بعد ان استبدل الاتراك الاحرف العربية بالاحرف اللاتينية ـ وهذه جناية لا تغتفر فرضها اتاتورك على الشعب التركي الذى فصل بينه وبين الحرف العربي المقدس الذى نزل به القرءان .. وكأني به قد مس الاخوة الاسلامية فى الصميم وجعله يتجه الى الغرب بدل ارتباطه بالشرق وبالشرق الاسلامي بصورة خاصة.

واستدرك فاقول ان الشعب التركي بمجموع افراده وطبقاته ومجتمعاته متدين عميق التدين ، يفيض قلبه بروح الاسلام ، وما يزال مرتبطا بحسه وقلبه وضميره ببلاغة القرءان .. ولكن هذه الصلة بين الروح الاسلامية وبين الجيل الجديد سيعروها شيء من البلبلة والتفكك الا من عصم ربك !

اذكر بهذه المناسبة ان نقاشا كان دار بيني وبين صاحب جريدة « آقشام » ـ الماء ـ الاستاذ نجم الدين صادق ـ وهو من انصار اتاتورك المتحمسين ـ دار هذا النقاش حول الحرف اللاتيني ، واذكر انه قلت له : ان الجيل الجديد سيعيش غدا فى متاهات مظلمة حين يبحث عن اصل الكلمات التى دخلت لغته ـ وقد دخلها الكثير من لغات الشرق والغرب ـ . وضربت مثلا عدة كلمات منها كلمة « المحبة » ـ والاتراك يقلبون الحاء «هاء» فيلفظون المحبة « مهبت » ، وامثالكم من الجيل القديم يدرك ان اصل الكلمة من «الحب» وهي كلمة عربية ، اما الجيل الجديد ـ وقد قطع صلته بالحرف العربي ـ فسيجهل الكثير من اصل الكلمات التى يتحدث بها او يكتبها ـ سيجهل اهي عربية الاصل ام فرنسية ام سنسكريتية ـ وبذلك تطغى البلبلة على افهام النشء الجديد الذى سيعيش فى تيه من الرطانات!

واقر بالامر .. ثم قال اننا اخترنا الخطة التى رسمها الغازي ولا حيلة لنا فى الامر ، ولسنا نادمين!

هذا وقد استطاعت العربية ان تفرض ذاتها على الكثير من الامم الاسلامية فكان لبلاغة القرءان اثرها في النفوس وفي العقول وفي الاذواق .. ومن هنا ظل الترابط وثيقا بين العربية والاسلام ، وكان لهذا الترابط اثره في غير المسلمين ولدى المستشرقين بصورة خاصة فاننا نقرا لكثيرين منهم دراسات باللغة العربية على غاية من العمق والقيمة الفكرية .

قد يقال ان عكوف المستشرقين على تعلم العربية يختلف كل الاختلاف على اولئك الذين اجتذبهم الاسلام الى رحابه ودخلوا في دين الله افواجا .. ولا نقول غير ذلك .. الا ان غنى اللغة وسحرها واستيعابها لروح الاسلام ولشريعته السمحة هي التي اجتذبتهم الى دراستها فتركوا آثارا تعتز بها الدراسات المنهجية وان شاب الكثير منها نزغات وشكوك ولوثات لم تخف على الباحثين الذين تناولوها بالرد على ضوء من الحقائق المجردة التي ترضى العقل والضمير ويقرها الايمان والفكر الحر ..

وبعد فليس هنا مجال التوسع في هذا الاستطراد الذي جاء عرضا وانا اشير الى لغتنا الجميلة التي عاشت مع القرون وما زالت حية نابضة معبرة عن الكثير من الخلجات الإنسانية ، تأخذ وتعطي دون ان يصيبها الهزال او الشيخوخة او الموت الذي اصاب الكثير من اللغات !

* * *

وقد ظلت العلاقة بين الاسلام واللغة العربية غير منفصلة طوال عصور التاريخ .

ففي بلد الشام، ونرجع الى عهد الفتح العربي، كانت لغة السوريين خليطا من الآرامية والسريانية واليونانية وغيرها من لغات ولهجات .

وكانت العربية على لسان بعض القبائل والمشيخات العربية القاطنة في الاطراف والتخوم ، فلما جاء الفتح العربي يحمل رسالة السماء بلغة عربية صافية تهز المشاعر بايقاعها الموسيقي ، وتثير الافهام بمعانيها السامية التي صانت «حقوق الانسان» وحددت له واجباته ومسؤولياته نحو الله والمجتمع — استطاعت لغة هذه الرسالة ان تكتسح بقية اللغات وان تحتل الصدارة في البيئات الرسمية والشعبية وعلى السنة القوم على اختلاف نحلهم ومذاهبهم ، وما هي الا فترات لم تطل حتى انقلبت بلاد الشام عربية اللسان ، وعربية الفكر والقلب والوجدان ، وانضوت باكثريتها تحت راية القرءان .

لقد كان هذا الحدث من اقوى العوامل والاسباب التي ربطت ، في الاقليم الذي اعيش في ظلاله ، بين العربية والاسلام .

ومن الشام انطلقت البعثات تنشر هذه الرسالة، رسالة النبي العربي في انحاء الدنيا .. تنشر الدين واللغة معا . واذا الاسلام ببلاغة القرءان وبدستوره المحكم يقضي على الوثنيات ويصبح للغة العربية هذه القداسة في نفوس القوم والاداة المعبرة عن هواجسهم وآرائهم في شتى شؤون الحياة والمجتمع ، وفي شتى الوان المعرفة ..

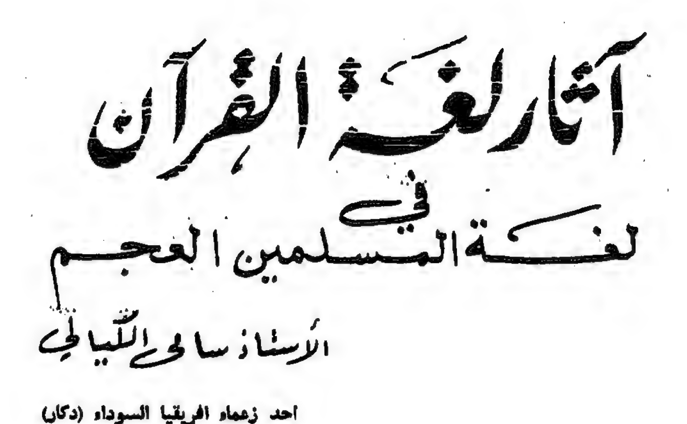
* * *

هذا وان «اثار لغة القرءان جلية في انتاج علماء العجم .

نلمس ذلك فيما كتبه شاعر الباكستان العظيم محمد اقبال ، ففي اكثر كتاباته صور من نفحات القرءان ، والفاظ تنبع من صميم القرءان .

ونلمس هذا عند شاعر الترك الاعظم عبد الحق حامد . فالكثير من شعره وادبه مزدان بنفحات من كتاب الله العظيم ..

واستطاع القرآن ان يصون لهجات الجاليات الاسلامية في الاقطار الغربية — من الهلهلة ، بل كان له اثره في اضفاء رونق جميل على أدبهم . وهذا ما نلمسه في ادب المهجريين وشعرهم واكثرهم من اخواننا المسيحيين !



احد زعماء افريقيا السوداء (دكار)

لابد للباحث فى هذا الموضوع أن يأخذ بعين الاعتبار عاملين هامين رافقا الاسلام :

— اولهما : هبوط الوحي السماوي على محمد ابن عبد الله (صلعم) وهو عربي ومن بيئة عربية .

— وثانيهما : نزول القرآن وهو « قاموس » الاسلام ودستوره بالضرورة — باللغة العربية —

من هنا كان الترابط محكما ومتينا بين الاسلام ، ولغة الاسلام « اي لغة الضاد » ، وكان على مسلمي الارض قاطبة ان يلموا باللغة العربية ، ليستطيعوا بالتالي تادية فروض الاسلام والقيام بشعائره وترتيل القرآن .

وهكذا كان لابد للغة العربية ان تصل حيثما وصل الاسلام وحيثما حل المسلمون .

وكان لا بد كذلك من ان ينتشر الاسلام بشكل اشمل واعم فى البيئات العربية المنطق واللسان . — فالترابط فى نظري — بين الاسلام واللغة العربية ترابط عضوي وأساسي لا يقلل من اهميته اطلاقا انتشار الاسلام فى بقاع نائية مثلا لا تمت الى العرب بصلة وليس لها اي المام باللغة العربية . فالاسلام لم يصل الى هذه البقاع الا من طريق من حملوا هديه ورسالته وانطلقوا ينشرون تعاليمه فى مشارق الارض ومغاربها . اوليس طارق بن زياد هو الذى حمل الاسلام الى الاندلس والمغرب من طريق الفتح ؟ .. اوليس عقبة بن نافع هو الذى حمل الاسلام الى افريقيا السوداء ينشر تعاليمه ويبشر برسالته عن طريق حملاته التوسعية ؟ .

لقد توسع الاسلام فى افريقيا دون وجود بيئة تلم بالعربية او تجيدها . وكان الفضل فى ذلك لمواعظ كبار العلماء وجهودهم من جهة ، ولتوفر الاستعداد الفطري عند الافارقة لتقبل الدعوة . ففى منطقة « الكازامنس » فى السينغال مثلا : كان وجود علماء كبار من امثال والدي المرحوم الشريف يونس ضرورة اكيدة وعاملا هاما فى نشر الاسلام ، واكتساب العدد الاكبر من السكان الى جانب الدعوة .

ان كثيرا من التعابير والايات القرآنية لمازجت مع اللغات المحلية واللهجات الاقليمية للمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، حتى غدت جزءا من هـذه اللغات واللهجات ، الشيء الذى يؤكد مجددا التلازم والترابط بين الاسلام واللغة العربية ، هذه اللغة التى أبت الذوبان فى غيرها من اللغات على مر العصـور ورغم ما عانته من هزات وازمات، ذلك ان الاسلام اغناها بسحر آياته واعجاز كلماته فاغتنت واغنت ، وليس من العجب فى شيء أن نرى عددا كبيرا من طلبة المعاهد والثانويات الافارقة ينزعـون الى تعلم اللغة العربية واتقانها بديلا للغات الاجنبية الاخرى . ولكن للاسف يحول دون العدد الاكبر منهم وتحقيـق غايته نقص الوسائل وعدم توفر الامكانيات .



(الموصل)

بدأ الصراع الدموي بين القومية العربية وبين الشعوبية بعد ان تحرر العراق العربي من نير الاستعمار الفارسي في عهد خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ، وانضمام هذا القطر العربي الى الام الوطن العربي الكبير وربط مصيره باشقائه الاقطار العربية الاخرى كسوريا ومصر واليمن والحجاز والاقسام الاخرى من الوطن العربي الكبير الامر الذى ادى الى تكالب الشعوبيين وازدياد حقدهم على القومية العربية التي حملت رسالة الاسلام الخالدة واثارت بمشعلها الوهاج وانوارها الساطعة البشرية قاطبة .

والقومية العربية الخالدة التيحملت راية الاسلام هي التي اوجدت مبدأ الضمان الاجتماعي الذي دعت اليه تعاليم الاسلام في جوهره يكفل للفرد العيش في سعة ويؤمن للسكان اجمعين ضمانا اجتماعيا قويا ضد العاهة والوفاة والعجز والشيخوخة ولم تمض حقبة من الزمن حتى فتح العرب المعمورة باجمعها واسسوا في البلاد المتحررة انظمة مستمدة من تعليم الدين الحنيف تكفل لجميع الشعوب على اختلاف الوانها وعقائدها وقومياتها الحرية والمساواة وحرية التملك وحرية العبادة وحرية ابداء الراي . هذه هي المبادىء السامية التي حملتها القومية العربية الخالدة للبشرية اجمع ، الامر الذي ادى الى حقد الشعوبية واليهودية وقد بدأ التآمر على القومية العربية منذ تولى الخلافة الفاروق العظيم عمر بن الخطاب (رضي) وما كان يظن ان تنتهي حياة ذلك العادل المحب لرعيته بضربة خنجر ولكن ذلك حتى يعلم الناس حقد الشعوبيين على القومية العربية ، فان عمر اذا كان قد ارضى العرب بما صنعه وارضى العجم بما افاض عليهم من العدل فقد اغضب كبراءهم وذوي السلطان عليهم لانه ثل عروش مجدهم وزلزل قصور عظمتهم الامر الذي ادى الى ان يقتله رجل اسمه فيروز ويلقب بابي لؤلؤة الفارسي الشعوبي .

وتحدثنا المصادر التاريخية : ـ ان اول مخطط هدام للقضاء على القومية العربية قام بوضعه (عبد الله ابن سباء) المعروف « بابن السوداء » وقد ولد هذا اليهودي الحاقد في مدينة صنعاء باليمن وتثقف بالثقافة الفارسية واظهر اسلامه لينتقم من المسلمين ويظلل الناس وكان يصبغ مبادئه الهدامة بصبغة دينية حتى يضلل بها عامة الناس فكان يقول : ـ لقد عجبت ممن يقول برجعة المسيح ولا يقول برجعة محمد ، وبذلك وضع مذهب الرجعة اي رجعة محمد كما روج بين المسلمين نظرية الحق الالهي التي اخذها من الفرس الذين احتلوا قبل الاسلام بلاد اليمن موطنه الاصلي .

وقد هيأ ابن سباء المقتول الى الاعتقاد بان عثمان ابن عفان اغتصب الخلافة واخذ يؤلب الناس عليه ويدعوهم الى الثورة على خلافة عثمان بن عفان وبعث دعاته لنشر هذه المبادىء الهدامة بين عامة الناس وقد نجحت دعوة ابن السوداء في البصرة والكوفة وفي مصر ولم تنجح في الشام

وحقق ابن سباء اليهودي الهدام ما كان يرمي اليه من تأليب الولايات العربية على الخليفة عثمان بن عفان وقد بلغت دعوته الغاية منها حيث انضم كثير من اصحاب النفوذ والجاه اليه مما ادى الى قتل الخليفة عثمان بن عفان بعد ان حاصره الثوار في داره 22 يوما ، فكان ذلك اول فصول هذه المأساة وما اعقبها من نشوب الحروب الاهلية في البلاد العربية واخذت الكوارث الدامية تحل بالامة العربية الواحدة تلو الاخرى ، منها واقعة الجمل التي حدثت في جوار البصرة بين انصار عثمان بن عفان وبين الخليفة

علي بن ابي طالب قتل في هذه الواقعة (10) آلاف من شجعان العرب ، وليت الامر وقف عند الحد بل اخذت الحروب الاهلية بين العرب تتعاقب بفضل الشعوبيين والخرق يتسع بين العرب الذين حملوا راية الاسلام فحدثت حرب صفين بين الخليفة علي بن ابي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان المطالب بدم عثمان ، ولم تكن واقعة الجمل على شدة هولها وفظاعة امرها الا مقدمة لما هو اشد منها هولا هو الحرب في صفين . انتهت واقعة صفين التي قتل فيها من شجعان العرب وامجادهم تسعون الفا ، وهو عدد لم يذهب مثله ولا قريب منه في جميع الوقائع الاسلامية من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تاريخها . ومما يزيد الاسف ان هذه الحرب لم يكن المراد منها الوصول الى تقرير مبدأ ديني او رفع حيف بالامة انما كانت لنصرة شخص على شخص وقد نتج عن حرب صفين احداث محزنة ومؤسفة حيث انها ادت الى البلبلة والانقسام في صفوف الامة العربية . فقد عاد الشاميون من هذه الحرب الاهلية الى دمشق وانصرف العراقيون الى العراق ولكن شتان بين رجوع اهل الشام وبين اهل العراق عاداهل الشام متفقي الكلمة ورجع اهل العراق وقد وقع الخلاف بينهم ودب الانقسام الى صفوفهم ولقد اقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشاتمون ويتضاربون بالسيوط مما ادى الى قيام حزب جديد اطلق على نفسه (الخوارج) ثم اصبحنا امام ثلاثة احزاب بعد ان كنا امام حزبين اثنين . اولا حزب الشيعة ، ثانيا حزب الامويين ، ثالثا حزب الخوارج، واخذت هذه الاحزاب الثلاثة في التطاحن مما ادى الى اضعاف مقدرة القومية العربية ومناعتها لصد العدوان الداخلي الذي يقوم به الرتل الخامس فكان نفوذ فرق الزنادقة من مجوسية ومزدكية يمتد في نسيج البلاد الاسلامية للكيد ونشر الفوضى تحت شعارات وبراقع مختلفة الالوان حتى نمت الاحزاب الهدامة على حساب القومية العربية .

وكان الامويون قد جردوا السيف لهذا الخطر الداهم ولذلك تواترت الشكاوي على مثل والي العراق زياد بن ابيه وخلفه الحجاج بن يوسف الثقفي لان ولايتهما كانت في قلب الفتنة (العراق) وفي مهب ريحها فلما زالت الدولة الاموية بدسائس الشعوبية الماكرة ووجد الزنادقة والاحزاب الشعوبية الهدامة مجالا واسعا لبث سمومهم وهدم كيان القومية العربية احس الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بالخطر فاعمل السيف في أربابها كأبي مسلم الخراساني وحزبه، الا انه لم يتفرغ لها التفرغ الكامل فقضى والدولة العباسية مهددة بالزوال ، وتناول السيف خليفته المهدي ثم ابنه الهادي ثم اخوه الرشيد .

ولما وقع الشقاق والخلاف بين الاخوين الامين والمامون وجد الزنادقة والاحزاب الهدامة الاخرى متنفسا آخر فازداد نشاطهم . ومن اخطر الحركات التي انبثقت لهدم الاسلام والقضاء على القومية العربية وسحق تعاليم الدين كلها سعيا الى تحطيم السلطة السياسية التي تقوم على هذه التعاليم – تلك الحركة التي تزعمها رجل كان اذكى واخطر من ابن سباء ، وهذا الرجل هو المدعو « عبد الله بن ميمون القداح » وهو ابن فقيه ملحد من جنوب فارس ، وكان ميمون بن ديصان امام جماعة من الملحدين يزيفون الاحاديث وينشرون في العامة مبادىء الانكار والهدم والاباحة ويظهرون في نفس الوقت تشيعا لآل البيت لاخفاء مقاصدهم الحقيقية ، وما كاد ابن ميمون ينظم جمعيته السرية الهائلة في جنوب فارس حتى بعث بدعاته الى جميع الاقطار العربية يبثون مبادىء التقويض والهدم والتبشير بالمهدي المنتظر . وكان داعيته في العراق رجلا يسمى « الفرج بن عثمان القاشاني » ويعرف « بذكرويه » وهو فارسي من مدينة قاشان ، وكان يبث الدعوة سرا ثم نهض في سنة 278 هجرية رجل من اتباعه داهية في الاستهواء والدس بمكان يعرف بالنهرين على مقربة من الكوفة يبث الدعوة جهرا فاستجاب له جمع كثير ولقب بـ (قرمط) وكان يدعو الى خروج المهدي المنتظر الذي يملأ الارض بعدله وكان يأخذ من كل واحد من اتباعه دينارا للامام وجعل عليهم اثني عشر نقيبا سماهم الحواريين ، ولما علم عامل الناحية بامره قبض عليه وحبسه ففر من سجنه واختفى حينا وازداد انصاره تعلقا به ، وقالوا انه رفع الى السماء ثم ظهر في ناحية اخرى من الكوفة وعكف على بث دعوته ثم فر الى الشام واختفى بعد ذلك ولم يقف له احد على خبر ونشأ هذا المذهب الهدام الجديد في انحاء الكوفة واطلق على انصاره (القرامطة) نسبة الى داعيتهم قرمط .

وهكذا قام حزب القرامطة على الشيوع والإباحة فقد بدأ قرمط بجمع من انصاره الضريبة العامة بنسب صغيرة وبنسب كبيرة ، ثم الغى الملكية الفردية ثم قرر شيوع المرأة وغيره من صنوف الاباحة القائمة على استغلال اخس الشهوات البشرية وبذلك نظم مجتمعا شيوعيا وسرعان ما تحول القرامطة الى عصابة هائلة من السفاكين والاشقياء تقتل خصومها وتستحل اموالهم واعراضهم وتنشر الدمار والرعب

فيما حولها ، وقد اجتاحت دعوة القرامطة انحساء البحرين والبصرة والاحساء وعمان والجزيرة ، وامتدت الى سوريا والحجاز ، وبينما كان القرامطة يسيرون بانفسهم الى الفناء من جراء المعارك الطاحنة كانت دعوة عبد الله بن ميمون السرية تجتاح بلاد اليمن وتبشر بقرب ظهور المهدي فانتشرت الدعوة بين القبائل بسرعة واغاروا على من حولهم من القبائل بالسبي والنهب والقتل وارسلوا اموالا كثيرة الى ولد ابن القداح ثم انتقلت هذه الدعوة الى افريقية وانتشرت الدعوة في قبائل المغرب وفي مصر ثم ظهر حزب ثوري سري هدام وهو اخطر حزب عرفه الاسلام ، وهذا الحزب هو (الطائفة الاسماعيلية والباطنية) استمدت مبادئها من تعليم ميمون بن ديصان وولده عبد الله ومن القرامطة ولبثت هذه الطائفة مدة قرن ونصف قرن ارعبت خلالها الدول الاسلامية من فارس الى الشام وحشدت جموع البسطاء من العامة باسم الدين لتحقيق الاغراض السياسية واعتمدت في محاربة خصومها على الاغتيال الخفي المنظم باكثر مما اعتمدت على الحرب العلنية ، وكانت القومية الفارسية تعتمد على الدعوة الثورية هدفت بثوراتها المتعاقبة الى تحطيم نير الدولة العباسية واسترجاع حريتها .

ولما ولي المعتصم الخلافة وكانت امه تركية اهمل العنصر العربي والفارسي واعتمد على الاتراك الذين اتخذهم حرسا له واسند اليهم مناصب الدولة كما فعل اخوه المأمون مع الخراسانيين . وكان المعتصم اول خليفة عباسي اعتنى باقتناء غلمان الاتراك فبعث الى سمرقند وفرغانة لشرائهم وبذل فيهم الاموال الطائلة والبسهم انواع الديباج ومناطق الذهب وكان غلمان الاتراك يتدفقون سنة بعد سنة على اسواق بغداد حتى كثر عددهم ولم يلبث هؤلاء ان اصبحوا آفة على اهل بغداد الذين عانوا من عنتهم وجورهم شيئا كثيرا .

وتحدثنا المصادر التاريخية ان المعتصم كان قد اقصى العرب عن مناصب الدولة المدنية والعسكرية وعن ديوان العطاء واتاح بذلك الفرصة لغلمان الاتراك فزاد نفوذهم واصبحوا خطرا على الخلفاء العباسيين وعلى الدولة العباسية . وقد ادى ظهور العنصر التركي الى تزايد قوة هذا العنصر الدخيل على البلاد وضعف العرب وتفرقهم الى قبائل وبطون مما ادى الى هجرة عدد كبير منهم من المدن والقصبات حيث فضلوا الاقامة والعيش في الارياف والصحاري تخلصا مما كانوا يلقونه من غلمان الاتراك المرتزقة من اهانات وكبت للحريات ومصادرة للاموال والممتلكات ، ونتج عن ذلك ان غلمان الاتراك وجدوا انفسهم منفردين بالحكم والسلطان واصبحوا هم الآمرين في الدولة العباسية ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تعدى الى ان امتدت ايديهم على حياة الخلفاء واموالهم .

فعندما استلم المتوكل الخلافة وحاول ان يكف ايدي غلمان الاتراك عن التدخل في شؤون الدولة وسياستها قتلوه وصار ابنه المنتصر الذي اشترك معهم في قتله طوع بنانهم ، واصبحت الدولة العباسية ميدانا للفوضى والدسائس وغدا امر تولية الخليفة وعزله او حبسه او قتله في ايدي (غلمان الاتراك) .

ومن هنا بدأ ظهور طوائف الملوك في الوطن العربي المستقلة وشبه المستقلة في اطراف الدولة العباسية كدولة الصفارية والسامانية والغزنوية والعلوية في الشرق العربي والدولة الاغلبية بتونس والفاطمية ببلاد المغرب والطولونية والاخشيدية بمصر وبنو امية بالاندلس ودولة الزيدية باليمن .

وبينما كان الشعب العراقي العربي ينظر الى هذه الكوارث والمآسي التي حلت بالعراق على ايدي الشعوبيين بكل يقظة وحذر لكي يتخلص من هذه الطغمة المرتزقة اذا بسيل جارف آخر من الشعوبيين يتدفق صوب بغداد وهو عنصر جديد من بلاد الديلم يعرف باسم (آل بويه) فانتزعوا الحكم والسلطان من غلمان الاتراك ببغداد وجعلوا العراق ملكا لاحدهم يتصرف فيه كما يشاء ، والخليفة الشرعي قابع في قصره يأتمر بأمره . وقد ارتكب البويهيون اكبر جريمة في حق الشعب العراقي اثناء سيطرتهم على مقدرات العراق بتشجيعهم الطائفية بين السكان .

وتحدثنا المصادر التاريخية ان معز الدولة البويهي الذي كان يسيطر على مقدرات العراق اصدر امرا في بغداد في العاشرة من شهر محرم سنة 352 هـ يقضي بالزام الناس ان يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الاسواق والبيع والشراء وان يظهروا النياحة (الطبك) ويلبسوا قبابا عملوها بالمسوح (الاكفان) وان يخرج النساء ناشرات الشعور ومسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلد نائحات ويلطمن وجوههن على الحسين ابن علي ، فعمل الناس ولم يكن للخليفة العباسي قدرة على منع هذه البدعة السيئة التي لم يكن لها اي صلة بالدين ، وقد بذل البويهيون جهودا عظيمة لنشر روح الطائفية في جميع ارجاء هذا الوطن وثبتوها بصورة

رسمية الامر الذى ادى الى انقسام الشعب العراقي العربي الى طوائف متنازعة متنافرة ، ولا تزال روح الطائفية البغيضة تنخر جسم الشعب العراقي العربي المسلم الى يومنا هذا . وفى اوائل القرن الخامس الهجري ظهر عنصر جديد من الشعوبيين المرتزقة جاءوا من وسط آسيا متجهين صوب العراق وهم الغز من الاتراك وعلى راسهم البيت السلجوقي زحفوا الى بغداد وامتلكوها وازالوا عنها آل بويه واصبح آل سلجوق هم المسيطرين على مقدرات الدولة العباسية وانتشر الغز فى طول البلاد وعرضها يدمرون القرى والقصبات ويصادرون اموال الناس دابهم القتل والنهب وحرق القرى وسفك الدماء مما ادى الى خراب آلاف القرى فى انحاء العراق ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى خرج سيل المغول الجارف واجتاح الدولة العباسية وازالها من الوجود ، وقد كان احتلال المغول للعراق فى القرنين الثالث والرابع عشر الميلادي وسقوط الخلافة العباسية فى بغداد الضربة القاضية على العراق ، وفى هذه الحقبة التاريخية التي مرت على العراق والتي استمرت عدة قرون كان الشعب العراقي العربي يتلقى ضربات متوالية من الشعوبية المجرمة ولو ان اي شعب من شعوب العالم اصابه ما اصاب الشعب العراقي العربي المسلم الباسل المؤمن بربه الشعوبيون اثناء سيطرتهم على مقدرات العراق لزال من عالم الوجود واصبح فى عداد الامم المندثرة ، ولكن الشعب العراقي العربي المسلم الباسل المؤمن بربه وقوميته صمد وقاوم مقاومة المستميت فى سبيل صون كيانه وعروبته . وقد وجد له عرينا يحتمي فيه ليصد الضربات الموجهة ضده من هذه الذئاب المفترسة فاختار البطائح (الاهور) الواقعة فى العراق قلاعا يحتمي فيها ويتحصن بالمياه والسفن ضد السلطان البويهي وصارت تلك البطائح معاقل حصينة والف زعماء العرب مشيخات يتولى ادارة كل مشيخة منها زعيم من العشيرة اثناء سيطرة آل بويه ثم مدة حكم آل سلجوق التركمانيين الزاحفين من اواسط آسيا (بلاد ما وراء النهر) .

ولما استعاد العباسيون بعض نفوذهم فى بغداد رجع سكان البطائح الى طاعة بني العباس واحترموا النظام واخذوا يؤدون الخراج الى عمال الخلفاء العباسيين كما كان الامر من قديم الزمان وازدادت الهجرة من المدن والقصبات الى البطائح مرة ثانية عندما اكتسحت جيوش المغول المدن العراقية تخلصا من القتل والنهب ، وعاد سكان البطائح الى الانفصال عن حكومة المغول فى بغداد ، والف زعماء البطائح مشيخات وتحصنوا فى قراهم المحاطة بالمياه وازداد نفوذ الشيوخ والزعماء الذين كانوا يسيطرون على البطائح ، وبمرور الزمان نشأت الاقطاعيات فى العراق واصبحت كل مشيخة مؤلفة من عدة قرى يسكنها ابناء عشيرة واحدة مستقلة عن المشيخات الاخرى ، واصبح شيخ القبيلة هو الحاكم بامره يدير شؤون عشيرته وفق التقاليد والعادات الموروثة منقطعة عن العالم الخارجي يعيشون فيها على زراعة الارز والدخن بطريقة ابتدائية وتربية الماشية عراة حفاة تفتك بهم الاوبئة والامراض العفنة ويستولى الجهل على عقولهم محرومين من كل وسائل الحياة وبقوا على هذه الحالة السيئة الى ما بعد فتح الدولة العثمانية للعراق على يد السلطان سليمان القانوني فى سنة 941 هجرية (1543 ميلادية) وكان حكم الولاة العثمانيين نافذا فى المدن والقصبات ، اما القبائل التي كانت تقطن على ضفاف الانهر وفى البطائح من جنوب بغداد حتى الخليج العربي فانها كانت مع ولاة الدولة العثمانية فى حروب وثورات دامية مستمرة. ولقد حاولت الجيوش العثمانية مرارا اخضاعهم بارسال الحملات العسكرية الواحدة تلو الاخرى زهاء ثلاثة قرون متواصلة لم تحقق الا بعض نصر موقت ، اذ ما كانت تعود الحملة العسكرية الى قواعدها بعد حملة تأديب صارمة حتى يثور سكان البطائح مرة اخرى ويعلنوا عصيانهم ضد الدولة العثمانية هذا من جهة ، ومن جهة اخرى شرع ولاة بغداد يزرعون بين سكان البطائح روح التفرقة والتباغض فكانوا ينعمون على بعض الشيوخ والزعماء منهم بالالقاب (الباشوية) ويفرقون عليهم العطايا من اراض واموال دون الآخرين لبث روح التنافس والحسد بينهم فيلجأون الى ضرب بعضهم بعضا .

وفى خلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخ العراق ظل سكان البطائح منقطعين ـ او يكادون ـ عن العالم الخارجي محرومين من كل وسائل التمدن الحديثة صحية كانت ام ثقافية ام اجتماعية محتفظين فى الوقت نفسه بسجاياهم العربية الخالصة كالكرم والشجاعة والذكاء الفطري وسرعة الخاطر وقوة اللاحظة والسليقة الشعرية والاخذ بالثأر وحماية الخارجي محرومين من كل وسائل التمدن الحديثة مستمر مع الدولة العثمانية وتنكر دائم لها حتى انحسر ظلها عن العراق على اثر احتلال الجيش البريطاني للعراق اثناء الحرب العالمية الاولى التي نشبت سنة 1914 .

الإتباع في العربية

الدكتور حسين نصار

(جامعة القاهرة)

الاتباع ظاهرة لغوية عامة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل تنبه من عرف غير العربية من القدماء الى وجودها فى هذه اللغات ، فقال احمد بن فارس (1) : « وقد شاركت العجم العرب فى هذا الباب » . ونستطيع نحن ان ندرج تحت « العجم » من نعرف لغته من الشعوب الاوربية مثل الانجليز والفرنسيين .

وفطن اللغويون منذ عهد مبكر الى ظاهرة الاتباع . فأورد ابو عمرو بن العلاء راس مدرسة البصرة امثلة منها . جاء فى كتاب ابي الطيب اللغوي (2) : « قال ابو عمرو : سمعت اعرابيا يقول لآخر : انك لتحسب الارض علي حيصا بيصا ، بكسر اوله .. وقال ابو عمرو : يقال : رجل طب لب . وهو العالم .. » وذكر ابو الطيب ايضا مثالا منه عن راس مدرسة الكوفة ، قال (3) : « حكى اللحياني عن ابي جعفر الرؤاسي انه يقال للرجل : انه لمجنون مخنون .. »

وطبيعي ان يلقف تلاميذهما منهما هذه الامثلة ، ويسعوا وراء نظائرها ، ثم يمنحوها تلاميذهم . فترد فى كتب الاتباع اسماء يونس بن حبيب والاصمعي وابي زيد وابي عبيدة والكسائي وقطرب وابي عمرو الشيباني والفراء والاحمر واليزيدي وابن الاعرابي ، وتشير المعاجم الى ما تعالج من امثلته ، منذ العين للخليل . بل افرد ابن دريد فى جمهرته فصلا للاتباع (4) .

وبالرغم من ذلك ، اختلف العلماء فى تصورهم للاتباع نتيجة اختلافهم فى الصفات التى اشترطوا توافرها فى الالفاظ التى يمكن ادخالها فيه . ويحسن بنا — حين نرغب فى تتبع هذه الشروط — ان نعالجها وفق التصنيف التالي :

1 — من حيث المعنى : ذهبت جماعة من المتقدمين الى ان اللفظ التابع لا معنى له اصلا . واقدم من وصلت الينا منه اقوال تذهب هذا المذهب ابن الاعرابي (231 هـ). قال ثعلب فى اماليه (5): قال ابن

---

(1) الصاحبي 226 . الثعالبي : فقه اللغة 566 . السيوطي : المزهر 1 : 414 .
(2) الإتباع 14 ، 77 .
(3) الإتباع 39 .
(4) 3 — 429 .
(5) السيوطي : المزهر 1 : 414 ، 416 . وانظر احمد بن فارس : الصاحبي 226 ، والاتباع 28 .

الاعرابي : « سالت العرب : اي شيء معنى شيطان ليطان ؟ فقالوا : شيء نتد به كلامنا» : نشدده . وتابعه الحسن بن بشر الآمدي (371 هـ) الذى اعلن (6) : التابع لا يفيد معنى اصلا ، ولهذا قال ابن دريد : سالت ابا حاتم عن معنى قولهم : بسن ، فقال : لا ادري ما هو » . وسار وراءهما في هذا الطريق ابن الدهان (7) الذى راى ان التابع غير مبين معنى بنفسه عن نفسه . ويكاد هذا القول يكون ما قاله فخر الدين الرازي، وان صب كلامه على انكار الترادف بين التابع والمتبوع حين قال (8) : « ظن بعض الناس ان التابع من قبيل المترادف لشبهه به. والحق الفرق بينهما ، فان المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت ، والتابع لا يفيد وحده شيئا ، بل شرط كونه مفيدا تقدم الاول عليه » .

وخالفت جماعة اخرى من ذكرتهم ، ولم يشترطوا عدم المعنى ، اذ راوا ان التابع قد يكون له معنى وقد لا يكون . وينتمي الى هذه الجماعة ابو علي القالي ، وابو الطيب اللغوي ، واحمد فارس ، وابن بري ، والتاج السبكي . قال الاخير يرد على الآمدي (9) : « التحقيق ان التابع يفيد التقوية ، فان العرب لا تضعه سدى . وجهل ابي حاتم بمعناه لا يضر بل مقتضى قوله : انه لا يدري، معناه ان له معنى ، وهو لا يعرفه » .

وعندما نتتبع امثلة الاتباع عند ابي الطيب اللغوي نخرج بصور مفصلة محددة . فاننا نجد عنده امثلة لا معنى للتابع فيها ويمنحها اسم الاتباع لانها الاصل فيه . قال (10) : « قال قطرب : يقال : بسلا واسلا : اي حرام محرم . والبسل هاهنا الحرام ، والاسل اتباع . قال الشاعر :

ايثبت ما قلتم ، وتلغى زيادتي
يدي ــ ان اسيغت هذه لكم ــ بسل

اي بيعتي التى اعطيتكم يدي بها حرام عليكم.. وانه لكثير بثير بذير بجير : كله اتباع .. ويقال : مكان عمير بجير . فالعمير من العمارة ، فعيل بمعنى مفعول ، وبجير اتباع .. » .

ونجد امثلة اخرى للتابع فيها معنى معروف ، غير انه لا يستعمل بصيغته هذه وبمعناه هذا منفردا، بل لا بد ان يجتمع مع اللفظ الذى يتبعه . ويمكن ان نقسم هذه الامثلة الى قسمين : (أ) قسم يكون فيه التابع مرادفا للفظ المتبوع . قال (11) : « ويقال يوم مكيك اكيك ، ويوم عك اك : اذا كان شديد الحر . والاكيك بمعنى المكيك ، الا انه لا يفرد . قال الراجز:

يوم مكيك يعصر الجلمودا
يترك حمران الرجال سودا
وليلة غامدة غمودا
سوداء تغشي النجم والفرقودا

.. وانه لكثير بثير .. والبثير من قولهم : ماء بثر : اي كثير . الا انه لا يقال : شيء بثير اي كثير الا على وجه الاتباع .. ويقال : مائق دائق ، من قولهم : رجل مدوق : اي محمق والدوق الحمق ، وكذلك الموق . يقال : ماق الرجل يموق موقا . قال الراجز :

يا ايها الشيخ الكثير الموق
ام بهن وضح الطريق

ولا يتكلم بالدائق مفردا . ويقال : انه ليموق موانة ومؤوقا ، وداق يدوق دوانة ودؤوقا ايضا ». (ب)والقسم الثاني لا يرادف فيه التابع متبوعه بل يختلف معناهما ، غير انه لا يفرد ايضا بصيغته ومعناه المرادين في الاتباع . قال (12) : « ويقال : شحيح انيح : من قولهم : انح بحمله يانح انوحا : اذا تزحر به من ثقله ، ولا يفرد الانيح .. ويقال انه لشحيح بحيح ، وهو من البحة . ولكن لا يجوز افراده .. تقول العرب : لا بارك الله فيه ولا تارك . ولا يقولونه الا هكذا . فهو ــ وان كان مأخوذا من الترك ــ فلا معنى له في هذا الموضع الا الاتباع »

---

(6) المزهر 1 : 15 ،4 . (7) المزهر 1 : 424 . (8) المزهر 1 : 415 (9) المزهر 1 : 416 .
(10) 5،13،20 . (11) 8 ، 13 ، 42 . (12) 7 ، 17 ، 28 .

ولا يعطينا كتاب احمد بن فارس مثل هذه الصورة الواضحة . ولعل سبب ذلك انه لم يفرده للاتباع . بل جعله - كما يبين من عنوانه - « للاتباع والمزاوجة » . وقد يتبادر الى الذهن ان المؤلف يعدهما شيئا واحدا . ولكن ذلك غير صحيح. فهو يعلن في السطر الاول من كتابه (13) : « هذا كتاب الاتباع والمزاوجة ، وكلاهما ... » فيفرق بينهما، كذلك يورد في داخل الكتاب من التعليقات ما يؤكد هذه التفرقة . قال (14) : « قال الاصمعي: رجل خياب تياب . قال : خياب : من خاب ، وتياب تزويج ، وهو يصلح ان يكون اتباعا » .

ولم يقتصر المؤلف على المزاوجة . بل اورد في كتابه امثلة قليلة مما سماه «الاسجاع» و«الامثال». على الرغم انه اعلن في آخر الكتاب انه خصص لها كتابا. قال (15) : « وسترى ما جاء في كلامهم في الامثال ، وما اشبه الامثال من حكمهم على السجع ، في كتاب «امثلة الاسجاع» ، ان شاء الله تعالى ». وعلى الرغم انه يعترف ان الاسجاع ليست من صنف الكتاب ، قال (16) : « ومن الاسجاع . وليس من هذا الباب : قول بائع الدابة : برئت اليك من الجماح والرماح ».

واورد ما سماه تاليفا للكلام ، وتاكيدا ، دون ان يبين ماذا يقصد من ذلك ، وما صلته بالاتباع ، قال (17) : « ومما يراد به تاليف الكلام قولهم : ارب فلان ، والب ، فهو مرب وملب : اذا اقام ». وقال (18) : « لا افعله سجيس عجيس : يريدون الدهر . الاصمعي : لا آتيك سجيس عجيس : اي الدهر ، وسجيسه : آخره ، ومنه قيل للماء الكدر : سجيس ، لانه آخر ما يبقى . والعجيس تاكيد ، وهو في معنى الآخر » . بل اكثر من ذلك اورد ما ليس باتباع ، وما ليس من الكتاب . قال (19) : « ومن ذلك - وليس باتباع - رجل اشق افق خبق: للطويل » . وقال (20) : وذرق الطائر ومزق وزرق وخذق ، وليس من الباب » .

يبين لنا هذا ان كتاب ابن فارس يضم خليطا من العبارات ، حار فيها المؤلف نفسه ، واعطاها اسماء متعددة وادخلها في كتابه ، وهو يؤمن ان بعضها على الاقل لا يتصل بموضوع الكتاب . ولا يقف الامر عند هذا بل نجد الصورة المبهمة المختلطة نفسها فيما سماه بالاتباع . اذ نستنتج من بعض اقواله ان التابع لا معنى له . قال (21) : « يقولون: هو مليح قزيح ، وهذا اتباع . وقد يكون من اقزاح القدر وهي الافحاء ... يقال جائع نائع . الكسائي: هو اتباع . ويقال : هو المعطشان .. ابو زيد : هو تافه نافه : اي حقير ، كذا قاله في الاتباع . وقد يمكن ان يقال : اشتقاقه من نفهت نفسه ، اي اعيت وكلت » .

ونستنتج من بعضها الآخر ان التابع له معنى معروف ، ولا يهم ان يكون هذا المعنى مرادفا لمعنى المتبوع او مختلفا عنه . قال مثلا (22) : «اللحياني : ما عنده على اصحابه تعريج ولا تعويج : اي اقامة ...... وفلان لا يغير ولا يمير ، يقال للميرة الغيرة ايضا .. ويقال ذهب حبره وسبره . الحبر والسبر: الجمال والبهاء » . وقال (23) : تقول العرب : انه لساغب لاغب . فالساغب : الجائع . واللاغب : المعيي الكال ... ويقولون : خب ضب . فالضب : البخيل المسك . والخب : من الخب ... وما عنده

(13) 28 . (14) 29 . (15) 70 . (16) 37 ، 43 . (17) 30 . (18) 49 .
(19) 60 . (20) 61 . (21) 35 ، 54 ، 68 . (22) 34 ، 42 . (23) 29 ، 52 .

فيض ولا فيض : اي كثير ولا قليل . ويقال : الاعطاء والمنع » .

2 ـ من حيث الصورة : اقدم من تناول هذا الجانب صراحة ابو علي القالي ، الذى فطن الى اتحاد الحرف الاخير فى التابع والمتبوع ، او ما سمى بعد ذلك اتحاد الروي . قال عن العرب (24) : «ملذهبهم فى الاتباع ان تكون اواخر الكلم على لفظ واحد مثل القوافي والسجع » .

ولكن ابا الطيب وابن فارس رويا اتباعا لم يلتزم الروي الواحد . قال ابو الطيب (25) : « يقال فى الدعاء على الرجل : جوعا وجودا وجوسا . فالجود هو الجوع بعينه . وقولهم جوسا اتباع » . وقد نبه ابن فارس على هذه الظاهرة الشاذة عندما اورده ، فقال (26) : «ومما لم يجيء على روى الاول جوعا له وجودا وجوسا » . ودفعه هذا الى عدم اشتراط الروى الواحد . .

وفطن ابن فارس ايضا الى ان اكثر الاتباع يتماثل التابع والمتبوع فيه فى الوزن وان كان ذلك ليس بالشرط الواجب . فقد اورد فى الاتباع (27) : « يقولون : وهو لك ابدا سمدا سرمدا . . » واكثر ابو الطيب من امثلة الاتباع غير المتماثل الوزن. مثل (28) : « يقال : لا دريت ولا اليت . مقصور اوله . . . . ويقال : جوعا ديقوعا ، اذا دعي على الانسان . . ويسب الرجل فيقال : رغما دغما شنغما . وفعلت ذلك على رغمه ودغمه وشنغمه ». ولذلك يحق لنا ان نقول ان تاج الدين السبكي اخطأ حين قال (29) : « فالتابع من شرطه ان يكون على زنة المتبوع » .

ويؤكد لنا هذا ان احسن تعريف ينظر الى هذا الجانب للاتباع هو ما جاء به احمد بن فارس ، واخذه منه الثعالبي حين قال (30) : « الاتباع : ان تتبع الكلمة على وزنها او رويها اشباعا وتوكيدا » . فاذا كان اتحاد الروى غير لازم ، واتحاد الوزن غير محتم ، فان الاتباع لا يخلو منهما معا .

3 ـ من حيث التعبير : اجمع الذين تعرضوا للاتباع ان اللفظ التابع لا ينفصل عن المتبوع ، سواء كان له معنى او لم يكن ، ولا يجيء فى التعبير منفردا مطلقا . واتخذ ابو الطيب من انفراد الكلمة الثانية المقياس الذى اعتمد عليه فى الفصل بين الاتباع والتوكيد . فما لم ينفرد فيه اللفظان سماه اتباعا . وما انفرد فيه اللفظ الثاني سماه توكيدا . ولكن ابن فارس اقر فى مرة واحدة وجود اتباع ينفرد . قال (31) : « ويقال : خراب يباب . وقد يفرد اليباب . قال عمر بن ابي ربيعة :

كست الرياح جديدها من تربها
دفقا واصبحت العراض يبابا

فهذا اتباع الا انه افرده » . اما ابو الطيب فقد تخلص من هذا المأزق بأن جعل امثاله فى التوكيد (32) . .

واشترط الكسائي وابو عبيد وابن بري الا يعطف الاتباع بأداة . قال ابو عبيد فى غريب الحديث (33) : «قال الكسائي . . واما حديث آدم عليه السلام : انه استحرم حين قتل ابنه ، فمكث مائة سنة لا يضحك . ثم قيل له : حياك الله وبياك . قال وما بياك ؟ قيل : اضحكك . فان بعض الناس يقولون فى بياك : انه اتباع . وهو عندي ـ على ما جاء تفسيره فى الحديث ـ انه ليس باتباع . وذلك ان الاتباع لا يكاد يكون بالواو : وهذا بالواو. . ومن ذلك قول العباس فى زمزم : هي لشارب حل

---

(24) الامالي 2 : 217 . (25) 35 . (26) 54 . (27) 38 . (28) 10 ، 42 ، 58 .
(29) المزهر 1 : 416 . (30) الصاحبي 226 . فقه اللغة 566 . (31) 29 . (32) 111 .
(33) المزهر 1 : 415 .

وبل . فيقال : انه ايضا اتباع وليس هو عندي كذلك لمكان الواو » .

وجاء في لسان العرب تعليقا على قولهم : جوعا ونوعا (34) : «قال (ابن بري) : والصحيح ان هذا ليس اتباعا لان الاتباع لا يكون بحرف العطف ، والآخر ان له معنى في نفسه ينطق به مفردا غير تابع ».

ولكن ابا الطيب اللغوي (35) رفض هذا الراي، ورد عليه ردا حسنا، معتمدا على مسلك العرب في تعبيرهم . فقد رآهم يقولون : هذا جائع نائع ، فدل على انه اتباع . ورآهم يقولون في الدعاء على الانسان : جوعا ونوعا ، فادخلوا الواو . فلو اعتمدنا عليه قلنا انه ليس اتباعا . ومحال ان تكون الكلمة الواحدة مرة اتباعا ومرة غير اتباع . اذن ليس الاعتبار بوجود الواو او عدمها .

ونستبين من دراسة امثلة الاتباع انه ليس من المحتم ان يتالف من لفظين فقط ، بل قد يتالف من ثلاثة فيقال (36) : انه لحسن بسن قسن . ولحمه خظا بظا كظا : وانه لقبيح شقيح لقيح . ويبدو انه تالف احيانا من اكثر . قال ابو الطيب (37) : « يقال في الكثرة : انه لكثير نثير بثير بذير عقير ، وعمير ايضا » .

4 ـ من حيث الغرض : اول من تعرض للغرض من الاتباع الكسائي ، واعلن انه يراد منه التوكيد قال (38) : « انما سمي اتباعا لان الكلمة الثانية انما هي تابعة للاولى على وجه التوكيد لها » . ويؤكد لنا صحة هذا القول الجواب الذى تلقاه ابن الاعرابي من العرب حيث سألهم عن معنى شيطان ليطان .

واتفق ابو علي القالي (39) مع الكسائي . غير انه يقصر التوكيد على نوع واحد من الاتباع ، ذلك الذى يكون فيه اللفظ التابع بمعنى المتبوع .

ووافقهما ابن الدهان ، وجعل الاتباع من قبيل التوكيد اللفظي ، واتى بالعلل التى تدعم رايه . قال السيوطي (40) : « قال ابن الدهان فى الغرة فى باب التوكيد : منه قسم يسمى الاتباع نحو عطشان نطشان ، وهو داخل فى حكم التوكيد عند الاكثر . والدليل على ذلك كونه توكيدا للاول غير مبين معنى بنفسه عن نفسه ، كاكتع وابصع مع اجمع .. والذى عندي ان هذه الالفاظ تدخل فى باب التوكيد بالتكرار ، نحو رايت زيدا زيدا ، ورايت رجلا رجلا . وانما غير منهما حرف واحد لما يجيئون فى اكثر كلامهم بالتكرار .. »

واعلن السيوطي (41) وجود قوم يفرقون بين الاتباع والتوكيد . واعتمادهم فى هذه التفرقة على امرين : اولهما ان الفاظ الاتباع تختلف عن اكتع لانها تجري على المعرفة والنكرة، على حين لا تجري اكتع الا على المعرفة ، ولانها غير مفتقرة الى تاكيد قبلها بخلاف اكتع . والثاني ان الاتباع ما لم يحسن فيه واو العطف . والتاكيد تحسن فيه الواو .

ويتفق مع هؤلاء تاج الدين السبكي الذى قال (42) : «الفرق بينه وبين التاكيد ان التاكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز . وايضا فالتابع من شرطه ان يكون على زنة المتبوع والتاكيد لا يكون كذلك »

ونستطيع ان نضم اليهم ابا الطيب اللغوي لانه جعل المواد التى ادخلها فى كتابه صنفين : الصنف الاول سماه الاتباع ، وهو ما لا ينفرد اللفظ فيه ابدا. وسمى الثاني التوكيد ، وهو ما يمكن ان يستقل لفظه الثاني بنفسه . وبرغم ذلك لم يكشف لنا ابو الطيب الغرض من الاتباع . ولعله تعرض لذلك فى الجزء المفقود من مقدمته .

اما احمد بن فارس فراى ان الاتباع لا يقصد الى التاكيد وحده ، بل اليه والى ما سماه الاشباع

---

(34) مادة نوع . (35) 3 . (36) ابو الطيب 71 ، 72 ، 76 ، 77 ، 93 ، 96 ، 99 .
(37) 62 . (38) المزهر 1 : 415 . (39) الامالي 2 : 208 . (40) المزهر 1 : 424 .
(41) المزهر 1 : 424 ـ 25 . (42) المزهر 1 : 416 .

دون ان يحدده ، كما نستبين في قوله الذي اوردته سابقا .

ويؤدي بنا هذا الى ان العلماء لم يتفقوا على تصور واحد للاتباع ؛ وان بعضهم اعطاه صفات حرمه بعضهم الآخر اياها . وكانت الثمرة الطبيعية لهذا ان اختلفت الاقسام التي وضعوها له . واقدم ما بين يدي من اقسام ما اضطلع به ابو علي القالي ؛ وكشف عنه في قوله (43) « الاتباع على ضربين :

فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الاول ، فيؤتى به توكيدا ؛ لان لفظه مخالف للفظ الاول .

وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الاول » .

ويؤخذ على هذا التقسيم انه اهمل ما لا معنى له من الاتباع ؛ وهو الاصل . وصورة التابع . وقد فطن احمد بن فارس الى هذا النقص واراد ان يتجنبه . فجاء بتقسيمين لا واحد ؛ نظر في الاول منهما الى صورة التابع ؛ وفي الثاني الى معناه . قال (44) : « هذا كتاب الاتباع والمزاوجة . وكلاهما على وجهين :

احدهما ان تكون كلمتان متواليتان على روي واحد .

والوجه الآخر ان يختلف الرويان .

ثم تكون بعد ذلك على وجهين :

احدهما : ان تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف . الا انها كالاتباع لما قبلها .

والآخر : ان تكون الكلمة الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق » .

ويمكن ان نأخذ على هذا التقسيم ايضا انه اهمل الوزن .

واشمل تقسيم للاتباع هو الذي قام به الاستاذ عز الدين التنوخي ؛ وقال فيه : « ان الاتباع يكون في الاسماء وفي الافعال :

1) والاتباع الاسمي قسمان :

(ا) اما ان يكون التابع متصلا بالمتبوع وبمعناه، اوليس له معنى ؛ ثم لا يجيء مفردا .

وهو نوعان :

1 ـ نوع يجيء التابع فيه بلفظ واحد بعد المتبوع ؛ فهو حسن بسن ، وحار يار .

2 ـ نوع يجيء فيه لفظان بعد المتبوع ؛ نحو حسن بسن قسن ، ويكثر ان تكون الكلمة التابعة مبدوءة بميم نحو صقر مقر ، وشذر مذر .

(ب) واما ان يكون التابع متصلا بالمتبوع وله معنى ؛ ولا يجيء مفردا كما هو في القسم نحو عطشان نطشان .

2) والاتباع الفعلي :

1 ـ والافعال في هذا القسم الثاني قد تكون ظاهرة وبلفظ واحد نحو عبس وبسر .

2 ـ وقد تكون مقدرة كالمصادر التي قدرت افعالها نحو قبحا له وشقحا ..

وقد يجيء الاتباع الفعلي بلفظين تابعين نحو : لا بارك الله في الشعوبي ولا تارك ولا دارك » .

والحق ان الاتباع ظاهرة لغوية ، واسعة النطاق متعددة الاشكال . كثيرة الاسباب والغايات . ويجب ان ننظر اليها في ضوء من اشكالها الاخرى لنحسن رؤيتها ، ونتمم تصورها ..

فاللغة عرفت الوانا اخرى من الاتباع ربما لا ترد على الخاطر في هذه الدراسة ولكن ذلك واجب ، لانها ذات صلة بما نتحدث عنه الآن .

فقد اجرى العرب ـ وغير العرب ـ الوانا من الاتباع . فطن اليها اللغويون والنحويون والصرفيون، ودرسوها ، ولكنهم لم يربطوا بينها وبين ما بين ايدينا الآن من اتباع . ونحن حين ننظر في هذه الالوان نستطيع للتيسير ان نصنفها في فئتين : الفئة الاولى جرت في المفردات اللغوية ، والثانية في المركبات .

اما المفردات فقد خضعت لنوعين من الاتباع : نوع جرى في حركاتها وآخر في حروفها . وكلا النوعين يضم المطرد من الاتباع وغير المطرد .

(43) الامالي 2 : 208 .
(44) 28 .

اما الاتباع المطرد فى حركات المفردات فيتمثل فى عدة ابواب نحوية وصرفية .

فالقياس فى جمع المؤنث السالم من الالفاظ الثلاثية الساكنة الوسط ان تتبع عينها فاءها . فما كان على فعلة جمع على فعلات مثل تمرة وتمرات ، وما كان على فعلة جمع على فعلات مثل حجرة وحجرات الا اذا كانت الكلمة معتلة العين او اللام . او كان المتكلمون من بني هذيل او تميم . فلهم احكام اخرى .

والقياس فى الفعل الماضي عند بنائه للمفعول : ان كان مبدوءا بتاء زائدة ان يضم حرفه الثاني اتباعا لاوله مثل استخرج المعدن . والقياس فى فعل الامر الماخوذ فعل يفعل ان تضم همزة الوصل فيه اتباعا لضمة عينه . .

والقياس عند بني تميم فيما كان على فعل الحلقي العين من الافعال كشهد ، والاسماء كفخذ ، والصفات كمحك ، وما كان على فعيل الحلقي العين ايضا كسعيد ورغيف ، القياس عندهم فيهما اتباع الفاء للعين فيقولون شهد وفخذ ورغيف .

وقال عيسى بن عمر : ان كل (فعل) كان ، فمن العرب من يخففه ، ومنهم من يثقله نحو عسر وعسر ، ويسر ويسر (بالسكون والضم) .

وان كان عين (فعل) المفتوح الفاء حلقيا ساكنا جاز تحريكه بالفتح ، نحو الشعر والشعر والبحر والبحر، (بالسكون والفتح) ، وعد ذلك اتباعا لفتحة الفاء .

واما الاتباع غير المطرد فى حركات المفردات فأمثل له بقولهم : المغيرة ، اتبعوا الميم للغين ، ومنتن : اتبعوا الميم للتاء ، وانبؤك : اتبعوا الباء للهمزة ، ومنذ : اتبعوا الميم للذال عند من قال : ان اصلها : من ذو ، وغيرها .

كل هذه الالوان من الاتباع : المطرد وغير المطرد، انما ارتكبتها العربية لتيسر على المتكلم النطق . فبدلا ان تقوم اجهزة النطق بعملين مختلفين فى موضعين متقاربين مما قد يتطلب من الناطق جهدا او عياء، كفته اللغة مؤونة ذلك بازالة الاختلاف وجعل العملين متشابهين . واذن فالغرض من الاتباع فى مثل هذه الاحوال تيسير النطق وجعله عفويا .

واقصد بالاتباع فى حروف المفردات ما يجري فيها حين تخضع لابدال او ادغام . فالقياس المطرد فى نون انفعل من الافعال المبدوءة بميم جواز قلب نونها ميما متابعة لميم الفعل ثم ادغام الميمين معا . فنقول امحى فى انمحى . والقياس المطرد فى تاء افتعل من الافعال التى فاؤها دال او ذال او طاء او ظاء او ثاء او صاد او سين أو زاي او ضاد جواز قلب التاء الى حرف مماثل للفاء اتباعا لها ثم ادغام الحرفين فنقول ادان واذكر واظلم . .

وانما تجري اللغة ذلك لتجعل للحرفين اللذين كانا مختلفين مخرجا واحدا ، فتيسر على الناطق ان ينطق بهما ، كما حدث فى الالوان السابقة من اتباع الحركات .

كذلك تخضع المركبات لالوان مشابهة من الاتباع ، اطرد منها ما كان فى الفعل المضعف حين يلتقي بساكن آخر . فقد كان الاتباع احد المسالك التى سار فيها العرب للتخلص من التقاء الساكنين . فقالوا : شد الحبل ، وعز ، وعض ، باتباع لام الفعل لفائه . كذلك لجأ بعضهم الى الاتباع للتخلص من التقاء الساكنين فى ميم الجمع ، فقالوا : عليهم الذلة، كقراءة ابي عمرو ، وعليهم القتال كقراءة حمزة باتباع الميم لحركة ما قبلها .

ومن الالوان غير المطردة فى التخلص من الساكنين القراءات الشاذة (قم الليل) و (قد استهزيء) و (قالت اخرج) باتباع الحرف الساكن الاول لحركة الحرف الذى بعد الساكن الثاني . .

ومن غير المطرد ايضا قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) باتباع الميم للحاء بعدها .

والمقصود بهذه الاجراءات ما قصد بما جرى فى المفردات : التخفيف القائم على تماثل العمل الذى تقوم به اجهزة النطق .

وتخضع المركبات لاتباع يجري فى الحروف ايضا، اشهر امثلته ما جاء فى الحديث النبوي : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » ، فغير موزورات (من الوزر) حولت الى مأزورات اتباعا لمأجورات .

ومثاله ايضا الحديث النبوي فى عذاب القبر : « لا دريت ولا تليت ولا اهتديت » فأبدل واو (تلوت) ياء اتباعا ليائي الفعلين قبله وبعده .

ومثاله ايضا قولهم : انـي لآتيـه بالغدايـا وبالعشايا. فجمعوا العشية علـى العشايـا متابعـة للغدايا .

كذلك تنوين الممنوع من الصرف فى قوله تعالى: (سلاسلا واغلالا) ، نونت سلاسل متابعة لاغلال .

ويمكن ان نجعل منه زيادة (ال) فى (يزيد) فـى قول ابن ميادة :

وجدنا الوليد بن اليزيـد مباركـا
شديـدا باحنـاء الخلافـة كاهـله

فربما فعل ذلك اتباعا للوليد .

اذا نظرنا الى هذه الانواع من الاتبـاع لم نجـد المقصود منها التخفيف ، كما كان الحال فى الانواع الاولى ، وانما المقصود المشاكلة الصوتية: اعني ان يكون لكل من اللفظين رنين متماثل ، فيقع فى الاذن عذبا ، وفى الوجدان حلوا . فالغاية هنا الجمال الصـوتي ، الشبيه بما نجد فى السجع ، والقافية والجناس .

ونخرج من هذا بان الاتباع فى مجالـه الاكبـر يمنح الناطق خفة وسهولة ، وفى مجاله الاصغر يمنح السامع شعورا جماليا .

فاذا انتقلنا الى ما درسنا من الاتباع وجدنـاه يستفيد قليلا من المجال الاكبر ، وكثير من الجمـال الصوتي .

ونحن حين نمعن النظر فى اسلوب الاتباع نجده يشبه اساليب اخرى تعرفها اللغة . فهـو فى اصلـه صوت لغوي يتبعه صوت آخـر مماثـل له، او ان شئنا الدقة التامة قلنا : صوت لغوي يتبعه صـوت آخر مماثل له ، او ان شئنا الدقة التامـة قلنـا : صوت لغوي يتبعه صوت آخر مماثل لآخـر الصـوت الاول . فهما صوتان متماثلان فى ختامهما ، وفى إكثر الاحيان فى القسط الاكبر من بنيتهما . فاذا ما اتفقا فى حرف واحد ، وجدناهما يتفقان فى حرف آخر غير انهما اختلفا فى موضعه ، فجعلـه احدهمـا اولا والثاني وسطا ، مثل قبيح شقيح ، وسليخ مسيخ ..

واقرب الامثلة على ما يشابه هذه الظاهرة مـا يكون فى بابي الندبة والاستفهـام . فالقاعـدة فـى المندوب ان يفتح آخره ثم يشبع الصـوت به حتـى تتولد الف مثل قولهم : وازيداه ، فان لم يمكن ذلـك خوف اللبس اشبعت الكسرة فتولد ياء مثل واغلامكيه؛ او الضمة فتولد واوا مثل واغلاميوه . فالمندوب يتلى بصوت مماثل لصوته النهائي دلالة على التفجع .

واذا رابك شيء فى كلام فاستفهمت عنه منكرا له ، جئت بزيادة فى آخر الكلام دلالة على ذلك . فان كان ما قبله مفتوحا ، كانت الزيادة الفا . وان كـان مكسورا ، كانت الزيادة ياء . وان كان مرفوعا ، كانت الزيـادة واوا . وان كان ساكنا ، حـرك لئـلا يلتقي ساكنان . لان هذه الزيادات مدات ، والمدات سـواكن فتحركه بالكسر كما يحرك الساكن اذا لقيـه الالـف واللام الساكن . فاذا قال الرجل : رايت زيدا . قلت: ازيدنيه . فان قال : رايت عثمـان . قلت اعثماناه ؟ لئلا يلتقي ساكنان . ويقول : قدم زيـد . فتقـول : ازيدنيه . فان قال : رايت عثمان . قلت اعثمانـاه ؟ فان قال : اتاني عمر . قلت : اعمروه ؟ فهذه الزيادة المماثلة للصوت المختومة الكلمة به دليل على ما يعتمل بنفسه من انكار .

واذن فقد كانت الزيادة فى باب الندبة دلالة على التفجع ، والزيادة هنا رمـزا الى الانـكار ، وكانت الزيادة فى البابين مماثلة للحركة التى تنتهـي بهـا الكلمة التى تلحق الزيادة بها . واذن فهـذه الزيـادة دلالة على الحالة النفسية التى يعيش فيها المتكلم حين تفـوه بهـا ..

والنتيجة الطبيعية لهذا ان اللغة العربية تلجـا الى اتباع كلمة ما بصوت مماثل لنهايتها دلالة على مـا يختلج فى وجدان المتكلم من مشاعر . وعلى ضوء من هذا نقول انما الاتباع رمز على حالـة شعورية خاصة تتملك قائله : قدّ تكون اعجابا فى مثل حسن بسن ، وقد تكون غضبا فى الدعاء ... لا يهـم .. فمهمـا اختلف الشعور . فالاتباع رمز له ..

والاصوات التى اضافتها اللغة فى امثال الندبة والاستفهام الانكاري مبهمة ، لم تتخذ شكلا ، ولـم تكتسب معنى ، بل بقيت على حالتها الاولى ، مجرد رمز مبهم . وقد وقف كثير من اصوات الاتبـاع عنـد هذه المرحلة ولم يتعدها الى مجال الوضوح . فاقـر

العلماء انه لا معنى له . وحاروا فى بعضه اذ حاولوا ان يلصقوا له معنى ما . ولكن بعض هذه الاصوات تعدى هذه المرحلة . واكتسبت معنى مستقلا . وبعضها الآخر اخذ من الفاظ معروفة المعنى . صلحت من حيث اصواتها لان تكون اتباعا . ولا شك ان امثال هذا النوع اكتسبت من الاتصال المعنوي بين التابع والمتبوع توكيدا للفكرة التى تعبر عنها . ولا شك ـ عندي ـ ان النوع الاول . المكون من تابع مبهم . اكتسب توكيدا ايضا من التماثل الصوتي بين التابع والمتبوع . لان المستمع غير المتنبه يظن انه سمع اللفظ الواحد مرتين . تحريرا وتوكيدا ..

وصفوة القول ان الاتباع ظاهرة لغوية جمالية : تدل على ما يعانيه المتكلم من انفعال . وتمنح المستمع متعة فنية . ويجب ان تدرس مع مثيلاتها من الظواهر اللغوية التى لا يقصد المتحدث فيها الى الاخبار المجرد . ويرمي معه الى المشاركة الوجدانية ..



مشكلات اللغة والمصطلحات

I

الدكتور يوسف الخوري

رئيس قسم الجيولوجيا
(جامعة دمشق)

يثبت الواقع التاريخي ، ان الامة العربية تاتي في طليعة الامم التي كانت تنشر العلم والمعرفة على البشرية جمعاء . وذلك عندما توطدت لها دعائم الملك فاستغلت امكاناتها ووجهت اهتمامها في باديء الامر لنقل العلوم الاغريقية والفارسية واليونانية والهندية والسريانية الى اللغة العربية ومن ثم خرجت على البشرية باحدث النظريات التي كانت تسبق المفاهيم العقلية السائدة في ذلك الوقت . والتي تتناسق اليوم مع احدث المعطيات العلمية المعتبرة سبقا علميا يطبع عصرنا هذا بطابع العلم والاختراع . ولنا في مؤلفات البيروني وابن الهيثم وابن سينا وغيرهم من علماء عصرهم اكبر دليل على رقي المفاهيم العلمية في ذلك العصر ، الذي يعتبر بحق العصر الاسلامي الذهبي . والذي يمتد من القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس . ولقد انصف المستشرق الاميركي « ايريوبوب » البيروني حين قال : ان اية قائمة تحوي اسماء اكابر العلماء يجب ان يكون فيها لاسم البيروني مكانه الرفيع . ومن المستحيل ان يكتمل اي بحث في الرياضيات او الفلك او الجغرافيا او التاريخ او علم الانسان او علم المعادن دون الاقرار بمساهمة البيروني العظيمة في كل علم من تلك العلوم .

غير ان العلوم في الادوار التي تلته كانت تتذبذب بين انحطاط او ارتخاء ونهضة او يقظة ، حتى نهاية القرن الخامس عشر . اذ ركدت كليا وبقيت على هذا الحال الى ان حل النصف الثاني من هذا القرن العشرين . فعمت بوادر الاهتمام بالعلوم واحيائها الشرق العربي بكامله وبشكل لم يعرف التاريخ له مثيلا منذ انطواء العصر الذهبي . وذلك اثر نشوب ثورة علمية جارفة اكتسحت البلدان العربية التي نالت استقلالها السياسي بعد معارك ضارية قدمت فيها عددا غفيرا من ابنائها على مذابح التضحية والشهادة، فدعمت استقلالها السياسي بنشر العلم والثقافة وخلقت المعاهد والجامعات واعادت للعلماء والباحثين اعتبارهم التقليدي باذلة لهم الجوائز ومشجعة اياهم على التاليف والاقتباس والترجمة . واصبح العلم من جديد جزءا رئيسيا من كيانها وحياتها .

ان هذه الثورة العلمية التي نحياها تضع امامنا مشكلات جديدة تتصل بكيفية تدريس هذه العلوم ونقلها للجيل الصاعد الذي يتلقف العلم على مقاعد التدريس في الجامعات المحدثة في جميع البلدان النامية التي نالت استقلالا مؤخرا ؛ وفي جامعات البلدان التي لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار والاستغلال بجميع وجوهه واشكاله .

لقد عالج الدكتور بشير العظمة موضوع هذه المشكلات في مقاله (لغة العلوم) الذي نشره في العدد

(47) من مجلة «المعرفة» الصادر في دمشق بشهر كانون الثاني 1966 . فاتى على جميع ابعاده القومية والفنية، مثبتا ان موضوع استعمال اداة التفاهم الوطنية في المجال العلمي بديهية لا تبلغ درجة الشك وخلص الى ضرورة توحيد لغتنا العلمية من اجل مصلحة العروبة ومصلحة الانسانية جمعاء . ثم تلاه عدد من الجامعيين من اطباء وعلميين فقاموا بمعالجة هذا الموضوع الخطير . وقد ايد معظمهم الدكتور المعلمة من النواحي القومية والوطنية وعالجوا بعدها المشكلات التي تعترض ايجاد المصطلحات العلمية في بداية الامر بشكل يقبل به جميع الباحثين في الاقطار العربية ، معتمدين على تجاربهم الشخصية في الجامعات العربية التي درسوا فيها ومبينين ان ما ينسب للمصطلحات المعمول بها حاليا من اخطاء يعود الى نقص في التنظيم لا الى فشل بالتعليم باللغة العربية نفسها التي تعتبر بحق من اقدر اللغات على الاداء والتعبير والنحت والتعريف.

ولقد عنيت في هذا المقال ان ادلي بدلوي في هذا المجال الواسع الارجاء . مستعينا بالتجارب التي مرت علي منذ تاسيس قسم الجيولوجيا في الجامعة السورية بدمشق ؛ كنت ادرس هذه المادة باللغة الفرنسية في البداية ثم انتقلت بعدها الى تدريسها وبجميع تفرعاتها باللغة العربية القومية مستعينا بالمصطلحات العربية والمنحوتة . **فقد وجدت تجاوبا كبيرا من قبل الطلاب في تدريس هذه المادة باللغة العربية** وتفهما لم اعهده من قبل حين كنت اعطيها باللغة الفرنسية . وكان يعطيها زميل لي باللغة الانكليزية . وقد وقفت بنفسي خلال تجربتي هذه على غنى المصطلحات العربية الواسع في التعبير عن المواضيع الجيولوجية التي سبق للاقدمين ان عالجوها باللغة العربية البديعة ؛ اذ انهم كانوا ولا شك واقفين على اسرارها . واعتقد جازما ان مصطلحات ابناء الالسنة الاخرى الحية والمرونة في عصرنا لا تجاريها، وقد اخذوا بقسم كبير منها . ولنا في الامثلة التالية خير دليل على صحة ما ذكرت : فاللابة ونريد بها المهل المتصهرة هي عربية اخذها عنا الغربيون فاستعملوا كلمة Lava يقول الاب انستاس ماري الكرملي البغدادي في تعليقه لكتاب : نخب الذخائر في احوال الجواهر تاليف السنجاري المعروف بابن الاكفاني : «عندي ان اصل اللابة للحرة «اللائبة» لغة في «اللادبة» لانها كانت في الاصل جواهر ذائبة قذفها جبل النار فجمدت على جوانبه واسفله ومنا استعارها الايطاليون فقالوا Lava والفرنسيون Lave

وكلمة المرقشيتا وهي ضرب من كبريت الحديد فقد ذكرها ابن البيطار وكثيرون غيره من ارباب علم المعادن وقالوا انها البوريطس Pyrite blanche او حجر النار وقد اقتبس الفرنسيون منا المرقشيتا فسموها Macossite ونحن اقتبسناها من الاراميين فانهم يسمونها « مرقشيثا » او « كيفامقشيثا » ومعناها الحجر الصلب او الصلد . فحذف العرب «كيفا» واقحموا راء بين الميم والقاف تعويضا عن المحذوف فصارت كما نرى طلبا للخفة في اللفظ (1).

ان امثال هذه المصطلحات العلمية التي اخذها عنا الغرب كثيرة . فالطلق والسفير وغيرها مستعملة لدى الغربيين ويعنون بها الفاظ : Talc Saphir ويراد بالاولى البودرة والثانية حجر كريم ؛ وكذلك اخذوا عن اللازورد لفظة Azur للدلالة على لون السماء اذ ان المراد باللازورد حجر كريم مشهور بحسن لونه الازرق السمائي .

على ان العرب من ناحيتهم لم يقصروا في الاقتباس عن غيرهم في عهودهم السابقة ولاسيما في عهد العباسيين . فقد دونوا كل ما وضعه العلماء الاقدمون من يونان وفرس ورومان والفوا في معظم العلوم وجاءت تآليفهم من احسن ما كتب والذى فاق الجميع هو بلا شك ابو الريحان البيروني ؛ الذى يعد من اعظم علماء الاسلام. فقد كتب معظم مؤلفاته باللغة العربية وشارك في اغلب العلوم والفنون والصنائع حتى قيل فيه « انه في التاريخ مؤرخ محقق مدقق ، واسع الاطلاع ، وفي الجيولوجيا . جيولوجي ممتاز بشهادة الجيولوجيين المعاصرين ؛ وفي الفلك فلكي ممتاز بشهادة الفلكيين المعاصرين ؛ وفي الرياضيات رياضي ممتاز بشهادة اساتذة الرياضيات المعاصرين » ، والكلمات المعربة كثيرة في لغتنا العربية تستعمل بطلاقة وتشمل جميع الفروع من آداب وعلوم . فالياقوت مثلا كلمة معربة من اليونانية وهي Hyakinthos والمغناطيس معربة من اليونانية ايضا Magnes والرطل هو تعريب لطرا Litra الرومية الماخوذة من مثلها في اليونانية وقد دخلها القلب في العربية ؛ وقد اجاد

(1) كتاب الذخائر في احوال الجواهر .

العرب ايضا فى النحت فنحتوا كلمة الماذنبي وهو نوع من الياقوت يقول التيفاشي فى اصلها : «سالت بعض مشايخ الجوهريين فى سبب تسمية هذا النوع بهذا الاسم فقال : ان هذا الحجر شديد الشبه بجيد الياقوت ، فاذا قوم بدون قيمة الياقوت ، كانه يقول بلسان حال جودته : « ماذنبي » حتى اقوم بدون قيمة الياقوت » فالكلمة كما نرى اذن منحوتة من ما الاستفهامية وذنب مضافة الى المتكلم (2) . والكلمة هي ضرب من البنفش الذى يدعوه الغرب Hyacinthe

وفى رايي انه يمكن لنا وقد زادت الاصطلاحات الفنية فى يومنا هذا زيادة تتناسب مع متطلبات العلوم الحديثة والاختراعات التى اصبحت لا تقع تحت حصر ، ان ناخذ من هذه المصطلحات بالتعريب والنحت كما اخذ عنها علماؤنا فى السابق . ونمارس التدريس بلغتنا القومية فى جميع المجالات العلمية حتى نجاري الامم التى سبقتنا فى هذا المضمار ، مبينين بذلك ان لغة الضاد هي لغة سخية سمحة تجارى العلوم والمخترعات، فهي لغة علوم بالدرجة الاولى كما انها لغة آداب وفلسفة وفنون ؛ فيمكننا اذا ما اتفقنا على وضع بعض الاسس فى تعريب المصطلحات ان نصل الى الغاية المنشودة .

لقد سبق لكل من الاتحاد العلمي العربي فى مؤتمره الثالث ومؤتمر التعريب فى المملكة المغربية (3) ان رفعا بعض التوصيات المتعلقة بالخطة العلمية المثلى فى تحقيق التعريب بوجه عام وفى تعريب المصطلحات العلمية بوجه خاص . وقد اخذت الجامعة العربية ببعض هذه النواصي . اذ انها انشات المكتب الدائم للتعريب فى المملكة المغربية ويعتبر عمله فى رايي **خطوة جريئة شاملة فى سبيل تعريب المصطلحات العلمية** فى كل قطر عربي ، اذ انه تقدم باقتراحات موضوعية فى هذا المجال كان تنشا فى كل قطر عربي شعبة وطنية تكون صلة وصل بينها وبين المكتب الدائم للتعريب تشمل اختصاصاته توحيد المصطلحات فى جميع الاقطار العربية وجعلها الزامية .

ولابد لي فى النهاية من التنويه بضرورة اتقان لغة اجنبية حية الى جانب اللغة العربية ، ولاسيما فى المرحلة الانتقالية التى نجتازها ، والتى يتوقف عليها مستقبل الامة العربية جمعاء ؛ فمكتبتنا العربية ما زالت مفتقرة الى كثير من الكتب العلمية باللغة العربية وان اقتصار الطلبة على هذا النذر اليسير من الكتب العلمية العربية لا يكفي لارواء عطشهم الى الاستزادة من هذه العلوم بغية اللحاق بركب الحضارة العلمي الذى هو هدفنا بالدرجة الاولى . وان اتقان لغة اجنبية يساعد كثيرا على وضع المصطلحات بأحسن صيغة فنكون بذلك قد افدنا انفسنا واغنينا مكتباتنا وجامعاتنا بالمصطلحات العلمية التى نحن بأشد الحاجة اليها .

ولابد لي من توجيه كلمة شكر وامتنان للقائمين على مجلة المعرفة التى سبقت وفتحت هذا الباب للمناقشة . خدمة للعلم والعلماء فى وطننا بوجه خاص وللانسانية والمعرفة بوجه عام . مؤملا عدم الاكتفاء بما نشر فى هذا الموضوع . ومتابعة المؤسسات المختصة هذا الموضوع للوصول الى مقررات توضع موضع التنفيذ وتخدم لغتنا العربية الغالية علينا وجامعاتنا وثقافتنا ؛ الخدمة التى نتوق اليها ونتمناها .

(يتبع)

(2) كتاب الذخائر فى احوال الجواهر .

(3) راجع العدد الرابع من «اللسان العربي».

حرف الجيم بين الشمس والقمر

الأستاذ محبوب الجلبي
جامعة درهام ـ بريطانيا

يشغل حرف الجيم مكانا فريدا بين الحروف الاخرى بتنوع طرق لفظه فى اللهجات العربية الى درجة لا يكاد يضاهيه فيها اي حرف آخر ، فهو فى الشام رخو قريب الى الشين لما فيه من تعطيش بالغ وهو فى العراق اكثر شدة (1) ، فيه اثر ضئيل من التعطيش اما فى القاهرة فانه يلفظ شديدا مجهورا (2) على غرار ما يسميه البعض بالجيم القاهرية ، بينما نجده قد صار دالا فى بعض مناطق الصعيد المصري وياء عند بعض قبائل الكويت ، وجنوب العراق .

ومما يجدر ملاحظته ان هذه الظاهرة تشمل الحرفين J و G فى اللغات الاوربية وهما نظيرا الجيم فى العربية. اذ ان الـ J يلفظ ياء فى الالمانية وخاء فى الاسبانية ، وهو فى الانجليزية كالجيم العراقية وفى الفرنسية كالجيم الشامية . كما ان الـ G يلفظ احيانا فى الانكليزية والفرنسية كالجيم القاهرية بينما يتخذ فى احيان اخرى اشكالا كالتى اسلفنا ذكرها .

لقد سببت هذه التنوعات فى اللفظ مشاكل شتى فى اللغة العربية اخص منها مسالة الجيم كحرف من الحروف القمرية ، اذ كثيرا ما يجنح البعض من ابناء البلاد العربية وخصوصا فى العراق وسوريا الى لفظ الجيم كصوت شمسي اي بادغام لام المعرفة فى الجيم عند وقوعها فى اول الكلمة فيقولون اجمل بدلا من الجمل . ولا تقتصر هذه المشكلة على الصعوبات التى يلاقيها مدرسو اللغة العربية فى تلك الاقطار بل تتمداها الى احوال يرتكب فيها بعض الخطباء والمذيعين هذه الاخطاء فيتعرضون بذلك الى الكثير من النقد واللوم. على ان هذا الميل للفظ الجيم كصوت شمسي لا يبدو أن يكون ميلاطبيعيا تتطلبه السهولة فى اللفظ والجمال فى النطق ، وهذا يدفعنا لكي نضع استفهاما كبيرا عن سبب ابقاء الجيم بين الحروف القمرية دون الاخذ بالاعتبارات الاخرى التى تحيط بهذه المسالة .

---

(1) الصوت الشديد هو الصوت الانفجاري الذى يحدث بانحباس الهواء عند مخرج الصوت انحباسا تاما ثم انطلاقه فجاة عند انفتاح المخرج كالباء والتاء ، وعكسه الصوت الرخو.

(2) الصوت المجهور هو الصوت الذى يستوجب عنده اهتزاز الوترين الصوتيين اثناء مرور الهواء بهما كالدال والغين ، وعكسه الصوت المهموس .

يقول سيبويه « ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز معهن الا الادغام لكثرة لام المعرفة في الكلام وكثرة موافقتها لهذه الحروف واللام من طرف اللسان وهذه الحروف احد عشر حرفا منها حروف طرف اللسان وحرفان يخالطان طرف اللسان ... والاحد عشر حرفا النون والراء والدال والتاء والصاد والطاء والزاي والسين والظاء والثاء والذال» واللذان خالطاها الضاد والشين » (3) . وبغض النظر عن السبب الذي جعل سيبويه لا يذكر اللام نفسها بين هذه الحروف الا ان الحروف الباقية وهي التي اصطلح على تسميتها بالحروف القمرية لا تدغم فيها لام المعرفة ويجمعها قولك ابغ حجك وخف عقيمه .

واود في معرض هذا الحديث ان اؤكد الفرق بين حالتي الحرف المشار اليه هنا ، الاولى كرمز مكتوب تحفظه الكتب من التغيير عبر العصور والثانية كلفظ مسموع لم يكن هناك من وسيلة لحفظه قبل ظهور اجهزة تسجيل الصوت الحديثة . فالخلط بين الرمز واللفظ امر يجب تجنب الوقوع فيه في حكمنا على الجيم وغيرها في وقتنا الحاضر ، اذ على الرغم من ورود الجيم كحرف قمري منذ بدء اهتمام العرب بعلم الاصوات الا اننا لا نزال غير متاكدين من الطريقة التي كان يلفظ بها هذا الحرف عند قدماء العرب ، فقد جاء عن الخليل بن احمد الفراهيدي في كتاب العين ان الجيم والشين والضاد شجرية لان مبدأها من شجر الفم اي مفرج الفم (4) ، اما سيبويه فقد كان اكثر تفصيلا اذ يخبرنا ان من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم والشين والياء، كما انه وصف الجيم بانها من الحروف الشديدة المجهورة ، فهذه الاوصاف رغم اعطائها فكرة جيدة عن طريقة لفظ هذا الحرف في ايام الخليل وسيبويه الا انها غير كافية لتدلنا على اللفظ بحذافيره .

وقد كانت هناك اكثر من محاولة من قبل المهتمين بعلم الاصوات في وقتنا الحاضر لاستنتاج الطريقة التي كان ينطق بها هذا الحرف عند قدماء العرب فنجد الدكتور ابراهيم انيس يقول « ويظهر ان الجيم التي نسمعها الآن من مجيدي القراءة هي اقرب الجميع الى الجيم الاصلية، ان لم تكن هي نفسها » (5) . واغلب الظن ان المقصود هنا بالجيم الاصلية هي تلك التي كان ينطق بها ايام الخليل وسيبويه اذ ان من الصعب افتراض جيم اصلية لم يسبقها تطور في اية مرحلة من مراحل التاريخ . ومهما يكن من امر فان الارجح ان الدكتور ابراهيم انيس كان متفائلا في استنتاجه واننا في الواقع لا نزال بعيدين عن التوصل الى صورة اكيدة للطريقة التي كان ينطق بها حرف الجيم التي وصفها سيبويه قريبة من التي نسمعها الآن من مجيدي القراءة القرءانية لوصفها ؛ كما وصف العين ؛ بانها بين الشدة والرخاوة ولما ابقاها بين الحروف الشديدة ؛ بل ان الجيم وردت كنموذج للحروف الشديدة في الامثلة التي جاءت في المفصل للزمخشري (شرح ابن يعيش) . وحتى في القرن التاسع الهجري نجد ان ابن الجزري يعتبر الجيم من بين حروف القلقلة (6) وهي الحروف الشديدة المجهورة . وانا لا استبعد ان يكون تطور الجيم نحو شيء من الرخاوة نوعا من الحرص للابقاء على جهرها وهي بهذا تختلف عما هو اكثر شيوعا وهو الابقاء على الشدة والتطور من الجهر نحو الهمس .

وهناك دلائل تشير الى ان وضع الجيم لم يكن على درجة كبيرة من الاستقرار منذ تلك الايام وان هناك ميلا للانحراف بمخرج الجيم الى مخارج قريبة فسيبويه يكشف ذلك بقوله « ... وتكون اثنين واربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن في قراءة القرءان ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة ... » (7) كما نجد ان ابن الجزري بعد ذلك بعدة قرون ينصح بالتحفظ باخراج الجيم من مخرجها « فربما خرجت من دون مخرجها فينتشر بها اللسان فتصير ممزوجة بالشين كما يفعله كثير من اهل الشام ومصر وربما نبا بها اللسان فاخرجها ممزوجة بالكاف كما يفعله بعض الناس وهذا

---

(3) الكتاب، الجزء الثاني صفحة 416
(4) العين صفحة 2
(5) الاصوات اللغوية صفحة 65
(6) «النشر في القراءات العشر» الجزء الاول صفحة 203
(7) الكتاب الجزء الثاني صفحة 404

موجود كثيرا فى بوادي اليمن » (8) . على ان ابن الجزري لم يكن بنفسه واثقا من مخرج الجيم الحقيقي حيث يقول «للجيم والشين المعجمة والياء غير المدية من وسط اللسان بينه وبين الحنك ويقال ان الجيم قبلهما وقال المهدوي ان الشين تلي الكاف والجيم والياء يليان الشين وهذه هي الحروف الشجرية» (9). وعلى كل حال فان ابن الجزري يختلف هنا عن بعض اسلافه من امثال ابي علي القالي المولود فى اواخر القرن الثالث الهجرى والذى اعتبر ان مخرج الجيم يلي مخرج الضاد.

ان ما سبق يشير الى ان ثمة تطورا ما قد صاحب نطق الجيم طوال هذه المدة وان الجيم التى وصلتنا لتختلف بكل اشكالها الحالية عن نظيرتها لدى الخليل فلا عجب ان نجد الدكتور مهدي المخزومي يخبرنا فى كتابه عن الخليل بان المحدثين يخالفون الخليل وسيبويه بالنسبة لمخارج الحروف الشجرية اذ هم يعدون مخرج الياء والجيم من بين مقدم اللسان وسقف الحنك الصلب والشين من بين اسلة اللسان او ما يليها وبين حافة الاسنان. وانا استبعد جدا ان يكون اختلاف الخليل وسيبويه عن جيلنا مسببا عن خطا منهما وما هذا الاختلاف الا نتيجة حتمية لتطور الجيم ودليلا كافيا على اننا ما زلنا بعيدين عن جيم القرن الثاني الهجري .

وها نحن اليوم ننطق بجيم عراقية ، وهي قريبة جدا لما نسمعه من مجيدي القراءة القرءانية ، واخرى قاهرية وثالثة شامية ورابعة تنطق بياء الخ .. انحدرت الينا كلها بهذه التشعبات بفعل عوامل معينة لا تبعد ان تكون هي نفسها التى سببت تشعب نظيرات الجيم فى اللغات الاوربية . الا ان المهم فى هذا البحث هو موضوع ادغام لام التعريف فى الجيمين اللتين اسميتهما بالشامية والعراقية نظرا لان الملايين من الناطقين بالعربية يستعملونهما كل يوم ، وعندهم تكون الجيم شمسية اذا تكلموا بصورة عادية وتكون قمرية اذا تكلفوا اللفظ واصطنعوا الفصاحة نزولا عند قانون سن منذ اثني عشر قرنا خلت فتغيرت الجيم وبقي القانون .

وادغام لام التعريف فى الحروف الشمسية يتم بالدرجة الاولى نتيجة الاقتصاد فى الجهد العضلي ، وهو امر مسلم به منذ القدم كما يعبر عنه سيبويه بقوله « ليكون عمل اللسان من وجه واحد » ، فالحروف الشمسية كلها اصوات ذات مخارج لسانية قريبة من مخرج اللام وهذا يسبب تاثر الصوتين بالمجاورة وبالتالي ادغام لام التعريف وفناءها فى الحرف الشمسي الذى يليها . بينما لو استعرضنا الحروف القمرية لوجدنا ان اللسان لا يستعمل الا فى نطق ثلاثة منها وهذه بعيدة عن مخرج اللام على اي حال ، اما الجيمان الشامية والعراقية فلنبرهنة على انهما ينتميان الى مجموعة الاصوات الشمسية اليك اختبارا بسيطا :

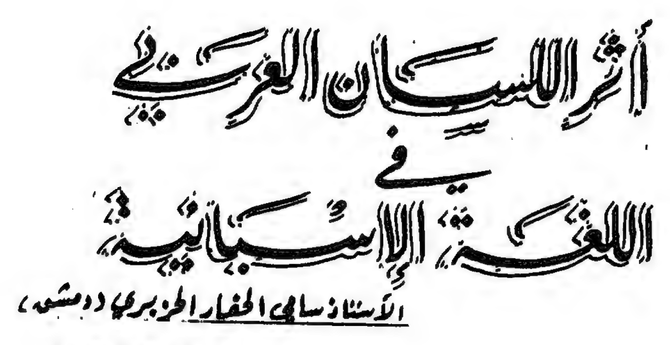
ضع لسانك فى الوضع الطبيعي للفظ صوت اللام وابق لسانك فى هذا الوضع ولكن بدلا عن لفظ اللام الفظ عبارة ابغ حجك وخف عقيمه ، وهي العبارة التى تجمع الحروف القمرية كما اسلفنا ، ستجد انك تستطيع لفظ العبارة كلها بوضوح فيما عدا الجيم اذا كانت شامية او عراقية .

ان هذا الاختبار على بساطته يرينا كيف ان عمل اللسان فى لفظ اللام يكون «من وجه واحد» مع الجيمين وبذلك كان ادغام لام التعريف بهما مناسبا . وبصورة عامة فان هذا الاختبار يعطينا طريقة مباشرة لتقدير اهلية الصوت اللغوي لادغام لام التعريف به اي للحكم على كون الصوت شمسيا او قمريا .

وبناء على كل ما تقدم فانني لا ارى اي مبرر للاصرار على ابقاء الجيمين الشامية والعراقية فى ضمن الاصوات القمرية وقد حان الوقت لكافة الذين تصادفهم هذه المشكلة ان يتقبلوا الامر على اساس من المنطق . اما الذين يستشهدون بسيبويه فاذكر لهم انه انما كان يتحدث عن رمز معين لا دليل لنا اليوم كيف كان يلفظ ؛ واني على يقين انه لو كان سيبويه اليوم حيا بيننا لوضع الجيمين الشامية والعراقية مع اللواتي « لا يجوز معهن الا الادغام » .

---

(8) « النشر فى القراءات العشر » الجزء الاول صفحة 217 .
(9) المصدر السابق ص 200 .



الاستاذ سامي الحفار الكزبري

(دمشــــق)

لا ريب فى ان اثر اللسان العـربي فى اللغـة الاسـبانية من اهم آثارنا فى اسبانيا واكثرها خلودا ، كما انه دليل قاطع علـى ان الحضـارة العربيـة الاسلامية وجدت فى الاندلس الارض الخصيبة لازدهار افراسها . فاذا تجلت تلك الحضـارة فى العلـوم والفنون والآداب ، فى الهندسة والتجارة والزراعة والصناعة ، ومنحتنا تراثا عربيا اندلسيا افادت منه الانسانية ، فلقد كان اللســان العربـي خيـر اداة للتعبير عن تلك الحضارة خلال تسعة قرون تقريبا . فالعرب عاشوا فى الاندلس ثمانية قرون الا قليلا ابان حكمهم لها ، منذ دخول طارق بن زيـاد الى شبـه الجزيرة الايبيرية سـنة 711 م حتى خروج آخر ملوك بني الاحمر من غرناطة سنة 1492 م ، ولكن مـن الثابت ان الاثر العربي فى بعض مناطقها قد استمر حتى مطلع القرن السـابـع عشر ، وذلـك لان نصـف مليون عربي اختاروا البقـاء فى اسبانيـا بعـد ان استرجعها ملوكها لشدة تعلقهم بها وبارضـها جيلا بعد جيل . وقد عرف هـؤلاء باسـم موريسكـوس Moriscos وظلوا يتكلمون العربية ويكتبونها حتى تم اندماج بعضهم بالاسبان نهائيا لغة ودينا ، فى حين هاجـر البعـض الآخـر الى الشمـال الافريقـي . فالموريسكوس هم العرب الذين تنصـروا بعـد ان استرجع ملوك الاسبان بلادهم من المسلمين العرب ، اما الذين لم يتنصـروا وآثروا البقـاء فى الاندلـس فلقد اضطروا للموافقة على التبعية للملوك الكاثوليـك واطلق عليهم اسم : « المدجنون » Mudéjares وتولد عن بقائهم فن جديد فى الهندسـة والصناعـة اليدوية سمي : المدجن Mudéjar لذا لا نستطيع ان نقول بان الاثر العربي في اسبانيا قد زال بزوال سلطانهم عليها .

وقبل ان نتحـدث عـن اثـر الموريسكـوس والمدجنين فى اللغة الاسبانية فى مختلـف بقـاع الاندلس لابد لنا من التحدث عن طبقة «المستعربين» Mozárabes وهم ابناء البـلاد الذيـن تاثـروا بالثقافة العربية والحضارة الاسلامية ابان الحكـم العربي فى اسبانيا . لقد حافظ هؤلاء على معتقداتهم الدينية غير انهم تعلموا العربية وتبنوها فى حياتهم وكانوا يتكلمون كذلك لغة بلادهم الاصلية المشتقة من اللاتينية والتى كانت تعـرف باسـم الرومانسيـة وهي نواة اللغة الاسبانية . فالحكم العـربي فـى الاندلس توطدت دعائمه اثر حـكم الفيزقوطييـن Romane ، وهي نواة اللغة الاسبانية . فالحكـم العربي فى الاندلس توطدت دعائمه اثر حكم الفيزقوطيين Visigodos وهم قوم من الجرمان احتلـوا اسبانيا فى القرن الخامس الميلادي قادمين من ايطاليا وفرنسا وتبنوا لغة الرومان الدارجة فيها وادخلـوا فى تلك اللغة اللاتينية الشعبيـة بعـض تعابيرهـم واسمائهم ومفرداتهم ، ولكن حصيلة ما قدموه لتغذية اللغة الاسبانية لا تقارن بما قدمه العرب اليها من

لسانهم الفني اذ انها لا تتجاوز مئة كلمة في حين ان ما دخل اليها من العربية تجاوز اربعة آلاف كلمة .

ويقول العالم الاستاذ رافائيل لابيسو Rafael Lapeso في كتابه « تاريخ اللغة الاسبانيـة » ان العامـل العربي في تكوينها كبير الاهمية ويأتي مباشرة بعد العامل اللاتيني . ونحن نرى فيها اليوم عددا كبيرا من المفردات التي تبتديء بال التعريف . وهذا مـا يرشدنا في احيان كثيرة الى اصلها العربي غير ان قليلا منها بقي على حاله الاصلي كتابة ولفظا مع انـه حافظ على معناه الاصيل لما اصاب تلـك المفردات العربية الاصل . سواء منها المبتدئة بال التعريف او غيرها، من تحريف لدى دخولها الى اللغة الاسبانية. والسبب في ذلك التحريف منطقي وواضح لما يوجد من فوارق شاسعة بين حروف العربيـة وحـروف اللاتينية وبين جرس الاولى وجرس الثانية واسلوب لفظهـا : وبيـن ذوق الاذن الاسبانيـة وذوق الاذن العربية . فلكل قوم في لغاتهم ما الفوا وما توارثـوا لذا اختلفت وسائل التعبير واللهجات واللغات . ولذا كان لابد للاسبان من سكب المفـردات العربيـة . واسماء الاعلام واسماء المواقع الجغرافيـة والمـدن التي اطلق عليها العرب اسماء عربية في قالب سماعي يتناسب مع ذوقهم من جهة ومـع امكانـات لغتهـم الاصلية واحرف هجائهم من جهـة ثانيـة . فنحـن نجد ان كلمة « الساقية » قد اصبحت بالاسبانيـة (ائيكيا : Acequia ، والقاضي Alcalde والمعصرة Almazaras والضيعة Aldea وذلـك لعدم وجود كل من القاف والعين بالابجدية اللاتينية، ويلاحظ هنا فيما اوردت مـن امثلـة ، في كلمتـي الساقية والضيعة ان حرف الالف المفتوحـة قـد اصبح (الفا مائلـة) اي انـه قـد لحقـت بـه الامالة ، فالامالة شاعت كثيرا فيمـا انتقـل مـن العربية الى الاسبانية والبرتغالية وهي ظاهـرة في طائفة كبيرة من الكلمات والاسماء . ثم نجد ان كلمة «حتى» اصبحت Hasta ، وكلمة الوزير Alguacil وقلعـة ايـوب Calatayud ومدينـة سالـم Medinaceli ووادي الحجـارة Guadalajarra ووادي الكبير Guadalquivir الخ .. ومما يلاحظ كذلك ان الاسماء العربية والمفردات المسكنة في آخرها لم تتفق والذوق الاسباني فتحرك آخرها لدى اقتباسها باحرف صوتية مثل (آ) او (او) او (اي) a, o, i بحيـث اصبـح السـوق : Zoco

وفـلان : Fulano ومولـد Muladi ، ومعناها المسلم الاسباني . غير العربي . وقد عرف الاسبان الذين اسلموا ابان الحكم العربـي باسـم (Muladies وباطل : Baladi و Balde والزيت : Zeite والجبر Algebra ومسجد : Mezquita ومسكيـن : Mezquino الـخ . . . والامثلة اكثر من ان تحـصى . وكذلـك حـرف الاسبان اسماء المدن والقرى والقلاع التي شيدهـا العرب في بلادهم . في شبه الجزيرة الايبيرية . كما اصاب التحريف اسمـاء بعـض الانهـر والمواقـع الجغرافية التي اطلق عليها اسلافنا اسماء عربيـة ومثالا لذلك نرى ان مدينة مجريـط تحـولت الى « مدريد » ومدينة سالـم صارت Medinaceli ومرسية : Murcia و«بني سالم» في جزيـرة ميورقة (مايوركا) Benisalem واليابسة : Ibiza وهو اسم احدى جزر الباليار ومدينتها الرئيسية . وقلعـة النـسور : Calatañazor . وقلعة اعرج : Calatarage ونهر وادي العين: Guadalén ووادي الرملة Guadarrama ، وغيرهـا كثيـر . وهذا ما يجعلنا نتوقف عند المـرور بمثـل هـذه المفردات الاسماء العربية الاصل مستغربين ما لحق بها من تحريف .

ثم ان ما نقوله عن التحريف الذي لحق باغلبية المفردات والاسماء العربية لدى اندماجـها باللغـة الاسبانية قد اصاب كذلك الاسماء الاسبانية اللاتينية لدى نقلها الى العربية ، واعني بها اسمـاء الاعـلام واسماء المدن والمقاطعات والمواقع الجغرافية المختلفة في شبه جزيرة ايبيريا وفي جزائرها الشرقية . فقد تعارف اسلافنا على تسمية بعضها بما يتفق وذوقهم السماعي واللغوي فاطلقوا اسم طليطلة على مدينـة Toledo واسم ملقة على Malaga واسم طركونة على مقاطعة Tarragona واسم قطلونية على مقاطعة Cataluña

والاهم من هذا انهم تحروا في احيان اخرى اصل اسماء المـدن القديمـة اللاتينـي (الافريقـي الروماني) وشكلوا اسماءها العربية استنادا الى هذا الاصل ، فمدينة سرقطة Saragoza مثـلا قـد سميت كذلك عند العرب لانهـا كانت معـروفة في القديم باسم Coisaranguata ، ومدينة استجة (اليخا اليوم Ecija) كانت فـي الاصل Astigi ، وشاطبه Jativa كانت تدعي Sactabis ، اما

اشبيلية Sevilla فان اسمها العربي مشتق من اسمها اللاتيني Hispalia ؛ وقرطبة Cordoba من قرطب Corteb اسم القرية الرومانية القديمة التي توسعت بعد الفتح العربي واصبحت عاصمة ملك الامويين . فالامثلة في هذا الصدد كثيرة تلقي الضوء على حقائق تاريخية هامة .

ولعل جانب الاشتقاق اللغوي الذي جرى عليه الاسبان لدى تبني المفردات العربية من اهم جوانب هذا البحث ، فكما جرى العرب على اقتباس جزء من اسماء المدن القديمة حين تسمية مجريط مثلا حيث انهم شيدوها واعطوها اسما مركبا من كلمة « مجرى » لوفرة مجاري المياه فيها ومن المقطع اللاتيني (ايت IT) فاصبحت مجريط ، نجد ان الاسبان درجوا على تركيب مفردات جديدة في لغتهم اذ كثيرا ما اتخذت الكلمات اللاتينية معنى عربيا بعد ان اجروا عليها تعديلات مقتبسة من التركيب العربي . لقد الف الاسبان هذه المؤثرات في حقبة تعايشهم الطويلة مع العرب فشاعت على السنتهم وما زالت جزءا لا يتجزأ من قاموس لغتهم . ونحن نعلم ان العرب تعارفوا على تسمية الغني : ابن الدنيا ، واللص : ابن الليل لان الظلام يساعد على السرقة فالف الاسبان هذه التعابير الرمزية واصبحوا يسمون اليتيم : ابن الحجر، والمتدين: ابن الاحسان، والسطحي : ابن يومه الخ .. ثم درجت في اللغة الاسبانية كلمة هيدالكو Hidalgo المركبة من Hijodalgo اي : ابن الخير ، واصبحت تطلق على النبلاء الذين يتميزون بالخدمات القومية والشجاعة والكرم، وقد اشار الى تفسيرها الملك الفونسو العاشر الملقب بالعالم وقال انها من المفردات الاسبانية المركبة على غرار بعض الكلمات العربية . والفونسو العاشر (العالم) هو الذي حكم طليطلة بعد خروج المسلمين منها بحوالي مائة وسبعين عاما واشتهر بتكريم ائمة الفكر المسلمين والمسيحيين اي المدجنين والموريسكوس وقد قربهم من بلاطه واستفاد من علمهم وثقافتهم لترجمة مؤلفات ابن رشد وابن سينا وابن باجة من العربية الى الاسبانية . وقد شاع في مقاطعات ليون وقشتالة والاندلس اطلاق اسماء على الاشخاص او الاسر انطلاقا من التقليد العربي ، لذا كنا نجد افرادا من الاسبان باسم Abolmondar اي « ابو المنذر » و Abohamor اي « ابو حمود » و Almodáfar اي المظفر و Maimón اي ميمون ، كما كانوا يكنون بعض اسرهم حتى القرن الحادي عشر باسمين مركبين اولهما عربي (ابن او بن او بني) والثاني لاتيني اسباني على غرار كنى بعض الاسر العربية ، فعرفت بينهم اسر مكناة ببني غوميث Benigómez وبينافيدس Benavides وغيرها .

وهنالك في اللغة الاسبانية طائفة من الكلمات التي تبناها الاسبان وحافظوا على معناها العربي واصابها بعض التحريف ومنها : « العيب » Aleve و « حسنة » Hazaña ، كما نجد انهم صرفوا افعالا اسبانية انطلاقا من الكلمة الاسبانية (اللاتينية اصلا) على غرار ما كان العرب يفعلون ، وهذا الاثر واضح في كلمتي صبح ومساء اللتين تولد عنهما فعلان هما : اصبح وامسى ، اذ اننا نجدهما في فعلي : Amanecer و Anochecer

واخيرا لابد من القول بأن اثر لساننا العربي كان كبيرا في اسلوب التعبير الاسباني بل حتى في اسلوب التفكير ذاته اذ ان الاسبانية تبنت عبارات عربية وجملا برمتها ونقلتها وترجمتها حرفيا والفتها كقولهم : « ان شاء الله » (Ojalá) وامانك الله : (Dios le ampare) والله يحفظك (Que Dios guarde) وبارك الله بالام التي حملتك (Bendita sea la madre que te parió) الى آخر ما هنالك من سلسلة التعابير التي لا يعرفها في اوروبا غير الاسبان ، والتي تنم عن عقلية خاصة عربية اندلسية اسبانية من اسبابها الايمان القوي وصفاء السريرة الانسانية والفة التمني والتبريك في الحديث .

واليوم ونحن نستعرض ذلك التاريخ المشترك الطويل ونتحرى عوامل الاثر العربي في اسبانيا وفي لغة الاسبان لا يسعنا الا ان نقف موقف المعجب بما نقل العرب الى الارض الاسبانية من علوم وفنون وتقاليد ، وبابنائها الاصليين الذين رحبوا بما حمله الفاتحون اليهم من الوان متعددة لتلك العلوم والفنون والتقاليد ، فكانوا خير تراجمة لها في اوروبا الغربية في القرون الوسيطة . كما يجدر بنا ان نعترف بفضل « المستعربين » : Mozárabes الذين تأثروا بالتمدن الاسلامي واللغة العربية والتقاليد اذ انهم استعربوا باختيارهم فكرا وقلبا ، وحافظوا على لغتهم وحضارتهم وتقاليدهم قرنا اثر قرن وغاروا عليها ودافعوا عنها ، واسهموا بذلك في نقلها الى قومهم ولغتهم وتراثهم الادبي والفني اولا ثم الى العالم الغربي .

تشويهات في اللغة العربية أحدثتها الترجمة

الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا

ان الترجمة الصحيحة عمل شاق لا يعرفه الا من عاناه ، وقليل ما هم! واكثر الترجمات التى تخرج الى الاسواق ترجمات رخيصة تشف عن ضحالة اصحابها وفقرهم وعجزهم عن فهم ما يترجمون : فحسبهم انهم ترجموا الالفاظ كلمة كلمة . اما المعنى العام للنص فلا يهمهم فى قليل او كثير .

وقد تأثرت اللغة العربية بكثير من هذه الترجمات فركت وضعفت وغلبت عليها استعمالات تشعر وانت تقرأها بالبعد عن الاسلوب العربي الرصين اذ ليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف. وها نحن نورد نماذج منها نقتطفها من هنا وهناك .

« ثار ضد العباسيين » ؛ « شن حرب ابادة ضد » ، « مؤامرة ضد » ؛ « غارة ضد » ، « العداء ضد الاستعمار » . « معركة ضد الرجعية » ؛ « التلقيح ضد » ، « التامين ضد » ، « مناعة ضد » « المقاومة ضد المرض » ، « صدر حكم ضد » « الشكوى ضد » ، « استند ضد الحائط » .

فكلمة « ضد » هنا لا مبرر لها الا انها ترجمة حرفية لكلمة Contre الفرنسية او Against الانكليزية ؛ فاذا كانت كلمة «ضد» ترافق جميع هذه العبارات فى الفرنسية او الانكليزية او غيرهما من اللغات الاوربية، فلا يصح ان يكون ذلك سببا لاستعمالها فى اللغة العربية ايضا ، لاسيما اذا كان هنالك بديل عربي اقوى منها بكثير .

فالعربية السليمة تقضي ان يقال : « ثار على العباسيين » . « شن حرب ابادة على » . « مؤامرة على » . « احتجاج على » . « العداء للاستعمار » « الكفاح مع الاستعمار » ، « معركة مع الرجعية » . « التلقيح من الجدري » . « التامين من المرض » . « مناعة على » « صدر حكم بحق او على فلان » . « مقاومة المرض » « مقاومتهم للمرض » ، « الشكوى من الظلم والتعسف » . « استند الى الحائط » .. الخ ...

ومن الرطانات التى جاءت بها الترجمة ايضا قول بعضهم « يشكل تهديدا للسلام » « يشكل تقدما عظيما » ؛ « يشكل عنصرا هاما » ، « يؤلف مشكلة خطيرة ».. الخ .. مع ان الاصح ان يقال : « فيه تهديد للسلام » . « فيه تقدم عظيم » ، « وهو عنصر هام » ؛ « وهي مشكلة خطيرة » .

وهناك استعمال شائع جدا لا ارتاح اليه تسلل الى لغتنا الحبيبة بتأثر الترجمة ايضا وهو : « لعب دورا هاما فى » .

ان اللغة العربية فى غنى عن هذا الاستعمال الركيك ولو ان جميع اللغات الاوربية تستعمله ، ففيها عبارات كثيرة تؤدي نفس المعنى بمتانة وقوة وجزالة ؛ ليست للعبارة الفرنجية . منها ان يقال : « كان له شان عظيم » « اضطلع بنصيب كبير فى » « اضطلع بمهمة » « قام بـ » .

ومن الاستعمالات الرطنة ايضا هذه العبارة : « كانت هذه الحرب كنتيجة لاغتيال .. » فانا لا ارى ترجمة لهذا الكاف لولا انها ترجمة حرفية لكلمتي Comme الفرنسية او As الانكليزية الضروريتين لتادية هذا المعنى في اشبيهما فقط . كما ان هذه الكاف الركيكة اخذت تحل في لغتنا محل استعمال الحال والمفعول به الثاني والمفعول لاجله .. اقرا هذه العبارات : « ما احسنه كمتكلم ». « ما احسنه ككاتب » ؛ « دخل عليهم كرئيس للبلاد » « فعل هذا كمناواة له »؛ « قال كتعليق على كلامه ». « اعتبر العربية كلغة اساسية » ؛ « عامله كحيوان ». والاصح ان يقال : « ما احسنه متكلما ! » ، « ما احسنه كاتبا ! » ، « دخل عليهم رئيسا للبلاد » . « فعل هذا مناواة له »؛ « قال تعليقا على كلامه »؛ « اعتبرها لغة اساسية » « عامله معاملة الحيوان ».

ومن خصائص اللغة العربية ان ياتي جواب « اذا » في الزمان الماضي ؛ الا في حالات نادرة قليلة . فيقال مثلا : « اذا جاء زيد جاء عمرو » « اذا امتزج بكذا وكذا حدث كذا » لكن لا يقال : « ... يحدث كذا » . او « يجيء عمرو » . غير اني لاحظت مع الاسف ان هذا الاستعمال الماضي الجميل المنساب لم يعد له وجود تقريبا عند طائفة المترجمين ؛ لا لشيء الا لان الماضي لا يستعمل في جواب « اذا » في اللغات الاوربية التي يترجم منها. si, if

كذلك نشا في اللغة العربية استعمال رطن خلفته الترجمة وهو تاخير الفاعل وتقديم ضميره عليه مثل ان يقال : « وفي حديثه عن كذا وكذا قال الرئيس كذا » ؛ « وبعد وصوله الى المدينة استقبل القائد وفود المهنئين » والاصح ان يقال : « والرئيس في حديثه عن كذا وكذا قال كذا » ؛ « وبعد وصول القائد الى المدينة استقبل وفود المهنئين » .

وهناك ايضا استعمال شاع بتاثير الترجمة ايضا وهو اضافة اكثر من مضاف الى مضاف اليه واحد . مثلا « عناية واهتمام الام بطفلها » « ذكاء ومقدرة رجل العلم ؛ والاصح ان يقال : « وعناية الام بابنها واهتمامها به » « ذكاء رجل العلم ومقدرته » .

وكذلك وردت في احدى الترجمات هذه العبارة التي تعكس شدة الحرص على الترجمة الحرفية والتقيد المستكره بالاصل : « محبة الله نحو بني الانسان » مع ان المبتدىء في اللغة العربية يقول : « محبة الله لبني الانسان » . فاذا كانت «نحو» جزءا من التعبير الفرنسي او الانكليزي فهل من الضروري ان تكون كذلك في اللغة العربية ؟ ولكن قاتل الله الترجمة الحرفية التي تعمي عن خصائص اللغة وعبقريتها !

لقد خف استعمال المفعول المطلق في الترجمة وحلت محله — حرصا على « امانة » النقل كلمة « بصورة » . « بشكل » ؛ « لدرجة » . « على نحو » فيقال مثلا : « مشيت بصورة جيدة »؛ « سار بشكل حسن » . « ان قامته طويلة لدرجة انها تسد الباب » « ظهر على نحو واضح » . ان هذه الاستعمالات واشباهها تنبو جميعا من الذوق العربي الاصيل وتجفوه . اذ الاصح ان يقال : « مشيت مشيا جيدا » « سار سيرا حسنا » . « ان قامته طويلة طولا يسد الباب او بحيث تسد الباب » . « ظهر ظهورا واضحا » .

وهناك خطا يقع فيه كثير من المترجمين ايضا . وهو خطا لا يمس الترجمة وحدها . بل هو يمس قواعد اللغة ايضا . وهو التعبير عن المثنى بالجمع انسياقا مع الحرفية . فنرى المترجم يعبر عن المثنى تارة بالتثنية . وتارة ينسى ان الحديث يدور عن شيئين فقط فينساق مع النص الفرنسي ويجمع . لانه على ما يظهر في عجلة من امره ويهمه ان يفرغ منه ليستانف نصا آخر . فالعصر عصر السرعة والنص طويل والضمير بعيد ؛ فلا عليه ان يلتزم بالحرفية ولو كان في ذلك تضحية باللغة وقواعده وبسمعته وكرامته لعرض من الدنيا قليل .

وهناك استعمال عجيب غريب اقحم في العربية اقحاما . فاللغة الفرنسية مثلا تستعمل عند الانتقال من فكرة الى اخرى كلمة Concernant او En ce qui concerne او Au sujet de الخ .. فامتلات اللغة العربية بهذه الكلمات : بخصوص . وفيما يتعلق ؛ وفيما يتعلق ؛ وبالنسبة الى .. مع ان كلمة « اما » « ومن حيث » اجمل من هذه الاستعمالات الركيكة واقوى واكثر تعبيرا ومتانة. ولم اجد اعجب من الجمع بين « اما » و « فيما يتعلق » كالقول : « اما فيما يتعلق بكذا » فان « فيما يتعلق » هنا مقحمة اقحاما لا معنى له وما كان اجمل هذا التعبير لو قلنا : « اما كذا »

نحن لا ننادي بعدم الاستئناس بالاساليب الغربية ؛ ولكننا نطالب بالحفاظ على خصائص اللغة العربية . فكل هذه الاستعمالات بجانب الذوق العربي والسليقة العربية والاصالة العربية، ولقد شاعت في الصحف اولا حيث تترجم برقيات وكالات الانباء حرفيا طلبا للسرعة ورددتها محطات الاذاعة والتلفزيون . ثم عمت في الترجمات الرخيصة التي اقتدت بها . فليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف . ولكنها غريبة الدم والمخبر . ان هذه الاستعمالات لا تصدر ولن تصدر عن كاتب عظيم . بل هي لا تصدر الا عن صغار الكتاب والمترجمين . فلم اجد للمازني او العقاد او طه حسين وامثالهم استعمالات ركيكة كهذه . رغم انهم اغنوا الاسلوب العربي كثيرا بالاستعمالات الجديدة دون ان يضحوا بعبقريته واصالته .

ولي ملاحظة احب ان ابديها في هذه المناسبة تتصل بتركيب المصطلح العلمي . فمن المعروف ان اللغة العربية فقيرة جدا في التركيب المزجي . فبينما يستطيع المؤلف في اللغات الاوربية تركيب اي مصطلح بالرجوع الى الاصول اليونانية واللاتينية بمزج الجذور التي يصل اليها بعضها مع بعض نجد اللغة العربية عاجزة عن ذلك عجزا يكاد يكون تاما . فنرى المؤلف في اللغة العربية اذا اراد التعبير عن مصطلح علمي ما . اما ان يبحث كلمة جديدة قد لا تؤدي المعنى المطلوب فلا ينعقد عليها الاجماع . واما ان يستعمل جملة طويلة للتعبير عن مصطلح علمي واحد. ولي في هذا المجال اقتراح لا اعلم مدى قيمته لاني اجهل الكثير من ملابساته . فلئن كانت اللغة العربية فقيرة في التركيب المزجي فهي غنية جدا في الاوزان. حتى اصبحت من هذه الناحية مدعاة اعجاب كثير من المستشرقين . وعلى فرض ان هذه الاوزان لا تكفي فيما يرجع الى اللغات الشرقية التي يطلق عليها احيانا اسم اللغات السامية . فنجد فيها اوزانا ليست في اللغة العربية . ولا يقتصر الامر في نظري على هذا . بل يمكن الاستعانة باللغات السامية من ناحية اخرى . رغم كل ما يقال من ان اللغة العربية اغنى منها جميعا . فكما ان الاوروبيين يرجعون الى اصول لاتينية ويونانية ؛ اي الى اصول تتشابه فيها لغة التعبير واللفظ والكتابة لوجود لحمة من النسب او لوجود وحدة عضوية بينها — اذ هي من ارومة واحدة ؛ فكذلك اتساءل بيني وبين نفسي عما اذا كان بمكننا ان نفعل شيئا قريبا من هذا باللغة العربية. فهناك وحدة عضوية بين اللغة العربية وبين كثير من اللغات التي تسمى باللغات السامية . فما المانع ان نرجع اليها في وضع مصطلحاتنا ، ولا ضير في ذلك على اللغة العربية في شيء . بل هو مصدر اغناء لها ؛ كما ان الرجوع الى اللاتينية واليونانية لم يكن ليضير اللغات الاوربية في شيء بل لقد كان مصدر اغناء لها. وحبذا لو كنت محيطا ببعض اللغات السامية لاحكم على مدى قابلية اقتراحي للتطبيق . ولكني وطيد الامل ان يصل هذا الاقتراح الى آذان الخبراء بالساميات ليبينوا لنا مدى امكان الاستفادة منه . وعندئذ لا يقال ان لغة الضاد رديئة جدا من حيث التركيب المزجي .

واخيرا لي ماخذ على بعض الترجمات — حتى القيمة منها — وهو خلوها من ذكر المصطلحات العلمية واسماء الاعلام وعناوين الكتب في لغاتها الاصلية . فانا من حيث المبدأ افضل دائما ان اقرا الكتاب في لغته الاصلية لاني لا اثق بكثير من الترجمات . فضلا عن اني اشعر بغربة كبيرة وانا اقرا كتابا مترجما الى العربية . وكثيرا ما لا افهم ما اقرا ولا عمن اقرا . فالمترجم حفظه الله كلما وجد مصطلحا علميا ترجمه بما يتراءى له او اثبت اسم صاحبه كما يريد ؛ وهذا من حقه . الا ان من حق القارىء عليه ان يثبت له المصطلح بلغته الاصلية وكذلك ان يثبت له اسماء الاعلام الى جانب النص العربي ، ليسهل عليه فهم الموضوع . والا ضاعت الفائدة المتوخاة من ترجمة الكتاب . فان كان القارىء خالي الذهن من الموضوع لم يفهم شيئا بطبيعة الحال . وان كان ملما به اصطدم بمصطلحات غير واضحة المعنى فاختل فهمه للموضوع ولعن الترجمة والمترجمين .

والخلاصة ان الترجمة عمل مضن . فلا يقدم عليه من ليس اهلا له . فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

تطوّر النّهضة الثقافيّة في الشام والمجمع العلمي اللبناني

الأستاذ محمد جميل بيهم

(لبنـــان)

كثيرا ما لاحظت ان الباحثين في موضوع تاريخ الثقافة العربية يغفلون عن ذكر المجمع العلمي اللبناني ويعود ذلك الى قلة السنين التي قضاها ، والى تقصيرنا ، نحن اللبنانيين ، في تدوين اعماله . وهي اعمال غير قليلة بالنسبة لعمره .

وقد رايت ان اتلافى هذا التقصير على ان اتخذ هذه المناسبة فرصة لعرض ناحية مهمة في تاريخنا ، واعني بها ناحية تطور نهضتنا الثقافية في بلاد الشام على مر العصور حتى الآن وذلك بصورة موجزة تتناول الخطوط الكبرى بحسب رابطة الاسباب بالمسببات .

العالم العربي خلال ثلاثة قرون

لما وضعت كتابي « العرب والترك في صراع بين الشرق والغرب » الذى صدر سنة 1957 جعلت هذا العنوان عنوانا للفصل الثالث منه . حيث بينت بالادلة ان القرون الثلاثة التي تبدأ بمطلع القرن الثامن الميلادي وتنتهي بختام القرن العاشر كانت قرونا ذات طابع عربي في العالم ، سواء اكان ذلك في النواحي السياسية والتجارية والصناعية أم في النواحي الصناعية والزراعية والثقافية ، وانها كانت كلها تقتبس من معين الحضارة العربية . ثم جعلت عنوان الفصل الرابع «اين من سادوا وشادوا وبنوا ؟ ذلك الفصل الذى تناول انهيار العرب ، وتغلب الاعاجم عليهم الى أن استأثر بالحكم آل عثمان . وليس المجال هنا فسيحا للتبسط في جميع اطراف هذا الموضوع ، وانما اكتفي بالناحية الثقافية منه ، وبالخطوط البارزة من هذه الناحية فقط ، وذلك نتيجة للاحداث السياسية .

الحملات الصليبية

لقد دعا كل من البابا سلفستر الثاني في سنة 393 هـ ـ 1002 م والبابا غريغوار السابع في عام 468 هـ ـ 1075 م ملوك اوروبا واصحاب الاقطاعات لتخليص بيت المقدس . ولكن دعوتيهما ذهبتا ادراج الرياح . حتى اذا ما شب الخصام بين الاسرة السلجوقية بعد موت السلطان ملكشاه ونشبت الحروب بينها بعد نحو عشرين سنة من هاتين الدعوتين كانت صرخة ناسك فقير هناك كافية لجمع كلمة الاوربيين من اجل انقاذ قبر المسيح . وقد حملوا على بلاد الشام ثماني حملات كانت اولاها في سنة 409 هـ ـ 1096 م ، والاخيرة في سنة 669 هـ ـ 1270 م .

وبين هذه وتلك استقر الصليبيون في بلاد الشام مدة طويلة ، وتسلطوا على بيت المقدس الى ان تصدى لهم ، عقب الحملة الصليبية الثالثة ، صلاح الدين الايوبي سلطان مصر والشام 532 ـ 589 هـ ، 1137 ـ 1193 م واخرجهم من فلسطين وما حولها، ثم كان المماليك البحرية خلفاء الايوبيين بمصر سبب صد الحملات الصليبية الاخرى عن مصر ، واخراجها من كافة بلاد الشام .

غير ان هذه البلاد ظلت نحو جيلين دار حرب فكسد فيها سوق العلم والادب ، ولولا الحاجة الماسة الى العلوم الدينية لانصرف الناس عنها ايضا . هذا فضلا عن كون اكثر بيوت العلم قد اقفلت في تلك الحقبة وان المكتبات قد احرقت بفعل تلك الحروب . وحسبنا ان نذكر ان مكتبة طرابلس التي احرقت في عهد الصليبيين ، او احرقوها ، كانت على ما قيل تحفل

بثلاثة ملايين مخطوطة . وكل ذلك كان من اسباب ذبول الحضارة العربية في الشرق .

الحملات المغولية

وجاءت النكبة الثانية على الحضارة العربية من المشرق فاودت بها . ففي غضون الحروب الصليبية خف المغول الى اكتساح بلاد الشام . وهم قوم غزاة كانوا ينزاون في منشوريا بين نهري سنكاري والايرتس طالما هددوا الصين ، وتعرضوا لها حتى اضطر احد اباطرتها شي هنغ تي لتشييد السور الكبير ، ابتداء من سنة 240 الى سنة 210 ق م ليكون سدا بين بلاده وبين هؤلاء المنشوريين . وهو على ما اثبت بكتابي « الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية كانك تراهما » بعد زيارتي له هو نفس سد ذي القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم . غير ان هذا السور لم يقو فيما بعد على دفع غارات المغول، بل ان ملكهم جنكيزخان الذي انشا امبراطورية كانت تمتد من بحر اليابان الى بحر قزوين فقد تعداه الى الصين وفرض على حكومتها الشرقية جعلا لقاء حراسة الحدود ، كما ان ولده كوبيلاي نقل عاصمة بلاده من قرة كروم الى بكين .

وكان جنكيز خان يرنو بعين الطمع الى بلاد الاسلام لما بلغه عن خيراتها وعمرانها ثم لما علمه من تنازع ملوك الترك في اطرافها ؛ بالاضافة الى ضعف الخلفاء العباسيين الذين لم يترك لهم هؤلاء الاعاجم الا السلطة الروحية ؛ فتقدم اليها حتى استولى على تركستان . ولكن الاجل عاجله قبل ان يدرك امنيته من البلاد العربية . ولما بويع الخان منكو بن طولي سنة 1246 م عهد الى قائده هولاكو فتح بغداد، كما عهد الى قادة آخرين اكتساح اقاليم اخرى .

وقد ارسل هذا الخان وفدا الى لويس التاسع ملك فرنسا في قبرص ، وهو قائد الحملة الصليبية السابقة . يدعوه فيها للاتفاق بينهما على المسلمين ؛ كما ان عطف هولاكو على النصارى — اذ كانت امه وزوجته مسيحيتين — اغرى البابا اسكندر الرابع بدعوته الى اعتناق دين المسيح لقاء وعد منه بمساعدته على المسلمين، ولكن هولاكو استنكر هذه الدعوة وبقي على دين بوذا وعلى الرغم من وحدة الهدف بينهما فلم يصلا الى توحيد العمل وانما اقتصرت العلاقات بينهما على التواد والتعاطف .

ولما دخل هولاكو بغداد سنة 656 هـ — 1258م قتل المغول ما يزيد على مليون رجل فيها والقوا في دجلة كتبها وكانت ، على قول مجلة الهلال م 19 ص 392 ، « شيئا لا يعبر عنه » ثم لما استتب له الامر فيها سير جنوده الى فتح الشام ، وقد تمكنوا من الاستيلاء عليها حتى بلغوا غزة ، غير انهم لم يتعرضوا للثغور التي كانت لا تزال في حوزة الصليبيين، واهمها انطاكية ويافا وعكا . اما فظائعهم فيها ولاسيما في حلب فعلى قول ابن العبري تجاوزت الحد الذي ارتكبوه في العراق . وكان اشدها تعرضهم للمكتبات التي كانت زينة الحضارة العربية وقوامها .

نتائج الحملات الصليبية والحروب المغولية في الناحية الثقافية

ان الملوك اذا دخلوا قرية جعلوا عاليها سافلها فيكفي القول ان بلاد الشام كانت دار حرب تتناوشها من الشرق والغرب طوال ثلاثة قرون ونصف القرن اي من مطلع القرن الحادي عشر للميلاد الى اواسط القرن الثالث عشر يكفي هذا القول لتقدير سوء احوالها المادية والمعنوية فضلا عن الثقافية . ولاسيما اذا اضفنا الى ذلك الحروب الداخلية بين الاسرة السلجوقية ، ثم بين آل زنكي وآل ايوب ، ناهيك بالفتن الطائفية بين السنة والشيعة . فكان من حصيلة كل ذلك اندراس المكتبات ، واقفال المدارس ، وضياع الاوقاف المحبسة على تلك المدارس والاعمال الخيرية، وتحطيم الاقلام وتقليص القرائح على ان هذه الكوارث لم تنته بانتهاء القرن الثالث عشر ، وانما استمرت وبرزت على اشدها في مطلع القرن الخامس عشر بحملة تيمور لنك التركي على آل عثمان وعلى بلاد الشام فقضت على البقية الباقية من معالمها الثقافية .

وتجدر الاشارة هنا الى ان العلم كان قد التجأ بعد سقوط بغداد الى مصر وسوريا . وقد رعاه الايوبيون بمصر والمماليك بعدهم فازدهر بمصر ، وانتعش ببلاد الشام التابعة لهم الا انهم طاردوا الفلسفة ولاحقوا ذويها . وفي ذلك الحين تناولت حلب علم الزعامة الثقافية من دمشق حتى قام فيها على رواية محمد كرد علي في خطط الشام « ثلاث مدارس للطب ومدرسة للهندسة » ولكن هذه المدارس وغيرها قضت عليها حملة تيمور لنك فاضاعت الشهباء ازدهارها .

وعلى كل حال فلولا تلك النهضة العلمية التي برزت بمصر خلال حكم بني ايوب وخلفائهم المماليك وشخوص الطلبة السوريين لتلقي العلم ولاسيما في

ازهر عهودها لاندرست الثقافة في بلاد الشام، ولما بقي فيها عالم او اديب بالمعنى الصحيح . وعلى الرغم من ان كثرة العلماء امسوا فيها من الحشويين الذين يختارون في التاويل الغريب المدسوس على الصريح المعقول ، ومن ان اكثر الادباء امسوا يعنون بالالفاظ الرنانة والعبارات المنمقة دون المعاني ، ودون توجيه الشعب للبناء والانطلاق فان البلاد لم يدركها القحط الكلي، بل ظهر فيها من العلماء والادباء نفر اتيح لهم ان يتمتعوا بالشهرة كابن عساكر المتوفي سنة 616 هـ ، وابن الفارض 645 ، وابن الاثير 637 ، وابن تيمية المولود سنة 661 .

عهد السلطنة العثمانية :

كان من المفروض في بني عثمان الذين اتيح لهم ان يقيموا امبراطورية عظيمة على انقاض الممالك العربية وعلى انقاض الامبراطورية البيزنطية التي كانت في ذلك العصر منارة العلم في الغرب ، كان من المفروض ان يستغلوا مخلفات هاتين الامتين وان يعطوا العالم حضارة جديدة أو ان يسيروا على الاقل في مواكب التمدن الحديث . ولكنهم باستثناء سلاطينهم الاولين الذين قلدوا الخلفاء العباسيين برعاية العلم والادب ، وتحلوا بهما انصرفوا عن كل ذلك الى حروب كانت غايتها في البداية التوسع في اوربا ، وكان هدفها في النهاية الحفاظ على مكاسبهم الحربية ، ثم الدفاع عنها تجاه الاتحاد الاوربي المقدس الذي ابرم ضدهم . وبهذا وذاك ظلوا بعيدين عن العلم والادب ، فما حافظوا على ما ورثوه من العرب ، وما اقتبسوا التمدن الحديث من الغرب الا بعد ان اشرفت دولتهم على الانهيار . على انهم ما ان فكروا في وجوب الخروج من نطاق الجهود وباشروا الاصلاح حتى كان هدفهم ينحصر في الشؤون العسكرية فانشأ السلطان مصطفى الثالث (1757 م — 1774) مدرسة الفنون الحربية . ولكن السلطان محمود الثاني (1808 م — 1839 م)ما ان اتيح له القضاء على الانكشارية ، هذه الطغمة التي كانت تقف في وجه التجدد ، حتى عمد الى الانطلاق في سبيل الاقتباس من اوربا . وفضلا عن بنائه المعهد الطبي باسطامبول فقد اوفد بعثة من الطلبة للتخصص في معاهد اوروبا . كما ان خلفاءه شرعوا يعنون بالولايات . ولكن عنايتهم هذه كانت لا تتجاوز انشاء مدارس اعدادية وعسكرية كانت الغاية منها اعداد الموظفين للحكومة ، واعداد الضباط للجيش .

واما الشعب فلم يكن احد منهم يهتم به . وهو ، وفي مقدمته العرب ، كان قد استيقظ بالتماس مع العالم الغربي بالمدارس والتجارة والهجرة ، واصبح توافا للمعرفة ومجاراة الركب العالمي فلم يسعه الا الاقبال على المدارس التبشيرية المختلفة التي انتشرت في كل مكان علاوة على المدارس الخاصة التي انشأتها الطوائف . فكانت العاقبة ان رعايا السلطنة العثمانية، الذين هم في الاصل لا يشكلون وحدة قومية، امسوا كتلا متباينة الاهداف في السياسة ، ومتباعدة في النطاق الملي . وكل ذلك افضى في النهاية الى متاعب واجهتها السلطنة عجلت بزوالها .

ومن رعى غنما في ارض مسبعة
وغاب عنها تولى رعيها الاسد

النهضة الثقافية الحديثة في الشام :

اثر اختلاط الغرب بالمسلمين في بلاد الشام والاندلس وصقلية ، وفي اعقاب هجرة علماء بيزنطة الى بلادهم بعد فتح العثمانيين عاصمتهم القسطنطينية سنة 857 هـ — 1457 م انتفض الغرب انتفاضة جبارة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، كانت منطلقا لحياة جديدة في الاجيال اللاحقة . ولم تقتصر نهضته على الناحية الثقافية ، وانما تناولت الشؤون الاقتصادية ، وتركزت على القوة العسكرية.

ولكن الغرب على الرغم من انصرافه الى بناء مطرد لم ينس ابدا بيت المقدس . وآية ذلك ان ملك اسبانيا فيليب الثاني اغتنم فرصة وجود الامير فخر الدين المعني الثاني في ضيافته بصقلية وذلك في مطلع القرن السابع عشر ، ليعرض عليه التعاون معه على طرد العثمانيين من البلاد المقدسة . ولكن على الرغم من خصومة الامير لهؤلاء ابى واستنكر وفضل العودة الى بلاده على التواطؤ مع الاجانب على دولته ، وعلى مقدساته .

ثم لما جاء عهد الاستعمار وانتقلت المبادرة الى الدول الاوربية ظلت فلسطين ماثلة امام اعين هذه الدول ، ولاسيما حين تداعت السلطنة العثمانية ، واصبحت كل واحدة منها تسعى لان تؤمن نصيبها من ارث الرجل المريض .

وقد وضعت اعتمادها على الارساليات التبشيرية التي كانت بمثابة طلائع جيش الفتح لان هذه الارساليات لم يكن يعهد اليها التبشير بواسطة المدارس فقط ، وانما كانت تعمل كدائرة

استخبارات لتسهيل الفتح ، والاعداد له بشتى الوسائل ومهما يكن من امر فان هذه الارساليات التي ترجع اولاها الى عهد الامير فخر الدين المعني المشار اليه فانها ولا شك عملت لبعث نهضة ثقافية في سوريا ، ولاسيما بلبنان رافقتها نهضة تجارية واجتماعية .

ثم كان لاحتلال نابوليون بونابرت لمصر سنة 1213 هـ ـ 1798 م اثر كبير في نهضة الشرق العربي ذلك لان هذا الفاتح الكبير استصحب معه لوادي النيل بعثة علمية فنية كانت حافلة باشهر علماء فرنسا ، فوضعت التصاميم الاصلاحية وقامت ببعض المشاريع العمرانية التي كانت فيما بعد منطلقا لنهضة هذا المشرق الحديثة في عهد الاسرة العلوية، وخدوييها ولا سيما في لبنان الذي ساهم ابناؤه في النهضة المصرية .

النهضة الثقافية في لبنان :

منذ عني الاوروبيون بطباعة الكتب العربية وترجمتها في مطلع القرن الخامس عشر بادروا للاستعانة ببعض المثقفين من اللبنانيين ، ولاسيما رجال الاكليروس . فانتقل هؤلاء الى روما والى اكثر العواصم الغربية والجنوبية ، وساهموا فيها باعمال الترجمة والطبع والتدريس وقد تولى نفر منهم الوظائف . وسرعان ما كان ذلك حافزا لهم وللمتخلفين منهم للالتفات الى وطنهم ، فانشاوا في عام 1042 هـ ـ 1632 م المدرسة الاولى في قرية حوقه ، والثانية في حلب عام 1073 هـ ـ 1662 م وكانت اولى المطابع تلك التي استجلبها البطريرك اثناسيوس دباس الى حلب في مطالع القرن الثامن عشر . والثانية مطبعة الراهب الحلبي عبد الله زاخر في دير مار يوحنا الطبشة في الخنشارة بلبنان ، وفي غضون تسابق الدول الاجنبية الى فتح المدارس التبشيرية في المدن والقرى في كل من ولاية بيروت ومتصرفية لبنان وغيرهما ادرك البيروتيون ، وعلى راسهم رجال الدين مغبة ترك تربية اولادهم لسواهم فخفت كل طائفة منهم لانشاء المدارس الوطنية .

وكان من نتيجة انتشار العلم في الساحل السوري على وجه عام ذلك الاقبال الشديد الذي برز من قبل مثقفي الشعب على المزيد من فتح المدارس واصدار الصحف ، وانشاء المطابع ، وقراءة الكتب وتاليفها . وقد رافق هذا الاقبال ميل من الشعب لتاليف الجمعيات ولاسيما الادبية والخيرية منها ، ولكن الوضع العثماني لم يكن يشجعهم ولذلك اضطروا في البداية الى اللجوء للتعاون مع الاجانب ، الذين كانت تحميهم الامتيازات من اجل تاليف الجمعيات المنشودة . وقد الف بعض علماء بيروت وادبائها سنة 1858 بالتعاون مع بعض المرسلين الاميركان « الجمعية العلمية السورية » التي كانت غايتها الاهتمام بنشر المعرفة وخدمة الادب فعاشت نحو سبع سنين . ثم لم تلبث ان عادت للحياة في عام 1867 ، واصدت مجلة باسم مجلة مجموع العلوم . ولكنها لم تعش طويلا .

وفي اعقاب ذلك تبدل الوضع في سوريا حينما نصب مدحت باشا الملقب بابي الدستور واليا عليها سنة 1829 م . فهو اذ كان يطمع بالاستقلال في بلاد الشام على غرار خيديوية مصر بتشجيع من فرنسا شرع يتحبب الى اهلها فاطلق لهم شيئا كثيرا من الحرية . وكان الجو الذي بدا في ايام ولايته وما بعدها مشجعا لبعض اهل العلم والادب من البيروتيين لان يؤلفوا المجمع العلمي الشرقي سنة 1881 بالاستقلال عن الاجانب . ولعلهم اختاروا هذا الاسم لجمعيتهم من قبيل التمثل بالاوروبيين ومجامعهم العلمية . ولكن هذا المجمع لم يكمل العامين من العمر . فانبرى بعيد ذلك المطران يوسف الدبس لانشاء الدائرة العلمية المارونية برئاسته . ولم تكن اطول عمرا من سابقاتها . ذلك بأن السلطان عبد الحميد الثاني (1876 ـ 1909) لم يكن يرتاح للتكتلات الشعبية ـ الامر الذي ادى الى انحلال الجمعيات الخيرية ايضا ؛ وفي مقدمتها جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية . ولولا ان جمعية شمس البر الادبية كانت تستند الى رعاية الاميركان وحمايتهم لما عاشت حتى الحرب العالمية الاولى (1914 ـ 1918) . ولا بدع فلقد كان عهد هذا السلطان شديد الحذر من مؤامرات الدول الاجنبية التي كانت تحاك حوله . والى ذلك فلم يكن يطمئن لشعبه الذي تخرج في المدارس الاجنبية .

وهذا الخوف من الداخل والخارج حمله على التشديد في المراقبة والمعاقبة على الشبهات احيانا . من ذلك ان شاعرا بيروتيا ؛ واظنه مصباح البربير نظم قصيدة غزلية كان مطلعها :

ان حبي كل يوم في ازدياد

والهوى ياتي على غير المراد

فقامت قيامة الولاية في بيروت ، وانتصب

الميزان . لماذا ؟ ـ لان للسلطان اخا اسمه مراد كان قد اتهم بالخبل فخلع وبويع السلطان عبد الحميد مكانه . ومن هنا اتهم الشاعر بانه يعرض بالعاهل المخلوع وسيق للمحاكمة .

وفي عهد كهذا ليس من المنتظر ان تتألف الجمعيات، واذا تالفت لم يكن من المقدر لها ان تعيش.

المجمع العلمي اللبناني :

حفل لبنان في صدر القرن العشرين بحملة الشهادات العليا من خريجي المعاهد والمدارس الموفورة فيه ، ومن خريجي جامعات الغرب . ولما اصبح له كيان سياسي في عهد الانتداب الفرنسي بالقانون الاساسي والحكم الدستوري اتجهت انظار الطبقة المثقفة فيه الى ان تكون له هيئة تمثل وجه وطنهما الثقافي ، وذلك بانشاء مجمع علمي اسوة بسوريا منذ عام 1919 . وكان الشيخ ابراهيم المنذر الاديب الكبير عضوا في المجلس النيابي اللبناني فاثار هذا الموضوع . ثم كانت له وقفات حوله قوية خلال عام 1927 سرعان ما اثمرت فقرر المجلس انشاء المجمع المنشود على الرغم من ان الانتداب الذى كان يشجع اللغة العامية بلبنان ضمن نطاق تبعيده عن شقيقاته لم يكن راضيا عن هذا العمل . واستنادا الى قرار المجلس المذكور اصدر رئيس الجمهورية الاستاذ شارل دباس قانونا بانشاء مجمع علمي لبناني وذلك في 20 شباط 1928 غايته المحافظة على اللغة العربية ورفع شانها ، والعناية بالمباحث والاعمال المتعلقة باصولها وآدابها والمحافظة على الآثار ، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته ، وغير ذلك مما يتعلق بادارة الشؤون العلمية وتنظيمها . واصدر مرسوما آخر بتعيين السادة الآتية اسماؤهم اعضاء لهذا المجمع : الشيخ ابراهيم المنذر ، والشيخ عبد الله البستاني، والشيخ امين تقي الدين (1) ، والشيخ منير عسيران، والشيخ محمد الحسيني، والاستاذ بولس خولي ، والبطريرك اغناطيوس افرام الرحماني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، والخولي بولس عبود ، والاستاذ وديع عقل ، والاستاذ الياس فياض ، والشيخ احمد عمر المحمصاني ، والاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، والاب لويس المعلوف ، والشيخ حسين مغنية .

وفي التاسع من شهر اذار 1928 افتتح المجلس اعماله بحضور الشيخ بشارة خليل الخوري رئيس الوزراء الذى كان وزيرا للتربية الوطنية ، وانتخب مكتبه التنفيذي على الوجه التالي : الشيخ عبد الله البستاني رئيسا ، والشيخ احمد عمر المحمصاني ، والاستاذ وديع عقل ، معاونين للرئيس. وقد اتخذ المجمع في اول الامر وزارة المعارف والتربية مقرا له ؛ ثم انتقل الى دار الكتب الوطنية، ووالى اجتماعاته فيها الى ان استقل في دار له خاصة .

وقد حالت بعض الاسباب دون اشتراك السادة عبد الله البستاني والاب لويس معلوف ، والاستاذ عيسى المعلوف ، والشيخ محمد الحسيني والشيخ حسن مغنية في جلسات المجمع الاولى فقرر اعتبارهم اعضاء مراسلين وانتخب بدلا منهم السادة : الشيخ علي زين ، والخوري جرجي ستيتي « الذى اصبح من بعد مطران السريان بدمشق » ، وجرجي صفا ، واسد رستم ، ومحمد جميل بيهم . ونتيجة لهذا التبديل اجتمع المجمع في 25 تشرين الاول 1928 وانتخب الاستاذ وديع عقل رئيسا له ، والياس بك فياض والشيخ ابراهيم المنذر معاونين وذلك لمدة عام . وقد وضع المجمع خلاله نظامه الداخلي .

ولما ازف موعد الانتخاب في السنة التالية ، وشعرت السلطة ان نية اكثر اعضاء المجمع منصرفة لانتخابي للرياسة تحركت فورا لاني كنت من اشد المعارضين بلبنان للانتداب ، والمنادين بالوحدة العربية . وقد عهدت الى الشيخ بشير الخوري المندوب من وزارة المعارف للاشراف على الانتخابات السعي لتوجيه الاعضاء الى تجديد الرياسة للاستاذ وديع عقل ، وذلك في جلسة الانتخاب المحددة في 18 تشرين الاول 1929 ولما باءت مساعيه بالفشل تحول بكليته الي ، وشرع يقنعني بالتخلي عن الرياسة للاستاذ عقل لسنة اخرى على ان اعلن ذلك لزملائي. فكان جوابي له :اني لم اكلف احدا منهم ان ينتخبني، كما اني لا اعلم من هو المرشح عند كل منهم فكيف يسوغ لي من بعد ان اطلب منهم ان لا ينتخبوني لمنصب الرئاسة واعرض نفسي لقول قائل : من اخبرك اني مزمع ان اصوت لك ؟ . ولما استولى عليه الياس اجل الانتخاب ريثما يقابل نسيبه الرئيس

---

(1) وهم من المشايخ المدنيين الذين تحمل اسرهم هذا اللقب .

الشيخ بشارة الخوري . ولم يلبث الا قليلا حتى عاد حاملا الي بشرى الوعد بتعييني وزيرا للمعارف والتربية الوطنية اذا تخليت عن رياسة المجمع . فقلت له مبتسما انت تعلم يا شيخي اني لست من طلاب الوظائف ، كما تعلم ايضا ، مما نشرته الصحف في حينه ، اني كلفت باشغال مناصب عالية من قبل فرفضت التعاون مع العهد ، فكيف تريدني التحول الآن عن مبدئي ؟ فما وسع البشير الا السكوت على مضض . ولما جرى الانتخاب يومئذ اسفر عن احرازي معظم الاصوات للرياسة ، وعن انتخاب الشيخ ابراهيم المنذر والاستاذ سعيد عقل معاونين لها . وهنا مجال للتنويه بالاستاذ عقل هذا الرجل الوطني الموهوب ذلك لانه تعاون معي في نطاق خدمة المجمع وكان شيئا لم يقع من قبل؛ وكرس جريدته الراصد للتكلم بلسانه .

وكان اول عمل باشره المجمع بعد ذلك تطبيق نظامه الداخلي الموضوع في العام الفائت بتوزيع تقسيم اعضائه على أربع لجان عهد الى كل منها ان تعمل بجد ونشاط ضمن نطاق المهمة الموكولة اليها وهي :

اللجنة الاولى « الادارية » ومهمتها القيام بالاعمال الادارية ، وتحضير الموازنة المالية كل عام . وكانت تتالف من السادة : محمد جميل بيهم ووديع عقل وابراهيم المنذر .

اللجنة الثانية « اللغوية » ومهمتها التدقيق في وضع الكلمات والمصطلحات للمعاني العلمية الجديدة والمسميات الحديثة . والتعاون مع المجامع العلمية العربية الاخرى توصلا لوضع معجم يوفي حاجة العصر . وكانت تتالف من الشيخ منير عسيران ، والشيخ ابراهيم المنذر والياس بك فياض والشيخ امين تقي الدين .

اللجنة الثالثة « لجنة التاريخ والجغرافيا » وعهد اليها بالاضافة الى التحقيقات التاريخية وضع معجم جغرافي للبنان على اسلوب علمي حديث . وكانت تتالف من الاساتذة اسد رستم ، وبولس الخولي ، والخولي جرجس ستيتي ، والسيد علي الزين ومحمد جميل بيهم .

اللجنة الرابعة « لجنة المخطوطات » وعهد اليها بوضع احصاء عام للمخطوطات العربية في الجمهورية اللبنانية ، وترتيب تدوينها على طريقة علمية تسهيلا لمراجعتها . وكان قوامها الشيخ احمد عمر المحمصاني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، وجورجس بك صفا .

وقد قامت هذه اللجان بما عهد اليها على خير وجه في جو من التعاون والوئام ورفعت الى المجمع تقاريرها لتكون اساسا للبحث والاقرار ، ومن ثم للتنفيذ .

تقرير اللجنة الادارية :

تناول التقرير الاوضاع العلمية والادبية في البلاد العربية ولاسيما لبنان، كما تناول انشاء المجمع العلمي اللبناني واعماله منذ نشاته حتى ذلك التاريخ، واشار الى ما عقد العزم على تحقيقه في تلك السنة وما بعدها. ولاسيما في حقل توثيق العلاقات بينه وبين المجامع العربية الاخرى . كما انه اشار الى بعض الدعوات الخارجية التي وردت له، وعلى راسها دعوة المجمع الادبي العام في باريس .

تقرير اللجنة اللغوية :

بعد ان اكد التقرير ضرورة التعاون مع سائر المجامع العلمية العربية ، وبعد ان اشار الى آراء طائفة من اكابر كتاب العرب بشان اصلاح اللغة توصلت اللجنة الى الاستنتاج بأن هؤلاء على خلاف في وجهة المسير . فبينما يقبل بعضهم ما يقرره الافراد المعنيون باللغة فان البعض الآخر كان يرى ان للمجامع وحدها الحق في وضع الكلمات الجديدة. وقال التقرير في التعليق على ذلك بناء على ما تقدم راى المجمع العلمي اللبناني قبل ان يجزم في هذا الشان ان ينتدب رئيسه الحالي الاستاذ جميل بيهم فيقصد مصر ، ومصر اليوم قلب العالم العربي النابض ، ويسعى لايجاد صلة بين الهيئات اللغوية والمجامع العلمية في الاقطار العربية تمهيدا لعقد مؤتمر عام يجتمع في كل سنة لاجل التعاون والتفاهم على الطرق السوية لترقية اللغة العربية .

ولقد سافر الاستاذ الرئيس الى مصر فقابل وزير المعارف ، وصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وبسط لهما مهمته فلقي منهما الارتياح التام . ثم اخذ يبث الدعوة بين جمهور المفكرين العاملين . وساعده على ذلك بعض اهل الفضل والوجاهة بما عقدوه من حفلات لهذه الغاية . وقبل مغادرته مصر تالفت لجنة في القاهرة من كبار مفكريها وعلمائها جعلت همها السعي لتحقيق هذه الغاية . ولم يطل العهد حتى نقلت الينا الصحف البشرى بانشاء المجمع المصري للثقافة العلمية وترقية اللغة العربية »

وبعد ان اشار التقرير الى البيان الوافي الذي وضعه سنة 1928 الشيخان عبد الرحمن سلام ، واحمد عمر المحمصاني فى كيفية المحافظة على اللغة العربية ، واوجزه بما ورد فى الختام : «لذلك نرى ان باب الاشتقاق فى اللغة العربية يجب ان يفتح على مصراعيه توصلا الى استخدام الافعال والصفات المتعلقة بها حسب مقتضيات العصر ، فيتسع بذلك مجال الانشاء ، ولا يعاني طلاب العلم والكتاب ما يعانون من المشاق والمصاعب » ومضى يقول : « وسننظر فوق ما تقدم فى اصول اللغة ، اي قواعدها الاساسية المتخذة حجة لصحة الكتابة والانشاء . وهي فى كل فرع من فروع الصرف والنحو والعروض والبيان وغيرها لا تزال على حالها منذ وضعها الائمة لم يطرح منها باب ، ولا عدلت قاعدة لذلك شق تحصيلها على طلابها لانهم رزحوا تحت اعبائها ، وضاعوا بين المؤلفات الضخمة ، والآراء المتباينة ، والقواعد المعقدة التى يجب ان تطرح من كتب اللغة تسهيلا لتناولها . ولا يخفى ما فى تحقيق هذه الامنية من الصعوبة تجاه المتعنتين . ونحن نتوخى فى كل حال المحافظة على عظمتها وتعابيرها الشائعة مستعينين باقطابها المدققين العاملين الضاربين فى مشارق الارض ومغاربها » .

تقرير لجنة التاريخ والجغرافيا :

اشار التقرير الى اهتمام اللجنة بتاريخ لبنان وجغرافيته ليقف المواطن على احوال بلاده وقوفا صحيحا ويلم بكل ما فيها من المعالم والآثار بالاضافة الى تراجم كبار اللبنانيين الذين تركوا خير ذكر فى العلم والادب او الوجاهة مع العمل البناء ثم مضى يقول :

« لما كان العالم العربي فى الشرق والغرب فى حاجة الى المجامع الكاملة عن بلاده ترى اللجنة ان يعني المجمع فى بدء اعماله ، عناية خاصة ، بوضع معجم جغرافي لجميع البلدان والقرى والمزارع والانهار والجبال فى الجمهورية اللبنانية ، وان يكون لهذا المعجم الجغرافي مقدمات عامة فى جغرافية لبنان السياسية والاقتصادية والتاريخية مصحوبة ببعض مباحث فى جيولوجية لبنان ومناخه ونباته وحيوانه وذلك بالاستعانة بفريق من اساتذة الجامعتين الاميركية والفرنسية فى بيروت . فطلبنا الى حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي ان يتولى كتابة المقدمة التى تتعلق بجغرافية لبنان التاريخية ، والى الاب جبرائيل لوفنتك ان يكتب مقاله فى جغرافية الجبل الاقتصادية كما انا رغبنا الى بعض اساتذة الجامعة الاميركية فى بيروت ، وهم الفريد داي ، ويوليوي برون ، والدكتور وليم فانديك الكتابة فى جيولوجية لبنان ومناخه وحيواناته ونباته ومياهه . واما القسم الاكبر من العمل فى هذا المعجم ، وهو جمع حقائق عامة فى الجغرافيا والتاريخ عن البلدان والقرى والمزارع اللبنانية ، وترتيب هذه المباحث وتنسيقها وضبطها فقد شرعت به هذه اللجنة وطبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام . وفى كل منها حقول متنوعة تتناول المدن والقرى وعدد النفوس فيها والمذاهب ، والانهار والينابيع والجبال والمناجم والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ، ومواطن الآثار، واهم الحاصلات الزراعية والمنتوجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون عدا اماكن الاصطياف ، ورفعنا هذه الجداول الى وزارة الداخلية الجليلة لتامر بتوزيعها على المحافظين والمديرين والمختارين فى الجمهورية اللبنانية . وقد اعيدت الجداول المذكورة معباة ، وعهد بها الى هذه اللجنة لتصحيح ما يحتاج التصحيح . ولتنسيقها.»

تقرير لجنة المخطوطات العربية القديمة :

اشار التقرير الى الصعوبات التى تعترض من ينقب عن هذه المخطوطات ، ولاسيما لان اكثرها كان موزعا على مكتبات خاصة لم تصل بعد ايدي الباحثين للتحري عنها . واكثرها غير معروف لم يتسنى للجنة انها بدات باحصاء ما فى مدينة بيروت ، وانها ستشرع من بعد فى البحث عما يوجد فى غيرها من المخطوطات حتى اذا اكتمل العمل تنظم منه معجما محيطا ليسهل الرجوع اليه على ان يشمل هذا المعجم اشارة الى موضوع كل كتاب . والى الزمن الذى وضع فيه ، واذا كانت له مزية اخرى . وختمت اللجنة التقرير بذكر ما احصته فى مكاتب بيروت الكبرى من المخطوطات فكان كما يلي :

مكتبة الجامعة الامريكية :

183 مجلدا و 134 رسالة

مكتبة الآباء اليسوعيين :

245 مجلدا و 44 رسالة

دار الكتب الوطنية :

48 مجلدا	و	20 رسالة
476		198

وفي هذه المناسبة يطيب لي ان اذكر ان مكتبة المخطوطات في داري تحتوي على 41 مخطوطة بعضها ليس له نسخة ثانية في المكتبات الاخرى .

الى الامام في خدمة العرب والعربية

وقد استمع المجمع الى تقارير لجانه وناقشها ، وحث اعضاءها على المزيد من النشاط حبا بالقيام بالتبعة الملقاة عليهم على خير وجه . وقرر في الجلسة التي عقدها يوم 29 اذار 1929 تكليفي بأن اتصل بالمجمع العلمي العربي بدمشق من اجل التعاون على تحقيق فكرة المؤتمر اللغوي العام الذى كنت دعوت له في مصر فانجزت ما تقرر .

هذا وكانت جريدة البرق نشرت مقالا لصاحبها الاستاذ بشارة الخوري اقترح به على المجمع اكمال دائرة المعارف التي اصدر بعض اجزائها الاستاذ بطرس البستاني قبل حين فرحب المجمع بهذا الاقتراح وفوض الى اثنين من اعضائه : الشيخ عبد الرحمن سلام والاستاذ جرجس صفا ، لدرس هذا الموضوع وليقدم كل منهما تقريرا في الوسائل التي يمكن بها تحقيق هذا الاقتراح . وفضلا عن ذلك فقد قرر انشاء ناد يشتمل على مكتبة عامة ، ومجلة عربية على ان يجعل من هذا النادي دارا للمحاضرات ومحجا لطلاب المعرفة .

الغاء المجمع العلمي اللبناني :

كان بين الاستاذين المحاميين اميل اده والشيخ بشارة الخوري تنافس على الرياسات في عهد الانتداب وبعده . فلما خلف الاستاذ اده الشيخ بشارة على رئاسة الوزارة ، وهو رائد من رواد علمنة لبنان واعتماده على فرنسا لم ترق له اتصالات المجمع العلمي اللبناني بالمجامع العلمية واللغوية العربية . لذلك فوجيء المجمع في مهده بمرسوم صادر عن رئاسة الجمهورية مؤرخ في 3 شباط 1930 يقضي بالغائه تحت ستار التوفير على الخزينة . فكان لهذا المرسوم اثر سيء ، ولا سيما على اعضائه الذين كانوا يوفون الخدمة حقها ، ولا يريدون جزاء ولا شكورا ، فتقدموا استدعاء الى وزارة الداخلية بطلب الترخيص لهم لمتابعة العمل باسم المجمع المذكور دون الاعتماد المالي . ولكن المجمع اضطر فيما بعد الى التوقف لان مؤسسة كهذه عليها ما عليها من النفقات لا يطول عمرها اذا لم تمدها الحكومات بالمساعدة . ثم ما برح اعضاء المجمع ، الذين كانوا يشعرون بالفراغ ، يطالبون باعادته . وقد استجاب لهم المجلس النيابي عام 1944 . وقرر تخصيص مبلغ من المال لاعادة المجمع . ولكن الحكومات المتتابعة ضربت صفحا عنه فقضى نحبه هكذا قبل انطلاقه .



حول علم الترسيين (١)

ميزة البيان في نشأة الإنسان

كيف نشأت اللغة في المجتمع البشري؟

الأستاذ خليل عبدالله

المقــــدمــــة :

حادثة البيان عند الانسان من الحوادث الغامضة، والمثيرة جدا ، وهي ايضا مغرقة بالتعقيد . لا يكاد انسان اليوم يجد لها جوابا مقنعا .. حيث انها تتعلق بتاريخه الغامض . بعض الشيء ؛ كما يدور حولها تكهنات عديدة ، ويطرح على بساطها عدة اسئلة . هي :

اولا — كيف نطق الانسان الاول وابان عن مدركاته ؟..

ثانيا — بأية لغة نطق ؟ ..

ثالثا — هل كان لديه ذخيرة من الالفاظ اطلقها على افراد بيئته بمقتضى الحال ام انه تناول الفاظه من تلك البيئة ؟؟ ..

رابعا — هل كانت تلك اللغة الاولى التي دوت الفاظها على البسيطة هي ام اللغات . واصلها الاصيل؟.. أم ان لكل لغة نبعا مستقلا ؟..

الجواب عن هذه الاسئلة وامثالها . يحتاج الى جهد كبير لكي يوفيها الباحث حقها . ولانها مغرقة في الابهام . عميقة عمق التاريخ . ولابد لمن اراد ان يتحدث عنها من تتقصى كل ما قيل عن الانسان الاول، سواء من طريق نقلي او من طريق عقلي . او من طريق علمي ... وبعد استحضار الطرق واستقراء الادلة ؛ يبقى الراجح منها لبعض عناصر هذا البحث قائما على الاحتمال .

اذن لابد لنا من دراسة ما قاله التاريخ القديم . وما جاءت الكتب السماوية حول هذا الموضوع . كما لابد لنا من ان نحقق فيما وصل اليه علماء اليوم سواء في الجيولوجيا او في الفلك او في النفس او في الحياة والحيوان والنبات او في الفيزيولوجيا والذرة . وما شابه ذلك .. ثم نخرج بنظرية او اكثر حول هذا البحث لعل فيها نفعا للباحثين .. ومتعة للمتفكهين .

النظــــرة الحيـــوانيــــة :

لقد درجت اغلب علوم العصر وعلمائه في مختلف المجالات الطبيعية والحياتية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والكونية وغيرها كثير .. على تبني مبدا التطور . والبناء على اساس مذهب التطوريين .. فما هذا المذهب ؟ .. وماذا يقول ؟ .. وما هي نسبة الصواب فيما يقول ؟ ..

يعود هذا المذهب الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما اصدر ، داروين — (Darwin) كتابه المسمى ، اصل الانواع — سنة 1859 ، ومن ثم كتابه الثاني ، اصل الانسان — سنة 1871 ، . ومن ذلك الزمن تغيرت نظرة الانسان الى نفسه . والى

كونه والى تاريخه .. حيث دوت نظرية دارون معلنة ان الحياة قد تطورت من الخلية الواحدة الى الانسان المعقد .. وهذا الانسان قد تطور من حيوان سابق الى حيوان يشبه الانسان (القرد) الى انسان يشبه الحيوان (الحلقة المفقودة) . . الى الانسان .

ولقد حظيت هذه النظرية كل ثبات في نظر العلماء والعامة وساعدها عدة عوامل قوية في ميادين السياسة والحضارة والمعتقدات — لا مجال الى شرحها هنا — وتلقاها الجميع بذهول ثم بكل ترحيب . وحملها العامة والخاصة . العلماء والسوقة . بكل نشوة وعصبية فترة من الزمان ، بدون اعمال العقل وتحكيم الضمير.. وكان الزمان كفيلا باخماد هذه الثورة في النفوس .. ورجع هؤلاء الناس الى عقولهم ، وتناولوا النظرية من جديد ، بحثا وتدقيقا .. فكان منهم من ردها نهائيا. ومنهم من عدل فيها ، ومنهم من بقي ينفخ في رؤوس الناس لتقبلها ، مستهدفا بعض الغايات .. — او بالاحرى نفس الغايات التي وجدت النظرية بسببها — .

العالم الدارويني الحديث — جوليان هكسلي — يؤمن بالتطور كاستاذه دارون ولكن يخالفه بحيوانية الانسان . ويعتقد ان الانسان متفرد بيولوجيا وسيكولوجيا ويتطور على قاعدته الانسانية الخاصة لا على القاعدة الحيوانية . كما يرفع هكسلي من الانسان صفة المادية البحت ، ويلفت النظر الى عمل الفطرة الخلاقة في نفس الانسان (بيولوجيا) وان له خصائص لم تلاحظ في أي حيوان . ولهذه الخصائص آثار متفردة.

ولنستمع اليه يقول في كتابه (الانسان في العالم الحديث) — ترجمة حسن خطاب — « لقد تارجح الانسان كالخطار (البندول) فيما يتعلق بمركزه بالنسبة لبقية الحيوانات ، بين اعجابه الشديد او القليل بنفسه . يفصل بينه وبين الحيوانات هوة سحيقة جدا ، وحينا آخر هوة صغيرة جدا . »

« وبظهور نظرية دارون بدا الخطار (البندول) يتارجح عكسيا ، واعتبر الانسان حيوانا مرة اخرى.. ووصل الخطار شيئا فشيئا الى اقصى مدى تارجحه ، وظهر ما بدا انه النتائج المنطقية لفروض دارون . فالانسان كغيره من الحيوانات . ولذلك فان آراءه في معنى الحياة الانسانية ، والمثل العليا ، لا تستحق تقديرا اكثر من آراء الدودة الشريطية او بكتريا الباشلس . والبقاء هو المقياس الوحيد للنجاح التطوري . ولذلك فكل الكائنات الحية متساوية القيمة . وليست فكرة التقدم الا فكرة انسانية . ومن المسلم به ان الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة او الفار » .

« ولم تصغر الهوة هنا بين الانسان والحيوان ، نتيجة المبالغة في اعطاء الحيوان صفات الانسانية ، وانما نتيجة التقليل من الصفات الانسانية في الانسان.. ومع ذلك فقد ظهر منذ عهد قريب اتجاه جديد ، سببه في الغالب زيادة المعرفة واتساع نطاق التحليل العلمي»

« ان الخطار يتارجح ثانية : وتتسع الهوة بين الانسان والحيوان مرة اخرى .. وبعد نظرية دارون لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا (1) ولكنه بدا يرى نفسه حيوانا غريبا جدا . وفي حالات كثيرة لا مثيل له . وتحليل تفرد الانسان من الناحية البيولوجية لم يبلغ تمامه بعد .. وما هذا المقال الا محاولة لعرض مركزه الحالي ...

« واول خصائص الانسان الفذة ، واعظمها وضوحا ، قدرته على التفكير التصوري — التخيل — ولقد كان لهذه الخاصية الاساسية في الانسان نتائج كثيرة .. وكان اهمها نمو التقاليد المتزايدة — الناشئة من رصيد التجارب الانسانية — ومن اهم نتائج تزايد التقاليد — او اذا شئت من اهم مظاهره الحقيقية — ما يقوم به الانسان من تحسين فيما لديه من عدد وآلات .. وان العدد والتقاليد لهي الخواص التي هيات للانسان مركز السيادة بين سائر الكائنات الحية ... وهذه السيادة « البيولوجية » — في الوقت الحاضر — خاصية اخرى من خواص الانسان الفذة » (ص 5/3)

وهكذا يضع علم الحياة — الانسان — في مركز مماثل لما انعم به عليه كسيد المخلوقات .. كما تقول الاديان .. (2) » .

« ولقد ادى الكلام والتقاليد والعدد الى كثير من خواص الانسان الاخرى التي لا مثيل لها بين المخلوقات الاخرى ، ومعظمها واضح معروف » .

« والانسان لا مثيل له ايضا كنوع مسيطر . اذا انقسمت كل الانواع الاخرى المسيطرة الى مئات وآلاف كثيرة من الانواع المنفصلة ، وتجمعت في أجناس

وفصائل عديدة ومجموعات اكبر . اما الانسان فقد حافظ على سيادته من غير انقسام . ولقد تم تنوع سلالات الانسان في حدود نوع واحد .

« واخيرا فان الانسان لا مثيل له بين الحيوانات الراقية في طريقة تطوره .

« وللانسان خاصية اخرى بيولوجية ؛ وهي تفرد تاريخ تطوره .. ونحن الآن في مركز يسمح لنا بتعريف تفرد الانسان في تطوره . واما خاصية الانسان الجوهرية ككائن حي مسيطر فهي « التفكير المعنوي ».

ولقد كان بحثنا حتى الآن بطريقة عامة في خصائص الانسان من ناحية التطور والمقارنة . والآن نعود اليها ، ونبحث فيها وفي نتائجها بشيء من الاسهاب ..فاولا يجب الا يعزب عن بالنا ، ان الفرق بين الانسان والحيوان في العقل اعظم بكثير مما نظن عادة .. وكلنا على علم بقوة الغريزة في الحشرات . ولكنها تبدو عاجزة عن معرفة طرق جديدة . وليست الثدييات بافضل من ذلك .. بينما للتفكير عند الانسان اهمية بيولوجية كبرى حتى عندما تسود تفكيره العادة والمحاولة والخطأ . ولابد ان يكون سلوك الحيوانات عرفيا — اي انه ثابت في حدود ضيقة — اما الانسان فقد اصبح في سلوكه حرا نسبيا .. حرا في الاخذ والعطاء على حد سواء .. ولهذه الزيادة في المرونة نتائج اخرى سيكولوجية يتناساها رجال الفلسفة العقلية .. والانسان ايضا فريد في بعضها . فقد ادت هذه المرونة مثلا الى كون الانسان الكائن الحي الوحيد ، الذي لابد له ان يتعرض الى الصراع النفسي .. ومع ذلك فطبقا للآراء الحديثة توجد في الانسان اجهزة لتقليل النزاع الى اقصى حد ؛ وهي التي يعرفها علماء النفس بالكبت والقمع .

« وهذه الخواص التي امتاز بها الانسان ، والتي يمكن تسميتها — نفسية — اكثر منها — بيولوجية — تنشأ من خاصية او اكثر من الخواص الثلاث الآتية :

الاولى : قدرته على التفكير العام والخاص .

الثانية : التوحيد النسبي لعملياته العقلية، بعكس انقسام العقل والسلوك عند الحيوان .

الثالثة : وجود الوحدات الاجتماعية مثل القبيلة والامة والحزب والجماعة الدينية وتمسك كل منها بتقاليدها وثقافتها . (ص 32)

« وهناك نتائج ثانوية كثيرة لتطور العقل من مرحلة ما قبل الانسان الى مرحلة الانسان (3) وهي بلاشك فريدة من الناحية البيولوجية . ولنذكر منها العلوم الرياضية والمواهب الموسيقية ، والتقدير والابداع الفنيين ، والدين ، والحب المثالي ..

« ولكن لا يكفي هنا ان نحصي بعض اوجه النشاط . ففي الحقيقة ان معظم اوجه النشاط الانساني وخواصه ، نتائج ثانوية لخواصه الاصلية . وكذلك فهي فذة من الناحية البيولوجية .. وقد يكون لتفرد الانسان نتائج ثانوية اخرى لم تستغل بعد ..

« وبذلك يكون الانسان فريدا في احواله اكثر مما نظن الآن » انتهى كلام هسكلي .

واما العالم الامريكي : « أ . كريسي موريسون » فانه يرد على نظرية (النشوء والارتقاء) ردا علميا ويستبعد بالكلية اي ارتباط بين الانسان وبين الحيوان كما انه يستنكر ان يقوم الانسان هكذا لوحده ابتداء من الخلية وعلى مبدأ الصدفة ولنقرأ ما كتب هذا العالم في كتابه (Man does not stand alone) الذي ترجمه الى العربية محمود صالح الفلكي بعنوان (العلم يدعو الى الايمان) :

« ان القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة (الجينات) (ص 145) .

« لقد راينا ان « الجينات » متفق على كونها تنظيمات اصغر من الميكروسكوبية للذرات في خلايا الوراثة بجميع الكائنات الحية . وهي تحفظ التصميم، وسجل السلف ، والخواص التي لكل شيء حي . وهي تتحكم تفصيلا في الجذر والجذع والورق والزهر والثمر لكل نبات ، تماما كما تقرر الشكل والشعر والاجنحة لكل حيوان بما فيه الانسان » (ص 147) .

... « ويلاحظ ان جميع الكائنات الحية ، منفصل بعضها عن بعض بهوات كثيرة لا يمكن عبورها . حتى ان الحيوانات المتقاربة ينفصل بعضها عن بعض كذلك » .

« والانسان حيوان من رتبة الطليعة ، وتكوينه يشبه فصائل (السيميا) — الاورنجتان والغوريلا

والشمبانزي — ولكن هذا الشبه الهيكلي ليس بالضرورة برهانا على اننا من نسل اسلاف سيمائية من القرود ، او ان تلك القرود هي ذرية منحطة للانسان . ولا يمكن احد ان يزعم ان سمك القد (Cod) قد تطور من سمك الحساس (Haddock) وان يكن كلاهما يسكن المياه نفسها ، ويأكل الطعام نفسه ، ولهما عظام تكاد تكون متشابهة ... (ص 142)

« ان ارتقاء الانسان الحيواني الى درجة كائن مفكر شاعر بوجوده هو خطوة اعظم من ان تتم من طريق التطور المادي ، ودون قصد ابتداعي .

واذا قبلت واقعية القصد ، فان الانسان بوصفه هذا قد يكون جهازا .. ولكن ما الذي يدير هذا الجهاز؟ . لانه بدون ان يدار ، لا فائدة منه والعلم لا يعلل من يتولى ادارته . وكذلك لا يزعم انه مادي .

« لقد بلغنا من التقدم درجة تكفي لان نوقن بان الله قد منح الانسان قبسا من نوره ، ولا يزال الانسان في طور طفولته من وجهة الخلق ، وقد بدأ يشعر بوجود ما يسميه (بالروح) وهو يرقى في بطء ليدرك هذه الهبة ، ويشعر بغريزته بانها خالدة .

« واذا صح هذا التعليل — ويبدو ان المنطق الذي يسنده لا يمكن دحضه — فان هذه الكرة الارضية الصغيرة التي لنا ، وربما غيرها كذلك : تكسب اهمية لم يحلم بها احد من قبل . فعلى قدر ما نعلم قد تولد من عالمنا الصغير هذا ، اول جهاز مادي اضيف اليه من نور الله . وهذا يرفع الانسان من مرتبة الغريزة الحيوانية الى درجة القدرة على التفكير ، التي يمكن بها الآن ان يدرك عظمة الكون في اشتباكاته ، ويشعر شعورا غامضا بعظمة الله ماثلة في خلقه . (ص 187 — 188)

« ان اية ذرة او جزئية Atom, Molecule لم يكن لها فكر قط ، واي اتحاد للعناصر لم يتولد منه راي ابدا . واي قانون طبيعي لم يستطع بناء كاتدرائية . ولكن كائنات حية معينة قد خلقت تبعا لحوافز معينة للحياة هذه الكائنات تنتظم شيئا تطيعه جزئيات المادة بدورها . ونتيجة هذا وذاك كل ما نراه من عجائب العالم . فما هو هذا الكائن الحي ؟ .. هل هو عبارة عن ذرات وجزئيات ؟ اجل .. وماذا ايضا ؟ شيء غير ملموس ، اعلى كثيرا من المادة لدرجة انه يسيطر على كل شيء ومختلف جدا عن كل ما هو مادي مما صنع منه العالم ، لدرجة انه لا يمكن رؤيته ولا وزنه ولا قياسه . وهو فيما نعلم ليست له قوانين تحكمه . ان روح الانسان هي سيدة مصيره ، ولكنها تشعر بصلتها بالمصدر الاعلى لوجودها . وقد اوجدت للانسان قانونا للاخلاق لا يملكه اي حيوان آخر ، ولا يحتاج اليه . فاذا سمى احد ذلك الكيان بانه فضلة لتكوينات المادة ؛ لا لشيء سوى انه لا يعرف كنهه بانبوبة الاختبار ، فهو انما يزعم زعما لا يقوم عليه برهان .. انه شيء موجود ، يظهر نفسه باعماله ، وبتضحياته وبسيطرته على المادة ، وبالاخص بقدرته على رفع الانسان المادي من ضعف البشر وخطئهم الى الانسجام مع ارادة الله .. هذه هي خلاصة القصد الرباني . وفيها تفسير للاشتياق الكامن في نفس الانسان للاتصال باشياء اعلى من نفسه . وفيها كشف عن اساس حافزه الديني .. وهذا هو الدين » .. (ص 201 — 202) .

واما عالم الحياة (الكسيس كاريل) فانه يعتبر ان الانسان حدث فذ مميز وعالم فرد ليس له مثيل على ارضنا هذه ، كما يعتبر اننا لا نعلم شيئا عن هذا الانسان المجهول المعقد ، وذلك في كتابه (الانسان ذلك المجهول) وقد عربه السيد شفيق اسعد فريد .

ولننقل الآن بعض هذه المعاني :

« هناك تفاوت عجيب بين علوم الجماد وعلوم الحياة .. فعلوم الفلك والميكانيكا والطبيعة ، تقوم على آراء يمكن التعبير عنها ، بسداد وفصاحة ، باللغة الحسابية وقد انشأت هذه العلوم عالما متناسقا كتناسق آثار اليونان القديمة . انها تنسج حول هذا العالم نسيجا رائعا من الاحصاءات والنظريات .

« بيد ان موقف علوم الحياة يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، حتى ليبدو وكان الذين يدرسون الحياة قد ضلوا طريقهم في غاب متشابك الاشجار ، او انهم في قلب دغل سحري ، لا تكف اشجاره التي لا عداد لها عن تغيير اماكنها واحجامها فهم يرزحون تحت عبء اكداس من الحقائق ، التي يستطيعون ان يصفوها ، ولكنهم يعجزون عن تعريفها او تحديدها في معادلات جبرية . فمن الاشياء التي تراها العين في عالم الماديات، سواء كانت ذرات ام نجوما صخورا ام سحبا ، صلبا ام ماء .. امكن استخلاص خواص معينة كالثقل والابعاد الاتساعية .. وهذه المستخلصات — وليست

الحقائق العلية – هي مادة التفكير العلمي .. ملاحظة الاشياء تبدنا فقط بأقل صور العلم شأنا ، ونعنى بها الصورة الوصفية . فالعلم الوصفي يرتب الظواهر . بيد ان العلاقات التي لا تتغير بين الكميات غير القابلة للتغيير – اي القوانين الطبيعية – تظهر فقط عندما يصبح العلم اكثر معنوية . وما ذلك النجاح العظيم السريع الذي نراه في علمي الطبيعة والكيمياء الا لانهما علمان معنويان كميان . فعلى الرغم من انهما لا يدعيان انهما يكشفان القناع عن الطبيعة النهائية للاشياء فانهما يمداننا بقوة التنبؤ بحوادث المستقبل . وتقرير كيفية وقوعها طبقا لارادتنا . وبتعلمنا سر تركيب المادة وخواصها استطعنا الظفر بالسيادة تقريبا على كل شيء موجود على ظهر البسيطة فيما عدا انفسنا ..

« ولكن علم الكائنات الحية بصفة عامة – والانسان بصفة خاصة – لم يصب مثل هذا التقدم.. انه لا يزال في المرحلة الوصفية .. فالانسان كل لا يتجزأ . وفي غاية التعقيد . ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط له . وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه او في اجزائه ، في وقت واحد . كما لا توجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجي .

« ولكي نحلل انفسنا فاننا مضطرون الى الاستعانة بفنون مختلفة . والى استخدام علوم عديدة.. ومن الطبيعي ان تصل كل هذه العلوم الى راي مختلف في غايتها المشتركة . فانها تستخلص من الانسان ما تمكنها وسائلها الخاصة من بلوغها فقط . وبعد ان تضاف هذه المستخلصات بعضها الى بعض . فانها تبقى اقل غناء من الحقيقة الصلبة .. انها تخلف وراءها بقية عظيمة الاهمية ، بحيث لا يمكن اهمالها

.. « اننا لا نفهم الانسان ككل .. اننا نعرفه على انه مكون من اجزاء مختلفة وحتى هذه الاجزاء ابتدعتها وسائلنا . فكل واحد منا مكون من موكب من الاشباح

تسير في وسطها حقيقة مجهولة ..

« وواقع الامر ان جهلنا مطبق . فاغلب الاسئلة التي يلقيها على انفسهم اولئك الذين يدرسون الجنس البشري **تظل بلا جواب** ، لان هناك مناطق غير محدودة من دنيانا الباطنية ، ما زالت غير معروفة . فنحن لا نعرف حتى الآن ، الاجابة عن اسئلة كثيرة مثل :

كيف تتحد جزئيات المواد الكيماوية لكي تكون المركب والاعضاء المؤقتة للخلية ؟.

كيف تقرر « الجنيس » – ناقلات الوراثة – في نواة البويضة الملقحة ، صفات الفرد المشتقة من هذه البويضة ؟؟ .

كيف تنتظم الخلايا في جماعات من تلقاء انفسها مثل الانسجة والاعضاء ؟ فهي كالنمل والنحل تعرف مقدما الدور الذي قدر لها ان تلعبه في حياة المجموع، وتساعد العمليات الميكانيكية الخفية على بناء جسم بسيط ومعقد في الوقت ذاته .

« ما هي طبيعة تكويننا النفساني والفسيولوجي؟ اننا نعرف اننا مركب من الانسجة والاعضاء ، والسوائل والشعور . ولكن العلاقات بين الشعور والمخ ما زالت لغزا . اننا ما زلنا بحاجة الى معلومات كاملة تقريبا عن فسيولوجية الخلايا العصبية .. الى اي مدى تؤثر الارادة في الجسم ؟ كيف يتاثر العقل بحالة الاعضاء ؟ على اي وجه تستطيع الخصائص العضوية العقلية التي يرثها كل فرد ان تتغير بواسطة طريق الحياة والمواد الكيماوية الموجودة في الطعام والمناخ ، والنظم النفسية والادبية ؟ .

« اننا ما زلنا بعيدين جدا عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمي والعضلات والاعضاء . ووجوه النشاط العقلي والروحي .. وما زلنا نجهل العوامل التي تحدث التوازن العصبي ، ومقاومة التعب ، والكفاح ضد الامراض .

« اننا لا نعرف كيف يمكن أن يزداد الاحساس الادبي . وقوة الحكم ، والجراة .. ولا ماهي الاهمية النسبية للنشاط العقلي والادبي .. كذلك النشاط الديني

« اي شكل من اشكال النشاط مسؤول عن تبادل الشعور او الخواطر ؟..

« لاشك مطلقا في ان عوامل فسيولوجية وعقلية هي التي تقرر السعادة او التعاسة ، النجاح أو الفشل .. ولكننا لا نعرف ما هي هذه العوامل .. اننا لا نستطيع ان نهب اي فرد ذلك الاستعداد لقبول السعادة بطريقة صناعية .

« وحتى الآن فاننا لا نعرف اي البيئات اكثر صلاحية لانشاء الرجل المتمدين وتقدمه .

« هل في الامكان كبت روح الكفاح والمجهود ، وما قد نحس به من عناء بسبب تكويننا الفسيولوجي والروحي ؟؟

« كيف نستطيع ان نحول دون تدهور الانسان وانحطاطه في المدنية العصرية ؟

وهناك اسئلة اخرى لا عداد لها ، يمكن ان تلقى في موضوعات تعتبر في غاية الاهمية بالنسبة لنا .. ولكنها ستظل جميعا بلا جواب .. فمن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان ، غير كاف ، وان معرفتنا بانفسنا ما زالت بدائية في الغالب ... » (ص 13 – 18) .

« ان معرفة نفوسنا لن تصل ابدا الى تلك المرتبة من البساطة المعبرة ، والتجرد والجمال ، التي بلغها علم المادة . اذ ليس من المحتمل ان تختص العناصر التي اخرت تقدم علم الانسان .. فعلينا ان ندرك بوضوح ان علم الانسان « هو اصعب العلوم جميعا » .

« ان الفردية جوهرية في الانسان . انها ليست مجرد جانب معين من الجسم اذ انها تنفذ الى كل كياننا .. وهي تجعل « الذات » حدثا فريدا في تاريخ العالم.. انها تطبع الجسم والشعور . كما تطبع كل مركب في الكل بطابعها الخاص . وان ظلت غير منظورة .. » (ص 281) انتهى كلام كاريل .

هذا نموذج مصغر من الرد العلمي للنظرية القائلة بحيوانية الانسان ، واما من وجهة النظر السياسية فللنظرية فيها ميدان لا يستهان به الخصه فيما يلي :

ان حيوانية الانسان هذه – كما يزعمون – لها اصل اصيل في احد الكتب المقدسة لدى الطوائف اليهودية .. ولكنها حيوانية تختص فقط بالاميين غير اليهود ، فاليهودي هو الانسان فقط ، وهو من نسل ابيه آدم الذي خلقه الله بيده ، واما غير اليهودي فهو من اصل حيواني قد طوره الله الى شكل الانسان لكي يكون جديرا بخدمة شعب الله المختار ، هذا وقد اختلف الحاخامات حول اصل الاميين (غير اليهود) فقال بعضهم : من نطفة حصان .. وبعضهم قال من نطفة كلب وبعضهم وبعضهم .. ولكن (داروين) كان اذكى واعلم بالحيوان فوجد ان القرود هي اقرب هيكلا الى الانسان من غيرها من الحيوانات فانتشرت نظريته .

والتلمود يوحي لمن يقراه بانه كتاب الهيمنة المنشودة لدى اليهود على سائر الجنس البشري ، ولما كان هذا الامر شاقا وعسيرا ، اصبح لابد من اقناع الاميين بنظرياته وتعاليمه .. فكان ما قرره – ظنا – داروين من طريق استقرائي ناقص نظرية البسها مسوح العلم ، واوهم بها العالم على انها يقينية لا ترد .

ولكن ما علاقة داروين باليهودية وما علاقته بحيوانية الانسان الامي التي جاءت في كتاب قديم جدا لليهود ؟؟

ان داروين كان على خط التلمودية الحديثة (الصهيونية) من حيث يدري أو من حيث لا يدري ... والوثائق تشير كما اشارت الوثائق بأن داروين كان يسير بموجب ايحاءاتها .

وهذا ما تراناه في المقررات التي اتخذتها الجمعيات الصهيونية العالمية في مؤتمر – بال – عام 1897 .

وقد جاء في البروتوكول الثاني لهذه المقررات ما يلي :

.. « ان الطبقات المتعلمة ستختال زهوا أمام نفسها بعلمها . وستأخذ جزافا في مزاولة المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه اليها وكلاؤنا – رغبة في تربية عقولها حسب الاتجاه الذي توخيناه – .

« لا تتصوروا ان تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا ان نجاح داروين Darwin وماركس Marx ونيتشه Nietsche قد رتبناه من قبل . والاثر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الاممي (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا على التاكيد » (4).

وداروين لم يفعل شيئا سوى انه فلسف حيوانية الانسان التي وردت في التلمود في مواضع عديدة نجتزىء ببعضها في سطور :

« جاء في تلمود اورشليم ان النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان ..

« الامم الخارجة عن دين اليهود ليست كلابا فقط بل حميرا ايضا . وقال الحاخام — ابار بانيل — : ان الشعب المختار هو الذي يستحق الحياة الابدية واما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير . ولا قرابة بين اليهود وبين الامم الخارجة عن الدين اليهودي لانهم اشبه بالحمير ، وبيوت عبادة باقي الامم يعتبرها اليهود كزرائب الحيوانات وقال الحبر مناحم : ايها اليهود ، انكم من بني البشر لان ارواحكم مصدرها روح الله . واما باقي الامم فليست كذلك لان ارواحهم مصدرها الروح النجسة .

« وكان هذا راي الحاخام — اريل — ايضا لانه كان يعتبر الخارجين عن الدين اليهودي خنازير نجسة تسكن الغابات . فالخارج عن دين اليهود حيوان على وجه عام . سمه كلبا أو حمارا او خنزيرا .. والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان .

« وقال الحاخام — ابار بانيل — المراة غير اليهودية هي من الحيوانات وقد خلق الله الاجنبي على هيئة الانسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من اجلهم ، لانه لا يناسب الاميسر ان يخدمه ليلا ونهارا حيوان على صورته الحيوانية كلا . فهذا مناف للذوق والانسانية .

« فاذا مات خادم يهودي او خادمة وكانا من المسيحيين فلست ملزما بان تتقدم له التعازي باعتباره فقط انسانا ، بل باعتباره فقط حيوانا من الحيوانات المسخرة » (5) .

اذن فحيوانية الانسان التي نادى بها التطوريون هذا منطلقا .. ولابد للصهيونية التلمودية التي تبغي السيطرة على العالم من ان تثبت هذا في افهام الناس بطريق سحري تتقبله العقول الضعيفة وجماهير الناس لتنطلق بهذا المفهوم بكل حرية محطمة قيود القيم الثابتة والاخلاق السامية والرسالات القومية .. وتعيش بالتالي كالحيوانات ، تاكل وتتمتع بانواع الشهوات واللذائذ بلا رقيب ولا حسيب . وعندما تصل هذه الحيوانات — بالتشبه — الى درجة الفوضى والضياع يسهل قيادها وتلين قناتها لارباب الصهيونية

وبعد ، فالزعم القائل بحيوانية الانسان وتطوره من الخلية الواحدة ، هو زعم فاسد ولا رصيد له من الواقع ، وقد رده العلم والعقل معا .. وعليه فهو غير جديد بان يكون اساسا لبحث ، ميزة البيان في شان الانسان ، او غيره من الابحاث العلمية الجادة الهادفة.

ونتيجة لهذا البحث العلمي يتقرر معنا الآتي .. :

1 — الانسان مخلوق فذ .

2 — حادثة وجود الانسان على الارض حادثة فذة غير مكررة .

3 — الانسان متميز عن الحيوان نفسيا وجسديا .

4 — لا تماثل بين الانسان والحيوان والشبه العضوي او الهيكلي ليس دليلا على كون احدهما من الآخر .

5 — الفطرة ثابتة عند الانسان منذ كانت وان تغيرت صور الدوافع فيها .

6 — ويمتاز بـ ، التفكير التصوري ،

7 — ولديه امكانيات اجتماعية واقتصادية وسياسية كامنة في فطرته منذ كان .

وهذا يعني ان الانسان وجد دون مقدمات ويتمتع بنفس الميزات التي لديه الآن — وان تغيرت وتطورت مظاهرها الخارجية وصورها — وميزة البيان من الميزات العديدة التي تميز الانسان عن الحيوان ... ولما كان هذا شان الانسان اصبح من الضروري ان يكون ناطقا مدركا ، اي مبينا ، منذ وجوده الاول لكي يعبر عن مكنونات فطرته ويبين بواسطتها عن احساساته ومدركاته ، ويحقق بموجبها غاية وجوده .

فيكف نطق الانسان الاول فهذا ما سوف نحقق فيه الى جانب تثبيت ما نتج معنا في هذا الفصل . وذلك عند استنطاق التاريخ بما فيه من روايات مختلفة . في الفصل الثاني :

النظــــرة التاريخيــــة :

لو عدنا الى اعماق التاريخ لنسال عن الانسان وكيف كان ؟ . فسوف نجد ضالتنا المنشودة .. وذلك بالرغم من تضارب الروايات واختلاف الاخبار .. الا اننا نلمح من خلالها خطا عريضا ينتظم الكل . مع بعض التفرعات . كما نلمح واديا عميقا تسير في شعبه فكرة واضحة عن نشاة الانسان .

فالاخبار التي تناقلها نسابو العرب في الجزيرة العربية وغيرها تشبه الى حد كبير ما نقله المؤرخون الفرس ، وهذه بالتالي قد تختلف كثيرا وخاصة في اصولها عما حكاه اهل التوراة (في العهد القديم) .. وهذه وتلك وهاتيك تكاد تكون مماثلة لاخبار الامم السابقة التي ذكرها القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية .

ولقد استطاع المؤرخون العظام في ظل الدولة الاسلامية وفي قمة العصور الذهبية للفكر والتاليف ، امثال ابن الاثير وابن جرير الطبري وابن كثير وابن عساكر وابن خلكان وابن خلدون وغيرهم كثير ... **ان يجمعوا الروايات المختلفة والاخبار المتضاربة عن تاريخ البشرية ونشاة الانسان** فحققوا فيها تحقيقا علميا دقيقا ووضعوا بين ايدينا الراي الراجح والخط الواضح لنشاة الانسان .

وسوف نكتفي بتتبع بعض النصوص التاريخية الماخوذة عن تاريخ واحد من اوثق التواريخ . من تاريخ الرسل والملوك (6) لمؤلفه ابي جعفر محمد بن جرير الطبري (224 — 310 هـ) . هذا التاريخ الذي بنى عليه وعلى امثاله مؤرخو اليوم كثيرا من مؤلفاتهم وتواريخهم وابحاثهم التاريخية .

قال ابن جرير في معرض كلامه عن استكبار ابليس في الارض وهلاكه :

« وقد قيل : ان سبب هلاكه ، كان من اجل ان الارض كان فيها قبل آدم الجن ، فبعث الله ابليس قاضيا يقضي بينهم ، فلم يزل يقضي بينهم بالحق الف سنة حتى سمي حكما ، وسماه الله به ، وأوحى اليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبر ، فتعاظم وتكبر ، والقى بين الذين كان الله بعثه اليهم حكما ، الباس والعداوة والبغضاء ، فاقتتلوا عند ذلك في الارض الفي سنة فيما زعموا ، حتى ان خيولهم تخوض في دمائهم ، قالوا : وذلك قول الله تبارك وتعالى : (افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد — سورة ق 15) وقول الملائكة : (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء — البقرة 30) فبعث الله تعالى عند ذلك نارا فاحرقتهم . قالوا : فلما راى ابليس ما نزل بقومه من العذاب عرج الى السماء ، فاقام عند الملائكة يعبد الله في السماء مجتهدا ، لم يعبده شيء من خلقه مثل عبادته ، فلم يزل مجتهدا في العبادة حتى خلق الله آدم، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان » (ص 88 ج 1)

وفي معرض القول عن خلق آدم عليه السلام :

« وكان مما حدث في ايام سلطانه وملكه (يعني ابليس) خلق الله — تعالى ذكره — ابانا آدم أبا البشر ، وذلك لما اراد جل جلاله ان يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء ابليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة ، واراد اظهار أمره لهم حين دنا أمره للبوار وملكه وسلطانه للزوال ، فقال — عز ذكره — لما اراد ذلك للملائكة : (اني جاعل في الارض خليفة) فاجابوه بان قالوا له : (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء — البقرة 30) فروى عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك كذلك للذين قد كانوا عهدوا من أمر الجن كانوا سكان الارض قبل ذلك ، فقالوا لربهم جل ثناؤه لما قال لهم : (اني جاعل في الارض خليفة) اتجعل فيها من يكون فيها مثل الجن الذين كانوا فيها فكانوا يسفكون الدماء ويفسدون فيها ويعصونك ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، فقال الرب — تعالى ذكره — لهم : (اني أعلم ما لا تعلمون) يقول : اعلم ما لا تعلمون من انطواء ابليس على التكبر ، وعزمه على خلافه أمري ، وتسويل نفسه له الباطل واغتراره وانا مبد لكم منه لتروا ذلك منه عيانا ..

« فلما اراد الله عز وجل ان يخلق آدم عليه السلام امر بتربته ان تؤخذ من الارض .. كما حدثنا ابو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن ابي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : ثم أمر — يعني الرب تبارك وتعالى — بتربة آدم فرفعت ، فخلق الله آدم من طين لازب — واللازب اللزج الطيب — من حما مسنون ، منتن ، قال : وانما كان حما مسنونا بعد التراب ، قال: فخلق منه آدم بيده » — ص 89 — 90 ج 1 —

« حدثنا ابن حميد قال : حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن ابي المغيرة عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث رب العزة — عز وجل — ابليس، فاخذ من اديم الارض ، من عذبها وملحها ، فخلق منه آدم ، ومن ثم سمي آدم ، لانه خلق من اديم الارض ، ومن ثم قال ابليس : (أاسجد لمن خلقت طينا — الاسراء 61) اي هذه الطينة انا جئت بها . » — ص 90 / 91 ج 1 —

« وذكر ان الله تعالى ذكره لما خمر طينـة آدم تركها اربعين ليلة ، وقيل اربعين عاما جسدا ملقى » — ص 92 ج 1 —

« فلما نفخ فيه الروح اتته الروح من قبل راسه، فيما ذكر عن السلف قبلنا انهم قالوه .. » — ص 94 ج 1 .

« ثم علم الله — عز وجل — آدم الاسماء كلها . واختلف السلف من اهل العلم قبلنا في الاسماء التي علمها آدم : اخاصا من الاسماء علم ، ام عاما ؟ فقال بعضهم : علم اسم كل شيء .. » ص 96 ج 1 .

« حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا ابي ، عن سفيان عن خصيف، عن مجاهد : (وعلم آدم الاسماء كلها ، قال : علمه اسم كل شيء .. » ص 93 ج 1 .

« حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : قوله عز وجل : (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم الحكيم) قال : يا آدم انبئهم باسمائهم » : فانبا كل صنف من الخلق باسمه ، والجاه الى جنسه » . (98)

« وقد قيل : ان الله جل جلاله قال ذلك للملائكة لانه جل جلاله لما ابتدا في خلق آدم قالوا فيما بينهم : ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق ، فلن يخلق خلقا الا كنا اعلم منه ، واكرم عليه منه ، فلما خلق آدم عليه السلام وعلمه أسماء كل شيء عرض الاشياء التي علم آدم اسماءها عليهم ، فقال لهم : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في قيلكم : ان الله لم يخلق خلقا الا كنتم اعلم منه ، واكرم عليه منه » (ص 100 ج 1)

هذه النصوص عينة بسيطة من النصوص التاريخية التي تكاد تتفق جميعها على خط واحد ، هو ان الله — جل ذكره — **تلك القوة العظمى الفاعلة** في هذا الكون فيما ندرك وفيما لا ندرك ، والتي لا يعقل شيء البتة بدونها ، كما لا تعقل نتيجة ما بدون مقدمات ، ولا معلول بدون علة ، ولا بناء بدون بناء، ولا مخلوق يتصف بالبداية والنهاية بدون خالق يتصف بالقدم والازلية .. اقول هو ان الله — جل ذكره — **اراد ان يخلق .. فخلق ..** فكان آدم ابو البشر باحسن الصور وافضل الصفات العقلية والجسدية التي تخوله القيام بمهام الخلافة في الارض وعمارتها ، لذلك كان — منذ كان — بشرا سويا مدركا مفكرا ناطقا له عينان ينظر بهما وله اذنان يسمع بهما وله انف يشم به وله لسان ينطق به وله يدان يبطش بهما ورجلان يمشي عليهما لاكتساب معيشته وتحقيق غاية وجوده .

ولكن هذه النصوص قد اعتمدت على النقل — غالبا — ولم تعالج الفكرة من وجهة عقلية . فهل عندنا **من نص تاريخي يتكلم في عقلانية هذا الموضوع؟؟** لنرجع اذن ، الى العالم الفذ والمؤرخ الفيلسوف ، واضع علم الاجتماع ، واستاذ من كتب فيه من بعده.. الى البحاثة المسلم ابن خلدون .. حيث يؤمن بما آمن به غيره من المؤرخين بان الله هو الذي خلق آدم وان آدم خلق كاملا ، واودعت فيه فطرة معينة تميزه من غيره من المخلوقات كما له صفات نفسانية لا يتمتع بها اي حيوان آخر ويتجلى ذلك بالتفكير والتصور اللذين يتمتع بهما الانسان .. كما تجعله هذه الفطرة اجتماعيا يالف الآخرين فينظم مجتمعه وبيئته على ضوء هديها.

قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه : (7) .

« الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات » (الاولى) في ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : **الانسان مدني بالطبع** ، اي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم . وهو معنى العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الانسان ، وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء ، وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله ، الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ، ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ ، وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري . هب انه يأكله حبا من غير علاج فهو ايضا يحتاج في تحصيله حبا الى اعمال اخرى اكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل. ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنائع كثيرة اكثر من الاولى ويستحيل ان توفى بذلك كله او بعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثير من ابناء جنسه

ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف ، وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا فى الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطباع فى الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرة الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل اضعاف من قدرته . ولما كان العدوان طبيعيا فى الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمدافعته ما يصل اليه من عادية غيره . وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الالات التي تنوب عن الجوارح المعدة فى سائر الحيوانات للدفاع مثل الرياح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النائبة عن المخالب الجارحة والتراس النائبة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس فى كتاب منافع الاعضاء . فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ، ولا تفي قدرته ايضا باستعمال الالات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلابد فى ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ، ولا تتم حياته لما ركبه الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء فى حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء والسلاح للمدافعة ، وتمت حكمة الله فى بقائه وحفظ نوعه فاذن الاجتماع ضروري للنوع الانساني والا لم يكمل وجودهم **وما اراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم،** وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم ، وفى هذا الكلام نوع اثبات للموضوع فى فنه الذي هو موضوع له . وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر فى الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع فى ذلك العلم . فليس ايضا من الممنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضله . ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست آلة السلاح التي جعلت دفعه لعدوان الحيوان العجم عنهم كافية فى دفع العدوان عنهم لانها موجودة لجميعهم فلابد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم **لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم** فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان **وهذا هو معنى الملك** ، وقد تبين لك بهذا انه **خاصة للانسان طبيعة ولا بد لهم منها** ، وقد يوجد فى بعض الحيوانات العجم — على ما ذكره الحكماء — كما فى النحل والجراد ، لما استقرىء فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنها فى خلقه وجثمانه ، الا ان ذلك موجود لغير الانسان **بمقتضى الفطرة والهداية ، لا بمقتضى الفكرة والسياسة** ، اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات **النبوة بالدليل العقلي ، وانها خاصة طبيعية للانسان** فيقررون هذا البرهان الى غايته ، وانه لابد للبشر من الحكم الوازع ، ثم يقولون بعد ذلك ، **وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ياتي به واحد من البشر** ، وانه لابد ان يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزييف ، وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه ، ان الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه او بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته ، فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب ، فانهم اكثر اهل العالم ، ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والاثار فضلا عن الحياة ، وكذلك هي لهم لهذا العهد فى الاقاليم المنحرفة فى الشمال والجنوب (ولكن هذه الدول وهذه الحياة) بخلاف حياة البشر (فهي فى) فوضى (و) دون وازع لهم البتة (ووجود الوازع لهم) فانه يمتنع . وبهذا يتبين لك غلطهم فى (انكار) وجوب النبوات وانه (رايهم) ليس بعقلي . وانما (وجوب النبوات) مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية (8) .

النظــرة الواقعيـــة :

البرهان الرياضي يعتمد على مسلمات .

والبرهان الطبيعي يعتمد على موجودات (الظواهر الحسية) .

والبرهان التاريخي يعتمد على نظريات (الفرضية الظنية) ...

وغالب هذه الاسس (وسواها مما تبنى عليها العلوم صرحها) ، تتارجح ذات اليمين وذات الشمال، بين الظن واليقين ... بين الحتمية والاحتمال .. وبين الواجب والامكان .

فالبرهان الهندسي الذي يقوم على اساس مسلمات اقليدس هو غير البرهان الذي يقوم على اساس مسلمات لوبتشفسكي ، الذي اعتبر المكان على شكل السطح الداخلي للاسطوانة (تقول فرضيته : من نقطة خارجة عن مستقيم يمكن رسم خطوط لا حصر لها موازية لهذا المستقيم . ونتيجة لهذه المسلمة اصبح مجموع زوايا المثلث اقل من قائمتين ، ويمكن ان نتصور ان الخطين المتوازيين قد لا يلتقيان ابدا على خلاف ما قاله اقليدس) كما ان هذا وذاك غير البرهان الهندسي الذي يقوم على اساس مسلمات العالم الالماني ريمان ، الذي فرض المكان كرويا (تقول فرضيته : من نقطة خارجة عن مستقيم لا يمكن رسم خط واحد مواز لهذا المستقيم ؛ وفي مثل هذا المكان يمكن ان نتصور كل الخطوط متقاطعة لانها تكون شبيهة بخطوط الطول على الكرة الارضية ؛ تتلاقى وتتقاطع عند القطبين . ونتيجة لهذه المسلمة يصبح مجموع زوايا المثلث اكثر من قائمتين) . ونحصل بالنتيجة على هذا التقرير المتناقض منطقيا الصحيح عمليا : (مجموع زوايا المثلث تساوي قائمتين — اقليدس — مجموع زوايا المثلث اكثر من قائمتين — ريمان — مجموع زوايا المثلث اقل من قائمتين — لوبتشفسكي —) .

كما ان البرهنة على مبدا التقيد والحتمية في الطبيعة (هذا المبدأ هو الايمان بوجود نظام ثابت عام تخضع له جميع الظواهر في الطبيعة) لم تسلم من كونها قائمة على اساس الطريقة الاستقرائية (وهي تعميم الحكم الصادر على بعض افراد الفئة على جميع الافراد في الفئة ... اي الانتقال من المعلوم الى المجهول. وهذا يناقض قواعد المنطق القائلة : — صدق الحكم الجزئي ليس دليلا على صدق الحكم الكلي —) ولكن الذي دعم هذه البرهنة هو العقل الذي لا يقبل بان تسود الطبيعة الفوضى ، دعمها بالرغم من الوقائع المادية ، ايضا ، التي تثبت انفلات عالم الذرة من مبدا التقيد والحتمية ، وعدم امكانية تحديد وضع الكهارب وسرعتها في الوقت الحاضر .. (يقال ان تقيد الذرة جزئي .. بحيث لم يمكن دراستها عن كثب فهي كالقطة في الغرفة المظلمة ، فلا يستطيع الدارس تحديد موضعها الا باستعمال النور واشعال النور يتبعه خوف القطة وبالتالي تحركها عن موضعها ...) .

وكذلك اختلاف النظريات حول تاريخ الارض ونشاتها بين العلماء من فلكيين وجيولوجيين فلكل واحد منهم نظرية غير نظرية قرينه ، وكل نظرية من هذه النظريات هي مدرسة قائمة بذاتها ، وقد برهن عليها قائلها برهانا لا يحتمل الشك واورد عليها ادلة وشواهد لا تجاوز العقل .. واذا اقتنع هذا العقل بالبرهان على النظرية الواحدة تعرض عليه ، فسوف يشك اذا استعرضها جميعا على هذا الشكل غير المنطقي .. مثلا:

1 — اصل الارض كتلة ملتهبة انفصلت من الشمس.

2 — اصل الارض كتلة من كوكب ضخم انفجر في الفضاء ..

3 — اصل الارض تجمع غازات في الفضاء تجمدت فيما بعد .. وهكذا .. (

اذن استطيع ان اعرف البرهان بانه عملية سحرية ، الغاية منها ارضاء الغرور البشري .. بحيث ان الانسان والعقل الواعي فيه بالذات لا يستطيع ان يدرك دنيا بلا حدود ، ولا شيئا بلا بداية ونهاية ، ولا ان يدرك امرا غير ملموس بحواسه فياتي البرهان العلمي لكي يشبع هذا الغرور المتجدد فينا في كل لحظة نضع فيها قدمنا على باب جديد من ابواب الغيب والسر والكتمان ، التي تحيط بعالمنا العام والخاص من كل جانب ، ملتمسين بجوانب البرهان الراحة .. ولكنها راحة مؤقتة بحيث ما يثبته البرهان اليوم قد ينقده في الغد .

بالرغم مما تقدم ، كان لابد لي من ان اسير هذا المسار ، فاتخذ لبحثي اميزة البيان في نشاة الانسان) ، مسلمات معينة مع اساس فكري معين، انطلق منه واقيم البراهين على ضوئه ، بحيث ان لكل نظرية اسسا فكرية (ايديولوجية) معينة تقوم عليها .

وسوف لا يضير بحثي ان اسير به في ركاب علمائنا العظام الذين اناروا للبشرية طريقها في الحضارة ؛ ووضعوا لها الاسس الثابتة لمختلف العلوم — على الغالب — وهؤلاء العباقرة امثال : ابن

سينا، في الطب — وابن الهيثم في البصريات والضوء — والرازي وجابر الكوفي، في الكيمياء — وابن فرناس في الفلك والطيران — والفارابي في النفس والجبر والإعداد — وابن رشد، والغزالي، في الفلسفة والاشراق وما وراء الطبيعة .. وكثير غيرهم .. قد بنوا نظرياتهم العلمية على اساس النظرة الاسلامية العامة وانطلقوا منها ولم يتجاوزوا حدودها .

ولم يكن نهجي هذا قائما على اساس التقليد الاعمى، بل هو اعتقاد عقلي وتعصب علمي للاسباب التالية :

1) لا نستطيع أن نتصور هذا الانسان الدقيق باجهزته .. المعقد بتركيبه .. الهادف بفطرته .. الذي يتألف من مجموعة فعاليات روحية ومادية .. دون منهج يضبط خطاه على الارض دفعا للحيرة، ويحدد له معاني النور والاشراق في عالمه الخاص والعام دفعا للضياع في ظلمات النفس وعتمتها .

(.. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا — الآية 48 المائدة) .

فكان الدين هدية من الخالق الى المخلوق . وهداية له على درب القهر والاجبار .

(قال : ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى. الآية 50 طه) .

2) وهذا الانسان بما يملك من الاحاسيس والمشاعر الراقية، وبما ركب فيه من الدوافع الفطرية المتباينة .. مثل : دافعي : الحب والبغض — دافعي الخوف والغضب — دافعي التملك والجوع .. الخ. لا يمكن أن يسير هذا المركب العجيب بدون ناموس عام ثابت يعتقد به، ومنهج قويم لا ينحرف ولا يتأرجح يفسر له العلاقات بين هذه الدوافع المتناقضة من جهة وبين المشاعر والاحاسيس من جهة اخرى ..

(ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها .. (سورة الشمس .

منهج فيه معنى السمو والكمال، يسمح للبراهين العلمية أن تحوم حوله فتصيبه تارة وتخطؤه اخرى حتى تصل الى الحقيقة .

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق — فصلت 53) .

3) والاسلام الذي هو خاتم الديانات السماوية، واكملها تشريعا، واثبتها رواية ونقلا واقربها من انسان اليوم نزولا من السماء .. **هذا الاسلام قد برهن على صحته واثبت صدقه وتفوقه وموضوعيته على طول التجربة التي عاشها خلال اربعة عشر قرنا** . واذا كان هناك من يماري، ويجادل في غير حق، ويسلك سبيل السفسطائيين في الجدل العقيم، فسوف لايجد مناصا من الاذعان او السكوت على جهود امام النصوص الاسلامية التي كشفت الستر عن المستقبل فتكلمت عنه بايجاز احيانا وباسهاب احيانا اخرى، وكذلك النصوص التي جاءت تستشهد بالظواهر الكونية كدليل على عظمة الله : لم تتجاوز هذه النصوص الحقائق العلمية المثبتة حتى عصرنا هذا، والامثلة على ذلك وفيرة ويجدها كل من استقرأ النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الصحيحة وكان على جانب من الاطلاع والمعرفة وبعد النظر والانصاف .. وسأثبت بعضها هنا للاعجاز ..

أ — في الاشارات الفلكية والحقائق الكونية :

1) الارض تدور .. قال تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء .. — النمل —)

2) والكواكب والنجوم كلها تدور .. (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون . — يس —) . والتنوين في (كل) عوضا عن الاضافة التي هي بمعنى كل ما في الفضاء .. وكلمة يسبحون تدل على مادة العوالم الاصلية (الاثير) التي يسبح بها كل شيء .

3) العوالم منظومات من الكواكب المتجاذبة .. (والسماء ذات الحبك — ومالها من فروج — وفي مطلع سورة الملك : .. الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) .

4) المطر من الارض والى الارض .. (.. والارض بعد ذلك دحاها . اخرج منها ماءها ومرعاها ..)

5) والمطر يهطل من السحاب المتراكم .. (الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله — النور 43 —) الــودق : المطر .

6) والرياح هي التي تسوق الغيوم .. (الله الــذي يرسل الرياح فتثير سحابا ، فيبسطه في السمــاء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخــرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده ، اذا هم يستبشرون — الروم 49 —) .

7) والارض بعدما تشكلت طبقاتها نهضت فيهــا سلاسل متعددة من الجبال لكي تتماسك تلــك الطبقات فلا تنزلق وبالتالي لتتوازن الارض وتستقر الحياة عليها ..

(والجبال اوتادا — والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون — الحجر — والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهــارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون — النحل —) . وفي الآيات الآتية يلاحظ الانسجام بين مفهومنا وبين مفهوم احدث النظريات الجيولوجية حول بعض المراحل التكوينية التي مرت بها الارض ..
(.. والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءهــا ومرعاها . والجبال ارساها . متاعا لكم ولانعامكم — النازعات —)

8) الطيران في الاجواء العالية يؤثر على جهــاز التنفس وجهاز دوران الدم ، فيرفع الضغط ويعيق التنفس ، ويصحب ذلك امراض نفسية وجسدية اخرى .. ولننظر الى هذه السورة البليغة المعبرة عن الواقع (.. ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقــا حرجا كأنما يصعد في السماء .. — الانعام 125 —) .

9) النفاذ من الجاذبية الارضية الى الفضاء ، ثــم من الفضاء القريب الى فضاء آخر هذا ممكن ولكن بشرط .. (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفــذوا لا تنفذون الا بسلطان .. — الرحمان —) .

10) الخطوط المرسومة على البصمات تختلف من انسان الى آخر ، وقد لا تتفق بصمتان لانسانين في العالم ، ولما اكتشفت هذه الخاصة استعملـت كعلامة مميزة يبصم بها الانسان على تقريراتــه وتوقيعاته . والقرآن الكريم قد اشار الى هــذه الخاصية في معرض القدرة والاعجاز فقــال : (.. ايحسب الانسان الن نجمع عظامه ، بلــى ، قادرين على ان نسوي بنانه .. — القيامة —) .

ب — اخبار الله تعالى بانتصار الروم على فــارس قبل تسع سنوات من الحادث :

الم . غلبت الروم في ادنى الارض . وهم مــن بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين . — روى ابن جرير — باسناده — عن عبد الله بن مسعود — قال : كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكــان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لانهم اهل كتاب وهم اقرب الى دينهم . فلما نزلت : « الم . غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهــم سيغلبون ، في بضع سنين » . قالــوا (اي المشركون) : يا ابا بكر ان صاحبك يقول : ان الروم تظهر على فارس في بضع سنين . قال : صدق . قالوا — هل لك ان نقامرك (اي نراهنك — وجاء في خبر آخر ان ذلك كان قبل تحريم الرهان بوصفه من الميسر) فبايعوه على اربع قلائص الى سبع سنين . فمضت السبع ولم يكن شيء . ففــرح المشركون بذلك ، فشق على المسلمين ، فذكر ذلك للنبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : (ما بضع سنين عندكم) : قالوا : دون العشر . قال (اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الاجل) . قال فما مضت السنتان ، حتى جاءت الركبان بظهور الــروم على فارس . ففرح المؤمنون بذلك (ويومئذ يفــرح المؤمنون بنصر الله) — الظلال ج 21 ص 25 .

ج — اخبار الرسول الكريم عن الحوادث التــي ستكون بعد وفاته :

1) بشر محمد صلى الله عليه وسلم بأن كنوز كسرى وقيصر ستنفق في سبيل الله .. (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد مات كسرى فلا كسرى بعده، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله . » — صحيح مسلم — كتاب الفتن — ج 8 ص 186 — .

وفي هذا اشارة الى السيادة التي ستحققها راية الله على ملك كسرى وقيصر .

2) لقد مرت فترة على المسلمين بعد استشهاد عمر رضي الله عنه مليئة بالفتن .. وقد اخبر عنها الرسول

(عن اسامة : ان النبي صلى الله عليه وسلم، اشرف على اطم من آطام المدينة ثم قال : « هل ترون ما ارى ؟ .. اني لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر » . — المرجع السابق 167 —

3) السبئية فئة ضالة اظهرت الاسلام وابطنت الكفر ترجع نسبتها الى عبد الله بن سبأ اليهودي . لقد عملت هذه الفئة بالبغي بين المسلمين ففرقت صفوفهم واوقعت الحروب بينهم وكانت سببا في قتل الكثير من الصحابة الكرام ، وقد اخبر الرسول عن قتل بعضهم :

(عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار : «تقتلك الفئة الباغية » — المرجع السابق —

4) عثمان بن عفان رضي الله عنه من المبشرين بالجنة وباستشهاد . فقد ورد ان الرسول كان مع ابي بكر وعمر وعثمان على جبل احد . فاهتز الجبل فقال الرسول مخاطبا الجبل « اثبت احد ان عليك الا نبي وصديق وشهيدان » . ومن الحديث الطويل المشهور الذي اخرجه البخاري (ان ابا موسى الاشعري استاذن لعثمان على رسول الله ، فقال الرسول : « ائذن له وبشره بالجنة معها بلاء يصيبه » . — البخاري ج 9 ص 69.

5) الحسن بن علي سبط رسول الله هو الذي اجهد على الفتنة وتبرها ومهد طريق الصلح بين المسلمين ولقد تنبا الرسول بذلك والحسن ما زال صغيرا . قال ابو بكرة : بينا النبي يخطب جاء الحسن فقال النبي صلى لله عليه وسلم : « ان ابني هذا سيد ، ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين . — المرجع السابق — .

6) لقد سادت شرعة الاسلام قرونا طويلة كانت خلالها تتارجح — كدولة — بين القوة والضعف ، وذلك بحسب الاناس الذين يمثلونها ، ويعتبر الغاء الخلافة الذي اعقبت اعلان الدستور في تركيا في عام 1908 على يد مصطفى اتاتورك والاتحاديين الاتراك آخر ضربة توجه الى الدولة الاسلامية ، حيث لم يقم لها قائم بعدها .. اللهم الا ما قام بحدود ضيقة جدا وفي اطراف متباعدة خلال السنين القريبة التي نعيشها ... ولكن الغالب على الممالك الاسلامية هو ما انتشر من دعاوي الالحاد والمادية والوطنية والقومية منذ الغاء الخلافة وحتى عصرنا هذا . وفي الحديث الآتي تحليل رمزي مسبق ومقتضب لهذه الفترة من التاريخ :

(قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت اساله عن الشر مخافة ان يدركني ، فقلت : يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن . قلت وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ .. قال : نعم دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها . قلت يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا ، قلت فما تأمرني ان ادركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو ان تعض باصل شجرة ، حتى يدركك الموت وانت على ذلك — البخاري — ج 9 ص 65 —) .

د — اخبار الرسول الكريم عن الحوادث التي تسبق قيام الساعة :

1) عندما نكث اليهود عهودهم مع رسول الله في المدينة قاتلهم وشتتهم في البلاد ، ولم يكن لهم بعدها دولة . ولكنه اخبر عن تجمع سيكون لهم ، وقتال سيقع بين المسلمين وبينهم ، فهناك عدة روايات في الصحاح وغيرها ، كل رواية لها ميزة وتنفرد باشارة ، ولكنها تجتمع كلها على ما ذكرت ، فمن هذه الروايات :

أ) (عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله » .) — صحيح مسلم ج 8 ص

188 — في هذا الحديث اشارة الى انهم هم المعتدون بالاضافة الى تجمعهم حيث لا يقاتل قوم الا ولهم دولة (وقد حدث) .

ب) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود . — المرجع السابق — اذا كان شجر الغرقد لا يزرع الا في فلسطين — كما قال لي قائل — ففي الحديث اشارة الى مكان تجمعهم ، ولعل هذا الشجر قد نسب اليهم لانهم اكثر الناس زراعة له في زمن معين ومكان معين .. ولقد شاهدت هذا الشجر على جبال الخليل فهو شجر قصير القامة كثيف الاغصان والاوراق ، اغصانه على تماس مع الارض مما يجعل له جيوبا تتسع للاختباء ، ويحمل ثمرا صغيرا بقياس حبة الفول اليابسة ، وهو قريب بالطعم من الخرنوب .

ج) ومن أعجب الاحاديث التي سمعتها — ولا اعلم مدى صحتها — هذا الحديث الذي يحدد مكان القتال بين اليهود والمسلمين :

« لتقاتلن اليهود على نهر يقال له الاردن انتم على شرقيه وهم على غربيه » .

واما الحديث عن الفئتين العظيمتين اللتين ستقتتلان ويكون بينهما مقتلة عظيمة . . وعن كثرة الزلازل والشرط وتقارب الزمان .. فالحديث عنها طويل وايراد الشواهد عليها وتحليلها ضرب من المحال في هذا البحث بالذات . وانما اثبت هنا حديثا نبويا ، عجبا ، يمدنا باليقين الذي لا تشوبه شائبة من صدق الاسلام وكون رسوله لا ينطق عن الهوى أن هو الا وحي يوحى .. هذا الحديث الذي وقعت أكثر فقراته ولمسنا وقوعها بايدينا وشاهدناه بام اعيننا قد قراته في كتاب (محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار — لسيدي الشيخ محيي الدين بن عربي) وهو من المطبوعات الاثرية بالخط الحجري في مكتبة استاذي الشيخ محمد أبي الفرج الخطيب .. هذا نصه :

(وروينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الحجة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بحلقة باب الكعبة ثم اقبل بوجهه على الناس فقال يا معشر المسلمين ان من اشراط القيامة اماتة الصلاة واتباع الشهوات وتكون امراء خونة ووزراء فسقة فوثب سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال ، بابي انت وامي يا رسول الله ان هذا ليكون . قال نعم يا سلمان ، وعندها يكون المنكر معروفا والمعروف منكرا قال : ويكون ذلك . قال نعم يا سلمان ، وعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى ولا يستطيع ان يغيره . قال او يكون ذلك ؟ قال نعم يا سلمان . ويؤتمن الخائن ويخون الامين ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ، قال أو يكون ذلك قال : نعم يا سلمان ان اولى الناس قوم المؤمن بينهم يمشي بالمخافة ان تكلم اكلوه وان سكت مات بغيظه . يا سلمان ما قدست امة لاتنتقم من قويها لضعيفها ، قال : أفيكون ذلك ؟ قال نعم يا سلمان . عندها يكون المطر قيظا والولد غيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيظ الكرام غيظا ، قال ويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان عندها يعظم رب المال ويباع الدين بالدنيا وتلتمس الدنيا بعمل الآخرة واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من أمتي لعنة الله ، يا سلمان عندها يلي أمتي قوم جثتهم جثة الناس وقلوبهم قلوب الشياطين ان تكلموا قتلوهم وان سكتوا استباحوهم لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا لساء ما يزرون وتوطأ حرمتهم ويجار في حكمهم عند ذلك تكون امارة النساء ومشاورة الاماء ونفوذ الصبيان على الناس وتكثر الشرط وتتحلى ذكور أمتي بالذهب ويتهاون بالزنا وتظهر القينات ويتغنى بكتاب الله وتتكلم الرويبضة ، قلت بابي انت يا رسول الله وامي ، وما الرويبضة ؟؟ قال : يتكلم في أمر العامة من لم يتكلم قبل ، قال او يكون ذلك يا رسول الله . قال نعم يا سلمان ، عندها تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتحلى المصاحف بالذهب وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والالسن مختلفة ونوالهم لعنة من اعطى على لسان من اعطى شكر ومن منع كفر قال او يكون ذلك قال نعم يا سلمان . عند ذلك ياتي سبايا من المشرق والمغرب تكون من أمتي فويل للضعفاء منهم وويل لهم من الله ان تكلموا قتلوا وان سكتوا قتلوا موت على طاعة الله خير من حياة على معصية الله ، قال ويكون ذلك ، قال نعم يا سلمان . عندها تشارك المرأة زوجها

في امره ويمق الرجل والده ويبر صديقه يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب علماؤهم شر من الجيفة قال او يكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سلمان . عندها تكون عبادتهم فيها فيما بينهم التلاوة لها فيــــا ولا بد يسمون في ملكوت السمـــوات والارض الانجــــاس الارجاس ، قال ويكون ذلك قال نعم يا سلمان . عند ذلك يتخذ كتاب الله مزامير وينبذ كتـــــاب الله وراء ظهورهم يعطلون الحدود ويميتون سنتي ويحيـــــون البدعة ولا يقام يومئذ بنصر الله لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية ويخطب كما تخطب النساء ويهيء كما تهـــيء المراة . عندها تقارب الاسواق قلت بابي انت وامي يا رسول الله وما تقارب الاسواق ، قال يقول لا ابيع ولا اشتري ولا رازق غير الله . يا سلمان عندها تليهـــــم الجبابرة ويمنعون حقوقهم ويملأون قلوبهم رعبا ، فلا ترى الا خائفا مرعوبا عند ذلك يرفع الحج فلا حج . يحج كبار الناس للهوى واوساط الناس للتجارة وفقراء الناس للرياء والسمعة ، قال او يكون ذلك قال نعم يا سلمان .« الحديث ، وسياتي معناه في هذا الكتاب مستوفى من حديث الكناني وقد انتهى المجلس مــــن محاضرة الابرار .. — ص 39 — 40 الجزء الاول —) .

وبعد ، فلا سبيل الى نكران الاسلام ، والموارية من سبيله المستقيم .. وخاصة بعد ان ثبتت صحته ، وتبين للقاصي والداني صدق نصوصه ومروياته .

لهذا كله جعلت الاسلام اساسا فكريا لبحـــــث (ميزة البيان في شأن الانسان) والله ولي التوفيق .

الانسان والبيـــــان :

اذا آمنا ان الانســــان مركب شديد التعقيد تسير كل خلية من خلاياه بنظام عجيب ، واذا علمنا ان عالم الفلك يعج بالكواكب والنجوم ، وانه يسير ايضا بنظام عجيب دقيق ، واذا قارنا بين هذا الانسان المذهـــــل التركيب ، وبين ذلك الكون بنظامــــــه الدقيـــــق ، وحجمه الواسع الشاسع ، لوجدنا ان الانسان مثاله كما قال حافظ ابراهيم :

« وما انا الا ذرة قد حوتها ذرة في فضاء ربي تدور »

اذن فالانسان لا يمكن ان يقوم بذاته ولابد من يد خفية وقوة لا يراها ولا يدركها قد اوجدته قهرا وسوف تخرجه من هذه الحياة قهرا وهي تتحكم بمصيره شاء

ام ابى ، وذلك ما اثبته ايضا ، اصحاب النظريـــــات العلمية في السابق وفي الحاضر كامثال العالم جمبس جينز — في الفلك — والعالم الدكتور اليكسس كاريل — في علم الحياة — والعالم انشتاين — في الــــــذرة والفضاء — .. الخ وبهذا يتحقق قول الله تعالـــــى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهـــم انه الحـــق) .

وهذا يتبعه بالعقل كون الانسان لم يترك سدى، ولا بد له من مرشد ودليل في خضم هذه الحياة الزاخرة بالمتناقضات (قال : فمن ربكما يا موسى ؟ ، قال : ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى .. — طه —) .

ولا بد هناك من خط عام وعميق في نفس الوقت لكي يسير عليه خليفة الله في ارضه .. فكان الكتـــاب (او قل القرآن .. وهو لغة الضم والجمع) الذي خطه القلم على اللوح المحفوظ من عالم الازل والذي علمه الروح الامين رسول الله الى الانبياء والمرسلين (جبريل عليه السلام) فكان ينزل باحكامه على الانبياء والرسل بحسب ما تحتاجه الامم والقبائل التي ينتمون اليها .

وفي خاتمة المطاف ضم القرآن وجمع كل هذا فسمي قرآنا ، وتمت به كلمة الله ومنهاج الله القويم لهذا الانسان .. فجاء الخطاب للبشرية : (اليــــوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) والدليل على هذا من كتاب الله جــل وعلا ، ايضا :

« الرحمان ، علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان »

هذه الآيات الرائعة ذات الوزن الموسيقي البديع تحمل اعمق المعاني ، وادق التعبير .

انها مطلع الاعلان العام — سورة الرحمان — الموجه الى العالمين الانسي والجني ، ومفتــــاح الخطاب في ساحة الوجود .

هذا الاعلان يذكر بالآلاء والنعم .. ويستجلب القلوب الى الصراط المستقيم .. ثم يهدد ويتوعد الذين يميلون عنه بالاخذ الشديد والعذاب الاليم ، وهو بين كل لفتة واخرى يسال على صيغة الاستفهام التقريري (فباي آلاء ربكما تكذبان) مكررا ذلك احدى وثلاثين مرة .. ويرد الثقلان بالقول : (ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد) (9) .

ولم ينس هذا الاعلان ان يذكر الانسان والجان باصل النشاة وخاتمة المطاف (كل من عليها فان) والذي يوجهنا اليه البحث من الفيض الطاهر العزيز لهذا الاعلان هو اصل النشاة وميزة البيان فنعود الى:

(الرحمن) .. اسم من اسماء الله الحسنى يفيد الرحمة العظمى التي اشتقت منها كل رحمة والتي تعود الى فضلها كل نعمة ويضاف الى فيضها كل منة كانت وستكون فاسم الرحمن اذن خليق بهذه البداءة، جدير بهذا المطلع في هذا الاعلان العام ..

(علم القرآن) .. هذه الاية جملة فعلية جاءت بصيغة الماضي - الفاعل فيها الرحمن جل وعلا ، والفعل الماضي (علم) يحتاج الى مفعولين فكان الاول (القرآن) والثاني محذوف تقدره كل مفسر بما الهمه الله والاغلب هو جبريل عليه السلام الذي كان ينزل بالوحي على الانبياء والرسل .

ومجيء هذه الاية (علم القرآن) قبل (خلق الانسان في هذا الوجود وتسلكه طريق الامن انما له دلالة على كون هذا العلم قد سبق خلق الانسان بالفعل .

والقرآن تلك النعمة العظيمة التي تحدد طريق الانسان في هذا الوجود وتسلكه طريق الامن والسكينة والنجاة : فلا يكون ضائعا في متاهات الكون والنفس ولا شريدا عن حضرة الروح .

لذلك كان القول وتعليمه جبريل قبل خلق الانسان .. (فلا اقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين) — الواقعة 75 — 80 — .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة — قال — وعرشه على الماء) . — الجزء 7 — باب القدر — .

ومن وصايا عبادة بن الصامت لابنه وهو على فراش الموت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان اول ما خلق الله القلم ، فقال له اكتب ، فقال رب وماذا اكتب ، قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ..) ذكر الحديث باكمله ابو داوود في سننه (10) .

(خلق الانسان) .. بصريح العبارة (خلق الانسان) لكي لا يضيع هذا الانسان في بحر التساؤلات والتكهنات .. خلق الله الانسان بكل ما فيه من اجهزة وخلايا وبكل ما معه من مواهب وصفات وميزات خلقه .. واوحى اليه بصريح العبارة ايضا مبينا لماذا سويا .. واوحى اليه بصريح العبارة ايضا مبينا لماذا خلقه . . (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . .) ويتعلق بالعبادة مفهوم المعرفة معرفة الله جل وعلا.

وكيف خلقه : (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون . يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون . ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون — السجدة — وسياتي معنى توضيح ذلك في قصة البشرية الاولى .

(علمه البيان) .. البيان هو التعبير والتوضيح وآليته كبيرة تبتدأ من الرئتين وما فيها من قصبات وحجرات الى الحنجرة ثم الاحبال الصوتية والحلق واللسان والاسنان وما يربط ذلك من اعصاب تتصل بالدماغ .

لماذا افردت ميزة البيان عن غيرها من صفات الانسان علما بان الآلية التي تؤدي اليه ، تقريبا هي نفس الآلية الموجودة في الحيوان الناطق (الببغاء — نوع من انواع الطيور) وموجودة ايضا في الحيوان الابكم (سائر الحيوانات) ..

وهنا سر الاعجاز الالهي ، يتجلى بهذا الافراد، فنفس الآلية تجعل من الحيوان مخلوقا ابكم لا يستطيع التعبير عما يجيش في صدره حيث لم نسمع على مدى التاريخ ان حيوانا واحدا قد نطق .

وهذه الآلية بالذات جعلت من الببغاء ذلك الطائر الاليف ، مخلوقا ناطقا ولكن بدون وعي ولا

ادراك ، وهنا ايضا لم يذكر لنا التاريخ على مداه ان ببغاء واحدا قد اجتاز مرحلة النطق الى مرحلة البيان والتعبير عما يختلج في حناياه مرحلة الفهم والادراك الصحيح . وشأن الببغاء شأن المردد الذي يرجع الصوت كما هو ويحاكيه فيما يسمع منه . وما عدا ذلك فلا نطق ولا كلام .

وبنفس الآلية كان الانسان مخلوقا ناطقا معبرا مدركا يبين عن احساساته بالنطق ويعبر عنها بالهمسات ويرسم خوالج نفسه بدفقات من الهواء تخرج من بين أسنانه ولسانه .

لهذا كله افرد البيان وميز في خلق الانسان (خلق الانسان .. علمه البيان) . لقد جعل الله لهذه الآلية سرا وميزة في الانسان ، فلو قال الله — وقوله الحق — خلق البيان : لقلنا : سوف ينطق الحيوان لانه يتمتع بنفس الآلية او لكان من الواجب ان تختلف آلية الحيوان عن آلية الانسان ، والواقع انها واحدة في الاثنين لاظهار القدرة والابداع مختلفة في النتيجة حيث مكنت الانسان من البيان الكامل ولم تمكن الحيوان الا من بعض الاصوات .

وثمة سؤال يطرح نفسه في هذا المجال : متى نطق ابو البشرية — آدم — هل كان ذلك عقب قيامه بشرا سويا أم انه عاش فترة زمنية بدون نطق ، والجواب : انه لا يعقل ان يكون ناقصا وخالقه يقول (وصوركم فاحسن صوركم ..) ولابد لهذا المخلوق من ان يتعامل مع بيئته بحسب ما رسم له من غايات واهداف ، والتعامل يكون مبتورا لو كان هذا المخلوق ابكم لا يدرك شيئا ولا يستطيع التعبير منه .

وآدم تعامل مع بيئته بالكلام والنطق منذ اول لحظة لدبيب الحياة في جسده والدليل على ذلك نستخرجه من قصة البشرية الاولى التي ذكرها الله بقوله الكريم :

(واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ، قالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انباهم باسمائهم قال : الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما تكتمون . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم — سورة البقرة — .

ومن سورة الاعراف : (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

من هذا السرد الخاطف لكلام الله تعالى في قصة البشرية الاولى نستخرج عدة ملاحظات تناسب موضوعنا اهمها :

1 — خلق آدم كان اعجازا للملائكة واظهارا لقدرة الله على تكوين مخلوق مادته من أحط العناصر ولكنه سام سمو الروح التي فيه ، عالم لامور لا تعلمها الملائكة الذين يزدونه بالعنصر ويتعالون عليه بالنور .

2 — ان ما غرس في فطرة آدم من دوافع اساسية تدفعه الى التعامل مع هذه الارض واكتشاف خيراتها وتحقيق خلافة الله فيها ، تلزمه ان يسمي كل شيء باسمه مما سيوضع تحت يديه، ومما يراه في بيئته ، فكان ان علمه الله أسماء كل شيء بطريق الالهام ، فلما نزل الى ساحة المبارزة مع الملائكة كان يجيب على كل سؤال ويسمي كل شيء ، والملائكة لا تستطيع ذلك ، وتمت كلمة ربك (.. الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) .

3 — ان فكرة الخلود ، والملائكية التين استطـاع بهما الشيطان ان يطغي آدم وزوجه وكذلك احساسهما بالخطيئة، وطلب العفو بالاستغفار، ومن ثم الرجوع والتوبة .. كل ذلك يتطلب لغة عالية ، ومنطقا رفيعا ، وبيانا اصيلا ، للتعبير منهـا .

اذن فالحقيقة الاولى ان الله خلق آدم وسواه بيديه على أحسن صورة واكمل شكل ناظرا سامعا ناطقا مبينا ، وانه نطق من اول لحظة تنسم فيها نسيم الحياة وتعامل مع بيئته وناسه باسمى لغة وادق تعبير ...

فسبحان الذي يقول للشيء — اذا اراده — كن .. فيكون . وصدق الله اذ امتن على الانسان بقوله : (الم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) .

والسؤال الذي يتردد في هذا المجال : ما هي هذه اللغة التي تكلم بها الانسان الاول ؟؟

اللغـة الام :

واوبة صغيرة الى التاريخ لنتصور من خلالها على شكل ممكن وتريب اول السلسلة البشرية منطلقين من آدم وهو ذكر فرد على الارض والى جانبه زوجه حواء الانثى الفردة .

فقد عاش آدم على الارض زهاء (1.000 سنة) وقد انجبت له حواء عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى . وبلغت ذريته في حال حياته قرابة (40 الف نسمة) في — بوذ — وقد اوصى قبل موته الى ابنه (شيث) . سار آدم في حياته على نهج الصحف التي نزلت عليه فهو اول نبي واول رسول واليه ترجع مبادىء علم كل شيء استلزمته حياة البشرية الاولى .. ومات قبل الطوفان بنحو (726 سنة) بعد ان ادى الى البشرية ما يلزمها من دواعي البقاء والاستمرار والتحسن . وبعد ما افرغ اوعية العلم الذي اودعه الله عنده .

واما (شيث) الابن الوصي فقد ولد في العام 130 من حياة ابيه آدم . عاش في مكة يحج ويعتمر، وجمع الصحف التي نزلت على ابيه وضمها الى الصحف التي نزلت عليه وهكذا كان شان الانسان بارتباطه بالسماء ففي كل فترة شيء جديد وعلوم جديدة تناسب الانسان في تطلعاته الجديدة فيضمها الى سابقتها ويسير على نهجها — وشيث النبي سار على هذا النهج ، وقام بالامر والنهي والدلالة على طريق السعادة . ويقال انه بنى الكعبة بالحجارة والطين . وهي اول بيت وضع للناس ، ولعل بناء هذا البيت كان **المحرك الاول لفكرة البناء التي اخذ** بها الانسان من عصور سحيقة ، كما ان (شيث) هو **المعلم الاول** في هذا الموضوع . **والبناء الاول** . ولد له نفر كثير ولكن الوصية كانت في ابنه (آنوش) .

وتتابع هذه السلسلة التي هي اصل البشرية فيما بعد فآنوش ولد له نفر كثير واما الوصي فهو ابنه قينان الذي ولد في العام (325) من حياة آدم ، وولد لقينان نفر كثير منهم (مهلائيل) وهو الوصي وولد لمهلائيل نفر كثير منهم (يرد) وهو الوصي وولد ليرد نفر كثير منهم (اخنوخ) وهو الوصي .

واخنوخ هذا هو ادريس النبي سمي ادريسا لدراسته الصحف التي نزلت على آدم وشيث ، **وادريس هو اول من نظر في علم النجوم والحساب ، وهو اول من خاط الثياب ولبس المخيط** .. فهو اذن من تلك المحركات التي نبهت الدوافع العميقة في الانسان على درب البناء والتطلع الى المستقبل وتحسين الوسائل التي بين يديه واكتشاف ما خبىء من اسرار في هذه الارض وما يحيط بها .

ولد لادريس خلق كثير وكانت الوصية لابنه (متوشلخ) وكذلك متوشلخ اوصى لابنه (لمك) . ولمك هذا هو ابو نوح الرسول . فكانت السلسلة من آدم الى نوح كما يلي :

آدم — شيث — آنوش — قينان — مهلائيل — يرد — ادريس — متوشلخ — لمك — نوح .

ولقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها كانت على ملة الحق . وانما وقع الكفر والفساد في القرن الذي بعث فيه نوح بالانذار والوعيد حيث كثر الفساد وشاع الكفر والالحاد .

ولد نوح في العام 126 من موت آدم اي في العام (1126) من حياة البشرية وقد ارسل الى قومه ، ومكث فيهم يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر زمنا

طويلا ، فما آمن معه الا قليل فدعا دعوته المدمرة التي شملت كل مخلوق على الارض ، ما عدا اهل السفينة (وقال نوح : رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا — نوح 26 — 27 —) .

امر نوح ببناء الفلك وعندما باشر فيها سخر قومه منه لانهم لم يتصوروا ان بناء ما سيعوم على وجه الماء ، وبهذا الفتح الجديد في عالم التجارة والعوم بالمنجور على صفحة المياه يكون نوح احدى الحلقات في سلسلة العلوم واصولها التي بنت عليها البشرية ، وما زالت تبني حضاراتها المختلفة .

« واصنع الفلك باعيننا ووحينا ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون . ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم . حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معه الا قليل .. وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم . وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ، قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين . وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي ، وقيل بعدا للقوم الظالمين . (هود) »

يتكلم علم الجيولوجيا عن اكثر من مرة طغت فيها مياه البحر والامطار الغزيرة على اليابسة فغمرتها كليا، وأحيانا تغمر اكثر أجزائها او بعضها ولكن مع اختلاف بين علماء الجيولوجيا حول تحديد تلك الازمنة الجيولوجية التي حدث فيها طغيان المياه على الارض وقرب تلك الحوادث من التاريخ البشري او بعدها منه .. وأذكر على سبيل المثال حادثتين مما يذكره علم الجيولوجيا :

1 — حدث طغيان بحري عام (طغيان العصر السينوماني) دلت عليه الاراضي الحوارية في مختلف الاصقاع . وذلك في منتصف الدور الحواري (الكريتاسي) وهو آخر ادوار الزمن الثاني الجيولوجي والذي تليه حقبة الحياة الحديثة .

2 — في دور الميوسين (الدور قبل الاخير من الزمن الثالث) تقلص البحر المتوسط الكبير (تيتيس) حتى اصبح اصغر رقعة من البحر المتوسط الحالي ؛ ثم طغت البحار على اليابسة فاتسعت رقعة البحر المتوسط واصبحت ابعاده شبيهة بابعاده الحالية واغلق من الشرق ، وذلك في البليوسين (وهو الدور الاخير من ادوار الزمن الثالث — الملقب بحقبة الحياة الحديثة) دور بدء ظهور الانسان على الارض .

هذه المقالة الجيولوجية تتراوح بين تطبي الظن واليقين حتى بين علماء الجيولوجيا انفسهم . واما الذي أومن به انا فهو ان الطوفان قد حصل ، وهو طغيان الماء على اليابسة بشكل عام ذلك الطغيان الذي دمر الحياة واغرق الاحياء والنبات ، ولا زالت الحفريات تكشف عن هياكل أحياء تلك الحقبة من ناس وحيوانات وعن اشجارها ونباتاتها المطمورة.. وما البترول وتركيبه المضوي سوى دليل واضح على تلك الاجساد التي اغرقت بالماء ، وطمرت عوامل الانجراف . حيث ثبت بالتحليل وجود مواد في البترول تنتج عادة من تحليل يخضور النباتات او خضاب الدم .

كما ان الزمن الذي حصل فيه الطوفان قريب من زمننا هذا وعلى بعد (4.500 — 5.500) وهذا الرقم يكاد لا يذكر أمام الارقام الخيالية التي يضعها علماء الجيولوجيا رغم اختلافها ، والذي دفعني الى اغفال ما قالوا وتثبيت هذا الرقم (4.500 — 5.500) هو :

1 — عدم اتفاقهم على رقم معين ، بالاضافة الى الفروق الشاسعة بين ارقامهم انفسهم .

2 — ما فرضه علي الخط الذي اتبعه في بحثي هذا من حيث البناء على الاخبار التاريخية فهي التي دفعتني لوضع هذا الرقم .

لنرجع الى بحثنا الاصيل فاقول :

يعتبر نوح ابا البشرية بعد آدم حيث ان الذين ركبوا معه هم ابناؤه وأسرهم المؤمنون (قال عز وجل: وجعلنا ذريته هم الباقين .. ثم اغرقنا الآخرين . (الصافات) .

وقد أجمع المؤرخون ان لنوح اربعة اولاد هم : كنعان — سام — حام — يافث . فاما كنعان فهو الغريق ، واما الثلاثة الآخرون فالى نسلهم ترجع البشرية .

وفي الحديث : الذي رواه أكثر من واحد من طريق (قتادة والحسن وسمرة بن جندب وعمران بن حصين) رضوان الله عليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث، فسام أبو العرب ، وحام أبو الزنج ، ويافث ابو الروم »

فسام اذن أبو العرب ، واليه ترجع اللغات السامية كلها ، وكان من أولاده ارم — وارفخشد — واشوذ — ولاوذ وعويلم .

وولد لارم بن سام : عوص — وغاثر — وحويل، وولد لعوص : غاثر بن عوص ، وعاد بن عوص ، وعبيل بن عوص . وولد لغاثر بن أرم : ثمود بن غاثر وجديس ابن غاثر . وكانوا قوما عربا يتكلمون بهذا اللسان المضري ، فكانت العرب تقول لهذه الامم : العرب العاربة لانه لسانهم الذي جبلوا عليه ، ويقولون لبني اسماعيل (ابن ابراهيم بن تارح بن ناهور بن ساروغ ابن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام) العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين اظهرهم . فعاد وثمود والعماليق (الكنعانيون) واميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب (كما يقول التاريخ) .

ومن ولد ارفخشد بن سام الانبياء والرسل وخيار الناس والعرب كلها والفراعنة بمصر ومن ولد يافث ملوك الاعاجم كلها من الترك والخزر وغيرهم ، والفرس الذين آخر من ملك منهم يزدجرد بن شهريار ابن ابرويز ونسبه ينتهي الى جيومرت بن يافث بن نوح .

واما قحطان بن عابر الذي حكم اليمن والذي هو أول من سلم عليه بـ (ابيت اللعن) فكانت نسبته الى نوح كالآتي :

« نوح — سام — ارفخشد — قينان — شالخ — عابر — قحطان — يعرب .. وهكذا » ولقد ولد لعابر (وهو أبو قحطان) قحطان وفالغ ، وفالغ معناه قاسم وسمي بهذا الاسم لان الارض قسمت والالسن تبلبلت في أيامه .

وعلى ذكر بلبلة الالسن ، ذكر المؤرخون ان اللغة كانت واحدة بالنسبة لذرية نوح وقد تفرعت واختلفت فيما بعد ، وقد وردت عدة أسباب لهذا الاختلاف منها: ما يقوله ابن جرير الطبري في تاريخه (ص 210 ج 1)

«وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمئة واربعين سنة فلما كثر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان هموا ببناء مدينة تجمعهم فلا يتفرقون أو صرح عال يحرزهم من الطوفان ان كان مرة اخرى فلا يغرقون ، فاراد الله عز وجل أن يوهن امرهم ويخلف ظنهم ويعلمهم ان الحول والقوة له ، فبدد شملهم وشتت جمعهم وفرق السنتهم ، وكان عمر عابر (474 سنة) »

« وقال الحارث بن محمد : كان يقال لعاد في دهرهم عاد ارم فلما هلكت عاد قيل لثمود ارم ، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بني ارم : ارمان ، فهم النبط ، فكل هؤلاء كان على الاسلام (أي التسليم لله الواحد) وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح فدعاهم الى عبادة الاوثان ، ففعلوا فامسوا وكلامهم السريانية ثم اصبحوا وقد بلبل الله السنتهم فجعل لا يعرف بعضهم كلام بعض ، فصار لبني سام ثمانية عشر لسانا ولبني حام ثمانية عشر لسانا ولبني يافث ستة وثلاثون لسانا ، ففهم الله العربية عادا وعبيل وثمود وجديس وعمليق وطسم واميم وبني يقطن بن عابر .

وبهذا الموجز التاريخي نكتفي لنرجع الى موضوعنا الاساسي **ما هي اللغة الام التي تكلم بها الانسان الاول** ثم ورثها بنيه من بعده .

المعروف ان الاسرة هي المدرسة الاولى للانسان فمنها يتلقى اول ما يتلقى اللغة ثم العادات والتقاليد ثم الاخلاق والمثل .. الخ .

ومن السرد التاريخي الموجز الآنف الذكر نجد بالضرورة ان **السلسلة البشرية** ما بين آدم ونوح وبالتالي ابنائه (سام وحام ويافث) **كانت تتكلم لغة واحدة** .

اولا — لان الصلة وثيقة بين الاب (الموصي) والابن (الموصى له) .

ثانيا — لقلة العدد وغلبة الاجتماع في منطقة واحدة — الا ما ندر .

ثالثا ــ لطول حياة آدم وقربها من مولد نوح عليهما السلام (126 سنة) .

فاذا ثبت ذلك نرجع لنبحث عن تلك اللغةالواحدة التي سادت تلك الحقبة من التاريخ ودوت الفاظها على وجه البسيطة .

وبناء على ما تقدم : **فان آدم عليه السلام قد تكلم ــ اول ما تكلم ــ في الجنة قبل ان يهبط الى الارض ،** واجرى مناظرته في علم الاسماء مع اهل الجنة من ملائكة وغيرهم ، **فما هي لغة اهل الجنة يا ترى ؟** ..

روى الطبراني والحاكم والبيهقي وآخرون عن ابن عباس وعن ابي هريرة بطرق مختلفة بعضها بعضا ، بهذا المعنى وبهذا اللفظ احيانا وقريبا منه ما يلي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« احبوا العرب لثلاث لاني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام اهل الجنة في الجنة عربي » (12) .

وعلى هذا يكون آدم **قد نطق بالعربية** ومن ثم تعامل بها عند ما هبط الى الارض ولقنها لبنيه من بعده (والله اعلم) .

واستمرت هذه اللغة يتناقلها الابناء عن الآباء حتى عهد نوح .

واذا كان سام بن نوح هو اب العرب ، فمن باب اولى ان يكون نوح اب العرب ايضا . وقد علم العربية لابنيه الآخرين حام ويافث ، **وما تخصيص سام بابوة العرب الا بمعنى ثبات اكثر فروعه على اللسان العربي** بعكس غالبية الفروع في حام ويافث التي تاثرت بالبيئات الجديدة وابتعدت عن موطن اللغة الام فتطورت كلمات وتكونت لهجات ثم تعمقت لغات على درب البشرية الطويل ويوضح هذا المعنى اكثر فاكثر حديث الرسول الكريم الذي يقول فيه : **« ليست العربية لاحدكم من ام ولا اب ، ولكن العربية هي هذا اللسان فمن نطق العربية فهو عربي » .**

ونخلص الى النظرية التالية :

العربية ام اللغات واصلها الاصيل ، وكل اللغات الآرية والسامية والحامية كان اصلها لهجات عربية تولدت عنها وتطورت فيما بعد بحسب البيئات والحاجيات ثم تعمقت كلغات مستقلة على مر العصور.

يقول الامام القلقشندي في موسوعته (صبح الاعشى) (13) عن اللغة العربية :

« اما فضلها فقد اخرج ابن ابي شيبة بسنده الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال: (تعلموا اللحن والفرائض فانه من دينكم) . قال يزيد بن هارون (**اللحن هو اللغة**) . ولا خفاء انها امتن اللغات . واوضحها بيانا . واذلقها لسانا وامدها رواقا ؛ واعذبها مذاقا ؛ ومن ثم اختارها الله تعالى لاشرف رسله وخاتم انبيائه وخيرته من خلقه وصفوته من بريته ؛ وجعلها لغة اهل سمائه ؛ وسكان جنته ؛ وانزل بها كتابه المبين الذي لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

« قال في صناعة الكتاب : **وقد انقادت اللغات كلها للغة العرب ،** فاقبلت الامم اليها يتعلمونها »

واما ظاهرة اختلاف الالسن وتعدد اللغات التي مر ذكرهما آنفا ، فلحكمة يريدها الله ؛ والاختلاف بحد ذاته آية من آيات الله ، قال تعالى ذكره :

« ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم . ان في ذلك لآيات للعالمين » (الروم 22) .

والاختلاف لا يكون الا من بعد الاتفاق ، والاتفاق كان على اللغة الام ، ومن ثم تفرعت وتم اختلاف الالسن .

« وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون » (يونس 19) .

ولعل هذا الاختلاف انما كان لتعميق التنافس من اجل الاصلح والافضل والاخير ولعدم اجتماع الناس على الفساد ..

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » (البقرة 251) .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ... » (الحج) .

الخـاتمـــة :

واخيرا يجيب هذا البحث عليما ورد من تساؤلات في مطلعه ، وباليقين الثابت ان البشرية ترجع الى آدم (عليه السلام) وان آدم لم يكن له مقدمات في عالمي الجن والحيوان ، ولكنه كان على احسن صورة يتمتع بنفس الحواس والاجهزة التي يتمتع بها انسان اليوم ، ومنها النطق والبيان ، وقد أودع الله فيه من الاسرار ما يكفيه ليكون خليفته في ارضه ، كما ان الله سبحانه وتعالى قد علمه اسماء كل شيء مما سيقع تحت ناظريه ويديه ؛ فكان هذا العلم ذخيرة من الالفاظ والكلمات المدركة الجاهزة اخذ يطلقها على افرادها عند اللزوم ؛ وقد علمها ابناءه وذريته قبل ان ينتقل الى العالم الآخر ... وبغير هذا لا يقبل العقل ابدا ..

واما تعدد اللغات فهو ظاهرة طبيعية ومعقولة ترجع الى تفرع اللهجات من اللغة الواحدة ، وبالتالي تصنعها على مر العصور ، وقد رافق ذلك استنباط كلمات جديدة وتركيب الفاظ حديثة نتيجة لمسميات مستحدثة .

واما من اللغة الام فكان الجواب عنها قائما على اساس الظن اليقيني او بتعبير آخر على قوى الظن، وذلك **لقولي ان العربية هي ام اللغات واصلها الاصيل.**

ولقد بحث بعض علماء اللغات الحية في موضوع العربية وارجعوا كلمات كثيرة من اللغات الاخرى اليها من ذلك ما قاله (4) الاستاذ عبد الحق فاضل (نزيل المغرب العربي) :

1 ــ كلمة (ريف) في العربية معناها الارض القريبة من الماء ، وهذا يعني الساحل لان الساحل ايضا هو ريف البحر وشاطئه .

من كلمة ريف جاءت كلمة (Ripa) اللاتينية وهي بمعنى ساحل ــ ومنها Riviera الايطالية : ساحل ــ ومنها Rivière الفرنسية: وهي بمعنى ساحل قديما وحديثا بمعنى نهر ــ ومنها Rive الفرنسية : ساحل ــ ومنها River الانكليزية : بمعنى نهر .

2 ــ كلمة (صنج) صوت اصطفاق العديد منها (صنج) آلة الطرب النحاسية . ومنها (صنجة) كفة الميزان ــ ومنها (سنجة) حجر الميزان . وبنفس المعنى جاءت كلمة (سنكة) الفارسية وصيغت منها كلمة (سنك) اي الحجر ، ومن هذه كانت (Singan) السكسونية ــ و(Sing) الانكليزية وهي بمعنى يغني .

3 ــ كلمة (بلاط) تعني في العربية الارض المستوية الملساء . وهي ام الكلمات الآتية :

Platta اللاتينية بمعنى صحيفة .
Piazza الايطالية بمعنى ساحة .
Plate الفرنسية بمعنى طبق .
Plat الانكليزية بمعنى سطح .

وكلها تشترك بمعنى الاستواء والسطحية .

هذا نموذج مصغر عما قيل في (علم ارجاع اللغات الى اللغة الام) (الترسيس) . واما الوصول الى درجة اليقين المثبت في هذه الناحية بالذات فيحتاج الى التحقيق والتدقيق المستمرين .

---

1) عندما نقل احد الباحثين المحققين هذا النص الى كتاب له ؛ علق هنا بقوله : « هذا مجرد راي لهكسلي بوصفه ــ داروينيا ــ وهو طبعا يعز عليه ان يتراجع عن فروض دارون كلية امام ضغط الحقائق الجديدة ، ولكنه يتراجع بالفعل ؛ وهو يتظاهر بانه ثابت على اصول النظرية .. والانسان يحتوي الكيان الحيواني من الناحية العضوية ولكنه ليس حيوانا بالمعنى الذي تقوله الداروينية » .
2) هنا يظهر تارجح هكسلي بين ضغط الحقائق وبينمقتضيات الالحاد والمادية .
3) نحن ننقل نصوص هكسلي كما هي ــ بغض النظر عما نخالفه فيه في نشاة الانسان .
4) ص 123 ــ 124 من كتاب الخطر اليهودي ــ لمؤلفه محمد خليفة التونسي
5) ص 49 ــ 52 من كتاب التلمود ــ جمع عبد المنعم شميس .
6) طباعة دار المعارف بمصر (ذخائر العرب ــ 30)

7) الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية لمالكها ومديرها السيد عمر حسين الخشاب بمصر .

8) الكلام الموجود داخل الاقواس في الاسطر الاخيرة من هذا النص ليس من اصل النص بل هو تفسيري .

9) روى الحاكم عن جابر قال : قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها . ثم قال مالي اراكم سكوتا . الجن كانوا احسن منكم ردا . لما قرات عليهم هذه الآية : (فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد) . (تفسير سورة الرحمن في الجلالين)

10) كتاب شفاء العليل . لابن قيم الجوزية .

11) اخذت هذا الموجز بتصريف من تاريخ الطبري (الجزء الاول من الصفحات الاولى حتى الصفحة 250 وعلى الاخص الصفحات 145 — 155 — 167 — 178 — 204 205 — 207 — 210 ؛ فليرجع اليها في حالة الاستزادة .

12) كشف الخفاء — ج 1 ص 54 — للمحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى سنة 1162 هـ .

13) الجزء الاول ص 148 .

14) بتصرف عن العدد الخامس من مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب (الرباط) . وقد جاء البحث تحت عنوان (علم الترسيس) .



اللغة والمجتمع الإنساني

أحمد عبد الرحيم السايح

مشيخة جامعة الازهر

اللغات هي : مجموعة من الرموز الاصطلاحية من حيث المفردات ، ومجموعة من القواعد النحوية الاتفاقية من حيث ضبط تلك المفردات . فهي لهذا لا تخضع لمنطق عقلي عام ، لانها اصطلاحية اتفاقية تقليدية موروثة او بتعبير آخر : ان اللغة من الامور الاعتبارية والامور الاعتبارية لا يشترط فيها ان تكون عامة بين الناس جميعا ، الا اذا اتفقوا على ما هو معتبر ، اما اذا فقد عنصر الاتفاق اختلف الناس فيما هو معتبر .

وحيث ان اللغة من الامور الاصطلاحية الاتفاقية التقليدية غير المتفق عليها بين الناس ، لهذا اختلفت اللغات فكان لكل لغة مفرداتها الخاصة بها ، وقواعدها ونظمها ، واللغة لشدة التاثر بها والتطبع عليها تبدو لمتكلميها وكانها من الامور الطبيعية ، ويبدو ما يخالفها شاذا غريبا لا يقبلونه الا في حدود معينة (1) .

النمـو والتطـور :

حياة الانسان لا تستقر على حـال : علومـه تتطور وافكاره تتسـع وحضارتـه تتقـدم وحياتـه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هي الاخرى تتطور وتتقدم وتتعقد ، وهذا يعني انه يجد في حياة الانسان الجديد من المعاني التى تتطلب وضع الفاظ لها . لهذا يلجا الانسان الى لغته بمفرداتها وقواعدها يستعيـن بها ، يضع لهذه المعاني الفاظا او ينقـل الفاظـا من معانيها التى وضعت لها ، الى هذه المعاني الجديـدة لتدل عليها فان لم يجد الانسان في لغته ما يسعفه لجأ الى الاقتراض من لغات اخرى وقد يصقل ما يقترض بمصقل لغته لينتظم فيها وكانه منها ، ولا يقتصر الامر على الالفاظ بل يتعداها الى الاساليب فهي الاخـرى تنمو وتتطور ، فاذا باساليب لا تعرفها اللغة في زمانها السابق تدخل في زمان لاحق ، كل ذلك لان حيـاة الانسان تنمو وتتطور واللغة اداة ووسيلة فلابد لهـا من ان تساير تطور الانسان والا ماتت لان حياتهـا بوفائهـا .

والذى يرجع منا الى صورته وهو طفل ، وصورته وهو شيخ طاعن فى السن ، وصورته وهو شاب أو صبي، أو كهل ، يرى التغير والتبدل الذى أصـاب كيانه واضحا فيما تنطق به الصور ، ولكن الانسان لا يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل بل يلحظ نفسه وهو فى يومه ، ويعلق فى ذهنه عن أمسه بعضه لا كله ، واللغات شانها شان الانسـان : فهي تتطـور وتتغير وتتبدل وكل هذا يحدث فى البنية اللغوية فى الامس الغابر واليوم الماثل .

وعمر اللغة لا يقاس بعمر الانسان ، اذ منها ما بين مولدها وعصرنا ، المئات من السنين فنصفها بانها حديثة وما هي بالحديثة ، واخرى ما بين مولدها وعصرنا الالوف من السنين ونصفها بانها قديمة ، لاننا اذا وجهنا الى اصولها ، او الى اصل الاصول ، كان عمر اللغة المئات من آلاف السنين بل الملايين منها ، فهل يمكن أن يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل فى هذا الامتداد الزماني؟ الحقيقة لا ، اما لماذا ؟ فلاسباب :

ان اللغة الام لم تخلف لنا من الآثار ما يدل عليها ، وبتطور الانسان تطورت لغته الى لغات وكان التطور تدريجيا فنسي الانسان امس لغته وعاش حاضرها، فانقرض ما انقرض وعفى الزمن على ما انقرض ، فنسيته الاجيال ، اما بالنسبة لاصول لغات عالمنا الحديث فالتى ولدتها أم وكانت ولادتها حديثة . عرف اصلها اي امها كاللغات المولودة من اللاتينية ، اما ما كانت ولادتها قديمة فقد نسيت امها ومن اللغات ما دونت مفرداتها وقواعدها ونظمها اللغوية فى الاسفار ومنها ما خلف امسها آثارا فامكن أن نتبين بعض ــ لا كل ــ صور تطبيقها وتغيرها وتبدلها ومنها ، ما لم يدون فى الاسفار ولم يخلف امسها الآثار فلا نعرف عنها الا صورتها الحاضرة ، ان لم تكن قد انقرضت ، ونعود الى لغات العالم التى تحتفظ بصور تغيرها وتبدلها وتطورها ونسال هل تعطي هذه الصور واقعا يطابق واقع اللغة وهي تتطور وتتغير وتتبدل فى الامتداد الزماني لهذا التطور والتبدل ؟.

الحقيقة لا : لان هذه الصور نسبية تماما كصورة الشيء لا تعني انها حقيقة الشيء بكل كيانه ومقوماته وصفاته ، فكم من الالفاظ بادت ، وكم من الاساليب عفى عليها الزمن ، وكم من القواعد والنظم لم تصل اليها اجهزة المصور اللغوي فانساها الزمن .

وسؤال آخر يقفز الى الذهن ويتطلب الجواب :

ما هي أسباب النمو والتطور والتبدل والتغير والانقراض فى اللغات ؟ والجواب على ذلك اننا نجد أهم تلك الاسباب فيما يأتي :

1 ــ النمو والتطور والتغير والتبدل فى حياة الانسان نفسه وهذا يدفعه الى ان يضع لما يجد من جديد الفاظا وأساليب ونظما لغوية .

2 ــ نقل الالفاظ الموضوعة للمعاني ، فتطاول الزمان يدعو الى وضع الفاظ جديدة .

3 ــ من المعاني ما يرتبط بعصر من العصور فاذا انقضى العصر لا تكون هذه المعاني من التراث الفكري والحضاري للجيل اللاحق فتهمل ثم تنسى باهمال الفاظها .

4 ــ وعدم وفاء اللغة بحاجة الانسان الى التعبير والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد تراثه الفكري والادبي وازاء ذلك يضطر الانسان الى ان يغير ويبدل أو يهجر لغته .

5 ــ التحريف والتغيير والتبديل فى اللغة قد يستقر فى دلالته فيخرج الاصيل حتى ينسى .

6 ــ ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية اتفاقية غير مستقرة لهذا فقد تلد لغات او لهجات ، وقد تستقر هذه اللغات واللهجات المولدة وتهجر اللغة الام .

7 ــ تسرب الدخيل والمولد الى اللغة مع عدم الحاجة اليهما وبمرور الزمان قد يتغلب الدخيل والمولد على الاصيل .

8 ــ تجاوز الام واختلاط الشعوب ، سبب من اسباب تطور اللغة ونموها فتقترض اللغة من لغات الامم والشعوب ما تقترض مما هو ليس موجودا فيها .

9 ــ تعرض الامم للغزوات والنكبات يعرض احيانا الامم المغلوبة الى فقدان لغتها عندما تفرض الامم الغالبة لغتها عليها ، او تتأثر لغة الامم المغلوبة بلغة الامم الغالبة .

10 ــ انقراض الامم والشعوب يؤدي الى انقراض لغتها لان اللغات ترتبط بمتكلميها فاذا انقرضوا انقرضت .

11 ــ تشتت الامة والشعب يؤدي الى تأثر لغتها او لغته بلغات الامم المخالطة مما يؤدي الى مسخ لغة الامة المشتتة .

12 ــ بعض اللغات تمتاز بسهولة قواعدها ومرونة أساليبها ، وهذا قد يدفع بعض الامم الى هجر لغاتها اذا كانت قواعدها واساليبها شديدة التعقيد .

نواحي التطور والتغير اللغوي :

1 ـ التبدل الصوتي للحرف والكلمة : وذلك بان يتغير صوت الحرف وعلى سبيل المثال حرف الجيم العربي يلفظ فى لبنان وسوريا بصوت يختلف عنه فى مصر ، وفيهما عنه فى العراق ، وكذلك فى مصر نفسها حرف الجيم يلفظ فى الصعيد بصوت يختلف عنه فى القاهرة ، وكذا حرف القاف والضاد ، او ان يتغير صوت الوحدة اللغوية .

2 ـ توسيع القاعدة اللغوية وذلك بأن يخضع اهل اللسان ما يقترضونه لقواعدهم اللغوية فيجرون عليه ما تجري عليه قاعدة لغتهم او توسيع القاعدة لتشمل الشاذ غير الخاضع لها .

3 ـ التراض المفردات : وذلك حين تعجز قواعد اللغة عن الوفاء بوضع مفردات جديدة او لا يكون ذلك عن عجز وانما تكون المفردات الاجنبية قد استقرت بحيث لا يمكن احلال مفردات لغوية موضوعة بموجب القواعد اللغوية للغة .

4 ـ استعارة اساليب او تراكيب لا تعرفها اللغة : ومن امثلة ذلك فى اللغة العربية : ذر الرماد فى العيون ، وعاش ستة عشر ربيعا ، ووضع المسالة على بساط البحث ، ولا جديد تحت الشمس ، وساد الامن فى البلاد .

ومن امثلة ذلك ايضا ، الاصطلاحات الفنية والادارية : كهياة المحكمة وتشكيل المحاكم ، وانعقدت المحاكم ، وتعريفة الرسوم ، واللا سلكي ، واللا نهائي.

5 ـ تبدلات فرعية مختلفة : كالنقل والارتجال والاستعمال المجازي والنحت على غير قياس او سماع .

مقاييس اللغة الحية :

من اللغات ما توصف بانها : حية ، ومنها ما توصف بانها : ميتة ، والميتة هي اللغة التى تشتت الشعب الذى يتكلمها فخالط امما وشعوبا مختلفة اللغات وكان ان مسخت لغة الشعب المشتت ، وقد يطلق وصف الميتة على لغات تحتفظ بشخصيتها وذاتيتها ، ويتكلمها الملايين ، وهذا هو الذي يدعونا الى التساؤل ما هي المقاييس التي يقاس بها كون اللغة حية او ميتة ؟

مما يجاب به على هذا التساؤل : ان العلماء يختلفون فى المقاييس التى تعتبر اللغة : لغة حية وللاختلاف اسباب : فمن العلماء من يعتبر المجتمع هو المقياس ، فاللغة التى يرتضيها المجتمع بمفرداتها وقواعدها واساليبها ونظمها ، هي اللغة الحية لان اللغة كما عرفها بعض الباحثين هي وسيلة للتعبير والتفاهم وليست غاية ، وللمجتمع ان يختار الوسيلة التى يرتضيها ، ويضيف العلماء الى ما سبق شرطا آخر اذا توفر فى اللغة باضافة الى ارتضاء المجتمع كانت اللغة لغة حية ، وهي ان تكون اللغة سهلة فى قواعدها مرنة فى اساليبها ونظمها وعلى اساس هذا المقياس : للمجتمع ان يغير ويطور ويبدل فى اللغة ما شاء الا فى حدود ضيقة كان يجري تاليف وترتيب الكلمات وفق نظام ثابت ليؤدي الكلام المؤلف منها معناه العام .

ان الحياة تتطور وفى تطور مستمر، واللغة ينبغي لها ان تساير هذا ، وهي وسيلة وللمجتمع ان يختار تلك الوسيلة ولا ينبغي لتلك الوسيلة ان تقيد المجتمع وتقف حجر عثرة امام تطوره واحتياجاته .

وبعض العلماء لا يعتبر المجتمع هو المقياس بل يعتبر وفاء اللغة بحاجة الانسان الى التعبير والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد آثاره الادبية والعلمية والفكرية والعقائدية هو المقياس .

فاللغة التى تفي بذلك لغة حية ولا يسمح هؤلاء العلماء لامهم ان يغيروا ويبدلوا ويطوروا فى لغتهم ، كيفما شاءوا ، بل لابد ان يكون التطور والتغير فى اللغة يجري على اساس من قواعدها واساليبها اللازمة الاتباع ، وهؤلاء العلماء يربطون بين لغتهم وبين تراثهم العلمي والفكري والحضاري ، ويربطون بينها وبين عقائدهم ونظمهم وبينها وبين مشاعرهم واهدافهم فى الحياة (2) .

نشأة اللغة الانسانية :

قد كثر القائلون والباحثون فى نشأة اللغة الانسانية واصلها منذ اقدم العصور ولا زال علماء اللغات يدرسون ويبحثون ، ولقد عالجها فلاسفة

اليونان وعلماء اللغة العربية والاسلام واهتم بها الباحثون المحدثون من الاوربيين ومشى على آثارهم كثير ممن اخذ عنهم ، وخاصة العرب منذ القرن التاسع حتى اليوم وقد اختلفت وجهات النظر ونتج عن ذلك نظريات كثيرة منها : **ان اللغة الهام وتعليم من الله** : بمعنى ان الواضع للغات هو الله سبحانه وتعالى وقد بلغها الانسان بطريق الوحي والالهام او بايداع ذلك في طباعه .

1 ـ وذهب الى هذا الراي جماعة من المفسرين وقد حكى ابن جنى عن بعض المفسرين في تفسير الآية « وعلم آدم الاسماء كلها » ان الله سبحانه علم آدم اسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومانية ، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثم ان ولده تفرقوا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه ، واضمحل عما سواها لبعد عهدهم بها ، واذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والانطواء على القول به (3) .

وعن ابن عباس انه كان يقول : علمه الاسماء كلها وهي هذه الاسماء التي يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وجمل وحمار واشباه ذلك من الامم وغيرها ، وعن مجاهد انه قال : علمه اسم كل شيء ، وقال غيرهما : انما علمه اسماء الملائكة ، وقال آخرون : علمه اسماء ذريته اجمعين .

2 ـ وممن ذهب هذا المذهب : الاصوليون ، قال الآمدي حاكيا آراء العلماء في ذلك: اختلف الاصوليون فيه، فذهب الاشعري واهل الظاهر وجماعة من الفقهاء الى ان الواضع هو الله تعالى ، ووضعه لنا متلقى من جهة التوقيف اما بالوحي او بان يخلق الله الاصوات والحروف ويسمعها الواحد والجماعة ويخلق له اولهم: العلم الضروري بانها قصدت للدلالة على المعاني ، محتجين على ذلك بآيات منها قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » وهذا يدل على ان آدم والملائكة لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى ، ومنها قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ». واللغات داخلة في هذه المعلومات ومنها قوله تعالى : « ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان » ذمهم على تسمية بعض الاشياء من غير توقيف ، وقوله تعالى : « ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم » المراد به اللغات لا نفس اختلاف هيئات الجوارح من الالسنة . لان اختلاف اللغات ابلغ في مقصود الآية (4) .

3 ـ وذهبت طائفة من علماء اللغة الى مثل ما ذهب المفسرون والاصوليون حكى ابن جنى في الخصائص عن استاذه ابي علي الفارسي المتوفى سنة 377 هـ قال : ان ابا علي رحمه الله قال لي يوما هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » (5) .

وايد ابن جنى هذا الراي فقد جاء عنه في الخصائص : « واعلم فيما بعد انني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع ، فاجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغول على فكري ، وذلك انني اذا تاملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك علي جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه اصحابنا ، ومنه ما حذوته على امثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده ، وبعد مراميه ، وآماده ، صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، ولطف ما اسعدوا به ، وانضاف الى ذلك وارد الاخبار المأثورة بانها من عند الله عز وجل فقوى في نفسي اعتقاد كونها من الله سبحانه وانها وحي (6) .

4 ـ وقال ابو الحسين احمد بن فارس : ان لغة العرب توقيف ، واستدل بالآية « وعلم آدم الاسماء كلها » وتفسير ابن عباس ومجاهد وغيرهما . ولكن ابو الحسين بعد ان اطلق كلامه هذا الاطلاق رجع فخصص ما عمم فقال : ولعل ظانا يظن ان اللغة التى دللنا على انها توقيف انما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد وليس الامر كذلك ، بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء ان يعلمه اياه مما احتاج اليه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم عليه السلام من الانبياء نبيا نبيا ما شاء ان يعلمه حتى انتهى الامر الى نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فآتاه الله من ذلك ما لم يؤته احدا من قبله (7) .

ثم قال فان تعمل لذلك اليوم متعمل ، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولقد بلغنا عن ابي الاسود ان امرأ كلمه ببعض ما انكره ابو الإسود . فسأله ابو الاسود عنه فقال : هذه لغة لم تبلغك. فقال ابو الاسود يابن اخي لا خير لك فيما لم يبلغني .

وجاء انه لم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه (8).

وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهم البلغاء والفصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة او احداث لفظة لم تتقدمهم (9) .

قال الاستاذ مصطفى السقا بعد ان اورد اقوال اصحاب المذهب السابق : والذي يلوح لي ان اكثر ما استدل به اصحاب هذا المذهب ادلة دينية مع ان البحث نظري عقلي ، لا ديني فينبغي ان يستبعد منه الاستدلال بالآيات والاحاديث ونحوها ، على ان الآية الاولى التي هي معتمد القوم في الاستدلال ليست نصا في الموضوع وانما هي من قبيل الظاهر الذي يحتمل اكثر من وجه فقد يمكن تاويلها بان الله اقدر آدم على ان واضع عليها : قال ابن جني في الخصائص بعد ان اورد الآيةوهذا لا يتناول موضع الخلاف:وذلك انه قديجوز ان يكون تأويله : اقدر آدم على ان واضع عليها . وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة فاذا كان ذلك محتملا وغير مستنكر سقط الاستدلال به وقد كان ابو علي رحمه الله ايضا قال به في بعض كلامه.

وليس يعنينا بعد ذلك من الادلة التي استدلوا بها غير كلام ابن جني وخلاصته انه راى في احكام اللغة ودقة تنظيمها ما جعله يعتقد ان ذلك الاحكام لا يتاتى من غير الله ، وهذا الدليل ان لم يكن صريحا في التدين فهو مقتنع بقناع الدين . فان كثيرا من اعمال القدماء كالاهرام وغيرها آية في دقة الصنع فهل نقول ان صانعها هو الله من اجل اتقانها . على ان ابن جني نفسه بعد ان ذكر كلامه الذي سقناه ، لم يلبث ان شعر بما فيه من ضعف فاستدرك على نفسه بقوله ، كذلك لا ننكر ان يكون الله قد خلق من قبلنا وان بعد مداه عنا من الطف منا اذهانا واسرع خواطر واجرا جنانا فاقف بين الخلتين حسيرا واكاثرهما فانكفيء مكثورا ، وان خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها. قال الاستاذ مصطفى السقا : اما صدر كلام ابي الحسين احمد بن فارس فهو تقليد لائمة الدين ، وقد كان الشيخ محافظا شديد المحافظة وقد عدل كلامه فضيق دائرة الدعوى ، واما انكاره على العرب انهم اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فيكفي في رده ما نقله غير واحد من ائمة اللغويين من ان رؤبة الحجاج وجرير وابن احمر الباهلي انفرد كل منهم بالفاظ لم يقلها غيره من العرب ، وانهم كانوا يرتجلون اللغة احيانا فهذا دليل على استمرار نمو اللغة حتى العصر الاموي والى انقضاء عصور الفصاحة العربية قبل ان يسيل سيول العجمة وتفسد السلائق باختلاط العرب بغيرهم الاختلاط الاكبر في العصر العباسي ، وليست الواضعة والاصلاح والتواطؤ لذى يريده القائلون به، الا ان يخترع اللفظ مخترع فيتقبله منه الناس ويستعملوه .

وخلاصة ما تقدم : ان القائلين بأن اصل اللغة توقيف ووحي يعوزهم الدليل العلمي لا الديني ولم نجد هذا الدليل فيما بين أيديهم من فروض واحتمالات .

وقد ذهب هذا المذهب من اليونانيين قديما الفيلسوف « هيراقليط » ومن الادبيين المحدثين طائفة على راسهم الاب «لامي» في كتابه «فن الكلام» ويستند الى نص الفقرتين 19، 20 من الاصحاح الثاني من سفر التكوين وهما « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول ، وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذى يضعه له الانسان فوضع آدم اسماء لجميع الحيوانات المستانسة ولطيور السماء ودواب الحقول » .

وهذا الدوليل فوق انه دليل ديني ليس فيه شيء من الاستدلال على اصل الدعوى وقد بان من هذا ومما تقدم ان هذا المذهب مجرد دعوى لا سند لها غير الآلة النقلية التي ليست نصا في الموضوع (10)

ولكن بعض العلماء توصل الى دليل عقلي ينهض قويا ليدعم الادلة النقلية وهذا الدليل : ان الانسان الاول لما كان نبيا فهو لابد له لكي يتفهم ما يوحى اليه ولابلاغ رسالته من لغة يستطيع بها تفهم وابلاغ رسالته ، والا تعذر عليه التبليغ وتفهم ما يوحى ، فالله سبحانه لما خلق ابا البشر واصل الخليقة آدم عليه السلام واسكنه وزوجه الجنة ، واوحى اليه هو وزوجته ان ياكلا من الجنة حيث شاءا وان لا يقربا

شجرة معينة وغير ذلك مما خاطبهم به . فلابد من غير شك انه علمهما معاني ما خاطبهمـا به وما اوحى به اليهما . بل الظاهر انه سبحانه علمهما ما يتخاطبان به فيما بينهما او مع الملائكـة ، وذلك لاتمام النعمـة عليهما في الجنة .

نعم من الجائـز ان الله اودع في آدم وذريتـه الاولين قوة لتوسيع اللغة الاصيلة ثم تفرعت منها لغات بعد ذلك حسب التكتلات البشرية في اقطار المعمورة فكان لكـل كتلـة منهـم لغتهـا ولهجتـها ونغمتـها الخاصة « 11 » .

المـذهب الثـانـي :

ان اللغة تواطؤ واصطلاح : وخلاصة هذا المذهب ان الواضع للغة هو الانسان وان وضعه لها ، كان على مراحل ، ولقد ذهب الى هذا المذهب اكثـر اهـل النظر ، كما قال ابن جنـي في الخصائـص . هذا موضع محوج الى فضل تامل ، غير ان اكثر اهـل النظر على ان اللغة انما هي تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف «12» .

ولعل المراد باهل النظـر في كـلام ابن جنـي المتكلمون عامة والمعتزلة منهم خاصة ، وكـان ابـن جنى واستاذه ابو علي الفـارسي منهـم كمـا ذكـر السيوطي في كتاب المزهر .

1 ــ حكى ابو الحسن علي بن محمد الامدي في كتاب « الاحكام » ان البهشمية وجماعة من المتكلمين ذهبوا : الى ان ذلك من وضع اهل اللغات واصطلاحهم وان واحدا او جماعة انبعثت داعيته او داعيتهـم الى وضع هذه الالفاظ بازاء معانيها ثم حصـل تعريـف الباقين بالاشارة والتكرار كما يفعل الوالـد بالولـد الرضيع وكما يعرف الاخرس ما في ضميره بالاشارة والتكرار مرة بعد اخرى محتجين على ذلـك بقولـه تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا بلسـان قومـه » وهذا دليل على تقدم اللغة على البعثة والتوقيف (13).

2 ــ وزاد ابن جنى على هذا المذهب توضيحـا بقوله : ذهبوا الى ان اصل اللغة لابد فيه من المواضعة وذلك كان يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا الى الابانة عن الاشياء المعلومات فيضعوا لكل واحـد سمة ولفظا ، فاذا ذكر عرف به ما مسماه ، ليمتاز عن غيره ، وليغني بذكره عن احضاره الى مرآة العيـن ، فيكون ذلك اقرب واخف واسهل، من تكلف احضاره، لبلوغ الغرض في ابانة حاله ، بل قد يحتاج في كثير من الاحوال الى ذكر ما لا يمكن احضاره ولا ادنـاؤه كالفاني . وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد ، كيف يكون ذلك لو جاز وغير هذا مما هـو جـار في الاستحالة والبعد مجراه ، فكانهم جاءوا الى واحد من بني آدم فاوماوا اليه وقالوا انسان انسان انسان فاي وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هو الضرب من المخلوق ، وان ارادوا سمة عينـه او يده اشاروا الى ذلك فقالوا : يد ، عين ، رأس، قدم او نحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها وهلم جرا ، فيما سوى هذا من الاسماء والافعال والحروف ، ثم لك بعد ذلك ان تنقل هذه المواضعة الى غيرها ، فتقول الذيءاسمه انسان فليجعل مكانه مرد والذيءاسمهراس فليجعل مكانه سر ، وعلى هذا بقية الكلام ، وكذلك لو بدلت اللغة الفارسية فوقعت المواضعة عليها لجاز ان تنقل ويولد منهـا لغـات كثيـرة مـن الروميـة والزنجية وغيرهما وعلى هذا ما نشاهـده الآن مـن اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الاسماء كالنجار والصائغ والحائك والبناء وكذلك الملاح . قالـوا : ولكن لابد لاولها من ان يكون متواضعا بالمشاهـدة والايماء «14» .

وعلى ذلك اختلفت اقلام ذوي اللغـات ، كمـا اختلفت انفس الاصوات المرتبـة على مذاهبهـم في المواضعات ، وتوسط قوم بين المذهبين فذهب ابـو اسحاق الاسفرايني الى ان القـدر الذي يدعـو به الانسـان غيره الى التواضع بالتوقيف ، والا فلـو كان بالاصلاح فالاصلاح عليـه متوقـف علـى ما يـدعو به الانسـان غيره ، الى الاصطلاح على ذلك الامر ، فان كان بالاصطلاح لزم التسلـسل وهو ممتنع ، فلم يبق غير التوقيف ، وجوز حصول ما عدا ذلك بكل واحد من الطريقين « 15 » .

وخلاصة الرد على اصحاب هذا المذهب في ان قولهم : باجتماع حكيمين او ثلاثة فصاعدا ، ليضعوا لكل شيء سمة ولفظا ، ليس الا مجرد خيال وحدس وظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ، ذلك الى ان القول بأن الانسـان وضع من اول الامر كلمـات ذات مقاطع مركبة يجافي طبائع الاشيـاء اذ ان التـدرج

والترقي من البسيط الى المركب ، هو القانون الملحوظ في نشأة الظواهر الاجتماعية التي من اهمها ظاهرة اللغة كما يلاحظ ذلك في نشأة لغة الطفل وتدرجها شيئا فشيئا .

واما الاستدلال بالآية « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » فليس فيه دليل ، لانه يجوز ان يكون التوقيف الذى قبل التواضع بالوحي من غير واسطة اللغة ، على اننا نقول ما قلناه آنفا ان الاستدلال بالنصوص الدينية فى مقام البحث العلمي لا يجوز ، ولذلك كله توقف جماعة من العلماء عن القطع باحد المذهبين فذهب القاضي : ابو بكر الباقلاني وغيره من اهل التحقيق الى ان كل واحد من هذه المذاهب ممكن بحيث لو فرض وقوعه لم يلزم عنه محال لذاته واما وقوع البعض فليس عليه دليل قاطع ، والظنون متعارضة يمتنع معها المصير الى التعيين ، ولذلك ايضا قال الآمدي والحق ان يقال ان كان المطلوب فى هذه المسالة يقين الوقوع لبعض هذه المذاهب فالحق ما قاله ابو بكر الباقلاني اذ لا يقين من شيء منها «16» .

المذهب الثالث :

ان اللغة نشأت من الاصوات ويرى هذا ، العلماء الاوربيون المحدثون وسبق اليه علماء اللغة العربية قال ابن جني فى الخصائص : وذهب بعضهم الى ان اصل اللغة كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيح الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي — صوت تيس الظباء عند السفاد — ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عنه ذلك فيما بعد «17».

ويقول ابن جني : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل « 18 » .

ويرى الاب « انستاس ماري الكرملي » نفس هذا الراي ويقول : الكلم وضعت فى اول امرها على هجاء واحد متحرك فساكن محاكاة لاصوات الطبيعة «19» .

وهذا المذهب قال به جماعة من المتاخرين مثل : « ادم سمث » و « روكلر ستيوورت » ونقل عنهم ان الانسان كان يعبر عما فى ضميره بالاشارات والحركات ، حتى تكاثرت فجعل يحكي الاصوات التى يسمعها ، فكان اذا اراد ان يشير الى الغراب قال: غاق ولما وجد حكاية الاصوات هذه تفي بالمقصود اعتمد عليها فحصلت منها اصوات اللغة ثم طرأ عليها التركيب والنحت والحذف والتغيير وما شاكل ، فتالفت سائر الفاظ اللغة من كل خاطر يخطر فى النفس « 20 » .

وبمقتضى هذا المذهب كان الانسان اذا اراد استحضار معنى الحصان عبر عنه بصهيله « حم حم » او معنى الكلب عبر عنه بمحاكاة نباحه « عوعو » وهكذا واذا اراد الدلالة على معنى قطع الغصن او قصفه نطق بالصوت « قط او قص » او معنى سقوط الحجر على الارض نطق بالصوت « طق » لما بين هذه الاصوات ومعانيها من المناسبة وقد قال الخليل : كانهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا « صر » وتوهموا فى صوت البازي تقطيعا فقالوا « صرصر » ومن الطبيعي ان يكون التفاهم فى هذا الطور الاول بكلمات متقطعة لا بجمل ، وان هذه الكلمات كانت حكاية لاصوات « الاشياء او حكاية افعال ، اما الحروف التى تربط بين الكلمات فى الجمل فلم تكن نشأت بعد « 12 » .

فانت ترى ان اللغة نشأت بمحاكاة الانسان للاصوات الطبيعية وكانت المحاكاة فى اول امرها عضوية اي لم يقصد بها الاصوات الحاكية : التعبير عن المعاني المحكي عنها بها للاتصال بالغير ، ان الوظيفة الاجتماعية للغة لم تبرز فى اول الامر ، ثم وجد الانسان ان هذه الوسيلة مثمرة ونافعة وسهلة فى دلالتها على المعاني ، لهذا اصبح يطلق على الاشياء اصواتا هي حكاية لاصواتها الصادرة عنها للدلالة عليها وللاتصال بالغير ، فمعنى هذا ان استعمال الانسان للاصوات الحاكية اصبح استعمالا شعوريا اراديا هادفا ، وهنا يبرز العنصر الاجتماعي للغة : الرموز الصوتية ، ثم طرأ على الاصوات الحاكية الدالة : التركيب والنحت والحذف والزيادة والقلب والابدال ليدل الانسان على معاني جديدة باصوات متمايزة وبعد ان التفت الى اهمية وفائدة الرموز الصوتية فى الدلالة على المعاني المصوتة وغير المصوتة ، المادية وغير المادية ، وكان هذا على مراحل ثم ان التصرف فى الاصوات الحاكية بالكيفيات المتقدمة يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات

الاجتماعية لم اقرت هذه الاصوات المتصرف بها مع الزمن ، فبعد كثير منها عن اصله وهو الصوت الذى حاكي به الانسان الاصوات الطبيعية وهكذا نشأت اللغة «22» .

ويستدل اصحاب هذا المذهب على صحته :

1 ـ بانه اقرب المذاهب الى البساطة التى تقتضيها حياة الانسان البدائي وتقتضي التدرج والتطور الذى تقتضي به طبائع الاشياء والذى يلحظ فى نشوء الظواهر الاجتماعية عامة .

2 ـ وبانه توجد مناسبة ملحوظة بين الاصوات وما تدل عليه من معنى وهذا امر ظاهر فى لغات الامم الاوليـة .

3 ـ وبانه شبيه بنشأة لغة الطفل التى تتدرج من الاصوات الساذجة المستطيلة الى الاصوات المقطعة، ثم يتدرج الى الكلمات ذات المقاطع المركبة اذا كملت اعضاء النطق عنده .

ولا يرد على هذا المذهب من النقد ما ورد من المذاهب الاخرى السابقة ولذلك كان اقرب المذاهب الى العقل ون لم يوصل الى اليقين فى نشاة اللغات وقد ارتضاه ابن جنى فى كتابه الخصائص حين قال : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل .

والاصوات جمع صوت : وهو الجرس الذى ينتقل بالهواء الى حاسة السمع ، وتنقسم هذه الاصوات بحسب المصدر الى الذى تنبعث عنه الى قسمين : الاول الاصوات الطبيعية كصوت الريح او الرعد او النار، او جري المياه وانصبابها من علو الى اسفل ، وكاصوات الحيوان والطير والاصوات التى تسمع من الانسان فى احوال الانفعال كالانين والصراخ والعويل وكاصوات الفرح والطرب ونحو ذلك .

والثاني : الاصوات غير الطبيعية كاصوات الحركات والافعال التى يفعلها الانسان واصوت الالات والادوات التى يستعملها كازيز الطائرات وجعجعة الطواحين وصوت المنشار فى الخشب ووسوسة النقود والحلي وصرير الابواب وصلصة الاجراس وما اشبه ذلك .

ويلحق بهذا القسم الاصوات البدائية التى اخترعها لدعاء الحيوان او لزجره ، وتنقسم الاصوات من حيث صفاتها الى **اصوات ساذجة** وهي التى تمتد فى استطالة بدون تقطيع كصوت زمارة الانذار عند انتهاء الغارات وكصفير الحيوان او الانسان من غير ترجيع ولا تكرير وهذا النوع ليس موضوع بحث اللغويين، **والى اصوات متطعة** كالحروف التى يلفظها الانسان بالاعتماد على المقاطع والمخارج وكالاصوات الطبيعية التى سبقت الاشارة اليها فانها وان صدرت عن اشياء لا مقاطع لها كمقاطع الانسان فقد تمكن حكايتها بالالفاظ اللغوية الانسانية ذات المقاطع والحروف جرت عليها احكامها «23» .

وهناك من العلماء من يقرر ان اصل اللغة الاصوات الانفعالية للانسان التي كان يطلقها الانسان فى ظروف حياته البدائية وهي تختلف باختلاف حالاته النفسية والجسمية وباختلاف الظروف المحيطة به وكانت تلك الاصوات فى بدايتها عفوية لم يقصد منها الاتصال بالغير بل هي مجرد اصوات تصدر عنه كتعبير عن حالة من حالاته الانفعالية ، ولما ارتبطت هذه الاصوات بتلك الحالات الانفعالية نتيجة تكرارها عند تعرضه لها انتبه الى اهمية هذه الاصوات وفائدتها فاخذ يستعملها للاتصال بالغير وبهذا اصبح الصوت يخدم غرضا اجتماعيا وكان ان وسع مجال الصوت فى الدلالة على الاشياء تدريجيا وهكذا نشات اللغة « 24 » .

المذهب الرابع :

يقرر كثير من العلماء المحدثين ان اصل اللغة يرجع الى جذور نفسية وفى هذا عدة نظريات :

1 ـ اصل اللغة رغبة الانسان فى ان يرى الواقع مرموزا اليه وفى ذلك نجد الاستاذ سابير Sapir وهو من المشتغلين بفلسفة اللغة لا يرى أن الحاجة الى التفاهم انشات اللغة . بل يرى أن منشأها رغبة الانسان فى ان يرى الواقع مرموزا اليه او معبرا عنه بالرموز . ثم اكتشف مصادفة ان ذلك خير وسيلة للتفاهم « 25 » .

2 ـ اصل اللغة التعبير عن الحالات الانفعالية .

3 ـ اصل اللغة التعبير عن المعاني الكامنة وفى هذا يقول « ماكس » وهو من اشهر من قال بهذه

النظرية في القرن الماضي 1863 م « في الانسان قوة من شانها التعبير عما في ضميره بكلمات ملفوظة فكان الفكر اولما يجول في دماغه كانه يقرع تلك القوة لتصون بالفاظ يفهم الفكر منها ، وهذه الالفاظ هي اصول اللغة ثم تقلبت عليها اطوار التعبير والتركيب فتألفت مفردات اللغة ، ولما تم الاستنباط درج عليها الاستعمال ، ولم يبق لهذه القوة من حاجة ، فاهملت وتضعضعت ولم تعد تحس كما يضعف السمع والبصر لقلة الاستعمال « 26 » .

من هذا يتضح ان اللغة انما نشأت بسبب عوامل ودوافع نفسية بحتة ، ثم وجد الانسان الاول ان اللغة يمكن ان تحقق له فوائد كثيرة فانتبه لذلك وكان ان وسع من نطاقها وطورها لتخدم الاغراض التي يمكن ان تؤديها .

المذهب الخامس :

الأصل الاجتماعي وخلاصته : ان اللغة نشأت بظهور البذرة الاولى لتكوين المجتمع ، وان الانسان كان مضطرا لان يتفاهم مع الآخرين لاسباب ودوافع كثيرة ، لهذا كان يطلق اصواتا في حالات مختلفة ، ثم اكتسبت هذه الاصوات صفة التباين النسبي حتى اصبحت لها دلالتها ، على معان معينة ، فاخذ يستعملها للتعبير والاتصال بالآخرين لتحقيق غرض ما ، فنشأة المجتمع هي سبب نشأة اللغة ، واللغة هي التي جعلت للمجتمع البشري وجودا انسانيا .

مـــراجـــع :

1 ـ انظر مجلة «النجف» العدد السادس من السنة الثانية ص 73 ـ العراق .
2 ـ المصدر السابق ص 85 ـ 86 .
3 ـ الخصائص لابن جنى . الجزء الاول ص 39 ـ 40 مطبعة الهلال بمصر
4 ـ الاحكام في اصول الاحكام للآمدي ، الجزء الاول ص 105
5 ـ الخصائص لابن جنى ج 1 ص 39
6 ـ المصدر نفسه ج 1 ص 45
7 ـ فقه اللغة للصاحبي ص 5 ـ بيروت
8 ـ المصدر السابق ص 6
9 ـ نفس المصدر السابق ص 7
10 ـ مجلة «المعرفة» العدد 3 من السنة الاولى ـ المملكة العربية السعودية .
11 ـ مجلة «النجف» العدد السادس من السنة الثانية ص 38ـ40 ـ العراق .
12 ـ الخصائص لابن جنى ج 1 ص 39 .
13 ـ مجلة «المعرفة» السنة الاولى ، العدد 3 ـ السعودية.
14 ـ الخصائص لابن جنى ج 1 ص 41ـ42 .
15 ـ الاحكام في اصول الاحكام للامدي ج 1 ص 106
16 ـ مجلة «المعرفة» السعودية العدد 3 السنة الاولى .
17 ـ الخصائص لابن جنى ج 1 ص 44ـ45 .
18 ـ نفس المصدر السابق ص 45.
19 ـ دراسات في فقه اللغة ص 155 ـ العراق (الدكتور صبحي العالم)
20 ـ معجم «متن اللغة» ج 1 ص 18 (الشيخ احمد رضا) ـ العراق .
21 ـ مجلة المعرفة السعودية الجزء الثالث السنة الاولى .
22 ـ مجلة «النجف» العراقية العدد 6 من السنة الثانية ص 50ـ51 ـ العراق .
23 ـ مجلة «المعرفة» السعودية السنة الاولى الجزء الثالث .
24 ـ مجلة النجف العراقية العدد السادس ص 51ـ العراق .
25 ـ اصول تدريس اللغة العربية ص 10 العراق .
26 ـ معجم متن اللغة ج 1 ص 19 . والمزهر للسيوطي ج 1 ص 36 .

تخطئة الصواب

الأستاذ عبد الحق فاضل

(الدار البيضاء)

كنت قرات فى صباي فى احد الكتب القديمة ان قولك (اسميت الشيء) افصح من قولك (سميته). ففرحت بهذه اللقطة استفدتها من ذلك الكتاب ، ودابت على القول : اسماه ، واسموه ، وهو يسمى ـ بتسكين السين .. وصرت احور عباراتي فى دروس الانشاء لكي اجد المجال فيها لاستعمال هذه الصيغ ، الفصحى على قول ذلك الكتاب .

ثم اتفق اني قرات فى كتاب آخر ان قولك (اسميته) خطا وان الصواب (سميته) بالتشديد ، فتعجبت وتحيرت .

ثم اطلعت مع الزمن على مجادلات بعض اللغويين ومهاتراتهم وافتئاتهم على اللغة ، وفرضهم على الخلق آراءا خلافية ، وتحريمهم اخرى جوازية ، وتسفيه بعضهم بعضا لمجرد المخالفة والمناكدة .

فتعلمت من ذلك ان الفصيح ما تكلم به فصحاء الناس ، بصريا كان مذهبه ام كوفيا ، ومقبولا عند بعض العلماء ام مرفوضا ما دام مقبولا عند الآخرين . اي اني اخذت بالقاعدة الدينية : يسر ولا تعسر .

وزادتني دراسة اللغة خبرا ، فتبين لي ان ما نسميه كلام العرب ، او العربية الفصحى ، انما هو اللغة التى دونها لنا المدونون ، اي لغة الجاهلية ، وان هذه اللغة لم تصلنا الا بعد ان طرات عليها تطورات وتحويرات فى كل جيل ماض . واننا لو اطلعنا على اللغة التى تكلم بها القوم قبل الاسلام ببضعة قرون لوجدنا ان اختلافاتها عن اللغة الجاهلية التى وصلتنا غير قليلة . بل ان الاختلافات كانت كثيرة حتى عند ظهور الاسلام بين قبيلة وقبيلة فى بعض التعابير مما سبب سوء التفاهم احيانا والفواجع احيانا ، مما دونه لنا الاسلاف .

واذا اعتبرنا ان الاقدم افصح من الجديد المستحدث فقد ارتنا دراساتنا الترسيسية ان بعض الالفاظ التى نسميها عامية اقدم من نظائرها الفصحى، اي افصح : وبعبارة اغرب ان بعض الالفاظ الفصحى مولدة او دارجة بالنسبة الى الالفاظ المسماة مولدة او دارجة .

وصفوة القول ان اللغة كائن حي متطور؛ لا يمكن ان يقف تطوره من حال الى حال الا بموته . وما دامت الاجيال الجاهلية قد استعملت حقها فى التحوير والتطوير عفويا فمن حق كل جيل جاهل او عالم ان يستعمل حقه فى ذلك عفويا وعمديا . ومن يقرا علم التمني (Semantics) (1) يعرف تاثير الاطفال والخدم والدهماء فى تطوير اللغة جيلا بعد جيل ـ بالاضافة الى الشعراء والبلغاء .

وبينما هذا هكذا اذا بفئة من الناس يخطئوننا كلما تكلمنا ـ بحجة من الحجج المعجمية الواهنة ،

---

(1) اي علم دلالة الالفاظ او تطور المعاني . نسميه « التمني » من المنى لا من المناء .

ويقترحون علينا بدلا من التعابير المستحدثة التي ترد على السنتنا تعابير اخرى لا ندري من اين جاؤوا بها، وهي ايضا مستحدثة ، من عند انفسهم ، وليس ثمة ما يرجحها على المستحدثات التي يخطئونها . بل ان بعضهم يخطىء صوابا صراحا ليفرض بدلا منه خطأ صراحا .

نفس الشيء :

بعثت ذات مرة مقالا الى مجلة معروفة وردت فيه هذه العبارة : « .. لصدر عنه نفس التصرف الذى صدر عنه .. ولسارت القصة .. الى نفس النهاية المحتومة » .

فما كان من المصحح الهمام الا ان قلب العبارة فجعل عاليها سافلها فصارت هكذا : « .. لصدر عنه التصرف نفسه الذي صدر عنه .. ولسارت القصة .. الى النهاية المحتومة نفسها » .

ولكان حذف هذه الفقرة من المقال احب الي من عرضها على انظار القراء بهذا السبك المضطرب القبيح .

لقد اعتبر المصحح ان الخطأ فى عبارتي من الوضوح والبداهة بحيث يحق له ، بل يجب عليه ، ان يتطاول بقلمه فيصححه .

نعم ، كثيرا ما قيل لي ان (نفس الشيء) خطأ وان الصواب ان اقول (الشيء نفسه) . فاذا سالتهم عن السبب قالوا ان (نفسه) بدل من (الشيء) فى الاعراب . فعندها اقول لهم ان ورودها (بدلا) فى هذه الجملة لا يعني انها يجب ان تستعمل بدلا فى كل جملة ولا يجوز استعمالها مضافة الى (الشيء) ايضا .. فان كون (متردم) مثلا مجرورا فى قول عنترة العبسي « هل غادر الشعراء من متردم » لا يعني اننا لا يحق لنا ان نورد الكلمة مفعولا به فنقول — مع احترامنا للوزن — «هل غادر الشعراء متردما» .. وان كون (غفورا) اسما لكان فى الآية « كان الله غفورا رحيما » لا يعني انه لا يجوز ايرادها خبرا (لان) فى آية اخرى « ان الله غفور رحيم » .

ولا افهم كيف لا يجوز فى منطقتهم اضافة (نفس) الى (الشيء) ويجوز اضافتها الى الضمير التابع له (الهام)!

ويقولون — وياللعجب — ان (نفس الشيء) لم ترد فى كلام العرب ، فكنت اجيبهم ان كانت لم ترد فى كلام العرب سابقا فقد آن لها ان ترد منذ اليوم ، فان تعبير (نفس الشيء) له استعمالاته وتعبير (الشيء نفسه) له استعمالاته .

ولست اعلم كيف انتشرت هذه الخزعبلة هذا الانتشار من مشرق العالم العربي الى مغربه ، فاصبح حتى المتمرسون من الكتاب يتجنبون على نحو واضح استعمال تعبير (نفس الشيء) فى كتاباتهم ، ويقولون (الشيء نفسه) بدلا منه بالرغم مما فى ذلك من ركاكة وتمحل احيانا .

انا شخصيا كنت مصرا على استعمال (نفس الشيء) حيثما استحسنت ذلك بصرف النظر عن ورودها او عدم ورودها فى لغة العرب . لكن اتفق منذ مدة اعوام ان ابديت رايي هذا لبعض الاصدقاء فقام احدهم — صاحب الدار الذى كنا فى زيارته — الى المعجم ، واذا القول بعدم ورودها فى لغة العرب مكذوب من اساسه . وقد ضرب المعجم مثلا لاستعمالها بقوله « نفس الجبل مقابلي » .

فكيف حدث ان انتشرت هذه الازعومة هذا الانتشار بحيث صار يعتبر كل ما يخالفها خطأ ؟ لست ادري . لكن الذى ادريه ان الكثير من التخطئات لا مبرر له ، وما عليك عندما يخطئونك الا ان تتناول المعجم عند وصولك الدار . وسترى احيانا ان مخطئك هو المخطىء ، او ان المسالة جوازية يصح فيها الوجهان ، او اكثر من الوجهين !

اختلف شاعران ذات مرة فى كلمة (الوداد) وردت فى شعر احدهما ونطقها بكسر الواو فقال الآخر ان الصواب نطقها بضمه . فسألاني ان احكم بينهما ، فضحكت وقلت : الحقيقة اني كنت اظن الصواب نطقها بفتح الواو ! ورجعنا الى المعجم فاذا بها يصح نطقها بفتح الواو وضمه وكسره جميعا ..

مهمة ام هامة ؟

وسترى ان مراجعة المعجم مفيدة دائما ، ان لم تكن فى الرد على معارضك ففي تأييد اعتراضه وتصحيح خطئك ان كنت مخطئا حقا .

قال لي احدهم قبل بضع سنوات ان (المهم) خطأ وان الصواب هو (الهام) ، وعلى هذا لا يقال : ذهب فلان فى مهمة بل فى هامة !

لكن تعبير (همه الامر) يعني اقلقه واحزنه ، او احزنه حتى اذابه ، ومن ثم صار (الهم) يعني الذوبان ـ حتى ذوبان الثلج . واما (اهمه الامر) فيعني اقلقه واحزنه ، ومن هنا جاء قولهم (اهمه الامر حتى همه) اي احزنه حتى اذابه . ومن معنى القلق قيل (اهمه الامر فاهتم به) ، وهكذا نشات صيغ الاهتمام والهمة والمهمة ثم الاهمية .

واذا كان صاحبي قد راجع معجما (مهما) بعد افتراقنا فقد صحح رايه ، والا فهو لا يزال يظن ان رايي في حاجة الى تصحيح .

على ان (المهم والمهمة) قد صدر الحكم ببراءتهما ورفع الحظر عنهما اخيرا ، فقد سمعت من احد اساتذة العربية من انصار (الهام والهامة) يقول ان تخطئة (المهم والمهمة) خطا ، وان الكتاب اخذوا يستعملونهما . ولا ندري من الذي حرم ولا من الذي حلل . الا ان الواضح هو ان المسالة كانت تنتهي على خير لو روجع المعجم من اول الامر .

لكن التحذير الذي لا نجد بدا من ذكره هنا هو الا تتخذ من المعاجم العصرية المختصرة حجة دامغة ، فكثيرا ما تهمل هذه المعاجم بعض معاني الكلمة او اشتقاقاتها ، بالاضافة الى انها لا تخلو من اغلاط لغوية ومطبعية .

استهدف :

من احسن ما توصل اليه القدامى من اللغويين العقلانيين قولهم ان ما قيس على كلام العرب فهو منه .

فالمعجم اولا لا يذكر للكلمة جميع صورها الاشتقاقية بل ما روي منها عن العرب فقط اي ما سمعه اللغويون منهم منها ، ولابد ان ما لم يسمعوه كثير . فاذا لم نجد في المعجم لاحدى الكلمات صيغة الفاعل او المفعول او الانفعال او التفعل .. فهذا لا يعني ان العرب لم يستعملوا هذه الصيغ من تلك الكلمة، وانما يعني ان اللغويين لم يسمعوها وحسب.
ثانيا : حتى لو صح ان العرب لم يستعملوا بعض الصيغ لما كان معنى ذلك اننا لا يجوز لنا ان نستعملها بالمعنى القياسي الذي تدل عليه اوزان تلك الصيغ ، فلكل جيل حاجاته اللغوية ومحسناته التعبيرية .

ثالثا : انه ما من لغوي معاصر ـ مهما يكن معجميا ـ لا يستعمل بعض التعابير المستحدثة التي لم ترد على السنة العرب الاقدمين او وردت على السنتهم في غير معانيها الحاضرة ، مثل : التشريع والانتاج والفنان .. وبعضها مغلوط اصلا مثل : المشروع (مفرد المشاريع) والثلاجة والمفكرة والحكومة والدولة والدوائر (الحكومية) والمرسوم والرسمي والتشريفات والتقارير ومحرر (الجريدة)..

لقد بدا للمحدثين ذات يوم ان يقولوا (استهدف الامر) بمعنى رمي اليه او قصده ، غير ان هذا التعبير القياسي السائغ اختفى وحل محله (هدف الى الامر) .

وحجة الذين يخطئون (استهدف) هي ان العرب انما قالوا (استهدف الشيء) بمعنى ارتفع ، و (استهدف له الشيء بمعنى انتصب،لكنهم لم يقولوا» اي اننا لا نعلم انهم قالوا (استهدف الشيء) بمعنى نصبه هدفا او جعله نصب عينيه .

وجوابنا على هذا هو ان العرب لم تقل (هدف اليه) ايضا بهذا المعنى . فاذا كانت المسالة مسالة تحريم ما لم يرد في المعجم فان تعبير (هدف اليه) حرام مثل (استهدفه) . بل هو احرم لانه مؤلف من كلمتين بدلا من كلمة واحدة . وان كانت المسالة مسالة قياس واجتهاد فان الاجتهاد والقياس يعضدان صيغة (استهدفه) لان العرب قالوا (استخدمه) بمعنى اتخذه خادما ، و (استعمله) بمعنى اتخذه عاملا ، و (استكتبه) بمعنى اتخذه كاتبا ، و (استوزره) بمعنى اتخذه وزيرا .. فلماذا لا يحق للعرب المعاصرين وحدهم ان يقولوا (استهدفه) بمعنى اتخذه هدفا ؟

الشارع الرئيس :

سالني احدهم : هل الصواب نطق (العلاقات الدولية) بفتح الدال نسبة الى الدولة ام بضمه نسبة الى الدول ؟ فقلت له : كلاهما خطا وكلاهما صواب .

والذي اعنيه ان النسبة الى الدولة خطا عقلانيا، لان المعنى المقصود هو العلاقات بين الدول . واما النسبة الى الدول فخطا نحويا . فمعلوم ان من مقتضيات القاعدة العربية (الجاهلية) اعادة صيغة الجمع الى الافراد وصيغة فعيل الى (فعل) ـ بفتحتين ـ قبل اضافة ياء النسبة . ففي النسبة الى القبائل يقولون (قبلي) بفتح الباء ، والى الربيع يقولون (ربعي) بفتحتها كذلك .

وقد قال لي احد الاساتذة ذات يوم وهو يقرا شيئا من كتاباتي «اسمح لي ان اصحح هذه الكلمة».

قلت « أية كلمة ؟ » .. قال « كلمةبديهي ، فانه يقال طبيعي من الطبيعة شذوذا لكن لا يقال بديهي من البديهة ، فالصواب بدهي » . قلت له « ان اهل الاختصاص من العرب في عصور الثقافة تاليفا وترجمة – اي العهد العباسي – قالوا بديهي كما قالوا طبيعي ، فان كانوا مخطئين فيعجبني ان اخطيء معهم » .

والواقع ان العرب القدامى نسبوا الى صيغة فعيل ايضا في بعض الاحوال دون ان يجردوها من الياء ، في مثل قولهم (الخرفي) و (الخريفي) دون تفريق نسبة الى الخريف ، و (المدني) للانسان و (المديني) للطائر ونحوه نسبة الى المدينة .

اما الجمع فلست ادري كيف استغنى العرب الاقدمون عن النسبة اليه بوجه عام ، لكنني ادري انهم كانوا اذا دعت الحاجة يخرقون هذه القاعدة غير الذهبية عند خشية الالتباس . ومن ذلك قولهم (انصاري) و(مدائني) نسبة الى الانصار والمدائن . بل انهم نسبوا الى المثنى ايضا فقالوا (بحراني) نسبة الى البحرين . (وهذه من المفارقات اللغوية فان اسم البحرين ينطق بالياء دائما والبحراني بالالف دائما) . وقياسا على هذا نقترح النسبة الى بلاد الرافدين – العراق القديم – بصيغة (رافداني) بدلا من القول انه (يمت الى ارض الرافدين) .

فاذا كان عرب الجاهلية ، اصحاب القاعدة ، انفسهم قد خرجوا على قاعدتهم عند اقتضاء الحال فما بالنا نحن نتحرج من ان نحذو حذوهم وحاجاتنا اوسع من حاجاتهم وكلامنا اكثر تعقيدا وتعرضا للالتباس من كلامهم ؟

ان قاعدتهم الحقيقية هي الشذوذ عن القاعدة عند الضرورة .

كثيرا ما يصادفنا تعبير (الشارع الرئيس) بدل (الرئيسي) . والذي دفعهم الى هذا فيما يظهر هو انهم لم يستطيعوا الحاق ياء النسبة بكلمة (الرئيس) بعد تجريدها من الياء ، لانها تصبح عندئذ (الراسي) ومعناها يلتبس بمعنى العمودي ضد الافقي . فللخروج من هذا المازق صرفوا النظر عن ياء النسبة وقالوا (الشارع الرئيس) و (الفكرة الرئيسة) و (الامور الرئيسة) .. كانما هنالك رؤساء ومرؤوسون بين الشوارع والاشياء كما بين البشر . اي اننا نضحي بالمعنى ونجافي المنطق في سبيل التمسك بقاعدة غير لازبة .

.. افليس الامثل ان نقتدي بعرب الجاهلية ونقول: الشارع الرئيسي والفكرة الرئيسية ، قياسا على المديني والخريفي .. ونستريح ؟ أم نحن اشد جاهلية من الجاهليين !

اذا فرض علينا ان نعيد كل كلمة الى اصلها المجرد قبل ان نلحق بها ياء النسبة كان علينا ان ننسب الى كل من (الام) و (الامة) و(الامم) بكلمة واحدة هي (الامي) . لكن المعاصرين حلوا بعض المشكلة يوم قالوا (الاممي) نسبة الى الامم ، ولا نستبعد ان ياتي جيل اقل اكتراثا بالقواعد التقليدية منا فيقول (الامتي) نسبة الى الامة ! .. كما يقول بعضهم اليوم (الحياتي) نسبة الى الحياة بدلا من (الحيوي) التي صارت تعني الجوهري والضروري.

اولم يقل العرب الاقدمون : مدني ومديني ومدائني ؟

* * *

هذا نقوله مع الاعتذار الى الاساتذة الذين ورد ذكر بعضهم تنويها في هذه الكلمة ؛ فاننا لا نقصد الطعن باحد بالالماع الى مناقشات لغوية جرت لنا مع بعضهم ، وانما هي آراء لنا نظنها صائبة ونظن نشرها اصبح من الضرورات اللغوية ؛ لتصحيح موقف الكتاب من الكلمات الشائعة التي تصدينا لها ومن امثالها اولا ، ولاظهار مذهبنا في الاخذ بالقياس وضرورة الرجوع الى المعجم عند الاشتباه ومدى التزامنا بما ينص عليه المعجم ثانيا . والحكم للقاريء وللزمان على كل حال .

تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث

الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

عرف البربر كسائر البدو منذ اعرق العصور حياة بدائية لم تكن تخلو من مظاهر احتفظت بها قبائل صحراوية واطلسية الى الآن كالملكية الجماعية والاشتراكية الفلاحية والسكنى فى اكواخ الطوب بالدساكر والاقتصار فى الاكل على الكسكس والصيد وشرب الالبان والعسل والماء القراح ولبس الجبة والبرنس ووضع اكاليل الريش على الرؤوس واستعمال الحراب والاقواس والخناجر والدرقات الجلدية فى الحروب وكان المغربي يرسم على الجدران صورا تمثل حياته اليومية فى براعة فنية رائعة كما يتحلى النساء بالاسورة والعقود وتمتاز المراة بنقش الاواني الخزفية ونسج الزرابي فى تعاريج هندسية وبرز الاطار السياسي القبلي فى شكل جمهورية صغيرة يمثلها مجلس منتخب وقد طعمت الحضارة القرطاجنية الشرقية هذه المعطيات الاولية بعادات جديدة كالطربوش والقميص الفضفاض والتكحل والاختضاب بالحناء والاختتان (1) وربما حدت البربر الى التفكير فى وضع احرف « تفناغ » على غرار الهجائية الفينيقية التى تكونت منها الالفبائية العربية اذا لم يكن البرابرة قد اقتبسوا ° ه البادرة مباشرة من الهيروغليفية المصرية فى الجناح الشرقي لافريقيا الشمالية ويظهر ان اليهود النازحين من الشام وخيبر لم ينقلوا الى المغرب شيئا جديدا باستثناء الديانة الموسوية ونتف من العبرية لم تترك اثرا يذكر فى اللهجات المحلية .

ولعل اول نواة حضارية عربية تلقاها المغرب بعد الفتح الاسلامي قد جاءته عن طريق القيروان التى بدات تنصهر فيها الحضارة الاموية بعد مرور ثلاثة ارباع قرن على الهجرة فاقيمت المساجد والدواوين والمسالح والدور الصناعية على غرار ما عرفته دمشق انذاك من روائع امتزج فيها العنصران الفارسي والروماني واذا اعتبرنا الصلة الوثيقة بين القيروان والمغرب قبل ان تزدهر بالاندلس الحضارة الاموية فى اطارها الجديد امكننا القول بان الشام كانت الينبوع المشترك للحضارتين ما لبث ان تعزز بمدد مباشر فى عهد الادارسة فاذا ما حاولنا التنظير بين عناصر الحضارة الاموية من نشاتها فى الشام الى امتدادها بالاندلس لاحظنا وحدة مقومات العمران والبناء والزخرفة والنقش والثقافة والاجتماع والتراتيب الادارية والقضائية فى اشكالها ومصطلحاتها الا ان الاندلس لم تتصل بهذه المعطيات قبل وصول عبد الرحمن الداخل عام 137 حيث قضى خمس سنوات بالمغرب الشمالي يحاول عبثا اقامة مملكة اموية لان افواج اليمنيين والقيسيين ظلت فى صراع حدا البربر انفسهم الى النزوح الى الريف وطنجة واصيلا بين عامي 134 و 136 هـ ولم تكد الدولة الاموية الجديدة تستقر حتى وضع الادارسة بفاس اسسا عمرانية كانت وفرة مياهها وبساتينها وفنادقها وقيساريتها ومسجديها مظهرا خافتا لعاصمة دمشق .

---

(1) ماضي افريقيا الشمالية ــ كوتيي ص 148 .

وسواء اكان هذا الاقتباس مباشرا او بواسطة فان الفاظا فارسية دخلت منذ هذا العصر الى المغرب ودخلت معها مسمياتها وقد اشار الثعالبي (1) الى نوعين منها :

1 ـ منسية وعربيتها محكية اوصلها الى مائة وواحد واربعين منها البياع والدلال والبقال والجمال والطراز (الدراز بالمغرب) والخياط والند والبخور والغالية والحناء والمضربة والقمرى والربعة (الربيعة بالمغرب) والخرج والدواة والمرفع والفتيلة والمجمرة (المجمر بالمغرب) والمزراق (انتشر خاصة بالجزائر) والطبل والقنية والهريسة والعصيدة .

2 ـ اسماء تفردت بها الفرس فعربها العرب او تركوها منها الابريق والطبق والقصعة والسندس والياقوت والبلور والسميد والكمك والسكنجبين والجلنجبين والفلفل والكروياء والقرفة والزنجبيل والسوسن والياسمين والمسك والعنبر والكافور والقرنفل .

كما انتقلت الى المغرب فى نفس الفترة من الشام مصطلحات رومية قليلة كالبستان والقسطاس والبطاقة والاسطرلاب والقنطار والقرمود والترياق والقنطرة والقيطون (2) والذى يجعلنا نرجع وجود هذه الالفاظ فى المصطلح الدارج بالمغرب منذ هذا العصر هو ان معظمها يمثل المظهر الجديد للحضارة الاسلامية التى بقي الشعر والشعراء فى منأى عن وصفها لانهم حتى فى دمشق ظلوا فى ابراجهم العاجية يبكون فى اسلوبهم الجاهلي على الاطلال ويتغنون بالماء الآسن فى عنفوان المدنية الناشئة . واول مسجد على النسق المعماري الاسلامي فى المغرب هو ذلك الذى بناه سعيد بن صالح الحميري فى نكور (3) فى نهاية القرن الاول استمد فى تصميمه من جامع الاسكندرية التى ظلت مهبط الرواد المغاربة وعلى راسهم الصوفي احمد البدوي دفين طنطا وكانت البساطة آنذاك هي طابع الفن المعماري الذى لم يعرف بعد المقرنصات ولا التماريج العربية) .

والواقع ان انعدام الاقتباس من الطبيعة والامعان فى دراسة الرياضيات ونزعة الابداع حدت مسلمي الاندلس والقيروان ومصر لم المغرب الى التسطيرات الهندسية الساذجة التى يظهر انها وسمت الزخرفة فى اوائل العصر الادريسي وكان استمرار الصراع فى الاندلس بين العناصر السلالية المختلفة من عرب وبربر وقوط عائقا دون تفتق الفن حيث لم تكد تمر ست سنوات (4) على تأسيس فاس حتى انحدرت الى المغرب ثلاثمائة اسرة قيروانية تلتها بعد اربع سنوات ثمانمائة عائلة جاءت من ارباض قرطبة معظمها من الفلاحين والمزارعين الذين استقروا بعدوة الاندلس ووصل بعضهم الى تازاز بالاطلس انتجاعا للحقول والمراعي الخصبة واشجار التوت لتربية دود القز وصناعة الحرير بينما كان مهاجرو حاضرة القيروان من الفعلة الذين اقاموا فى عدوة القرويين الخلايا الاولى للحرف والصنائع اليدوية مدرجين بذلك فى المصطلح الصناعي والتجاري مفردات دخلت منذ ذلك فى التقاليد الحرفية لا نستطيع تحديدها بالضبط واذا اعتبرنا ان الوضع الحالي بفاس لا يختلف كثيرا مما كان عليه من حيث الهيكل العام فاننا نلاحظ ان عدوة القرويين تضم معظم مقومات الاقتصاد والثقافة والاجتماع ففيها القيساريات والحرف والمدارس والزوايا والفنادق ويبلغ عدد احيائها اثنى

(1) فقه اللغة طبعة 1378 ـ 1959 ـ القاهرة ص 450 ـ 455

(2) دار القيطون بفاس اسسها المولى ادريس

(3) مما يبرز تاثير الاندلس احداث الموالي الصقالبة لقرية تحمل اسمهم فوق مدينة نكور (المسالك والممالك للبكري طبعة الجزائر 1911 ص 97) .

(4) تبلغ الاسر الاندلسية التى هاجرت الى فاس عام 202 هـ \ 818 م اربعة آلاف حسب عبد المالك الوراق وثمانية آلاف (روض القرطاس ص 25) ودوزي : تاريخ مسلمي الاندلس 1932 ج 1 ص 301) او ثمانمائة (هنري طيراس ـ تاريخ المغرب ج 1 ص 118) بينما بلغ عدد الاسر الافريقية التى جاءت من القيروان عام 198 هـ ثلاثمائة ويعتبر ان عدد الربضيين تراوح بين اربعمائة وثمانمائة اعتبارا للغلط المحتمل الناتج عن اضافة صفر للعدد ونظرا للتوازن الديموغرافي بين العدوتين وقد تحدث المقري فى النفح (ج 1 ص 318 عن الوقعة التي ادت الى طرد الاندلسيين فذكر ان الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل انهمك فى لذاته فخلعه العلماء بقرطبة فاجلاهم عن الاندلس ولحقوا بفاس والاسكندرية ومنها الى جزيرة اقريطش .

عشر مقابل نصفها في عدوة الاندلس و 17 حماما عوض ستة و 96 كتابا قرآنيا بدل 24 وست مدارس بدل اثنتين (5) .

هذا وان جامع القرويين الذي اسس عام 245 هـ مع شبيهه جامع الاندلس على يد ام البنين واختها مريم الفهرية القيروانيتين لم يكن يثير الانتباه بفن جديد نظرا لعدم اختصاص بنائيه القيروانيين هذا تصميمه الغريب الذي تتوازى بلاطاته مع القبلة على غرار مسجد الشرفاء الادريسي وجامع ابن طولون بالقاهرة وجامعي بعلبك ودمشق وقد اضاف اليه الناصر الاموي عام 345 اي بعد مرور قرن كامل على بنائه اثني عشر بلاطا جديدا وحول المنارة الى مكانها الحالي مغشيا بابها «بصفائح النحاس الاصفر» مع «قبة صغيرة» محلاة بتفافيح مموهة بالذهب» (6) وبذلك انبثقت النواة الاولى للفن الاندلسي المغربي البارز في مسجد قرطبة ومدينتي الزهراء والزاهرة حيث امتزج العنصر السوري بالفارسي والبيزنطي ولعل عهد الناصر الذى ازدهرت فيه الفلاحة والصناعة والتجارة والفنون والعلوم (7) بالاندلس كان عهد تحول وانقلاب في تاريخ الحضارة المغربية التي بدات تتخذ بالعاصمة الادريسية سمات جديدة في شتى المجالات ، تقل مع ذلك روعة وفخامة عن اصولها بقرطبة اذا اعتبرنا المضافات الاموية بجامع القرويين وقد انتشرت بدائع هذا الفن في حواضر ادريسية كالبصرة واصيلا اصبحت تنافس مدينة فاس .

ومن الصعب ان نتعرف على العناصر الحضارية والمصطلحات التي تسربت الى فاس في القرن الثالث الهجري وان كنا نعرف مما كتبه مؤرخون عرب امثال الحميدي صاحب جذوة المقتبس وابن غالب صاحب فرحة الانفس والروض المعطار للحميري ونفح الطيب للمقري الكثير من ذلك بالنسبة للاندلس حيث اكتملت مظاهر المدنية في الادارة والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتماع والعمران واول ما يبدو للباحث حتى بالنسبة للامويين هو امتزاج العناصر الحضارية بسبب تداخل الاختصاصات وعدم فصل السلط حيث تندرج كثير من مقومات الدولة ضمن البلاط كالجامع والصدقات والاعشار والاموال الموسومة على المراكب الواردة والصادرة والرسوم الموظفة على بيوع الاسواق والمكوس والمشرف (8) او الامين ودار السكة وخزانة الطب والحكمة واذا ما حاولنا ان نقارن بين مصطلحات هذا العصر والتعابير المغربية دون تحديد لاطارها الزمني فاننا نلاحظ ان اغلبها

---

(5) ذكر ليفي بروفنصال ان الاندلسيين نقلوا معهم الى المغرب فن البستنة وكذلك تجربتهم للحياة الحضرية كالبناء والصناعة التقليدية (فاس قبل الحماية (Fès avant le Protectorat) وقد لاحظ لوطورنو ص (205) انه اذا كان العرب قد نقلوا الى فاس مظاهر نبلهم فان الاندلسيين قد نقلوا رقتهم والقيروانيين مهارتهم واليهود حيلهم والبربر صمودهم » وقد اعطانا الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه « بساط العقيق » صورة عن حضارة القيروان حيث تحدث عن سماطها (يوجد شبيهه بفاس وهو سماط العدول الا انه اصغر منه) وحماماتها العمومية (49حماما) ومصانع الزربية (ذات الطابع القيرواني الخاص رغم اصلها الفارسي) والزجاج والبلور والورق ودار الطراز وكان قاضي القيروان شيخا للاسلام في تونس او قاضيا للجماعة كما في فاس وقد لاحظ الاستاذ التونسي في رسالة بالفرنسية ان الطبقة المتمدنة الفنية من الاندلسيين قد نزلت مدينة تونس واختلطت باهلها وقلدهم الحفصيون الذين هم فرع من الموحدين . وقد ذكر المقري عن ابن غالب (نفح الطيب ج 2 ص 764) ان اهل الاندلس تفرقوا في المغرب الاقصى مع الريقية فمال اهل البادية الى ما اعتادوه فاستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار واحدثوا الارحى الطاحنة بالماء وعلموا اهل البادية اشياء جديدة .

ومعلوم ان الاندلسيين كانوا يحتكرون ببلادهم ـ حسب سرفانطيس مؤلف دون كيشوط ـ تجارة الاغذية ويضعون يدهم على المحاصيل عند نضجها وهم لا يشترون العقارات حفاظا على حرية رواج اموالهم .

(6) زهرة الآس ص 37

(7) ابن حوقل ـ طبعة Goege ج 2 ص 77

(8) هذه الكلمة معناها امين المال وقد استعملها الموحدون (زهرة الآس ص 82) .

متقاربة عدا كلمات لم يعرفها المغرب مثل صاحب البنيان وصاحب البيازرة والاسجال الخراجية وصاحب التطوع (اي الجبايات المرسومة على الاقطاعات) وصاحب الرد (رئيس قسم الشكايات بالقصر الملكي) والكور المجندة والجند المتدون (اي المسجل فى الديوان) وفحص السرادق (اي مكان تقام فيه حفلة البروز لتوديع البعوث العسكرية وعقد الالوية) والمهرجان (عيد موسمي منه العنصرة التى تعرف بالمغرب) على ان معظم اسماء الحرف موحدة وكذلك اسماء الازهار والاعشاب والمصنوعات اليدوية وغيرها (9) واستمر هذا الاقتباس طوال قرن ونصف قرن بدافع من بني زيري وخلفاء المنصور ابن ابي عامر الى أن اصبحت الاندلس جزءا من العدوة الجنوبية تحت حكم المرابطين الذين استدعى زعيمهم يوسف بن تاشفين رجال الحرف القرطبيين لاقامة المساجد والسقايات والحمامات والفنادق بفاس (10) ودار الامة بمراكش بينما استعان نجله علي بن يوسف بمهندسي الاندلس لمد قنطرة تنسيفت (11) وقنوات الماء وبناء دار الحجر بمراكش (12) وكان لوحدة افريقية والمغرب الاقصى حينئذ اثرها فى ضم الآثار القيروانية الى المدد الاندلسي غير ان من الصعب تمييز الاثرين بوضوح لان جامع القرويين نفسه دخلت فيه مواد اندلسية كالمرمر والآجر والجبس عند تجديده على يد محمد ابن حمدون الاندلسي عام 252 هـ ولم ينس المرابطون الصحراويون اقامة القصبات والحصون فى عمرانهم العسكري الذى تعزز بتسوير الحواضر ايام علي بن يوسف بايعاز من ابن رشد الاندلسي واذا اردنا دليلا على مدى انسجام الصحراويين المغاربة مع روح العصر واستساغتهم للفن واساليبه ومصطلحاته فان ذلك يتجلى بوضوح فى الروائع الجديدة التى اضيفت لجامع القرويين الذى اتخذ حينذاك شكله الحالي بمنبره المصنوع من « الصندل والابنوس والعناب والعاج » (13) وقبته التى كشفتها الحفريات عام 1952 كانموذج للفن فى اروع مجاليه .

وهكذا فالفعلة الاندلسيون الذين انتقلوا الى المغرب فى العصر المرابطي كانوا اذن اكثر اختصاصا من سلفهم وان كان عملهم لم يتجاوز نطاق هندسة المساجد وبعض المآثر العسكرية لان بداوة الملثمين وتقشفهم حالا دون تقبل عناصر حضارية طريفة زخرت بها آنذاك قرطبة واشبيلية كموسيقى زرياب الذي احدث فى الاندلس ثورة جذرية فى العادات فكان بحق « مشرع اسبانيا العربية » ، كما يقول دوزي — وظلت المراة المغربية بدوية الطبع رغم سفورها (14) لم تنفتح للثقافة عدا القليلات امثال زينب النفزاوية زوجة يوسف بن تاشفين والبطلة الموحدية فانو وام هانيء بنت القاضي عبد الحق بن عطية وحفصة الركونية استاذة نساء دار المنصور (15) بل استاذة عصرها (16) وام عمر وبنت ابي مروان بن زهر طبيبة النساء فى البلاط الموحدي وورقاء الفاسية الاديبة الشاعرة (17) وزينب القرقولية استاذة القراءات السبع بمراكش واغمات وزينب بنت يوسف ابن عبد المومن التي ربيت بالاندلس فكانت صاحبة الراي فى البلاط والشفوف فى المجتمع وازاء هذه الندرة من المثقفات فى المغرب كانت نساء غرناطة يشهدون الحفلات العامة سافرات ويسبغن بوجودهن عليها روعة وسحرا ويتمتعن بقسط وافر من الحرية الاجتماعية ، كما كان بالربض الشرقي لقرطبة وحده مائة وسبعون امراة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي الذى اتخذ فى هذا العصر اشكالا خاصة بالمغرب غير ان الموحدين قفزوا بالفن الى مستويات راقية بالرغم عما ابدوه في البداية من روح التزمت

---

(9) راجع القائمة الكاملة بهذه المصطلحات فى الملحق رقم 3 بكتابنا الصادر فى الموضوع والذي نشره معهد البحوث والدراسات العربية بعنوان : (تطور الفكر والحضارة فى المغرب الحديث (1969) .

(10) زهرة الآس ص 87 وجذوة الاقتباس ص 27 .

(11) الادريسي — مقتطفات من النزهة — طبع الجزائر 1957 ص 69

(12) الاستبصار — ترجمة Fagnan ص 179

(13) زهرة الآس ص 42

(14) حتى الاميرات لم يكن يتحجبن مما حدا المهدي بن تومرت الى نقد سياسة البلاط الدينية للنيل منه سياسيا .

(15) الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ص 165

(16) الاحاطة لابن الخطيب

(17) جذوة الاقتباس ص 335

(18) فأضافوا روائع جديدة الى المآثر الاموية تجلت في المنارة الخالدة باشبيلية وجامع حسان بالرباط والكتبية بمراكش والقصور الفخمة والحدائق الغناء (على غرار مسرة المرابطين المعروفة الآن بالمنارة ونضرب مثلا لهذه الروعة بمنبر الكتبية الذى يرجع الى عبد المومن (19) والذى قارنه ابن مرزوق بمنبر جامع قرطبة واعتبره طيراس وباسي (Terrasse et Basset) اجمل ما ابدعه الغرب الاسلامي بل العالم الاسلامي » ولعل الوحدة السياسية التي حققتها الدولة البربرية في المغرب الكبير قد تجلت خاصة في تجديد الاتصال بين الفن المغربي الاندلسي والفنين المصري والعراقي السائدين في بجاية ومهدية وتونس الخضراء (20) وبذلك تعززت الوصلة الحضارية بين جناحي العروبة واندرجت في المجتمع المغربي مصطلحات كانت عصارة الاحتكاك الموصول طوال خمسة قرون وبذلك يكون في وسعنا اعتبارا لهذه المعطيات ان نستخلص بعض الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية من خلال اسماء الحرف التي ظلت الى القرن الحالي الصناعة الاساسية لنصف سكان الحواضر (21) فمصطلحات الحرف بمراكش كانت تحتوي نظرا لقرب العاصمة من الصحراء على كلمات بلدية (22) او حضرية معدودة مثل بمدي (اي اسكافي بدوي) وخطاطري (حفار الخطارات اي السواقي الصحراوية) وتكموتي (صائغ) وتراشلي (حلاج) في حين تزخر بالالفاظ العربية التى حرف بعضها تسهيلا للنطق بها مثل بامهاود (اي حكم يتدخل بين الناس للمهاودة) ومواكني (مصلح المنجانات) وغواساي (بائع الفاسول) وظل معظمها مما ينيف على المائة في قالبه العربي الفصيح مثل التبان (بائع التبن) والحرار والحراث والحمار والحمالمي (بائع الحمام) والخراط والرحوي (صاحب الرحى المائية) والطاحوني (صاحب المطحنة او الطاحونة التي تدار بحركة بغل او حمار) والرخايمي (صانع الرخام) والزيات والسفاط (صانع الاسفاط اي السلال) والمشاب والقطارني (بائع القطران واللباد (صانع اللبد) . اما مصطلحات الحرف والمؤسسات العمومية وغيرها بفاس فاذا استثنينا بعض الدخيل فان الكلمات البربرية اقل بينما تظهر الفاظ خاصة مثل مقدم الحومة ودار معلمة (وهي مدرسة لتعليم الخياطة والتطريز للبنات) وشيوخ الفلاحة (وهم خبراء في الشؤون الزراعية من اصل اندلسي) ودار المميان والمرقطار وسوق الفرش (اي صنع المخاد والحشايا) ومعاصر الزيت وكعب غزال (فارسي) والبلاجة (صانع الاقفال) وصناع الاسلحة الاختصاصيين مثل الجعابيبة (لصنع جعاب المسدسات) والسرايرية

---

(18) وقد امر المنصور الموحدي « بقطع اللباس الغالي من الحرير والاجتزاء بالرسم الرقيق الصغير ومنع النساء من الطرز الحفيل والاكتفاء منه بالساذج القليل وامر باخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت . . » (البيان المغرب لابن عذارى ج 4 ص 81) ففى زمن المنصور والناصر الموحديين كان عدد الاطرزة بفاس 094 3 ودور الصابون 47 ودور الدباغة 86 والصباغة 161 وتسكيك الحديد والنحاس 12 والزجاج 11 وكوش الجير 135 وافران الخبز 1170 واحجار صنع الكاغد (اي الورق وهي كلمة تركية) 400 ودور الفخارة 180 (زهرة الآس للجزنائي ص 33) وقد بلغت الارحي بفاس 600 في القرن السابع (حسب ياقوت المتوفى عام 626 هـ في معجمه ج 6 ص 331)

(19) المسند الصحيح الحسن ص 65 ــ 1925 .

(20) ويليام مارسي ، كتابه حول تاريخ الفن الاسلامي

(21) راجع احصاء قام به ماسينيون عام 1923 ــ 1924 في كتابنا (بمعطيات الحضارة المغربية ج 2 ص 78 .وفي كتابه (الحناطي الاسلامية ــ باريس 1925 ص 38 وقد كان نظام الحناطي (اي النقابات العمالية) يتسم في جميع العصور بطابع الحرية حيث ظل المخزن يحترم مبدا الحرية التجارية والاقتصادية قبل صدور ظهير 1917 القاضي بتنظيم البلديات

(22) الجاحظ يسمى العامية لغة المولدين او البلديين (البيان والتبيين ج 1 ص 111)

لصنع مقابضها) والجوابين (لصنع الاغمدة)
الصقالة والدهابين والسكاكين والبراولية (باعة
خيوط الحرير) والزرادخية (باعة القماش من نوع
الزردخان) والنيارة (صانعو نول النساج) واذا
اخذنا مثالا لباقي المدن المغربية في شخص اصغر
مدينة وهي ميناء ازمور لاحظنا وجود معظم هذه
الحرف عدا التنويع في النسيج وحرف جديدة
كحرفة البغازة وهم بائعو السمك بالجملة والشراحة
وهم مجففو الحوت ، وهنالك الفاظ مغربية اندلسية
مبتكرة نجدها في كتابات تطور الفكر والحضارة الخ .
مثل القبال والقابض بدل الجمركي او
الجابي وقد استند السيد محمد كرد علي لهاتين
الكلمتين للتدليل على اصالة الابداع اللغوي
في المغرب والاندلس (عجائب اللهجات - مجلة مجمع
اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953) ويلوح لاول
وهلة من مقارنة نوع المصطلح في عاصمتي الشمال
والجنوب مدى تأثر فاس بالحضارة الاندلسية حيث
بدات تظهر مؤسسات اجتماعية واختصاص ادق في
بعض المرافق الصناعية بالعاصمة الادريسية ولا بدع
في ذلك اذا اعتبرنا ان مدينة فاس اصبحت في عصر
الموحدين « حاضرة المغرب » الفكرية اجتمع فيها
علم القيروان وقرطبة « ولا يوجد في الدنيا اكثر
مرافق واوسع معايش واخصب جهات منها » كما
يقول المراكشي بشيء غير قليل من الغلو على ان
الفن بفاس اصبح مزيجا للكثير من العناصر
العربية فاذا ضربنا مثلا بالزليج الذي عرف في الشرق
بالفسيفساء لاحظنا انه نوع من الترصيع الخزفي
اصله من الاندلس كان يصنع منه بالاندلس نوع من
المفضض المعروف في الشرق بالفسيفساء (النفح
نقلا عن ابن سعيد ج 1 ص 187) والترصيع هو
التكفيت (كلمة تركية) لها مرادفات منها التلبيس
والترسيب والتنزيل اصحها عند العرب في العهد
العباسي التعليق وفن الترصيع سوري في اصله
عرف باوربا الى الآن بالفن الدمشقي Damasquinage
وقد دخل الفن العربي الى ايطاليا وبعد الحروب الصليبية
غزت المنسوجات العربية الاقطار الاوربية حتى اضطر احد
ملوك فرنسا الى تحديد ايرادها « اعراف المسلمين
وعاداتهم » (ص 247) .

وقد شمل التعريب معظم المواد والآلات
والاجهزة والادوات التي استعملها الصانع المغربي
الى العصر الحديث وتكفي القاء نظرة على معجمنا
« الاصول العربية في العامية المغربية » للتعرف على
مدى فصاحة الاستعراب في هذه المفردات التي نجد
منها في الصفحات الاولى للمعجم الفاظا كالاشفى
(مخرز الاسكافي) والبريمة والبرمة والبرميل
والبوطة والبلور والتبان والترس وتفصيلة الثوب
وتكريشه (تقبيضه) والتكة والتنجيرة والتومة
(القرط) والثلج والحنبل (لفظة يمنية) والحنوط
والخرقة والخميرة والخنجر ، ثم ان الفكر العلمي
الاندلسي الذي حماه البلاط الموحدي بمراكش لم
يكن ليخلو من مظاهر اجتماعية تمثله مثال ذلك
البيمارستان (24) الذي احتوى على « النقوش
البديعة والزخارف المحكمة » وغرست فيه « الاشجار
المشمومات والماكولات » واجريت فيه « مياه كثيرة
تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك في وسطه
احداها رخام ابيض » وما له من « الفرش النفيسة
من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم » وتزويده
بالادوية والصيادلة « لعمل الاشربة والكحول » مع
ثياب الليل والنهار للمرضى ومجانية العلاج ورعاية
المنصور الموحدي الشخصية له بزيارة اسبوعية لتفقد
حال المرضى وقد اشاد مؤرخ فرنسي معاصر بهذا
المستشفى الذي بذ في نظره مستشفيات باريس
في عنفوان القرن العشرين (25) .

وسنرى كيف بلغ المصطلح العلمي اوجه في هذه
الفترة التي اوى خلالها العرش المغربي في ظلال
مراكش الحمراء اقطاب الفكر الاندلسي الذين مهدوا
بكشوفهم العلمية في شتى الميادين عهد النهضة
والانبعاث باوربا حيث ظلوا اساتذتها المرموقين طوال
قرون .

---

23) «المعجب في تلخيص اخبار المغرب» طبع بسلا عام 1357 - 1938 (ص 213 - 221) لعبد الواحد المراكشي

24) نفس المصدر ص 177

25) الموحدون Les Almohades للسيد Millet - طبعة 1927

اما المرينيون الذين كانت لهم ارقى المقومات الملكية بالمغرب واغناها واحقها بتبني التراث الموحدي في افريقية والاندلس فان مغربهم الزاهر كان منطلق الاشعاع في مجموع الشمال الافريقي (26) حيث تبلورت مدنيتهم الحضرية في اروع ما عرفه المغرب الكبير من حواضر ومساجد ومعاهد وقبب وفنادق ومدارس وملاجيء وحمامات وقناطر وحصون وخاصة في عهد ابي الحسن المريني 731 هـ – 752 هـ 1331–1351م الذي يعتبره الغربيون اقوى عاهل في القرن الرابع عشر وقد كان لتزاوجهم الحضاري مع غرناطة النصرية وارثة الاندلس ذيول عززت التراث المشترك الذي ما لبث ان انتقل بكامله مع رجال المهجر الى المغرب ليشكل الحضارة المغربية الاندلسية الموحدة . وقد ظهرت في الحقل الاجتماعي لاول مرة مدارس هي عبارة عن احياء جامعية مجانية للطلبة في مختلف المدن كفاس وتلمسان والجزائر (27) علاوة على قصور فخمة تجلت فيها مهارة المهندسين والفنانين في تصميم معماري محكم ويمكن ان نقدر من خلال وصف (28) لاحد هذه القصور مدى تطور المصطلح الفني والانواع الجديدة من ارباب الصناعات كالبنائين والنجارين والجباسين والزليجيين والرخاميين والقنويين والدهانين والحدادين والصفارين « والجدران المنقوشة بالجبس والزليج والأرز المحكم النجارة والصناعات المشتركة كالتوريق والتسطير) مع فروش الرخام والزليج وطبائير (فسقيات) المرمر والقبب والخوخ (اي الابواب) والخزائن بنحاسها المموه بالذهب والحديد المقصدر »

غير ان هذه المظاهر الحضارية لم تتجاوز المدن لان البادية (اي الارياف والسواد) ظلت نسبيا في معزل عن تياراتها بسيطة في سكنها ومطعمها وسلوكها قد حفظت تراثا لغويا اصيلا ما زالت الحواضر تطعمه تدريجيا استجابة لمقتضيات العصر وسنرى كيف ان قبائل عاشت في ارباض عواصم كرباط الفتح ظلت عالقة الى عهد حديث بتراثها اللغوي الجاهلي الخالي من اية شائبة الامر الذي اسفر عن نوع من الخلل بين المصطلح الكلاسيكي القديم ومولدات العصر الحديث .

وقد توافرت هذه المجالي الحضارية ولوازمها اللغوية العربية التركية في العصر السعدي عندما اقتبس المغرب بعض الانظمة العسكرية العثمانية كما دخلت الى المغرب افواج المهاجرين الاندلسيين(29) بلغت في مدن كتطوان اربعين الفا فيهم الاديب والعامل والفنان والعامل المختص والتاجر والفلاح واذا كانت هذه المظاهر تنعكس على العادات الاجتماعية والمآثر العمرانية ، فاننا نلاحظ في خصوص الازياء ان سكان حواضر اندلسية مثل فاس وتطوان والرباط اصبحوا يضعون على رؤوسهم قلانس حمراء قد لفت عليها عمامة تتوسطها شوشة زرقاء (اي خيوط مدلاة او النواسة) بعد النفي العام اوائل القرن السادس عشر الميلادي لان الشوشة الزرقاء لم تكن معروفة بالاندلس قبل عصور التفتيش الصليبي (Inquisitions) حيث اجبر الاسبان العرب المسحين على التميز بشارة زرقاء

(26) مارسي Marçais – في كتابه « L'Art dans l'Islam » حول تاريخ الفن الاسلامي ص 134 ، وقد ظهرت في هذا العصر نتيجة للتاثير الغرناطي الموسيقى الاندلسية بمصطلحاتها وبعض التعابير القانونية مثل لفظة الظهير بمعنى المرسوم الملكي .
وقد اسهم العلماء والادباء في الصناعة والتجارة مما اكسب الكثير من المصطلحات طابعا فصيحا ومنهم محمد الغساني الذي كان تاجرا بقيسارية ءاسفي يدبر حانوته بعد الفراغ من تدريس الموطأ والسير والنحو والآداب واللغة وهو من رجال القرن السابع (توفي عام 663 هـ (الذيل والتكملة) ومنهم كذلك العلامة محمد بن عبد الله معن الذي كان يتمعش (كلمة مغربية معناها يتعيش) بعمل دود القز بفاس (نشر المثاني في ترجمة علماء القرنين الحادي عشر والثاني ج 1 ص 197) .

27) نخب من « المسند الصحيح الحسن في مآثر ابي الحسن » لابن مرزوق .

(28) نفس المصدر حيث اشار ابن مرزوق الى وضع تصميم معماري لهذا القصر وصفه بانه رسم في كاغد لتقدير الساحة (اي المساحة).

(29) في عام 1 019 هـ هاجرت الوف الاندلسيين الى فاس والوف الى تلمسان وجمهورهم من تونس فتسلط عليهم الاعراب ونهبوا اموالهم في تلمسان وفاس وسلم اكثرهم في تونس وتطوان وسلا وفسحة الجزائر ووصل جماعة الى قسطنطينية العظمى ومصر والشام (نشر المثاني عن النفح ص 101) .

ولباس البياض في مناسبات وفصول خاصة هو ايضا عادة اندلسية حيث كان هؤلاء يخلعون الثياب الملونة ويلبسون البياض ابتداء من يوم المهرجان (اي العنصرة كما تسمى في العدوتين) اي 24 يونيه وذلك الى اول اكتوبر خلال ثلاثة اشهر متوالية (النفح ج 2 ص 752)

اما في الحقل العمراني فان « قصر البديع » الذي استغرق بناؤه زهاء العشرين سنة (986 هـ – 1002 هـ) يبرز لنا مدى التطور الحاصل في الفكر الحضاري ولغته فقد ظهرت مع فنون طريفة مصطلحات جديدة كالرخام المجزع والزليج الملون والقباب الخمسينية (31) كتبت في ابهائها الاشعار بمرمر اسود في ابيض تذكرنا بروائع الاندلس : فمن شعر ابي فارس عبد العزيز الفشتالي يصف هذا الفن قولـــه :

فانها والتبر سال خلالها
وشي وفضة تربها كافور
وكان ارض قراره ديباجة
قد زان حسن طرازها تشجير
وكان موج البركتين امامه
حركات سحب صافحته دبور
صنت بضفتها تمائل فضة
ملك النفوس بحسنها تصوير

وقد كتب بجدوان المصرية (32) المطلة على الرياض :

باكر لدي من السرور كؤوسا
وارض النديم اهلة وشموسا

وكان هذا الاطار العمراني الرائق مسرحا لحفلات شعبية بمناسبة حفلات ذكرى المولد النبوي يجري خلالها اهدار ابناء المعوزين ويتبارى الشماعون في تطريز شموع « يحملها صحافون – كما يقول الفشتالي في مناهل الصفا – محترفون بحمل خدور العرائس عند الزفاف » وهي على رؤوسهم كالعذارى تتبعها الاطبال والابواق واصحاب المعازف والملاهي حتى تستوي على منصات بالديوان الشريف حيث يتمد السلطان على اريكته وعليه حلة البياض شعار الدولة وامامه شموع من بيض كالدمى وحمر جليت في ملابس ارجوان وخضر سندسية في حسك ومباخر ترنم خلالها نوبات منشدي المولديات واشعار الصوفية وتتلى قصائد شعراء الدولة بغزلها ونسيبها ومديحها للرسول عليه السلام وللسلطان وولي عهده في تراتيب يتقدمها قاضي الجماعة ثم الامام المفتي ثم الوزير ثم الكتاب المخزنيون ويختم الحفل بنشر « خوان الاطعمة والموائد » و « توزيع الاعطيات » وكان هذه القصور الباذخة في فرشها الحريرية ونمارقها المصطفة واستارها وكللها وحجالها المخوصة بالذهب وحائطياتها ووصفائها واعلاجها باقبيهم المخوصة ومناطقهم المرصعة وحزمهم المذهبة (33) – صورحية لفخفخة استمرت معالمها في القرن العشرين في بلاط الملوك العلويين وقصور الاثرياء حيث استعيض عن القصاع المالقية والبلنسية المذهبة ومن الاواني التركية والهندية والطسوس والاباريق والصحاف ومباخر العنبر والعود الشرقية باوعية لا تقل روعة قد جلبت من مختلف انحاء الدنيا شرقا وغربا لتضفي هالة من الجمال والسناء على محافل نشرت فيها كالماضي الغصان الريحان الغض وماء الزهر والورد . كما استبدلت بنوبات المنشدين نوبات الموسيقى الاندلسية الرائعة التى تسحر الالباب بنغماتها الشجية وتلاحينها الاخاذة والوانها الخمسة والخمسين وتوشيحاتها التى تتردد في حنان وخشوع على السنة الخاصة والعامة لتسهم في تحريك نبرات القلوب وتوعية الروح وتأجيج الشعور وتوفير الثراء اللغوي في الدارجة والفصحى على

---

(31) اي التى فيها خمسون ذراعا بالعمل اي بالنقش وكانت الجدران تحلىّ احيانا بانواع التطريز ومنه النوع الفاسي الذي هو سوري الاصل. وفي سلا نماذج من اصل فارسي او شامي ويلاحظ في تطريز الرباط تاثير الانسجة الاوربية وكذلك في ازمور التي يرجع تاريخ نماذجها الاسبانية الايطالية الى القرن العاشر الهجري (مجلة هسبريس ج 21 عام 1935) .
وهناك بفاس تطريز علجي الاصل ادخلته الى المغرب النساء التركيات او الجركسيات اللواتي تسرى بهن اهل فاس اما التطريز التطواني فهو من اصل بلقاني .

(32) المصرية اي الغرفة الواقعة في طبقة عليا ولعل لوجود طبقات في الابنية منذ القديم بمصر اثرا في التسمية .

(33) راجع النفحة المسكية في السفارة التركية لعلي بن محمد التامجروتي .

النسواء فكم من تعابير تخللت الالحان كانت ارسخ في البواطن واملك للوعي وكم من المنيات ساحرة رددها الرضيع في حبوه وربة الخدر في حجلتها كان اثرها اوقع في النفس ولفظها اعلق باللسان من كل قصيد يلقن في الكتاب او درس لغوي يلقى في حلقات العلم .

واذا كان عهد السعديين قد نضدت معالمه بالزخارف المعمارية والروائع الاجتماعية فان عهد العلويين الذى اقيمت فيه نفس القصور والبساتين مثل دار الهناء والدار البيضاء والصالحة والزاهرة وجنان رضوان وأجدال بنفس انبذخ قد اتجه الى دعم الكيان بالقصبات والقلاع ومن اروع ما يبدهك في قصر من هذه القصور كقصر الرياض بمكناس عاصمة المولى اسماعيل جمعه بين فخفخة البلاطات الملكية وضخامة التحصينات بابراجها ومدافعها ازاء البرك الفياضة للتمرين والانبساط في فلكها وزوارقها وكانت اهراء القصر تضم اثني عشر الفا من خيل الجهاد وعشرات المستودعات زاخرة بمؤن تكفل للبلاد اكتفاء ذاتيا وميزانا تجاريا متوازنا وقد بدانا بالرغم عن اصالة اللغة العربية بالمغرب نسمع في معماريات العلويين وعمرانياتهم مصطلحات جديدة فيها الكثير من الدخيل كالقنانيط (اي الهياكل) القبوة في الاهراء والاصطبلات المسقفة بالبرشلية اوهي نوع من الروافد والعوارض Pignon) وسواني الماء الدائرة (اي النواعير المائية) والقراميد علاوة على المولدات العسكرية والدبلوماسية واتخاذ الاشبار (اي حفر الخنادق الحربية) وصنع البارود والكور والبنب (اي القنابل والقذائف) ونصب المهاريس والكراريص (اي المدافع المجرورة والضوبلى) لتحرير الثغور المحتلة وبعث الباشدورات الى طواغية (جمع طاغية) الاصبنيول او البرتغال او «النجليز» لاحكام الصلح ومفاداة الاسرى البلوط بالبلوط والبكانجي بالبكانجي والبحري بالبحري دعما للطبجية (اي المدفعية) والبحرية المغربية بفلائطها (سفنها الحربية) وفراكطها (اي حراقاتها) ومراكبها القرصانية. ودخلت الى المعجم المغربي بجانب ذلك عشرات المفردات مثل الكشينة والباصبورط (الجواز) والطنبور والكرنتينة (المحجر الصحي) والمحلة (اي المعسكر) وصاكة الاعشار (اي رسومها) وصقالة (اي برج) والتوافل (الرماح) وتفرقع البونب (اي انفجار القنابل) والبستيون (34) وانواع النقود كالبندقي في اربعين اوقية من الذهب والضبلون (Doublon) في اثنين وثلاثين من الريال (الريال Real فيه عشرون اوقية) والبسيطة (خمس اواق) والموزونة (ربع الدرهم الرباعي اي نصف القرش) والسنجق وبقسماط (بسكويت) وكل تلك مظاهر للعجمة التي بدا المجتمع المغربي يتسم بها حيث « اتخذ ذوو اليسار – كما يقول الناصري(35) المراكب الفارهة والكسى الرفيعة والدخائر النفيسة وتانقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لاسيما بفاس ورباط الفتح ولاحت على الناس سمة الحضارة الاعجمية » التي تعززت مع ذلك بمقتبسات غريبة صالحة مثل فابريكة (اي مصنع) السكر وفابريكة تذويب البارود بمراكش وبرج الفنار (لتوجيه السفن في البحر) باشقار قرب طنجة وبابور البر (القطار الحديدي) والتلغراف وهكذا الى غير ذلك وهكذا بدات تتجلى في الافق المغربي على عتبة القرن العشرين مصطلحات استعملها المغرب في قالبها الافرنجي دون تعديل وسنرى بحول الله خلال حديثنا عن تطور هذا الدخيل خلال الحماية وبعد الاستقلال كيف تمت وحدة نسبية بين جناحي العروبة عندما ظهرت الصحافة المغربية واشرابت الاعناق الى ما يرد من الشرق العربي وخاصة من الشام ومصر حيث انبثقت حضارة طريفة ضمت الى جوهر الاسلام ومعطياته جوانب من الفكر الغربي الحديث .

---

(34) استعمل الناصري في تاريخ المغرب هذه المصطلحات التى بدا يستعملها انذاك سلفه من المؤرخين وقد استعرض الناصري (ص 224) النظام العسكري عند الاتراك فلاحظ ان اهم ما يمتازون به هو العزوف عن العادات الاجنبية والمصطلحات العجمية حيث « عمت المصيبة في عسكر المسلمين بالتخلق بخلق العجم واذا كان اصل العمل ماخوذا من العجم فليجتهد المعلم الحاذق في تعريبه » . (راجع الاستقصا الجزء الرابع)

(35) الاستقصا ج 4 ص 233 يصف الوضع بالمغرب عام 1290 هـ وقد شارك الصانع المغربي في معرض باريس عام 1285 هـ (اي في عهد نابليون الثالث) بنماذج من انتاجه كالسروج المذهبة والمناطق المزخرفة والقطائف المنمقة والزليج الفاسي والمعلمين الذين يباشرون ترصيعه

الفكر الثقافي

أ) اللغة والادب

لعل اول انطلاقة ادبية بلغة الضاد فى المغرب الاقصى هي خطبة طارق بن زياد المشهورة التى انذر فيها الجيش البربري الفتي بانه اصبح فى الاندلس « اضيع من الايتام فى مادبة اللئام » وهي خطبة حماسية اقرب الى صرخة عسكرية بالفاظ نارية ومر نحو القرن (92 هـ — 188 هـ) بين انطلاقة الفاتح البربري نحو الاندلس وبين اعتلاء ادريس الثاني العرش خلا المغرب فى غضونه من اي جو ادبي لان العربية نفسها كلغة ظلت تتعثر فلذلك كانت خطبة العرش الادريسية هي الانتفاضة الادبية الثانية القاها وهو ابن احدى عشرة سنة .

وقد ورد فيها بعد الديباجه المالوفة : « انا قد ولينا هذا الامر الذي يضاعف للمحسن فيه الاجر وللمسيء الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا » . وما لبث أن والى خطبه الرائعة كالتي القاها عندما فرغ من بناء فاس : « اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة وانما اردت أن تعبد فيها ويتلى كتابك وتقام حدودك » فهاذان الخطبتان وان كانتا عاديتين فى اسلوبهما فانهما يرمزان الى مدى نفوذ العربية خلال القرن الثاني الهجري فى المغرب لا سيما وان المولى ادريس كان لا يزال شابا يافعا قد تربى فى بيئة بربرية غير ان الوسط الضيق الذى عاش فيه كان عربيا فى روحه ولغته (1) قد دعم بسمات من الحرس القيسي واليمني علاوة على ادباء امثال وزيره عمرو بن مصعب الازدي وقاضيه عامر القيسي تلميذ الامام مالك وكاتبه عبد الله الخزرجي ، وبدات منذ هذا العصر افواج من المغاربة تتجه نحو الشرق للحج لتقطع الفيافي طوال شهور مجددة الصلة بالعلماء والادباء من الجزائر الى مصر الى اليمن والحجاز لدعم اسانيد الغرب بأسانيد الشرق فى التفسير والحديث والتصوف واللغة والادب وكان البعض يستقر فى حواضر شرقية لفترة تقصر وتطول حتى تقوى ملكته فى الادب واللغة فاذا عاد الى المغرب كان اسهامه اوفر وابلغ فى تحقيق التزاوج الفكري بين جناحي العروبة والاسلام غير ان الفكر الادبي فى هذه الفترة كان لا يزال فى مخاض قد طغت عليه الاتجاهات الدينية والفقهية والعقائدية فسمكو المدراري بسجلماسة قد سمع من عكرمة فى نفس الوقت الذى اخذ محمد القيسي عن مالك وسفيان وحمل ابو جيدة الفاسي فى اوائل القرن الثالث التفاريع المذهبية فكان التبادل محدودا بين الشرق والغرب هدا من طريق الاندلس الى ان انبثق العهد البربري حيث بدات رحلات رسل الفكر تتوالى من الشريف الادريسي الى ابن جبير وابن رشيد والعبدري وابن بطوطة وابن خلدون والحسن الوزان ومآت الاخرين (2) الذين ناروا اعجاب زملائهم فى العواصم الاسلامية بما انتجته قرائحهم وأبدوه فى مناظراتهم من عمق فى الادراك وبعد فى النظر ودقة فى التحليل فى اسلوب كلاسيكي امسى موحدا حتى ليعسر على القاريء ان يتبين بوضوح جنسية الكتاب والقصيد والخطاب لتناسق المصطلحات وتجاوب الدلالات واذا كانت هنالك فروق نسبية فى منهجية التفكير والوان التعبير فهي تكمن خاصة فى الدراسات العلمية التى سنستعرض بحول الله جوانب منها من خلال الكشوف المستحدثة فى الاطار المغربي .

وقد بلغ التجاوب مبلغا حدا ببعض نقاد الفكر الى التنظير بين ادباء وشعراء من الشرق والمغرب الاقصى والاندلس فمنذ العصور الاولى حدثنا البكري عن محمد بن حبوس الفاسي الذي نهج فى منحاه الشعري نهج محمد بن هانيء فى « قصد الالفاظ الرائعة والقعاقع المهولة وايثار التقعير » بينما لقب ابن هانيء بمتنبي المغرب وكان الشرق يتغنى بشعر المغرب والمغرب يردد تلاحين الشرق فهذا ابو هارون موسى بن عبد الله الاغماتي الذى بلغ فى جولته بلاد سمرقند يقول :

لعمر الهوى اني وان شطت النوى
لذو كبد حرى وذو مدمع سكب
فان كنت فى اقصى خراسان ثاويا
فجسمي فى شرق وقلبي فى غرب

---

(1) راشد مولاه هو الذي اقراه القرآن وهو ابن ثمان سنين ثم علمه الحديث والسنة والفقه والدين واللغة ورواية الشعر وامثال العرب وحكمها (الاستقصا ج 1 ص 70)

(2) راجع بحثنا « رسل الفكر بين المغرب والمشرق » (معطيات الحضارة المغربية ج 1 ص 72) .

وهذا المهدي بن تومرت يتمثل دوما بقول المتنبي :

اذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم

ومن شعره :

اخذت باعضادهم اذ نأوا
وخلفك القوم اذ ودعوا
فكم انت تنهى ولا تنتهي
وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر السن حتى متى
تسن الحديد ولا تقطع !

وكانك وانت تسمع خطاب احمد بن عطية لعبد المومن الموحدي تتلمس نبرات شعر حطيئة وهو يتشفع الى عمر بن الخطاب في فلذاته :

وصبية كفراخ الورق من صغر
لم يالفوا النوح في فرع ولا فنن
قد اوجدتهم اياد منك سابقة
والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

واذا استثنينا محاولات نادرة فان المغرب لم ينجب فحولا امثال المتنبي والبحتري وابى تمام ولا امثال ابن خفاجة الاندلسي في وصف الطبيعة :

ومن هذه المحاولات التي اكتفت بوصف حركات خارجية دون استبطان الخواص الدقيقة واستكناه الخلجات قول ابن مجبر يصف خيل المنصور وكانه يستعرض ما استعرضه الثعالبي في « فقه اللغة » من تراتيب وتدرجات في الالوان مع مجاز رقيق :

عرائس اغنتها الحجول عن الحلى
فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب انه
وأن جردوه في ملاءته التفا
وابلق اعطى الليل نصف اهابه
وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجا
فاذ حازه دلى له الذيل والعرفا
واشقر مج الراح صرفا اديمه
واصفر لم يمسح بها جلده صرفا
واشهب فضي الاديم مدنر
عليه خطوط غير مفهمة حرفا

وهذا التسراد اللغوي الذي لم يكن يخلو من روائع بديعية قد انعكس على لغة العامة في مزاولاتها اليومية حيث دخلت في معجمها الدارج اسماء عشرات الالوان كالادكن والابلق والارقط والاشخم والاشقر والاشهل والاغر والمبرقش والخمري والبريش (اي مختلف الالوان) (3) .

وتتسم خطب السياسيين المرابطين منهم والموحدين بالطابع الصوفي مع الضرب على نفس الاوتار فمن قول عبد الله بن ياسين : « اياكم ان تجبنوا وتفشلوا فتذهب ريحكم وكونوا الفة واعوانا على الحق واخوانا في ذات الله واياكم والمخالفة والتحاسد على طلب الرئاسة » . ومن نداء وجهه المنصور الموحدي لجيشه بالاندلس يحضه على الاستماتة : « شمروا عن ساعد الجد معاشر المسلمين في جهاد المشركين فمن مات منكم مات شهيدا ومن عاش عاش غانما ماجورا حميدا» . ففي كليهما لون من المفاهيم وضرب من التعابير كاد يصطبغ بها الادب في شتى مجاليه فاستمع للقاضي ابي حفص بن عمر يتحدث عن علم القدماء : « اياكم والقدماء وما احدثوا فانهم عن قولهم حدثوا ، اتوا من الافتراء بكل اعجوبة وقلوبهم عن الاسرار محجوبة » .

ومن الاخوانيات (4) التي ضاهت اروع ما عرفه الشرق في العصر الفني للنثر رسالة للقاضي عياض الى الفتح بن خاقان جاء في مطلعها : « عمادي ابا نصر مثنى الوزارة ووحيد العصر هل لك في منة تفوت الحصر تخف محملا وتبلغ املا وتشكر قولا وعملا شكرا تترنم به الحداة ثقلا ورملا .. الخ » . واخرى من ابن هانيء السبتي متنبي المغرب اجاب بها ابا القاسم الشريف عن قصيدة اهداها اليه جاء فيها : « .. والآن لا ملهج ولا مبهج ولا مرشد ولا منهج عكست القضايا فلم تنتج فتبلد القلب الذكي ولم يرشح القلم الزكي وعم الافحام وغم الاحجام وتمكن الاكداء والاجبال وكورت الشمس وسيرت

(3) اقتصرنا على نماذج قليلة من معجمنا « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية »

(4) ومما امتازت به الاخوانيات عند اهل المغرب كون الخطاب فيها خطاب المواجهة مثل انت وانا .. وربما خاطبوا الواحد منهم بميم الجمع .. قال ابن شيث في معالم الكتابة « ولا يعرف ذلك لغيرهم (صبح الاعشى ج 8 ص 148) .

الجبال وعلت سآمة وغلبت ندامة وارتفعت ملامة وقامت لنوعي الادب قيامة حتى اذا ورد ذلك المهرق (5) وفرع غصنه الورق تغنى به الحمام الاورق واحاط بعداد عدائه الفصص. والشرق وامن من الغصب والسرق واقبل الامل وذهب لاقباله الفرق ... »

ولم يكد يبزغ فجر العصر المريني حتى بدا المزيج الاندلسي المغربي يتبلور فظهر علاوة على ابن خلدون امثال ابن الخطيب وابن زمرك وعشرات الشعراء والمؤرخين والادباء الذين اذكت شعورهم نكبات الفردوس المفقود وقد افاد الادب المغربي من هذا الفيض الذي غمر العواطف وانطق الالسنة وحرك الاقلام وأسال الشاعريات، ولعل من اروع ما نظم في هذا الباب الملحون الذى نظم منه الشيء الكثير امثال الشيخ محمد بن عبد الرحيم بن بجيش التازي والشيخ المجاهد محمد بن يحيى البهلولي الذى تعرض الى جانب ذلك اشعارا وزجليات تترقرق عاطفة وحماسا .

وكان نحيب الشعراء ينسكب في مراثي محزنة كلما استولى العدو على مغنى من مغاني الاندلس او مربع من مرابعه ولعل من اشد القصائد تاثيرا تلك التى نظمها شاعر مغربي او اندلسي مجهول لم يعثر على اسمه حتى الآن لما فيها من المعاني الجريئة وقوة الحماس ومرارة الوقع وقد قيلت بعد سقوط طليطلة منها :

لتثكل كيف تبتسم الثغور
سرورا بعد ما يئست ثغور

لقد خضعت رقابكن غلبا
وزال عتوها ومضى النفور

الى ان قال :

فلا تهنو وسلوا كل عضب
تهاب مضاربنا منه النحور

انترك دورنا ونفر عنها
وليس لنا وراء البحر دور ؟

رضوا بالرق يا لله ماذا
رآه وما اشار به مشير

وقال الامام السهيلي عندما خرب العدو مسقط راسه سهيل :

يا دار ابن البيض والآرام
ام ابن جيران علي كرام ؟

راب المحب من المنازل انه
حيا فلم يرجع اليه سلام

وكان ابرز ما يمتدح به الملوك اباؤهم وسهرهم الدائب على حفظ كيان الوطن ولو اداهم ذلك الى تقلد الحسام والاستشهاد فقد قال ابو بكر محمد بن صاحب الصلاة عندما قام خطيبا في وفد الاندلس امام الامير عبد المومن الموحدي :

هم الالي وهبوا للحرب انفسهم
وانهبوا ما حدت ايديهم الصفدا

وقد كان لامثال هذه الحماسيات اثر بليغ حيث إذكت نفوس الجماهير والهبت احساسهم واهابت بالملوك لنجدة الاندلس المهدد حتى قال ابن الخطيب موجها مديحه لسلطان المغرب ابي عنان المريني .

والناس طرا بارض اندلس
لولاك ما وطنوا ولا عمروا

وجملة القول انه وطن
في غير علياك ما له وطر

وقد ءاوى ملوك المغرب لاجئي الاندلس ومهدوا لهم سبل الحياة الناعمة حتى قال ابن زمرك متشكرا للسلطان ابي سالم المريني :

كم من طريد نازح قذفت به
ايدي النوى في الفقر رهن سفار

بلغته ما شاء من ءاماله
فسلا عن الاوطان بالاوطار

صيرت بالاحسان دارك داره
متمت بالحسنى وعقبى الدار

ومدحه ابن الخطيب بقوله :

ودم والمنى تدني اليك قطيفها
ميسر اوطار ممهد اوطان

---

(5) يلاحظ هنا استعمال ابن هانيء لكلمة مهرق وهو صحيفة بيضاء او ثوب الحرير الابيض يسقى الصمغ ويصقل لم يكتب عليه وقد قابل به مجمع مصر كلمة Stencil

وكان الشعراء يرسلون زفرات على انتثار عقد الاندلس الذي ظل منتظما نحوا من ثمانية قرون حتى صاح بعضهم حيرة وتحرقا :

كيف السبيل الى احتلال معاهد
شب الاعاجم دونها هيجاءها ؟

وقد قال ابو البقاء صالح بن شريف الرندي :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
ان كان فى القلب اسلام وايمان

وقال أبو المطرف بن عميرة المخزومي بعد سقوط بلنسية :

يحن وما يجدي عليه حنينه
الى أربع معروفها متنكر
ملاعب افراس الصبابة والصبا
تروح اليها تارة وتبكر

الى ان قال :

وبالجبل الادنى هناك خطى لنا
الى اللهو لا تكبو ولا تتعثر
كذاك الى ان صاح بالقوم صائح
وانذر بالبين المشتت منذر
وفرقهم ايدي سبا واصابهم
على غرة منهم قضاء مقدر

وقال الكفيف وهو من فحول الزجالين بزرهون يمدح السلطان ابا الحسن المريني بقصيدة ملحون منها :

عسكر فاس المنيرا الغرا
وبن سارت بوعزايم

وقال ءاخر يمدح السلطان :

أما الجهاد فقد احيى معالمه
وقام منه بمفروض ومسنون
واقام مفروض الجهاد بعزمة
تركت بافئدة العداة فلولا
والله ما ادري وقد حضر الوغى
احسامه او عزمه مصقولا
حطت البلاد ومن حوته ثغورها
وكفى بسعدك حاميا للدمار

وقال :

فما رؤوس الكفر الا حصائد
بسيفك سيف الله تجني وتقطف

وقال :

فاق الملوك بسيفه وبسيبه
فبعدله وبفضله يتمثل

وقال القائد محمد بن يحيي اجانا يخاطب مولاي محمد بن الشريف على لسان الشيخ بن زيدان :

يا مالكا سعدت به اوطانه
فيما مضى وزها به المستقبل
نادى بك النصر العزيز لمغرب
ولكم على فاس الجديد الكلكل

فأجابه محمد بن الشريف بقصيدة من انشاد محمد بن سودة الفاسي :

ما من مليك ذاق لذة راحة
الا تجلى له الهوان فيسفل

الى ان قال :

وانفض غبار الذل وارفض ثوبه
يزداد وجهك بهجة ويهلل

وهي من الشعر الجريء الذى يذكرنا ببعض حماسيات شوقي التى كتبها حيث كان منفيا فى باريس الهب بها شعور مواطنيه .

وهكذا زخر الادب المغربي بعبارات والفاظ حماسية كالعضب ومضارب النحور والسبي والحزن والتحول والرق والوطن والنزوح والاحتلال والاصفاد والعزم والثغور وقطف الرؤوس والنصر وغبار الذل ومآت اخرى تكاد تتفجر ايمانا وحيوية ولعل هذه النبرات هي من اغنى الآداب العربية فى الحقل القومي نظرا لتتابع الويلات على الاندلس وما كان لهذا اللون من الحماسيات ان يتفتق بمثل هذه القوة فى الشعر العربي بالمشرق الا ايام الحروب الصليبية وعند احتلال نابليون لمصر وكانت الصدمة ورد الفعل الوطني قويين لان المغرب ظل منذ فجر الاسلام محتفظا بكيانه واستقلاله ولم يخضع حتى لدار الخلافة العثمانية التى بسطت نفوذها على جل اقطار الشرقين الادنى والاوسط وبقاع شاسعة على طول الضفة الاوربية للبحر المتوسط ولم ينج من نفوذ آل عثمان حتى المغربان الاوسط والادنى فكان من الطبيعي ان تتمخض فى المغرب على اثر محاولات الاعتداء الاجنبية فى القرن التاسع حركة وطنية وطيدة افاد منها تراثنا الفكري كنزا ادبيا يكاد يكون فريدا فى بابه .

وقد عرف المغرب الوانا اخرى للشعر انطبعت بالملق للملوك واحيانا بمرائيات رقيقة واكبت الادب الشرقي في عصره الكلاسيكي الذى حفل بالكليشيهات المتحجرة .

فمن ذلك قول ابي فارس الفشتالي ينوه بفتح السودان :

جيش الصباح على الدجى متدفق
فبياض ذا لسواد ذلك يمحق

وكأنه رايات عسكرك التي
طلعت على السودان بيضا تخفق

وعلى لسان قصر البديع الذى شاده المنصور بمراكش :

سموت لفخر البدر دوني وانحطا
واصبح قرص الشمس في اذني قرطا

وصغت من الاكليل تاجا لمفرقي
ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا

ولاحت باطواقي الثريا كأنها
نثير جمان قد تبعثه لقطا

وللقاضي ابى القاسم بن علي الشاطبي في مجلس المنصور :

ما بال طيفك لا يزور لماما
وبمنحنى الاحشا ضربت خياما

ايعيش فيك عواذلي لسلوهم
واموت فيك صبابة وغراما

ولمحمد بن علي الهوزالي المعروف بالنابغة عند ابلال المنصور من مرضه :

تردى اذى من سقمك البر والبحر
وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر

وبات الهدى خوفا عليك مسهدا
واصبح مذعور الفؤاد الندى الغمر

الى ان قال :

لئن صدئت بيض المعالي لقد هدت
تسيء الكماة البيض واللدن السمر

وانشد محمد بن علي الفشتالي عند فتك المجاهدين بالعدو في سبتة ايام المنصور (عام996 هـ)

هذه سبتة تزف عروسا
نحو ناديك في شباب قشيب

وهي بشرى وانت كفؤ اللواتي
كافات بعلها بفتح قريب

وقال ابن القاضي عند تحرير اصيلا :

يا ايها المنصور ابشر بالعلى
فالله ابلغ في المدا المامولا

انضاكم سيفا لحتف عداته
وبكم غدا سيف الردى مفلولا

وفي عهد السلطان الغالب بالله السعدي زار وزيره وابن اخيه محمد بن عبد القادر مدينة فاس صحبة عالمين هما قاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي واحمد المنجور فلما تبدت لهم معالم المدينة ارتجل الوزير :

اخلائي هذا المستقى وربوعه
وهذي نواعير البلاد تنوح

وذاك المطلى مطرح الشوق والاسى
وتلك منازل الديار تلوح

فاجاب الحميدي :

وتلك القباب الخضر شبه زبرجد
بهن غوان طرفهن جموح
يمس كاملود من الروض يانع
شذاهن من حول الديار يفوح

فعقب المنجور مرتجلا :

ويرفلن في الحلات يختلن في الحلى
وفيهن انواع الجمال وضوح

يبادرن ترقيع الكوى بمحاجر
لاقبال حب طال منه نزوح

ومن شعر السلطان زيدان بن المنصور يتغزل في السوالف والخدود :

فتنتنا سوالف وخدود
وعيون مدعجات رقود

ووجوه تبارك الله فيها
وشعور على المناكب سود

اهلكتنا الملاح وهي ظباء
وخضعنا لها ونحن اسود

ومن روائع النثر ما كتب به المنصور الذهبي الى الشيخين البدر القرافي والزين البكري : « هذا وانه اتصل بعلي مقامنا كتابكما الذى صدحت على افنان البلاغة سواجعه وعذبت فى موارد المحبة الصديقية مناهله ومشارعه ولطفت فى كل معنى من المعاني اغانيه ومنازعه وتالقت على الاجادة فى كل مقصد من المقاصد مواصله العذبة ومقاطعه واينعت بازهار العناية الربانية اباطحه الفيح واجارعه .. »

كانت بعض الالقاب والنعوت تتسرب من المشرق فتثير نقدا لاذعا لدى علماء المغرب مما حدا ابن الحاج الفاسي الى القول : « يتعين على العالم ان يتحفظ من هذه البدعة التى عمت بها البلوى وقل أن يسلم منها كبير او صغير وحد ما اصطلحوا عليه من تسميتهم بهذه الاسماء القريبة العهد بالحدوث التى لم تكن لاحد ممن مضى بل هي مخالفة للشرع الشريف وهي فلان الدين والعالم اولى من يتحفظ على نفسه من هذه الاشياء ويذب عن السنة فى حق نفسه وفى حق غيره .. »

ومن نتائج النقد اللغوي ما كتبه الاجدائي حول التوشيح والوشاحين معلقا على بيت ابن الزقاق المغربي :

على عاتقي من ساعديها حمائل
وفى خصرها من ساعدي وشاح

حيث استعمل هذا الوشاح فى معنى النطاق وهو ما تديره المراة على خصرها والوشاح ما تتقلده على عاتقها فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرجل وقد خطيء ابو تمام فى قوله :

من الهيف لو ان الخلاخل صورت
لها وشحا جالت عليه الخلاخل

لانه استعمل الوشاح فى الحقاب وانما وصفوا الوشاح بالقلق والحركة لان ذلك يدل على رقة الخصر وضمور البطن ..

وقد ظل اقطاب الفكر ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الاجازات كما كان المشارقة يتوقون الى مبادلة علمائنا وجوه النظر وقد عرف الشرق كيف يقدر المغرب فى شخص افذاذه امثال ابن سليمان الروداني والمقري وابن الطيب الشرقي ويحيى الشاوي واليوسي واحمد بن ناصر واحمد القادري ومحمد (الفتحا) الفاسي ومحمد بن الطيب العلمي المتوفى بالقاهرة واحمد بن الخياط الذى مكث طويلا فى القاهرة ايضا واحمد الهلالي الذى ترك لنا وصفا شيقا لرحلته العلمية هذه . لان اساليب الشرق والغرب كانت تتكامل كما ان عناصرها الحيوية يتمم بعضها بعضا فى هيكل موحد رصين . ولعل ما لاحظه المقري وقبله ابن خلدون من فروق بين الشرق والغرب فى الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية قد ظل على ما كان عليه اذ بينما كان الشرق مطبوعا بالعمق فى ملكة العلوم النظرية طفق المغرب يوغل فى البحث اللفظي مع تحقيق ما احتوت عليه بواطن الابواب وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتنبيه على ما فى الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقالات مع ما انضاف الى ذلك من تتبع الآثار وبينما غلب على تآليف المشارقة الايجاز (عدا البعض كالغزالي والفخر الرازي) مع انحصار فى الموضوع سواء فى التصنيف ام التدريس اذا بالمغاربة من القيروان الى القرويين يوغلون فى الاستطراد . واذا كانت صناعة التاليف قد انتهت في علماء المغرب على صناعة اهل المشرق فى شخص ابن ابناء المراكشي فقد عللوا ذلك (ببراءة نسبه من البداوة) غير أن الامر لم يبلغ الحد الذى زعمه ابن خلدون فى المائة الثامنة من انقطاع ملكة التعليم على طريق النظار لان التحقيق العلمي ظل طابع الكثير من علماء عهد الشرفاء هذا مع تحفظات منها نوع من التجمد فى المنهج وايغال فى استظهار النصوص حيث ادى الحال فى بعض نواحي المغرب كسوس الى تطرف فى الاستظهار تجاوز المتون الى معجم اللغة ولكن هذا الاسلوب الذى كان يحجر الفكر احيانا عند من لا يستطيع ان ينسق بين واعيته وملكته التصورية قد ضخم على العكس عند البعض السليقة العربية ولا ادل على ذلك من وفرة اعداد الادباء والشعراء فى سوس حيث لا يزال التحقيق اللغوي خاصة بارزة ولا يعزب عنا ان ابن القزاز البربري هو الذى صحت عليه اللغة بالاندلس بعد ابي علي البغدادي وان اهل شنقيط اقرب الى الفصحى من باقي عناصر الشعوب العربية بفضل تلك الروح الاستظهارية البسيطة .

واذا اردنا ان ندرك نوع المعارف التى كانت سائدة فى ذلك العصر والتى احتكرت نشاط رجال الفكر فما علينا الا ان نستعرض زمرة ممن شملهم العهدان المغربيان امثال البوسعيدي والافلالي والتمنارتي وميارة والمرغيثي واليوسي والعياشي

وآل الفاسي والغساني والحلبي وابن زاكور واحمد ابن ناصر وغيرهم فستتضح لنا خطوط ذلك الاطار الذي انحصر فيه النشاط الفكري .

فمن عالم يكدح في خمول موزعا يومه بين التدريس والعبادة الى مصنف لا يعدو شرح النصوص الفقهية او جمع تراجم الصوفية أو وضع لوائح مطولة عن شيوخه واجازاته الى فقيه انصرف للقضاء او الفتيا فاحتكره حديث النوازل والاقضية والخصام والشجار .

ولكنك تجد ازاء هذا التنوع الفقهي والوجهة الصوفية اتجاهات من نوع جديد تضفي على المجتمع الفكري الوانا طريفة فانك تعثر في هذه الفترة على دواوين شعرية وتحريرات تاريخية الى جانب كتابات في الحساب والفلك والطب فهذا عبد الرحمن التنارتي يتولى الفتيا والقضاء ويقرض الشعر العالي ويؤرخ لسوس العالمة في فهرسته القيمة وهذا المرغيثي يدلي دلوه في كثير من شعب المعرفة بعد ان اقام في زاوية الدلاء محفل الآداب والعلوم فيكتب في الرياضيات والهيئة ويجمع معلومات شيقة عن مجتمع عصره مازجا ذلك بفوائد مختلفة تتراوح بين التنزلات الروحانية والوصفات الطبية والشوارد الادبية وقد استقى الافراني مادة تاريخ المجتمع السعدي عن امثال هذه المصنفات ، وهنالك نوع آخر من التصانيف يتجلى في (الدر الثمين) لميارة حيث نجد الى جانب الذيول الفقهية والتعاليق الصوفية طرائف عن الحركة الفكرية المعاصرة وبرحلة العياشي يظهر اسلوب جديد في البحث يحاول ان يتجاوز النطاق المغربي المحدود الى ذلك الفضاء الواسع الذي يمتد الى الشرق الادنى حيث المناهج الدراسية تختلف نوعا ما عنها في المغرب وحيث طرائق التصنيف ومواضيع التاليف تتسم بميزات من طراز جديد فنرى العياشي يحاول ان يدرس خصائص الشرق ليقارنها بالحالة المغربية مخللا ذلك بنظرات تاريخية وتلويحات صوفية واستطرادات ادبية فهو يحدثنا عن شراب البن في الشرق مشيرا الى انعدامه اذ ذاك بالمغرب كما يصف لنا يوم المحمل بمصر ثم لا يلبث ان ينتقل الى الطرقية ومناكر المواسم معرجا على جزئيات كتطويل اللحية وحكمها وعدد العوالم ثم يدرج فوائد طريفة كاستيناس المصريات المترفات بشراء ريال من الازهار كل يوم ولا شك ان شيوع هذا النوع من التاليف في الوسط المغربي يحدث اثره السريع .

وقد اغرق العلماء في التصنيف حتى بلغت تآليف بعضهم المائة والسبعين وهذه الوفرة من ابرز مميزات العهد العلوي يضاف اليها التنوع حيث تجد الرجل الواحد يؤلف في الطب والهيئة والفقه والتاريخ والتراجم والآداب ولكن اذا كانت بعض المصنفات صورة صادقة لذاك العصر كمحاضرات اليوسي فان الكثير يمتاز بموضوعية متطرفة لا تترك مجالا لانبثاق ذاتية المؤلف مما يفقدها الروح والمتعة فالمحاضرات تصور لك الحركة بكيفية تثير في النفس حب التطلع وروح الانسياق مع المؤلف حتى ليخيل للقارىء انه يعيش في ذلك العصر وهل هناك لوحة تاريخية ابلغ من تلك الصور المتتالية التي يرسمها اليوسي فيشخص فيها الادباء في مساجلاتهم والصوفية في حضراتهم والملبسين في دعاويهم والعوام في خرافاتهم وتشبه الرحلة اليوسية رحلة احمد ابن ناصر من حيث الافاضة في الحديث عن الشرق .

ثم ينبثق القرن الثاني عشر فيتسع نطاق النشاط الفكري ويتضخم التنوع فيظهر امثال الزياني والوزير الغساني والشريف العلمي .

فالزياني مؤرخ دقيق الملاحظة يخطو باسلوب البحث والتحقيق خطوات ويوسع موضوعه ليكشف عن الحياة في جزء من القارة الاوربية وينطبع اسلوبه التاريخي بمنزع جديد لانه يحاول مزج وصف الاحداث بنظرات عن نظام الحكم والحالة الفكرية . اما رحلة الغساني الى اسبانيا فانها وثيقة عرفت ادباء المغرب اذذاك باساليب الحياة في بلدان مسيحية ووصفت المجتمعات الاوربية وحياة البلاطات والطبقات الارستقراطية الاسبانية ، وتجد الشريف العلمي يفرد ادباء وشعراء بتاليف خاص فيتجه بالتصنيف اتجاها فنيا يهدف الى النقد والتحليل والتنظير من خلال محاورات اجراها مع اثني عشر من معاصريه كالحلبي وابن زاكور ومسعود المريني والغزال والبوعصامي غير ان هذا (الانيس المطرب) جاء رغم ذلك موسوما بالطابع العام الذي كان يصطبغ به التصنيف في القرن الثاني عشر وهو الانتشار وعدم التزام الموضوع وقد شبهه بعضهم من هذه الناحية بقلائد العقيان للفتح بن خاقان او المنتقى المقصور لابن القاضي . فنحن نجد الى جانب هذا البيت الذي هو من نظم المؤلف نفسه يخاطب به المولى اسماعيل :

امولاي امنت البلاد واهلها
فلله رب الناس ثم لك الشكر

قصيدة للحلبي مطلعها :

يا رب اني ضعيف هالني الوجل
ما حيلتي يوم هول العرض ما العمل

واخرى لابن زاكور (وحيد البلاغة وفريد الصياغة) صدرها بقوله :

اتق الله ما استطعت فان
الله ربي مع الذين اتقوه

هذا مع ان للحلبي مقامات عارض بها الحريري ولابن زاكور (عنوان النفاسة في شرح الحماسة) و (مقياس الفوائد في شرح ما خفي من القلائد) والصنيع البديع وشرح المقصور والممدود وشرح لامية العرب والمعرب المبين وغير ذلك .

وهذه النزعة الصوفية نجدها عند معظم شعراء هذا العصر فالشاعر مسعود المريني (واعظ المدينة المرتدي بالوقار والسكينة) الذي له تآليف في التصوف وقصائد عارض بها ابن الوفا وطاول ابن الفارض يقول في مطلع قصيدته :

يا رب انك موجدي ومكوني
ومدبري ومصوري ومشكلي

وفي اخرى :

سهام الموت راشقة النبال
ونحن مع البطالة لا نبالي

ولكنه يقول ايضا :

طيف الخيال تعرضا
اخذ المقام واعرضا

واثار وجدا كان في
طي الاضالع اجهضا

ويقول في رسالة التزم فيها السين محتذيا بابن الخطيب :

سلام كنسمة مسك سرت
لانفاسكم بنسيم سحر

لساحتكم ساقه مستهام
سباه سنا حسنكم وسحر

ومن شعراء العصر ايضا محمد بن العربي الشرقي (شاعر الاوان الذي لم يشتمل على مثله ديوان) القائل في حقيقة الشاعر : (ان اسم الشاعر لا يطلق الا على من وقف في حرم المعاني بكل المشاعر اما من سلك طريقة واحدة فآراؤه فاسدة وبناؤه على غير قاعدة) ولعل هذا التعريف صورة لذلك العصر الذي كان شعراؤه يستوحون من ارواحهم المضطلعة باوار التقوى وفي ذلك الحوار الذي دار بين هؤلاء الشعراء وبين الشريف العلمي الوان شتى وضروب مختلفة للآداب والفنون التي كانت رائجة في ذلك العصر .

وبعدما يذكر العلمي شعراء معاصرين آخرين امثال احمد عمور نراه يعرج على كتاب العصر كالمهدي الغزال القائل في وصف راقصة :

قامت بكاس السروم راقصة
بين الغواني رقصها يطرب

كانها والكاس في يدها
بدر تبدى حوله كوكب

وفي وصف بستان :

انظر الى الروض وقد نثرت
عليه اوراق من الياسمين

يحكي بساطا ناعما صيغ من
زبرجد يعلوه در لمين

ولكنه يقول ايضا متاثرا بنزعة العصر :

الموت لا شك آت
وكل آت قريب

فتب وتب قبل ان
يعتريك منه وثوب

ومنهم عمر الحراق القائل في ديوانه يفاخر بمسقط راسه شفشاون :

ما شعب بوان ما مرج دمشق وما
نيل بمصر وما العاصي لدا حلب

في جنب شفشاون الغراء ان فخرت
بتينها وبزيتون وبالعنب

ومنهم احمد دادوس (صاحب التعاريض في الضروب والاعاريض) الذي رثى وغزل وجد ما شاء وهزل) والاديب البوعصامي (بليغ مصره وامام الادباء في مغربه وعصره رحل الى المشرق، وطلع عليه كالبدر المشرق) القائل :

محى بدمع كالعقيق محاجري
شوقا لطيبة والعقيق وحاجري

ولهذا الشاعر باع طويل في ترتيب النغمات الثمان التي عليها مدار الغناء والالحان.

ومنهم ايضا الشاعر عبد القادر بن شقرون القائل :

اسقياني كؤوس بنت الدوالي
ان عراني السقام فهي الدوالي

الى ان قال :

كم ليال قطعتها في نعيم
حفظ الله عهد تلك الليالي

بين راح وشمعة ومغن
وظباء قنصتها باحتيال

ولكنه ينفعل (لنزعة العصر) فيقول :

رب يسر لعبدك الفتح واشرح
صدر من صدره من العلم خال

ومنهم الكاتب محمد بن سليمان (شاعر مطبوع .. واديب همام) القائل :

عذيري من هوى غصن رطيب
اراني البدر من فوق القضيب

مليح فاتر الالحاظ طفل
صبوت لحسنه بعد المشيب

ومنهم الحاج علي مندوصة الذى كلامه (يغار منه امرؤ القيس وبحن اليه جميل بثينة وقيس) القائل :

الى كم فذلك النفس ترمي فؤادنا
بسهم نضي اللحظ ارياشه هدب

الى ان قال :

فدونكم ربات قرط خريدة
مفوفة هيفاء هام بها الحب

مبرقعة لمياء غضة بضة
سوى انها عذراء ناهدة عرب

ومنهم محمد بن يعقوب (صاحب الابيات السهلة العبارة اللطيفة الاشارة) ومن تلك النماذج تدرك ان شعراء العصر العلوي الاول مراتب فهم بين فحل (يتصرف في فنون الكلام كثير الاغراب لا يعلم له مراد ولا يفهم من ابياته الا افراد) .

وهناك شعراء وكتاب آخرون لم يذكرهم الشريف العلمي في انيسه امثال عبد الواحد البوعناني مفتي فاس الذى هنا المولى اسماعيل على تحرير العرائش بقوله :

الا ابشر فهذا الفتح نور
قد انتظمت بعزكم الامور

وقد وصف اشرئباب اعناق المدن المختلفة الى التحرر على يد السلطان فقال :

ووهران تنادي كل يوم
متى ياتي الامام متى يزور

وقال قبله :

اذا ما جاء سبتة في عشي
تناديه اذا كان البكور

ومنهم عبد السلام بن حمدون جسوس القائل :

رفعت منازل سبتة اقوالها
تشكو اليكم بالذي قد هالها
مع بادس وبريجة فتعطفوا
وتنبهوا كي تسمعوا تسآلها

فلقد قضيتم للعرائش حاجة
مع طنجة فاقضوا الذى آمالها
وارفع لهذا الغرب راسا انه
في الضعف ما دام العدا انزالها

وقال عبد السلام القادري :

علا عرش دين الله كل العرائش
وهد بنصر الله قصر العرائش

تلك الوان خاصة من الشعر الوطني الذى يحاول فيه الشاعر التعبير عن آلام الشعب وآماله .

وعندما قام المشاغب ابو حفص لوقاش يدعي الملك قائلا :

انا عمر الموصوف بالباس والندى
انا عمر المذكور في ورد الجفر

اجابه ابن بجة الريفي بقصيدة منها :

في صفحة الدهر قد خطت لنا عبر
منها ادعاء الحمار انه بشر

وهذا لعمري ابدع فى فن الاقذاع .

وفى هذا العصر كانت زاوية شرقاوة فى ناحية تادلا محفلا للآداب والفنون وقد خلفت زاوية الدلاء تشملت بعطفها كثيرا من الادباء الذين وجدوا فى ربعها المقام الرحب كالافراني الذى بدا حياته التصنيفية بشرح بديع لتوشيح ابن سهل الاندلسي وهو نموذج للنثر (الفني) فى ذلك العصر اما الزاوية الناصرية فقد احتفظت باشعاعها فى الجنوب وفى (الدرر المرصعة) لمحمد المكي الدرعي صور ناصعة لآثار هذه الزاوية فى العلم والآداب والكتاب ينطوي على معلومات ادبية قيمة وقصائد رائعة منها مقطومات كلها تفجع على اهل الدلاء كقول العربي الفاسي:

ادار بذات السدر فى الجانب الشرقي
سقاك الحيا ما دام صوب الحيا يسقى

اما درعة فقد قيل فيها بين ما قيل :

المم بدرعة واختر للنزول بها
زاوية الفضل مأوى المجد والكرم

وهناك مقطوعات منها للهاشمي الشكلنطي الرباطي :

يا حاديا اسرع بذات الزمام
وارع رعاك الله حق الذمام

فانني امسيت ذا قلق
من شدة الشوق وفرط الغرام

وقال :

ورشا من آل يافث
لحظه بالسحر نافث

يخطط السين الى تاء
المثاني والمثالث

قلت جدلي بوصال
قال دع عنك الوثاوث

- وتذكرني هذه الابيات بالبيتين اللذين ساقهما الجاحظ فى البيان والتبيين :

والشيخ رايته
يفعل ما لا ينبغي

قلت له انت بري
قال بلى انا بغي

ويمكن القول بأن تلك النهضة الادبية الرائعة التى عمت بلاد سوس فى العهد العلوي حتى تفتحت القرائح عن بعض ما انتجه الفكر المغربي - انما يرجع فضلها للحركة الناصرية التى نشرت العلوم والفنون الى تخوم الصحراء .

وهذه العجالة تضيق من استعراض النماذج المختلفة للحياة العقلية فى العصر العلوي ولعل فى كتاب (نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني) لمحمد القادري مادة وافية لمن اراد ان يقف على الوان الحركة الفكرية بالمغرب خلال قرنين .

وقد ضرب الملوك الادباء بسهم وافر فى هذه الحركة فحفظ السلطان محمد بن عبد الله الاغاني للاصفهاني مع صحاح الحديث وامهات الكتب تركيزا للملكة العلمية وكان فى ذلك بعث جديد للغة العربية واصولها وآدابها وفى هذا العصر ظهر محمد بن الطيب الفاسي استاذ الشيخ مرتضى الزبيدي المصري الذى الف اكبر موسوعة لغوية فى العصر الحديث هي تاج العروس فى شرح القاموس للفيروز ابادي (6) والذى كان يصحح من املاءاته معاجم اللغة كما فعل ابن القزاز البربري فى العصور الاولى .

اما القرن الثالث عشر فانه لا يكاد يختلف فى مجموعه عن سابقيه فقد امتدت الى اوائله حياة رجلين هما محمد التاودي ومحمد المنالي الزبادي اللذان مات كلاهما عام 1209 وكانا انموذجا جديدا لعلماء يحرصون على انتاج الشرق للتبحر فى علوم لم تكن منتشرة فى المغرب الا عند الخواص وقد كان العالمان رسولين من المغرب الى الشرق فى هذه الفترة للاقتباس من الفكر العربي هناك وخاصة فى القاهرة حيث تبلورت معطيات الحضارة الاسلامية فى الازهر الشريف ومن نبغ فى هذا القرن من رجال الفكر ابن عجيبة الذي تحتوي فهرسته على معلومات

---

(6) قال الزبيدي فى شيخه هذا: ورايت شرح شيخناالامام اللغوي ابى عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المتولد بفاس سنة 110 1 والمتوفى بالمدينة المنورة سنة 170 1 وهو عمدتي فى هذا الفن والمقلد جيدي بحلى تقريره المستحسن (التاج ـ المطبعة الخيرية ـ مصر 1306 هـ ص 3)

حول الحالة الفكرية فى تطوان وسليمان الحوات الذى جمع فى البدور الضاوية اجازات الدلائيين ومراسلاتهم ومقتطفات من اشعارهم والشيخ حمدون ابن الحاج الذى ترك لنا ديوانا حافلا بمدائح المولى سليمان الذى حركت مآثره المشاعر حتى قال محمد ابن ادريس الفاسي :

بسليمان قد سلمنا وسرنا
فالعلى منزل له والعلاء

كفه كفت الفساد وكفت
كل عاد فما لكم اكفاء

وبلغ صدى المفاخر السليمانية تونس الشقيقة فتحركت شاعرية فحلها الهمام ابراهيم الرياحي الذى نظم قصيدته الخريدة التى مطلعها :

ان عز من خير الانام مزار
فلنا بزورة نجله استبشار

ومنهـا :

هذا الذى رد الخلافة غضة
وسما به للمسلمين منار

ومن شعر ابن ادريس يستنفر الشعب لحرب اسلى مشيرا الى زحف الصليبية من الشرق ضد الاسلام :

يا اهل مغربنا حق النفير لكم
الى الجهاد فما فى الحق من غلط

فالشرك من جنبات الشرق جاوركم
من بعد ما سام اهل الدين بالشطط

فواتح المكر تبدو من خواتمه
فمنده المكر والمكروه فى نمط

من جاور الشر لا يعدم بوائقه
كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقد تعزز النشر بالمطبعة الحجرية التى اسست بفاس فى منتصف القرن الماضي فصدرت عشرات المصنفات القيمة التى زخرت بها مكاتب المخطوطات. وقد اتصل حبل الادب على الطريقة التقليدية فى النصف الاول لهذا القرن كما تواصلت حلقات التصنيف فى نطاق محدود على غرار القرون السالفة مع ايغال فى الاقتصار على الجمع والتنسيق بكيفية تجرد عالم التاليف من كل روح .

ومن الصعب التمييز استنادا الى منهجية التعبير وحده بين مصنفات يتارجح تاريخ انبثاقهما بين قرون ذلك ان اسلوب الادباء واللغويين ظل فى كلاسيكيته المتحجرة فى منأى عن الاهتزاز للكثير من النبرات الجديدة المتفاعلة مع لوازم البعث الحضاري المتجدد واذا كانت اللغة كائنا حيا يتدرج فى مراحل النمو بين الطفولة والهرم ثم الانبعاث فى طفرات جديدة فان اللغة العربية بالمغرب الاقصى خاصة قد احتفظت بطابع اصيل خلال خضم الاحداث السياسية والحضارية واذا كان هنالك عامل منطقي لتعليل هذا التحجر فهو ان الكثير من ادبائنا ولغويينا ظلوا عالقين بابراج عاجية فى حين ان لهجة التخاطب كانت قد درجت فى المجاري الحية الفياضة وبذلك اتسعت الهوة بين الفصحي والعامية بتسرب الدخيل الاجنبي وقد تجلت روح التجديد عند ادباء او فى مراسيم ومراسلات رسمية فظهرت بدلا من مصطلحات معربة فى قالب رصين الفاظ عامية على حساب اللغة الاصيلة الفاظ عامية تكثر وتقل تبعا للحاجة الملحة فى ضبط الوقائع وتدقيق الماجريات وان كانت خطابات ووثائق سياسية اخرى احتفظت باسلوبها الكلاسيكي الرنان على حساب الدقة والوضوح .

اما فى صحراء شنقيط فقد نشر الشيخ احمد ابن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة مصنفه القيم « الوسيط فى تراجم ادباء شنقيط » منذ عام 1329 هـ ـ 1911 م فى الوقت الذى انبثقت الثورة من اقصى الجنوب بزعامة ما ءالعينين لتحرير المغرب من الزحف الصليبي فاتحفنا بصور رائعة عن فنون من الشعر الرفيع ابدعته قرائح الصحراويين المغاربة فى قلب الفيافي القاحلة مجددين بذلك عهد الجاهلية الاولى فى نصاعة الاسلوب وجزالة اللفظ ورقة المعنى وفخامة المبنى وكانت ضروب القول لا تتعدى الاطار التقليدي من مفاخرة ومهاجاة ومديح وغزل وتشبيب وقد برز عشرات من الشعراء والناشرين خلدوا اللغة فى اصالتها وروعتها الاولى .

فمن شعر ابدا محمد بن محمود يصف مرافق الصحراء :

حملنـا الخيـام وانضادهـا
وسرنا جميعا لقالا بطا

فجر المجاف رويدا لئلا
تخب فتبهر او تشلطا

ومن الازجال العامية التي اصبحت تسير مسرى الامثال عند الجماهير قصائد « الملحون » للفقيه الشاعر الهادي بن محمد (المتوفى عام 1319 هـ) .

مدمن علال
محدود المميال
افكل اسوال
اسر من حنش (7)

ومنها يذم قبيلة باسلوب عربي لاذع :

ما ثم المغفير
وبلا خيم اكبير (8)

اما الصحافة فقد ظهرت في المغرب منذ ازيد من مائة واربعين سنة ولكن بلغات اجنبية خاصة في سبتة وطنجة الى عام 1868 حيث برزت جريدة اسبوعية بثلاث لغات (العربية والفرنسية والاسبانية) تحلل احداث العالم وماجريات المغرب ، وفي عام 1889 صدرت اول جريدة عربية اسمها « المغرب » وتنافست المفوضيات الاجنبية فصارت كل واحدة منها تصدر صحيفة باللغتين الاصيلة والعربية لمهاجمة الحكومة المغربية تمهيدا للحماية .

ولم تكن تصل الينا آنذاك سوى جريدة « الاهرام » المصرية التي كان المغاربة يتهافتون على قراءة الاعداد القليلة الواردة منها ثم توالت الصحف العربية في اوائل القرن العشرين فظهرت «الفجر» و «لسان المغرب» و «السعادة». وانصرف الفكر المغربي طوال ثلاثين سنة لتعزيز المقاومة المسلحة فلم تظهر اول دورية وطنية الا عام 1932 وهي مجلة «مغرب» التي ما لبثت ان تعززت بصحف اخرى مثل مجلتي(السلام)(والمغرب الجديد)وجريدة(الحياة)تعضدها في المساجد محاضرات تكونت في حلقاتها نخبة واعية شكلت الاطر الوطنية الاولى للخلايا التي انبثت في البلاد تركز لغة القرآن وتقرا بتلهف ما يتسرب خفية الى المغرب ضمن الحركة الشرقية للتاليف والنشر من الصحف والمجلات (9) وبدات روح جديدة تتفتق في اسلوب حماسي رائع يستمد اواره من النهضة القومية بالجناح الشرقي للعروبة وخاصة بمصر والشام فظهر شعراء لمع نجمهم وبدا الشعر يعني بالقضايا الاجتماعية والسياسية في الوطن العربي ويتخلص تدريجيا من وطاة المفاهيم الكلاسيكية حول الغزل والتشبيب والمدح والهجاء متفتحا لمعطيات طريفة اكثر صلة بمستحدثات العصر ومتطلبات التطور ومع ذلك فان هذه الفترة لم تكن خالية من تخضرم كمرحلة انتقال بين عهد برز فيه جيل ما قبل الحماية وجيل التوثب الجديد الذي اشاد به الاستاذ علال الفاسي في مخطوط حياة « وادي الجواهر » فمنهم محمد غريط صاحب « فواصل الجمان » حيث ترجم لازيد من ثلاثين من « وزراء وكتاب الزمان » كان ينظر الى قيمتهم الادبية بمقياس جديد فقد تحدث عن اديب « استكتب في وزارة الخارجية الى ان شالت نعامته ووسدت في التراب هامته في عام نيف وعشرة وثلاثمائة والف » ثم حاول تعريف قطاع وزاري جديد في اسلوب قانوني ينم عن اهتمامات العصر في الحقلين الدبلوماسي والسياسي حيث قال : « وزارة الخارجية عبارة عن الاستقلال بمباشرة دعاوي اهل الحماية وتنفيذ ما تعلق بها من عزل او ولاية والوساطة بين السلطان وبين سفراء الدول وكبرائها وكتابة الرسائل لملوكها ووزرائها » . ومن نظمه الرائق نشيد مدرسي نحا فيه منحى طريفا بين التوشيح والتخميس في «مان جديدة .

قال :

يا بني الدهر اجيبوا
داعي النصح النير

---

(7) مد اي ماذا وعلال من العل يعني الذي يحلب نوق الناس بعد ان تذهب للري من عند اهلها وهو عندهم وصف في غاية الذم ومحدود افلميال اي معدود في العيال اي عالة على الناس والانوال بيوت من الشعر واسر من حنش اي اكثر من الحنش سري .

(8) ثم اي اصله ثم وهي لغة والتمغفير التخلق كالتمعدد اي التشبه بمعد بن عدنان) باخلاق بني مغفر ومغفر قبيلة بناحية فاس والخيم هو حسن السجية وهو الخلق كما عند ابن سيده في المحكم (فارسي معرب) ومعنى البيت ان هؤلاء القوم مجردون من كل الاخلاق المغفرية ومن السجايا الحسنة .

(9) واهمها مجلة « المنار » للشيخ رشيد رضى التي كانت قليلة حتى اضطر بعض رجال الفكر من المغرب الى التوجه للجزائر للاطلاع عليها .

واستجدوا ذكر قطر
كان ذا صيت شهير
جددوا للغرب مجدا
واركبوا كدا وجدا
واقدحوا للعلم زندا
والبسوا للحزم بردا
وابتغوا هديا ورشدا
تسمعوا شكرا وحمدا

وتروا رعيا جميلا
من ذوي القدر الخطير

ومنهم احمد البلغيثي الذى يعتبر انموذجا للعالم المبرز والفقيه الضليع والمفتي البارع الذى يحقق قضايا القانون فى مصطلح دقيق يستجلي بواطن المعضل الى جانب شاعرية فياضة جمعت بين الصفاء والجزالة . ومن نظمه :

بدت لي ترنو بالعيون الفواتر
ولكن لها فى القلب وقع البواتر

بدت لي وفى قلبي المعنى بحبها
لواعج اشواق كحر الهواجر

اما عبد الله الفاسي نائب السلطان مولاي حفيظ بطنجة وسيره بباريس فهو خطيب واعظ وناقد قانوني ، ومن شعره :

ليس التمدن ما يلهيك عن عمل
يرقي البلاد ويعلي الفكر والنظرا

ليس التمدن فى عيب الذين مضوا
بل التمدن فى اجلال من غبرا

وقال فى قصيدة اخرى يصف بعض ما ظهر آنذاك من طائرات وسيارات وقطارات وبواخر وغواصات :

هذي المناطد فوق الجو تنشدنا
هذي المآثر والآثار فى الدول

هذي المراكب تطوي الارض تتحفنا
قرب المزار ويمن السير والنقل

هذا القطار يخد الارض ممتطيا
متن البسيطة فى سهل وفى جبل

هذي البواخر فى عمق البحار وفى
اعلاه تفعل فعل الفارس البطل

هذا التمدن هذا الفضل فاهن بـه
ليس التمدن بالالحان والغزل

ومن بين من برز من الشعراء فى هذه الفترة :

محمد السليماني الذى تمخضت رحلته الى الشرق العربي الناهض عن ثورة فى احساسه ومنهجيته ومن نفثاته التى يواكب فيها شاعر الكنانة حافظ ابراهيم قوله :

ولست الى النسيب اهش كلا
فان وراءه لمع السراب

ولا وصف المجالس يزدهيني
ولا جس المثاني والرباب

اليست امتي فقدت حجاها
وهذا عزها وشك الذهاب

وهذا صبحها يحكي مساء
غزالتها توارت بالحجاب

وقد وصف فى دقة وروعة جانبا من المآسي الاجتماعية والاقتصادية التى توالت على المغرب المحتل مشيرا الى تكبة العربية وتقلص ظلها وسياسة التفقير والتجهيل التي نهجها الاستعمار :

رضينا العي حتى لا فصيح
اذا ما قال سرك فى الجواب

ولا احد من اهل العلم منا
يقيم لسانه عند الخطاب

مصانعنا الم بها فساد
فاصبحت الصنائع فى اضطراب

وساد على تجارتنا كساد
فراس المال منخرم الحساب

وزاحم فى فلاحتنا اناس
جنوا من ريعها عجب العجاب

ونحن ازاءهم فقراء نلقي
بانفسنا باحضان المرابي (10)

(10) راجع «الادب العربي فى المغرب الاقصى» لصديقنا الاستاذ محمد بن العباس القباج

وقد كانت الدعوة الى التجديد فى نطاق الروح الاسلامية هي شعار العصر يتردد فى كل قصيد فمن ذلك ما قاله السليماني :

فكل زمان لـه حلـة
فالـق دلاءك بيـن الكـرام

وعبد الله الفاسي :

والبس لكل زمان حل حلتـه
فالشهم من يعرف الإدوار والعصرا

وقد اتجه القريض خاصة لوصف مظاهر حضارية مستحدثة كمناظرة الشاعر محمد بوعشرين بين الكهرباء والماء حيث يقول :

قد سبح الماء فى انبوبه سحرا
فقطب الضوء كالمزور من غضب

الكهرباء اراها قوة جبلت
على الحرائق والاسراف والعطب

ضوء الزيوت وضوء الشمع قد محيا
من آية الليل اذ اشرقت عن حجبي

الى ان شبه هذه المناظرة الطويلة برواية شخصت ادوارها فى اسلوب جذاب واستعمل فيها تعابير طريفة حيث قال :

تلك الرواية عن تعبير نـادرة
تشخيص ادوارها من ابدع الخطب

وقد ردد المغرب فى تلهف وحنان اصداء الشرق المتنائي الذى حالت دونه حجب وعوائق مترسما خطاه فى كل شاذ وفاذ فقد عبر محمد ابن اليمني الناصري عن حرقة الادباء فى فجيعتهم بالمنفلوطي حيث قال مشيرا الى فن الفقيد والوان بديعه :

ما للمعارف ترسل «النظرات»
نحو الثرى وتسلسل «العبرات»

فالمغرب الاقصى يعزي مصر فى
ذاك الابي مذلل العقبات

يا مصطفى وليت عنا لابسا
حلل الثناء موفق الخطوات

قد كنت فينا مرشدا ومهذبا
ومشذبا بالخير خير نبات

* * *

وطفر المغرب طفرته الرائعة بزعامة الاستاذ علال الفاسي ورفاقه الاحرار عام 1933 عند مطالبة الشعب بتخليد الذكرى السنوية للعرش المغربي كعنوان للوطنية الصادقة التى اظهرها جلالة المرحوم محمد الخامس وقدمت الكتلة الوطنية فى العالم التالي برنامجا مركزا للاصلاح برهن بالاضافة الى روحه التحررية عن الخطوة الجريئة التى تطعمتها اللغة العربية فى فترة وجيزة اصبحت خلالها قالبا حيا لمفاهيم جديدة ومصطلحات طريفة رددها الشعب فى شعاراته مثل الغاء الحكم المباشر وفصل السلطة وتشكيل مجالس وطنية منتخبة واقرار الحريات العامة وحق الاضراب وتوحيد التعليم وضمان الملك العائلي وتوسيع القرض الفلاحي ومحاربة سياسة الادماج وتكوين الاحزاب وفتح المجال للبعثات العلمية الى الشرق العربي وحماية الصناعة الوطنية وضمانة السكن الصالح للجميع وتعززت هذه المطالب بحركة « تضامن » بين تونس والجزائر والمغرب وانعقدت «مائدة مستديرة» بين الكتلة الوطنية وادارة الحماية وصدرت صحف عربية جديدة ك « الاطلس » . فقطع المغرب بفضل هذه الانتفاضات خلال نصف قرن ما لم يقطعه فى آماد عريضة حيث تقاربت الاحاسيس وتجاوبت العواطف بين الشعوب العربية واتحدت مجالي التعبير بعربية حية تساوقت مصطلحاتها وتجانست مفرداتها فى الصحافة والاذاعة فى عواصم الشرق والغرب العربيين. وانبثقت الى جانب هذه الثورة الفكرية نهضة علمية انعكست صورها على مجلات ودوريات مثل « رسالة المغرب » التى اصبح عنوانها رمزا لمدرسة القاهرة الناهضة فى شخص « رسالة الحسن الزيات » ورفاقه من الاخصائيين العرب الذين بذروا فى روعنا الايمان بقدسية العربية كلغة للعلم والحضارة فى العصر الحديث فكان للمفاهيم الجديدة وتعابيرها الطريفة صدى عميق فى نفوس نخبة حية من المثقفين المغاربة ما بين مزدوجي الثقافة وموحديها . ولاعطاء صورة عن « رسالة المغرب » التى تبلور فيها الانتاج الفكري الرصين فى المغرب قبل منتصف القرن الحالي ناخذ العدد الاول (11) من السلسلة الاسبوعية

---

(11) ونلاحظ ايضا فى هذا العدد فراغا أبيض هو عبارة عن جزء مقال قصته رقابة الحماية لانطوائه على عنصر لم يرقها وكثيرا ما كانت المجلات والصحف الوطنية تصدر ببضاء :

الجديدة (العام 1368-1949) حيث نستشف من عناوين الابحاث والدراسات الوجهة الجديدة في الادب والثقافة في المغرب الناهض فهنالك دراسات حول الانانية ومعجزة الاسلام المعاصرة وزهراء مجدولين او تنازع العوامل العبقرية شذوذ والتثقيف الذاتي ورثاء شاعر مصر علي الجارم وقصيدة للشاعر المرحوم عبد الكريم بن ثابت الذي قضى شطرا من حياته في مصر

« وجهك الباسم » وهي من بواكير الشعر المنثور جاء فيها :

وجهك الباسم لي نعمى وروح وهناء
ورجاء لفؤادي كلما عز الرجاء

وشفاء لجراحاتي وسلوى وعزاء
ونعيم ذكرني نفحة منه الخلود

حين كنا نجهل الدنيا و«الام الوجود
تملأ الفرحة روحينا وتبدي وتعيد

وكلانا يا حبيبي مثل انفاس الصباح
مثل همس السحر النائم في ضوء القمر

يتغنى بالاندية

ونقرا في الفهرس العام لسنة 1950 فسيفساء من الدراسات يعطي مجرد عنوانها لمحة عن الاتجاه المصطلح العربي في المغرب منها : الشعور والانفعال - عصامية الادب - صلاتنا الثقافية مع مصر - الفكر الاجتماعي والفكر النقابي ورسالة الشعر وارادة الشعوب وكياننا الروحي ودفاع عن اللغة العربية والترف الثقافي والعلم والشاعرية وثقافة هذا الجيل ومركب الكمال وشرقية الحضارة المغربية الخ ..

ونستشف من خلال نماذج شعرية اتجاه الفكر المغربي الحديث ، وللاستاذ الكبير علال الفاسي :

مضى الشطر من عمري واني دائما
حليف هوى مفر وخدن اذى مصدي

واطمح للروحي كبلسم جرحها
فتابى سوى صدي وتابى سوى ردي

واطلب عقلي منجدا في كفاحها
ولكنها تطغى على العقل في الحد

تجاذبني اهواءها وتمد لي
ظلالا من الالوان لامعة المد

وتحت عنوان «رؤيا» قال الشاعر الاستاذ محمد الحلوي :

اي دنيا انت يا دنيا الرؤى
يا ملاذ الروح يا نبع النبي ؟

سبحة من سبحات الروح في
افقك السحري عمر ذهبي

ونسيم عطر منسكب
منك في قلب وجيع متعب

نسمة تخلق من «الامه
عبقريا مبدعا للمجب

في مجاليك استقيت الفن من
نبعه الفياض صافي المشرب

وتلقى قلبي اللحن الذي
يتلقى مثله كل نبي

سال في روحي شعاعا حالما
لهاب في قلبي وروى ادبي

ومن شعر الاستاذ عبد المجيد بن جلون خريج « جامعة القاهرة » :

يا نديمي اسق نديمك
زده نعمى وحبورا
زده صفوا وسرورا
وخيالا وشعورا

يا نديمي اسق نديمك

فالملا الاكوان خمرا
يندلع منها الشعور

ثم قل كون كبير
او فقل كون صغير

اوليس الكون سرا ؟

الليالي والعصور
في محيط تتقلب
انها حمقاء تصخب
والزمان الفظ يلهب

ظهرها وهي تدور

ومن شعر الاستاذ عبد الله ابراهيم رئيس الحكومة سابقا :

سر كرعش الكهرباء
المشته السنة القضاء

فانا هنا قسوى اندفاع
ليس يحكمها ذكاء
فسل النجوم لو النجوم
تجيب فى لغة الضياء
وسل الصخور الجاثمات
بدون يأس او رجاء

وسل العباب الضخم يزحف فى انخفاض وامتلاء
وسل الرياح الهوج تبدو بين عنف والتواء
يا ليت شعري ما القضاء وكيف المشاني القضاء ؟
امصير اتعاب الشعوب وما بنته الى الفناء ؟

ومن شعر ادريس حسن العلمي من قصيدة طويلة بعنوان « الصفاء » :

لدى منبع النور مهد السناء
زها الفجر رونقه والسماء
وفى صفحة النهر ناعمة
بلمس النسيم ورقص الضياء
وبين الخمائل اطيارها
تطربها بلذيذ الغناء
وعند المروج وعطر الزهور
وعند الهضاب وسحر المساء

نشدت لروحي الرضى والصفاء

ومن شعري النادر فى صباي :

النور بدد ما اعتكر
لما بدا ضوء القمر
والارض فى جنباتها
عرف الربيع قد انتشر
وانساح فى الروض المنمنم
خده موج البشر
متناثرا متزاوجا
مستمرئا حلو السمر
فالجو يغشاه السناء
ببرقة تجلو النظر
والقلب يخفق نشوة
فيشع بالزهو البصر
والنفس نبع فيضها
تتزاحمت فيها الفكر
والطير يشدو زاهيا
من فوق افنان الشجر
لنبراته وقراقة
مثل الزلال بلا وتر
وجداول فوارة
يطفو بصفحتها الزهر
والورد بلل خده
قطرات انداء السحر
فى مثل حبات الجليد البيض
او سقط الدرر

تلك نماذج من نتاج الفكر المغربي فى مختلف العصور وخاصة فى الحقبة الحديثة تعطينا صورة عن تطور الفكر فى الوانه الطريفة وانعكاساته التي تشرق وتخفت على التعبير اللغوي الذي واكب رغم تنائي الديار تطور الفكر العربي ضمن الوحدة الكبرى .

المؤثرات الدينية

كان تعليم القرءان والفقه هو الانطلاقة الاولى لتعريب الجهاز الديني فى المغرب الاقصى حيث اناط طارق بن زياد بسبعة وعشرين من العرب رسالة تلقين مبادىء الشريعة الاسلامية الى الجيش البربري ثم عمر بن عبد العزيز على راس المائة الثانية وما لبثت الدعوة ان تقلصت بسبب الاضطرابات السياسية بين الامويين والعباسيين فظهرت فى الميدان فرق الخوارج التى نقلت ءاراءها التحريرية معززة بالقرءان والحديث ولعل انتشار الفكر القرءاني فى الوسط البربري هو الذى حدا مؤسس النحلة البرغواطية الى وضع قرءان بالبربرية فى ثمانين سورة اطلق عليها اسماء للانبياء كآدم ونوح او حيوانات كالجمل والديك والحجل والجراد او الفاظ اخرى مقتبسة من القرءان كهاروت وماروت وابليس والحشر وقد توثقت الصلة بين المغرب والشرق منذ عصر التابعين حيث ارتحل العالم سمكو ابن واسول والد امير سجلماسة المدراري الى المدينة لاخذ العلم وربما العقيدة الخارجية عن عكرمة (1) مولى ابن عباس تعززت دولة الصفرية الخارجية فى الصحراء المغربية الى منتصف القرن الرابع حيث استحالت فى عهد الناصر لدين الله الى امارة سنية تخضع للمذهب المالكي الذى انتشر فى مجموع اصقاع المغرب اذا استثنينا فلولا معدودة من الفرق ظلت تنافس الخوارج كالشيعة الموسويين

(1) ذكر ابن خلكان ان عكرمة كان بربريا يرى راي للخوارج .

باغمات والروافض بالاطلس الكبير (2) والبجليين (3) بسوس وقد استاصل المرابطون في صراعهم ضد البرغواطيين شافة هذه الطوائف التي اسهمت نحوا من ثلاثة قرون في نشر العربية ضمن دعاويهـــا العقائدية .

وكانت فاس ملتقى لشتى المذاهب السنية فقد عرفت مذهب الاوزاعي ومذهب ابي حنيفة قبل ان يستقر فيها مذهب امام دار الهجرة وكان الاوزاعي امام اهل زمانه — كما يقول مالك — انتشر مذهبه في الشام نحو مائتي سنة (4) وكذلك في الاندلس قبل الامويين (5) اما ابو حنيفة فقد ظهرت نظرياته بافريقية الى آخر القرن الرابع ومنهـا دخـل الى الاندلس وفاس حيث لم يحتد الصراع بين المذاهب لانصراف المغاربة الى المذهب المالكي على ان الامـام ابا جيدة الفاسي قد حمل معه من الشـرق وثائـق شافعية (6) بالاضافة الى تضلعه في التفاريع المالكية بينما لم يقدر ذلك للمذهب الحنبلي بالرغم عما اشيع من دخول احمد بن حنبـل نفسـه الى المغـرب (7) وكذلك للمذهب الظاهري الذي تزعمه ابن حـزم بالاندلس في القرن الخامس (8) . اما مذهب الامام مالك فان منطقة نفوذه تجاوزت البصرة والحجاز الى الاندلس والجزر المتوسطية كصقلية وافريقيا حيث امتدت من مصر الى تونـس والسـودان والمغـرب الاقصى (9) واذا كان هذا المذهب قد تعزز بالاندلس بفضل يحيى بن يحيى الليثي الذي كان مكينا عند الامويين وفي افريقيـة بفضـل سحنـون صاحب المدونة (10) فانه تركز عندنا لاسباب شتى منها ان الادارسة ساندوه لمساندة مالـك بيعـة العلويين وتقديس البربر لمدينة الرسول عليه السلام ولعاداتها التي اعتبر مالك العمل بها دعامة لمذهبه مع اقـرار المصالح المرسلة وتحكيم الاعراف التي لا تصطدم مـع روح الشريعة وابي المولى ادريس الا ان يسند القضاء لتلميذ مالك وسفيان الثوري محمد بن سعيد القيسي(11) وقد نشات جامعـة القروييـن عـام 245 هـ في احضان هذا المذهب كجامع تركزت فيه دراسة علوم الدين وعلوم الآلة مثل سائر المساجد التـي تعتبـر معبدا ومعهدا ياوي اليها الغريب ويجتمع في حلقاتها طلبة العلم ولكن هذا الجامع ما لبث ان اصبح في القرن الرابع مهبطا لـرواد الفكـر يتقاطـرون على عاصمة استوطنها قرطبيون وقيروانيون من رجـال

(2) حسب ابن حوقل وهم اتباع موسى الكاظم لذى اخذ له والده جعفر الصادق البيعة بعد وفـاة ابنه اسماعيل (الامام السابع للاسماعيلية) وقد رفضت البيعة لموسى فعرفت بالرافضـة التي وجدت بالاطلس الكبير حسب البكري .

(3) اتباع علي بـن عبـد الله البجلـي بماسـة وتارودانت .

(4) خطط الشام لمحمد كرد علي .

(5) مدارك القاضي عيـاض (ج 1 ص 66) الى ان رحل الى مالك قرعوس وشبطـون زيـاد بن عبـد الرحمن الذي ادخل الموطا الى الاندلس وغيرهما فالزم هشام بن عبد الرحمن الاموي الناس بمذهب مالك حوالي 170 هـ اي في حياة مالك حيث كان شيخ المفتين صعصعة بن سلام تلميذ الاوزاعي وامام مذهبه قد ادخل كتب الحديث الى الاندلس (جذوة المقتبس للحميدي طبعة 1952 ص 227) وقد لاحظ محمد كرد علي (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد 20 ص 321) ان بعض المذاهب كمذهب الاوزاعي لم تكن تقل عن غيرها شانا غير ان الملوك لم يعضدوهـا ولم يهم بهـا الخاصـة والعامة وللاوزاعي كتاب رد فيه على ابي حنيفة في خمس وثلاثين مسالة حربية اي من القانـون الدولي العـام وانتصر الشافعي في كتابـه الأم (ج 7) لاكثرها .

(6) توفي ابو جيدة حوالي 360 هـ (سلوة الانفاس لابن جعـفر الكتانـي ج 3 ص 93 طبعـة فـاس الحجرية)

(7) كما ورد ذلك في الاعلام للزركلي (ج 1 ص 192) وفي شعراء بغـداد للخاقانـي (ج 1 ص 386) ومجلة اللسان العربي (عدد 3 عام 1965) .

(8) لاحظ احمد امين (ظهور الاسلام ج 2 ص 7) ان الاجتهاد انحصر منذ القرن الرابع في اربعـة مذاهب وابطل كما قيل نحو خمسمائة مذهب.

(9) الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرحون المطبعة الحجرية بفاس ص 17) .

(10) (جذوة المقتبس ص 360).

(11) الجـذوة ص 13

الفقه والسنة وكان جامع الازهر(12) يؤدي نفس الرسالة في الجانب الشرقي لافريقيا الشمالية بينما ظلت جامعة الزيتونة بتونس العاصمة تتنافس مع القيروان ثم مع بجاية في القرن السابع وقد ظهرت في بادية الجنوب اول مدرسة عرفها المغرب كدار للمرابطين يلقن فيها القرءان ومبادىء العلم اسسها وجاج بن زلو اللمطي تلميذ ابي عمران الفاسي الذى كان انتهى به المطاف في تجواله لانتجاع العلم والمعرفة الى حاضرة افريقية حيث برز امثال اسد بن الفرات وسحنون وابن ابي زيد القيرواني والقابسي من رجالات الفقه والاصول وكانت قراءة حمزة هي الشائعة بين القراءات القرءانية السبع الى ان اختار المغرب كالقيروان قراءة نافع منذ صدر المائة الرابعة لتبسيط تلقين القرءان في الكتاتيب التي كانت مجرد جناح في المسجد (ولذلك تسمى المسيد وهي تحريف مسجد) وكانت للعوامل السياسية يد قوية في الاختيارات العقائدية اذ ما كادت مثلا مخطوطات « احياء علوم الدين » للغزالي تنتشر بالمغرب حتى انبرى خصوم المهدي بن تومرت من المرابطين يدعون الى تحريقها لما شاع آنذاك من اتصال الرجلين(13) وكان لتسرب المفاهيم والتعابير الفلسفية الغزالية اثرها في اوساط الفقهاء الذين ما لبث المهدي بن تومرت ان حملهم على عقيدة الاشعري السلفية من تأويل متشابه القرءان والحديث استنادا الى ضروب المجازات مما يتلاءم وروح الشرع ويعضده العقل والطبع وحظر المنصور الموحدي التقليد في الفروع وحمل الناس على الرجوع للاصلين على طريقة الاجتهاد المطلق واحرق كتب المذهب المالكي بعد تجريدها من الحديث والقرآن كمدونة سحنون (14) وكتاب ابن يونس ونوادر ابن ابي زيد ومختصره وتهذيب البرادعي وواضحة ابن حبيب مستعيضا منها باحاديث اقتبست من المصنفات العشرة على غرار ما نسقه ابن تومرت من احاديث الطهارة فصار المنصور يمليها بنفسه كما يفعل السلطان العلوي محمد بن عبد الله في القرن الثاني عشر الهجري (15) وقد انتشرت هذه المجاميع وحفظها الناس من العوام والخواص (16) فكان فيها ثراء للغة واندرجت منذ ذلك العهد في الفصحى والعامية مآت الكلمات ذات الاصل القرءاني والحديث الفقهي . ومعلوم ان الاشعري لم يكن يؤمن بقدرة العقل المطلقة في البحث عن البراهين للدفاع عن الدين ولكنه لم ينكر ايضا قيمة العقل فلذلك هدف الى ابراز « موافقة العقل الصريح للشرع الصحيح (17) ولم تكن هذه الانتفاضات الوحدية خلوا من دخيل سياسي كالمهدوية الشيعية التي عزز بها ابن تومرت نظام دولته .

وتروى في قصة المهدوية احاديث وآثار واخبار اوصلها ابن ابي نعيم الى الاربعين واضاف اليها السيوطي المصري ما نماها وحللها فراجت في المغرب واثارت موجة من الادعاءات حملت ابن خلدون على نقضها وتفصيل القول في مناكرها ومع ذلك ظهر متنبئون كابن هود الماسي وحاميم الغماري وابن ابي محلى ووجد الكهان مجالا واسعا لمخاريق اسندوها الى حسابات الجفرية وهي جداول منسوبة الى جعفر الصادق امام الشيعة محشوة بالتنبؤات من ماجريات المستقبل بارقام ومربعات اصبحت لغة للكتاب

---

(12) بني جامع الازهر جوهر الصقلي عام 359 او 360 هـ في حين تاسس جامع الزيتونة سنة 141 هـ (758 م) (صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار للشيخ بيرم ج 1 ص 122)

(13) اكد ملاقاة ابن تومرت والغزالي ابن الخطيب في الحلل واليوسي في المحاضرات والزركشي في تاريخ الدولتين والزبيدي ولم يجزم ابن خلدون في تاريخه ولا صاحب المعجب وقطع بنفيه ابن الاثير في الكامل والصواب في نظرنا التوقف لعدم وجود الدليل على هذا اللقاء .

(14) اول من ادخلها الى فاس دراس بن اسماعيل المتوفى عام 362 هـ

(15) الا أن هذا السلطان كان ينهى في نفس الوقت عن تدريس الاصول اذ لم يبق في نظره اجتهاد (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 213).

(16) المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (طبعة سلا عام 1357 — 1938 ص 177)

(17) هذا عنوان كتاب للحافظ ابن تيمية وقد ثار ابو بكر بن العربي في كتابه (القواصم والعواصم) ضد ما اصاب العلماء في عهد المرابطين من جمود على تفاريع المذهب وضد طريقة التعليم التى تدرجت آنذاك من تلقين القرءان الى الادب ثم الموطا فالمدونة فوثائق ابن العطار فاحكام ابن سهل .

المشعوذين وخاصة فى الاطلس الصغير وذاع صيت المغاربة شرقا لاستبحارهم فى علوم الطلاسم والتنزلات الروحانية التى تخللت تعابيرها حروف سريانية وعبرية وتداخلت هذه المعطيات مع اسرار التنجيم التى خبرها فقهاء ومتصولة ادرجوا معها خواص الاسماء وكان لذلك اثره فى تعقيد التأويلات القرءانية وخلق مصطلحات جديدة اورد بعضها ابن خلدون الذى علل لنا ببراعته بعض عناصرها مشيرا الى تكهنات مالك بن وهيب فقيه المرابطين ضد ابن تومرت الذى استغل فى دعاويه هذا الاستعداد الفطري فى نفوس العامة فبدأ بتاسيس رابطة للعباد جمع فيها طلبة القبائل ولقنهم تعاليم التوحيد بكتابه « المرشدة » باللسان البربري ولقب انصاره بالموحدين ووصم خصومه بالتجسيم وهب لقتالهم باسم الدين ومهما يكن فان سوق القرءان والحديث نفق فظهر اول تفسير للقرءان لابن عطية اقتبسه من كشاف الزمخشري مجردا من عناصر الاعتزال كما تتلمذ للشرق محدثون مغاربة منهم ابن سمجون اللواتي الطنجي الذي اقام يقرر الحديث فى المشرق ولم يدخله حتى حفظ – كما يقول ياقوت – اربعة وثلاثين الف بيت من شعر الجاهلية (18) ومحمد الجياني (19) البغدادي الذى روى عن الطبري وجلب من تآليفه احكام القرءان واصول الفقه والرد على ابن حنبل وميمون بن ياسين الذى قرا على الطبري صحيح سلم وجمال الدين البغدادي الشافعي الذى ولد بقصر لتامة بشمال المغرب وعمر بن الطوير المراكشي (20) الذى عرف فى مصر بابي الخطاب السوسي وادخل الى المغرب مسائل الخلاف وحفظ البرهان لامام الحرمين ومحمد بن المنذر المراكشي (21) تلميذ امام الحنابلة الشيخ مولاي عبد القادر الجيلالي وقد درس الحديث والفقه ببغداد ومحمد بن الخضار السبتي الذى سمع من ابن اصلاح كتابه فى علوم الحديث (22) وعلي الحرالي الذي كان ابتدع فى التدريس منهاجا « يتنزل فى التفسير منزلة اصول الفقه فى الاحكام » علاوة على تبريزه فى المنطق والطبيعيات والالهيات (23) ومحمد بن عمران الشريف الكركي الفاسي شيخ المالكية والشافعية بالديار المصرية والشامية (24) ويونس بن طربية القصري الذى ولي التدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة سنة 641 هـ وبذلك اعطى المغرب الاقصى الدليل الناصع على اهلية كاملة لتحمل رسالته الروحية الخالدة فى العالم الاسلامي وبرزت فصحى هذا الشق الثاني من جناحي العروبة كابلغ ما تكون العربية فى اصالتها وجزالتها ودقة مصطلحاتها فى الخلاف العالي والتفاريع الفقهية وبذلك يمكن القول بان الانتاج المغربي قد اتحد مع الشرق فى هذا المجال مبنى ومعنى على ان نزعة الاصلاح والتجديد لم تقتصر على الطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة – كما سنرى بحول الله – بل شملت حتى علوم الآلة كنظرية ابن مضاء قاضي (25) قرطبة ايام الموحدين انكار العامل فى النحو ، وقد اصبحت فاس(26) آنذاك بجامعتها حاضرة المغرب العلمية وملتقى علمي (27)

---

(18) معجم البلدان ج 6 ص 62 (19) توفي عام 546 هـ (سلوة الانفاس ج 3 ص 267)

(20) توفى عام 622 كما فى الذيل والتكملة .

(21) الاعلام للمراكشي ج 4 ص 883) (22 توفيبدمشق عام 634 هـ (درة الحجال ص 282) .

(23) حتى كان يقتض النجاة لابن سينا انيل الابتهاج بابا السوداني ص 187) . (24) قال فيه تلميذه القرافي انه تفرد بمعرفة ثلاثين علما وحده وشارك الناس فى علومهم (الديباج المذهب لابن فرحون ص 286)

(25) احمد امين (ظهور الاسلام ص 118) حيث لاحظ نقلا عن ابن جنى « ان الحركات من الرفع ومن النصب والجر والجزم انما هي للمتكلم نفسه لا لشي غيره .. وان ضرب انتهت بمجرد النطق بها فلا يمكن ان تكون عاملا فى زيد او عمرو .. »

(26) المعجب للمراكشي ص 221 .

(27) وصف هذه الدروس الرحالة البلجيكي اكلينار الذي زار المغرب عام 948 هـ (1540 م.) وكتب رسالة باللاتيني عن القروين وعوائد الطلبة واوصل عدد مدارس فاس الى المائتين ولعله يعني الكتاتيب القرءانية .

القيروان وقرطبة وتركزت في القرويين بالاضافة الى علوم التفسير والحديث والاصول والفقه والعلوم التقليدية كالنحو والبيان والمعاني والبديع والمنطق والعروض والكلام والتوحيد والتصوف واللغة والادب والتصريف وكذلك الطب والرياضيات (وهي الحساب بالمغرب) والجغرافية والتاريخ وتزيدات افواج الطلبة الواردين على فاس من مختلف الاقطار الافريقية والغربية مثل جيربير Gerbert الذى عين بعد ذلك على راس الكنيسة باسم البابا سلفستر الثاني Sylvestre II عام 999 م وادخل الارقام العربية الى اوربا . وقد عززت دولة بني مرين هي الاخرى نظامها السياسي بتكتيل الطلبة تحت شعار السنة وبناء المدارس (28) ومساندة الصوفية وتشجيع الزوايا والاضرحة التى نفق فيها ـ كما سنرى ـ سوق جديدة بعاداتها وتقاليدها ودسائسها ومناطق نفوذها وادبها الخاص ولغتها ومصطلحاتها .

ورغم تصارع الافكار في هذا الخضم من البدع التى هزت السنة في عقر دارها فان العلم بالمغرب ظل محاطا بسياج من القداسة بالرغم عن فقدان الملكة والتحقيق العلمي ـ كما يقول ابن خلدون (29) وغلبة الاستظهار حتى قال علي بن ميمون الذي زار الشرق فوازن بين فاس وبين حواضره في الشام والحجاز ومصر من حيث الاصالة العلمية فقال : « ما رايت مثلها (اي فاس) ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل وغزارة الحفظ لنصوص أمامهم مالك وحفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه والحديث والتفسير وحفظ نصوص كل علم مثل النحو (30) والفرائض والحساب وعلم التوقيت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب وسائر العلوم العقلية ..

وقد تابع مآت العلماء رحلاتهم الى الشرق نذكر منهم كنماذج لنوع التبادل بين الجناحين :

تاج الدين محمد بن ابراهيم المراكشي (701 ـ 752 هـ) الذي اعاد بقبة الشافعي بالقاهرة وولي تدريس المسرورية ودار الحديث الاشرفية حيث خلفه تقي الدين السبكي (31) وابن السواق احمد التجيبي الذى استظهر الموطا بمصر فضرب شيوخ المالكية الطبول على راسه (32) .

والمحدث الفقيه التاودي بن سودة الفاسي شيخ مرتضى الزبيدي (33) .

وابن زكري الفاسي الذى عقد علماء الازهر مجلسا لمناظرته في القضايا الفقهية كشرب الدخان (34) .

ويحيى بن موسى الرهوني الحافظ الاديب المنطقي الذى تولى التدريس في المنصورية والخانقاه الشيخونية بالقاهرة (35) .

وجمال الدين محمد بن موسى المراكشي الذي سمع من شيوخ مصر والشام والقدس واليمن حيث ولي مدرسة الناصر (36) .

والكمال بن ابي البركات المكناسي شيخ المحدث الحافظ ابن حجر العسقلاني (37) ومحمد تقي الدين الفاسي الذى وافق ابن حجر في السماع بمصر والشام واليمن (38) .

وابن الخضري المراكشي المصري الذي ذكر المقريزي انه كان يحفظ العمدة والالمام لابن دقيق العيد

---

(28) مفضل العذري صاحب الشرطة والحسبة بفاس اول من سن سنة بناء المدارس (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 220) وقام ضد بنائها محمد الابلي العبدري شيخ ابن خلدون ملاحظا ان ملكة العلم اندرست مع بناء المدارس.وايده بابا السوداني (نيل الابتهاج ص 246) وقد بلغ عدد المدارس بفاس اربعة عشر هي عبارةعن احياء جامعية اي مساكن للطلبة تحتوي على غرف

(29) نشر المثاني للقادري ج 2 ص 97) .

(30) كان موسى بن زيري الهسكوري المعروف بالبخاري يحفظ كتاب سيبويه عن ظهر قلب (درة الحجال ـ طبعة الرباط 1934 ص 314).(31) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ج 1 ص 458).(32) توفي عام 725 هـ (السلوة ج 3 ص 244 . (33) راجع مادة سود في شرح القاموس للزبيدي .

(34) السلوة ج 1 ص 83 . (35) توفي 774 هـ (درة الحجال ص 490) . (36) مات عام 823 هـ (الاعلام للزركلي ج 4 ص 50 وذيول طبقات الحفاظ . (37) الاصابة ج 4 حرف م.(38) نيل الابتهاج ص318)

والشاطبيتين والطوالع فى اصول الدين وابن الجلاب والرسالة فى الفقه والحاجبية والملحة وغالب الفيسة ابن مالك والتلخيص وقد طاوح الادباء وقرض الشعر وشارك فى اللغة والطب والهيئة وولى تدريس الفقه فى مصر بجامع الحاكم والقراسنقرية والحسنية والحديث بالفاضلية والاعادة بالكاملية والمنصورية (39) .

وعبد الرحمن ستين الذى اخذ الحديث عن القلقشندي وزكرياء الانصاري والسخاوي مصر وعن ابن فهد بمكة (40) .

وادريس العراقي الفاسي الذى كان له كما يقول صاحب السلوة فضل على محدثي مصر حيث استدرك احاديث كثيرة على الجامع الكبير للسيوطي تنيف على الخمسة الاف وكان احفظ من ابن حجر (41) .

ومحمد بن محمد بن سليمان الروداني الفاسي الذى وصفه صاحب خلاصة الاثر بانه « فرد الدنيا فى العلوم » حصلت له بعد التطواف بمصر والحجاز والشام وبلاد الروم الرياسة العظمى فى علوم خاصة كالطبيعي والالهي والرياضي والارتماطيقي والمساحة والرمل والحروف والسيمياء (42) وله كتاب جمع فيه كل مصنفات الحديث ضمن مقارنات علمية العمة (43) .

ومدرسة الشيخونية كانت اكبر مدرسة بمصر نضم اليها علماء مغاربة برزوا فى شتى العلوم الفنون وقد قامت على اكتاف الفنان عبد الكريم لفاسي ـ كما يقول تيمور ـ (45) نهضة متواضعة في صناعة الخزف بمصر فى القرن الماضي حيث كان يصنع الواح القاشاني (تسمى الحائطيات بالمغرب) لتغطية جدران العمائر وتوجد الآن نماذج منها فى دار الآثار العربية بالقاهرة .

ولم يحظ المغرب الاقصى فى مختلف العصور بزوار من علماء المغرب اذا استثنينا الوافدين فى عهد المنصور السعدي (اي أوائل القرن الحادي عشر الهجري) من الحجاز وفلسطين ومصر والشام والعراق والهند وقد سبق لصلاح الدين الايوبي ان بعث وفدا الى المنصور الموحدي عام 585 هـ يطلب منه امداده باسطول لمحاصرة عكا وصور وطرابلس الشام واوفد اليه ابا الحرث عبد الرحمن بن منقذ مع رسالة من انشاء القاضي الفاضل وقصيدة من نظم ابن منقذ مطلعها :

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته
الى بحر جود ما لاخراه ساحل

وكل من الرسالة والقصيدة لا تختلفان فى معناهما ومبناهما عن اللون العادي المتحجر الذى وسم الادب العربي فى هذا العصر شرقا وغربا والذى جعل مصطلحاته متناسقة موحدة .

واستمع حضرات الاخوة اذا انا ازعجتهم بلائحة طويلة استهدفت من سرد اسمائها اعطاء صورة عن اتجاه علماء المغرب الجديد فى اعطاء الاسبقية للعلوم الاسلامية لاسيما منها التفسير والحديث والفقه مما اضفى على دراساتهم ـ رغم كلاسيكيتها وتفاريعها الاستطرادية المملة ـ طابعا خاصا جعل منها مرجعا هاما فى تاريخ التشريع الاسلامي وتاريخ تطور اللغة واذا كان الرحالون المغاربة من العلماء قد تضاءلوا فى القرن الماضي بسبب الحواجز الاستعمارية التي اقيمت فى طريق الحجيج بالجزائر منذ عام 1830 م فان المغرب ظل مع ذلك يتتبع بتلهف جميع حركات التجديد المنبثقة من الشرق ويوالي بعث وفود رسمية تحمل دوريا هدايا وصلات لرجال الفكر وارياع الاوقاف المرصودة لاعانة الطلبة (46) وقد جدد السلطان محمد بن عبد

(39) توفى عام 872 هـ (الاعلام ج 4 ص 125 . (40) السلوة ج 2 ص 160 .

(41) السلوى ج 1 ص 142 . (42) توفى عام 1094 (الاعلام للزركلي ج 4 ص 334) .

(43) طبع باسم مجمع الفوائد فى مجلدين .

(44) نيل الابتهاج ج 84 و 96 وقد كان بمصر فى اخر القرن الماضي (عام 1898 م) نحو 1500 مغربي (الوثائق المغربية ج 11 ص 1907) .

(45) فى كتابه حول التصوير عند العرب .

(46) وقد حبس السلطان محمد بن عبد الله مصنفات شتى على مكاتب القاهرة والاسكندرية وجلب كتبا من الشرق ورتب لاهل الحجاز واليمن مائة الف مثقال ذهبي كل عام (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 251) والمثقال الذهبي قد عوض الدينار بالمغرب وضرب نوع منه بالرباط عام 1787م وكانت قيمته اقل من الدينار .

الله عصر الموحدين بالدعوة الى السلفية ودراسة الحديث وامهات الكتب تركيزا للملكة العلمية بدلا من الانكباب على المختصرات التي حجرت الفكر وضرب لذلك امثلة حية بتصنيف نماذج رائعة كما اصدر نجله السلطان سليمان رسالة نحا فيها منحى السلفية الصحيحة بالتحذير من الحياد عن المذهب السني وعدم التغالي في المراسيم الصوفية وكان كتاب عبد الله بن سعود قد وصل انذاك الى تونس وفاس يحلل اسس الدعوة الوهابية (اي المذهب السلفي كما يراه محمد بن عبد الوهاب) فتصدى للجواب عنه عالم فاس الشيخ حمدون بن الحاج باسم السلطان وحمل الجواب الى الحجاز نجله الامير ابراهيم في وفد من العلماء لمناظرة الوهابيين .

وهكذا برهن المغرب دوما عن روح اسلامية فياضة اهلت الشمال الافريقي لاحتضان التراث الاندلسي ولربط امجاد الماضي والحاضر والسهر على معطيات الفكر الاسلامي في سلفيته الحق ولطبع الاجيال المتوالية بميسم المثالية في نطاق الوحدة الاسلامية وكانت هذه الروح تذكي حتى المراة في خدرها بالرغم عن الدور المحدود الذي اسهمت به في تركيز التكوين الفكري في المجتمع المغربي نظرا لانتشار الامية بين النساء واذا كانت المراة هي المدرسة الاولى للحياة والنواة الجوهرية لدعم الوعي الديني داخل الاسرة فان حصافة المراة المغربية قد جعلت منها ـ بالرغم عن ثقافتها المحدودة ـ مربية بارعة تضرب المثل الحي برصانة تفكيرها وحسن تدبيرها على ان ثلة من النساء قد نبغن ـ على قلتهن ـ في مختلف المجالات الثقافية وخاصة في العلوم الاسلامية كخيرونة الفاسية والشيخة ام قاسم الاسفية وام هانيء العبدوسية، وقد توالى بناء المدارس الدينية حتى بلغ عددها المائتين في سوس وحدها وانتشرت آلاف الكتاتيب القرءانية على نطاق واسع في السهل والجبل كروافد للكليات والمعاهد «الاصلية» التي انطلق منها الاشعاع الديني بلغة القرءان وقد ظلت جامعة القرويين طوال مدة الاحتلال الاستعماري منبثقا للاحرار الذين اججوا نار الثورة ووثقوا الصلة مع زعماء الاسلام في الشرق امثال الافغاني وعبده ورشيد رضى ـ بعد ما اوهنتها دسائس الاستعمار .

وهكذا نستجلى من هذا الاستعراض لتطور الفكر الاسلامي في المغرب الاقصى صورا لوحدة اللغة وتناسق مصطلحاتها مع الشرق العربي بفضل جهود دائبة ما فتيء يبذلها رسل الفكر طوال الف عام من الاستقلال الا ان المغرب الاقصى ربما انفرد بلون خاص يرجع لانتشار حفظ القرآن والحديث والمتون الفقهيه والنصوص النحوية وحتى المعاجم اللغوية ، في شنقيط وسوس ، مما فسح المجال لمات المفردات العربية الخالصة التي طعمت لغة الخاصة والعامة وكان للحلقات العلمية التي تعقد يوميا ويحضرها الجمهور في مختلف المساجد (وما اكثرها بالمغرب حيث بلغت بفاس وحدها في عهد الموحدين زهاء خمسين وسبعمائة) اثر قوي في توعية الشعب وتفصيح لسانه حتى اصبحت الآي القرءانية والاحاديث النبوية والحكم الصوفية تتردد على كل لسان وامسى القرءان معجم المساكين ـ كما يقول المثل العامي ـ يصححون منه اللغة واذا قصرنا التنظير بجزء يسير مما ورد في كتابنا « المعجم الصوفي من القرءان » فان حرف الالف منه يبلغ المائة منها كلمات الاخلاص وارذل العمر والاستدراج والاستغاثة والاستغفار والاستقامة والاسراب والاصنام والاطلاع على الغيب والاعتصام والاقتصاد واقشعرار الجلد والالواح والامانة والامتثال والانابة وانباء الغيب والانذار والانصاب والانفاق والاوان والاوثان والاوليا والالحاد والائمة والايمان .

وقد دخلت كثير من التعابير القرآنية في لغة العامة مثل قولهم « قتل كيف قدر » (اي مات طبقا لما قدر في الازل) و«قاتلهم الله» و«خذو فاقتلوه» (وهي كناية عن فعل الشيء باستعجال وبالله وتعال (بمعنى تعال وانت) وقل باسم الله او توكل على الله (اي اشرع في العمل) والصلا على النبي (اشارة الى النهاية او الكفاية خبرا ا انشاء) ولا الضالين (كناية عن الموافقة بدلا من نعم وبالتي هي احسن (اي بالمهل) الى غير ذلك .

ومن المصطلحات التي تسربت الى الفصحى والعامية عن طريق الحديث النبوي الشريف قولهم حج فلان (اي بلغ الغاية) وصلى عليه صلاة الجناز (اي يئس من خيره وشره واعتبره كانه مات) وكفر عليه (اي اغتاظ منه) وفلان حال واحوال (اي كثير التغير) وقد استعملت مثلا لفظتان في المغرب بمعنى خاص طبقا لمفهوم حديثين شريفين وهما « المطاهر » بمعنى المراحيض (وتسمى عندنا ايضا الميضاءات طبقا للحديث الذي رواه مكحول عن معاذ مرفوعا « اتخذوا على ابواب مساجدكم المطاهر » وكذلك لفظ « البيت » بمعنى الجزء الصغير من الدار كله

فمن احمد بن حنبل ان زوجة ابي حميد الساعدي قالت : « يا رسول الله اني احب الصلاة معك » قال : « قد علمت انك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك » واما كتب الفقهاء فقد دقت مفاهيمها وكتبت حول نصوصها ومتونها مآت الشروح التحليلية واصبحت لغتها من اعمق اللغات دلالة ووضوحا وقد وضعنا معجما للفقه المالكي (باللغتين العربية والفرنسية (47) يعطينا صورة عن مدى تلك الدقة وقد اندرج معظم هذه الالفاظ في الحياة اليومية ونكتفي هنا بالاشارة الى كلمات من حرف الالف كابراء واتفاق العلماء واثبات الدليل والاجبار والاجتهاد والاجارة والاجرة والاجل والاختبار والارتداد والاثراء والاستحقاق والاستحالة والاستماع والاشتراك والاصول والاغتصاب والافتاء والاقالة واقامة الحدود والاقرار واقامة البينة والامر بالمعروف وامضاء البيع وامارة المومنين والاتفاق والانكار واهل الحل والعقد .

وقد كان للروح الاستقلالية في التشريع بالمغرب مظهرها البارز في الاجتهاد داخل المذهب المالكي نفسه حيث فرضت فاس مثلا نظرها الخاص في قضايا قانونية وفقهية تجلت في العمل الفاسي الذى نظمه الشيخ عبد الرحمن الفاسي وشرحه الشيخ السجلماسي .

وقد صنفت الآلاف من الكتب في الفقه والفتاوي والنوازل والاحكام بذت ما عرفه الشرق وحفلت بالتعريفات الدقيقة للمفاهيم والمدلولات التي تزخر بها تلك المصنفات حتى صار الدرس الفقهي في كراسي جامعة القرويين عبارة عن تحليل لتلك التعاريف (48) التي كثيرا ما تنظم شعرا كقول ابن عاصم في تحفته :

وما انتهت للجوف فهي الجائفة

وقوله :

والرتق داء الفرج في النساء
كالقرن والعفل والافضاء

والبضع بالبضع هو الشغار
وعقده ليس له قرار

وسمي الضامن بالجميل
كذاك بالزعيم والكفيل

والجنس بالجنس هو المراطلة
بالوزن او بالعد فالمبادلة

ولا تخلو بعض مصنفات الفقه في الشرق من هذا الايجاز الغامض التى حررت الملازم « العديدة » لحل الغازه كمختصر الشيخ خليل المصري الذى ادخله الى المغرب منذ القرن الثامن الهجري محمد ابن الفتوح امكناسي (49) والذي حفظه الطلبة وحتى العامة من ظهر قلب وبذلك تكون العلوم الاسلامية قد اسهمت بحظ وافر في تطوير لغة الضاد بهذا الجناح الغربي للعروبة . غير ان التعليم الاسلامي ما لبث ان تقلص وتقلصت معه حركة الوعظ والارشاد في المساجد وما تستتبعه من توعية شعبية عن طريق اللغة العربية وبدات الاذاعة والتلفزة والصحافة تقدم يوميا للشعب حصيلة لا باس بها من مصطلحات العصر تعزز احيانا بفتاو دينية تصل بين ماضي هذا البلد المسلم المحافظ وحاضره المتارجح بين مختلف التيارات وراى حماة العربية من رجال القرويين وغيرهم في ذلك ماساة لمستقبل اللغة في روعتها الاصيلة فحدت خفارتهم اليقظة الجيل الجديد الى الدعوة لعربية عصرية تستجيب لمقتضيات الحضارة الحديثة وللتقنيات الملحة في دقتها ووضوحها .

---

(47) نشر في العدد الرابع من مجلة اللسان العربي (ص 215) مع المعجم الصوفي (ص 176) .
(48) عرفت تونس ايضا شيئا من ذلك يتجلى في تعريفات ابن عرفة .
(49) المتوفى عام 818 هـ (درة الحجال ج 1 ص 293) وقد دخلت كتب الحديث واللغة الى الاندلس ومنها الى المغرب على يد قاسم بن ثابت بن حزم وهو اول من نقل كتاب العين (تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ج 1 ص 294) كما نقل ابن الضابط عثمان بن ابي بكر الصدفي كتاب غريب الحديث للخطابي ومحمد بن ابراهيم التلمساني شامل بهرام وشرحه لمختصر خليل وحواشي التفتازاني على العضد وابن هلال علي ابن الحاجب في الفقه (شجرة النور ص 254) اما في الادب والفلسفة فقد ادخل عثمان بن المثنى القرطبي (المتوفى عام 273 هـ) شعر ابي تمام بعد ان قرا عليه (ابن الفرضي ص 249) وفرج بن سلام القرطبي كتاب « البيان والتبيين » باجازة من الجاحظ (ابن الفرضي ص 286) وابو الحكم الكرماني رسائل اخوان الصفا (طبقات الامم ص 71).

الأثر الصوفي

التصوف المغربي قطعة حية من التصوف الاسلامي العربي لما تركته نظريات الصوفية المغاربة من آثار عميقة في الفكرة الصوفية الشرقية .

ونزعة فصل التصوف عن الروح العربية الاسلامية نزعة شبيهة بما حاوله بعضهم امثال رونان الذى قرر فى كتابه (ابن رشد ومذهبه) (Averroès et l'Averroïsme) من ان ما يسمونه فلسفة عربية ليس الا مجرد محاكاة او تقليد لارسطو وضربا من التكرار لآراء وافكار اليونانيين كتب باللغة العربية (ص 7) ولكنه تناقض مع نفسه حيث اعترف (ص 89) (بأن العرب مثل اللاتين – مع تظاهرهم بشرح ارسطو عرفوا كيف يخلقون لانفسهم فلسفة ملأى بالعناصر الخاصة ومخالفة جد المخالفة لما كان يدرس فى الليسيوم) ولم يخف هذا التناقض على احد معاصري رونان وهو دوكا الذى ذكر فى مقدمة كتابه (تاريخ الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين) انه لا يمكن لعقلية كعقلية ابن سينا الا ان تنتج جديدا .

وقد ضربت مثلا بالفلسفة (50) لما بينها وبين التصوف من وثيق الصلة حتى قيل ان التصوف قطعة من مذهب الفارابي الفلسفي لا ظاهرة عرضية فيه كما يزعم كارادوفو صاحب (مفكرو الاسلام) وقد تأثر الفيلسوف المغربي ابن طفيل بالنزعة الصوفية فى (رسالة حي بن يقظان) حيث وصف بطل القصة (ص 114) بانه (لما فني عن ذاته وعن جميع الذوات ولم ير فى الوجود الا الواحد القيوم وشاهد ما شاهد عاد الى ملاحظة الاغيار عندما افاق من حاله تلك التى هي شبيهة بالسكر خطر بباله ان لا ذات له يغاير بها ذات الحق وان حقيقة ذاته هي ذات الحق ... بل ليس ثمة شيء الا ذات الحق) وقد ذهب الناس مذاهب شتى فى تعريف التصوف حتى ساق ابن السبكي فى طبقاته (ج3 ص 239) الف تعريف سهر على التقاطها من مختلف المصادر ابو منصور عبد القاهر البغدادي ورتبها تبعا لاصحابها على حسب الحروف الهجائية .

ويلذ لي ان انقل لهؤلاء الذين يزعمون ان التصوف المغربي تأثر بالنزعة الصوفية المسيحية – لاسيما ماسينيون الذى زعم ان الشيخ ابن عربي الحاتمي استمد من نظريات الكنيسة ما قرره المستشرق الاسباني اسين بلاسيوس من ان نزعات دانتي (Dante) الايطالي واوصافه لعالم الغيب مستمدة من كتب محيي الدين الحاتمي دون كبير تصرف وكذلك اكهارت الالماني اول الفلاسفة الصوفية الغربيين الذي نشأ فى القرن التالي لعصر ابن عربي ودرس فى جامعة باريس وهي الجامعة التى كانت تعتمد على الثقافة الاندلسية فى الحكمة والعلوم وقد اقتبس ريموند من ابن عربي خاصة فى كتابه (اسماء الله الحسنى) لانه كان يحسن العربية وعاش بعد ابن عربي بقرن واحد وجعل اسماء الله الحسنى مائة وهي لم تعرف بهذا العدد فى الديانة المسيحية قبل ذلك .

وسبينوزا Spinoza اليهودي البرتغالي كان كلامه عن الذات والصفات نسخة من فلسفة المتصوفة المسلمين مع قليل من التحوير والمسيحية تكاد تكون فارغة من الفكرة الصوفية كما اعترف بذلك ميشو بيلير فى محاضراته (ص 29) حيث ذكر انه اذا استثنينا ما فى بعض الاساطير من ذكر الكرامات وكذلك سيرة القديسة تيريز والقديس فرانسوا داسيز فانه لا يبقى شيء بالمرة .

ويقول جامي فى نفحات الانس (ص 34) بان اول من تسمى صوفيا هو ابو الهاشم الكوفي المعاصر لسفيان الثوري ويرى السراج فى اللمع (ص 22) ان اهل بغداد هم الذين اخترعوا هذه الكلمة .

واول من تكلم فى بغداد فى الحقائق الالهية والتوحيد سري السقطي (تذكرة الاولياء ج1 ص 274) واول من حاضر الناس فى التصوف يحيى بن معاذ الرازي المتوفى سنة 258 هـ (التذكرة ج 1 ص 299) .

---

(50) احمد بن عبد الله بن محمد الذوزم المراكشي نزيل القاهرة جنح الى التصوف الفلسفي ونسخ الفتوحات المكية والتنزلات الموصلية فكان ابو حيان لذلك يرميه بالزندقة وصار هو يصف ابا حيان بانه ظاهري حتى في النحو .

واحمد بن ابراهيم بن احمد بن صفوان : مشارك فى الفلسفة والتصوف كلف بالعلوم الالاهية تلميذ ابن عبد الملك المؤرخ وشيخ ابن الخطيب .

وقد اصبح التصوف مذهبا منظما اثناء الجزء الاخير من القرن الثالث (نيكولسن ص 28) ويلوح من ثنايا الرسالة القشيرية والتذكرة ونفحات الانس ان صوفية هذا القرن اتخذوا القرءان والسنة ميزانا لجميع ما يخوضون فيه من بحوث نظرية وما يحسونه من حالات وجدانية .

ولكن منذ ذلك العصر تسربت شوائب مريبة الى الفكرة الصوفية التى بدات نقية طاهرة وقد ذكر عبد الله الانصاري الهروي المتوفى سنة 481 هـ ان كثيرا من الاكاذيب انتحلت باسم ابي يزيد البسطامي مثل قوله صعدت الى السماء وضربت قبتي بازاء العرش (نفحات الانس ص 63) وهو القول الذى بنوا عليه قضية معراج ابي يزيد التى يقصها فريد الدين العطار فى تذكرته بتفصيل .

وانتظام هذا المذهب ليس معناه اتحاد وجهات نظر من دان به لان تعاريف التصوف بلغت كما قلنا الالف ورد منها مائتان فى الرسالة والتذكرة والنفحات وهذه التعريفات العديدة تدل على تعدد وجوه النظر فى تصور الفكرة الصوفية (مجلة الجمعية الاسيوية سنة 1906 ص 330) فقد عرف الكرخي التصوف بانه الاخذ للحقائق والياس مما فى ايدي الخلائق (الرسالة القشيرية ص 149) ووصفه ابو حفص الحداد بانه تمام الادب (التذكرة ج 1 ص 331) وذكر ابو الحسين النوري ان التصوف برقة محرقة (الرسالة ص 149) وقرر ابو سعيد بن العربي ان التصوف ترك الفضول (نفحات الانس ص 348) وقال ابو الحسن البوشنجي : التصوف ضعف الامل ومداومة العمل .

اما الخانقاهات والرباطات الصوفية فقد بدات تظهر قبل نهاية القرن الثاني الهجري واول خانقاه اسس لمتصوفة المسلمين (على ما فى النفحات ص 34) كان بالرملة فى فلسطين وذكر المقريزي فى خططه (ج 2 ص 414) ان الخانقاهات ــ او الخانقاوات كما يسميها ــ وجدت فى الاسلام فى القرن الخامس الهجري .

والخانقاه اعمق فى التزمت والرهبنة مما عرف بعد بالزوايا لان هذه الخانقاهات كانت مبنية فى معظمها على نظام صارم من التبتل والرهبنة .

ان تاريخ الحركة الصوفية جزء من تاريخنا العام الذى لا يشمل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي فحسب بل يتجاوزه الى الجانب الثقافي والروحي . على ان التصوف المغربي كان له كبير اثر فى توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة بحيث انتشرت شذراته فى مصنفات لم يكن من المنتظر ان تحفل به فانك تجد اخبار الصوفية وحياة الزهاد ووصف الحركات الطرقية التي قامت فى المغرب في وقت مبكر ــ مبعثرة فى كتب التاريخ والتراجم والمناقب والفهارس والرحلات ، بل حتى كتب الفقه مثل شرح ميارة علي المرشد ومعيار الونشريسي الذي تحوي اجزاؤه نتفا متناثرة لو نسقت لتحصلت منها مجموعة لاباس بها فى وصف التيارات المتعاكسة التى خلقها انبثاق الطرقية فى المغرب .

ويغلب على ظننا ان الحركة الصوفية كانت انشط فى الجبل (لاسيما الريف) والقرى منها فى الحواضر اللهم الا بعض مدن الساحل التى كانت مهبطا لصوفية الاندلس كسبتة واسفي وسلا او مدن داخلية كمراكش وفاس نظرا لاشعاعها الثقافي الذى تنجذب له النفوس .. ومهما يكن فان اولى التراجم الصوفية انما حظيت بها قرى البادية ككتاب « المقصد الشريف والمنزع اللطيف فى ذكر صلحاء الريف » لعبد الحق البادسي (فى القرن الثامن) والمزى فى ترجمة ابي يعزى « والمد العينين » لابن تجلات فى مناقب الاخوين الهزميريين اللذين عاشا ردحا طويلا فى اغمات ثم حظي صوفية المدن بكتب منها « المنهاج الواضح » فى ترجمة ابي محمد صالح (المتوفى عام 631) تلميذ ابي مدين الغوث (ومدينة اسفي نفسها انما بنيت حول ضريح ابي محمد صالح كما قامت مدينة زرهون حول الضريح الادريسي بعد بناء المولى اسماعيل لهذا الضريح عام 1110 هـ وتاسيسه جامع الخطبة الكبير المتصل بالضريح وكذلك وزان) «والسلسل العذب الاحلى فى صلحاء فاس ومكناسة وسلا » لمحمد الحضرمي الذى صنفه فى القرن الثامن وكذلك « الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد » .

ولعل من اقدم الرباطات المغربية رباط وجاج بن زلو اللمطي السوسي الذى كان يسمى دار المرابطين وقد اتخذ مجمعا لطلبة العلم وقراء القرءان حسبما ورد فى التشوف (ص 36) الذى نجد من بين رجاله الصوفية كثيرا من « المعلمين » المنقطعين لتعليم

كتاب الله . وهذا مظهر ثان لنوع ما كان يشتغل به الصوفية اذ ذاك وسنرى فيما بعد كيف تطورت الفكرة الصوفية فانضافت الى التعبد بالقرءان تعبدات بالادعية والاذكار .

وكان هناك نوعان (51) من الرباطات : رباط من الطراز الذي اشرنا اليه وكان يشمل المدينة بكاملها كرباط ماسة ورباط تيط ورباطة زرهون ورباط من نوع آخر هو عبارة عن محلة يرابط فيها المجاهدون وقد روى ان الضفة اليسرى لمصب ابي رقراق كان يرابط فيها نحو من مائة الف من الغزاة الذين كانوا يتطوعون لمقاومة النحلة البرغواطية .

وبين هذه وتلك الرابطة التى ابتناها عبد الله ابن ياسين فى جزيرة قرب الساحل وتبتل فيها ثلاثة اشهر مع نفر من كدالة وفى مقدمتهم يحيى ابن ابراهيم امير صنهاجة وقد توارد الناس على هذا الرباط حتى بلغ عدد المرابطين الفا من اشراف صنهاجة كانوا النواة التى قامت بتاسيس الدولة المرابطية فكانت هذه هي الدولة الثالثة التى قامت فى المغرب على اساس فكرة مذهبية بعد الدولة المدرارية فى سجلماسة والدولة الادريسية فى الشمال وقد فسح استعداد المغاربة الروحي المجال لدعاة المهدوية مثل محمد بن تومرت الذي اسس دولة الموحدين والعبيدي الذى قام بعده فى جبل ورغة من احواز فاس حيث تبعه كثير من قبائل المغرب اول عام 600 هـ .

وكانت نفس الحركة ملحوظة كذلك فى الاندلس ايام المرابطين حيث ذكر صاحب لسان الميزان (ج 1 ص 247) أن احمد بن قسي ابتنى مسجدا فى بعض قرى شلب (بالبرتغال) وتحدث بالاباطيل ، كما ادعى النبوة ابراهيم الفزاري الساحر .

وقد تسربت الى المغرب من الاندلس الطائفة المسرية التي لم ينتشر نفوذها لقيام العلماء بنقده وفى طليعتهم الامام ابن حزم الذى لا نعرف نظريات ابن مسرة الا من خلال انتقاداته وهذه الطائفة وان كانت لا تتسم بالطابع الطرقي الا انها من المذاهب التى ارتكز انتحالها على مذهب صوفي اساسه التاويل الرمزي للقرءان على طريق الاسماعيلية التى لعبت دورا كبيرا فى تبلور الفكرة الصوفية فى الاسلام ! .. ومنها الطائفة الاندلسية التى اسسها محمد الاندلسي نزيل مراكش وكان رجلا مولعا بالطب والكيمياء فسب الائمة فافتى فقهاء الحمراء بتضليله وزج به السلطان فى غياهب السجن .

وقد ظل المغرب خلال العصور الاولى بعيدا عن الطوائف الضالة ومن النظريات الشاذة التى كانت تعصف اذ ذاك بالشرق وقد شهد ابو بكر الطرطوشي الذى صنف كتابا فى البدع والمحادثات فى رسالة وجهها من الاسكندرية الى سلطان المغرب بأن اهل المغرب هم المشار اليهم فى الحديث الشريف « لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق » لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث فى الدين » !

فنحن لا نكاد نجد اثارة بدعة جافية فى ربوع المغرب قبل القرن السادس ولا يمكن ان نعثر فيما صنف خلال القرون الاولى كالتشوف على اشارة الى شذوذ عند الصوفية او صدور دعاوي نابية عنهم لان التصوف كان اذ ذاك مطبوعا بالبساطة ولم يكن الصوفية يختلفون عن بقية الناس الا بكثرة العبادة وتلاوة القرءان وسرد المأثور من الادعية وكانت الاذكار نفسها مقتبسة من الآثار الواردة ومن القرءان من ذلك بعض الاحزاب لاسيما احزاب الشاذلي التى تتألف مطالعها من سلسلة آيات ولم يكن لبس الخرقة والمرقعة صفة لازمة للصوفي المغربي الا اذا جاء ذلك عفوا من طريق الزهادة فى متع الدنيا وكانت الرباطات عبارة عن مجامع لقراء العلم وتلاوة القرءان والجهاد فاذا طالعت تشوف ابن الزيات وجدت ان كثيرا من رجاله كانوا «معلمين» او مدررين يعلمون القرءان للصبيان !

وكان الامر على خلاف ذلك فى الشرق حيث ترجع معظم المستحدثات الشاذة الى القرن الثالث كوحدة الوجود والحلول والتحدث بلسان الحقيقة المحمدية والايغال فى لبس المرقعات واندساس

(51) عدد الربط والزوايا فى سبتة سبع واربعون محاذية للبحر داخل المدينة والارباض (اختصار الاخبار لمحمد بن القاسم الانصاري Hespéris م 12 عام 1931 ص 155 .

الادعياء فى صفوف النزهاء حتى كان القشيري ينشد اذا جلس اليه الصوفية وعليهم الهيآت والمرقعات ابياتا منها :

اما الخيام فانها كخيامهم

وارى نساء الحي غير نسائها

ثم يقول اما الهيئات والمرقعات فمعروفة واما القلوب فمنكرة وكان الجنيد ينشد :

اهل التصوف قد مضوا

صار التصوف مخرقة

صار التصوف ركوة

وسجادة ومدلقة

غير ان الفكرة الصوفية ما لبثت ان تشعبت فتسرب اليها الانحراف والشذوذ بعد القرن الثامن الهجري على اثر انتشار الطرقية واندساس الادعياء فى الزوايا والرباطات فانتحل الكثير المذهب الصوفي لاغراض لا تمت الى الروح بصلة واصبح التصوف عرضة للاشتيات يستغله كل من يريد التوصل الى اعراض الدنيا عن طريق الشعوذة والتدليس على العوام والدهماء فتجردت الطرقية من شتى مظاهر الرواء والسمو والجاذبية والجمال

وبدات الفكرة الصوفية المغربية تتبلور منذ القرن الثامن محاطة بهالة من الشكليات المستجدلة وما زال التراث الصوفي يتضخم ويتسع الى اواخر القرن الثاني عشر حيث اتضحت الخطوط واكتملت الرسوم والحدود بفضل ذلك النبع الفياض من التآليف التى ترجمت للصالحين ومناقبهم وطرائقهم.

والحقيقة ان التصوف بدا يتدهور منذ اصبح فى متناول العوام تلوكه السنتهم فى غير هدى ولا اتزان ولن اضرب لك سوى مثل واحد وهو طريقة ابي محمد صالح دفين اسفي وتلميذ ابي مدين الغوث فلقد كان اماما ذائع الصيت يرد عليه الصوفية حتى من مصر للاخذ عنه وانتشرت طريقته خلال القرن السابع فكثر تلاميذه فى الشام وبلاد الكنانة حتى مدحه البوصيري بقصيدة طويلة مطلعها :

قفا بي على الجرعاء من جانب الغرب

ففيها حبيب لي يهيم به قلبي

غير ان طريقته هذه التى كانت سنية المعالم ما لبثت ان انحرفت بما دسه فيها الدخلاء والادعياء واصحاب الاغراض من الدجاجلة والملبسين .

وفى القرن الثامن ظهر ابن خلدون بكتابه « شفاء السائل » فرد الطرقية الى اصولها وحلل خصائص الصوفية الحقيقيين ليتميزوا عن الادعياء.

وفى القرن التاسع برز محتسب الصوفية الامام الناقد الشيخ زروق بكتابه « عدة المريد الصادق من اسباب المقت فى بيان الطريق وذكر حوادث الوقت »، وقد علل انتشار المبتدعة والادعياء بانتقاص الايمان والجهل باصول الطريقة واعتقاد ان الشريعة خلاف الحقيقة (وهذا عنده من مبادىء الزندقة) وحب الرياسة مع الضعف عن اسبابها ثم اكد ان الصوفية الحقيقيين انفسهم عرضة للخطا وان مقالاتهم يجب ان تعرض على الكتاب والسنة وان الفقه والاصول شرطان فى التصوف فلا تصوف الا بفقه .

وقد تعرض الى الاسس العملية التى بنى عليها الطرقيون مددهم فذكر انهم قرروا مخالفة النفس بكل وجه وغلطوا فى هذا الاطلاق لان المقصود موافقة الحق بمخالفة النفس لا مجرد مخالفتها واستشهد بقول عمر بن عبد العزيز :

« اذا وافق الحق الهوى فذلك الشهد بالزبد »

وانهم تجردوا عن المعتادات بدلا من الانس بها وتغالوا فى بعض المظاهر كتوفير ما تحت اللحية وادخلوا على انفسهم المشاق والاجر على الاتباع لا على قدر المشقة وقد اشار الى الفتنة التى وقعت فى الاندلس فى القرن الثامن حول قضية اتخاذ المشايخ حتى تضارب الناس بالنعال وكتبوا الى البلدان الاسلامية يستفتون ولا شك ان شبوب هذه الفتن كانت نتيجة مباشرة لانحراف التصوف عن الجادة وتدخل العوام فى رقائقه ، كما كان ابو المحاسن الفاسي ينهى عن ذلك مؤكدا ان كتب الحاتمي وابن الفارض « تسد على الناس باب الفتح» حسب تعبيره ويدعو الى الادمان على حكم ابن عطاء

الله . والشعراني (52) نفسه كان ينهى مريديه عن قراءة كتب التصوف والتوحيد المطلق كمصنفات ابن عربي وغيره من « غلاة الصوفية » (البحر المورود ص 274) وهذا لا يتنافى مع ما جاء في مقدمة اليواقيت والجواهر من الدعوة الى كتب ابن عربي فانه احترس هناك ـ كما يقول زكي مبارك ـ حين اقنع المريد بأن ما جاء في كتب ابن عربي مخالفا للشرع انما هو من وضع الدساسين .

كما حمل اليوسي في محاضراته حملة شعواء على ادعياء الطرقية ورسم لنا صورة عما انتهى اليه التصوف المغربي بسبب من اندس في حظيرته من مغرضين فقد قال : « كم تظاهر بالخير من لا خير فيه من مجنون أو معتوه أو موسوس او ملبس فيقع به الاغترار للجهلة الاغمار .. وقد يشايعه من هو مثله من الحمقى ومن الفجار » (ص 39) ومن اغرب ما حكاه اليوسي (ص 40) ان رجلا ورد على سجلماسة واتسم بالصلاح فاقبل عليه الناس ثم تبين بعد انه يهودي .

وكانت البادية المغربية اكثر ايغالا في الابتداع واشد انحرافا عن الروح لغلبة السذاجة على اهلها الذين كانوا يغلون في التبرك بآثار الصالحين حد الشذوذ .

وفي القرون الاخيرة اختلت المقاييس وتشعبت الدعاوي واستفحلت النحل فكنت ترى أفواج الناس يقصدون ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه كل سنة للوقوف به يوم عرفة ويسمون ذلك حج المسكين وتجد آخرين يسمون انفسهم باهل الخواطر يتجمعون باحد مساجد عدوة الاندلس للتحدث عن الخواطر وعرضها على الشيخ وتأويلها غير أن علماء الصوفية كانوا حريصين على فضح الدجاجلة الذين يندسون في حظائرهم التماسا لاعراض الدنيا وحطامها على ان دعاة السلفية امثال الطرطوشي وابن العربي المعافري وابي محفوظ وأشد من المغاربة وابن القيم وشيخه ابن تيمية وابن الجوزي من المشارقة قد تشبعوا هم انفسهم بالتصوف السني واذا رجعنا بين المتاخرين الى سيرة محمد عبده وجدنا تلميذه مصطفى عبد الرازق يؤكد في الكتاب الذى خصصه لترجمته ان الشيخ درويش اثر بتربيته الصوفية في الاستاذ ويعلل هذا التاثير قائلا : « اذا كانت التربية الحديثة تدعو الى تهذيب الاذواق بفنون الجمال الحسي فان التربية الصوفية تدعو الى تلطيف السر بأنواع من الرياضة » وقد جاء في ملخص سيرة عبده المنشور في المجلد الثامن من المنار « انه لكثرة الانهماك في الذكر والنظر في كتب التصوف والتنقل في احوال القوم ومقاماتهم يخرج (أي الاستاذ) عن حسه ويزج في عالم الخيال او عالم المثال كما يقول فيناجي ارواح السالفين » وقد كان التصوف والتفسير هما «قرة عين الاستاذ» على حد تعبير مصطفى عبد الرازق غير ان جمال الدين الافغاني « خلع محمد عبده من التصوف بمعنى الدروشة والانقطاع الى التحنث والرياضة الى معنى للتصوف جديد (ص 74) وقد ترجم محمد عبده شيخه الافغاني في صدر رسالة الدهريين فوصفه بأنه « حنيفي مع ميل الى مشرب السادة الصوفية رضي الله عنهم » .

وحمل زكي مبارك على الصوفية ما شاء له فكره الثائر وقلمه الجامح ولكنه عاد آخر الامر فقال في كتابه « التصوف الاسلامي » : الصوفية هم الناس ومن عداهم اشباح بلا ارواح » (ج 2 ص 205) وقال : « ان الصوفية اعقل من الادباء واشرف سيلقى الصوفية ربهم راضين مبتسمين اما نحن فسنذهب الى النار في ركاب امريء القيس الذى انذره الرسول » (ج 2 ص 322) .

وقد قدر للمعاني الصوفية الرتيقة ان تستهوي جميع اصناف المثقفين في مختلف العصور ولكن كل طائفة نظرت الى اسرار التصوف من خلال مزاجها واللون الخاص الذى تكيفت به روحها في الحياة وقد لاحظ ذلك زروق في قواعده (القاعدة رقم 59) .

(52) ذكر الشعراني في « تنبيه المغترين » (ص 7) ان بعض الناس دس في كتابه البحر المورود في المواثيق والعهود وفي مقدمة كتابه «كشف الغمة عن جميع الامة » ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة واثار ذلك فتنة في الجامع الازهر ولم تخمد الفتنة الا بعد ان ارسل النسختين الاصليتين المجازتين من بعض مشايخ الاسلام الى العلماء الازهريين للاطلاع عليهما وقد اشار الشعراني في كتابه الى ما استحدثه كثير من مشايخ وفقراء عصره مما يخالف السنة حتى اصبحت اصول التصوف غريبة عند منتحلي الطريقة

واذا استعرضنا تاريخ الثقافة المغربية وجدنا ان اقطاب التصوف كانوا فى نفس الوقت جهابذة الفنون وزعماء العلوم وقد ذكر صاحب « نشر المثاني» انه لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب فى القرن الحادي عشر لكثرة الفتن وهم محمد بن ناصر رئيس زاوية درعة ومحمد بن ابي ابكر المجاطي رئيس زاوية الدلاء وعبد القادر الفاسي الذى تبلورت فى مهده الطريقة الزروقية وغالب فقهاء افريقيا - كما قيل - تلاميذه وقد قيل فى العربي ابن ابي المحاسن الفاسي ان به ختم علماء المغرب وكذلك والده وعمه ابو زيد الذى افاض ابو العباس المقري فى وصف غزارة مادته لعلماء مصر عندما سألوه عن علماء المغرب فشبهه كما شبهه غيره بالسيوطي لوفرة علمه وقد تمحض ابو زيد لتربية المريدين وتلقين الاوراد على سعة علومه وذكر صاحب الديباج ان محمدا المقري تكلم فى طريق الصوفية كلام ارباب المقال ودون فى التصوف « اقامة المريد » و «رحلة المتبتل» و «كتاب الحقائق والرقائق» الذى شرحه زروق .

وقد تمخضت الحركة الصوفية عن نمو وازدهار الثقافة فى ربوع المغرب لاسيما البادية ولا يخفى ما اسدته الزاويتان الناصرية والدلائية من اياد بيضاء فى هذا الباب وقد كان فى زاوية محمد بن وسعدن السوسي تسعمائة طالب يكسيهم ويطعمهم من ماله الخاص وظل مستمرا على مبرته هذه اربعين سنة .

وكانت كتب التصوف تدرس الى جانب كتب الحديث والتفسير فهذا أبو المحاسن الفاسي يدرس قوت القلوب والاحياء والشريشية فى آداب السلوك ويلتف حوله خلق كثير وفى آخر حياته نفض يده من سائر العلوم الاخرى واقتصر على التفسير والحديث والتصوف وابو المحاسن هذا كان اذا توجه من فاس الى القصر تعطلت الاسواق او كادت لخروج الناس لمقابلته .

وهذا النفوذ الذى كسبه الصوفية حدا المرابطين والموحدين الى امتحانهم حيث استدعوا من الاندلس او افريقية امثال ابن العريف وابي الحكم بن برجان وابي مدين الغوث .

وقد هدات نوعا ما حركة الامتحان فى عهد المرينيين الذين لم يكونوا يخشون امتداد نفوذ الصوفية لان الدولة كانت قوية الجانب قد انصرفت الى اتمام صرح الحضارة المغربية التى بلغت فى ذلك العصر ذروتها . لكن سقوط الدولة المرينية كان على يد الصوفية بسبب ما اتسم به بعض امراء بني وطاس من ميع وانحلال .

لقد انتشرت شرارة الثورة السعدية من سوس نعمت البلاد ملتهمة ما تبقى من نفوذ الوطاسيين والغلب ما فى الامر ان محمد الشيخ مؤسس الدولة السعدية ما لبث ان انقلب على الصوفية فقد امتحن ارباب الزوايا منذ سنة 958 وذلك خوفا على ملكه لما كان للعامة فى اصحاب الطوائف من اعتقاد . وفى ايام زيدان تضعضع نفوذ السعديين واستقل المجاهد العياشي الصوفي بالامر فى كثير من النواحي وكانت شوكة الصوفية قوية وجانبهم منيعا حيث بلغت الزاوية الدلائية عنفوانها .

وقد قام ضد زيدان احد الادعياء المتمهدين وهو احمد بن ابي محلى الذى توجه الى بلاد القبلة ودعا لنفسه فاستخف قلوب العوام .

ولما استقر الملوك العلويون بالنفوذ فى المغرب قضى مولاي رشيد على زاوية الدلاء بعد معركة دارت بينه وبين اهلها فى بطن الرمان اوائل المحرم عام 1079 هـ وهم السلطان المذكور كذلك بمحمد ابن محمد بن ناصر وجهز محلته للزحف الى زاوية درعة ولكنه عدل عن ذلك بعد ان تحقق صدق ولاية الرجل .

كما جدد المولى اسماعيل بعض الاضرحة التى لم تكن فى ذلك العهد اكثر من مساجد تقام فيها الصلوات وترتل فيها آي القرءان والاذكار والدعوات فلم ير الملوك ما يدعو الى استنقاصها بيد أن الاستعمار وصنائع الاستعمار السدوا جوانب من هذه الروح الطيبة التى كانت تسري فى هذه البيوت الطاهرة .

ولعل من ابرز نماذج التصوف المغربي أي الفلسفة الروحية والخلقية المغربية رجلا تغلغلت مقالاته السيارة فى قرارة النفوس فقومت اودها طوال اجيال متوالية وطبعت التصوف المغربي بميسم خاص افرغت منه الحقيقة الصوفية فى قوالب شرعية وروح التوكل فى صورة السبب ولطائف الروح واسرار النفس فى اشكال مبسطة وذلك الرجل هو سيدي يوسف الفاسي الفهري - ويمكن

القول بأن نظريات هذا الرجل الخلقيـة والنفسيـة والالهية تتركز فيها خلاصة النظريات المغربية في هذا الباب .

ومن نظرياته الطريفة ان الرجل قد يؤخذ من العالم الادنى ليرقى الى العالم الاسنى وذلك عندما يتمحص صدقـه واخلاصـه وتضمحـل انانيتـه فتتكشف في باطنه حقائق وتختلج في سره رقائـق وتعرض له احوال وجدانية لا تنضبـط ولا ترتبـط بمعهود وقد تسمو روحانية الصوفي فيتجرد عـن بشريته ويتحد أي في التوحيد لان الفناء هو اتحـاد بلسان المجاز وتوحيد بلسان الحقيقة. وهذه الظواهر كلها ذوقية وجدانية (فمن ذاق ــ كما يقول الشيخ يوسف ــ عرف ومن لم يذق فـلا حرج اذا سلـم واعترف وهذه طرائف تقصر عنها العبارة ولا تلحقها الاشارة اذ لا يفهم عنك الا من اشرق فيه ما اشرق فيك) .

وقد تجلى أبرز مظهر للتصـوف الحقيقـي في المغرب في اقرار التسامـح والسـلام في المجتمـع واسعاف طبقاته المعوزة واجراء الامدادات الموصولة لتخفيف وطأة البؤس فهناك مذهب صوفي مغربـي بحت يرجع الفضل في وضع اسسه ونشـر دعوتـه لرجل من أهل القرن السـادس هـو ابو العبـاس السبتي (53) الذي كان يـرى أن لبـاب القوانيـن الشرعية هو الصدقة فـكان يجلس في الاسـواق والطرق ليحض الناس على البذل والجـود مـرددا كلماته الخالدة :

(أصل الخير الاحسان واصل الشر البخـل)

وقد اشتهر مذهبه ايما اشتهار حتى نعته معاصـره الحاتمي في فتوحاته المكية بصاحب الصدقـة فـي مراكش .

وقد كان لهذه الدعوة اثرها فاسست الملاجيء في مختلف انحاء المغرب حيث كان ياوي العجـزة والفقراء والطلبة فيجدون الطعام السائغ والفـراش الوديع وقد تنافس الصوفيـة في هـذه المظاهـرات الاحسانية فاضطر الملوك الى المساهمـة فاسسـوا الزوايا في الفلوات لايواء عابري السبيل واوقفوا لها الاوقاف الوفيرة .

ومن نماذج الاسلوب الادبي الرائع في التصـوف ما كتبه ابن خلدون في مقدمة كتابه « شفاء السائل » حيث قال : « وقفني بعض الاخوان ابقاهم الله على تقييد وصل من عدوة الاندلس وطن الرباط والجهاد وماوى الصالحين والزهاد والفقهاء والعباد يخاطـب بعض الاعلام من اهل مدينة فاس حيث الملـك بـزار وبحار العلم والدين تزخر وثواب الله يعد لانصـار دينه وخلافته ويدخر طالبا كشف الغطاء في طريـق الصوفية اهل التحقق في التوحيد الذوقي والمعرفة الوجدانية هل يصح سلوكه والوصول به الى المعرفة الذوقية ورفع الحجاب عن العالم الروحاني تعلما من الكتب الموضوعه لاهله واقتداء بأقوالهـم الشارحـة لكيفيته فتكفي في ذلك مشافهة الرسوم ومطالعـة العلوم والاعتماد على كتب الهداية الوافيـة بشـروط النهاية والبداية كالاحياء والرعاية ام لا بد من شيخ يبين دلائله ويحذر غوائله ويميز للمريد عند اشتبـاه الواردات والاحوال مسائله فتنزل منزلـة الطبيب للمرضى والامام العدل للامة الفوضى » .

ثم تحدث عن اغراض التصـوف ومصطلحاتـه فقال : « فببيان هذه الاصطلاحات يتضح الكثيـر من هذا الغرض » فمن ذلك تحليله للكشف عند الصوفية بقوله : « وبيان ذلك ان المبصر اذا راى شخصـا ثم غمضت الاجفان دونه بقي متخيلا ثم اذا فتح اجفانه مرة اخرى رآه كما كان فبين الحالتين كشف »

وقد تحدث باسهاب عن هذه المصطلحات فقال : « اقتضى التعليم والمفاوضة في المجاهـدة الخاصـة المنفردة عن الجمهور الانفراد باصطلاح خاص يكون لهم في مفاوضتهم والفاظ مخصوصة بمعـان مـن

(53) وجه ابن رشد الى مراكش عالما قرطبيا لدرس نظريته التي لاحظ انها مرتكزة على المبدا القائل بأن « الوجود ينفعل للجود » وقد لاحظ التادلي في ملحق التشوف (الاعلام للمراكشي ــ فاس 1355 ج 1 ص 240) انه « يرد اصول الشرع الى الصدقة » وكان القرآن على طرف لسانه ولد عام 524 هـ ومات بمراكش عام 601 هـ وشيخه الفخار هو صاحب عياض ــ كان يجلس حيث امكنه الجلوس من الاسواق والطرق فيحـض النـاس عـلى الصدقة » وكان يعبر رفع اليدين للتكبير للتخلـي عن كل شيء والركوع بالمشاطرة والسلام بالخروج من كل شيء وان سر الصـوم الجوع وتذكـر الجائع والزكاة التدرب على البذل .

طريقهم كالمقام والحال والفناء والبقاء والمحو والاثبات والنفس والروح والسر والبواده والهواجم والخاطر والوارد واللوامع والطوالع والتلوين والتمكين والفرق والجمع وجمع الجمع والذوق والشرب والغيبة والحضور والصحو والسكر وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاملة والمنازلة والمواصلة وعلم المعاملة وعلم ولنشر الى شرح هذه الالفاظ .. وهنا بدا ابن خلدون يستخلص من كل معنى تفاريعه الصوفية بعبارات لها مفهوم دقيق يدل على الاطار الخاص الذى استعملت فيه ومن هذه الالفاظ الارادة والتوبة والتقوى والورع والزهد والقناعة والتوكل والخشوع والتواضع والشكر والصبر والمراقبة والرضى والعبودية والاستقامة والاخلاص والصدق والمحبة والشوق والانزعاج والرجاء والخوف والقبض والبسط والهيبة والانس» وهي كلمات قرءانية تحدد النطاق الصوفي ومدلوله الاسلامي فى المغرب ويدل اندراج معظمها فى اللسان العامي فى المغرب بنفس المفهوم ان القرآن كان هو المصدر الاول الذي زود المعجم الصوفي بكلمات تفرعت عن بعضها كثير من الاشتقاقات وبذلك يكون القرءان قد امد الفكر الصوفي بالفاظ لم يوفق ماسينيون فى حصرها كالذكر والسر والقلب والتجلي والاستماع والاستقامة والاستواء والاصطفاء والصدق والاخلاص والرضى والنفس المطمئنة والراضية واللوامة والامارة والسكينة والتوبة واليقين والنور والحق وقد اغفل المستشرق الفرنسي مآت الكلمات كما يتجلى ذلك بوضوح من اللائحة الابجدية للكلمات الصوفية المقتبسة من القرءان (54) يضاف اليها ما تطورت معانيه عن طريق النحاة كالضمير والملحق والاشارة والمجاز والاقتران او المتكلمين كالعقل والعدل والتوحيد والعرض والصفة والصورة والقدم والثبوت والوجود او ما فى الاثر والحديث كسبحات الوجه والدرة البيضاء والكبريت الاحمر والاسم الاعظم والديك الابيض وعنقاء مغرب ومقلب القلوب وسبحات الجلال والقطبانية والغوثية والفردية والابدال والاوتاد والنجباء والنقباء او ما تسرب الى العربية من دخيل يوناني او فارسي او ارامي منذ صدر الاسلام او العهد الجاهلي كالافلاك والاكوار والازياج والمهرجان والدستور والكناش والترياق والديوان الخ ..

غير ان هذه المصطلحات الصوفية المعقدة لم يدخل بعضها للمغرب الا فى عهد المرينيين ضمن التراث الاندلسي اذ ان كتب التصوف قبل القرن الثامن كانت اشبه بكتب السير محشوة بآيات الوعظ القرءانية والاحاديث والاذكار النبوية

ممن ذلك ما عزز به التادلي الفكر الصوفي فى كتابه « التشوف فى رجال التصوف » (وقد شرع فى تصنيفه عام 617 هـ اي اخر الموحدين) من اي قرءانية تصف التقوى والخشية والمعرفة الالهية مثل قول الله تعالى : « ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » وقوله : « وعلمناه من لدنا علما » (ومنه العلم اللدني) وقد روى احاديث وفيرة لدعم نظريات الصوفية ومصطلحاتهم منها كلمة الابدال فى حديث انس بن مالك عن الرسول عليه السلام وقد ذكر **الابدال** فقال « كلما مات منهم واحد ابدل الله مكانه من المومنين واحدا » . ومنها التوسم فى الحديث الذي رواه البزار عن انس « أن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم » وقد انتشرت هذه اللفظة بالمغرب عوض الفراسة حتى قيل فى العامية « فلان موسوم بالخير » .

ومنها الحثالة فى حديث مرداس الاسلمي «يذهب الاولياء الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير او التمر لا يبالي الله بهم » (البخاري - كتاب الرقاق - باب ذهاب الصالحين) .

وتحديد مفهوم «الولاية» نفسها مقتبس من الحديث فقد روى البزار عن ابن عباس : « قال رجل يا رسول الله من اولياء الله ؟ قال : الذين اذا رؤوا ذكر الله » (55) ومن مظاهر بساطة الاسلوب الادبي فى هذا العصر ما حدثنا به التادلي عن ابي زكرياء الرجراجي الذى كسر رجل تنفذ سهوا بقوله : فربط رجله بجبائر وادخله فى خابية فكان يسقيه الماء ويطعمه التين والزبيب الى ان انجبر فذهب).

وهذا النصّ صورة لبساطة اسلوب الادب الصوفي في القرن السابع حيث لا يحتوي على اي لفظ تجفوه السنة العامة .

وقد حفلت كتب الادب وحتى الفقه بالتعابير الصوفية من خلال الادعية والتوسلات والابتهالات فمن ذلك قول عياض : « الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى

---

(54) راجع كتابينا « المعجم الصوفي » و « المعجم الصوفي من القرءان »
(55) سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب 4

المختص بالملك الاعز الاحمى الذى ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا وهما الباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما » وورد من تسبيحات المهدي ابن تومرت : « سبحان من ارسى مهاد الارض الشامخات وارتفعت بقدوته السماوات ودبر الازمان بالنور والظلمات وتدكدكت لجلاله الغايات .. الخ » . ومن مناجاة ابي العباس السبتي « اللهم افضلت فعم افضالك وانعمت فتمم نوالك وغفرت الذنوب فتكامل احسانك وسترت العيوب فتواصل غفرانك .. الهي كيف يحيط بك علم خلقته ام يدركك بصر انت شققته الخ .. » . ومن ادعية سيدي عبد السلام بن مشيش شيخ ابي الحسن الشاذلي امام التصوف بمصر : « اللهم صل على من انشقت له الاسرار وانفلقت الانوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم ءادم فاعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقة » ومن احزاب الشاذلي « اللهم انك تعلم اني بالجهالة معروف وانت بالعلم موصوف وقد وسعت كل شيء من جهالتي بعلمك فسع ذلك برحمتك » .

ومن الاندلسيين الذين عاشوا فى المغرب وتاثروا بسماته الصوفية ابن الخطيب (56) السلماني الذي استجلى بروحه الوثابة الشاعرة مخابر الفن والجمال فقال : « الحب الحقيقي حب يصعدك ويرقيك ويخلدك ويبقيك ويطعمك ويسقيك ويخلصك الى نشة السعادة ممن يشقيك » . اما فى الشعر فقد سقنا فى القسم الادبي من عناصر تطور اللغة ومن نتفا رائعة لا يمكن فصلها عن الادب العام ومن شعر الامام السهيلي الذى اصبحت الخاصة والعامة تلهج به :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع
انت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها
يا من اليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه فى قول كن
امنن فان الخير عندك اجمع

وقول السجلماسي (57) :

طيب بذكر الله فاك فانه
لاجل ما فاهت به الافواه

ما للفتى لا يرعوى وصباحه
ومساؤه بعظاته بسواه

تلقاه تياها على من دونه
ولسوف يعطشه الذى ارواه

وقول العلامة سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه مشيرا الى طريق الصوفية التى كنى عنها بالاتاي (وهو الشاي فى لغة المغرب)

واصل شراب حليفة الامجاد
واترك مقال اخي هوى وعناد

صفراء تسطع فى الكؤوس كانها
من عسجد عصرت باعصر عاد

تدعى الاتاي وذاك رمز ظاهر
يدريه من يدري من الامجاد

وقد كنى ايضا عن الطريق بالقهوة مستعملا الجناس بين اللون (لونها) والنهي (نهى) حيث قال :

اشرب اخي قهوتنا
ولونها اولوا النهى

ولا تمل لعاذل
عن لونها ولو نها

ومن قول الحراق على نسق ابن الفارض :

اتطلب ليلى وهي فيك تجلت
وتحسبها غيرا وغيرك ليست

(56) فى كتابه المخطوط « روضة التعريف بالحب الشريف » وقد نشر المقري جزءا منه فى نفح الطيب فى ترجمة ابن الخطيب (راجع كتابنا « الفلسفة والاخلاق عند ابن الخطيب » الذى نال جائزة معهد مولاي الحسن بتطوان عام 1947) .

(57) الذخيرة السنية ص 55 وقد انتشرت فى المغرب الحكم العطائية وتداولتها الالسن وشرحها من المغاربة الكثيرون واصبحت تجري حتى على السن العامة منها « من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه » .

الم ترها القـت عليـك جمالهـا
ولو لم تقم بالذات منك اضمحلت

بديعة حسن ولو بدا نور وجهها
الى اكمه اضحى يرى كـل ذرة

عزيز لقاها لا ينـال وصالهـا
سوى من يرى معنى بغير هوية

اذا شئت ان تلقى السعادة والمنى
وتبلغ ما عنـه الرجـال تـولت

فطهر بماء الذكر قلبـك جاهـدا
بصدق اللجا واغسله من كل علة

ومكن بكف الشـرع امـرك كلـه
فدونك ان لم تفعل البـاب سـدت

فنور سرى في الكون صورة احمـد
به تهتـدي للـه كـل الخليقـة

ولسيدي قدور العلمي من المتاخرين : وهو من الملحون المقتبس من القرءان مع تحريف بسيط :

سبحان مـن قضـى وحكـم
وعلم الانسـان ما لم يعلم

سبحـان الدايـم بالـدوام
مـن لا يسهـى ولا ينـام

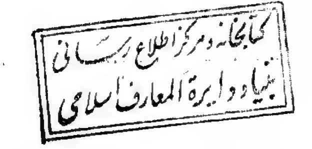
مول القدرة مـول الحـكـام
الساكـن فقلـوب الومنيـن

سبحـان الواحـد الوحيـد
سبحـان المالـك المجيـد

بفعـل فملكـو مـا يريـد
مـا لـه شريـك ولا عويـن

وقد استوثق التبادل بين المشرق والمغرب فى هذا المجال فى مظهرين اولهـما انتشـار طريقتيـن صوفيتين مغربيتين لكل من ابي الحسـن الشاذلـي الغماري وعلي بن ميمـون الفاسـي صاحب كتـاب « منفقهة ومتفقرة مصر والشام (58) بالاضافة الى نفوذ احمد البدوي الفاسي دفين طنطا ، وثانيهمـا انتشـار مصنفات صوفية شرقية بالمغـرب ككتـاب الحكـم العطائية الذي صار الناس يحفظونه عن ظهر قلـب وقد علق عليه العلماء فى شروح وفيرة كشروح ابـن عباد وزروق والقلصادي ومحمد جسـوس الفاسي والحراق وابن عجيبة التطواني ومحمـد بن عبـد السلام بناني والشيخ الطيب بن كيران الخ .. كما تبودلت رسائل منها جواب الشيخ الغزواني من اسئلة الناصر اللقاني المصري وهي نموذج للتاويلات الصوفية المغربية للقرءان اما القصائد المغربية التى اصبحت تجري على السنة العامة فكثيرة منها ارجوزة حدائق الازهار فى الزاوية للبازغي والقباس للوزير الغسـاني وديوان الحراق الذى نحا فيه منحى ابـن الفـارض وابن عربي وعبد الغني النابلسي فى وحدة الوجـود والتلبس بما يسمونه الحقيقة المحمدية وبعلو نفس الحراق احيانا فيكاد يطاول سلفه ابن الفـارض فى رقة الاسلوب وسمو المعنى ومما يتصـل بالتصوف العام قصيدة لاحمد الشريشي السلوي الشاعـر الطبيب وقد شرحها كل من احمد الصومعي واحمد ابن ابي المحاسن الفاسي وهنالك كتاب يمكن ان يعتبر خلاصة للادعية النبوية التى جرت على السنة الصوفية بعد القرن التاسع وهي دلائل الخيرات الذى شرحه افراد من العائلة الفاسية وقـد انتشر فـى العالـم الاسلامي هو وذخيرة المحتاج للشيخ المعطي الشرقي وقد نحا المغاربة منحى الصوفية المشارقة فى مـدح الاشياخ بقصائد لا تخلو من معلومات تفيد المـؤرخ من ذلك دالية اليوسي في مدح سيدي محمد بن ناصر الدرعي وهي « مشهورة بين اهل الادب » عارض بها دالية البوصيري فى ابـي الحسن الشـاذلي وابـي

(58) المتفقرة كالمتصوفة وهم الذين يتصنعون الفقر وهو التصوف بلغة المغرب وهي من الآيـة الشريفـة « يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله » . ويظهر ان السبب فى اقبال صوفية الشرق على كل ما هو مغربي الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه(باب الامارة) : « لا يزال اهل المغرب ظاهريـن على الحق حتى تقوم الساعة» وقد كتب ابن حجر في فتح الباري على هذا الحديث مشيـرا الى روايـة اخرى عن احمد انهم ببيت المقدس بدل المغرب وكذلك عن الطبراني بهذه العبـارة « يقاتلـون على ابواب بيت المقدس» وفى هذا اشارة عميقـة الى الوضع الحاضر .



العباس المرسي وقصيدة البوصيري هذه تدل على ما كان للصوفية المغاربة من مكانة في نفوس صوفية الشرق (وقد مدح البوصيري كذلك ابا محمد صالح (59) بالتصوف وان كان قد اعتراه شيء من الانحلال فقد كان له كبير الاثر في توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة فاصبح الشعب يلهج بالادعية والاذكار ويتلو قصائد الغزل والمديح في سماع لم تعد تخلو منه زاوية او رباط وخاصة بمناسبة المولد النبوي الذى بدأ العزفيون يحتفلون به في سبتة ثم ملوك بني مرين في باقي الحواضر وبذلك اندرج عنصر جديد طور لغة الضاد بالمغرب وطبع اللسان الدارج وخاصة منه البربري الذي اقتبس ما كان ينقصه في هذا المجال فتقاربت الشقة بين الفصحى والعامية في اللسانين .

(59) كان قطب الدين القسطلاني بمدرسة الحديث بالقاهرة كثير الاعتناء باصحاب ابي صالح الوافدين على مصر .



اللغة العربية

دورها وأهميتها في القرون الوسطى وفي أيامنا الحاضرة

الدكتور بيلاوسكي

جامعة فارسوفيا

ترجمة وتحليل الاستاذ محمد بن زيان

تحت هذا العنوان وفي هذا العدد من مجلة « اللسان العربي » نشرنا باللغة الفرنسية ـ نقلا عن البولونية ـ مقالا ممتعا بقلم الدكتور بيلا وسكي رئيس قسم اللغة واللهجات العربية والاسلام بجامعة فرسوفيا .

ومن اهم ما ابرزه في هذه الدراسة القيمة عن تطور لغة الضاد انها احدث اللغات السامية واعظمها ثروة ، وقد تحولت بصورة مدهشة من لهجة كان البدو يتكلمون بها في صحراء شبه جزيرة العرب الى لغة ثقافية وحضارة وعلم فانتشرت حيثما انتشر القرآن الكريم والاسلام حتى اضحت هي اللغة القومية والرسمية او على الاقل لغة الدين في الامبراطورية العربية الشاسعة الاطراف من الصين والهند شرقا الى محيط الاطلس واسبانيا غربا .

والدكتور بيلاوسكي شديد الميل الى النظرية الحديثة التي ترجع اصل لغة القرآن الى نجد بدلا من مكة وان كان النحاة وكل من تبعهم اجمعوا على ان لهجة قريش هي التي كانت اصل العربية ، معللا ذلك بازدهار الشعر الجاهلي في الربوع النجدية وحيوية اللغة فيها وفصاحة اهلها وبلاغتهم .

وعلى كل فان هذه اللغة التي طالما بقيت على الفطرة اصبحت منذ القرن الثامن الميلادي موضوع البحث والدراسة وكان الباعث على ذلك في المرحلة الاولى هو الحرص على الضبط والتدقيق في تفهم كلام الله وشرحه فكان ارتباط علمي اللغة والدين وثيقا لذلك السبب ، ثم ما لبث ان فك هذا الربط فاستقل علم اللغة وانشئت له المدارس والمراكز فاشتهرت من بينها في القرن التاسع للميلاد خاصة البصرة والكوفة في العراق ، وقد تميز فقهاء اللغة في البصرة بطريقة كانت تغلب عليها الصبغة النظرية بينما كان مذهب الكوفيين يكتسي صبغة تجريبية فكانوا ـ مثلا ـ يكثرون من جمع العناصر المستمدة من اللهجات لتعزيز وجهة نظرهم ..

ولقد نشأ من هذا التنافس ازدهار في علم اللغة وتطور اللغة العربية لم يسبق له نظير ، وظهر من بين اعلامه الخليل ابن احمد صاحب اول معجم وهو « كتاب العين » ، وسيبويه مؤلف « الكتاب » وهو من اعظم ما ظهر من المؤلفات في النحو كما يدل على ذلك تعدد شروحه وبقاؤه حتى الآن اساسا من اسس دراسة النحو .

وقد اتبع فقهاء اللغة في وضع كتبهم نظما مختلفة اهمها ثلاثة :

اولا ـ النظام السيميائي المرتكز على جمع المترادفات حول موضوع ما كالخيل والابل والنخيل والصحراء ...

ثانيا ـ النظام المرتكز على مخارج الصوت واللفظ كما هو مطبق في كتاب « جمهرة اللغة » لابن دريد (المتوفى سنة 934 ميلادية) وفي « تهذيب اللغة » للازهري (المتوفى سنة 980 م) وكان هذا المؤلف الاخير من امهات كتب اللغة ومن المصادر

الكبرى التي اصبحت منهلا للمعاجم الموضوعة بعد ذلك مثل « لسان العرب » **لابن منظور** (القرن الثالث عشر بعد الميلاد) الذي رتبت فيه الكلمات ترتيبا الفبائيا لكن ابتداء من اواخر الحروف .

ثالثا ـ النظام المرتكز على الترتيب الالفبائي، وقد ظهر لاول مرة في جزء فقط من اجزاء « جمهرة » ابن دريد ـ ثم في « تاج اللغة وصحاح العربية » المعروف، « بالصحاح » **للجوهري** (المتوفي سنة 1003 ميلادية ، ثم في « مقاييس » اللغة **لابن فارس** المتوفي سنة 1008 ميلادية .

وممن اشتهروا في الاندلس وغرب الاسلام من علماء اللغة **ابن سيده** المتوفي سنة 1065 واضع « كتاب المخصص في اللغة » و « كتاب المحكم والمحيط الاعظم » وهذا المعجم الاخير لم يطبع منه الا ثلاثة اجزاء وهو مرتب ترتيبا صوتيا على غرار طريقة الخليل .

كما اشتهر بعد ذلك ـ في القرن الثامن عشر ـ **الزبيدي** صاحب « تاج العروس » الذي يعتبر ركنا من اعظم اركان اللغة العربية .

بعد هذه النظرة الموجزة عن الدراسات اللغوية وما انتجه اللغويون ـ خصوصا ـ في القرنين التاسع والعاشر للميلاد تخلص الدكتور بيلاوسكي الى موضوع تعريب اقاليم الامبراطورية الاسلامية وانتشار الفصحى واللهجات العربية ، فبين كيف راحت لغة القرآن تغزو غيرها من اللغات وتحل محلها فاضمحلت امامها الصابية والمينية في جنوب الجزيرة ، والارامية في الشام وفلسطين والعراق ، والقبطية واليونانية في مصر على أن حركة التعريب اصطدمت ببعض المقاومة لدى المسيحيين السوريين والاقباط فلم يتم تعميم استعمال العربية بينهم الا في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين .

اما في بلاد الفرس فقد اخذت لغة الضاد في الانتشار منذ الفتوحات الاسلامية الاولى واستمر استعمالها معمما حتى القرن العاشر للميلاد حيث ظهرت حركة مقاومة تهدف الى احياء اللغة الفارسية التي استعادت مكانتها القومية في الادب والشعر خصوصا دون أن تستطيع اقصاء العربية في المجالات الديني والقانوني والعلمي .

واما في المناطق الشمالية من افريقيا فقد لاقى التعريب صعوبات تعود اسبابها الى عوامل جغرافية واجتماعية ولا سيما في النواحي الجبلية حيث تعيش القبائل البربرية متشبثة بعوائدها ولهجتها التي لا تخلو من الحيوية .

ولما فتحت اسبانيا في القرن الثامن (711 م) انتشرت اللغة العربية بين اهاليها من عرب ومستعربين فازدهرت وتطورت هناك مع ازدهار العلوم والفنون وتطورها العظيم الى ان حلت سنة 1492 التي انهزمت فيها آخر امارة عربية .

ومن الشمال الافريقي ايضا انتقلت العربية الى جزيرة مالطة حيث تطورت وصارت تكتب بالحروف اللتينية فكانت اصلا للغة القومية التي ما زال اهل مالطة يستعملونها الآن .

وهذا الاشعاع العظيم الذي عرفته اللغة العربية في القرون الوسطى لم يعد سببه الى انتشار الاسلام فقط بل اننا نجد له سببا آخر في المزايا الخاصة التي تتمتع بها هذه اللغة الممتازة بثروتها وحيويتها وايجازها ودقتها الامر الذي جعلها تقوم بدور عظيم في مجالي العلم والثقافة طوال حقبة القرون الوسطى . ولئن فقدت بعض نفوذها ابتداء من القرن السادس عشر لما اصيب به العرب من انحطاط سياسي وثقافي ، فان هذه الظاهرة لم تكن الا عبارة عن حالة عابرة وغفوة زائلة تمت بانبعاث اللغة العربية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

غير ان تطويرها تطويرا يناسب العصر الحديث لم يكن امرا هينا لما تتطلبه اللغة الناهضة من تنمية في الميدان الحضاري والعلمي ومن خلق مصطلحات جديدة . فبذلت منذ القرن التاسع عشر اقصى الجهود واتخذت جميع الطرق والوسائل من اجل ازدهار العربية في العلوم الفلسفية فغيرت الفاظ واستنبطت اخرى بناء على قواعد الاشتقاق وادخلت غيرها صادرة عن لغات اجنبية . ثم انشئت في القرن العشرين مؤسسات مختصة ونظمت تنظيما . فظهر اول مجمع بدمشق سنة 1919 ثم مجمع القاهرة سنة 1932 واخيرا مجمع بغداد سنة 1947 ، واصبح كل منها يزخر بالعمل في خدمة اللغة العربية والادب والثقافة ونشر المؤلفات القديمة التي ما زال الكثير من مخطوطاتها يعلوه غبار الاهمال والنسيان .

على ان اشغال هذه المؤسسات مرتكزة خاصة حول اللغة والعمل على توحيد مصطلحاتها ، وقد اصبح اقطاب من الاختصاصيين في العالم العربي كله يشاركونها في ذلك . ولكل من هذه المجامع نشرة دورية تصدر مرة في كل ثلاثة اشهر او مرتين في السنة

محتوية على ما حصل عليه من نتائج العمل وعلى قوائم مصطلحات محدثة ودراسات خاصة باللغة الفصحى واللهجات العامية .

ويمكن القول من الآن ان لغة الضاد قد واجهت العديد من انواع الصعوبات دون أن يشوبها شائب العناصر الاجنبية وهي محافظة على شخصيتها وعلى كل بهائها فلا تباين بين العربية الحديثة والقديمة وقد جددت ونميت على أساس نفس القواعد التي وضعها سيبويه المتوفى في سنة 792 م في مصنفه « الكتاب » .

وكان من الطبيعي ان يحدث بعض التطور في تركيب اللغة العصرية وقد حذفت منها التعابير المماتة وتوسعت ثروة مصطلحاتها ، حتى أصبحت اليوم قادرة ومقدمة على مضاهاة سائر اللغات العالمية في الميدان الدولي ، وقد اخذت مكانتها ــ مثلا ــ في منظمة اليونسكو كلغة رسمية .

وهي اللغة القومية لازيد من مائة مليون عربي يستعملونها في التاليف الادبي والعلمي وفي الادارة والصحافة والاذاعة لتشكل الرباط الوثيق الذي يربط بعضهم ببعض ويسهل تحقيق وحدتهم الوطنية .

ويوجد في الاقطار العربية بجانب الفصحى لهجات عامية يرجع أصلها الى اللهجات التي كان يتكلم بها عرب شبه الجزيرة الا ان كل واحدة منها طبعت بطابع خاص حسب العوامل اللغوية المحلية التي اثرت عليها فكان منها العامل الارامي أو القبطي أو البربري .. وهي الآن تتاثر أيضا باللغات الغربية على ان ارتباطها المتين بالعربية الفصحى يجعلها تتقوى بها وتستمد منها ما ينقصها من المفردات وان كانت هذه اللهجات الاقليمية غير مستعملة لا في الادارة ولا في الادب باستثناء بعض المؤلفات الفلكلورية او بعض ما ياتي احيانا من حوار في الاقاصيص والروايات . ومن ذلك يتضح وجود ازدواجية لغوية في كل بلد عربي . فهناك :

اولا ــ لغة رسمية وطنية وهي التي يكتبونها ولا يتكلمون بها الا في بعض الاحيان ، وقد يحدث ذلك مثلا في الجامعات وبمناسبة الاجتماعات الرسمية وعند انعقاد المؤتمرات بين العرب خاصة .

ثانيا ــ اللهجة العامية التي تختلف شيئا ما مع اختلاف البلاد العربية والتي ربما تميزت ببعض الاناقة عندما تتكلم بها النخبة المثقفة .

اما الدول التي تستعمل العربية كلغة رسمية فهي :

المملكة العربية السعودية ، والجمهورية اليمنية ، وجمهورية جنوب اليمن ، والكويت ، والامارات مثل البحرين وعمان ، وسوريا ، والعراق ، والمملكة الاردنية الهاشمية ، وفلسطين العربية ، ولبنان ، والجمهورية العربية المتحدة ، والسودان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، وموريطانيا .

واما البلاد التي انتشرت فيها العربية انتشارا هاما فهي : السودان الغربي وجيبوتي وزنجبار ، وهي معروفة أيضا كلغة دين في بعض الاقطار الاسلامية مثل ايران وافغنستان والباكستان واندونيسيا .

وكان للعربية تاثير كبير في المجال الديني والعلمي على لغات اخرى منها الفارسية والتركية والاردية ، وكلها كانت وما زالت تكتب بالحروف العربية باستثناء التركية التي اتخذت الحروف اللتينية منذ 1928 .

وختاما يجدر بالذكر ان نشير الى ان الحروف العربية قد قامت بدور هام في الفن العربي الاسلامي كعنصر للزخرفة .

قرارات مجمع اللغة العربية

أصول اللغة وتحقيق الألفاظ والأساليب

الاستاذ محمد شوقي امين
رئيس التحرير للجنة الاصول

قدمت لجنة الاصول بالمجمع الى مؤتمره المنعقد في فبراير سنة 1968 ما استقر عليه رايها في جملة من اصول اللغة وفي عدة من الالفاظ والاساليب، واشتمل تقديمها على مذكرات وبحوث كتبها اعضاؤها في الموضوعات المعروضة .

وقد اقر المؤتمر ما عرضته عليه اللجنة ، ونشر كاملا مع البحوث والمناقشات في « مجموعة البحوث والمحاضرات » لمؤتمر الدورة الرابعة والثلاثين.

في اصول اللغة :

1 — اطلاق جواز الاشتقاق من اسماء الاعيان دون قيد الضرورة :

في اثناء دراسة اللجنة لكلمة « متحف » وتعليل ضبط ميمها بالفتح على انها اسم مكان من التحفة ، استنادا الى قرار مجمعي في الاشتقاق من اسماء الاعيان ، لوحظ أن القرار مقيد بالضرورة في لغة العلوم . وتذاكرت اللجنة في ذلك ، واصدرت القرار التالي :

وفيما يلي نصوص القرارات في اصول اللغة وفي تحقيق الالفاظ والاساليب :

قرر المجمع من قبل اجازة الاشتقاق من اسماء الاعيان للضرورة في لغة العلوم ، كما اقر قواعد للاشتقاق من الجامد .

واللجنة تأسيسا على أن ما اشتقه العرب من اسماء الاعيان كثير ، كثرة ظاهرة ، وان ما ورد من امثلة في البحث الذي احتج به المجمع لاجازة الاشتقاق يربي على المائتين ، ترى التوسع في هذه الاجازة بجعل الاشتقاق من اسماء الاعيان جائزا من غير تقييد بالضرورة .

2 — جواز لحوق تاء التانيث لصيغة «فعول» الصفة ، بمعنى فاعل وجمعها جمع تصحيح .

عرض على المؤتمر في الدورة المتممة للثلاثين ان لجنة الاصول في دراستها للتذكير والتانيث انتهت الى ما ياتي :

« لا يجوز أن تلحق التاء فعولا بمعنى فاعل للتانيث » ، فأقر المؤتمر ذلك .

ولكن المؤتمر بعد ذلك احال الى لجنة الاصول بحوثا لبعض الاعضاء العاملين والمراسلين، طالبوا فيها باجازة ذلك وهي :

أ) المسالة الثانية من بحث الاستاذ عبد الحميد حسن في مؤتمر الدورة 31

ب) المسالة الثالثة من بحث الاستاذ انيس المقدسي في مؤتمر الدورة 32

ج) بحث الدكتور ابراهيم انيس في مؤتمر الدورة 32 (مؤتمر بغداد) .

د) الاقتراح الثاني من بحث الدكتور مصطفى جواد في مؤتمر الدورة 33

وبعد ان درست اللجنة كل ما احيل اليها في هذا الموضوع ، وما قدمه في اثناء الدراسة الاستاذ الشيخ عطية الصوالحي والاستاذ عباس حسن من مذكرة مكتوبة انتهت الى ما يأتي :

يجوز ان تلحق تاء التانيث صيغة فعول بمعنى فاعل ، لما ذكره سيبويه من ان ذلك جاء في شيء منه، وما ذكره ابن مالك في التسهيل من ان امتناع التاء هو الغالب ، وما ذكره السيوطي في « الهمع » من أن الغالب الا تلحق التاء هذه الصفات ، وما ذكره الرضي من قوله : « ومما لا يلحق التانيث غالبا مع كونه صفة فيستوي فيه المذكر والمؤنث : فعول » .

ويمكن الاستئناس في اجازة دخول التاء على فعول بأن صيغ المبالغة كاسم الفاعل يمكن ان تتحول الى صفات مشبهة ، وعلى ذلك في حالة دلالتها على الصفة المشبهة يمكن ان نلمح المعنى الاصلي لها وهو المبالغة فتدخل عليها التاء ، جريا على قاعدة دخول التاء في اسم الفاعل وفي صيغ المبالغة للتانيث .

وعلى هذا يجري على تلك الصيغة ــ بعد جواز تانيثها بالتاء ــ ما يجري على غيرها من الصفات التي يفرق بينها وبين مذكرها بالتاء ، فتجمع جمع تصحيح للمذكر والمؤنث .

3 ــ جواز صوغ « فعيل » للدلالة على المشاركة :

احيل الى لجنة الاصول بحث قدمه الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع المراسل في مؤتمر الدورة 33 ، وقد حوى البحث جملة اقتراحات بني الاقتراح السادس منها على زهاء اربعين مثالا على زنة فعيل مصوغة من الافعال التي تقبل الاشتراك والمنافسة والمقابلة والمضادة والمساواة ، كالجليس والنديد والكليم والخصيم والمثيل والاكيل والخليل والخليط. وغاية الاقتراح الصوغ على هذا الوزن عند الحاجة .

وقد نشر بحثه في « مجموعة البحوث والمحاضرات » للدورة 33 . وقد راجعت اللجنة ما اورد الباحث من الامثلة ، وما اضافته من نظائرها ، ولاحظت ان بعضه ماخوذ من فعل ، وبعضه من فاعل، وان الباحثين العلميين ربما ساغ لهم ان يستعملوا وزن فعيل ليكون ايسر اصطلاحا من المفاعل ، وان كان قد شاع في الاستعمال : المفاعل الذري والمعامل الرياضي .

وانتهت اللجنة الى ما يأتي :

يصاغ « فعيل » لمعنى المبالغة او الصفة المشبهة ، كما يدل على المشاركة ، وعلى ذلك يجوز صوغ « فعيل » للدلالة على الاشتراك من الافعال التي تقبل ذلك ، وقد سمع من امثلته في فصيح العربية ما يجيز القياس عليه .

في تحقيق الالفاظ والاساليب :

1 ــ تقدم الاستاذ الدكتور محمد كامل حسين عضو المجمع الى المجلس بحثا له بعنوان « اخطاء اللغويين » وذلك بجلسة 2 \ 5 \ 1966 ، ووزع البحث على الاعضاء بجلسة 16 \ 5 \ 1966 وقد احاله المجلس الى لجنة الاصول ونشر نصه في الجزء الثاني والعشرين من المجلة .

2 ــ وقد عرض الاستاذ الباحث لموقف اللغويين من اثر الذوق والاستعمال في تطور اللغات ووضعهم المبنى قبل المعنى ، والصيغة فوق الدلالة ، وبذلك تخلف التفكير اللغوي عن مسايرة التقدم الفكري وتضمن البحث مناقشة في معنى الفصيح والافصح والشاذ ، وفي غضون البحث ذكرت امثلة من الالفاظ والاساليب للتدليل والبيان ، وختم البحث بسرد لما سجلته كتب فقه اللغة من الكلمات في احوال اللين وصوره واطواره وما يطرأ عليه من تغيرات ، واكثره مما لا وجود له في الواقع ، فالمعاني التي ذكرها اللغويون للكلمات من وضعهم ، وليست مما يجري في الاستعمال في رأي الاستاذ الباحث .

3 ــ وبعد ان درست اللجنة البحث ، تبين لها ان الاستاذ الباحث قد افاض في مسائل كلية ،

وبسط آراءه فيها ؛ وان هذه المسائل مجال رحيب لتداول الراي وتنازع القول ، وليست مما يمكن البت فيه بقرار حاسم وحكم فاصل . ولكن ما جاء فى البحث من امثلة الالفاظ والاساليب هو الذي يتسنى اجالة النظر فيه والوصول الى قرار .

وعلى هذا رات اللجنة ان تدرس : ضبط كلمة « متحف » ، وتعليل ضبط « حدث » فى تعبير «ما قدم وما حدث» وتحقيق استعمال كلمة «التبرير» وتحقيق استعمال « تقدم الى فلان بكذا » ، اى قدمه اليه او طلبه والتمسه ، وتحقيق استعمال « مفاعل » كمكايد ومكائد ، وتحقيق استعمال كلمة « سواء » مع « أم » ومع « أو » بالهمزة وبغيرها ، وتحقيق استعمال كلمة « التقييم » بمعنى التقويم اى بيان القيمة .

وقد ناقشت اللجنة فى هذه الالفاظ والاساليب، واصدرت فى كل منها قرارها بعد ان نظرت فيما كتب الاستاذ الباحث فى شانها ، وفيما قدمه كل من الاستاذ الشيخ عطية الصوالحي والاستاذ عباس حسن من مذكرة مكتوبة ، وهذا تفصيل القرارات :

(أ) ضبط كلمة « متحف » :

كلمة متحف بضم الميم صحيحة من حيث القياس ومن حيث المعنى ، للدلالة على مستودع التحف ، والفعل اتحف ليس مقصورا على معنى اعطاء تحفة ، بل يصح ان يكون معناه ايضا عرضها للاطلاع عليها . وبناء على قرار المجمع جواز الاشتقاق من أسماء الاعيان ، واقراره قواعد الاشتقاق من الجامد ، وما تراه اللجنة من التوسع فى جواز الاشتقاق من اسم العين دون تقيد بالضرورة العلمية واستئناسا بأن وجود الثلاثي المزيد فى الفعل يشعر بالمجرد منه، تقرر اللجنة انه يجوز أن يؤخذ من « تحفة » بمعنى شيء يقدم للالطاف فعل ثلاثي من باب نصر ، ومن مصدره يؤخذ اسم مكان على وزن مفعل ـ بفتح الميم والعين ـ فتكون كلمة « متحف » ـ بفتح الميم والحاء ـ صحيحة فى الاستعمال بالمعنى المتعارف الآن بمكان ابداع التحف او عرضها .

ب) تعليل ضبط « حدث » فى تعبير « ما قدم وما حدث » :

1 ـ من فصيح العربية ما ورد من عبارة « اخذني من الامر ما قدم وما حدث » اى ملكني الهم قديمه وحديثه . وقد جاء فعل « حدث » فى هذه العبارة مضموم الدال ، ونص اللغويون على ان الدال فى حدث لم تضم الا في هذا الموضع ، وذلك لمكان قدم ويعبر عن ذلك احيانا بالازدواج واحيانا بالاتباع. ومثله فى فصح العربية كثير .

2 ـ وقد تناول نقاد اللغة بالبحث ما ورد من امثلة ذلك وناقشوا ما قيل فى تخريجها فقبلوا بعضا وانكروا بعضا فى تمحيص وتدليل ، ولم يكن فيما انكروه تخريج ضم الدال فى « حدث » من تلك العبارة المأثورة .

3 ـ واما القول بان اللغويين اغفلوا المعنى فى تفسير هذه العبارة ، وان هناك بابين لحدث : باب فعل بضم الدال وهو من الحداثة ، وباب فعل بفتحها وهو من الحدوث ، فذلك لا سند له فى نصوص اللغة ولا فى شواهد الاستعمال . وقد اثبت اللغويون فعل حدث من باب نصر ، وذكروا لمصدره الحدوث والحداثة معا ، ومعناه : وجود شيء كان معدوما او نقيض القدم ، وكذلك ابتداء الامر وطراءته . ومنعوا ان يستعمل فعل حدث بضم الدال الا مقترنا بالفعل قدم ، كما سلف القول .

4 ـ على انه يتسنى تخريج استعمال «حدث» بضم الدال مستقلا ، باعتبار انه من باب تحويل الفعل الى فعل بضم العين ، لافادة المدح او الذم او المبالغة مع اشرابه معنى التعجب ، ويقصد به الالحاق بالغرائز كما يقال : علم الرجل اي صار العلم ملازما له كانه سجية فيه . وقد اجاز النحاة فى كل فعل صالح للتعجب منه استعماله على فعل بضم العين بالاصالة او التحويل اذا اريد التعجب مدحا او ذما او مبالغة .

ج) تحقيق استعمال كلمة « التبرير » : في المعجم : « برحجه : قبل ، وتضعيفه برره : جعله مقبولا»ومن ثم ترىاللجنة اجازة ما شاع من استعمال التبرير فى معنى التسويغ استنادا الى قرار المجمع فى قياسية تضعيف الفعل للتكثير والمبالغة .

د) تحقيق استعمال « تقدم الى فلان بكذا » ، اى قدمه اليه ، او طلبه ، او التمسه :

ترى اللجنة ان اصل معنى « تقدم اليه » : دنا منه واقترب ، وقد استعمل فى معان منها قولهم : تقدم فلان الى فلان بكذا ، وهما متساويان ، او المتقدم اولى ، ويكون المعنى طلب منه او التمس ، ومنها قولهم : تقدم الى فلان بكذا ايضا ، والمتقدم اعلى منزلة ، معناه حينئذ : امره به ، وهذا كما يفرق في صيغة الامر بين الامر والدعاء والالتماس بالنظر الى

حال المتكلم مع المخاطب ، والتعبير على هذا صحيح في المعنيين .

هـ) تحقيق استعمال « مفاعل » بقلب الياء همزة كمكايد ومكائد :

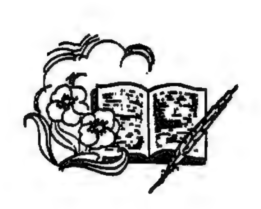
ترى اللجنة جواز الحاق المد الاصلي في صيغة مفاعل بالمد الزائد في صيغة فعائل . وعلى هذا يجوز في عين مفاعل قلبها همزة ؛ سواء اكان اصلها واوا أم ياء فيقال : مكايد ومكائد ، ومغاور ومغائر .

و) تحقيق استعمال « سواء » مع « أم » ومع « أو » بالهمزة وبغيرها :

يجوز استعمال « ام » مع الهمزة وبغيرها ، وفقا لما قرره جمهور النحاة . واستعمال « او » مع الهمزة وبغيرها كذلك على نحو التعبيرات الآتية : سواء علي أحضرت ام غبت ــ سواء علي حضرت ام غبت ــ سواء علي أحضرت او غبت ــ سواء علي حضرت أو غبت . والاكثر في الفصيح استعمال الهمزة وأم في اسلوب سواء .

ز) تحقيق استعمال كلمة « التقييم » بمعنى التقويم ، اي بيان القيمة :

الياء في كلمة « قيمة » اصلها واو ساكنة مكسور ما قبلها وكذلك كلمة « ديمة » من الدوام وعيد من العود . والاصل في الاشتقاق من امثال هذه الالفاظ ان ينظر الى اصل الحرف ، كما قال العرب في بعض الاستعمالات . دومت السماء الا ان العرب ربما قطعوا النظر من اصل حرف العلة ، ونظروا الى حالته الراهنة ، كما قالوا : ديمت السماء في بعض الاستعمالات وكما قالوا : عيد الناس ، اذا شهدوا العيد ، ولم يقولوا في هذه الكلمة : عود الناس تحاشيا عن توهم أنها من العادة . وعلى ذلك يجوز أن يقال : قيم الشيء تقييما بمعنى حدد قيمته ، للفرقة بينه وبين قوم الشيء بمعنى عدله . وقد جاءت المعاقبة بين الواو والياء المشددتين للتخفيف في أمثلة من كلام العرب يستأنس بها في قبول ذلك .



موسوعة المغرب العربي

- معجم الاعلام البشرية والحضارية
الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

- العياشي ابو سالم
الاستاذ محمد الاخضر

- اسماء الحرف بفاس
الاستاذ عبد القادر زمامة

- معجم اعلام النساء بالمغرب الاقصى
الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

- معلمة مركزة عن القبائل والمدن والقرى
المكتب

مدخل لموسوعة المغرب العربي :

معجم الأعلام البشرية والحضارية

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

منذ ان صدر القسم الاول من حرف الف لاعلام الموسوعة توصلنا بخطابات استفسارية عن بعض المصادر المطبوعة والمخطوطة التي يضطر الباحثون للرجوع اليها من اجل استكمال بحثهم حول هذه الاعلام ، وقد راينا من الاوفق ان نقدم لهذه المعلمة بمدخل حول الاعلام البشرية والحضارية نستكمل فيه ما امكننا الوقوف عليه من مظان تشمل المخطوطات والوثائق والمستندات المختلفة التي اشارت اليها الكاطالوجات المطبوعة للمكتبات العالمية ، وقد حاولنا ايضا الاستفادة من الجزازيات النفيسة (التي ما زالت لم تنشر) والتي تعدها بعض المكتبات وخاصة منها المكتبة الملكية العامة (بالرباط) وقد رتبت المكتبة الملكية ذخائرها المخطوطة الثمينة في جزازيات وفهارس بلغ عدد مخطوطاتها المجرود لحد الآن نحو العشرة آلاف كما رتبت اكداس الوثائق في محافظ (بلغت لحد الآن الالف) حسب العصور وقد ادرجناها في مصادرنا وسنحيل عليها بحول الله في النص النهائي لهذا المعجم الذي انكببت على اعداده منذ اربع سنوات والذي وصلت فيه الآن الى نحو العشرة آلاف بطاقة استقصيت فيها المصادر حسب الامكان مع الاشارة الى وفاة المترجم (حصرا للاطار التاريخي) ونحن ننشر اليوم انموذجا غير كامل لهذا العمل الضخم لغايتين اثنتين احداهما الرغبة في الحصول على ملاحظة الباحثين حول هذه المسطرة وثانيهما امداد الباحثين الراغبين في الاسهام في الموسوعة بمصادر شبه كاملة مع ترتيب مبدئي اولي لهذه الاعلام الحضارية منها والبشرية على الصورة التي ستصدر في المعلمة بحول الله ولم نكن ننتظر للشروع في اعداد الموسوعة سوى صدور هذا القسم الموجز الذي يمثل نحو العشر فقط من حرف الف بحيث سيصل المجموع الى عدة مجلدات . ولا يخفى ان معجما كهذا يعد الانطلاقة الضرورية لدائرة المعارف المغربية لانه يحدد الاطار العام لهذه الموسوعة بكامل محتوياتها طبقا لآراء الخبراء الموسوعيين المحدثين وانا لا ازعم ان عملي هذا — رغم ما استغرقت فيه من وقت وبذلت فيه من جهد — يتسم بالشمول والكمال ولكنه انطلاقة اولى لا تخلو ككل البادرات من نقص سنحاول تلافيه بحول الله بفضل ما ننتظره من توجيهات وملاحظات من اخواننا الباحثين في الشرق والغرب .

وقد الحقنا بآخر هذا القسم كشفا لاهم المصادر العامة الموسوعة .

- الفبائية (فرمان : الفبائية ــ ابجدية)
راجع alphabet (لاروس القرن العشرين)
الحروف الفينيقية (نفس المصدر)
راجع تفناغ (حروف) في هذا المعجم
دائرة المعارف للبستاني (طبعة بيروت1956)
- آدم احمد بن محمد بن عيسى القاضي ابو المكارم
(1094 هـ / 1682 م) (1)
الاغتباط ج 1 ص 7 و 8 (باسم سيدي احمد الشريف)
- الآلة الموسيقيـــة
— محمد الفاسي (اللسان العربي عدد 6)
— دعوة الحق عدد 9 — 1958 وعدد 7 عام 1961
— بحث فرشيابا تروشينو حول الفــــن الموسيقي بالمغرب
خع = (س 19072)
— لوحة الموسيقى المغربية خع = 4459
A 8° 8275 bis Chotting
— تقدم الموسيقى العربية بالمشرق والمغرب والاندلس
حسن حسنى عبد الوهاب بالفرنسية
— الموسيقى المغربية : خع De Marangue
A 8° 12.683
— عبد الله الجراري
1) دعوة الحق عدد 7 ـــ 1961
2) بحث خاص للموسوعة
— الموسوعة الاسلامية ج 1 ص 306
— الموسيقى والموسيقيون بالمغرب
مجلة البحث العلمي عدد 9 ص 96
— تاريخ الموسيقـــى الاندلسيـــة بالمغـــرب
— محمد المنوني مطبعة الرسالة ــ الرباط
(1389 — 1969)
— « الجموع في علم الموسيقى والطبوع » (رجز)
لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي
مكتبة برلين (رقم 5521)
(تاريخ بروكلمان ج 2 ص 463)
— الجواهر الحسان في نغم الالحان »
لمحمد الغالي بن المكي بن سليمان
يقع في كراستين بخزانة الاستاذ محمد المنوني بمكناس
— « استنزال الرحمات بالطبع والنغمات او بانشاد بردة المديح بالنغمات »

لمحمد العابد بن احمد بن سودة
(الآلة واطباعها ونغماتها وتاريخ دخولهاالى المغرب وشرح مصطلحات الموسيقى
(مجلد وسط فرغ منه 1325 هـ / 1907 م)
— « الانسان المعجب في اللسان المطرب »
لابي الفضل الكبير بن هاشم الكتاني
(مات دون اتمامه : الموجود منه في ثلاثـــة كراريس)
— الحسن بن احمد الحايك الاندلسي التونســـــي التطواني
له « الحائك » (اشتمل على جميع نوبات وطبوع «الات الطرب وعليه عمل المغنـــين المغاربة في صنعتهم الموسيقية وهذا الكناش لم يبق على ترتيبه الاصلي بل بترتيب الفقيه الوزير محمد بن المختار الجامعي ، وقد اورد خطبته ابو اسحاق التادلي في « اغاني السيقا في علم الموسيقا » (ليفي بروفنصـــــال في مخطوطات الرباط العربية ص 196)
خع = 8 (60 ورقة)
توجد نسختان من كتاب الوزير الجامعي
في خع = 1327 D و 8 D
وتوجد خطبة لتاليف في الموسيقـــى (خع = D 1031)
وردت في آخرها الاشارة الى ترتيب صنائع كل ميزان من كل نوبة حسب نظر حـــذاق المعلمين في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن وهي نفقة هذبت باقتراح الوزير محمد بـــن العربي بن المختار الجامعي عام 1303 .
— رسالتان لاحمد بن خالد الناصري
في فن الموسيقى والتنظير بين النغمـــــات العربية والعجمية
خاطب بهما صديقه العلامة الفلكي ادريس بن محمد (فتحا) الجعيدي السلاوي .
— « الروضة الغناء في اصول الغناء »
ذكر مؤلفه المجهول امداحا قيلت في السلطان مولاي رشيد وهو ينقل عن ابن زاكـــور والبوعصامي خع = 192
— امتاع الاسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع للسلطان المولى سليمان (المكتبة الملكيـــة بالرباط)
— الامتاع والانتفاع في مسالة سماع السماع الخ ..
مجهول المؤلف الفه باسم يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق المريني (706 هـ / 1307 م)
ورتبه على ثلاثة ابواب وسمى فيه 31 نوعا مـــن آلات الموسيقـــى .
توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بمدريـــد فرغ منها ناسخها عام 701 هـ / 1301 م .

---

1) نثبت مع كل علم تاريخ وفاته بالهجري والميلادي حسب الامكان .

وقف عليها الشيخ عباس بن ابراهيم المراكشي (الاعلام ج 2 ص 200)
كما وقف الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني على اسم المؤلف وهو ابو عبد الله بن الدراج ويوجد كتاب باسمه في خع (= 1828) عنوانه « الكفاية والغناء في احكام الغناء » وقد اشار المراكشي الى ما اورده المؤلف من ان طبع الاستهلال الذي هو فرع من الذيل قد استخرجه الحاج علال البطلة بفاس ايام محمد الشيخ السعدي (يوجد في مجلد عدد 5307) ويوجد بخزانة الاخ الاستاذ محمد داود بتطوان كتاب من هذا النوع بخط العلامة محمد بن قاسم بن زاكور

— تاليف في الامداح النبوية وذكر النغمات والطبوع » لاحمد بن محمد بن العربي احضري الاندلسي المراكشي (كان حيا أواخر المائة الثانية عشرة) رتب مدائح وموشحات أهل المغرب على النغمات الاربع والعشرين وذكر مستنبط كل نوبة ساير به كتاب الحايك في الامداح بدل التغزل والنسيب .
(مجلد ضخم في خس)

— مجموع في الغناء والطرب (نوبات على الترتيب التطواني)
خع = 1518 D (98 صفحة)

— مجموع في الغناء والطرب اعتنت بجمعه الارسالية العلمية الفرنسية بطنجة وهو عبارة عن اجزاء من نوبات يغلب عليها الترتيب التطواني (20 ورقة)
خع = 1459 D

— قطع من نوبة الماية (خع = 1514 D)

— آمنة بنت سعيد الغماري
(1260 هـ / 1844 — 1845 م)
عبد العزيز بنعبد الله (معجم أعلام النساء)
السلوة (ج 3 ص 129)

— آمنة بنت الطيب بن محمد الشرقي المعروفة بالجميل تدعى منانة (1187 هـ / 1774 م)
(معجم أعلام النساء) (السلوة ج 3 ص 52)

— آمنة بنت عبد الرحمن الفاسي (1139 هـ / 1726 — 1727 م)
السلوة (ج 1 ص 320)

— آمنة المدعوة الساكمة وهي منانة البستيونية — (1164 هـ / 1751 م)
حسب فهرسة الشيخ التاودي ميمن لقي من صلحاء المغرب (او 1167 هـ / 1754 م)
(حسب النشر والتقاط الدرر والروضة المقصودة)

السلوة (ج 1 ص 308)

— آيت (راجع اسم القبيلة مثل الاربعين في آيت الاربعين واورير في آيت اورير

— آنسا (بلد)
— الاعلام للمراكشي ج 3 ص 198

— ابار (قصر بتافيلالت)
مجلة هسبريس Hesperis (م 1 — 2) 1959

— الابار احمد بن محمد بن موسى حمدون خطيب فاس (1071 هـ / 1660 م)
النشر (ج 1 ص 228)
له : « كشف الرواق عن صرف الجامعة الى الاواق
خع = 457 و 539 (زاوية سيدي حمزة Hesperis (م : 18)
بروكلمان ج 2 ص 702

— الابار محمد بن الحسن
السلوة (ج 3 ص 96)

— الاباضية
Gautier - Siècles obscurs, index, p. 429
الموسوعة الاسلامية (مادة اباض)

— الابجدية :
وجادات مغربية مختلفة
دائرة معارف البستاني (حرف الهمزة) (ج 1 ص 63)

— ابدال : الحاوي للفتاوي (ج 2 ص 49)
الموسوعة الاسلامية ج 1 ص 879
معطيات الحضارة المغربية (قسم التصوف)

— ابد محمد بن محمود العلوي
الوسيط لابن الامين (ص 40)
(النسبة لهذا الاسم مشهورة في العالم العربي راجع أبا الحسن الابدى شيخ الغالب بالله ابن الاحمر امير غرناطة
ومحمد اليعمري الابدي في الوافي بالوفيات (ج 1 ص 206 و 214)

— ابدة (مدينة)
الاستقصا (ج 1 ص 149)
كتبها ابن الابار في التكملة (ص 161) بالذال المعجمة

— ابراهيم البطال الكبداني
« المقصد الشريف » لعبد الحق البادسي
(مخطوط خع = 110)

— ابراهيم البطروجي قائد الاسطول المريني (من ناشبة الاندلس ورماتها)

الاستقصا (ج 2 ص 124)

— ابراهيم بن ابراهيم الانصاري المعروف بابـن العشاب (583 هـ / 1187 م)
الجذوة لابن القاضي (ص 86)
التكملة (ص 193)

— ابراهيم بن ابي بكر الزدوتي السوسي (1325 هـ 1907 م)
تاريخ تطوان لداود (ج 2 ص 19 — 21)
المعسول للمختار السوسي (ج 16 ص 234)

— ابراهيم بن ابي بكر بن عبد الله بـن موسـى التلمساني الانصاري الوشقي السبتي
(ولد بتلمسان عـام 699 هـ / 1299 م)
حسب الديباج وعام 609 هـ / 1212 م)
حسب بروكلمان في ملحقه (ج 1 ص 666)
راجع ترجمته في « الديباج المذهب » (ص 90) والبستان لابن مريم (ص 55 و 82)
وتعريف الخلف للحفناوي (ص 9)
من مؤلفاته : 1) « نتيجة الخير ومزيلة الغير في نظم المغازي والسير » على اوزان المغرب (مكتبة الاسكوريال = 390)

2) المنظومة التلمسانية في الفرائض : يوجد في مكاتب خع = (1040) والقيروان (185) والجزائر (1317 ر 9 ر 149) والفاتكان (160) .

3) مقالة في العروض
La Tlemsaniya, poème sur le droit successoral musulman, traduit par G. Faure-Biguet, Valence, 1905.
لها شروح كثيرة احدها لعبد الرحمن بـن يحيى بن محمد بن صالح المصنوني المنيلي يوجد بالجزائر (1318) والمتحف البريطاني خمس نسخ (903 — 12 — 813 — 265 — 159) (والزيتونة 401 ر IV)

— ابراهيم بن ابي الحسن المريني (يكنى ابا سالـم تتل ي : م 762 هـ / 1360 م) .
سلوة الانفاس (ج 3 ص 168)
جذوة الاقتباس (ص 83)
الاعلام للزركلي (ج 1 ص 46)
الاستقصا ج 2 ص 100
الحلل الموشية ص 135

— ابراهيم بن ابي الحسن البناني الاندلسـي السرقسطي (1014 هـ / 1606 م)
ملحق بروكلمان (ج 2 ص 700)
له كتاب في الفرق الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي الخ
(مكتبة الزيتونة (1430) 74 ر III

— ابراهيم بن ابي سعيد بن ابراهيم المغربي العلائي (كان حيا عام 546 هـ / 1151 م)
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 895)
له « تقويم الادوية فيما اشتهر من الاعشاب والعقاقير والاغذية »
الموجود منه 16 ورقة في ثلاث نسخ في خع = (D 449 — D 1034) D 1050
(سماه بروكلمان تقويم الادوية المفـردة او ذخيرة العطار)
الدكتور رونو Renaud (مجلة Hesperis ج 16 ص 69 عام 1933
كشف الظنون (ج 1 ص 320)

— ابراهيم بن ابي شامة البكالي
سلوة الانفاس (ج 2 ص 132)
فهرسة المنجـور

— ابراهيم بن ابي العيش بن يربوع القيسي السبتي
الصلة لابن بشكوال (ص 105) 430 هـ / 1038 — 1039 / 433 هـ (1041 — 1042 م)
(ت = ص 7)

— ابراهيم بن ابي الفضل بن صواف المجـري (506 هـ / 1112 — 1113)
الجذوة لابن القاضي (ص 85)
تكملة الصلة لابن الابار (ص 172)
(ت = 90)

— ابراهيم بن ابي القاسم السملالي (927 هـ / 1520 م)
(طبقات الحضيكي (ج 1 ص 115)
الاعلام للمراكشي ج 2 ص 168
له « اجنحة الرغاب في معرفة الفرائـض والحساب »
(ارجوزة من 36 بيتا) خع = D 157
وقد ذيلها احمد بن سليمان الرسموكـي (1133 هـ / 1721 م) في 84 بيتا
خع = D 1647)

— ابراهيم بن ابي يحيى بن ابي بكر التازي
درة الحجال (ج 1 ص 95)
(749 هـ / 1348 م)

— ابراهيم بن احمد البصري السبتي (513 هـ / 1119 م)
فهرسة عياض (ص 68) ت = ص 1

— ابراهيم بن احمد بن الحاج صالح الالغي (كـان حيا عام 1380 هـ / 1961 م)
المعسول (ج 2 ص 355)

— ابراهيم بن احمد بن خلف بن الحسن بن الوليـد السلمي الفاسي المعروف بابن قرتون

(538 هـ / 1144 م)
معجم اصحاب الصدفي (ص 62)
الجذوة (ص 83)
السلوة (ج 3 ص 253)
ت = ص 73 و 89
تكملة الصلة لابن الابار (ص 212)

— **ابراهيم بن احمد بن عاشر التونسي نزيل** الرباط (كان حيا عام 1202 هـ / 1788 م)
معجم الشيخ مرتضى الزبيدي
الاغتباط (ج 2 ص 5)

— **ابراهيم بن احمد بن عيسى الغافقي السبتي**
(716 هـ / 1316 — 1317 م)
درة الحجال (ج 1 ص 94)
شذرات الذهب (ج 6 ص 38)

— **ابراهيم بن احمد بن غانم بن زكرياء الاندلسي**
له « العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » الفه بالاسبانية في حدود 1008 هـ وترجمه أحمد بن قاسم الحجري ترجمان زيدان بن المنصور
خق = ج 87

— **ابراهيم بن احمد بن محمد بن محمد بن علي الزواري (الزواوي) التونسي** سكن بالقصر الكبير وتوفي بفاس عام 961 هـ / 1553 — 1554 م
السلوة (ج 3 ص 124)
الروض لابن عيشون الشراط ومرآة المحاسن

— **ابراهيم بن احمد بن هارون المرادي الفاسي** ابن الكباد (663 هـ / 1265 م)
الجذوة (ص 84)
تذكرة الحفاظ (ج 4 ص 242)
شذرات الذهب (ج 5 ص 315)
ت = 89

— **ابراهيم بن احمد التاورتي** (كان حيا بعد 800 هـ/ 1397 م)
الجذوة (ص 85)

— **ابراهيم بن احمد اللمطي** (988 هـ/1580 — 1581 م)
سلوة الأنفاس (ج 3 ص 255)
سلوة الانفاس (ج 1 ص 355)
درة الحجال (ج 1 ص 109)
الجذوة (ص 85)

— **ابراهيم بن احمد الدياني** (1333 هـ / 1915 م)
المسول (ج 3 ص 129)

— ابراهيم بن احمد السباعي (القرن الثالث عشر)
كشف الحجاب ص 464

— ابراهيم بن احمد الطالبي السعيدي (1368 هـ/ 1948 م)
المسول (ج 2 ص 58)

— **ابراهيم بن ادريس الحسني** (القرن الرابع)
مفاخر البربر ص 21
(ت = 1)

— **ابراهيم بن ادريس العلمي**
من شيوخ احمد الغربي الرباطي
الاغتباط (ج 2 ص 4)

— **ابراهيم** بن عيسى بن محمد بن اصبغ بن محمد ابن محمد بن اصبغ الازدي (توفي قاضيا بسجلماسة عام 627 هـ / 1229 — 1230م)
تكملة الصلة ص 204

— **ابراهيم بن الاغلب**
الاعلام للزركلي (ج 1 ص 26)
الاستقصا (ج 1 ص 60)
اعمال الاعلام (ج 8)
ابن خلدون (ج 4 ص 196)
البيان المغرب (ج 1 ص 98)
الكامل (ج 6 ص 11)
Espagne musulmane - L. Provençal, p. 226
Hist. de l'A.N., A. Julien, p. 344-357

— **ابراهيم بن افلول** (اوائل القرن التاسع)
المسول (ج 8 ص 10)

— **ابراهيم بن ايوب التكوري**
مسالك البكري (ص 91) ت = 7

— **ابراهيم بن البصير الركالبي** (1364 هـ/1945 م)
المسول (ج 12 ص 88)

— **ابراهيم بن بلقاسم بن محمد التاكانزي** (1158 هـ 1746 م)
المسول (ج 1 ص 132)

— **ابراهيم بن تاشفين**
الاعلام للزركلي (ج 1 ص 27)
الحلل الموشية (ص 100)

— **ابراهيم بن جابر بن عمر المخزومي** المعروف بابن القفال (641 هـ / 1243 — 1244 م)
الجذوة (ص 87) تكملة الصلة (ص 215)
(ت = 90)

— **ابراهيم بن جعفر بن احمد اللواتي** المعروف بابن الفاسي (513 هـ / 1119 م)
الصلة (ص 105) — معجم اصحاب الصدفي (ص 54) الديباج (ص 88)

فهرسة عياض (ص 65) (ت = 7 و 73)

— **ابراهيم بن الحاج المجاور**
كان حيا عام 1189 هـ / 1775 — 1776 م)
رحلة محمد بن عبد السلام الناصري
الاغتباط ج 2 ص 5

— **ابراهيم بن حجاج الاشبيلي** (298 هـ / 911 م)
Espagne musulmane - L. Provençal, p. 120

— **ابراهيم بن الحسن المصمودي** (من رجال اواخر القرن العاشر) درة الحجال (1 ص 111)
سلوة الانفاس (ج 2 ص 4)

— **ابراهيم بن حكم الكناني السلوي ابو اسحاق**
(737 هـ / 1337 م)
نيل الابتهاج (ص 10)
درة الحجال (ج 1 ص 95)
البستان لابن مريم (ص 156)

— **ابراهيم بن خلف بن منصور الغساني الدمشقي** السنهوري (دخل مراكش عام 602 هـ / 1205 — 1206 م)
تكملة الصلة (ص 214) — نفح الطيب (ج 2 ص 93)
(رسل الفكر بين الشرق والغرب)

— **ابراهيم بن زادرة ابو اسحق السجلماسي**
(411 هـ / 1020 — 1021 م)
انباه الرواة على انباه النحاة للقفطي (ج 1 ص 167)
بغية الوعاة (ص 180)
تلخيص ابن مكتوم (ص 34)
طبقات القراء لابن الجزري (ج 1 ص 15)
معجم الادباء (ج 1 ص 154)

— **ابراهيم بن زميرو**
دوكاسترق 1 (السعديون) البرتغال (ص 281 و 619)
البرتغال (م 4 ص 106)

— **ابراهيم بن سعد السعود بن احمد بن عفير** الاموي دفين مراكش (590 هـ / 1193 — 1194 م) تكملة الصلة (ص 197) .

— **ابراهيم** بن سعيد الجزولي (986 هـ / 1578 — 1579 م) .
درة الحجال (ج 1 ص 110)

— **ابراهيم بن السلطان المولى سليمان العلوي**
الاستقصا (الجزء الرابع)

— **ابراهيم بن سليمان الفقيه** (حوالي 1263 هـ / 1847 م)
المعسول (ج 1 ص 141)

— **ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاشبيلي المتوفى** غريقا مع ابن خلاص والي سبتة عام 649هـ 52 — 1251 م (او 658 / 1260 حسب بروكلمان)
الاعلام للزركلي (ج 1 ص 36)
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ج 1 ص 23)
الرحلة العياشية (ج 2 ص 253)
ديوان ابراهيم بن سهل خع = 979
مطلع القصيدة الاولى :
تنازعني الآمال كهلا ويافعا
ويسعدني التعليل لو كان نافعا
طبع ببيروت = عام 1885
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 483)
معجم سركيس (ص 123)
كما طبعت موشحاته بفاس 1324
وتوجد نسختان منها في خع (331 و 332)
Soualah, Ibrahim Ibn Sahl, Poète d'Espagne, Alger (1914-1919)

— **ابراهيم بن شجرة**
رئيس الفرسان البربر بالاندلس
Espagne musulmane - L. Provençal, p. 17

— **ابراهيم بن صالح بن احمد بن مبارك التازرواتي**
(1353 هـ / 1935 م)
المعسول (ج 12 ص 5)

— **ابراهيم بن صالح**
« المقصد الشريف »
لعبد الحق البادسي
خع = 110

— **ابراهيم بن عبد الجبار بن احمد الفجيجي**
(920 هـ / 1514 م)
له « الفريد في تقييد الشريد وترصيد الوليد »
(مكتبة القرويين عدد 1332)
ملحق بروكلمان (ج 2 ص 168)
مجلة دعوة الحق عدد 6 — عام 1967

— **ابراهيم بن عبد الحق الحسناوي التونسي** (توفي بفاس عام 775 هـ / 1373 — 1374 م)
الجذوة ص 92
النيل (ص 46) — السلوة (ج 3 ص 254)

— **ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر التسولي** التازي من تيزة يكنى ابا سالم ويعرف بابن ابي يحيى (توفي بعد عام 748 هـ / 1347 — 1348 م (عام 747 حسب الجذوة)
شجرة النور (ص 220)
الديباج (ص 89)
السلوة (ج 3 ص 253)

— **ابراهيم بن عبد الرحمن الامام التلمساني الفقيه** الحافظ توفي بسجلماسة (903 هـ / 1497م)
الجذوة ص 92

— ابراهيم بن عبد الرحمن بن الامام التلمساني (797 هـ / 1394 — 1395 م)
الجذوة (ص 92)
درة الحجال (ج 1 ص 97)
السلوة (ج 2 ص 120)
نيل الابتهاج (ص 20)

— ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى الكلاعي (مجلة البحث العلمي عدد 7)

— ابراهيم بن عبد الرحمن الجلالي
السلوة (ج 3 ص 256)
كتاب ترجم فيه لنفسه يوجد بالخزانة العامة عدد 571

— ابراهيم بن عبد الرحمن الغرناطي (751 هـ / 1350 م) .

— ملحق بروكلمان (ج 2 ص 374)
له كتاب « الوثائق »

— ثلاث نسخ في خع = 1418 D — 872 D — 1090 D

— ابراهيم بن عبد السلام العطار كان حيا في القرن السابع الهجري
له « المشكاة والنبراس على شرح كتاب الكراس » للجزولي (677 هـ / 1279 م)
جزءان (خق = ل 40 / 507)

— ابراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي (من غسالة (596 هـ / 1200 م)
التشوف ص 307

— ابراهيم بن عبد العزيز الخياطي
السلوة ج 2 ص 162

— ابراهيم بن عبد القادر الرياحي (1266 هـ / 1850 م)
عيون الأريب للشيخ محمد النيفر (ج 2 ص 90)
الاعلام للزركلي ج 1 ص 41
كشف الحجاب ص 119
شجرة النور ص 386
له قصيدة في مدح الامير ابراهيم بن مولاي سليمان العلوي (1234 هـ / 1816 م)
شرحها علي بن عبد الله المتيوي (1247 هـ / 1831 م)
وقف على الشرح صاحب السلوة (ج 3 ص 132)

— ابراهيم بن عبد الكريم بن اسحق (717 هـ / 1317 — 1318 م)
درة الحجال ج 1 ص 107
نيل الابتهاج ص 37

— ابراهيم بن عبد الله النميري المعروف بابن الحاج (713 هـ / 1313 — 1314 م)
السلوة ج 2 ص 122
الاعلام للزركلي ج 1 ص 42
الجذوة ص 87
الاحاطة ج 1 ص 193
وذكر النيل (ص 14) وشجرة النور (ص 229) نفس الاسم ووصفه بالحميري الغرناطي وانه ولد عام 713 هـ

— ابراهيم بن عبد الله بن زيد بن ابي الخير اليزناسني (كان حيا بعد 740 هـ / 1339 — 1340 م)
الجذوة ص 85 — السلوة ج 3 ص 254
نيل الابتهاج ص 10

— ابراهيم بن عبد الله الانصاري الدرعي — مؤسس زاوية سيد الناس بدرعة
له « الدليل القاطع من الشك والالتباس لكل اصناف من الناس في ذكر اخبار اهل زاوية سيد الناس »
مخطوط في خس

— ابراهيم بن عثمان ابو القاسم ابن الوزان شيخ المغرب في النحو واللغة (346 هـ / 957 — 958 م)
الديباج ص 92
مفاخر البربر ص 60

— ابراهيم بن علي الفحام
السلوة ج 2 ص 221
قبيلة بني زروال للبشير الفاسي ص 38

— ابراهيم بن علي بن الفلب الزويلي
طبقات القراء ص 20
(بت = 88)

— ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله ابن الفلب الخولاني (616 هـ / 1219 — 1220 م)
التكملة ج 203

— ابراهيم بن علي بن الحسن الغماري (1295 هـ — 1878 م)
له كتاب ترجم فيه لنفسه اسمه « نصرة الدين وبهجة السالكين ومفتاح الواصلين »
السلوة (ج 3 ص 346)

— ابراهيم بن علي بن محمد الدرعي السباعي (1138 هـ / 1725 م)
(ذكر الكتاني في ف . ف = ج 2 ص 417 انه توفي عام 1155)
له « الشموس المشرقة باسانيد المغاربة والمشارقة »
جمعها باسمه محمد بن عبد الله الحوات

— **ابراهيم بن علي بن عبد الرحمن المعروف بالصياد**
التمصري السريفي (1008 هـ / 1600 م)
السلوة ج 2 ص 325
الروض لابن عيشون
نشر المثاني (ج 1 ص 52)

— **ابراهيم بن علي التازلي الزروالي**
تبيلة بني زروال ص 90
راجع الاتحاف لابن زيدان (الجزء الرابع حول
الحديث عن اولاد جنالف

— **ابراهيم الحاج بن عيسى**
المقصد الشريف
لعبد الحق البادسي
خع = 110

— **ابراهيم بن عيسى بن محمد بن اصبغ الازدي**
المعروف بابن المناصف
تكملة الصلة ص 204
بغية الوعاة ج 1 ص 421

— **ابراهيم بن قاسم الاندلسي**
سلوة الانفاس (ج 2 ص 153)

— **ابراهيم بن سيدي قاسم الشريف البهالي العلمي**
المريصي دفين الرباط (توفى اواخر 1100 هـ
1689 م) .
(الاغتباط (ج 2 ص 2)

— **ابراهيم بن الكمال المراكشي الموهدي**
الضوء اللامع للسخاوي (ج 1 ص 125)

— **ابراهيم بن محمد الاوراوي الباشا** (نسبة الى
تبيلة بني اوري بالشاوية)
كان حيا عام 1230 هـ / 1814 — 1815 م)
الاغتباط (ج 2 ص 5)

— **ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن عبدالله اليزناسني**
قاضي الجماعة بفاس (794 هـ / 1392 م)
شجرة النور ص 239
درة الحجـــال (ج 1 ص 97)
نيل الابتهاج ص 19
(وذكر في الجذوة (ص 85) ان ابراهيم بن
محمد بن ابراهيم اليزناسني توفي عام 775هـ)

— **ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الشاوي الزيـادي**
قاضي تامسنا (ولد عام 943 هـ / 1537 م)
درة الحجال (ج 1 ص 109)

— **ابراهيم بن محمد بن خلف بن عياش السلمـي**
تكملة الصلة ص 202

— **ابراهيم بن محمد بن الطيب بن الجناوي الرباطي**
(1311 هـ / 1893 — 1894 م)
الاغتباط (ج 2 ص 7

— **ابراهيم بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن علي**
ابن عبد الله التادلي الرباطي (1311 هـ —
1894 م)
الاغتباط خع = 1287 (ج — 2 ص 9)
تقييد في ترجمته لاحد تلامذته مخطوط بمكتبة
الاخ محمد المنوني
من **مصنفـاتـــه** :
1) الشافية لعلل الاعمال بشرح لاميـــة
الافعال
نسختان في خع = 1620 D — 1619 D
2) النخبة الشافية على قواعد اللامية
خع = 969 D
3) الوافية بشرح الكافية لابن الحاجب
خع = 1626 D
4) المجاز الى معرفة المجاز خع = 1348 D
5) زينة النحر بعلوم البحر
(تحدث فيه عن سير سفن الشــراع
والبواخر) خع = 1747 D
6) سروجي المشرق على ايساغوجــي
المنطق للابهري خع = 1042 D
7) المعبق في شرح سلم المنطق
خع = 1042 D
8) تحفة الاحباب باعمال الحساب
خع = 1714 D
9) فهرست في جزء متوسط
توجد نسخة منه في مكتبة المرحـــوم
الشيخ محمد بن عبد السلام السائح .
(دليل المؤرخ)
10) اختصار « نيل الابتهاج » لاحمد بابا
وكذلك الصفوة لمحمد الصغير الافراني
11) « اغاني السيقا ومعاني الموسيقـا او
الارتقا الى علم الموسيقا »
خع = 109 (66 ورقة)
12) حسان الحقائق والدقائق في حساب
الدرج والدقائق
خع = 1347 D
(اختصر فيها رسالة العلامة سبـــط
الماريديني 912 هـ / 1506 م) المسماة
« الرسالة الفتحية في الاعمال الجيبية »
(خع = 1411 D)
ووسيلة الطلاب ونزهة الالبـاب في
معرفة الاوقات بالحساب له ايضا (خع
= 1640 D)
13) اختصار تذكرة الانطاكي « التذكار لما
في التذكرة من الطب مع الاختصار »
(قطعة منه ضمن كناشة بمكتبة السيد
محمد التطواني بسلا) .

— **ابراهيم بن محمد بن علي التادلي برهان الدين**
الدمشقـــي (803 هـ / 1401 م)
شذرات الذهب (ج 7 ص 22) .

— ابراهيم بن محمد بوطربوش الدباغ (1329 هـ / 1911 م)
له فهرست عند ولده عبد الكريم (دليل المؤرخ)

— ابراهيم بن محمد بن علي التازي نزيل وهران ابو سالم 866 هـ / 1462 م)
نيل الابتهاج ص 24
شجرة النور ص 263
الضوء اللامع (ج 1 ص 187)
البستان لابن مريم ص 58
وترجمه ايضا محمد بن يوسف السنوسي التلمساني المتوفى في عام 895 هـ / 1489م في كتابه « تاليف في مناقب الاربعة رجال المتاخرين »

(راجع محمد بن عمر الهواري وعلي بن مخلوف ابركان واحمد الغماري) نقل عن الكتاب صاحب البستان في صلحاء وعلماء تلمسان ترجم له ايضا محمد بن احمد بن ابي الفضل سعيد بن صعد التلمساني المتوفى عام 901 هـ / 1495 م في « روضة النسرين في مناقب الاربعة الصالحين »
(راجع طبقات الحضيكي)

— ابراهيم التازي الوهراني ابو اسحاق (915 هـ / 1509 م)
له القصيدة المرادية (مكتبة الجزائر - 1846)
شرحها للصباغ القلعي اسمه « شفاء الغليل والفؤاد في شرح النظم الشهير بالمراد »
(الجزائر - 1856)
ملحق بروكلمان (ج 2 ص 332)

— ابراهيم القليتي التازي الوهراني (866 هـ / 1462 م)
درة الحجال (ج 1 ص 103)

— ابراهيم بن محمد بن عمر (كان حيا عام 1318 هـ 1900 م)
له « تحلية الاحفاد بيواقيت الاسناد او حلية المباخر باسانيد المفاخر الخ
نسخة في خس

— ابراهيم بن محمد بن فارس التكراني المراكشي المصري الكاتبي
تكملة الصلة ص 215
« رسل الفكر بين الشرق والغرب » لعبد العزيز بنعبد الله

— ابراهيم بن محمد الادوزي (1160 هـ / 1748 م)
المعسول (ج 5 ص 136)

— ابراهيم بن محمد المعروف بابن الامام
فهرسة عياض ص 69 (ت - 163)

— ابراهيم بن محمد الجزولي الموسيقي الرباطي (1325 هـ / 1907 — 1908 م)
الاغتباط (ج 2 ص 22)

— ابراهيم بن محمد السلمي البلفيقي ابو اسحاق (616 هـ / 1219 — 1220 م)
(الاستقصا) او (613 هـ / 1216 — 1217م)
(حسب النيل)
الاستقصا (ج 1 ص 210)
نيل الابتهاج (ص 34)

— ابراهيم بن محمد اللخمي السبتي المعروف بابن المتن
تكملة الصلة ص 213

— ابراهيم بن محمد السفياني من قواد احمد المنصور السعدي (908 هـ / 1502 — 1503 م)
درة الحجال (ج 1 ص 111)

— ابراهيم بن محمد الصقلي (1289 هـ / 1872 م)
سلوة الانفاس (ج 1 ص 140)

— ابراهيم بن حمد الكتاني
السلوة (ج 2 ص 193)

— ابراهيم بن محمد اللقاني المغربي الاصل قاضي القضاة بمصر (896 هـ / 1490 م)
نيل الابتهاج ص 29

— ابراهيم بن محمد المسكدادي (1276 هـ/1860م)
المعسول (ج 13 ص 303)

— ابراهيم المصمودي امير المومنين في الحساب (912 هـ او 913 هـ / 1506 او 1507 م)
درة الحجال (ج 1 ص 107)
النيل (ص 58)

— ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي (790 هـ / 1388 م)
(نيل الابتهاج ص 20)

تاليف في ترجمته لمحمد بن احمد بن مرزوق الحفيد

— ابراهيم بن محمد الساحلي دفين مراكش (بعد 740 هـ / 1340 م)
بغية الوعاة ص 189
(ت - 88)

— ابراهيم بن مخلد (949 هـ / 1542 — 1543 م)
درة الحجال (ج 1 ص 109)
الجذوة ص 85

— ابراهيم بن مسعود الالبيري التجيبي الغرناطي
بغية الملتمس للضبي

النفح (ج 2 ص 330 — 480 — 668)
تاريخ بروكلمان (ج 2 ص 480)

— **ابراهيم بن منبه الغافقي** (كان حيا عام 555 هـ / 1160 م)
النفح ج 3 ص 361

— **ابراهيم بن هارون بن خلف بن عبد الكريم بن سعيد المصمودي**
معجم البلدان (لفظ اشبونة (ج 1 ص 253)

— **ابراهيم بن موسى باصاصاي** (مات بدكالة في حدود 615 هـ / 1219 م)
التشوف ص 437

— **ابراهيم بن موسى بن ابي العافية المكناسي**
(350 هـ / 961 م)
الاعلام للزركلي (ج 1 ص 70)
الاستقصا (ج 1 ص 83)

— **ابراهيم بن موسى المصمودي التلمساني** شيخ ابن مرزوق الحفيد
(804 هـ / 1400 — 1401 م)
النيل (ص 53)

— **ابراهيم بن موسى بن الجباب**
الجذوة ص 83 — ت = 89

— **ابراهيم بن موسى المشترائي** (المائة التاسعة)
اول قادم من الدكاليين بني ابراهيم الى فاس
السلوة (ج 3 ص 255)

— **ابراهيم بن هلال بن علي الصنهاجي المشترائي**
مفتي سجلماسة (903 هـ / 1497 م)
التشوف ص 381
دوحة الناشر ص 67
درة الحجال (ج 1 ص 105)
شجرة النور ص 268
خـع = 1344
من مصنفاته :
1) نوازل
ملحق بروكلمان (ج 2 ص 348)
معجم سركيس ص 697
2) فهرست في ثلاثة كراريس
بالمكتبة الكتانية (فهرس الفهارس (ج2 ص 427)
ولولده عبد العزيز ايضا
فهرست ذكر صاحب فهرس الفهارس انها في خزانته

— **ابراهيم بن همشك 572 هـ / 1176 م**
الاعلام للزركلي (ج 1 ص 23) — الحلة السيراء ص 230

— **ابراهيم بن ويس** (اليهودي) مستشار ابي فارس نجل المنصور
دوكاستر ق 1 السعديون ، انجلترا ص 230

— **ابراهيم بن يحيى بن ابي حفاظ برهان الدين** المكناسي النحوي (ولد بمكناسة عام 600 ومات بالفيوم عام 666 هـ / 1267 م)
بغية الوعاة ج 1 ص 435
منتخب المختار للتتي الفاسي ص 17

— **ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الفاسي**
(ملء العيبة مخطوط الاسكوريال (ج 5 ورقة 8)
نقل الاستاذ ابراهيم الكتاني

— **ابراهيم بن يسول الاشبيلي**
التشوف ص 288

— **ابراهيم بن يوسف بن ادهم** (او ابن ابراهيم) بن القائدي الوهراني الحمزي المعروف بابن قرقول
(569 هـ / 1173 م)
السلوة (ج 3 ص 151)
تكملة الصلة 185
الجذوة ص 86 — الاستقصا (ج 1 ص 186)
ابن خلكان) ج 1 ص 16)
الروض لابن عيشون و ت = 90
من مصنفاته :
1) مطالع الانوار على صحاح الآثار في غريب الحديث
(راجع مطالع الانوار لعياض بمكتبة القرويين اعداد 594 — 624 — 1641)
مكتبة القاهرة (149ر I)) — احمد تيمور 340 Raad III
2) منتخب مطالع الانوار للحسامي التريمي (757 هـ / 1356 م) 31 Tüb)
3) تهذيب المطالع لخطيب الدهشة (837هـ 1430 م)
القاهرة 99ر291ر I)
4) تحفة ذوي الارب (66 ر s. II)
5) التقريب في علم الغريب — القاهرة (286 I)
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 633)

— **ابراهيم بن يوسف بن تاشفين اللمتوني** المعروف بابن تعيشت
معجم اصحاب الصدفي ص 55
وفيات الاعيان ج 2 ص 488
التكملة (ج 2 ص 616)

— **ابراهيم بن يوسف بن محمد ابو اسحاق** يعرف بابن المراة تلميذ ابن حرزهم
(611 هـ / 1211 — 1212 م)
الجذوة (ص 87)

— ابراهيم بن بيدير الساحلي (حوالي 1365 هـ / 1946 م)
المعسول (ج 12 ص 288)

— ابراهيم اوعلي السوسي

R. Montagne - Le Berbère et le Makhzen - Index, p. 12

— ابراهيم الهمياني
السلوة (ج 2 ص 119)
(ج 3 ص 344)

— ابراهيم بن علي بن اغلب الخولاني
شجرة النور ص 175
تكملة الصلة ص 202

— ابراهيم الرندي الرباطي ابو اسحاق الاندلسي
(أواسط المائة الثامنة)
الاغتباط (ج 2 ص 2)

— ابراهيم الزواري التونسي دفين فاس
السلوة (ج 2 ص 308)
ممتع الاسماع ص 51

— ابراهيم كانوته الثائر على السلطان زيدان السعدي (قتل عام 1036 هـ / 1627 م)
(الاستقصا ج 3 ص 128)

— ابراهيم الكراوي

R. Montagne - Le Berbère et le Makhzen - Index, p 12

— ابراهيم الوزكيتي (القائد)

R. Montagne - Le Berbère et le Makhzen - Index, p. 278-301

— ابراهيم السوسي (1264 هـ / 1848 م)
السلوة (ج 3 ص 21)

— ابراهيم السوسي العيني (1199 هـ / 1784 م)
له رحلة حجازية في مجلدين
وقف على نصها بخط المؤلف في مجلد الاخ المرحوم المختار السوسي في قرية سيدي داود
(قبيلة اكلو — ضواحي تزنيت)
د م = 1505
اختصرها محمد بن مسعود المعدري (وقف عليه المختار السوسي ايضا وهو مبتور كالاصل)

— ابراهيم السهلي دفين مراكش
تكملة الصلة ص 258

— ابراهيم كزور المعدري (1352 هـ / 1934 م)

— المعسول (ج 13 ص 188)

— ابراهيم المواسي
قبيلة بني زروال للبشير الفاسي ص 39

— ابراهيم الوجديجي
دوحة الناشر ص 99

— الابرشية بالمغرب
(راجع المسيحية)

— ابركان علي بن مخلوف (857 هـ / 1453 م)
ترجمه محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (895 هـ / 1489 م)
في كتابه « تاليف في مناقب الاربعة رجال المتاخرين »
(راجع ابراهيم التازي واحمد الغماري ومحمد بن عمر الهواري)
نقل عن الكتاب صاحب البستان في صلحاء وعلماء تلمسان
د م = 1002
وترجم له أيضا محمد بن احمد بن ابي الفضل سعيد بن صعد التلمساني
(901 هـ / 1495 م) في « روضة النسرين في مناقب الاربعة الصالحين »
(طبقات الحضيكي — د م = 1064)

— ابركان (مدينة)
وجادات مغربية وتقارير محلية

— ابزار محمد بن ابراهيم
(راجع ابن ابراهيم)

— الابــل

Siècles obscurs du Maghreb, Index, p. 428

— الابلي محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري
(757 هـ / 1356 م)
النيل ص 244
السلوة 3 ص 274
الجذوة ص 143

— ابن الابار محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن عبد الله ابن ابي بكر القضاعي البلنسي (658 هـ / 1259 م) (النفح ج 3 ص 346)

— ابن اباض عبد الله المقاعسي المري التميمي (86هـ 705 م)
الاعلام للزركلي (ج 4 ص 184)

— ابن ابراهيم ابو القاسم بن محمد التكالي النحوي
(978 هـ / 1570 — 1571 م)
الجذوة (ص 319)

— ابن ابراهيم ابو محمد بن علي بن سعيد بن موسى بن ابي بكر السوسي المسكالي (من الاطلس)
له : « مسرة الاخوان » (ارجوزة في سلسلة اشياخ الطريقة الناصرية عدد أبياتها (307)
خع = 157 D

- ابن ابراهيم احمد بن محمد بن ابي عمران موسى الدكالي المشترائي الفاسي (970 هـ / 1562 — 1563 م)
السلوة (3 ص 251)

- ابن ابراهيم احمد بن محمد القاضي (1334 هـ / 1916 م)
الاغتباط (ج 1 ص 60)

- ابن ابراهيم عباس المراكشي (1378 هـ / 1959 م) صاحب الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام (المطبعة الجديدة بفاس) خمسة اجزاء (ابتداء من 1355 — 1936)
دعوة الحق عدد 10 (1959)
عبد الكبير الفاسي
من مصنفاته :
1) « الرسالة المختصرة » في تراجم اولياء مراكش ومساجدها وزواياها
الاعلام (ج 1 ص 109)
2) رائية اسمها نظم درر الجمال في السبعة رجال »
وشرح عليه سماه « اظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال »
طبعة فاس (1322 هـ / 1904 م)

- ابن ابراهيم عبد الرحمن بن محمد بن محمد الدكالي (962 هـ / 1554 م)
فهرسة المنجور (ص 27) — الجذوة ص260
درة الحجال (ج 2 ص 362)
الدوحة (ص 44)
النيل (ص 152)
مرآة المحاسن (ص 9)
السلوة (ج 2 ص 130)
اجازة ابن شنب (ص 251)

- ابن ابراهيم الاصيلي (عبد الله) (392 هـ / 1001 م)
معجم البلدان لياقوت (ج 1 ص 278) (مادة أصيلا)
و ج 6 ص 331 (مادة فاس)
مسالك البكري ص 117
ت = 34

- ابن ابراهيم عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن محمد المشترائي الدكالي (توفي عام 990 هـ 1583 م حسب الجذوة لابن القاضي وعام 996 هـ / 1588 م حسب درة الحجال وتراجع ترجمة محمد بن ابراهيم في الجذوة أيضا ص 154)
درة الحجال ج 2 ص 388 — الجذوة (ص 276)

- ابن ابراهيم محمد المدعو ابزار (بتشديد الياء المكسورة)
(1297 هـ / 1880 م)
الاغتباط ج 1 ص 169

- ابن ابراهيم محمد المراكشي شاعر الحمراء (1373 هـ / 1953 م)
دعوة الحق عدد 2 (1965)
شاعر الحمراء في الميزان للشرقاوي
له ديوان في مجلدات
وله معارضة للزوميات ابي العلاء (449 هـ / 1057 م)

- ابن ابراهيم محمد الدكالي المشترائي (846 هـ / 1442 — 1443 م)
الجذوة (ص 149)
السلوة (ج 3 ص 280)

- ابن ابراهيم المشترائي الدكالي محمد بن محمد (992 هـ / 1584 — 1585 م)
الجذوة (ص 154)

- ابن ابي اسحاق محمد الناصري
(توفي حوالي 1250 هـ / 1835 م)
الاغتباط (ج 1 ص 159)

- ابن ابي الاشعري عبد الرحمن بن احمد بن عبد الرحمن بن ربيع
تكملة الصلة لابن الابار (ج 3 ص 576)

- ابن ابي البحر الزهري عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى ابن مؤمل
فهرسة عياض ص 108
ت = 16

- ابن ابي البركات العدل عبد الله ابن لبانة القروي
الجذوة ص 234

- ابن ابي البركات الكمال المكناسي شيخ ابن حجر
الاصابة لابن حجر (ج 4 حرف الميم)
الاتحاف لابن زيدان (ج 3 ص 119)

- ابن ابي بكر محمد التواتي
له السر المغتبط في المخمس خالي الوسط وهو شرح رائية في المخمس خالي الوسط (65 بيتا)
خع = 1370 D

- ابن ابي التوالي سعد ابو عثمان المكناسي (كان حيا عام 763 هـ / 1362 م)
درة الحجال (ج 2 ص 470)

- ابن ابي جمرة عبد الله السبتي (710 هـ/1312م)

- ابن ابي جمرة عبد الله السبتي
شذرات الذهب (ج 6 ص 23)

— ابن ابي جمعة احمد المغراوي
دوحة الناشر (93)

— ابن ابي جمعة محمد (917 هـ / 1511 — 1512 م)
الجذوة (ص 152)

— ابن ابي جمعة محمد السماتي الهبطي صاحب وقف القرآن (930 هـ / 1523 — 1524 م)
الجذوة ص 203

— ابن ابي جمعة محمد بن احمد المغراوي الملقب شقرون تلميذ ابن غازي (حوالي 930 هـ / 1523 — 1524 م)
(الجذوة ص 203)

— ابن ابي جنون علي بن ابي القاسم التلمساني قاضي مراكش
التكملة ص 685
معجم ابن الابار ص 288
الذيل والتكملة ص 5
ت = ص 60

— ابن ابي جيدة عبد القادر بن احمد الكوهن (1254 هـ / 1838 م)
شجرة النور (ج 1 ص 397)
السلوة (ج 2 ص 169)
فهرس الفهارس (ج 1 ص 368)
له : « امداد ذوي الاستعداد الى معالم الرواية والاسناد (فهرسة) خع = 514
بروكلمان (ج 2 ص 881)

— ابن ابي جيدة محمد بن عبد الكريم بن عبد السلام
المعروف بميرز من اولاد ابي الاشعر الزرهوني (1233 هـ / 1817 م)
ورد غلطا ان اسمه احمد في فهرس الفهارس (ج 1 ص 416)
له « بغية المرام فيمن اخذت عنه من الاعلام » يوجد طرف من اولها بخط المؤلف وعليها كتابة تلميذه ابن رحمون بخزانة الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني .
نسخة بخزانة محمد بن مبارك الودغيري
د م = 1187

— ابن ابي حاج عبد الرحمن الفاسي
جذوة الاقتباس ص 250 (نقلا عن المستفاد للكتاني)

— ابن ابي حاج محمد بن علي بن عبد الرحمن الجزولي
(في حدود 755 هـ او 758 هـ / 1355 م او 1357 م)
الجذوة ص 143

— ابن ابي الحباب احمد بن عبد العزيز بن الفرج القرطبي النحوي (400 هـ / 1009 م)
انباه الرواة ص 37
بغية الوعاة ج 1 ص 325
ابن بشكوال ص 20
ت = 83

— ابن ابي حاج موسى بن عيسى الفغجومي (430 هـ / 1038 — 1039 م)

— ابن ابي حجلة احمد بن يحيى بن ابي بكر بن عبد الواحد
له ديوان الصبابة
خع = D 611 — D 1013
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 595)
معجم سركيس ص 28 — مكتبة معهد الاستشراق في دوشمبه بالاتحاد السوفياتي

— ابن ابي حريصة الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن عبد الرحمن بن خلف الفاسي
تكملة ابن الابار ص 26
الجذوة ص 110
ت = 20 و 95

— ابن ابي الحسن عبد الرحمن الازدي ابو جعفر (576 هـ / 1160 — 1161 م)
الجذوة ص 251)

— ابن ابي حفاظ ابراهيم بن يحيى مهدي بن عبد الرحمن برهان الدين المكناسي
(راجع ابراهيم)

— ابن ابي الخصال عبد الملك مسعود بن فرج بن عطية الغافقي الكاتب (539 هـ / 1144 — 1145 م)
الجذوة ص 272
التكملة ج 3 ص 610
ت = 49 و 112
بحث للاستاذ عبد الله كنون : رسالة ابن ابي الخصال التي نال فيها من كرامة الموحدين دعوة الحق عدد 5 (1960)

— ابن ابي الخصال محمد بن مسعود
الجذوة ص 149
ت = 101

— ابن ابي الخير ابراهيم بن عبد الله اليزناسني
(راجع ابراهيم)

— ابن ابي الخير عبد الرحمن الفاسي المكي
الضوء اللامع ج 4 ص 149

— ابن ابي دبوس احمد بن عبد السلام بن عثمان (بن ابي دبوس) الموحدي
الدرر الكامنة ج 1 ص 182

— ابن ابي دلامة يحيى واضع العلامة عند ابي سعيد المريني (الجذوة ص 339)

— ابن ابي الدوس محمد
(راجع ابن الملب)

— ابن ابي راشد الوليدي (675 هـ / 1277 م)
مؤلف كتاب الحلال والحرام
الجذوة (ص 123)
السلوة (ج 3 ص 262)
سماه ابن القاضي في درة الحجال (ج 1 ص 146) رضوان بن ابي راشد الوليدى

— ابن ابي الربيع ابو جعفر احمد بن سليمان بن احمد المكناسي الطنجي
ابن بشكوال ص 90
طبقات القراء لابن الجوزي ص 58

— ابن ابي الربيع ابو الحسين عبيد الله بن احمد ابن عبيد الله الاشبيلي السبتي (688 هـ / 1289 م)
له « تفسير القرآن »
كتاب نادر يوجد الجزء الاول منه في خ ق (ق 315)

— ابن ابي رجاء البلوي عبد الصمد بن عبد الرحمن
صلة الصلة ص 14
ت = 79

— ابن ابي الرجال علي الشيباني الكاتب المغربي القيرواني (432 هـ / 1040 م)
له : 1) كتاب البارع في أحكام النجوم
(خع = 465) مكتبة الجزائر (1516)
الاسكوريال (918) باريز (2590)
2) منظومة في التنجيم شرحها ابن قنفذ القسمطيني
تسمى «شرح منظومة ابن ابي الرجال»
(خع = 101 فيها 79 ورقة)
3) ارجوزة في دليل الرعد (148 بيتا)
خع = D 1683 — الجزائر (1460)
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 401)
4) ارجوزة في الاحكام النجومية (466 بيتا)
خع = D 930 مع ثلاث نسخ اخرى
D 266 bis D 101 D 262
بروكلمان ومعجم سركيس ص 31

— ابن ابي ركب مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله الخشني ابو ذر
توفي بفاس عام 604 هـ / 1208 م
سلوة الانفاس (ج 3 ص 291)

— ابن ابي رومان المعافري عبد الله
لسان الميزان ج 3 ص 286
ت = 157

— ابن ابي زرع علي بن عبد الله (او ابن محمد) ابن احمد بن عمر بن ابي زرع الفاسي
(726 هـ / 1326 م)
الاعلام للزركلي (ج 5 ص 121) كشف الظنون (ص 199 و 962) — ملحق بروكلمان (ج 2 ص 339)
له « الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس »
طبع بفاس اعوام 1303 — 1305 — 1307
ثم بالرباط بتحقيق الاستاذ الهاشمي الفلالي عام 1353 / 1936
Hesperis 1937 (جورج كولان)
راجع نسخا مخطوطة في مكاتب باريز (1868) ومرسيليا (1638) والجزائر (1615) وتونس والمتحف البريطاني (ملحق رقم 597) وخع (= 588 D — 1481 D
798 D — 773 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 339
معجم سركيس ص 32
نقله الى اللاتينية ترنبورغ ونقل الى الالمانية بعناية فرانز دومباي Fr. de Dombay
وطبع باغرام بالنمسا عام 1794 وترجم الى الاسبانية وطبع باشبونة 1828 ونقل الى الفرنسية على يد A. Beaumier تحت عنوان

Roudh el Kartas, Histoire des souverains du Maghreb et annales de la ville de Fès, Trad. par A. Beaumier, Paris 1860

تاريخ بروكلمان ج 2 ص 240
ابن ابي زرع وابن عبد الحليم ، تحقيق عن مؤلف كتاب القرطاس للاستاذ محمد الفاسي، مجلة تطوان ع 5 س 1960 (1277 آ)

— ابن ابي زيان العربي ابو حامد (1143 هـ / 1731 م)
سلوة الانفاس ج 1 ص 121

— ابن ابي ستة احمد بن القائد عمر المراكشي (1292 هـ / 1875 م)
الاعلام للمراكشي (ج II ص 227)

— ابن ابي ستة محمد الامين
الاعلام للمراكشي ج 5 ص 230

— ابن ابي سرح عبد الله بن سعد العامري الصحابي (37 هـ / 657 م)
الاستقصا ج 1 ص 35
الاعلام للزركلي (ج 4 ص 220)

— ابن ابي سرحان عبد الغني بن مسعود الزموري
(تلميذ قاسم بن محمد الوزير الغساني)

من مصنفاتـه :

1) « القانون المفيد في علاج الحصى بقول سديد »
خق = ق 294

2) كتاب في خواص النبات
اوله : باب في شرح ادوية باللسان اليوناني والسرياني والفارسي والعجمي مرتبا على الحروف الابجدية
(خع = 955 D — 1363 D)
ويوجد أيضا بالمكتبة العامة بالرباط مخطوط اسمه « تحفة الاحباب في ماهية النبات والاعشاب » لمؤلف مجهول في ست نسخ (خع = 779 D
955 D الخ
فيه كشف عن رموز المادة الطبية بالالفاظ المغربية
نقله الى الفرنسية :

1) A. Moyen - Journal de Médecine et de Pharmacie de l'Algérie.
2) G. Salmon - Archives marocaines, T. 8, Paris, 1906.
3) Renaud et G. Colin, Paris, 1934.

— ابن ابي السرور عبد الرحمن بن محمد ابو زيد الحسني الفاسي
الضوء اللامع (ج 4 ص 133)

— ابن ابي سنان علي بن احمد بن محمد الازدي
تكملة التكملة ص 235

— ابن ابي شامة ابراهيم التكالي
(راجع ابراهيم)

— ابن ابي شنب محمد الجزائري
له 1) « امثال عرب المغرب والجزائر »
طبعت مع ترجمتها الفرنسية بباريس 1905 (1323)
وتحفة الادب في ميزان اشعار العرب الجزائر 1906

2) دراسة حول الاعلام الواردة في اجازة الشيخ عبد القادر الفاسي

— ابن ابي صاحب الفهرسة مات بالمغرب
التكملة ص 576
ت = 44

— ابن ابي الصبر ابو يحيى رئيس فقهاء بني مرين
الاستقصا ج 2 ص 47

— ابن ابي طالب عبد الرحمن اللخمي الفاسي
(717 هـ / 1318 م)
السلوة ج 3 ص 296
الجذوة ص 254

— ابن ابي طالب عبد الله بن علي بن محمد بن علي يعرف بالكتاني (لعله توفي عام 1163 هـ / 1750 م)
سلوة الانفاس ج 1 ص 299

— ابن ابي الطلاق الحسن بن علي احد شيوخ بني مرين واهل شوراهم .
الاستقصا ج 2 ص 49

— ابن ابي الطلاق عيسى بن الحسين بن علي وزير ابي عنان المريني وصاحب شوراه وعامل جبل طارق
قتله ابو عنان عام 756 هـ / 1356 م
الاستقصا ج 2 ص 99

— ابن ابي طلاق محمد
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 196
(حدث عنه صاحب المنهاج الواضح)

— ابن ابي الطواجين محمد الكتامي الغماري
(الذي قتل مولاي عبد السلام بن مشيش)
الاستقصا ج 1 ص 197

— ابن ابي العافية ابراهيم
(راجع ابراهيم)

— ابن ابي العافية احمد بن علي بن عبد الرحمن قاضي مكناس (955 هـ / 1549 م)
جذوة الاقتباس ص 81
درة الحجال (ج 1 ص 51)
المغرب العربي في العصر الوسيط (ص 213)

— ابن ابي العافية سعيد بن محمد المكناسي
(788 هـ / 1387 م)
نيل الابتهاج ص 106
الجذوة ص 322

— ابن ابي العافية علي بن محمد بن ابراهيم السبتي
طبقات القراء ص 563
ت = 149

— ابن ابي العافية القاسم بن محمد بن عبد الرحمن ابن ابراهيم بن موسى
(بعد 462 هـ / 1070)
الجذوة ص 343
الاعلام للزركلي ج 6 ص 16

— ابن ابي العافية محمد بن ابي القاسم بن علي المكناسي (962 هـ / 1555 م)

— ابن ابي العافية محمد بن احمد الزجني تاضي ازاجن ثم تطاوين (1115 هـ / 1704 م)
تاريخ تطوان لمحمد داود
ج 2 ص 286 — 294

— ابن ابي العافية محمد بن احمد والد ابن القاضي (981 هـ / 1574)
الجذوة ص 154

— ابن ابي العافية محمد بن عبد الله بن ابراهيم (363 هـ / 973 م)
الاعلام للزركلي ج 7 ص 97
الاستقصا ج 1 ص 83

— ابن ابي العافية محمد بن محمد بن قاسم بن علي
(راجع ابن القاضي)

— ابن ابي العافية موسى (امير مكناسة)
الاستقصا ج 1 ص 80 — 83
الجـذوة (ص 226)
وقد عرف بهذه الكنية اعلام نذكر منهم :
ابن ابي العافية الكتندي الشاعر ابو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن خليفة الازدي (583 هـ / 1188 م)
الوافي بالوفيات للصفدي ج 3 ص 232
بغية الوعاة ص 65 وابن ابي العافية محمد الاشبيلي النحوي اللغوي المقرىء (509 هـ/ 1116 م)
الوافي بالوفيات للصفدي (ج 3 ص 180)

— ابن ابي عامر المنصور محمد بن عبد الله (392 هـ / 1002 م)
الوافي بالوفيات ج 3 ص 312
الاستقصا ج 1 ص 91
النفح ج 1 ص 373

— ابن ابي عبيدة احمد بن عبد الصمد محمد بن احمد بن عبد الرحمن الخزرجي
(توفي بفاس عام 582 هـ / 1187 م)
فهرسة عياض ص 70
الديباج ص 68 — الجذوة (ص 70)
ت = 86

— ابن ابي عرفة احمد بن محمد ابو حاتم السبتي العـزفـي
الدرر الكامنة ج 1 ص 261

— ابن ابي عزيزة عبدون بن علي الطنجي
معجم البلدان ج 6 ص 62
ت = 52

— ابن ابي عسيرة احمد الفاسي الفهري (1137 هـ 1724 م)

له رحلة حجازية نقل منها صاحب « نشر المثاني » في ترجمة ابراهيم بن محمد الشاوي السريفي ونسبها له السلطان مولاي سليمان في كتابه « عناية اولي المجد »
ضاعت حسب الاستاذ محمد الفاسي
(د م = 1489)

— ابن ابي العلي محمد بن حسون الشيخ الرئيس (عاش في عهد ابي سالم المريني)
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 284

— ابن ابي عمران شمس الدين محمد بن موسى ابن النعمان الفاسي المراكشي المزالي الاشبيلي الهنتاتي (639 هـ / 1244 م)
بروكلمان ج 1 ص 665
له : مصباح الظلام الخ الاسكوريال (530 — 746 — 168)
كاطالوج دار بريل brill (1050 H2
القاهرة (359 ر I)

— ابن ابي عمرة محمد التميمي حاجب ابي سالم المريني (789 هـ / 1388 م)
الجذوة (ص 148)
بغية الوعاة ص 137 — الجذوة ص 72
لسان الميزان ج 1 ص 203
الاحاطة ج 1 ص 179 (دار المعارف — مصر)

— ابن ابي عنان المهدي المرابط (1213 هـ / 1799م)
تاريخ الضعيف ص 364

— ابن ابي عنان موسى المريني (788 هـ / 1387)
الجذوة (ص 226)

— ابن ابي العيش بن يربوع السبتي
(راجع ابراهيم)

— ابن ابي العيش عبد الرحيم بن محمد الانصاري
معجم اصحاب الصدفي ص 246
ت = 77

— ابن ابي غافر عبد الرحيم بن مسعود الكتامي (بعد 390 هـ / 1000 م)
مدارك عياض 229
ت = 129

— ابن ابي غالب المغيلي محمد (898 هـ / 1493 م)
الجذوة (ص 151)

— ابن ابي غفرة علي بن محمد بن احمد بن موسى الخزاعي التلمساني (789 هـ / 1388 م)
له « تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية »
يوجد بالقرويين الجزءان الاول والثاني في سفر واحد

(د 1828) والجزء السادس والاخير (400) طبع بتونس وهو أصل التراتيب الادارية لعبد الحي الكتاني

— ابن ابي فوناس الزرهوني منصور بن مسلم بن عبدون
(معجم الصدفي 195)

— ابن ابي محمد القاسم ابن نصر الفجيجي التوري
له شرح على صغرى السنوسي في التوحيد
ثلاث نسخ في خع = 1053 D — 927 D
— 74 D

فهرس مكتبة الجزائر رقم 670
ورد عند بروكلمان (الملحق ج 2 ص 353)

— ابن ابي قود علي بن احمد بن ابراهيم الازدي
تكملة التكملة ص 225
ت = 56

— ابن ابي المجد محمد المغيلي
مفاخر البربر ص 48
له « انساب البربر وملوكهم »
من مصادر « أخبار البربر » (نقل عنه ص 48 وبعده)

— ابن ابي محلى احمد بن عبد الله بن محمد السجلماسي (1022 هـ / 1613 م)
كتاب نشر المثاني (ج 1 ص 121)
نزهة الحادي ص 180
دوكاستر ق 1 السعديون (انجلترا ص 465)
(هرويه مع زيدان)
الاعلام للزركلي ج 1 ص 155
كتاب لاحمد التواتي في ترجمته اسمه « مقالة التخلي والتحلي من صحبة ابي محلى »
(الاعلام للمراكشي (ج 2 ص 87)

من مصنفاته 1) « منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور وراس الفجور »
رد فيه على عبد الحكم بن عبد الكريم ابن احمد الجراري السوسي يوجد بخزانة مدينة تازة
(وقف عليه الاخ محمد ابراهيم الكتاني)

2) يوجد بمجموع في خق — ق 338 يحتوي على : « سم ساعة في تقطيع امعاء مفارق الجماعة» رد فيه على عبد الحكم المذكور وعلى منجنيق الصخور والسيف البارق مع السهم الراشق .

3) « عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الارج ونفحة الفرج الى سادة مصر وقادة العصر » أو « اصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت »
فرغ منها عام 1016 هـ / 1607 م)
توجد بدار الكتب المصرية عدد 431 والمكتبة الملكية بالرباط

— ابن ابي مدين ابو الفضل بن محمد
كاتب الجباية والعسكر في دولة ابي الحسن المريني
الاستقصا ج 2 ص 75

— ابن ابي مدين عبد الله شعيب بن مخلوف الكتامي
الفقيه الكاتب الوزير قتله السلطان ابو الربيع سليمان المريني
الاستقصا ج 2 ص 48
(راجع الجذوة ص 246)

— ابن ابي مدين شعيب محمد بن عبد الله العثماني
الجذوة (ص 145)

— ابن ابي مروان عبد الصمد الهلتاني الصنهاجي
(التشوف ص 395)

— ابن ابي مسلم يزيد والي المغرب
الاستقصا ج 1 ص 46

— ابن ابي ملوك عبد الرحمان القيسي الفاسي
(493 هـ / 1100 م)
سلوة الانفاس ج 3 ص 295
الجذوة ص 249
ت = 110

— ابن ابي المهاجر اسماعيل بن عبيد الله
الاستقصا ج 1 ص 46

— ابن ابي نعيم ابو القاسم القاضي (قتل عام 1032 هـ / 1623 م)
الاستقصا ج 3 ص 122

— ابن ابي يحيى ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر التسولي التازي
(.راجع ابراهيم)

— ابن ابي يزيد المغربي ابو محمد
تذكرة الحفاظ ج 3 ص 262
ت = 159

— ابن بي يعزي احمد العرائشي كان قائد مكناس عام 1112 هـ — 1700 م
هو الذي جمع ديوان قبائل مكناس بأمر السلطان مولاي اسماعيل
(مخطوط في خزانة محمد المنوني بمكناس)
د م = 89

- **ابن ابي يفلوسبن عبد الرحمن امير مراكش**
الاستقصا ج 2 ص 135

- **ابن آجروم محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي ابو المكارم يدعى منديل** (723 هـ / 1323 م)
سلوة الانفاس ج 2 ص 112
الجذوة (ص 145)
شجرة النور ص 217
السلوة ج 2 ص 156
نيل الابتهاج ص 380
ابن آجروم والمكودي لعبد الله كنون (كتاب خع = 9278 C)
بغية الوعاة ص 102
بروكلمان ج 2 ص 332

- **ابن اجطا عبد الله بن عمر**
سلوة الانفاس ج 2 ص 105

- **ابن احدى عشرة المغربي محمد بن حسين**
طبقات القراء ص 134
معجم ابن خير ص 450 و 123
ث = 27

- **ابن أحمد** (مدينة)
وجادات وتقارير خاصة

- **ابن احمد دام سيدي عبد الله البوحسني**
(من صدر القرن الثالث عشر الهجري)
الوسيط ص 287

- **ابن احمد التادلي الشكدالي اليوسفي العمري**
ابو القاسم (1244 هـ / 1828 م)
سلوة الانفاس ج 3 ص 210

- **ابن احمد ابو محمد الصحراوي** (القرن الثاني عشر الهجري)
سلوة الانفاس ج 1 ص 225

- **ابن احمد عبد الله المكناسي** (المعروف بابن احمد)
الضوء اللامع ج 5 ص 76

- **ابن الاحمر ابو سعيد فرج بن اسماعيل** صاحب مالقة (احتلاله سبتة عام 703 هـ)
طرده منها ومصاهرته لملك المغرب (709هـ)
الاستقصا ج 2 ص 40 — 48

- **ابن الاحمر اسماعيل بن ابي الحجاج يوسف ابو الوليد النصري** (807 هـ / 1404 م) او (810 هـ / 1407 م)
الاعلام للزركلي (ج 1 ص 318)
الاحاطة (ج 1 ص 221) اللمحة البدرية (ص 65) النجوم الزاهرة (ج 9 ص 25)
الدرر الكامنة (ج 1 ص 375)

السلوة ج 3 ص 256 الجذوة ص 99
فهرس الفهارس ج 1 ص 100
بحث عبد القادر زمامة — مجلة البحث العلمي عدد 2 (1964)
(مستودع العلامة)
بحث محمد بن تاويت (البحث العلمي عدد 5/4 — 1965)

من مصنفاته : 1) « حديقة النسرين في اخبار بني مرين »
(راجع الجذوة والنفح وازهار الرياض ونتيجة التحقيق للمسناوي)
مكتبة باريز (5024)
نقله الى الفرنسية ابو علي الغوثي وجورج مارسي مع النص العربي وطبع بباريز 1917
عثر ليفي بروفنصال على نسختين عام 1923

2) النفحة النسرينية واللمحة المرينية (الاسكوريال = 1773)

3) فهرسة ذكرها صاحب الجذوة (ص 99) في ترجمة ابراهيم بن عبد الحق الحسناوي (755 هـ / 1354 م)
وذكر صاحب السلوة (ج 3 ص 257) ان له برنامجا في اشياخه ونقل عنه في ترجمة المقري الكبير (ج 3 ص 271)

4) مستودع العلامة ومستبدع العلامة ذكر فيه من تولى العلامة من الكتاب بالمغرب والاندلس
طرف منه عند ابي العلاء ادريس بن الماحي الادريسي نسخة منه في خس (د م = 1116)

5) نثير الجمان من اهل المائة الثامنة ممن من الفرسان او نثير افراد الجمان فيمن نظمنا واياه الزمان ومن ابوابه باب في شعر كتاب بني مرين وقضاة المغرب وما قيل من الشعر في سيف منار القرويين (دار الكتب المصرية عدد 1963)
نسخة عند الحاج محمد التطواني اصلها من مصر (453 و III) وأخرى بالمكتبة الملكية بالرباط

تاريخ بروكلمان ج 2 ص 370
وقد طبعت دار الثقافة (بيروت 1967) « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان » بتحقيق الاستاذ محمد رضوان الداية

6) مشاهير بيوتات فاس
راجع ترجمة ابي زيد الفاسي في تاريخ بروكلمان ج 2 ص 340

— ابن الاحمر عبد الله بن عمر بن اسماعيل بن نصر ابن عماد بن ابراهيم (804 هـ / 1401 م)
له «روضة النسرين في دولة بني مرين»
نسختان في الجزائر (1737) واكاديمية فينيا (254)
تاريخ بروكلمان ج 2 ص 241
وتوجد نسختان في خع (1604 D و 1428 D)
منسوبتان لاسماعيل بن الاحمر

— ابن الاحمر عبد الوهاب بن التاودي (يعرف بابن الاحمر) (حوالي 1260 هـ / 1845 م)
سلوة الانفاس ج 3 ص 27
كشف الحجاب ص 206

— ابن الاحمر محمد بن يوسف بن محمد (671 هـ / 1273 م)
الاستقصا ج 1 ص 198 ج 2 ص 105
النفح ج 1 ص 421

— ابن الاحمر محمد الفقيه والد محمد المخلوع (701 هـ / 1302 م)
الاستقصا ج 2 ص 40

— ابن الاحمر يوسف بن اسماعيل (مشاركته في وقعة طريف)
الاستقصا ج 2 ص 66 و 94

— ابن الاخرش عبد الله بن احمد الانصاري القرموني النحوي مات بعد 670 هـ / 1272 م
بغية الوعاة ج 2 ص 33

— ابن ادريس الحسني ابراهيم
(راجع ابراهيم)

— ابن ادريس : ادريس بن علي الادريسي (يدعى ابن ادريس) الجوطي التونسي الفاسي (1106 هـ / 1694 م)
سلوة الانفاس ج 1 ص 97

— ابن ادريس الصقلي احمد الاعرج (1171 هـ / 1757 م)
سلوة الانفاس ج 1 ص 184
من خلال الوثائق التاريخية
دعوة الحق عدد 7 (1960)
التازي عبد الهادي

— ابن ادريس عبد العزيز بن عبد الرحمن

— ابن ادريس عبد الله العراقي (1234 هـ / 1819 م)
سلوة الانفاس ج 3 ص 13
شجرة النور ص 380

— ابن ادريس عبد الواحد بن ادريس الطاهري
سلوة الانفاس ج 2 ص 87

— ابن ادريس علي التبر (1155 هـ / 1743 م)
سلوة الانفاس ج 1 ص 103

— ابن ادريس عمر بن ادريس بن عبد الله الكامل
سلوة الانفاس ج 1 ص 83

— ابن ادريس محمد (الامير) (221 هـ / 836 م)
الجذوة (ص 128)

— ابن ادريس محمد بن محمد العمراوي الفاسي ابن الحاج الزموري (1264 هـ / 1847 م)
الاعلام للمراكشي (ج 5 ص 1263)
الاتحاف (ج 4 ص 189) فواصل الجمان (ص 40)
السلوة (ج 1 ص 86 و ج 2 ص 362)
معجم قبائل العرب ص 827
البحث العلمي عدد 1 (1964) الناصر الفاسي
ترجمه محمد بن الحسن الحجوي في كتاب سماه « النفس النفيس في ترجمة الوزير ابن ادريس »
عبد الله كنون في مشاهير اعلام المغرب
من انتاجه :

1) قصيدة (46 بيتا) في مدح شفاء عياض مطلعها :
بحكم الحب قلب الصب راض
فلست تراه يوما ذا اعتراض
خع = 158 D)

2) قصيدة دالية في الجهاد
(111 من الابيات)
خع = 1388 D)

3) قصيدة في مدح سبعة رجال بمراكش (31 بيتا)
مطلعها :
عز الفتى ذله بباب مولاه
ويسره فقره لمن تولاه
خع = 158 D

4) ديوان جمعه ولده ابو العلاء ادريس رتبه على حروف المعجم يقع في سفرين يوجد النصف الاول بالخزانة الفاسية ونسخة تامة عند رئيس جامعة ابن يوسف بمراكش (خع الآن)

— ابن ادريس احمد بن محمد اليمني (1113 هـ / 1702 م)
كتاب في ترجمته لمحمد بن احمد بن محمد بن ابي بكر الدلائي المعروف بالمسناوي (1136 هـ / 1724 م)
اسمه « التعريف بالشيخ ابي العباس احمد ابن محمد بن ادريس اليمني »
خع = 471 (ضمن مجموع)

— ابن ادفال احمد بن محمد بن احمد بن محمد الدرعي العارف (من أهل القرن العاشر الهجري)
الاعلام للمراكشي (ج 2 ص 91)
نشر المثاني ج 1 ص 126
درة الحجال ج 1 ص 88

— ابن الازرق محمد بن علي قاضي الجماعة بغرناطة (895 هـ / 1490 م)
له « بدائع السلك في طبائع الملك »
(لخص فيه مقدمة ابن خلدون مع زوائد)
خع = 582 D — 1340 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 962
النفح — طبعة ليدن ج 1 ص 940
ابن الازرق شارح ابن خلدون
الحسن السائح
دعوة الحق عدد 3 — 1967
وله : « روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام » نقل عنه في نفح الطيب وقد عثر عليه محمد ابراهيم الكتاني في مكتبة تامكروت (خع) وتوجد نسختان بالمكتبة الملكية بالرباط

— ابن ازنيط احمد بن محمد بن احمد المراكشي (حوالي 1290 هـ / 1874 م)
الاعلام للمراكشي (ج 2 ص 225)

— ابن اسود محمد المديوني
مفاخر البربر ص 61
ت = 15

— ابن اسود محمد بن علي بن عمر الغساني (748 هـ / 1348 م)
الجذوة (ص 187)

— ابن الاشبيلي علي بن محمد بن خليل الاصلي الاندلسي (567 هـ / 1181 م)
الجذوة (ص 304)

— ابن الاشبيلي يحيى بن محمد بن يحيى بن علي القيسي
صلة الصلة ص 182
الجذوة ص 341
ت = 82

— ابن الاشعث محمد الصفري
الاستقصا ج 1 ص 57

— ابن الاشقر عبد الله
الجذوة (ص 237)

— ابن الاشهب احمد الثائر بفاس (ذكر ميارة ان حديثا ورد فيه في الجامع الكبير للسيوطي)
الاستقصا ج 3 ص 123

— ابن الاشهب علي بن محمد بن منصور بن علي الصنهاجي التلمساني (791 هـ / 1389 م)
الجذوة (ص 311)

— ابن الاشيري عبد الله بن محمد الصنهاجي
التكملة ص 527
ت = 39

— ابن اصبغ الازدي ابراهيم بن عيسى
(راجع ابراهيم)

— ابن اصبغ الازدي عبد الولي بن محمد القرطبي نزيل فاس
الجذوة (ص 279)

— ابن اصناك يعقوب القائد المريني
الاستقصا ج 2 ص 45

— ابن الاعرج السليماني محمد بن محمد الشاعر المؤرخ (1344 هـ / 1926 م)
الادب العربي في المغرب الاقصى لمحمد بن العباس القباج (ج 1 ص 41)
قصيدة (53 بيتا)
مطلعها :
سلا هل الى وادي الجواهر من ترب
وهل انبتت حافاته ماهر المعشب
نظمها اثناء حصار الجيش الفرنسي لفاس عام 1329
خع = 1254 D
له ديوان في مجلد (د م = 1752) عند ولده الاستاذ عبد المالك
له مؤلفات مخطوطة عند ولده وفي المكتبة الملكية بالرباط وفي خع

— ابن افشيمت محمد عثمان المجلسي
الوسيط ص 358

— ابن افشيمت مولود المجلسي (كان حيا بعد 1320 هـ / 1903 م)
الوسيط ص 356

— ابن اغلب ابراهيم الزروالي
(راجع ابراهيم)

— ابن الاغلب ابراهيم
(راجع ابراهيم)

- ابن الاغلب عبد الله بن ابراهيم بن احمد الاغلبي التميمي امير تونس والقيروان (290 هـ / 903 م)
الاعلام للزركلي (ج 4 ص 186)
ابن خلدون (ج 4 ص 205)
البيان لابن عذاري (ج 1 ص 133)
اعمال الاعلام (ص 17)

- ابن الاغلب عبد الله بن ابراهيم بن سالم ابو العباس (201 هـ / 817 م)
الاعلام للزركلي (ج 4 ص 186)

- ابن اغلب محمد بن ابي الدوس المرسي (511 هـ 1118 م)
التكملة ص 147 الجذوة ص 156

- ابن افشام ابراهيم
(راجع ابراهيم)

- ابن افلاطون (راجع ابن عربي الحاتمي)

- ابن افلول ابراهيم
(راجع ابراهيم)

- ابن اقبال محمد بن عبد الرحمن المريني
الطالع السعيد ص 294
طبقات القراء ج 2 ص 160
ت = 162

- ابن اقدار احمد
دوحة الناشر (96)

- ابن اكتوشن محمد محمود
الوسيط لابن الامين ص 83

- ابن اكرماش محمد بن عبد الله الولاتي المدعو مولاي الشريف
الاعلام للمراكشي ج 5 48
ثبت تلميذه علي الدمناتي المراكشي (الباب الرابع)
الثبت الكبير لصالح الفلاني

- ابن الما المختار
الوسيط لابن الامين ص 239

- ابن الامام ابراهيم بن محمد
(راجع ابراهيم)

- ابن الامان محمد الجزولي
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 276

- ابن ام قاسم حسن بن قاسم المرادي بدر الدين
الدرر الكامنة (ج 2 ص 116)

- ابن امقشاب (او انقشا بو حسب النيل)
عبد الرحمن بن سعيد الصنهاجي فاسي ازمور (النيل ص 277)
له « كنز الاسرار ولواقح الافكار »
خع = 555 D — 639 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 344

- ابن املال الفاسي محمد بن علي المديوني (856 هـ / 1453 م)
نيل الابتهاج ص 326
السلوة ج 3 ص 86

- ابن الامير علي الزرهوني المكناسي
معجم البلدان ج 4 ص 388
ت = 57

- ابن الامين احمد بن محمد الفاسي نزيل ردانة (توفي بعد 1271 هـ / 1854 م)
له « الاعلام بوفيات العلماء الاعلام »
(راجع سوس العالمة للمختار السوسي)

- ابن الامين بن الحاج البوحسني
(من اهل القرن الثالث عشر الهجري)
الوسيط ص 336

- ابن امينة خلف بن مسعود الجراوي المليلي
صلة ابن بشكوال ص 179
المدارك لعياض ص 265

- ابن انبوج احمد بن محمد الصغير
الوسيط لابن الامين ص 89

- ابن انطول فرسية قائد المليشيـة الاجنبيـة في عهد ابي سالم المريني (762 هـ / 1360 — 1361 م)
الاستقصا ج 2 ص 122

- ابن ايفيل الاقاوي الشاعر (1387 هـ / 1968 م)
المعسول ج 16 ص 261

- ابن ايوب ابراهيم التكوري
(راجع ابراهيم)

- ابن اي عبد الله
الوسيط ص 342

- ابن باب التجاني بن احمد بيب
اوائل 1260 هـ / 1845 م)
الوسيط لابن الامين ص 69

- ابن باج سليمان بن عبد الملك (قاضي سبتة)
التكملة ص 297
الذيل والتكملة س 4 ص 74
ت = 64

- ابن باجة ابو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن الصائغ التجيبي Avempace
(533 هـ / 1138 م) (وهو الارجح)

الوافي بالوفيات للصفدي (ج 2 ص 240)
السلوة (ج 3 ص 264)
وفيات الاعيان (ج 2 ص 9)
الاعلام للزركلي (ج 8 ص 6)
ابن ابي اصيبعة (ج 2 ص 62)
قلائد العقيان (ص 300)
ياقوت (ج 6 ص 125)
تاريخ بروكلمان (ج 1 ص 830)
صدرت له مؤلفات وطبعت له رسائل
راجع S 830 (ملحق تاريخ بروكلمان ج 3 ص 1237)

— **ابن باديس عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي**
(1359 هـ / 1940 م)
الاعلام للزركلي (ج 4 ص 60)

— **ابن باديس عبد الله بن عبد الله اليحصبي**
(622 هـ / 1226 م)
تكملة الصلة لابن الابار (ج 3 ص 513)
الجذوة (ص 240)

— **ابن البارق محمد بن حسن بن محمد اليحصبي**
(734 هـ / 1334 م)
الجذوة (ص 186)

— **ابن باق محمد بن حكم بن محمد بن احمد ابو جعفر**
توفي بفاس 538 هـ / 1444 م
بغية الوعاة ج 1 ص 96
تكملة الصلة لابن الابار ج 1 ص 174
ت = 134

— **ابن ببيش العبدري**
مجلة تطوان 1964 عدد 9 ص 179

— **ابن البجلي محمد بن اسحاق**
مسالك البكري ص 117
ت = 16

— **ابن بدرون الوزير ابو مروان ابو القاسم عبد الملك بن عبد الله الحضرمي الشبلي السبتي**
(608 هـ / 1211 م)
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 579)
له شرح قصيدة ابن عبدون
وهي الرائية التي رثى بها المتوكل عام 447هـ 1092 م
ومطلعها :
الدهر يفجع بعد العين بالاثر
فما البكاء على الاشباح والصور
خع = 1450 D (119 ورقة)
معجم سركيس ص 45
اعتنى بطبعه دوزي — ليدن 1846 — 1848

— **ابن البراء الجزيري احمد بن محمد بن عبد الله** الشاعر ابن الشاعر (اوائل القرن السادس).
فهرسة عياض ص 38
ت = 166

— **ابن البراء محمد بن عبد الله التجيبي الجزيري** (من اهل الجزيرة الخضراء) في حدود الخمسمائة (1107 م)
التكملة ص 192
فهرسة عياض 38
ت = 22

— **ابن برجان** (ابن ابي الرجال) **عبد الرحمن**
نيل الابتهاج ص 134

— **ابن برجان ابو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن ابن عبد الرحمن بن ابي الرجال بن محمد الاشبيلي اللخمي** (مختلف من ابي الرجال)
627 هـ / 1230 م
التكملة ص 645
العبر للذهبي ج 4 ص 100 / صلة الصلة ص 31 و 646
بغية الوعاة ج 2 ص 95
شذرات الذهب ج 5 ص 124
ت = 51
تاريخ بروكلمان ج 1 ص 775

— **ابن برجان او ابي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي**
التكملة 559
ت = 44

— **ابن بركات عبد اللطيف العربي**
الاعلام للمراكشي ج 1 ص 73

— **ابن البري علي بن محمد بن علي الرابطي التازي**
(730 هـ / 1330 م)
من مصنفاته :
ا) **رجز في مخارج الحروف** (برلين 548)
ب) **الدرر اللوامع في اصل مقرأ الامام نافع** (242 بيتا)
مكاتب برلين (643) والمتحف البريطاني(91) والاسكوريال (1406) والجزائر (960) والفاتكان (376 ر V) والقاهرة (19 ر I) وباريز (1077) خمس نسخ في خع = 815 D الخ (تاريخ بروكلمان ج 2 ص 248) وقد نسبها بروكلمان الى الشريشي الجزئري (ج 2 ص 349)

شرحها :

1) محمد بن عبد الملك المنتوري القيسي

مدريد (6) خق (231) الجزائر (380) — (389)

2) يحيي بن سعد السملالي (793 هـ / 1391 م) الجزائر (377) الزيتونة (160 ر I) Hesperis XVIII

3) عبد الرحمن الثعالبي (842 هـ / 1438 م) الجزائر (405)

4) حسين بن علي بن طلحة الركراكي (899 هـ / 1493 م) الجزائر (379)

5) محمد بن سعيد الانصاري (الجزائر 381)

6) ابو سرحان مسعود بن محمد جموع المغربي
(شجرة النور الزكية ص 327)
خع = 805 D

7) المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع لعبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف الثعالبي (842 / 1438 م)
الزيتونة 173ر I
القاهرة 22ر I — الجزائر 1324

8) النجوم الطوالع لابراهيم بن احمد المرغيني التونسي

9) ايضاح الاسرار والبدائع لمحمد بن محمد ابن عمران الفنزاوي ابن المجراد السلاوي
باريز (5036) — القرويين (246 ر 251) — طنجة (75)

10) الكافي في علم القوافي) الاسكوريال (330)
بروكلمان ج 2 ص 350

— **ابن بري موسى بن ياسين مولاي صالح بن ادريس**
التكملة ص 378
الذيل ص 171
ت = 33

— **ابن بسام علي الشنتريني الاندلسي** (542 هـ / 1147 م)
الاعلام للمراكشي (ج 5 ص 72)
مجلة البحث العلمي عدد 8 (العام الثالث)
المغرب في حلى المغرب (طبعة المعارف ج 1 ص 417)
له « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » ثمانية مجلدات (154 ترجمة)

— **ابن بشارة الزموري شيخ ابن عرفة** (860 هـ / 1456 م)
نيل الابتهاج ص 329

— **ابن بشكوال ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود القرطبي** (578 هـ / 1183 م)
الوفيات (ج 1 ص 172) تذكرة الحفاظ (ج 4 ص 13)
الديباج (ص 114) المقري (ج 2 ص 42 و 122) التكملة (ج 1 ص 54)

مصنفاته :

1) الصلة في اخبار ايمة الاندلس (الاسكوريال 1677)
جعلها ذيلا على تاريخ ابن الفرضي في رجال الاندلس نشرها Codera كوديرا الاسباني في جزئين (مدريد 1883 — 1300) ولابن الخطيب عائد الصلة ذيل به صلة ابن بشكوال (راجع درة الحجال)

2) كتاب الغوامض والمبهمات (راجع ابراهيم بن محمد سبط ابن الاعجمي (841 هـ / 1438 م) (ج 2 ص 67)

3) القربة الى رب العالمين في فضل الصلاة على سيد المرسلين
(الاسكوريال (1745) — برلين (2910)

4) كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات والمتضرعين اليه بالدعوات والرغبات (حاجي خليفة ج 5 ص 526)
كاطالوج بريل (Brill H2) (ليد 1886)

5) الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة الفاتكان 128 ر V
بروكلمان ج 1 ص 580

6) شيوخ ابن وهب (مخطوط بخزانة الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني)

— **ابن البصري المكناسي محمد بن محمد بن محمد** ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن أبي موسى عمر ابن البصري المكناسي

له فهرسة من اكبر الفهارس في نحو 40 كراسة اسمها : « اتحاف اهل الهداية والسداد بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقين وطول الاسناد » فرغ منها عام 1206 هـ / 1791 م الاصل بخط المؤلف في الخزانة الزيدانية (المكتبة الملكية بالرباط)

— ابن البصير ابراهيم الركالبي
(راجــع ابراهيـــــم)

— ابن بطان الصنهاجي الازموري (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 8)

— ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (779 هـ / 1377 م)
الدرر الكامنة ج 4 ص 100
الاعلام للزركلي ج 7 ص 114
ابن بطوطة — عبد الله كنون
(خع = C 9278)
رحلة ابن بطوطة (الطاهر زنيبر)
دعوة الحق 1959 (عدد 10)
ابن بطوطة — جمال الدين الرمادي — مجلة البينة 1963
(خع = 1376 |)
له تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (خق = 1285)
طبعت مرارا منها عام 1322 و 1346
وترجمت الى اللغات

A. Charbonneau, Voyage du Cheikh I.B. à travers l'Afrique septentrionale et l'Egypte, Paris, 1852.

The travels of I.B. by Hussain, Lahore 1898,
Travels of I.B. by H.A.R. Gibb, London, 1929.
F.A. Bustani الروائع 4/6 B.B. Bairût, 1927.

كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافـــي العربي (طبعة الجامعة العربية — مجلدان)
مهذب رحلة ابن بطوطة هذبهـــا احمـــــد العوامري — اسطمبول 1315/9

— الذيل على فصل الاخوة الفتيان التركية في كتاب الرحلة لابن بطوطة اسطمبول 1351

— مختصر لفتح الله بن محمود البيلوني المصـــــري الانصاري

Brill (Leyde) H' 689,270

طبع على الحجر عام 1278 بالقاهـــــــرة
(بروكلمان ج 2 ص 366)

— ابن البقار محمد بن ابراهيم بن حزب الله
(كان حيا بعد 582 هـ / 1187 م)
التكملة ص 372
الذيل والتكملة ص 144
ت = 29

— ابن البقال ابو حامد (687 هـ / 1289 م)
السلوة (ج 3 ص 259)
درة الحجال (ج 1 ص 137)

— ابن البقال علي بن الحاج (981 هـ / 1574 م)
الجذوة (ص 311)

— ابن البقال محمد بن ابراهيم
شجرة النور (ص 163)

— ابن البقال محمد بن علي الانصاري الفاســـي
(778 هـ / 1377 م)
السلوة (ج 3 ص 277)

— ابن البقال محمد بن محمد
السلوة (ج 2 ص 158)

— ابن بقي عبد الواحد بن محمد الجذامي
صلة الصلة ص 26
ت = 51

— ابن بقي يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الواعظ السلاوي (563 هـ / 1167 م)
التكملة ص 372 الذيل والتكملة ص 195
الجذوة ص 341 ت = 66
(ذكر ابن القاضي في نفس الصفحة يحيى بن محمد بن عبد الرحمن التادلي المتوفى عـــام 576 هـ)

— ابن بقيميسي محمد بن عثمان بن سعيد الفاسي
(حوالي 608 هـ / 1210 م) ت = 32
التكملة ص 376

— ابن بكار يحيى بن عبد الله المحمدي
السلوة (ج 2 ص 266)
الجذوة (ص 342)

— ابن بلا البشير الايشتي (1333 هـ / 1915 م)
المعسول ج 19 ص 260

— ابن بلقين او بلكين عبد الله بن باديس بن حبوس ابن زيري الصنهاجي آخر ملوك بني زيري في غرناطة (483 هـ / 1090 م)
الاعلام للزركلي ج 4 ص 202
له مذكرة طبعها ليفي بروفنصال بعضها نقلا من مخطوط القرويين ثم طبعت بدار المعارف بمصر 1953

— ابن بليمة المليلي الحسن بن خلف ابن عبد الله الهواري
طبقات القراء ص 211 ت = 148

— ابن البناء احمد بن محمد بن عثمـــــان الازدي
(721 هـ / 1321 م)
الدرر الكامنة ج 1 ص 278
الاعلام للمراكشي ج 1 ص 373
نيل الابتهاج ص 40
الجذوة ص 73 — السلوة ج 2 ص 52

الاعلام للزركلي ج 1 ص 213
درة الحجال ج 1 ص 5
تاريخ بروكلمان ج 2 ص 255
مجلة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد
المجلد 6 (عدد 1 — 2)

تقييد لمحمد بن ابي بكر بن عبد المهيمن الحضرمي
(الاعلام للمراكشي ج 1 ص 379) .

من مصنفاته : 1) تلخيص فى عمل الحساب

توجد مخطوطات فى المتحف البريطاني
(417 ر 180) والمكتب الهندي (770)
واكسفورد (207 ر I) والاسكوريال
(ست نسخ منهـا 280 و 933)
والجزائر (613) والقاهرة 179 ر V
وتلمسان (30) وزاوية سيدي حمزة
(96 Hesperis, XVIII)
وبيروت (323) وخع = 526)

— شرحه القلصادي (891 / 1486)
زاوية سيدي حمزة Hesperis, XVIII,
باريز (2464) تطوان (227)

— رفع الحجاب عن وجوه عمل الحساب
Beirout, Raad V, 136

— عبد العزيز بن داود المصراتي :
الاسكوريال (953,949,948)
زاوية سيدي حمزة (96)
باريز 2643 — اكسفورد 76ر I
المكتب الهندي (770)

— تخميس على تحفة الطلاب لابي الحسن
علي بن هيدور (الفاتكان 1403ر V).
غرناطة (= 21 Sagro Monte)
زاوية سيدي حمزة (Hesperis)

— محمد بن الحسن الغربي (خع = 526)

— حط النقاب على وجه عمل الحساب لابن
القنفود (؟) (خع = 531)

ابن زكرياء الاوسي : الاسكوريال (929 —
934)

2) المقالات فى الحساب : برلين 5974

3) تنبيه الالباب على مسائل الحساب
(الجزائر 613) والمتحف البريطاني
(420)

4) منهاج الطالب لتعديل الكواكب لابي
العباس بن محمد الازدي (زاوية
سيدي حمزة) الجزائر (= 1454)

5) القانون لترحيل الشمس والقمر فى
المنازل ومعرفة اوقات الليل والنهار
(المتحف البريطاني) (407)

6) الجسارة فى تعديل الكواكب السيارة
(المتحف البريطاني = 977) شرحه
ابن القنفود (؟) (تحصيل المطالب
فى تعديل الكواكب (خع = 512 مكرر)
ويوجد كذلك « المقصد الاسنى فى حل
اشارات ابن البنا » (زاوية سيدي
حمزة)

7) رسالة فى الانواء باريز 6020 (وتوجد
له رسالة فى علم المساحة (برلين =
5945)

8) الفصول فى الفرائض : شرح يعقوب
ابن أيوب بن عبد الواحد الموحدي —
(خع = 539)

9) مراسم الطريقة فى علم الحقيقة :
الاسكوريال (1479 ر 1501 —
1556) — خع = (293 — 490)
نسختان بوأزان

10) شرح الارجوزة
(وتوجد للحسن ابن احمد بن البناء
رسالة اسمها « المنية فى السكوت
ولزوم البيوت » Dam. Z, 28
اشار اليها بروكلمان ج 2 ص 364)

— ابن البناء احمد بن محمد بن يوسف التجيبي
السرقسطي
« المباحث الاصلية من جملة الطريقة
الصوفية »
منظومة فى 473 بيتا
أولها : باسم الاله فى الامور ابدا
اذ هو غاية لها ومبدا
ثلاث نسخ فى خع = D 984 — D 1388
— D 113
اوردها ملحق بروكلمان (ج 2 ص 359)
(خع = 98)
شرحها ابن عجيبة فى الفتوحات الالهية فى
شرح ..
خع = 98

— ابن البناء محمد بن ابراهيم اللخمي بن الرامي
(المتوفى بتونس عام 734 هـ / 1334 م)
لـه : « الاعلان فى احكام البنيان »
ثلاث نسخ فى خع = D 668 — D 1418
D 7) الزيتونة (274 ر IV)
(ملحق بروكلمان ج 2 ص 346
ومعجم سركيس ص 1588)

— **ابن البنا محمد بن احمد بن ابي بكر المقدسي البشاري**
(ولد عام 375 هـ / 985 م) دخل الى مدن الاندلس والمغرب وتكلم عنها في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم)
طبع القسم الثاني في ليدن 1877 ثم طبع مع ترجمة فرنسية في ليدن 1906 ثم الجزء الاول في كلكتة بالهند (1897 — 1901) (معجم المطبوعات ص 1773)

— **ابن البنا القفطي محمد بن صالح بن حسن شمس الدين تلميذ ابن دقيق العيد**
(698 هـ / 1299 م)
الوافي بالوفيات للصفدي ج 3 ص 157)

— **ابن بنجو المؤدب**
الجذوة (ص 127) نقلا من المستفاد للكتاني

— **ابن بوجيدة الطيب ابن جلون الفاسي الرباطي**
(1226 هـ / 1812 م)
الاغتباط ج 2 ص 66

— **ابن بوراس محمد بن احمد المعسكري**
من مصنفاته : 1) رحلتي ونحلتي في تعداد رحلتي « تحدث فيها عن رحلاته المتعددة للحجاز ومصر والشام والمغرب ووصف مدينة فاس حيث وصل عام 1218 هـ / 1803 م

2) فهرست اسمها « لب افياخي في عدة اشياخي »

— **ابن بوشنابة محمد بن معروف** (1218 هـ / 1803 م)
احد تلامذة مولاي العربي الدرقاوي
له « برنامج الاشياخ » نسبها له صاحب الطبقات في ترجمة الشيخ العربي الخ

— **ابن بون المختار الجنكي**
الوسيط لابن الأمين (ص 277)

— ابن بو يحيى عبد القادر
السلوة (ج 3 ص 336)

— **ابن بيرة احمد بن محمد بن علي بن احمد الانصاري**
له « تاريخ حفيل في التعريف بمن قدم مراكش من العلماء »
(راجع ابن عبد الملك في تكملته ج 1 ص 176 بخزانة القرويين) ذ م = 39

— **ابن تاحضريت عسكر** (وزير السلطان المريني علي بن عثمان بن يعقوب) المنهزم في وقعة طريف والجزيرة الخضراء عام 741 هـ / 1341 م الاستقصا (ج 2 ص 67)

— **ابن تاخميست عبد الله ابن حريز الفاسي**
(608 هـ / 1212 م)
السلوة (ج 3 ص 174)
الجذوة (ص 137)

— **ابن التاخي الطيب بن عبد الرحمان**
السلوة (ج 2 ص 355)

— **ابن تاشفين ابراهيم**
(راجع ابراهيم)

— **ابن تاشفين يوسف** (500 هـ / 1107 م)
تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 188
الجذوة ص 342
معجم ابن خير ص 299
الاستقصا ج 1 ص 101
ت = 123
دعوة الحق — عدد 10 (1959)
دعوة الحق — عدد 4 (1961)

— **ابن تافراجين ابو محمد الوزير الحفصي**
الاستقصا ج 2 ص 64

— **ابن تامتيت** (ابن تاميت في الشذرات) **احمد بن محمد بن حسين اللواتي الفاسي** (657 هـ / 1258 م)
شذرات الذهب ج 5 ص 288
الجذوة (ص 57)

— **ابن تامصلت خليفة بن يحيى البرغواطي**
الصلة ص 184

— **ابن تبال علي بن سليمان بن ابراهيم النفزي** البغوي الجواهري (514 هـ او 515 / 1121 / 1122 م)
التكملة ص 235 ت = 59 و 61

— **ابن تبدي تونارت**
المدارك ص 332 ت = 131

— **ابن تجلات محمد بن محمد بن عبد الله بن تجلات الهزميري المراكشي**
السلوة (ج 3 ص 358)
له « اثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الاخوين ابي زيد وابي عبد الله الهزميريين »

— **ابن تحضريت محمد بن العباس**
وزير ابي الحسن المريني وعامل بني مرين
الاستقصا (ج 2 ص 67)

على الجزيرة الخضراء (حوالي 762 هـ / 1361 م)
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 316
الاستقصا (ج 2 ص 67)

— ابن تقسوط زاوي بن مناد بن عطية بن المنصور الصنهاجي (539 هـ / 1145 م)
معجم اصحاب الصدفي ص 89 ت = 75

— ابن تقنة العز بن محمد ابو تميم (488 هـ / 1092 م)

— الصلة ص 446
ت = 14

— ابن تكرور محمد مولود بن محمد
الوسيط لابن الامين ص 220

— ابن تكلاكين يحيى بن عمر اللمتوني
الاستقصا ج 1 ص 101

— ابن التلاميد محمد محمود التركزي
الوسيط (ص 381)

— ابن تليلا عبد العزيز الجزولي (680 هـ / 1282 م)
درة الحجال (ج 2 ص 380)

— ابن تمام يحيى السبتي
المدارك ص 266 ت = 5

— ابن تميم اليفرني المكناسي (753 هـ / 1353 م)
الجذوة (ص 59)

— ابن تودة في عهد السعديين
دوكاستر ج 1 ق 2 (فرنسا) ص 529

— ابن تولو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن احمد بن احمد التينملي القرشي
(685 هـ / 1286 م)
بغية الوعاة ص 322 ت = 139

— ابن تومرت عبد الواحد الهسكوري الاسود
(التشوف ص 362)
(ابن تونارت في نسخ اخرى استشهد في غزوة الارك 591 هـ / 1195 م)

— ابن تومرت محمد بن عبد الله المصمودي
(524 هـ / 1130 م)
الوافي بالوفيات للصفدي ج 3 ص 323
طبقات الشافعية للسبكي ج 4 ص 71
النجوم الزاهرة ج 5 ص 254 ت = 106
مجلة البحث العلمي عدد 9 (العام الثالث)
الاستقصا ج 1 ص 130
اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين

لابي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق عثر عليه في الاسكوريال وطبع طرفا منه وترجمه ليفي بروفنصال بباريز عام 1928
(خع = ج 221)

André Julien - Histoire de l'Afrique du Nord, p. 388-394.

Montagne - Le Berbère et le Makhzen, p. 29, 60, 167, 299, 401.

Deverdun - Marrakech, p. 151.

من مصنفاته :

1) « محاذي الوطا »

يوجد بالقرويين في جزء ضخم بخط اندلسي في رق الغزال (ل 40 / 181)
(سماه بروكلمان في تاريخه ج 1 ص 697 « مختصر الموطا »)

2) تلخيص كتاب مسلم (ي 403)

3) اعز ما يطلب في اصول الفقه

4) عقيدة المرشدة
راجع بحث الاستاذ عبد الله كنون
مجلة البحث العلمي عدد 9 (1966)

H. Massé, la profession de foi et les guides spirituels du Mahdi, B.T. in Mémoire (Basset 105/21).

Lévi-Provençal, Ibn Toumart et Abdel Moumen le Fakih de Sous et le flambeau des Almohades, Mémoire H. Basset, 1928.

Goldziher, le livre de Mohammed B.T, Mahdi des Almohades, texte arabe accompagné de notes (Alger, 1903/1321).

في مكتبة جامع ابن يوسف بمراكش شرح مجهول المؤلف لرسائل ابن تومرت (راجع مراكز المخطوطات بالمغرب لمحمد ابراهيم الكتاني)
ابن تومرت (اصحاب)
« كتاب الانساب في معرفة الاصحاب » مجهول المؤلف
عثر على بعضه في الاسكوريال طبع مع اخبار ابن تومرت للبيدق

— ابن تومرت محمد بن علي الاندلسي (391 هـ / 1001 م)
ملحق تاريخ بروكلمان ج 1 ص 303
وسماه بروكلمان في تاريخه (ج 1 ص 424) محمد بن محمد

من مصنفاتــــه :

1) فطرة الصانع في سمة الطبائــع (66 صفحة)
خع = 1466 D

2) « كنز العلوم والدر المنظوم في حقائــق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة » في الطب (بروكلمان ج 1 ص 424)
توجد منه نسخ مخطوطة في المكتبــة الخديوية يشير بعضها تارة الــــى أن اسم والد المؤلف هو علي وتارة أخرى محمد أو محمود ويرى كولد زيهـــر في كتابه

(Md. I.B.T. et la Théologie de l'Islam dans le Maghreb au Onzième siècle).

ان الكتاب هو للمهدي بن تومـــرت وسبب الخلط بين الرجلين راجع الى كون الكتاب يبحث مسائل صوفية وفيه نقد لنظرية التجسيم

— ابن تونارت عبد الحق بن يوسف الصنهاجـــي العدوي (حوالي 640 هـ / 1243 م)
بغية الوعاة ص 295
ت = 138

— ابن تونارت عبد الحليم الايلاني
(التشوف ص 247)
(راجع عنوان الدراية ص 153)

— ابن تيست عبد المنعم بن محمد المراكشي
(كان حيا عام 598 هـ / 1202 م)
التكملة ص 157
الجذوة ص 278 ت = 50

— ابن تيفلويت اللمتوني
(راجــع ابراهيـــم)

— ابن ثابت يحيى بن ابي القاسم
صلة الصلة ص 190
ت = 83

— ابن جابر المخزومي
(راجــع ابراهيـــم)

— ابن جابر محمد بن احمد المراكشي القيسي
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 67
(راجع الذيل والتكملة)

— ابن جابر شمس الدين محمد بن احمد بن علـــي ابن جابر الهواري الاندلســـي الضريــر (780 هـ / 1378 م)
بغية الوعاة ص 14
الدرر الكامنة ج 3 ص 339
شذرات الذهب ج 4 ص 268
البدر الطالع للشوكاني ج 2 ص 93
بروكلمان ج 2 ص 6

— ابن جابر محمد بن يحيى الغساني المكناســـي (827 هـ / 1424 م)
النيل (ص 297) — الروض الهتون
الجذوة (ص 200)
تاريخ بروكلمان ج 2 ص 367
لــــه :

1) «المرتبة العليا في تعبير الرؤيا»
خع = 292 (130 ورقة)

2) « نزهة الناظر » جزء في التعريـــف ببلده مكناسة الزيتون (من مصـــادر الروض الهتون) (الاتحاف ج 3 ص 592)

— ابن جادسة عبد الرحمن البناني
الموسوعة الاسلامية (ج 1 ص 1051)

— ابن جامع احمد الزروالي تلميذ ابي عمرو القسطلي المراكشي
(1021 هـ / 1613 م)
الاعلام للمراكشي (ج 2 ص 81)
نشر المثاني (ج 1 ص 114)

— ابن جامع محمد اليوسفي
السلوة (ج 2 ص 181)

— ابن الجباب احمد بن عبد الرحمان الصنهاجـــي (من أزمور) (572 هـ / 1177 م)
الاعلام للمراكشي (ج 5 ص 234)
التشوف (ص 311)

— ابن جباني محمد النحوي (781 هـ / 1380 م)
الجذوة (ص 147)

— ابن جبل الهمداني عبد الله بن محمد الوهرانـــي دفيـــن مراكـــش
التكملـــة ص 527 ت = 39

— ابن جبل الهمداني محمد بن علي بن مــــروان (601 هـ / 1205 م)
التكملة ص 374
ت = 31

— ابن جبلة أبو موسى عيسى بن يحيى
التكملة ص 249
الذيل والتكملة ص 80
الجـــذوة ص 282 ت = 63

— **ابن جبير محمد بن احمد الكناني** الاندلسي (614 هـ / 1217 م)
المقري (ج 1 ص 714) و (ج 2 ص 300)
ملحق بروكلمان ج ص 879
له رحلة اسمها « تذكرة بالاخبار من اتفاقات الاسفار » نشرها ويليام رايت Wright الانجليزي (1852 م / 1269 م)
Leyden 1907
وطبعت بمصر وببيروت ومخطوطاتها نادرة منها واحدة بالزاوية الحمزاوية بالمغرب

— **ابن الجد ابو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى**
الجذوة ص 168 ت = 102

— **ابن جراح محمد بن احمد بن ابراهيم بن عيسى ابن هشام الخزرجي** توفي بفاس عام 547 هـ 1153 م
(النفح ج 2 ص 356)

— **ابن جزي عبد الله**
عبد الله ابن جزي وكتابه : مطلع اليمن والاقبال في انتقاد كتاب الاحتفال
دعوة الحق عدد 5 (1967)

— **ابن جزي محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى الكلبي الغرناطي** (741 هـ / 1340 م)
(ملحق بروكلمان ج 2 ص 377)

من مصنفاته :

1) نظم في تصدير اعجاز قصيدة امرىء القيس
خع = 1134 D (38 بيتا)

2) فهرست كبيرة اشتملت على كثير من رجال المشرق والمغرب

3) « التسهيل لعلوم التنزيل »
اربع نسخ في خع = 627 D
(680 — 1181 — A 1181)

— **ابن جزي محمد بن محمد بن احمد بن محمد** المؤرخ (758 هـ / 1357 م)
الدرر الكامنة ج 4 ص 282
الاحاطة ج 2 ص 194
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 286

— **ابن جحفون عبد الملك**
(الذيل والتكملة ص 25)

— **ابن جعفر احمد الكتاني** (1340 هـ / 1922 م)
ترجمته بقلمه ولولده محمد ابراهيم « والدي كما عرفته » وترجمه اخوه محمد في النبذة (اليسيرة مخطوط في خع) ومؤلفاته تناهز المائة

— **ابن جعفر محمد الكتاني** (1345 هـ / 1926 م)
له سلوة الانفاس وعدة مؤلفات مطبوعة ومخطوطة
الدرر البهية (ج 2 ص 121) — تاليف لولده محمد الزمزمي بعنوان « ذكريات »

— **ابن جمونة الفاسي محمد بن عمر بن مالك المعافري**
طبقات القراء ج 2 ص 218
ت = 149

— **ابن جلال محمد بن عبد الرحمن التلمساني** (981 هـ / 1574 م)
شجرة النور (ص 285) الدوحة (ص 90)
الجذوة (ص 206) النيل (371)
البستان لابن مريم (ص 260)
النشر (ج 1 ص 93) السلوة (ج 2 ص26)
اجازة ابن شنب (ص 22)

— **ابن جلول ابو عياد الورياجلي** (1163 هـ / 1750 م) السلوة (ج 1 ص 150)

— **ابن جلون احمد بن الطاهر** (1234 هـ / 1819م)
الاغتباط ج 1 ص 30

— **ابن جلول عبد الجليل**
السلوة (ج 3 ص 107)

— **ابن جلول علال الكومي الفاسي** (1272 هـ / 1856 م)
كشف الحجاب لسكيرج ص 466
السلوة ج 1 ص 253

— **ابن جلون محمد بن احمد** (1136 هـ / 1723 م)
فهرس الفهارس (ج 1 ص 225)
له فهرست استفاد منها سليمان الحوات في « الروضة المقصودة »

— **ابن جلون محمد بن الطيب بوجيدة الرباطي** (1230 هـ / 1815 م)
الاغتباط ج 1 ص 119

— **ابن جلون محمد بن الحاج عبد السلام المدني بن علال** (او بن علي) (1298 هـ / 1881 م)
فهرس الفهارس ج 1 ص 225 — ج 2 ص 484
السلوة ج 2 ص 364
ملحق بروكلمان ج 2 ص 886

مصنفاته :

1) فهرست يوجد طرف منها في خس

2) « سفر الاجازات » جمع فيه اجازات اشياخه ذكر صاحب ف . ف (ج 2 ص 385) انها بخزانته .

3) جزء الاحاديث المتواترة (طبعة فاس)

4) جزء فيمن غير المصطفى

5) انتشاق الفرج بعد الازمة من حضـــرة المسمى عين الرحمة

6) اسباب النذارة بالاربعين المختارة

7) كفاية المحتاج في حكم استعمال المحلى والديباج
خع = 1231 D

8) نصيحة ذوي الهمم الاكياس في بعض ما يتعلق بخلطة الناس
خع = 640 D
ملحق تاريخ بروكلمان المذكور ومعجم سركيس ص 716

— ابن جلون محمد (فتحا) بن محمد قاضي الرباط
(1234 هـ / 1819 م)
الاغتباط ج 1 ص 130

— ابن جماح عبد الله بن ابراهيم الكتامي السبتـــي
صلة ابن بشكوال ج 1 ص 293

— ابن جماهر سلمان
(الذيل والتكملة ص 55)

— ابن جموح أبو الفضل مسعود بن محمد الفاسي
(1119 هـ / 1707 م)
السلوة ج 2 ص 180
Histoire des Choria, L. Provençal, p. 291
له « نفائس الدرر من اخبار سيد البشر »
(215 ورقة)
خع = 677 D

— ابن الجميل حسن بن علي بن محمد بن فـــرج الكلبي السبتي (571 هـ / 1176 م)
تكملة ابن الابار ص 26 ت = 19

— ابن الجميل عثمان بن حسن بن علي بن محمد بن فرج الكلبي السبتي أخ عمر الآتي
(634 هـ / 1237 م)
التكملة ص 662
صلة الصلة ص 76
بغية الوعاة ص 322
لسان الميزان ج 4 ص 133 ت = 54

— ابن الجميل عمر بن حسن بن علي بن محمد بن فرج الكلبي السبتي (633 هـ / 1235 م)
تذكرة الحفاظ ج 4 ص 205
التكملة ص 660
صلة الصلة ص 73

عنوان الدراية ص 159
الذيل والتكملة ص 49
بغية الوعاة ص 360
لسان الميزان ج 4 ص 292

— ابن جميلة سعيد بن محمد
الجذوة (ص 322)

— ابن الجناوي محمد بن احمد
(أوائل القرن الرابع عشر الهجري)
الاغتباط ج 1 ص 171

— ابن الجناوي محمد بن علي بن الطيب قاضي الدار البيضاء (قبيل 1330 هـ / 1912 م)
الاغتباط ج 1 ص 186

— ابن الجواد مولود بن احمد
الوسيط لابن الامين ص 190

— ابن جوهر احمد الوجدي
(كان حيا عام 1000 هـ / 1592 م)
درة الحجال ج 1 ص 86

— ابن الجياب ابراهيم بن موسى ابو اسحـــاق
(راجـــع ابراهيـــــم)

— ابن الجيار ابو عبد الله محتسب سبتـــة
• ترجمة ابنته عائشة في مجلة تطوان 1964 عـــدد 9 ص 187

— ابن جيدة احمد بن محمد بن محمد المديونـــــي الوجدي الوهراني (951 هـ / 1545 م)
الجذوة (ص 81)
السلوة (ج 3 ص 249)
دوحة الناشر (ص 100)

— ابن حاتم احمد الفاسي
الضوء اللامع للسخاوي
(ج 1 ص 268)

— ابن حاتم روح والي المغرب
الاستقصا ج 1 ص 59

— ابن حاتم يزيد والي المغرب
الاستقصا ج 1 ص 58

— ابن الحاج ابراهيم
(راجـــع ابراهيـــــم)

— ابن الحاج ابراهيم بن عبد الله النميري
(راجـــع ابراهيـــــم)

— ابن الحاج ابو عمرو عثمان بن محمد العبـــدري
(663 هـ / 1265 م)
الذيل والتكملة لابن عبد الملك (ق 5 ص 138)

— ابن الحاج احمد الرجراجي الرباطي
له «الشموس المنيرة في اخبار مدينة الصويرة»
المطبعة الوطنية — الرباط 1954 — 1935

— ابن الحاج احمد العربي الفاسي (1109 هـ / 1698 م)
شجرة النور ص 328
فهرسة ادريس المنجرة وفهرسة محمد بن عبد السلام بناني

— ابن الحاج احمد بن محمد بن احمد السلمي المرداسي (1133 هـ / 1721 م)
سلوة الأنفاس ج 1 ص 156
السلوة (ج 1 ص 153)
فهرس الفهارس (ج 1 ص 79)
له فهرست جمعها له تلميذه محمد بن عبد السلام بناني
(راجع ابن الحاج احمد بن محمد بن احمد)
في (شجرة النور 332)

— ابن الحاج احمد بن محمد بن حمدون (1316 هـ/ 1899 م)
من مصنفاتـــه :

1) الدرر الطيبة المهداة للحضرة الحسنية الحسنية (402 صفحة)

2) ذكرى المولد الشريف وعادة اسلاف امير المومنين المولى الحسن فيها واول من عملها
في 10 كراريس عند الاخ محمد المنوني ضمن مجموع

3) رسالة صادرة من الحسن الاول الى ابن الحاج
ورد نصها في الاعلام (ج 2 ص 248)
بخزانة محمد المنوني بمكناس

— ابن الحاج احمد بن محمد الازدي الاشبيلي تلميذ الشلوبين امام العربية في عصره (647 هـ أو 651 هـ / 1250 م او 1254 م)
شجرة النور ص 184

— ابن الحاج جعفر بن ابراهيم بن احمد المعافري ذو الوزارتين
معجم الصدفي ص 68

— ابن الحاج الافراني الحسن (1350 هـ / 1932 م)
المعسول ج 10 ص 33

— ابن الحاج حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن عبد الرحمن (1232 هـ / 1817 م)
ترجم له ولده محمد الطالب في « رياض الورد الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد »
خع = 111 (130 ورقة)
(الاستقصا ج 4 ص 151)
السلوة ج 3 ص 4
الدرر البهية (ج 2 ص 327)

مـؤلفاتـــه :

1) ديوان (خع 337)

2) المقامات الحمدونية (القاهرة 373ر III)

3) المقصور في علمي العروض والقوافي (خع = 292 — 297)

4) حاشية على شرح المختصر (القاهرة 296 ر I)

5) الفريدة في المنطق (خع = 497) مطبوعة
وله ايضا (السلوة ج 3 ص 5) تفسير سور من القرآن ومنظومة في السير على نهج البردة اشتملت على نحو 4000 (اربعة آلاف) بيت شرحها في خمسة اسفار طبع منها طرف ، وارجوزة في علم الكلام ونظم الحكم العطائية ونظم مقدمة ابن حجر وشرحها المسمى « نفحة المسك الداري » (مطبوع) وله وتريات على نسق وتريات البغدادي
له ديوان جمعه ولده الشيخ الطالب يقع في مجلد ضخم (خع = 250)
وديوان في مدح مولاي سليمان اسمه « النوافح الغالية في المدائح السليمانية » (بخزانة الشاميين بفاس) والمكتبة الملكية بالرباط
وديوان في مدح بعض علماء فاس من معاصريه اسمه « روضة النيلوفر في ثناء الناس عليه وبعض مناقبه التي هي اعطر من الاذفر »
خع = 383 (218 ورقة)

— ابن الحاج عبد الرحمن بن جعفر بن ابراهيم بن احمد المعافري ذو الوزارتين (معجم اصحاب الصدفي ص 233) ت = 77

— ابن الحاج عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة السماتي المعروف بالطحان دخل مدينة فاس عام 554 هـ / 1160 م توفي بحلب
تكملة الصلة ج 3 ص 628

— ابن الحاج عبد الله بن عبد الرحمن بن حمدون (وهو اخو ابي الفيض حمدون بن الحاج) 1213 هـ / 1799 م)
(شجرة النور 373)
السلوة (ج 3 ص 34)
تاريخ تطوان ج 2 ص 297

— **ابن الحاج عبد الله بن محمد بن سليمان القرطبي**
الصلة لابن بشكوال ج 1 ص 258

— **ابن الحاج علي بن البقال الغصاوي**
الدوحة (ص 32)
راجع سلوة الانفاس ج 2 ص 236

— **ابن الحاج عماد الدين ابو البركات البلفيقي**
استاذ ابن خلدون والحضرمي وابن الخطيب (771 هـ / 1370 م)
لـه « الافصاح فيمن عرف بالاندلس بالصلاح »
شجرة النور (ص 229)
الاعلام للزركلي (ج 7 ص 269)

— **ابن الحاج فتى**
الوسيط لابن الامين ص 87

— **ابن الحاج الرقاق قاسم بن محمد بن مبارك الاموي**
(توفي بعد 559 هـ / 1160 م)
التكملة ص 701
الجذوة ص 319
طبقات القراء ص 24
ت = 64

— **ابن الحاج محمد بن ادريس العمراوي**
(راجع ابن ادريس)

— **ابن الحاج محمد بن احمد بن خلف التجيبي بن ابراهيم القرطبي** القاضي الشهيد (قتل بجامع قرطبة عام 529 هـ / 1135 م)
شيخ عياض وابن سعادة وابن بشكوال
ازهار الرياض ج 3 ص 61
الصلة لابن بشكوال ص 522
معجم الصدفي ص 114
شجرة النور (ص 127 — 132)
الوافي بالوفيات للصفدي (ج 2 ص 94)
ومن عائلة ابن الحاج محمد بن احمد بن قاضي الجماعة ابي الوليد بن ابي عمر التجيبي الاندلسي امام المالكية بدمشق (718 هـ / 1319 م) (الوافي ج 2 ص144)

— **ابن الحاج الافراني محمد بن الحاج** (1346 هـ / 1928 م)
المعسول ج 10 ص 7

— **ابن الحاج محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن** (1274 هـ / 1857 م)
« الاشراف على بعض من فاس من مشاهير الاشراف » (وهو من مصنفاته)
خع = 653 D
الأعلام للزركلي (ج 7 ص 40)
الاعلام للمراكشي (ج 5 ص 311)

السلوة (ج 1 ص 157)
الدرر البهية (ج 2 ص 330)

مـؤلفـاتـه :

1) الازهار العاطرة النشر في المبادىء العشر (طبعة فاس 1317)

2) رياض الورد الى انتمى اليه هذا الجوهر الفرد
خع = 396 و 111
ملحق تاريخ بروكلمان ج 2 ص 882

3) « روض البهار في ذكر شيوخنا الذين فضلهم اجلى من شمس النهار »
نسخة بخزانة اولاد الجابري بفاس

4) عقد الدرر واللآل من شرفاء عقبة ابن صوال (الكتانيين) (خع)
(د م = ج 2 ص 298)

— **ابن الحاج محمد المدني ابن علي كنون** (1302 هـ 1885 م)
السلوة (ج 2 ص 364) الدرر البهية (ج 2 ص 366)
فهرس الفهارس (ج 1 ص 375)
ملحق تاريخ بروكلمان ج 2 ص 886

مـؤلفـاتـه :

1) الزجر والاقماع بزواجر الشرع المطاع من آلات اللهو والسماع

2) الدرر المكنونة في النسبة الشريفة المصونة

3) التسلية والسلوان لمن ابتلي بالاذاية والبهتان (طبع فاس = 1301 — 1303 — 1316)

4) نصيحة الناظر العريان لاهل الاسلام والايمان في التحذير من مخالطة اهل الغيبة والنميمة والبهتان »

5) نصيحة ذوي الهمم الاكياس في بعض ما يتعلق بخلطة الناس (طبع فاس 1303)
وقد وهم بروكلمان فنسب الى المدني كنون معظم مصنفات التهامي كنون وغيره كالاربعينيات في فضل الصلاة على النبي (1308 eb) وفضل الحج (1302 eb) والزكاة (1308 .S) وشرح ارجوزة في التثبيت في ليلة المبيت للسيوطي (187 S) وهداية المحب المحتاج (فاس 1307) والدرر الذرية المستنيرة (فاس 1285 و 1309) كما نسب

اليه تأليف سيدي محمد كنون المعروف بكنيون وهو « حل الاقفال لقراء جوهرة الكمال (1320) واصل هذا الخطـأ الخلط الذي وقع فيه بروكلمان حيث لم يميز خاصة بين الرجلين فترجم لرجل واحد هو كما يقول « محمد بن الحاج عبد السلام المدني (التهامي) بن علي كنون »

— ابن الحاج محمد بن عبد الله بن محمد التجيبي القرطبي (641 هـ / 1244 م)
التكملة ص 356
بغية الوعاة ج 1 ص 141
الاعلام للزركلي ج 7 ص 110

— ابن الحاج محمد بن علي بن عبد الله
وزير مهندس غرناطي بدار الصناعة بسلا (توفي بفاس عام 714 هـ / 1315 م)
الاعلام للزركلي ج 7 ص 175
(راجع الجذوة ص 180 حيث سماه محمدا ابن علي بن محمد)

— ابن الحاج محمد بن محمد بن ادريس العمراوي الفاسـي
(راجع ابن ادريس)

— ابن الحاج ابو القاسم محمد بن محمد بن احمد بن لب تلميذ ابن رشد وابن العربي (575 هـ / 1180 م)
شجرة النور ص 152

— ابن الحاج محمد بن محمد بن عبد الله العمراوي
(راجع ابن ادريس)

— ابن الحاج العبدري محمد بن محمد بن محمد بن الحاج الفاسي العبدري القيرواني التلمساني المصري درس بفاس (توفي بالقاهرة عـام 737 هـ / 1336 م)
شجرة النور (ص 218)
الوافي بالوفيات للصفدي (ج 1 ص 237) — الديباج ج 1 ص 328
(الدرر الكامنة ج 3 ص 369) و ج 4 ص 237 — الجذوة (ص 142)
عبد الله كنون — ابن الحاج الفاسي (خع = س 9.278)
الاعلام للزركلي (ج 7 ص 264)
تاريخ بروكلمان ج 2 ص 83

مصنفـاتــه :

1) مدخل الشرع الشريف (برلين 3519) القاهرة (313ر II) و 357ر I)

2) شموس الانوار وكنوز الاسرار (القاهرة 346ر V)
باريز (2709 / 440 خع = 472
وقد نسب له بروكلمان الازهـار الطيبة النشر وهي كما تقدم للشيـخ الطالب بن الحاج كما اشار الصفدي في الوافي بالوفيات الى «كتاب البدع» على انه غير « المدخل » .

— ابن الحاج محمد بن محمد الانصاري الخزرجي
خطيب جامع الزيتونة بتونس
كان عمره 104 أعوام عام 846 هـ / 1443م
الضوء اللامع للسخاوي (ج 10 ص 40)

— ابن الحاج يحيى بن محمد بن فرج بن فتـح المجريطي (515 هـ / 1122 م)
صلة ابن بشكوال ج 2 ص 611

— ابن الحارثي محمد الطاهر العزوزي الاوراوي
(لعله كان حيا عام 1118 هـ / 1707 م)
الاغتبـاط ج 2 ص 63

— ابن حامد محمد الجذوة ص 133 ت = 97

— ابن الحباك احمد بن سعيد المكناسي (بعد 870هـ 1466 م)
السلوة (ج 3 ص 246)
الجذوة (ص 63) النيل (ص 67)

— احمد بن محمد الحباك الفاسي النحوي (938 هـ 1532 م)
السلوة(ج 3 ص 249)
النيل (ص 77) الجذوة (ص 66)

— ابن الحباك محمد بن احمد بن ابي يحيى التلمساني (867 هـ / 1462 م)
النيل ص 333
البستان لابن مريم ص 219
بروكلمان (ج 2 ص 256)

مصنفاتــه :

1) بغية الطلاب في علم الاسطرلاب (162 بيتا) برلين (5.800) خع = 208 (وغيره)
باريز (2.524) — الجزائر (1458)
زاوية سيدي حمزة 89 ر,Hesperis VIII
اكاديمية لينا (329)

شرحهـا :

ا) محمد بن يوسف السنوسي (892 هـ 1486 م) في عمدة ذوي الالباب

مكتباب الجزائر (613 — 1458)
المتحف البريطاني (408) زاوية سيدي حمزة

ب) شرح بدون اسم المؤلف
اكاديمية فيينا (344)

2) شرح روضة الإزهار (ملحق بروكلمان ج 2 ص 365)

3) تحفة الحساب في عدد السنين والحساب

4) نيل المطلوب في العمل بربع الجيوب (خع = 1525 D)

— **ابن الحبحاب عبيد الله والي المغرب**
الاستقصا ج 1 ص 48

— **ابن حبوس الفاسي محمد بن الحسين بن عبد الله** الشاعر (570 هـ / 1175 م)
التكملة ص 371
مطرب ابن دحية ص 295
الذيل والتكملة ص 86 ت = 28
الوافي بالوفيات للصفدي ج 3 ص 16

— **ابن حبيب الله المجيدري محمد**
الوسيط لابن الامين ص 214

— **ابن حجاج ابراهيم الاشبيلي**
(راجـع ابراهيـم)

— **ابن حجاج احمد بن محمد الاندلسي**
له تأليف في علم الفلاحة
خع = 1410 D — 1413 D

— **ابن حجاج الحسن بن يوسف الهواري** (598 هـ / 1202 م)
تكملة ابن الابار ص 26
الجذوة ص 111 ت = 20

— **ابن حجة أبو محمد قاسم** دخل مدينة فاس
الجذوة (ص 319)

— **ابن حجلة شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى التلمساني الحنبلي** (776 هـ / 1365 م).
الدرر الكامنة (ج 1 ص 331)
شذرات الذهب (ج 4 ص 240)
الحفناوي — تعريف الخلف ج 2 ص 42 / 53
ملحق بروكلمان ج 2 ص 5 — له ديـوان الصبابة :
(مكاتب ليبزيغ (615) وباريز (5915 — 6296) وكمبريدج 4/5/7 ودوشمبـة (روسيا)

— **ابن الحداد احمد بن محمد بن عبد الرحمن بـن خليل بن ماسويه بن جهدين** الديباج ص 71

— **ابن الحداد عبد الرحمن ابو القاسم بن اسماعيل الازدي التونسي** (توفي بمراكش في حدود 640 هـ /1243 م)
طبقات القراء ص 366
بغية الوعاة ج 2 ص 78 .
ت = 44 — 139

— **ابن الحداد عيسى** احد تلاميذ ابي الحسن بـن حرزهم
الجذوة (ص 282)

— **ابن الحداد محمد بن عبد الرحمن بن احمد بـن ابي زيد الفاسي**
الدرر الكامنة ج 4 ص 116

— **ابن حدادة موسى المرسي** (723 هـ / 1323 م)
الجذوة (ص 231)

— **ابن حديج معاوية** والمغرب العربي
الاستقصا ج 1 ص 36

— **ابن حديدة محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن غالب ابن يعلي الغماري**
التكملة ص 346 ت = 26

— **ابن حذافة احمد** من بصرة المغرب (مدارك عياض، ص 83)

— **ابن الحرار حمزة بن يوسف**
مدارك عياض 332ر ت = 131

— **ابن حرزهم اسماعيل بن محمد بنعبد الله الفاسي**
سلوة الانفاس ج 3 ص 71

— **ابن حرزهم صالح بن محمد بن عبد الله**
الجـذوة ص 233
الروض لابن عيشون — التشوف (ص 71)
السلوة ج 3 ص 69 ت = 107

— **ابن حرزهم علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن سومران** (559 هـ / 1164 م)
الاستقصا ج 1 ص 185
النيـل ص 182
الجذوة ص 293

— **ابن حرزهم علي الحفيد**
الجذوة (ص 303)

— **ابن حرزوز ابو علي محمد بن عيسى بن عبد الله** (عام 960 هـ / 1552 م)
الدوحة ص 62
الاستقصا ج 3 ص 13
له « الكوكب الساري في اختصار البخاري »
خع = 240
وقد ورد شخص آخر يحمل نفس الاسم هو:

— ابن حرزوز الحسن بن احمد بن ابراهيم المكناسي
(960 هـ / 1552 م)
(الاتحاف ج 3 ص 6)
الجذوة (ص 105)

— ابن حريث محمد بن محمد بن علي بن ابراهيم
العبدري البلنسي (722 هـ / 1323 م)
الوافي بالوفيات ج 1 ص 232
شذرات الذهب ج 6 ص 58

— ابن الحزاز ابو جعفر احمد بن الفتح المليلـــي
(332 هـ / 944 م)
ابن الفرضي ص 58 ت = 2

— ابن حزب الله احمد بن محمد استشهد بوقعــة
طريف عام 741 هـ / 1341 م).
الجذوة (ص 59)

— ابن حزم ابو محمد علي بن أحمد بن سعيـــد
(456 هـ / 1064 م)
الضبي (ج 1 ص 204) — المطمح (ص 55)
الاحاطة (ج 3 ص 144) النفح ج 2 ص283
ابن بشكوال (888) — تذكرة الحفـــاظ
للذهبي (ج 3 ص 341) — اليافعي (مرآة
الجنان ج 3 ص 79) العواصم من القواصم
لابن العربي (ج 1 ص 85 و ج 2 ص 67)

Histoire des musulmans del España y Africa, ed. M. G. Remiro I, 95
(ed. Cheikho)
طبقات الامم لصاعد بن احمد الاندلسي ص75
وترجمة بلاشير Blachère (ج 2 ص 166)
الشذرات (ج 2 ص 299) — النثر الفنـــي
لزكي مبارك (ج 2 ص 166)
ابن حزم القرطبي اول مؤرخ للافكار الدينية
(مدريد 1925) Asin Palacios
Pons Boigues, Ensayo, p. 130

مصنفاتـــــه :

تاريخ بروكلمان ج 1 ص 692

1) طوق الحمامة في الالف والالاف — (طبعة Leide ر1914)

2) رسالة في فضل الاندلس (المقرى ج 2 ص 19)

3) نقط العروس في تواريخ الخلفاء (1911) ed. Seybold
Histoire de Granada y su Reino

4) جمهرة الانساب (الزيتونــة 5014 — باريز 2413)
القاهـــرة (152ر V) خع = 77
(416 ورقة) خع = 365

5) كتاب اسواق العرب (كتاب غريب لسم يشر اليه احد)

6) ذكر اوقات الامراء وايامهم بالاندلس (ابن عساكر — تاريخ دمشق ج 3 ص 280)
Documents pour la diplomatie musulmane, époque du Prophète et des Khalifs orthodoxes, Paris 1935.

7) الاحكام في اصول الاحكام (القاهـــرة 377ر 236 ر II)

8) كتاب المحلى (في الفقه بالآثار في شرح المحلى بالاقتصار)
(القاهرة 279ر III
الجزء الثالث من المحلى مبتور في خق = ق 303

9) ابطال القياس والراي والاستحســـان والتقليد والتعليل (Gotha 640)

10) مسائل اصول الفقه (القاهـــرة = 1343) (ضمن مجموعة الرسائـــل المنيرية)

11) الايصال الى فهم الخصال (طبقات السبكي ج 1 ص 268)

12) كتاب الاصول والفروع من قول الايمة
Sehid A — 2704 (Andalus II, 3

13) رسالة في مسألة الكلب
(eb. 8, eb 15)

14) رسالتان له اجاب فيهما من رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف
(eb 9, eb 15)

15) رسالة في الامامة (eb 11, eb 19)

16) رسالة في الغناء الملهى امباح هو أم ام محظور ؟ (eb 25)

17) مراتب الاجماع 1892 Bank XIX,

18) كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل الاسكوريال (1824) برلين (873)

19) النبذة الكافية في اصول احكام الديـــن (بعضها في برلين = 5376)

20) رسالة البيان من حقيقة الايمـــان (المكتبة العربية الاسبانية) (997ر III,
— 708ر I,)

21) كتاب فيه رسالة الدرة في تدقيـــق الكلام فيما يلزم الانسان اعتقاده والقول به في الملة والنحلة باختصار وبيان
(eb 5, eb 9/13)

22) رسالة فى الرد على ابن نغريلـــــة اليهودي (eb 6, eb 13)
Edit. E. Garcia Gomez Al-Andalus II, 3

23) رسالة التوفيق على شارع النجـــاة باختصار الطريق

24) فى الرد على الخاطف من بعد
eb 7, eb 13

25) رسالة عن حكم من قال ان ارواح اهل الشقاء معذبة الى يوم الدين eb 13,

26) التحقيق فى نقد محمد بن زكريـــاء الرازي (S. 421) فى كتابه العلـــم الالهي

27) التقريب التقريب فى حدود الكلام eb I

28) حجة الوداع Faiz 322

29) كتاب الناسخ والمنسوخ (هذا الكتاب ليس لابن حزم)

30) اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من الاحاديث (القاهرة 69ر I)

31) كتاب فى المفاضلة بين الصحابة
Dam Z 82,17 Raad X II, 704

32) رسالة مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد فى الرذائل
مجلة الاندلس II, 18 .Dam 279

33) فصل فى معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها
Sehid A 2704 (Andalus II, 6)

34) فصل هل للموت الم ام لا ؟
eb 12, eb 20/24

35) رسالة التلخيص لوجوه التخليص
eb 15, eb 27/46

36) رسالة مراتب العلوم
eb 16, eb 46/56

تلك نماذج من مؤلفات ابن حزم اوردهـــا بروكلمان وهي تمثل فى الحقيقة اقل من ثلث مصنفاته التي اوصلها الحافظ الذهبي الـى نحو السبعين فى كتابه الخاص بابن حزم من سلسلة « سير النبلاء » (الذي حققه صديقنا الاستاذ سعيد الافغاني مطبعة دار الفكر — بيروت — 1389 — 1869) واكد لنا صديقنا الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ان لائحة كتب ابن حزم بلغت عنده زهاء مائة واربعـــين كتابا .

— ابن حزم علي بن احمد بن سعيد
(كان حيا عام 863 هـ / 1458 م)
العبر فى خبر من غبر (ج 3 ص 239)
لـــه « المورد الاحلى فى اختصار المحلى او القدح المعلى فى شرح المحلى »

— ابن حزم العوفي قاسم بن ثابت السرقسطـــي (302 هـ / 915 م)
لـــه « الدلائل فى شرح ما اغفله ابو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث »
يوجد بالقرويين الجزءان الثاني والثالث منه (ق 197) (عثر عليه محمد ابراهيم الكتاني بتامكروت)
مات مؤلفه قبل اكماله واكمله ابوه المتوفى عام 313 هـ (لم يؤلف مثله فى المغرب حسب ابي على القالي وكذلك فى المشرق حسب ابن الفرضى)

— ابن حزم ابو يحيى يسع بن عيسى الغافقـــي (575 هـ / 1180 م)
لـــه « المغرب فى محاسن المغرب » جمعه لصلاح الدين الايوبى
لسان الميزان ج 6 ص 299
النفح ج 3 ص 140 ت = 127

— ابن حسان احمد بن الحسن بن احمد القضاعي (توفي بفاس حوالي 600 هـ / 1204 م)
فهرسة عياض ص 71 ت = 86

— ابن حسان يحيى المرادي النحـــوي (614 هـ / 1218 م) بغية الوعاة ص 411 ت = 142

— ابن الحسني محمد المدني (1378 هـ / 1959 م)
النضال عدد 11 / 615
عبد الهادي التازي
محمد المنوني — دعوة الحق عدد 10 (1960)
النضال عدد 11 / 615
عبد الهادي التازي
محمد المنوني — دعوة الحق عدد 10 (1960)

— ابن حسون احمد بن العربي الوزاني
لـــه « الرحلة الوزانية المزوجة بالمناسك المالكيـــة »
رحل عام 1269 هـ / 1852 م
تقع فى 8 كراريس
نسخة بخط المؤلف فى خزانة الاستاذ عبـــد الحفيظ الفاسي واخرى فى خس وله فهرست اسمها « زهرة الآس فيمن لقيته من الناس بوزان وفاس » ذكرها فى رحلته

— ابن حسون عبد الله بن احمد بـــن الحســـن السلاسي الخالدي (ولد عام 920 هـ/1515م)

درة الحجال (ج 2 ص 346)
السلوة (ج 2 ص 39)

— ابن حسون الحاج يحيى البادسي
« المقصد الشريف » لعبد الحق البادسي
خع = 110

— ابن حسين التميمي محمد بن عبد الله بن محمد ابن عيسى السبتي
التكملة ص 372
الذيل والتكملة ص 98 ت = 29

— ابن الحسين محمد بن محمد بن عبد الله الورزازي
المتوفى بمكة (1174 هـ /1761 م)
فهرس الفهارس = ج 2 ص 429
لـــه شرح المقنع في علم أبي مقرع
خع = D 1074 — D 1467 —
D 1673
ملحق بروكلمان ج 2 ص 707

— ابن الحشا ابو جعفر احمد
تفسير الالفاظ الطبية واللغوية (الواقعة في كتاب المنصوري مبوبة على حروف المعجم بحسب استعمال أهل المغرب)
خع = D 955 (ضمن مجموع)
(مطبوع في الرباط)

— ابن الحصار محمد (898 هـ / 1493 م)
الجذوة (ص 151)

— ابن الحطيئة اللخمي احمد بن عبد الله بن احمد ابن هشام الفاسي نزيل مصر عين بقضاء مصر عام 533 هـ / 1138 م)
انباه النحاة ص 39 — حسن المحاضرة ص 192 الجذوة ص 45
شذرات الذهب ج 4 ص 188 — طبقات القراء ج 1 ص 71 سلم الوصول ص 89
النجوم الزاهرة ج 5 ص 370
وفيات الاعيان ص 152 (المطبعة التجارية)
ت = 84

— ابن الحفيان المفضل الشرقي (مات بعد 1229 هـ 1814 م)
الاغتباط ج 2 ص 97
تاريخ الضعيف في حوادث 1229 هـ

— ابن الحفيد احمد السلاوي قاضي سلا
درة الحجال (ج 1 ص 29)

— ابن الحفيد عبد الرحمن السجلماسي
الدرر الكامنة ج 2 ص 451

— ابن حكم ابراهيم الكناني السلاوي
(راجـــع ابراهيـــــم)

— ابن حكم احمد بن علي حكم الرباطي
الاغتباط ج 1 ص 31

— ابن حكم المغربي عبد الله بن ابي القاسم (المائة السابعة)
لسان الميزان ج 3 ص 326 ت = 157

— ابن الحكم يحيى الغزال الشاعر (القرن الثالث)
النفح ج 2 ص 21

— ابن الحكيم علي بن يوسف
(المائة الثامنة)
لـــه « الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة » الفه باسم السلطان ابي فارس المريني (798 هـ / 1395 م) (خع) وطبع بمدريد يوجد في اربعة كراريس بالخزانة الفاسية ضمن مجموع

— ابن الحكيم ابو عبد الله بن ابي القاسم الرندي ذو الوزارتين (758 هـ / 1357 م)
النفح ج 3 ص 373 .

— ابن حم البربوشي المراكشي محمد قاضي الرحامنة (مات بعد 1270 هـ / 1854 م)
الاعلام للمراكشي ج 5 ص 293

— ابن حماد المغربي الشاعر (المائة الرابعة)
معجم البلدان ج 2 ص 41 ت = 145

— ابن حماد علي بن موسى السبتي (564 هـ / 1169 م)
الجذوة (ص 304)

— ابن حماد البربري محمد بن موسى (او محمد ابن محمد بن موسى)
(294 هـ / 907 م)
مشتبه النسبة للذهبي ص 30
تاريخ الخطيب ج 3 ص 243 ت = 155

— ابن حمادة البصري عثمان بن سعيد
مدارك عياض ص 333
ت = 132

— ابن حمادو محمد بن علي الصنهاجي من اهل قلعة حماد ولي قضاء الجزيرة الخضراء وسلا
(627 هـ / 1230 م)
(راجع عنوان الدراية ص 128)
الوافي بالوفيات ج 4 ص 157

— ابن حمادوش عبد الرزاق بن محمد الجزائري
تاريخ تطوان (ج 3 ص 148) وج 2 ص224
لـــه « لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والآل » وهي رحلة الى المغرب الاقصى عام 1156 هـ / 1743 م
ربما توجد نسخة بالخزانة الكتانية (خع)

— **ابن حمادوه أبو عبد الله السبتي** صاحب المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس »
(مفاخر البربر ص 43 و 46) ت = 127

— **ابن حمامة دوناس بن المعز بن عطية المغراوي**
(452 هـ / 1061 م)
الجذوة ص 122 — الاستقصا ج 1 ص 96
ت = 96

— **ابن حمد عبد الله** (833 هـ / 1430 م)
الجذوة (ص 237)
درة الحجال (ج 2 ص 340) .

— **ابن حمد منصور اليفرني** (560 هـ / 1165 م)
جذوة الاقتباس ص 209 ت = 34

— **ابن حمدوش علي** (1135 هـ / 1722 م)
لـــه « تآليف اشار اليه ابن زيـــدان في الاتحـــاف (ج 5 ص 459)

— **ابن حمـــدون**
(راجع ابن الابـــار)

— **ابن حمدون احمد الركراكي**
سلوة الانفاس ج 3 ص 234

— **ابن حمدون احمد الشديد الاندلسي الفاسي**
(بعد 1170 هـ / 1757 م)
السلوة (ج 1 ص 208)

— **ابن حمدون أحمد بن محمد** (1316 هـ / 1899 م)
الدرر البهية (ج 2 ص 329)
لـــه « الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر امير المومنين مولانا الحسن » (المكتبة الملكية بالرباط)
بروكلمان ج 2 ص 889

— **ابن حمدون احمد بن محمد يدعى حمدون المزوار الزجني** (1084 هـ / 1674 م)
السلوة (ج 3 ص 77)

— **ابن حمدون محمد بن عبد السلام البناني** (1163هـ 1750 م)
النشر (ج 2 ص 257)
السلوة (ج 1 ص 146)
فهرس الفهارس (ج 1 ص 160)
بروكلمان ج 2 ص 686

مـــؤلفـــاتــــه :

1) فهرسة = خع (414)

2) معاني الوفاء بمعاني الاكتفاء

3) شرح الحزب الكبير للامام الشاذلي
خع = 1599 D

4) شرح الصلاة المشيشية
خع = 1599 D

— **ابن حمدون محمد بن محمد بناني**
لـــه الكوكب الساطع والعقد المنظوم في بيان التنبين باعتبار المنطوق والمفهوم
خع = 1449 D

— **ابن حمو عبد الله السبتي**
الصلة لابن بشكوال ج 1 ص 292

— **ابن حمود علي بن عبد الله الفاسي المكناســـي**
(توفي بمكة عام 573 هـ / 1178 م)
التكملة ص 685 صلة الصلة ص 147
الجذوة ص 296 ت = 60

— **ابن حمودة عبد الله بن عبد الرحمن السجلماسي**
(في حدود 612 هـ / 1216 م)
التشوف ص 433

— **ابن حمويه تاج الدين السرخسي**
رحل الى المغرب عام 593 هـ / 1196 م
ودخل الى مراكش عام 598 هـ / 1201 م
وبقي في المغرب الى عام 600 هـ / 1203 م
وقف على رحلته صاحب النفح ونقل عنها ما يتعلق بالمغرب
توجد نبذة منه بدار الكتب المصرية عدد 1501
(الغصون اليانعة ص 29)

— **ابن حميدة احمد المطرفي** المتوفى بمراكـــش
(1001 هـ 1592 م).
النشر (ج 1 ص 22) — الاعلام المراكشي (ج 2 ص 42) شجرة النور ص 294
الجذوة ص 83
لـــه : 1) لباب الفضة في شرح الفاظ الروضة (أي روضة الازهـــار في التوقيت) خـــع = 1412 D

2) المقصد الاسنى في حل مقفل يسارة ابن البنـــا خـــع = 1596 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 364
(والمقصود بكتاب ابن البناء « اليسارة في تعديل السيارة » كما في الاعـــلام للمراكشي ج 1 ص 375)

3) المقرب في وصف المجيب (خـــع = 1425 D)

— **ابن حنبل احمد بن محمد** : (241 هـ / 856 م)
هل دخل الى المغرب ؟
راجع شعراء بغداد للاستاذ الخاقاني ج 1 ص 386 و 387 حسب بحث الدكتور محسن

جمال الدين في « اللسان العربي » (عدد 3 سنة 1965)
والاعلام للزركلي (ج 1 ص 192)
ونحن نرجح عدم دخوله الى المغرب الاقصى

— ابن حنبل محمد بن الفال البوهسني
الوسيط ص 311

— ابن حنين (بفتح الحاء) سعيد الفاسي الشاعر الفقيه (463 هـ / 1071)
الجذوة ص 322 ت = 120

— ابن حنين الطليطلي القرطبي علي بن احمد بن ابي بكر (نزل مدينة فاس عام 503 وتوفي عام 569 هـ / 1174 م)
التكملة ص 670 صلة الصلة ص 102
تذكرة الحفاظ ج 4 ص 118 الجذوة ص 304 ت = 55

— ابن حوقل محمد بن علي البغدادي الموصلي (بعد 367 هـ / 977 م)
دخل المغرب (بين 331 — 942 و 360 / 970)
عبد القادر زمامة (دعوة الحق عدد 8 — 1965)
دائرة المعارف الاسلامية (ج 1 ص 145)
الرحالة المسلمون في العصور الوسطى (ص 39)
لـــه « المسالك والممالك والمفاوز والمهالك »
(طبع بليدن (1290 هـ / 1873 م)

— ابن حيان : حيان بن خلف بن حسين الاموي القرطبي (469 هـ / 1076 م)
الاعلام للزركلي (ج 2 ص 328)
لـــه 1) « المقتبس في تاريخ الاندلس »
طبعت منه شذرات ويوجد المجلد الثالث في المكتبة الملكية بالرباط والنسخة التي كانت عند ليفي بروفنصال هي من خزانة القرويين (فيه عشر مجلدات)
2) المبين في تاريخ الاندلس اكبر من المقتبس
3) تراجم الصحابة (وفيات الاعيان ج 1 ص 168 — جذوة المقتبس ص 188)

— ابن حيان المغربي محمد بن عطية ترجم له ابن رشيق
الوافي بالوفيات ج 4 ص 95

— ابن حيون احمد السلوة ج 3 ص 336

— ابن حيون محمد بن احمد بن عيسى الخمسي الزرويلي
له الفتوحات الربانية في شرح الصلاة المشيشية
خع = 952 D

— ابن حيون محمد بن علي بن محمد بن حسين السلي الاندلسي البرجي الشهير بالحاج الشطيبي توفي بتازغدري في غمارة (923هـ/ 1518 م)
لـــه « الجمان في اخبار الزمان »
(اختصر فيه كثيرا من كتب التاريخ من مبدأ الدنيا الى المولد النبوي الى الخلفاء الراشدين والملوك العلويين بمصر وافريقية والاندلس وختمه باشراط الساعة
خع = 579 D - 1094 D 1344 D
40 D (ناقص)
ملحق بروكلمان ج 2 ص 373 (سماه عقود الجمان في مختصر اخبار الزمان)
وورد في فهرس دار الكتب المصرية (ج 5 ص 151) منسوبا الى احمد بن محمد المقري والى محمد بن علي بن محمد بن حسين بن حموق البرجي الشهير بالحاج الشاطبي
كما نسبه الى كليهما اهلفارت في فهرس مخطوطات المكتبة الملكية ببرلين
وتوجد ايضا في خع = 1603 D منسوبة لاحمد المقري

— ابن خاتمة احمد بن علي
دائرة المعارف البستاني

— ابن خاقان ابو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله الاشبيلي (535 هـ / 1140 م)
لـــه « قلائد العقيان في محاسن الاعيان »
اهداه للامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين (فيه بعض رجال المغرب)
طبع بباريز (1860 / 1277) وبالاستانة ومصر

— ابن خبازة الشاعر ميمون بن علي بن عبد الخالق الصنهاجي الخطابي (نسبة الى خاله الشاعر ابن خبازة) 637 هـ / 1240 م)
الذيل والتكملة ص 172 الجذوة ص 209
الاغتباط ج 2 ص 83
رسالة المغرب عدد 4 — (1947)
(خع = 796 40
لـــه ديوان جمعه له ابو عمرو بن سالم (رحلة ابن رشيد)

— ابن خجو ابو القاسم بن علي بن محمد الحساني الخلوفي (956 هـ / 1549 م)
الدوحة (ص 13) السلوة (ج 2 ص 149)
لـــه :

1) مختصر ضياء النهار المجلي لغمام الابصار في نصرة اهل السنة الفقراء الاخيار خع = 499 ل
بروكلمان ج 2 ص 701

2) شرح على ارجوزة سيدي عبد الله الهبطي في أقسام العدة واحكامها والحيض والرضاع
نسختان في خع = 927 D (1475)
1649 D

— **ابن خدة مالك** (حوالى 930 هـ / 1524 م)
السلوة (ج 3 ص 320)
(وهو غير ابي يشو مالك بن خدة الصبيحي)

— **ابن الخراط عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله** الازدي الاشبيلي (581 هـ / 1185 م)
لـــه :

1) الاحكام الشرعية
توجد الاجزاء الاول والثالث والرابع والثامن في خق = ي 5 مع نسخة كاملة في ثمانية اجزاء بمراكش

2) « الجمع بين الصحيحين »
يوجد الجزء الاخير بخزانة القرويين (ق 189)

— **ابن خرباش الحشمي يوسف بن عيسى بن السعود** وزير السلطان ابى ثابت عامر بن عبد الله المريني
الاستقصا ج 2 ص 45

— **ابن خروج الخزرجي محمد بن احمد بن ابراهيم**
الجذوة ص 161 ت = 102

— **ابن خروف علي بن يحيى بن علي الحضرمي** الاشبيلي
الجذوة (ص 307)

— **ابن خروف : محمد ابو الفضل التونسي** نزيل فاس (966 هـ /1559 م)
فهرسة المنجور (ص 36) — الجذوة (ص 205)
مرآة المحاسن (ص 9) السلوة (ج 3 ص 281) اجازة ابن شنب (ص 20)

— **ابن خزر يخلف الاوربي الفاسي** المفتي (572 هـ / 1176 م)
الجذوة ص 352
نيل الابتهاج ص 394 ت = 125

— **ابن خزرج محمد بن احمد البغدادي** (546 هـ / 1152 م)
الجذوة (ص 161)

— **ابن خزعل محمد بن يحيى**
التكملة ص 289

— **ابن خصلة محمد بن مسعود** (بن خصلة بن فرج (540 هـ / 1146 م)
الجذوة (ص 158)

— **ابن الخضر محمد الادريسي** (1180 هـ / 1767م)
الاغتباط ج 1 ص 95

— **ابن خضرا عبد الله السلاوي** قاضي القضاة بفاس (1323 هـ / 1905 م)
له « شرح الارجوزة البيقونية في اقسام الحديث » مطبوع بفاس مع مؤلفات اخرى .
خع = 74 (ضمن مجموع)
ترجم الارجوزة الى الفرنسية ابو بكر عبد السلام بن شعيب بتلمسان عام 1907

— **ابن خضراء محمد**
تاريخ تطوان (ج 4 ص 173)

— **ابن خطاب عمر بن عثمان** (بن خطاب) بن بشر التيمي النحوي
بغية الوعاة ص 362
معجم الادباء ج 16 ص 67
له كتاب الامر والنهي يعرف بكتاب المكتفي

— **ابن الخطيب عبد الرحمن بن ابي القاسم بن علي الشفشاوني الزرويلي** (993 هـ / 1585 م)
الجذوة (ص 264)

— **ابن الخطيب التميمي**
عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم قاضي سبتة توفي بتونس (620 هـ / 1223 م)
التكملة ص 531 ت = 43

— **ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله** (776 هـ / 1374 م)
نيل الابتهاج ص 269 — شذرات الذهب ج 6 ص 244
عبد الله كنون — مجلة البحث العلمي عدد 2 1964
عبد القادر زمامة دعوة الحق عدد 5 و 6 (1964)
ابن الخطيب من خلال كتبه لمحمد بن ابي بكر التطواني (خع 14049 س)
الفلسفة والاخلاق عند ابن الخطيب لعبد العزيز بنعبد الله (خع 11788 C)

مصنفاتـــه :

1) اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام

الجزء الاول من المشرق الى برقة
الجزء الثاني : الاندلس
الجزء الثالث من برقة الى السوس الاقصى وساحل المحيط الغربي
خع = 1552 D – (القسم الثاني
نقط D 1318) مدريد (37) — خق (1286) — الزيتونة (4936/7) —
ملحق بروكلمان ج 2 ص 372
معجم سركيس ص 1590
نشر القسم الخاص بافريقية وصقلية من الجزء الثاني الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب وطبع ليفي بروفنصال القسم الخاص بالاندلس من الجزء الثاني (الرباط 1353 / 1934 (ثم طبعه مرة ثانية بدار المكشوف ببيروت 1956 ومنه اقتبس تاريخ اسبانيا المسلمة

Histoire de l'Espagne Musulmane

وطبع القسم الثالث تحت عنوان « تاريخ المغرب في العصر الوسيط » بتحقيق الاستاذين احمد المختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني (راجع مجلة البحث العلمي عدد 2 (1964)

2) معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار شبه مقامات وضعت على لسان مدن المغرب والاندلس وهو قسمان الاول في وصف الاندلس والثاني في وصف المغرب الاقصى
خع = 972 D - 1092 D
الاسكوريال (1777)
طبع مشوها بفاس بمطبعة يمني (1325 هـ / 1907)
نشر موليير نبذة منه في مونيخ (1866/ 1283 (راجع معجم المطبوعات ص 1591)
توجد نسخة منه في خس

3) ونسبت غلطا اليه « الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية
خع = 1428 D - 1536 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 342 — معجم سركيس ص 1590
طبع بتونس عام 1329 منسوبا لابن الخطيب ونشره علوش بالرباط عام 1936 وترجم هذه الطبعة امبروزيو ميراندا Ambrosio Huici Miranda الى الاسبانية ونشره بتطوان عام 1952

4) « روضة التعريف بالحب الشريف »
خع = 778 D
(طبعت بمصر وحققها الاستاذ محمد ابن عبد الملك الكتاني)
(أوردها ملحق بروكلمان ج 2 ص373)
خق = ج 145 ونسخة اخرى في خق 3365 ك

5) كتاب الشفا (الجزائر 1830)
Rampur, I, 343

6) الغصون اليانعة (581 ر Si)
(حسب بروكلمان)

7) « المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية » لابن الخطيب الفه لابي فارس المريني (نفح الطيب ج 3 ص 100 طبعة بولاق)
الدرر الكامنة (ج 3 ص 469 —
درة الحجال ج 1 ص 285
شذرات الذهب ج 6 ص 244

8) كتاب السحر والشعر (ينسب له)
خع = 1295 D 121 D (94 ورقة)
خع = 354 خق = د 121

9) نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب
(الاسكوريال 1755) خع
(طبع بالقاهرة)

10) محاضرة بين مالقة وسلا
(الاسكوريال 554 و 825)
E. Garcia Gomez, El Parangon entre Malaga y Sale, Andalus II, 183:

11) الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة (وفي بعض النسخ في علماء المائة الثامنة) باريز (5794) خق = د 132 ونسخة في خس طبع طرف من اولها بمطبعة يمنى بفاس (1327 هـ / 1909 م)
طبعة كاملة ببيروت

12) الاحاطة في اخبار غرناطة
نسخة مصورة (422 صفحة)
خق = د 2636 (طبعت بالقاهرة)
تبتدىء بترجمة محمد بن أحمد بن علي البطروجي وتنتهي بترجمة يحيى بن ابراهيم بن يحيى البرغواطي .
مركز الاحاطة بادباء غرناطة (اختصار الاحاطة) لابي البقاء بدر الدين محمد ابن ابراهيم بن محمد البشتكي (830 هـ 1427 م)

نسخة مصورة فى خــــق = د 2650 (568 صفحة)
باريز (5887) وكمبريدج (1035) ومدريد (276/9)
ويوجد مخطوط اسمه « مختصـــــر الاحاطة فى اخبار غرناطة »
خع = 1582 D
اخذ بالتصوير عن مخطوط الاسكوريال عدد 1673
ونسخة اخرى صورت من مخطـــوط خس ونسخة ثالثة هي الجزء الخامس

عشر ونسختان اخريان كما يوجـــد مخطوط آخر باسم « الاحاطة بتاريخ غرناطة » فى الاسكوريال (1673) وليـــد Leid (1082 والقــاهرة) (9ر V)) ومدريد (29)

13) رقم الحلل فى نظم الدول (1133 بيتا)
خع = 1299 D
نسخ مع شرح الناظم : 901 D
763 D
نسخة مع شرح لمؤلفمجهول 1393 D
الاسكوريال (7 / 1776) — ليبزيغ (668) القاهرة (203ر V)
طبع بتونس عام 1316 هـ / 1898 م
ويوجد بمدريد (101 / 11) وباريز (5026) مخطوط آخر اسمه « الحلل المرقومة »

14) « الاشارة الى آدب السياســــة فى الوزارة »
خع = 1092 D - 1405 D
(النفح ج 4 ص 654) طبعة بولاق 1289
توجد رسالة اخرى له فى السياسة فى خع = 972 D - 1092 D (ضمن مجموع)

15) رسالة فى احوال خدمة الدولة (خاطب بها ابا عبد الله بن مرزوق)
خع = 972 D (ضمن مجموع)

16) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب
الفاتكان (252) — برلين (1189)
القاهرة (177 ر III) — مدريـــد (515) الاسكوريال
(515) الاسكوريال (1825)
خــــع = 988 D - 786 D
757 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 373
خق = د 786 و ل 40 / 565

17) تاليف فى الادب (الموجود من بدايـــة الباب الثلاثين فى الخير والصـــلاح والصحابة والاولياء والحلي والمصوغ والطيب والتطيب الى نهاية البــــاب الخمسين فى الاسفار والـــــوداع والفراق الخ
خع = 1373 D

18) رسائل الى بعض الملوك والاعلام
خع = 784 D

19) كتاب « عمل من طب لمن حب »
(جزء ضخم)
النسخة التي قدمها المؤلف للسلطان ابي سالم بن أبي الحسن المريني
خق = ل 607/40 — مدريد (655)

20) « مثلى الطريقة فى ذم الوثيقـــة » فى كراسة تكلم فيه على ما يفعله بعـــض عدول فاس وسلا وسجلماسة .
يوجد بخزانة الاخ محمد ابراهيـــم الكتاني

21) مقنعة السائل من المرض الهائـــل — الاسكوريال (1785) مدريد (269)

22) الوصول لحفظ الصحة فى الفصول
خــــع = 652 D - 1570 D
خق = م 50
زاوية سيدي حمزة Hesperis XVIII,97

23) نبذة العصر فى اخبار ملوك بني نصر
خع = 491 خق = د 28

24) اللمحة البدرية فى الدولة النصرية
خق = ل 80 / 1491
الاسكوريال (1776) — القاهــــرة (1347)

25) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس نشر وتحقيق احمد مختار العبادي جزء 1
مطبعة الجامعة — الاسكندرية 1950

26) كناسة الدكان بعد انتقال السكان
حققه ونشره الدكتور محمد كمال شبانة بالقاهرة عام 1969

— **ابن الخطيب القصري محمد بن علي (955 هـ / 1549 م)**
الجذوة (ص 151)

— **ابن الخطيب القسمطيني احمد بن حسن بن علي** المعروف بابن قنفذ (810 هـ / 1407 م)
الجذوة (ص 79) — النيل (ص 57)

النشر (ج 1 ص 4) — البستان لابن مريم (ص 308)

1) أنس الفقير وعز الحقير
خع = 1498 D — 524 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 241 (طبع بالرباط عام 1967 باشراف الاستاذ محمد الفاسي)

2) شرف الطالب فى اسنى المطالب (حول وفاة الصحابة والعلماء والمحدثين والمؤلفين)
خع = 158 D - 896 D - 1428 D
1498 D وثلاث نسخ أخرى
ملحق بروكلمان ج 2 ص 341
طبعة Henri Pérès بالمطبعة الثعالبية بمصر (راجع باقي كتبه فى البستان)

— ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر الحضرمي (808 هـ / 1406 م)
الجذوة (ص 262)
شجرة النور (ص 227)
شذرات الذهب ج 7 ص 76
درة الحجال (ج 2 ص 357)
محمد الأمري — مقال مخطوط خاص بالموسوعة
مهرجان ابن خلدون (مـاي 1962) دار الكتاب ، س 20818

Gautier - Les Siècles obscurs, Index, p. 429

Ives Lacoste - Ibn Khaldoun, Paris, Ed. Maspéro, 1966.

مصنفاته :

1) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون)
يوجد الثالث والخامس من نسخة ذات سبعة أسفار حبسها ابن خلدون على خزانة جامعة القرويين فى صفر 799 هـ وعليها خط يده .
خق = ل 40 / 362
« مذكرة عن نسخة من كتاب العبر » قدمها ابن خلدون الى مكتبة القرويين فى فاس
نشر باريز 1963 Lévi-Provençal
نشر E. Larose
ترجمة ابن خلدون
Baron de Slane, Paris - Impr. Impériale, 1862

2) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا
خع = 1345 D
(خع = س 9799)
ملحق بروكلمان ج 2 ص 342
طبع بالقاهرة بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي 1370 / 1951

3) شفاء السائل بجملة مسائل : مخطوط بالخزانة الزيدانية
قصة مخطوط ابن خلدون للفاسي عبد الرحمن ، رسالة المغرب ع 10 س 7 فى 1 — 1 — 1948 . (796 ل)
وقبلها فى نفس المجلة لعبد العزيز بنعبد الله

فهـرس المـراجـع العربيـة

— ادريس الفضيلـــي
الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية
مجلدان — طبعة فاس الحجرية 1314

— الادريسي (الشريف)
وصف افريقيا الشمالية والصحراء
(مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) — طبعة الجزائر 1957

— الافراني محمد الصغير

1) صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر
مطبعة فاس الحجرية
2) نزهة الحادي : نص وترجمة — مجلدان طبعة باريز 1888

— ابن الابـــار
تكملة الصلة طبعة مدريد (1889) في مجلدين وطبعة الجزائر 1337/1919
(اربعة اجزاء)

— ابن بشكوال خلف بن عبد الملك
كتاب الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم
طبع مجريط 1882

— ابن حجر : الدرر الكامنة طبعة حيدراباد (1930/1348)
دار الكتاب الحديثة (خمسة مجلدات) — القاهرة 1385 هـ / 1966 م)

— ابن خلكان — وفيـات الاعيــان
مطبعة بولاق — 1299 هـ / 1882 م

— ابن الزيات يوسف بن يحيى التادلي
« التشوف الى رجال التصوف » (الرباط 1378 — 1958)

— ابـن زيـــدان
اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس — خمسة مجلدات —
الرباط 1347 — 1352 هـ 1929 — 1933 م

— ابن سليمان الحوات
البدور الضاوية مخطوط في خع = 394

— ابن عـذاري

البيان المغرب ج 1 طبعة لبنان ج 4 طبعة تطوان 1956 .

— ابن عسكـــر
دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر
مطبعة فاس الحجرية 1322

— ابـن العمـــاد
شذرات الذهب في اخبار من ذهب — طبعة القاهرة 1351 (ثمانـــي
مجلدات — لبنان)

— ابـن عيشون الشراط
الروض المعطر الانفاس باخبار الصالحين من اهل فاس (مخطوط)

— ابن فرحـــون
الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب
طبعة مصر 1351 (والمطبعة الحجرية بفاس)

— ابن القاضـــي
1) جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس
جزء واحد — المطبعة الحجرية بفاس 1309 هـ
اختصره الاستاذ عبد الله الجراري في مجلد صغير (مخطوط)

2) درة الحجال في غرة أسماء الرجال الرباط 1354 — 1936 (جزآن)

— ابو سالم العياشـــي
رحلته : ماء الموائد : المطبعة الحجرية بفاس مجلدان 1316 هـ / 1898 م

— ابو عبيد البكـــري
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك (طبعة الجزائر 1911)

— ابـــو علـــي الصدفـــي
المعجم في اصحاب ابي علي الصدفي (جمعه ابن الابار — مجريط 1885)

— احمد بن الامين الشنقيطـــي
الوسيط في تراجم أدباء شنقيـــط
الدار البيضاء 1378 — 1958

— احمد بن خالد الناصري
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى — اربعة اجزاء — المطبعة المصرية 1312 هـ / 1895 م

— احمد بن محمد المقري التلمساني
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب
10 مجلدات — مطبعة السعادة — القاهرة 1367 / 1949

— احمـــد سكيرج
كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الاصحاب — مطبعة فاس الحجرية

— اكنســـوس
الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي
طبعة فاس الحجرية — مجلدان 1336 هـ / 1918 م (خع = 381)

— بـــابـــا التنبكتـــي
نيل الابتهاج بتطريز الديباج (المطبعة الجديدة بفاس)
وعلى هامش الديباج طبعة 1351

— احمـــد المنجـــور
الفهرسة — مخطوط ليفي بروفنصال

— الوزيـــر جمـــال الديـــن القفطـــي
انباه الرواة على انباه النحاة
مطبعة القاهرة — 1369 / 1950 (ثلاثة اجزاء)

— حـــاجـــي خليفـــــة
كشف الظنون — طبعة فلو يجل Fluegel

— الحضيكي محمد بن احمد الكوسي الجزولي
الطبقات المطبعة العربية بدرب غلف البيضاء 1355 / 1937

— الحفناوي
تعريف الخلف برجال السلف — مجلدان الجزائر 1328 / 1909
— الخفاجي
ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا — القاهرة 1294
— الذهبي
1) تذكرة الحفاظ — طبعة وستنفلد (Wustenfeld)
2) العبر في خبر من غبر — طبعة الكويت 1963
— الزركلي خير الدين
الاعلام معجم تراجم — عشرة اجزاء طبعة 1375 — 1956
— السخاوي
الضوء اللامع لاهل القرن التاسع (طبعة القاهرة 1355 / 1937)
— السيوطي عبد الرحمن
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (مجلدان)
طبعة القاهرة 1384 هـ / 1964 م
مطبعة السعادة — مصر 1326 هـ / 1909 م
— صلاح الدين الصفدي
الوافي بالوفيات
الجزء الاول : طبعة هلموت ريتر Hellmut Ritter, Wiesbaden 1962.
الجزء الثاني : طبعة اسطامبول 1949
الجزء الثالث والرابع (المطبعة الهاشمية — دمشق 1953 — 1959
— عباس بن ابراهيم المراكشي
الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام
خمسة مجلدات مطبوعة (1355 هـ — 1936 م) وثلاثة مخطوطة (خع)
— عبد السلام بن سودة
دليل مؤرخ المغرب الاقصى (جزءان)
دار الكتاب — الدار البيضاء 1960 — 1965
— عبد العزيز بنعبد الله
1) معجم أعلام النساء
مجلة اللسان العربي — المجلد السابع
2) معطيات الحضارة المغربية جزءان — الرباط 1960
3) رسل الفكر بين الشرق والغرب مجلة اللسان العربي (م . 4)
— عبد الواحد المراكشي
المعجب في تلخيص اخبار المغرب — طبعة سلا 1357 هـ / 1938 م
— علي التمكروتي
النفحات المسكية في السفارة التركية (مطبوع)
— كلية الآداب
(جامعة محمد الخامس بالرباط) مجلة هسبريس Hesperis
— المحبي محمد
خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر (اربعة مجلدات القاهرة 1868/1284
— محمد البشير الفاسي
قبيلة بني زروال الرباط 1962 / 1381
— محمد بن أبي بكر التطواني (سلا) بعض اعلام المغرب مخطوط (يرمز اليه بالتاء)

— محمد بن احمد ميـــــارة
الدر الثمين في شرح المرشد المعين لابن عاشر — القاهرة 1889/1306

— محمد بن جعفر الكتانـــــي
سلوة الانفاس ومحاضرة الاكياس فيمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس
(مجلدان — طبعة فاس الحجرية 1316)

— محمد بن شاكر الكتبـــي
فوات الوفيات (جزءان) مطبعة السعادة — القاهرة 1371 هـ / 1951 م
وقبلها مطبعة بولاق 1282 هـ / 1866 م

— محمد بن الطيب بن عبد السلام الشريف القادري
نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني — المطبعة الحجرية بفـــاس
(1349 هـ / 1930) مجلدان

— محمد بوجندار الرباطـــي
الاغتباط بتراجم اعلام الرباط
مخطوط خع — 1287 — جزءان — ومخطوط الاستاذ عبد الله الجراري

— محمد داود — تاريخ تطوان
خمسة اجزاء — تطوان — معهد مولاي الحسن (1379 هـ / 1959 م)

— محمد عبد الحي الكتانـــي
« فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات »
طبعة فاس مجلدان — 1386 هـ / 1927 م

— محمد العربـــي الفاســـي
مرآة المحاسن من أخبار الشيخ لبي المحاسن — مطبعة فاس الحجرية1324

— محمد فريـــــط
فواصل الجمان في انباء وزراء وكتاب الزمـــان طبعة فاس 1346

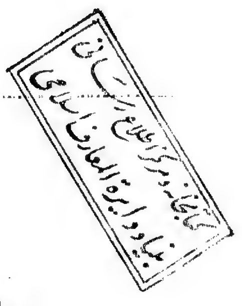
— محمد المختار السوسي
المعسول (20 مجلدا) — مطبعة النجاح — الدار البيضاء (1380 — 1961)

— محمد المهدي الفاسي
ممتع الاسمـاع في اخبار الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع
طبعة فاس الحجرية (1305 هـ و 1313 م)

— مخلوف محمد بن محمد
« شجرة النور الزكية في طبقات المالكية »
مجلدان — طبعة القاهرة 1349 / 1930

— يـــاقـــوت الحمـــوي
معجم البلدان — طبعة دار السعادة القاهرة
10 مجلدات (1323 هـ / 1906 م)

— اليـــوســـي
المحاضرات — طبعة فاس الحجرية 1317 هـ



— الـرمـــوز :

خــع = الخزانة العامة بالرباط
خس = الخزانة الاحمدية السودية بفاس
خــق = خزانة جامعة القرويين

المراجـــع الاجنبيـــة

A. Graulle ترجمة دوحة الناشر لابن عسكر

Archives marocaines XIX, Paris 1887, A. Graulle et Maillard, Michaux-Bellaire,

ترجمة نشر المثاني لمحمد القادري

Archives marocaines XXI, 1913 et XXIV, 1917.

Ch. André Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, Payot - Paris, 1931.

Ben Cheneb, Etude sur les personnages mentionnés dans l'Idjâza du Cheikh Abd al Kader, Paris 1907.

Prof. Dr C. Brochelmann, Geschichte der Arabischen litteratur - Leiden E. J. Brill 1936.

De Castries et ses collaborateurs - Sources inédites de l'Histoire du Maroc.

E. F. Gautier, Siècles obscurs du Maghreb - Paris, 1927.

Encyclopédie de l'Islam - Nouvelle édition - Leyde, E. J. Brill 1960 - Paris.

Jacques Caillé - Les accords internationaux du Sultan Si Mohamed Ben Abdellah (1757-1790) - Tanger, 1960.

Léon l'Africain - Description de l'Afrique, éd. Ch. Schefer, 3 vol. - Paris, 1897.

(L. Massignon, Le Maroc dans les premières années du XVI° siècle, 1 vol. - Alger, 1906).

E. Lévi-Provençal :

1) L'Espagne musulmane au X° siècle - Larose - Paris, 1932.

2) Histoire des Chorfa - Paris, 1922.

A. Mouliéras, Le Maroc inconnu, 2 vol. Oran-Paris, 1895-99.

Renaud, La Zawiya de Sayyidi Hamza, Hespéris, T. XVIII.

Robert Montagne, Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc - Paris, 1930.

نموذج من تراجم الموسوعة

العيّاشي (أبو سالم)

الأستاذ محمد الأخضر

(الرباط)

ننشر هذا البحث كانموذج للاطار العام الذي ستندرج فيه تراجم الاعلام ، وقد تضاف الى بحث كهذا دراسة خاصة عن اتجاه المترجم له في رحلته ومقارنة هذه الرحلة بالرحلات الاخرى والنظرة الجديدة المستقاة منها :

هو الرحالة الكبير والعلامة الشهير ابو سالم عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف . وكان يعرف بمفيف الدين المالكي المغربي . وينتمي نسبه الى الادارسة .

ولد لليلة بقيت من شعبان 1037 موافق 4 ماي 1628 في قبيلة آيت عياش البربرية ، المتاخمة لبلاد الصحراء من احواز سجلماسة ، والواقعة في جبل الاطلس الكبير ، جنوبي مدينة ميدلت الحالية . على بعد 60 كلم منها . فنشا هناك وقرا على ابيه الذي اسس زاوية في سنة 1044 - 35\1634 ، قرب قرية تازروفت ، على ضفة احد روافد نهر زيز ، باشارة من شيخه محمد بن ابي بكر الدلائي .

ثم رحل الى وادي درعة ، حيث لازم الشيخ محمدا بن ناصر واخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والتصوف . وبعد ذلك توجه الى مدينة مراكش ، ولقي بها الشيخ ابا بكر بن يوسف السجستاني المراكشي الذي لقنه الذكر واجازه اجازة عامة مشتملة على الاذن له في لبس الخرقة والجلوس على السجادة لموعظة المريد .

وفي سنة 1063 هـ - 1652 م اجلي مع عشيرته الى مدينة فاس لكونه رفض خطة القضاء بمراكش التي عرضها عليه السلطان محمد الشيخ السعدي . فاقام بها سنة كاملة قرا فيها على اجل اساتذة ذلك العصر امثال (1) الشيخ عبد القادر بن يوسف الفاسي: اخذ عنه علوما جمة كالتفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والاصلين والتصوف ، واجازه في منتصف شعبان 1063 = 11 يوليوز 1653 . ونص هذه الاجازة هو الذي ترجمه محمد بن شنب تحت عنوان Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjâza du cheikh ʿAbd el-Qâdir el Fâsy المذكور اسفله ضمن المراجع ، (2) وحمدون الابار : قرا عليه المختصر وفرائضه بالعمل وجملة من التلمسادي ، وصحيح البخاري والفاتحة لابن مالك ؛ (3) ومحمد بن احمد ميارة : قرا عليه جملة من الفقه المالكي فاجازه ؛ (4) وعبد الرحمن بن القاضي ؛ (5) والقاضي محمد بن سودة : قرا عليه الفقه المالكي؛ (6) وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي : قرا عليه الروضة وقصيدة في الاسطرلاب وضعها من أجله ؛ (7) واحمد بن علي بن مواشي الزرهوني ؛ (8) وعبد السلام بن ناصر ؛ (9) وعلى الزرهوني ؛ (10) وميمون الرتبي ؛ (11) وحمدون المزوار ؛ (12) ومحمد بن ابي القاسم الدادسي .

حج أبو سالم العياشي ثلاث مرات ، اقام خلالها في القاهرة ومكة والمدينة وبيت المقدس والرملة: الاولى عام 1059 = 1649،والثانية عام 1064=1654 والثالثة عام 1072 = 1661 . واثر سفره الاخير الف رحلته المشهورة « ماء الموائد » ، المطبوعة على الحجر في مجلدين بفاس عام 1316 = 1898 .

وخرج، في حجته هذه، من سجلماسة يوم السبت 10 ربيع الثاني 1072 = 3 دجنبر 1961 ودخل مكة المكرمة عشية يوم السبت 5 ذي الحجة من السنة المذكورة = 22 يوليوز، بعد ما قطع المراحل الآتية : وادي جير، ضاية الحمام، توات، واركلا، طرابلس، اليهودية، برقة، درنة، انبابة، القاهرة، درب الحجاز، الدار الحمراء، السويس، البندر، الينبع، بدر، رابغ والظهران.

ولقي بمصر السيد ابا اللطف الوفائي، الذي البسه الخرقة وكناه ابا سالم بقوله : « سالم ان شاء الله في الدنيا والآخرة ! » ؛ سمع عليه بلفظه جملة صالحة من مناسك الحطاب وخطبة القاموس وخطبة نفح الطيب

وبعد تادية مناسك الحج، توجه الى المدينة المنورة لزيارة الاماكن المقدسة، وذلك يوم الخميس 2 محرم الحرام 1073 = 17 غشت 1662 . واثناء اقامته، التي دامت ثمانية اشهر، تمكن من التعرف على عدد كبير من المشايخ، منهم : (13) علي الاجهوري : قرا عليه البخاري وابن ماجة وابن الجوزي ؛ (14) ابراهيم الميموني . اخذ عنه الترمذي والبخاري ومسلم والشفاء ؛ (15) شهاب الدين الخفاجي، امام الحنفية بمصر ؛ (16) ابو الحسن علي ابن عبد الرحمن الربيع اليمني الزبيدي، الذي كان قد لقيه بمكة عام 1064 = 1654 : اخذ عنه القراءات السبع واجازه ؛ (17) الملا ابراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري الشهراني : اخذ عنه الحديث المسلسل بالاولية وشرح الهداية في الحكمة لولد السيد الجرجاني والتحفة المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في علم الحقائق للشيخ محمد بن فضل الله المهدي ؛ (18) القشاشي : لقنه الذكر وحضه على لزوم طريقة السادات الشاذلية ؛ (19) ياسين بن محمد بن غرس الدين الخليلي : قرا عليه صحيح البخاري واحياء علوم الدين وبعض كتاب المواهب وبعض كتاب الشفا وغير ذلك، واجازه اجازة عامة ؛ (20) ابراهيم بن الشيخ خير الدين ؛ (21) بدر الدين الهندي : اخذ عنه مختصر السعد التفتزاني على تلخيص المفتاح واول شرح المواقف للسيد واول شرح القطب على الشمسية ؛ (22) جمال الدين الهندي النقشبندي ؛ (23) شهاب الدين احمد بن التاج ؛ (24) محمد القزاري ؛ (25) يحيى بن الباشا الاحسائي الحنفي ؛ (26) علي الضرير المالكي الاحسائي : قرا عليه الرسالة وتفسير البغوي والدر المنثور للسيوطي؛ (27) محمد السوداني : قرا عليه المختصر ؛ (28) محمد ابن رسول الشهرزوري : اخذ عنه فقه الشافعية ؛ (29) السيد مصطفى . ولقي بها محمد بن محمد بن سليمان الروداني .

ولقي بالرملة السيد محمد بن ابي الوفاء الاشقر الحسيني وعقد معه الاخوة عند قبر سيدنا الفضل ابن العباس .

عاد الى مكة المكرمة وال رمضان 1073 = 9 ابريل 1663 ولقي بها بعض الافاضل والاخوان منهم : (30) زين العابدين الطبري الحسيني، الذي اجازه ؛ (31) ابو محمد عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري ؛ (32) عبد الرحمن الثعالبي الجزائري ؛ (33) سعيد المقري : اخذ عنه جميع معجم الطبراني الصغير بلفظه واربعين حديثا عن اربعين شيخا لتقي الدين الفاسي والربع من الشمائل والفوائد المنتخبات الحسان من الصحاح والغرائب، تخريج ابي نصر الشيرازي من اصول سماعات القاضي ابي الحسن علي بن الحسن الخلفي (20 جزءا) .

وكان رجوعه الى بلاده يوم الاربعاء ظهرا 17 شوال 1074 = 13 ماي 1664، سالكا تقريبا نفس الطريق التي مر بها في ذهابه . وكانت مدة غيابه ثمانية عشر شهرا وسبعة أيام .

وتوفي بالطاعون في 17 ذي القعدة 1090 = 20 دجنبر 1679 (في 18 منه = 21 دجنبر حسب القادري وفي 10 منه = 13 دجنبر حسب مصادر اخرى) . والارجح هو الاول المذكور في « الثغر الباسم » (ص 20) .

خلف العياشي، بالاضافة الى رحلته المذكورة: (34) **في النحو** كراسة في لو الشرطية؛ — (35) **في الفقه:** ا — شرح المحلي (لم يكمل) ؛ ب — راجوزة في البيوع لابن جماعة «معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب»؛ ج — شرح هذه الارجوزة « ارشاد المنتسب الى فهم معرفة المكتسب » ؛ د — « اجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل » ؛ هـ — « القول المحكم في عقود الاصم الابكم » ؛ و — « العلاوة فيما ركع في محل سجود التلاوة » ؛ ز — « المقربات في اصطلاح الوتريات » ؛ ح — « تحرير الكلام في امر النبي صلى الله عليه وسلم في المنام » ؛ (36) **في علم الكلام** : « الكشف والبيان في مسالة الكسب والايقان ؛ (37) **في الحديث** : ا — « المسلسلات العشرة المنتخبة » ؛ ب — « الحكم بالعدل والانصاف الدافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء

سجلماسة من الاختلاف في تكفير من اقر بوحدانية الله وجهل بعض ما له من اوصاف » ؛ (38) الفهـــارس :

ا ــ « اقتفاء الاثر بعد ذهاب اهل الاثر » او (« مسالك الهداية الى معالم الرواية » او « المجالـة المرقيـــة باسانيد الفقهاء والمرشدين والصوفية ») ؛ ب ــ «تحفة (او «اتحاف») الاخلاء باسانيد الاجلاء » ؛ جـ ــ«وسيلة العبد الغريق باثمه في الطريق » ؛ (39) في التصوف :

ا ــ نظم اصول الطريقة لزروق ، ب ــ « اظهار المنة على المبشرين بالجنة » ؛ جـ ــ « تنبيـــه ذوي الهمـــم العالية على الزهد في الدنيا الفانية » ؛ د ــ « سنـــوق العروس وانس النفوس » ؛ (40) في مـــدح النبـــي : مجموعة تشتمل على اثنين واربعين قصيـدة ؛ (41) قصيدة في صناعة الجدول ؛ (42) رسالـة الى ابـــي العباس احمد بن سعيد المجيلدي في الحج .

وهذه الرسالة هي التي ترجمها الى الفرنسية ؛ مع مقدمـــة ، والدنـــا المرحـــوم تحت عنـــوان :
Etapes du pèlerin de Sijilmassa à la Mecque et Médine
وهي مذكورة من بين المراجع اسفله .

المـــراجـــع

1 ــ العـــربيـــة

— ابن تاويت محمد ومحمد الصـادق عفيفـــي ، « الادب المغربـــي » ، دار الكتاب اللبنانـــي ، بيروت ، 1960 ص 337 .

— ابن الحاج احمد بن محمد بن حمدون ، « الدر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن مخطوط مكتبة خير الدين الزركلي بالرباط .

— ابن زاكور محمد ، « نشر ازاهر البستان فيمن اجازني بالجزائـــر وتطـــوان من فضلاء الاكابر والاعيان » ، مطبعة الجزائر 1319 = 1901 ، ص 60 .

— ابن زيدان عبد الرحمن ، « المنزع اللطيف في التلميح بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم ج 595، ص 310.

— ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر ، «دليـــل مؤرخ المغرب الاقصى » ، دار الكتاب ، الـــدار البيضاء ، الجزء الاول ، 1960 ، الجزء الثاني ، 1965 ، جا ، ص 29، 179، 216 ،233، و 362

— الافراني محمد الصغير ، « صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر » المطبعة الحجريـــة بفاس ، ص 191 .

— البشير محمد ظافر الازهري ، « اليواقيـــت الثمينة في اعيان مذهب عالم المدينة » مطبعـــة العروة الوثقى القاهرة ، 1325 ــ 08\1907 ج 1 ، ص 178 .

— الجبرتي عبد الرحمن ، « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » ، مطبعة بولاق ، 1277 ــ 1860 : ج 1 ، ص 65 ، 68 .

— بنعبد الله عبد العزيز ، « الحركة الفكريـــة في العهد العلوي » ، رسالة المغرب ، العدد 134 ، صفر 1371 = نونبر 1951 ، ص 13 .

— الحجوي محمد ، « الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي » ، مطبعة ادارة المعارف العموميـــة بالرباط 1340 = 22\1921 ، ومطبعة البلدية بفاس ، 1345 = 27\1926 ، اربعة اجـــزاء ، ج 4 ، ص 114 ، رقم 770 .

— حجي محمد ، « **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** » ، المطبعة الوطنية ، الرباط ، 1384 = 1964 ، ص 65 .

— الزركلي خير الدين ، « **الاعلام معجم تراجم** » ، عشرة اجزاء ، الطبعة الثانية بدون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع (1) ، ج الرابع ، ص 273 (ب) — 274 (أ) .

— العياشي عبد الله بن عمر ، « **الاحياء والانتعاش فى تراجم سادات زاوية آيت عياش** » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم د 1433 ، ص 43 — 171.

— العياشي محمد بن حمزة ، « **الثغر (او الزهر) الباسم فى جملة من كلام ابي سالم** » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم ك 304 .

— الفاسي محمد ، « **الرحالة المغاربة وآثارهم** » : **القلوب بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجذوب** » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم ك 326 .

— الفاسي محمد ، « **الرحالة المغاربة وآثارهم** » ، دعوة الحق ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، رجب 1378 = يناير 1959 ، ص 22 (أ) و (ب) .

— القادري محمد بن الطيب ، « **التقاط الدرر** » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم د 676 ورقة 35 (ب) 2) « **نشر المثاني** » ج 2 ص 45 ، 3) « **النشر الكبير** » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم ك 2253 ، ج 1 ورقة 142 (أ) — 144(ب).

— الكتاني محمد عبد الحي ، « **فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**» المطبعة الجديدة بالطالعة ، فاس ج 1 — 1346 = 1927 ، ص 118 و 123 ، ج 2 1347 = 1928 ص 23 و 211 و 443 .

— كنون عبد الله،«**النبوغ المغربي فى الادب العربي**» دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1961 ، لثلاثة اجزاء ؛ ج 3 : ص 79 ؛ 155 ؛ 156 .

— المحبي محمد ، « **خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادي عشر** » ؛ مصر 1284 = 1867 .

— مخلوف الشيخ محمد بن محمد ، « **شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية** » ، المطبعة السلفية القاهرة 1349 = 31\1930 ج 1 جزءان صفحة 314 .

— المنوني محمد ، « **مكتبة الزاوية الحمزاوية** » ، مجلة تطوان ، السنة 1963 ، العدد 8 : ص 96 — 108 .

— النميشي احمد،«**تاريخ الشعر والشعراء بفاس**» مطبعة اندري ، فاس 1343 = 1924 ، ص 32.

---

1) يوجدان ءاخر كل جزء وهما مطبعة كوستا تسوماس وشركاه 1374 هـ \ 1954 م (اللسان العربي)

ABDELJALIL (J. M.), **Brève histoire de la littérature arabe**, G. P. Maisonneuve, Paris, 1943, pp. 211-212.

BASSET (R.), **Recherches bibliographiques sur les sources de la Salouat el-anfas**, dans **Recueil de Mémoires et de textes publiés en l'honneur du XIV° Congrès des orientalistes**, Alger, 1905, n° 81, p. 31.

BEN CHENEB (M.), **Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjâza du cheikh 'Abd el-Qâdir el-Fâsy**. Extrait du tome V des **Actes du XVI° Congrès International des orientalistes**, Paris, 1907, § 4.

BERBRUGGER (A.), **Voyages dans le Sud de l'Algérie et des Etats barbaresques de l'Ouest et l'Est**, par el-'Aïachi et Moulay-Ahmed, dans **Exploration scientifique de l'Algérie** (Sciences historiques et géographiques), IX, Paris, 1856.

BERQUE (J.), **Al-Yousi. Problèmes de la culture marocaine au XVII° siècle**, Ecole pratique des Hautes Etudes, VI° section, Paris, Mouton et co., 1958, p. 77, 105, 112, 117.

BLACHERE (R.), **Extraits des principaux géographes arabes du Moyen-Age, Etudes Arabes et Islamiques**, Paris, 1957, pp. 369-370.

BROCKELMANN (C.),

a) **Geschichte der Arabishen Litteratur**, nlle édition, E. J. Brill, t. II, 1949, pp. 616-617.

b) **Suppléments**, t. II, 1938, pp. 711-713.

DE MOTYLINSKI (A. de), **Itinéraires entre Tripoli et l'Egypte**, Alger, 1900.

EL FASI (M.), **La littérature marocaine. Maroc. l'encyclopédie coloniale et maritime**, Paris, édition de l'Empire français, 1948, p. 533 (B.).

Encyclopédie de l'Islam, nlle édition, t. I (A-B), Leyde, E. J. Brill, 1960, Paris, G. P. Maisonneuve, article Ben Cheneb (Pellat), pp. 818 (A et B)

FAGNAN (E.), **Catalogue des manuscrits de la Bibliothèque Nationale d'Alger**, n° 1670, 1902.

HADJ SADOK (M.), **Le genre rihla**, dans **Bulletin des Etudes Arabes**, nov.-déc. 1948, pp. 204-205.

HUART (Cl.), **Littérature arabe**, Librairie A. Colin, Paris 1923, p. 384.

LEVI-PROVENÇAL (E.), **Les historiens des Chorfa. Essai sur la littérature historique et biographique du XVI° au XX° siècle**, Paris, E. Larose, 1922, pp. 262-264.

PELLAT (Ch.), **Langue et littérature arabes**, Collection A. Colin, Section de Langues et Littératures, n° 278, Paris, 1952, p. 184.

RENAUD (dr H.P.J.), **La zawiya de Sayyidi Hamza**, dans **Hespéris**, t. XVIII, p. 82.



II

الأستاذ عبد القادر زمامة
« فاس »

131 ـ عبار

العبار : صاحب المكيال الذى يكيل الحبوب فى «الرحبة» وهي سوق الحبوب ، من قمح ، وشعير ، وقطاني ، وغيرها .. والجمع العبارة .. ويقوم العبار بنفس العمل بالنسبة لحب الزيتون ، والحلزون ، والملح .. وله اجر معلوم .

132 ـ عجان

الخباز والسفاج يستخدم كل منهما عجانا يعجن الدقيق ويعده لوقته المناسب .. ومن اجل ذلك لا يذكر الا تبعا للخباز والسفاج .

133 ـ عدل

العدل : هو الذى يتولى تحمل الشهادات واداءها وكتابة العقود والوثائق .. والجمع عدول

134 ـ عريف

العريف عند الجزارة خاصة هو الذى يتولى الفصل فى المنازعات المتعلقة باللحوم ، والمجزرة ، وسوق الماشية . وما الى ذلك ..

وهذا مجرد اصطلاح وعرف ... والا فالعريف هو صاحب المعرفة الخبير .. ومن اجل ذلك نجد ان كثيرا من المشاكل « المدنية » ترجعها المحاكم الى العرفاء فى البناء ، والتجارة ، ومجاري المياه ..

انظر رقم 3 اهل البصر ..

135 ـ عريفة

العريفة : هي المراة المعينة من قبل السلطة للدخول الى المنازل ، والتعرف على ما بداخلها ... كما انها تعتمد عند القاضي الشرعي فى الاشهاد على شؤون النساء التى لا يطلع عليها الرجال ..

والجمع عريفات .. او عرائف .

136 ـ عساس

العساس : شرطي الاحياء والجمع العسة او العساسة

137 ـ عشاب

العشاب : صاحب الاعشاب والعقاقير الصالحة للدواء والعلاج وغيرهما .. ويضيف الى ذلك شيئا آخر وهو الاحتفاظ بعدد من الوحوش والطيور

المصيرة .. كالارنب والحرباء والقنفذ والغــراب والنسر من اجل بيعها لمن يطلبها للعلاج او غيره .. وسوق العشابين شهيرة بفاس .

138 ـ عطـــار

اصل العطار بائع العطر .. ولكن العطار يطلق على كل من يتجر في التوابل ، والعقيـق ، والصابـون ، وما يشبه ذلك من عقاقير ، ومعاجيـــن .. وادوات لخياطة ، وادوات الكتابة .

139 ـ عــلاف

العلاف هو الذى يعلـف المواشي ليذبحهـا او يبيعها حية ؛ والجمع علافــة .. وهــم عــادة من لجزارين الاغنياء ..

وقد كان العلاف في الاصطلاح المخزني يعني لمكلف بالسهر على تموين الجيش في «الحركة» .

140 ـ عــواد

العواد : محترف صنـع ادوات العـود مـن حاريث ومغارف ومداري وغيرها .. وهناك سوق موادين ...

ويطلق العواد ايضا على الموقع على العـود في وق الآلة الاندلسية والجمع عوادة ..

141 ـ عــون

العون والجمع الاعوان . وهم اصحاب القاضي شرعي الذين يقومون بتبليـغ اوامـره واحكامـه استدعاءاته الى الخصوم ، والوكـلاء والشهـود .

142 ـ غرابلـي

صانع الغرابيل .. وكذلك عامل الرحـوي كلفة بغربلة الدقيق .. والجمع غرابلية .

143 ـ غســال

الغسال هو الذى يتولى غسل الامـوات مـن جال . كما ان الغسالـة هي التى تتولى غسل النساء .. والاطفال تغسلهم القوابل .. ولا يتعاطى هذا العمل الا من اشتهر بالفضـل والاستقامـة . والمعرفـة ..

144 ـ غمــاد

صانع الغماد السيوف .. والحرفـة انقرضت ولكن ما زالت هناك اسرة تحمل اسم الغماد ..

وكانت هناك سوق تسمى الغماديـن .. كمـا تسمى ايضا الجوايين بمعنى الذين يصنعون «جوى» السكاكين ..

انظر جواي ... رقم 29

145 ـ غيــاط

الغياط : صاحب (الغيطـة) وهي مزمـار شهير ، والغياط رفيق الطبـال .. ومن الطباليـن والغياطين يتكـون جـوق من اجـواق الموسيقـى الشعبيـــة .

146 ـ فتـــالة

الفتالة :هي المراة التى تقوم (بفتـل) حبـات (الكسكس) و (الشعرية) و (المحمصة) من خالص الدقيق .. والجمع فتالات ..

ولهن مكان خاص يجتمعن فيـه في الصـباح الباكر ..!

147 ـ فحـــام

الفحام والجمع فحامة وهـم بالعــو الفحـم الخشبي ... ويطلق على الفحم احيانا اسم البياض ابتعادا عن كلمة الفحم المشعرة بالسواد ..!!

148 ـ فخـــار

هو المحترف بصنع الادوات الخزفية والآجـر الفخار و (الفخارين) ..
ومكان خاص ازاء الفرن يسمى (ار العمل) .. وجمع و «الزليج».ولكل فخار فرن خاص يسمى «الكوشة» ومكان خاص ازاء الفرن يسمى «دار العمل» .. والجمع فخارة وفخارين .

149 ـ فــــداوي

الفداوي : هو القصاص الذى يجتمع النـاس حوله ليسمعوا الف ليلة وليلـة .. والعنترية .. وسيف بن ذي يـزن .. وغيرهـا .. والجمـع فداويـة ..

150 ـ فـــران

صاحب الفرن الذى يطبخ الخبز والحلـوى وما الى الى ذلك .. والجمع الفرانة ..

وكلمة فران تطلـق على كـل مـن الفـرن .. وصاحبـه ..

151 ـ فـرايـضـي

العدل المكلف من قبل القاضي لتقدير الفروض .. ويكون على خبرة بالاسعار والاعراف والتكاليف العائلية .

152 ـ فــلاح

كل من له فلاحة يسمـى فلاحـا سواء كـان يشتغل بها بنفسه او بواسطة (خماسه)

153 ـ فــلاس

الفلاس هو الذى يتولى البحث فى مياه الوديان عما يمكن ان يكون قد سقط فيها من ادوات او قطع معدنية ... فيجمعها ، ويصلحها ، ويبيعهـا فـى السوق .. ! والجمع فلاسة ..

154 ـ فـرنـاتشـي

هو الذى يتولى تسخين مياه الحمامات فيظل محركا بعوده الحديدي « الزوبية »... وله عمل آخر وهو انه يجعل ازاءه كومة من الرماد الحار يدفن فيها عدة قدور مغلقة مليئة باكارع البقـر او الخرفـان لينضجها لاصحابها .. وكل واحـد يسمـى قـدره « طنجية » اما شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم فقد كان يسميها فى شعره « بنت الرماد »

155 ـ قابلـة

القابلة معروفة . والجمع : القوابل .

156 ـ قبــاب

صانع القباب الخشبية التى كانت تستعمل فى الحمامات . وسوق القبابين معروفة ..

157 ـ قبــاض

هو الذى يتولى قبض الاكرية والغلات والجمع القباضة

158 ـ قـــراب

هو السقاء والجمع القرابة .. ويدعـي ايضـا الاميــن

159 ـ قـــزادري

هو محترف صناعة الادوات القزديرية ويسمى احيانا « الفنابري » باعتبـار ان « الفنـار » اهـم مصنوعاته و « الفنار » هو المصبـاح المصنـوع مـن الزجاج والقزدير وفى وسطه شمعة ..

160 ـ قشــاش

القشاش واسطة بين البقال والعطار ..

فالبقال يبيـع الادام ومـا اليـه . والعطـار

المقاقير والتوابل . امـا القشاش فيبيـع الدقيـق والسميد والفاكهة اليابسة والجبن وما الى ذلك ..

وقد يطلق القشاش على بائع الادوات المعدنية والزجاجية واللعب وغيرها ..

ولكل من الاطلاقين آثـار نذكـر منهـا على سبيل المثال :

1) ان الاطـلاق الاول ينسـب اليـه الرطـل المعروف بالرطل القشاشي الذى كـان يـزن 750 غـرام

2) ان الاطلاق الثاني ينسب اليه سوق تباع فيها هذه الادوات وهي سوق القشاشين ..

161 - قصـــار

هو معالج الثياب بغسلها ودلكها وتليينها بعد خروجها من المناسج .. وقد كان القصارون يقومون بعملهم هذا على ضفة الوادي .. وفي كتب الحسبة الاندلسية والمغربية معلومات عن هذه الحرفة .. وقد انقرضت ولم يبق لها رسم ولا طلل ...

162 - قطـــاب

القطاب هو الذى يحمـل على دوابـه الجيـر والرمل والآجر وما الى ذلك من مواد البناء والجمـع القطابة ..

163 - قفـــاص

القفاص او القفاز هو الذى يصنـع الاقفـاص ويبيعها وسوق القفاصين او القفازيـن ما زالـت معروفة بالجوطية ..

164 - قنـانبـي

هو محترف صنع خيـوط القنـب والحبـال والشباك وسوق القنانبيين معروفة ازاء القرويين .

165 - قهـوجـي

هو الذى يقدم القهوة والشاي لمن يطلبهما منه .. وربما حملهما الى حوانيت زبنائه فى الاسـواق والجمع القهاوجية .

166 - قـوادسـي

هو الذى يحترف باصلاح المياه وتعهد المجاري والجمع القوادسية ويسمون بالقنويين ايضا ولهـم مكان خاص يجتمعون به ومنهم يختار اهل المدينة : شيخ الماء الحلو المسمى (مولى الواد)

وشيخ الماء المضاف المسمى (مولى بوخرارب)

167 - كـتـبـي

بائع الكتب ومن ابواب القرويين باب سـوق الكتبيين .

168 - كـتـانـبـي

الكاتب والكتانبي يعنيان محترف الكتـابة .. والغالب ان الكاتب يعنون به الكاتب فى منصب عال اما الكتانبي فيعنون به ما كان دون ذلك ..

169 - كـســاب

الكساب هو مربي الحيوانات للنتاج والجمـع الكسابة ..

170 - كـفـايـتـي

الكفايتي . والجمع الكفايتية ، وهم اصحـاب حوانيت يشوون فيها قضبان «الكفتة» ويقدمونها للزبناء و(الكفتة) تعني اللحم المدقوق مع الشحم والتوابل

171 - كـفـــاط

الكفاط ، او الكفاد: صانع الكافط او الكافد.. ومن الاحياء الاثرية فى فاس حي الكفاطين او الكفادين . وقد انقرضت الحرفة ودرس الحـي ولم يبق الا اسرة اولاد الكفاط ..

172 - كـمـــاخ

وهو الذى يتولـى (تكميـخ) عظـام السـروج وصقلها وتليينها .. وقد كانت حوانيت الكماخيـن قريبا من باب بوجلود وما زالت السقاية تسمى سقاية الكماخين .. كما فى الحوالة الحبسية .

173 - كمـانـجـي

صاحب الكمنجة فى جوق الآلة الاندلسيـة والجمع الكمنجية

174 ـ كنابري

«الكنبري» من ادوات الطرب في جوق الموسيقى الشعبية .. والكنابري صاحب الكنبري الضارب عليه والجمع الكنابرية بالكاف المعقودة ..

175 ـ كناف

الكناف : هو متعهد الكنيف وما اليه من مجاري المياه القذرة .. والمياه القذرة تسمى « عطارة » كما تسمى بالماء المضاف ..

176 ـ كوافري

هو صانع « الكوفري » Coffre

والكوفري صندوق خشبي مغلف بجلد او ثوب حريري مزخرف بمسامير ملونة ولكل عروس «كوفري» خاص بها تدخر فيه الاعلاق والنفائس من الحلي والثياب .

177 ـ كواي

هو الذى يلحم الادوات المتكسرة او المشقوقة والجمع الكواية .. وهو من قبيل القزادري والفنايري ..

178 ـ كوايحي

« الاكواح » تطع الكبد والشحم تشوى في قضبان و « الكوايحي » بائع الاكواح وهو من قبيل الكفايتي والكبايدي ..

179 ـ كيار

الكيار : صانع الكير والجمع الكيارة ..

180 ـ كيساس

هو الذى يتولى دلك ظهور المستحمين واطرافهم ويجعل في يده « كيسا » من صوف يساعده على ذلك .. انظر رقم 130 طياب

181 ـ لبـاط

« اللباط » والجمع اللباطة ، وهم محترفو ج اصواف جلود الغنم وشعور المعز ولهم فنادق شهير

182 ـ لبان

محترف بيع اللبن « الحامض » والحليب والزبد الطري ، والجبن الطري والجمع اللبانة

183 ـ لبـاد

صانع اللبد وقد كانت هناك سوق اللبادين والحرفة تكاد تنقرض وفى السلوة ج 2 ص (ترجمة «صفية لبادة» التي كانت تصنع (اللبود) توفيـ سنة 1199

184 ـ لـزاز

(اللزازين) من اسواق الطالعة الكبرى واللزازات عبارة عن اعواد كانت تقوم مقام المسا الطويلة فى ضم اجزاء المصنوعات الخشبية مـ ابواب وشبابيك وقناطر خشبية وقد انقرضت هـ الصناعة وتغير اسم السوق ..

185 ـ لـواح

اللواح : اللواحة هم اصحاب حرفة بناء «طبي باسوار المدينة . واسوار القصور الخارجية كانـ تبنى (بطبية) ويقوم بذلك «اللواحة»

ومعلوم ان (طبية) تشتمل على حجارة دقيقـ مرصوصة بالجير . وتتم عملية البناء بين الواح خشـ تنصب على جانبي الجدار .. ثم تزال بعد ذلك وكلمة (طابية) اسبانية الاصل .

186 ـ مـؤذن

المؤذن معروف ، وكان يختار من اهل الفضـ والدين .

187 ـ موقت

العارف باستخراج اوقات الصلاة . وله غرفة ازاء المئذنة فى المساجد الكبرى ..

188 ـ مؤنس الغرباء

هو مؤذن ندي الصوت له احباس خاصة فى مسجد القرويين يبيت منشدا ذاكرا ليؤنس المرضى والغرباء الساهرين .. ولتنظيم هذه العملية يتقاسم المؤذنون فيما بينهم ساعات الليل ليقوم كل واحد بنصيبه من ايناس المرضى والغرباء .. وتلك مفخرة اجتماعية سارت بذكرها الركبان ...

189 ـ مجادلي

المجدول : هو ضفيرة من حرير او صوف او خيط ، والمجادلي هو محترف ضفر المجاديل ، وسوق المجاديل معروفة بفاس ...

190 ـ محاط

المحاط : هو المتجول ببضاعته . اذا وجد ساحة او فضاء نشرها وجلس لبيعها .. وليست له حانوت .. والجمع المحاطة

191 ـ مخزني

هو عون من اعوان السلطة : الباشا او العامل او الوزير بخلاف العون فهو خاص بالقاضي ودار الشرع ، (اي المحكمة) .

192 ـ مزوار

هو الذى يرجع اليه امر بعض الاسر النبيلة وهو الواسطة بينهم وبين السلطة وهو عادة نسابة من اهل العلم والفضل ..

193 ـ مسامري

بائع المسامير والسلاسل فى سوق المسامريين .

194 ـ مسمع

هو المنشد الذى ينشد الامداح النبوية والقصائد الصوفية فى الافراح والمآتم والمواسم والمسمعون لهم جماعة ملتفة حول رئيس ..

195 ـ مشاط

صانع المشط من قرون البقر والكباش وسوق المشاطين شهيرة ..

196 ـ مشامري

المشامري : هو الذى يفتل « المشامير » وهي مجاديل رفيعة من الحرير يضاف اليها احيانا خيوط ذهبية .. تتخذها النساء لرفع اكمام ملابسهن الواسعة ..

197 ـ مشاوري

هو المخزني الذى يتولى الاستئذان لطلب مقابلة الحكام والرؤساء ..

198 ـ مضايمي

(المضمة) هي الحزام وتكون من جلد مطرز وهناك مضمات للنساء واخرى للرجال والمضايمي صانع المضمات .. وكانت هناك (كرزيان) للرجال تباع فى سوق الكرازين .

199 ـ المفتي

هو عالم متضلع من علوم الشريعة يتولى اعطاء نظره ـ استنادا على النصوص التشريعية ـ فى المنازعات المرفوعة الى نظر القاضي .. ويتقاضى على ذلك اجرا ..

200 ـ مقدم الحومة

هو رئيس (الحسة) والواسطة بين اهل الحي والسلطة وكان اهل الحي يختارون (مقدمهم) بموافقة السلطة ..

201 ـ مكاس

قابض المكس المضروب على الاسواق والجمع المكاسة .

202 ـ منجم

هو العارف بالنجوم والاوقات فهو من قبيل المؤقت وربما تعدى ذلك الى اشياء اخرى من معرفة الطالع واسرار الحروف وغيرها .

203 ـ مسورق

هو واعظ ندي الصوت يتولى سرد كتب الحديث والقصص والسيرة على كرسي فى المساجد قبل وبعد الصلاة وله احباس خاصة به .. وربما اطلق عليه (الوراق) انظر السلوة ج 1 ص 303 .

204 ـ مواكني

هو العارف بتفكيك «المكانة» وهي الساعة .. وتركيب اجزائها واصلاحها والجمع المواكنية . وهو المعروف فى بلاد الشرق العربي بالساعاتي ...

205 ـ ناظر

هو الساهر على مصالح الاحباس الكبرى او مصالح احباس الزوايا والاسر والجمع النظار .

206 ـ نجار

النجار واحد النجارة ، وسوق النجارين شهيرة بفاس وما زالت تمثل هيئتها القديمة بحوانيتها الواسعة التى لا ابواب لها ومصنوعاتها المتعددة من جفان وموائد وصناديق وخزانات ، وغيرها .. والى جانبها سوق البلاجين اصحاب حرفة (البلاجة) . والنجارة نوعان :

1) ـ النجار الرقايقي وهو محترف صنع المصنوعات والادوات الخشبية ..

2) ـ النجار (الشفايلي) وهو محترف وضع «قناطر» البناء والسقوف والابواب الكبرى فعمله اساسي فى اشغال البناء والتشييد ..

وهناك «الخشاب» وهو بالاضافة الى معرفته بالنجارة يتجر فى الاخشاب .

وهناك « النشار » وهو من اعوان النجار ويقوم على نشر الاخشاب الكبيرة وتجزئتها الى الواح صالحة لعمل النجار .

وحرفة النجارة تشمل الجميع ..

207 ـ نساخ

النساخ : هو الذى يتولى نسخ الكتب باجر . والجمع : النساخة . وكان للنساخة شان وجمال فني ، قبل ازدهار فن الطباعة

208 ـ نشار

هو الذى يتولى نشر الاخشاب مع النجار والجمع النشارة

209 ـ نفار

صاحب (النفير) وهو مزمار نحاسي طويل ، والموسيقى الشعبية فيها (طبال) وغياط و(نفار) وقد يسمى النفار بواقا .

210 ـ نقاش

متولي النقش على المعادن .. ويطلق ايضا على المعلم «الزلايجي» الذى ينقش «الزليج» والجمع نقاشة ..

211 ـ نقال

هو صاحب دابة ـ حمار او بغل ـ ينقل عليها الاثقال داخل المدينة ، والجمع النقالة .

212 ـ نكافة

هي التي تتولى شؤون العرائس وتسهر على زينتهن ولباسهن ولها جماعة من صواحبها يسمين « الجرايات » انظر رقم 23 .

213 ـ نوايري

هو جامع الازهار، وبائعها. وله ولوع باستنبات الازهار والرياحين . والجمع النواريين.

214 ـ نيار

هو صاحب حرفة كان لها شان كبير وهي صناعة «المناسج » التي يستعملها « الحرارة » و «الدرازة » وهذه « المناسج » عبارة عن حاملات للخيوط لكل خيط عين خاصة يخرج منها ليتصل بغيره من خيوط اللحمة والسدى

وما زالت لهذه الحرفة بقايا فى سوق النيارين وما جاورها . انظر السلوة ج 2 ص 361 .

215 ـ وشاي

الوشاي : هو محترف نقش ركاب الخيل وبردها بعد خروجها من يد الحداد الذي يصنعها.

وقد كانت هناك سوق للوشايين قريبة من السراجيين . وكان الوشاي يقوم بنقش اغماد السيوف والخناجر وما اليهما .

والحرفة الآن تكاد تنقرض .

216 ـ وقاف

الوقاف هو الذى يسهر على مراقبة عمال البناء ويقوم باداء اجورهم وياتيهم بالمواد التى يتوقف عليها عملهم ويكون مكلفا بذلك من طرف السلطة او الاحباس او غيرهما .

217 ـ وزان

هو الذي يتولى فى« قاعة» السمن وزن السمن والعسل كما يتولى «العبار» كيل الحبوب فى «الرحبة» فكلاهما امين مصدق من طرف البائع والمشترى ولهما اجر معلوم .

218 ـ وكيل

هو الذى يتولى رفع الدعاوي والخصومات نيابة عن غيره فى « دار الشرع » ويسمى ايضا (الوكايلي)

وهناك وكيل الغياب المكلف بالسهر على حقوق المتغيبين عن الميراث . . .



معجم أعلام النساء بالمغرب الأقصى

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

— آمنة بنت سعد الغماري كانت عالمة جمعت بين التقوى والمعرفة توفيت عام 1260 هـ .

(سلوة الانفاس ، للشيخ محمد بن جعفر الكتاني)

— آمنة بنت الطيب بن محمد الشرفي المعروف بالجميل كانت متصوفة توفيت عام 1187 هـ .
(سلوة الانفاس)

— اسماء العامرية شاعرة من شواعر اشبيلية كتبت الى عبد المومن بن علي الخليفة الموحدي الذي وحد افريقيا الشمالية والاندلس تحت حكمه ـ رسالة تمت فيها اليه بنسبها العامري وتسأله رفع الانزال عن دارها (اى ضريبة الضيافة للجند والحشم الملكي) والاعتقال عن مالها .
(نفح الطيب للمقري)

— امة الرحيم بنت ضياء الدين عيسى بن يحيى السبتي كانت محدثة سمعت الحديث من والدها واجاز لها جماعة من العلماء فى القرن الثامن للهجرة .

(الدرر الكامنة لابن حجر)

— امة العزيز بنت دحية السبتية لها اشعار رائقة روى لها ابو الخطاب عمر بن دحية فى « المطرب من اشعار المغرب » .

— امة العزيز الحرة عزونة شقيقة الرشيد عبد الواحد بن ادريس بن ابي يوسف يعقوب المنصور.
(البيان المعرب لابن عذارى ج 4 ص 307)

— ام البنين جدة الشيخ احمد زروق فقيهة صالحة.

— ام العز بنت محمد بن علي بن ابي غالب العبدري كانت مجودة للقرءان بالسبع روت عن ابيها صحيح الامام البخاري .

— ام العلاء سيدة بنت عبد الغني بن علي بن عثمان العبدري الغرناطية نزيلة فاس ثم تونس كانت تعلم القرءان بغرناطة وكتب « احياء علوم الدين» للغزالي من اصله .
(الجذوة لابن القاضي ص 324)

— ام عمرو بنت ابي مروان بن زهر طبيبة دار المنصور كانت تمارس الطب وتداوي نساء البلاط الموحدي بمراكش ويستفتيها الموحدون فى طب النساء والاطفال .

وبنت ام عمرو من ابى العلاء بن زهر كانت هي ايضا عالمة بصناعة الطب والتوليد .

— ام قاسم الحسناوية المكناسية حفظت القرءان بثلاث قراءات (نافع والمكي والبصري) .

— ام قاسم زهراء جدة الامام حسن المرادي الاسفي المغربي المصري عرفت بالشيخة وعرف بها حفيدها أم ابيه (الكانوني) . فى شهيرات النساء

— ام الكتب جارية اسماعيل بن عبد الله كانت تنكب على مطالعة الكتب والدواوين وهي من اهل القرن الثاني عشر (الكانوني فى « شهيرات النساء » (مخطوط) .

— ام كلثوم بنت الشيخ بناصر الدرعي قرات الوغليسية فى الفقه والبردة فى السيرة وكانت ذات مكانة فى العلم مثل كثيرات غيرها من نساء درعة الناصريات .

— ام المجد مريم بنت ابي الحسن الشاري الغافقي السبتي احد الئمة سبتة التي اسس بها مدرسة للغرباء وحبس عليها أول مكتبة من نوعها بالمغرب وقد درست الحديث ووصفها محمد بن القاسم السبتي بالعجوز المسنة المسندة في كتاب «اختصار الاخبار عما كان بسبتة من سنى الآثار» (ص 5).

— ام النساء بنت عبد المومن التاجر الفاسية شاعرة مغربية عاصرت الشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي . ومن شعرها :

جاء البشير بوعد كان ينتظر

فاصبح الحق ما في صفوه كدر

من خير هاد،هدا بالهدي يامرنا

وفي أوامره التسديد والنظر

(مشاهير النساء لمحمد ذهني)

— ام هانيء امة الرحمن بنت القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية تتلمذت لوالدها واخذ الناس العلم عنها وهي والدة ابي جعفر احمد الاديب طبيب المنصور الموحدي ذكر ابن عبد الملك ان لها تصانيف في الوعظ والادعية .

— ام هانيء بنت محمد بن موسى العبدوسي درست الفقه على اخيها وذكر زروق انها توفيت عام 860 هـ . وهي حسب ابن غازي المكناسي آخر فقهاء الاسرة العبدوسية

— تميمة بنت يوسف بن تاشفين ام طلحة اللمتونية كانت راجحة العقل جيدة النادرة شهرت بالادب والكرم ذات ثروة تشرف على ادارة دواليبها ولها كتبة تحاسبهم بنفسها .

(التكملة لابن الآبار ص 407 ، والجذوة لابن القاضي ص 105) .

— الجارية المظلومة نشأت بالمغرب اهداها يوسف ابن تاشفين للمعتمد بن عباد فرمى بها في النهر عندما عرضت به في أبيات شعرية .

(نفح الطيب ج 2 ص 454 طبعة مصر) .

— حباب جارية السلطان ابى العلاء ادريس المامون والدة السلطان عبد الواحد بن المامون وهي اسبانية الاصل من دهاة النساء (حسب القرطاس لابن ابى زرع) . ولما توفي المامون في حصار سبتة كتمت موته وتآمرت مع ثلاثة من القواد حتى اخذت البيعة لولدها .

— السيدة الحرة بنت علي بن راشد قائد شفشاون كان لها صيت واسع في الميدان السياسي ولدت عام 900 هـ ، ودرست العلوم على عدة شيوخ وكذلك الاسبانية لان امها اندلسية هي لالة زهرة ، وكانت قد تزوجت عليا المنظري وانتقلت معه الى تطوان حيث وجدت وسطا اندلسيا مثقفا رقيق الحاشية كالذي ربيت فيه ، وكان زوجها في نضال مستمر ضد البرتغاليين في طنجة واصيلا وسبتة ، ساعدها على لمس الدسائس السياسية التي كانت تحاك في ذلك العصر ضد المغرب ، وعندما مات المنظري تزوجت مولاي علي بن عمر الحسني ، وكان لها سفن قرصنية تعمل بالشواطيء الاسبانية ، كما كانت لها علائق طيبة مع الاتراك ومع سلطان فاس ، وفي عام 1541 م تزوجت مولاي احمد الوطاسي الذي اناط بها في تطوان مهمة الاتصال بالبرتغاليين ، وكان لها شجار مع والي سبتة التي كانت تطمح هي الى احتلالها ، بينما كان الوالي البرتغالي يطمح الى الاستيلاء على تطوان لترويج منتجات بلاده داخل المغرب ، وبذلك كانت أولى المجاهدات المغربيات اللواتي اسهمن في تحرير الثغور المحتلة .

— الحسنى بنت سليمان بن محمد النجاعي زوجة المولى ادريس الازهر ملك المغرب ، كانت اليها المشورة في دولته .

(الدرر السينة — ص 8 — طبعة مصر) .

— ابنة احمد بن الحطية هو احمد بن عبد الله بن احمد ابن هشام بن الحطية فاسي الاصل ، نزل بمصر وعين قاضيا بها ايام الشيعة عام 533 هـ فامتنع وكان قد علم كلا من زوجته وابنته الخط فكان يكتب معهما في الكتاب الواحد ، فلا يفرق احد بين خطوطهم .

(طبقات القراء لابن الجزري ج 1 ص 71) .

— حفصة بنت الحاج الركونية استاذة نساء دار المنصور بمراكش ، كانت اديبة زمانها وابلغ شعراء اوانها ، لها خط جيد (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص 165) وكانت استاذة وقتها ، (الاحاطة لابن الخطيب السلماني نقلا عن الصلة) ، وذكر ابن دحية انها رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر ، وقد افردها المستشرق الفرنسي دوجيا كومو De Jiacomo بالتاليف (Hesperis T 37)

— الاميرة حليمة بنت علي بن حسين السفياني زوجة السلطان مولاي اسماعيل ووالدة المولى زيدان العلوي .

— حليمة بنت مولاي علي بن زيدان قـــرات على اخيها والد مولاي عبـد الرحمـــن بن زيـــدان (نقيب الاسرة العلوية المالكة رحمه الله) ، لها المام بالآداب وولوع بنفح الطيب .

— حمدة بنت زياد بن عبد الله العوفـــي المعروف بالمؤدب ، شاعرة اندلسيـــة من وادي آش ، علمت النساء في دار المنصور الموحدي وكانت تلقب بخنساء المغرب .

(الاحاطة لابن الخطيب) ، (ياقوت ــ معجم الادباء ج 4 ص 144) .

— حواء بنت ابراهيم بن تيفلويت المسوفية ، كانت لها دراية بالقرءان ومسكة من العلم تحاضر في الادب .

— حواء بنت تاشفين اخـــت السلطـــان يوسف المرابطي ، كانت من ابرز نساء عصرها .

— خديجة بنت أحمد بن عزوز الحميدي الفاسيـــة قرات الروايات عن الحسن جنبور وتوفيـــت بفاس عام 1323 هـ .

— خديجة بنت عبد الله الحوات الشفشاونية عمة المؤرخ الشهير ابي الربيع سليمان الحـــوات ، كانت تعلم النساء المنقطعات بزاوية سيـــدي يوسف التليدي .

— خديجة بنت الامام محمد العتيق الشنجيطـي ، لها مشاركة في العلوم ، كانت انجـــب عالمـات عصرها ، وقد بذت كثيرا من العلماء المعاصرين لها في مختلف العلوم .

(شهيرات نساء المغرب للكانوني) .

— خديجة بنت هارون بن عبد الله الدكالية ، قرات القرءان بالروايات السبع وحفظت الشاطبيـــة حجت ثلاث عشرة حجة ماشية على الاقـــدام ، وحجتين راكبة ، توفيت عام 695 هـ .

(تحفة الاحباب للسخاوي ، واعلام النســاء لعمر رضا كحالة) .

— خناثة بنت بكار المعافري زوج السلطـــان مولاي اسماعيل العلوي ، ذكر العلامـــة اكنسوس في «الجيش العرمرم» (ص 105) ، انها حصلت على مسكة من العلوم ، وكتبت على هامش الاصابـــة لابن حجر ، وقد عثر في مكتبة القصر الملكـــي بالرباط على اجزاء من الاصابة عليها خطهـــا في عدة مواضيع ، وكانت تصدر ظهائر ومراسيـــم في بعض الشؤون القبائلية في عهد زوجها وولده عبد الله ، وكان زوجها يستشيرها في شؤونه ، وذكر الرحالة الاسحاقي انها كانت لزوجها وزير صدق وبطانة خير .

— خيرونة الفاسية ، كانت تحضر مجلس عثمان السلالجي امام اهل فاس في اصـــول الدين على طريقة الاشعري ، الف لها العقيدة البرهانيـــة (شرح البرهانية ــ مخطوط بمكتبـة جامعـة القرويين ، حبسه المنصور السعـــدي عـــام 1009 هـ) .

— رقية بنت الحاج ابن العايش اليعقوبية ، اديبة فقيهة عارفة بالعربية واللغة والتفسير والشعر والسيرة وأسرار الحروف والاسماء والتوحيد والبيان والصرف ، درس عليها الرجال والنساء الفية ابن مالك واضاءة الدجنـــة والقامـــوس والتاريخ والتفسير (حيث كانت تتوخى اسباب النزول وعلوم القـــرءان) وانساب العـــرب ، توفيت أوائل القرن الرابـع عشر ، وهـــي من شنقيـــط .

— رحمة بنت الجنان المكناسيـــة ، زوج الحـــاج عزوز ، كانت حافظة للاحاديث الصحاح ، عالمـة بقصص القرآن واخباره . (الاتحاف لابن زيدان)

— رقية بنت حديدو البربرية من ربات الفروسيـــة والشجاعة ، كانت تحكم قبيلة آيت زدك الجبلية وقد هاجمت في احدى الوقعات وحدة عسكرية فرنسية كان يقودها الجنرال ازمون الوالي العام للجزائر بالنيابة ابان الاحتلال .

— ربيعة بنت الشيخ محمد الحضرمـــي حفيـــدة الشيخ ماء العينين لها عارضة في الادب ، كانت نقادة للشعر ، وهي اخت ميمونة التي ستاتـــي ترجمتهـــا .

— الزرقاء المردنيشية بنـــت الرئيـــس محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس زوجة الخليفة يوسف بن عبد المومن الـــذي ضـــرب المثل بحبه لها . (الكانوني) .

— الزهراء بنت محمد الشرقي الفاسي زوجة ابي علي اليوسي وهي شيخة لفقيهة اخذت من زوجها الحسن عن طريق الاجازة جميع مروياته ، واخذ عنها ابن اخيها اللغوي الفـذ محمد بن الطيـــب الشرقي استاذ الشيخ مرتضى الزبيدي شارح القاموس .

— الزهراء : زهور اخت ابي الحجاج يوســـف بن منصور بن زيان الوطاسي اشرفت على حكـــم مدينة فاس مع القائد الشكيري عندما ثار عامة

المدينة على السلطان عبد الحق المريني واقامت محمدا بن علي الجوطي اماما فبقي الى سنة 875 هـ حيث عزله ابو الحجاج المذكور وبقيت المدينة تحت نظرها حتى تولى الاميـر محمد المدعو الشيخ بن ابي زكرياء الوطاسي .
(الجذوة ص 131) .

— الاميرة الزيانية : ذكر لسان الدين بن الخطيب في « اللمحة البدرية في الدولة النصرية » (ص34) ان يغمرا سن بن زيان هو اول ملوك تلمسان وان زوجة اخيه سبقته في اعتلاء اريكة الحكم .

— زينب بنت ابراهيم بن تيفلويت زوج ابي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين ، كانت تحفظ جملة وافرة من الشعر . (التكملة ص 407) .

— زينب بنت ابراهيم بن يوسف بن قرقول المتوفى عام 569 هـ ، سمعت على ابيها ، وهي عالمة ضابطة متقنة الرواية .

— زينب بنت اسحاق النفزاوية الهوارية — تزوجت ابن وطاس شيخ وريكة ثم لقوط المغراوي صاحب اغمات ثم ابا بكر بن عمر ثم يوسف بن تاشفين وكانت — كما يقول ابن خلدون — احدى نساء العالم المشهورات بالجمال ، وقد اسس ابن تاشفين من اجلها حاضرة مراكش (كما لاحظ ذلك صاحب الاستبصار ، وهو شخص مجهول ربما عاش في القرن السادس الهجري) .

— زينب ابنة الخليفة يوسف بن عبد المومن بن علي الموحدي تزوجها ابن عمه ابو زيد بن ابي حفص بن عبد المومن ، اخذت علم الكلام واصول الدين عن ابي عبد الله بن ابراهيم امام التعاليم والفنون فكانت عالمة صائبة الراي فاضلة .
(التكملة ج 3 ص 747) .

— سارة بنت احمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية الفاسية ، استاذة شاعرة وطبيبة ماهرة ، كانت لها مكانة مرموقة في الادب ، اجادت كثيرا من الصناعات ، أصلها من الشام ، ووفدت على الامير المستنصر بالله الحفصي صاحب افريقية وهو بقصره المعروف بابي مهر فمدحته بقصيدة، وقد لقيت بفاس عبد الله بن علي بن سلمون فاجازته والبسته خرقة التصوف ودخلت سبتة أواخر المائة السابعة (الاعلام للزركلي) ولها قصيدة اجابت بها الرحالة ابن رشيد السبتي،وقالت في الشعر تخاطب مالكا بن المرحل:
يا ذا العلى يا مالكا
انعم علي بما لك

ثم ارتحلت الى الاندلس فوفدت على ابن الاحمر وراسلت الادباء والشعراء كابي عبد الله ابن المرابط والفقيه ابي عبد الله الدراج والقاضي ابي امية الدلالي ، ثم وفدت على ابي يوسف ابن عبد الحق المريني بمراكش فمدحته فاكرمها وتوفيت في ايامه (اي بين 656 و 685 هـ) بالدار البيضاء بمراكش .
(شهيرات التونسيات لحسن حسني عبد الوهاب)

— ست العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي السبتي اجازها ابن رشيد سنة وفاته (721 هـ) .
(راجع ازهار الرياض)

— الاميرة سحابة الرحمانية ام عبد الملك الغازي السعدي اخ المنصور السعدي وشهيد معركة وادي المخازن ، قامت بدور هام في حمل الخليفة التركي على اصدار امره لوالي الجزائر بمساندة ولدها على استرجاع ملكه بالمغرب الاقصى عام 983 هـ .

— سعيدة بنت محمد بن فيرة التطيلسي ، كانت ناسخة ، ومعلوم ان هذه المهنة كانت مهمة بالاندلس حيث حكى ابن الفياض في تاريخه في اخبار قرطبة انه كان بالربض الشرقي وحده لهذه العاصمة مائة وسبعون امراة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي .

— سكينة بنت السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي ، كان لها ولوع بقراءة الكتب والدواوين .

— شريفة بنت عبد اللطيف بن محمد بن احمد الحسني الفاسي محدثة ، ولدت في النصف الاول من سنة 810 هـ . وسمعت من الزين المراغي المسلسل وغيره ، واجاز لها ابن الكويك وعائشة ابنة عبد الهادي وجماعة ، وتوفيت بمكة في صفر سنة 882 هـ .
(الضوء اللامع للسخاوي)

— الشلبية الاندلسية شاعرة ثائرة ، كتبت الى يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها ، فبحث السلطان في قضيتها وأمر لها بصلة . (نفح الطب)

— صفية بنت السلطان عبد الرحمن بن هشام العلوي ، حفظت القرءان بقراءة البصري .

— صبح جارية الحكيم الجزنائي فيلسوف المغرب وطبيبه وكاتب ديوان الانشاء في دولة ابي الحسن المريني ، تسرى بها ولقنها حظا من العربية والادب ، فنظمت الشعر .

— صفية العزفية السبتية من فضليات نساء عصرها علما وحلما وصيانة . (الكانوني)
— صفية بنت المختار ، كانت عارفة بالتجويد والتفسير والسيرة وانساب العرب والعربية انتصبت للتدريس وتوفيت عام 1323 هـ .
— عاتكة بنت ملك المغرب علي بن عمر بن المولى ادريس زوجة الملك يحيى بن يحيى بن محمد قامت بدور هام في الحقل السياسي ، وكانت العامل الأساسي في خروج الحكم من يد بني محمد بن ادريس الى بني عمر بن ادريس في القرن الثالث الهجري .
— العالية بنت الشيخ محمد الطيب بن كيران ،كان والدها يعقد مجالس علمية يحضر النساء فيها وكانت هي تدرس المنطق في جامع الاندلس بفاس ، وكان لها ضلع في مختلف الفنون يحضر النساء دروسها بعد العصر ، والرجال وقت الظهر ، وقد لاحظ الرحالة موليراس Moulieras في كتابه « المغرب المجهول » Le Maroc Inconnu الذي صدر عام 1895 م ، ان غالب نساء فاس كن قارئات ، لهن المام بالادب ، خصوصا قصائد الامام الغرناطي، وهو في ذلك واهم لان الثقافة النسوية كانت محدودة جدا .
— عائشة ابنة الشيخ الكاتب الوجيه ابي عبد الله ابن الجبار المحتسب بسبتة ، قرات علم الطب على صهرها ابي عبد الله الشريشي المتوفى عام 771 هـ . ونبغت فيه وكانت عارفة بالطب والعقاقير وما يرجع الى ذلك بصيرة بالماء وعلاماته .
« بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب»
(مجلة تطوان 1964 عدد 9 ص 173)
— عائشة بنت الحاج بونافع الفاسية زوجة علي ابن محمد الزبادي المنالي والدة العالمين عبد المجيد ومحمد ، كانت تحضر مجالس ولدها عبد المجيد في شرحه « للنصيحة الكافية » ودروسه في الفقه والتوحيد برسالة ابن ابي زيد القيرواني ، وكذلك السيرة النبوية بكتاب « الشمائل » كما كانت تحضر مجالس ولدها محمد في الوعظ .
— عائشة بنت احمد بن عبد الله المراكشية ، اخذت عن الشيخ عبد الله الغزواني ولقيت الشيخين ابا محمد الهبطي وابا البقاء عبد الوارث ، توفيت عام 969 هـ .
(ليفي ـ بروفنصال ـ نخب تاريخية لاخبار المغرب) .
— عائشة العدوية عابدة زاهدة اخذت عن ابي العباس احمد ابن خضراء ، توفيت عام 1080هـ
(تاريخ مكناس لابن زيدان) .
— العريفة بنت بن نجو هي التي وضعت للبلاط السعدي تراتيبه الحضارية من طبخ ولباس واسلوب حياة اقتباسا من مظاهر الحضارة المرينية الاندلسية (راجع ترجمتها في تاريخ الدولة السعدية الدرعية لمؤلف مجهول طبعة كولان 1353 ـ 1934 ص 24) .
— عودة بنت احمد المزكيتي ام المنصور السعدي اعتنت ببناء القناطر واصلاح السبل والمساجد وديار مبيت القوافل في الطرق ، وبنت جامع باب دكالة بمراكش وحبست عليه احباسا طائلة اطال فيها صاحب « المنتقى المقصور » واصلحت جسر وادي ام الربيع وجسر وادي بسيل وجسر وادي فاس ، توفيت عام 1000 هـ . درة الحجال لابن القاضي ج 2 ص 406 طبعة الرباط 1354 ـ 1936) . واسست بازاء المسجد مدرسة للطلبة الغرباء ومكتبة وذخائر كتبت على بعضها بخط يدها ، منها : الجزء الاول من « بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام » لعلي بن القطان المتوفى عام 628
— الغسانية زوجة الاستاذ عتيق بن محمد بن علي الغساني نزيل مراكش واغمات ، وهي استاذة بالقراءات السبع . (تكملة ابن عبد الملك)
— فاطمة ام البنين بنت محمد بن عبد الله الفهري مؤسسة جامع القرويين عام 245 هـ .
— فاطمة بنت ابي علي الصدفي ولدت عام 490 هـ كان لها اطلاع واسع على المكتبة العربية ،حافظة للحديث ، حسنة الخط ، زاهدة في الدنيا .
— فاطمة بنت احمد زويتن فقيهة ، ذكر المؤرخ السلاوي محمد بن محمد بن علي انها كتبت نسخة من البخاري بخط يدها في خمسة اجزاء ولوعا منها بالحديث .
— فاطمة بنت محمد بن موسى العبدوسي فقيهة درست على اخيها المتوفى عام 849 هـ .
— فانو بنت عمر بن بنتيان اللمتونية ، كانت رمزا للبطولة العسكرية ، دافعت عن قصر الخلافة بمراكش طوال نصف يوم الى ان استسلم الامير اسحاق بن علي المرابطي ، ولم يستطع الوحدون

اقتحام القصر الملكي الا بعد مقتلها في 18 شوال 545 هـ ، وقد اثارت بطولاتها اعجاب القواد الموحدين .

— قمر زوجة علي بن يوسف اللمتوني ، قامت بدور هام في الحقل السياسي ، وكانت صاحبة الراي في الدولة ، تدار الشؤون العامة باشارتها.

— الكنانية جارية ابي عبد الله الكناني ، عالمة اديبة ، فاقت أهل زمانها في الغناء والادب ، لها معرفة بالنحو واللغة والعروض والطب وعلم الطبائع والتشريح ، علاوة على اتقانها لصناعة الثقاف والمجاولة بالتراس واللعب بالرماح والخناجر المرهفة ، توفيت في القرن الخامس للهجرة . (البيان المغرب لابن عذارى) .

— العالية الكنتية زوجة الشيخ المختار الكنتي ختمت مختصر خليل في درس خاص بالنساء في نفس الوقت الذي ختمه زوجها للرجال ، وقد الف فيهما ولدهما العلامة محمد بن الشيخ المختار كتابه « الطريفة والتالدة في مناقب الشيخ الوالد والشيخة الوالدة » وهو في مجلد ضخم . (التراتيب الادارية — عبد الحي الكتاني ج 1 ص 54) .

— للا غيلانة ابنة الفقيه محمد (فتحا) غيلان ، توفيت عام 1189 هـ . كانت عالمة نساء تطوان اعتنى بها والدها فلقنها علوم القرءان والحديث والعربية والفقه ، وقد تتلمذ لها كثير من النساء وكانت تفتيهن .

(تاريخ تطوان — الاستاذ محمد داود ج 3 ص 93) .

— مريم بنت عبود الاندلسية متصوفة ، اخذ عنها محمد بن عبد الرحمن المكناسي المعروف بسيدي بصري المتوفى عام 991 هـ .

(الاتحاف لابن زيدان)

— مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري ، اصلها من القيروان ، شرفت في بناء جامع الاندلس بفاس عام 245 هـ . وهي اخت فاطمة ام البنين مؤسسة جامع القرويين ، وقد اصبح جامع الاندلس في القرن الرابع الهجري فرعا للقرويين واشار عياض في مداركه الى حلقة العلم التي كان يعقدها بهذا المسجد جبر الله بن القاسم الاندلسي الذي ادخل علم الإمام مالك الى المغرب ، ولقي اصبغ بين الفرج .

— ميمونة بنت الشيخ محمد الحضرمي ، حفيدة الشيخ ماء العينين الشنقيطي ولدت عام 1307 هـ . كانت راوية للشعر مشاركة في العلوم .

— نوار حظية زيدان بن المنصور السعدي ، قال زيدان عنها انها ممن شرب سلافة الادب في قصة رواها عنها ابن القاضي في فهرسته « رائد الفلاح بعوالي الاسانيد الصحاح » (توجد نسخة فريدة من هذا المخطوط بخط المؤلف في مكتبة الاكاديمية الملكية التاريخية بمدريد رقم 17 Collection Gyangos

— هاجر بنت علي بن عمر الصنهاجية محدثة سمعت من انعز الحراني .

(الدرر الكامنة لابن حجر)

— هند زوجة الشيخ ماء العينين الشنقيطي : لها مشاركة في شتى الفنون .

— ورقاء بنت ينتان الطليطلية الفاسية ، كانت اديبة شاعرة بارعة الخط حافظة للقرءان .

(التكملة ص 409 والجذوة ص 335) .

* * *

ونورد هنا على سبيل المقارنة اسماء شهيرات تونس كما وردت في شهيرات تونس للاستاذ حسن حسني عبد الوهاب او في مصادر اخرى وهي مجرد نماذج لم نستقرئها نظرا لضيق المجال ، فمن هؤلاء النسوة :

— اسماء بنت اسد بن الفرات من فواضل نساء عصرها في القيروان ، نشات نشأة حسنة ، فكانت تحضر مجالس ابيها العلمية وتشارك في السؤال والمناظرة واشتهرت برواية الحديث والفقه على راي أهل العراق اصحاب ابي حنيفة وتوفيت في حدود سنة 250 هـ .

— شمس أم الفقراء عارفة عابدة بمرسانة الزيتون في افريقية اختلف اليها ابن عربي الحاتمي المتوفى سنة 638 هـ . كانت متمكنة في الكشف

(رسالة القدس لابن عربي)

— ام ملال بنت المنصور بن يوسف الصنهاجي ولدت بالمنصورية قرب القيروان ، اقتطفت الادب والعلم حتى فاتت اخاها نصير الدولة باديس فاشركها في تدبير الملك ، وبعد وفاة اخيها سنة 406 هـ . اقيمت وصية على ولده المعز فدبرت شؤون الملكة بعزم وهمة وتوفيت عام 414 هـ . ودفنت بالمهدية ثم نقلت الى

المنستير بمقبرة امراء صنهاجة ورثاها اكثر من مائة شاعر .

— بلارة بنت تميم بن المعز بن باديس عرفت بحصافة الراي وكرم الشمائل ، ولدت بالمهدية ورباها والدها على النسق العربي علما ودينا وتزوجت بابن عمها الناصر ابن علناس الصنهاجي صاحب قلعة بني حماد وبجاية ، فأمهرها ثلاثين الف دينار ذهبا فاخذ والدها من ذلك دينارا واحدا ورد الباقي ، فزفت عام 470 هـ . واقامت بايوان خاص بقلعة بني حماد اشتهر باسمها .

— خديجة بنت سحنون بن سعيد التنوخي عالمة من ذوات الراي والدين ، اخذت العلم من ابيها حامل لواء مذهب مالك بالمغرب واستفتاها نساء عصرها فى القضايا الدينية ، توفيت في حدود سنة 270 هـ . ودفنت خارج القيروان .

— رشيدة بنت المعز عمة الحاكم بامر الله ، ولدت برقادة قرب القيروان ، وتوفيت عام 386 هـ . مخلفة ما قيمته مليون وسبعمائة الف دينار مع ثلاثين الف ثوب خز واثني عشر الفا من الثياب المصمتة الوانا ، وكانت دينة ، تاكل من غزلها لا من مال السلطان .

(النجوم الزاهرة لابن تغرى بردي)

— زليخا زوج المعز بن باديس من ربات البر والجمال والعقل ، اسعفت الشعب فى الوباء الذي نزل بافريقية عام 425 هـ بستين الف كفن

— زينب بنت احمد بن ميمون التونسية المعروفة بابنة المغربي ، محدثة ، سمعت من الفخر التوزري والصفي الطبري وبكار بن قتيبة والشريف ابى عبد الله الفاسي ، وحدث عنها ابو حامد بن ظهيرة، توفيت بمكة بعد سنة 780هـ

(الدرر الكامنة لابن حجر)

— عائشة بنت عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني شاعرة من شواعر المغرب فى القرن السادس للهجرة ، ومن شعرها :

اخذوا قلبي وساروا
واشتياقا (1) او دعوني
لاعدا ان لم يعودوا
فاعذروني أو دعوني

وقيل بعثت بهما الى معاصرها حسن بن الفكون شاعر وقته للمعارضة فاعتذر .

— عائشة بنت عمران بن سليمان المنوبي ، ولدت بمنوبة قرب عاصمة تونس ، اخذت التصوف عن ابي الحسن الشاذلي ، توفيت عام 665 هـ.

— عبدة بنت المعز من ربات الغناء والثراء ، ولدت برقادة ، وتوفيت سنة 386 هـ . وجد فى تركتها 1ر300 قطعة مينا فضة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم ، واربعمائة سيف محلى بذهب ، وثلاثون الف شقة صقلية ، ومن الجواهر اردب زمرد وكانت لا تاكل فى حياتها الا الثريد .

(النجوم الزاهرة لابن تغري بردي)

— العبدرية سيدة بنت عبد الغني بن علي العبدري عالمة فاضلة ، ولدت فى تونس اوائل القرن السابع ، وقامت بدور فى الاندية العلمية والتعليم توفيت بتونس عام 647 هـ .

(الوافي بالوفيات للصفدي — اعلام النساء لعمر رضا كحالة)

— فاطمة بنت محمد بن عثمان من فواضل نساء تونس تلقت من المعارف ما هو كفيل بان يجعلها ربة منزل كاملة تزوجها ولي عهد المملكة التونسية الامير حسين بن محمد باي ، توفيت عام1242هـ

— فاطمة الحاضنة ، ذات راي وحسن تدبير وسعة ادراك ، وكانت نصرانية اسرها بعض غزاة البحر وسيقت الى المهدية ثم القيروان على عهد الامير المنصور الصنهاجي ، وكانت حاضنة لابنه باديس فعرفت بالحاضنة ، وقد وقفت على جامع عقبة بالقيروان الكتب النفيسة التي ما زالت حتى الآن ، وتوفيت فى حدود 420 هـ .

— منانة بنت الامير علي باي بن حسين بن علي الحسيني ، اسمها آمنة ، تفقهت فى الدين واللغة والحساب وتزوجت بالباي محمود بن محمد الرشيد الذي اعتلى العرش عام 1230 هـ بعد اخيها حمودة باشا ، وكانت لها دراية بالسياسة ، توفيت عام 1238 هـ ، ورثاها الشيخ ابراهيم الرياحي بقصيدة ، منها :

سكنت، فسيحا من الجنان ظليلا
وقطوفها قد ظللت تظليلا

— مريم الزنانية ولعلها — حسب حسن حسني عبد الوهاب — مريم بنت عبد الله الهواري المتوفاة عام 758 هـ وهي من شواعر القيروان .

* * *

---

1) فى الاصل واشتياقي واودعوني ولعل الصواب ما ذكرنا .

تلك نماذج من أوجه نشاط العنصر النسوي بالمغرب العربي ، (1) لم تبلغ فيها المراة عندنا احيانا شاو المراة الشرقية في كثير من الميادين اذا ما قارنا نشاطها بالادوار التي قام بها النساء في الثقافة عامة وفي العلوم الاسلامية خاصة بالشرق العربي ، ويكفي ان نستخلص لوائح هؤلاء النساء المشرقيات مع ميادين اختصاصهن لنلمس الفارق . فقد ترجم ابن حجر حياة 1543 امراة (الاصابة ج 4 ص 424 — 984) وخصص النووي في تهذيب الاسماء ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، والسخاوي في « الضوء اللامع » حيزا كبيرا للعالمات .

واتهم الذهبي 000 4 من المحدثين ولكنه قال من المحدثات : « وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها » . (ميزان الاعتدال ج 3 ص 395) .

وجلس الى نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي المحدثة مشاهير العلماء مثل الشافعي (ابن خلكان ج 2 ص 251) .

وكانت الشيخة شهدة تلقب « فخر النساء » حاضرت في مسجد بغداد أمام جمهور عظيم من الطلاب في الدين والادب والبلاغة والشعر حتى أصبحت من فطاحل العلماء .

(Ameer Ali : The Spirit of Islam, p. 255)

وجلس الى عنيدة خمسمائة تلميذ من الرجال والنساء (ص 50 من كتاب الشكوى المنشور بالمجلة الاسيوية سنة 1930) .

وقرأ الخطيب البغدادي البخاري على كريمة بنت أحمد المروزي التي أسهمت بنصيب كبير في تكوينه (ياقوت ج 1 ص 247 — صلة ابن بشكواله ج 1 ص 133) .

وقرأ ابن عساكر على 81 امراة (ياقوت ج 5 ص 140 — النعيمي الدارس ج 1 ص 101) . وافرد السيوطي النساء بالتاليف في « نزهة الجلساء في اشعار النساء » (مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق فيه تراجم 37 شاعرة مع نماذج رائعة من اشعارهن)

وقد أفرد كثير من العلماء المراة بالتاليف، منهم محدث الهند محمد شمس الحق الالهابادي صاحب « عقود الجمان في جواز الكتابة للنسوان » . وزينب بنت فواز المصرية في « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » . والحافظ ابو الفرج بن الجوزي في « ري الظما فيمن قال الشعر من الاما » (ذكر فيه نحو 30 شاعرة) .

واورد الاما م احمد في مسنده سبعمائة رجل من الصحابة ، ومن النساء مائة ونيفا ، (راجع المصعد الاحمد في ختم مسند الامام أحمد) لابن الجزري (751 — 833 هـ) في مقدمة الجزء الاول من مسند احمد طبعة احمد محمد شاكر) .

واستدركت عائشة على جماعة من الصحابة في كثير من الاحاديث ، منهم عمر وابنه وابو هريرة وابن عباس وعثمان وفاطمة بنت قيس وعلي والزبير وزيد وابو الدرداء وابو سعيد والبراء وغيرهم ، والف في ذلك جمع من العلماء آخرهم السيوطي كتابه « الاصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة » ، وقال عروة : « ما رايت احدا اعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة » .

وقد ذكر ابن رشد : عند تعرضه لافلاطون في جمهوريته أنه « لا اختلاف بين الرجال والنساء في الطبع وانما هو اختلاف في الكم اى ان طبيعة النساء تشبه طبيعة الرجال ولكنهن اضعف منهم في الاعمال والدليل على ذلك مقدرتهن على جميع اعمال الرجال ، كالحرب والفلسفة وغيرهما ، ولكنهن لا يبلغن فيهما مبلغ الرجال ، ومن اظرف آرائه انه يرى في الموسيقى ان يكون مؤلف القطعة الموسيقية رجلا والموقع او المغني امراة ، وقد كان ابن رشد يستشهد على صحة قوله « باناث الكلاب » ، والمح الى سوء وضع المراة في الشرق من عدم تمكينها من اظهار قواها ، كانها لم تخلق الا للولادة وارضاع الاطفال . (ظهور الاسلام ج 3 ص 257) .

1) راجع بعض شهيرات نساء الاندلس في نفح الطيب للمقري ج5 ص 299 (طبعة القاهرة 1367هـ\1949م)

معلمة مركزة عن القبائل والمدن والقرى

في اطار اعداد موسوعة المغرب العربي انعقد في غضون شهر اكتوبر 1969 اجتماع بمقر المكتب الدائم ، حضره بالنيابة عن السيد وزير الداخلية المغربيـة الاستاذ محمد المعزوزي ومساعدوه لوضع (1) لائحة المعلومات التى رجا المكتـب الدائم من وزارة الداخلية المغربية الحصول عليها وننشر فيما يلي هذه اللائحة التي ستوجه الى الولاة والباشوات والقواد والشيوخ للاجابة عنها حتى تكتمل لدى المكتب الدائم الوثائق الضرورية لاخذ نظرة شاملة مستقراة عن تاريخ كل بقعة من بقاع المغرب العربي .

الفصل الاول : البحث التاريخي

1) نظرة عامة عن الحالة فيما قبل التاريخ

2) موجز لتاريخ القرية او المدينة

3) المظاهر البارزة فى هـذا التاريـخ

الفصل الثاني : البحث الجغرافي

1) نظرة عن الجوانب الجغرافيـة والجيولوجيـة

2) الموقع ـ المساحة ـ الحدود

3) الطقس ـ الاودية ـ العيون

---

(1) كان من بين نقط جدول الاعمال ايضا فى هذا الاجتماع تعميم تعريب لافتات الاشهار فى المغرب وتصحيحها، ومعلوم أن وزير الداخلية المغربية سبق له ان وجه تعليمات لهذا الغرض الى كافة ولاة المغرب ويشرف المكتب الدائم الآن بتعاون مع بعض العمالات على مراقبة تعريب اللافتات

4) عدد السكان ـ المجموعة السلالية : عربية ـ بربرية ـ يهودية ـ اجنبية ـ لهجاتها

5) توزيع السكان ـ اسماء القبائل والدواوير بالعربية مع شكل الاسماء
خريطة مفصلة للمجامة القروية

الفصل الثالث : البحث الاقتصادي

1) نظرة عن العوامل الاقتصادية والتجارية والصناعية والفلاحية التى تمتاز بها القرية

2) تنظيم الاراضي : ملك الدولة ـ ملك الجماعات ـ ملك الاحباس

3) الفلاحة

4) المياه والغابات وثروتها الحيوانية والنباتية

5) الماشية

6) الاسواق

7) حالة الطرق

8) السياحة

9) المشاريع الاقتصادية

الفصل الرابع : البحث الاجتماعي

1) قائمة الشخصيات البارزة التى كان لها دور فى تاريخ القرية مع موافاتنا بأسماء وعناوين هذه الشخصيات الحية التي نزحت عن القرية .

2) الفلكلور : رقص ـ غناء ـ رسم الخ ..

3) الصناعة التقليدية ـ انواع المصنوعات وتطورها .

4) حفظة القرآن

5) الزوايا ـ المواسم

6) المظاهر الحضارية والمعمارية

7) الحمامات

8) الكتاتيب القرءانية : عددها ـ تاريخ بنائها ـ تطورها ـ الدروس العلمية فيها ـ عدد المقبلين عليها .

10) عدد المكتبات العامة والخاصة مع قائمة مخطوطاتها

11) حركة الهجرة دخولا وخروجا مع اسبابها

12) التطور الفكري بصفة عامة

13) تطور المراة فكريا واجتماعيا واقتصاديا

14) التعليم : المدارس الابتدائية والثانوية والعالية عند الاقتضاء ـ عدد التلاميذ والمعلمين والاساتذة .

15) المستوى العام للتعليم مع المقارنة بين العصور: قبل الحماية واثناءها وبعد الاستقلال

16) التعليم الحر

17) حالة الطلبة الاجتماعية

18) الاحياء الجامعية والمدارس العتيقة

الفصل الخامس : التجهيز الاداري

1) التجهيز الصحي

2) التجهيز القضائي

3) الشرطة

4) الدرك الملكي

5) البريد والمواصلات

6) الاشغال العمومية ـ الطرق ـ القناطر ـ السدود ـ الحدائق العمومية

7) التعاون الوطني ـ الملاجىء الخيرية والمؤسسات الاجتماعية

8) الاندية الثقافية ـ جمعيات الشباب ـ الجمعيات الرياضية

أبحاث مختلفة

اتجاهات التعليم الجامعي في العصر الحديث

الدكتور عبد الوهاب البرلسي

وزير التعليم العالـــي
الجمهورية العربية المتحدة

كان الانسان دائما ــ ومـا يـزال ــ تواقـا الى المعرفة ، وقد سعى الى هذا الهدف .. بكافة الوسائل ، بحثا ، ونقلا ، وسماعا .

ومن قديم الزمن .. كانت معابـد الصيـن ، واكاديميات الاغريق ، ومدارس المصريين القدماء ، ثم المساجد والمكتبات في الاسلام ، ثم الجامعات بشكلها الحديث ، كانت كلها مراكـز اشعـاع ... للعلم ، والمعرفـة .

ففي منتصف القرن الرابع الهجري ــ القـرن العاشر الميلادي ــ قام الازهـر الشريـف واضطلـع بمهمة الجامعة ، وما زال الى يومنا هذا وبعد الف عام ، قائما شامخا .. يمثل تطور القديـم الى الحديـث ، وينشر علم الدنيا والدين ، ويضيـف الى المعرفـة ، ويخرج اجيالا متعاقبة من العلماء والساسـة . وكان الازهر في خدمة المجتمع الاسلامي ، قاطبة ، حج اليه الراغبون في العلم ، من كل حـدب وصوب ، يخـدم المجتمع بروح الاسلام ، روح العدل والمساواة ، فكانت الدراسة فيه حرة لمن استطاع الاستمرار فيها ... دون رسوم او نفقات ، بل كانت تيسر الاعاشة ايضا في كثير من الاحيان .

وفي القرن الحادي عشر الميلادي (عام 1076م) بدات في اوربا اولى جامعتين هما : سالرنو Salerno في جنوب ايطاليا ، التي اشتهرت بمدرستها الطبيـة ، وبولونيا Bologna في شمالها ، ثم تلاهما اشهر ثلاث جامعات انشئت في اوربا في العصور الوسطى ، وهـي جامعات : باريس ، واكسفورد ، وكمبردج . وعاصرت اوربا بعد ذلك حقبتين من النهضة الجامعية : الاولى في عصر النهضة في القرن السادس عشـر ، والثانيـة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وفي كل تلك الازمنة ، كانت الجامعات تتميز بما يتميز به عصرها .. اجتماعيا ، وسياسيا ، فكانـت الجامعات في القرون الوسطى تنمو في ظل الدين ، وكان رفقاء الدراسة يلتزمون . اولا ــ بالصحبة والاخـوة وطريقة الحياة التي ارتضوها لانفسهـم . ثم تقلص التاثير الديني بعد ذلك وخاصة مع بدء عصر النهضة اثر اهتمام الافراد والهيئات بالتبرع لتمويـل نشاط الجامعات ، واشتراكهم في ادارتها ، والاشـراف على سياستها ، لصالح العلم ، والمعرفة ، والمجتمع .

وفي السنوات التي تلت عصر النهضـة ، ظهر عاملان قويان كان لهما تاثير واضح على نمو الجامعات : العامل الاول هو البحث العلمي الذي بدا يتبلور كظاهرة

مميزة لهذا العصر ، وقد ادى ظهور الرواد الاوائل من الباحثين والمكتشفين فى القرن السابع عشر ، وما تلاه ، الى انشاء الجمعيات والروابط العلمية ، وبخاصة فى ميدان العلوم الاساسية ، وكان لهذه الجمعيات العلمية دورها الناجح فى نمو التعليم الجامعي .

والعامل الثاني هو التحول الصناعي في مطلع القرن التاسع عشر ، حيث وضح للعالم اجمع ان الصناعة هي من اهم اسس تقدم المجتمع ، وان التقدم الصناعي يحتاج الى علماء وفنيين مهرة ، ويحتاج اعداد هؤلاء ، الى معاهد وكليات متخصصة فى مجال ادارة الاعمال ، والاقتصاد .

وقد وضح ان البحث العلمي فى عصرنا الحاضر، هو العامل المحرك للانتاج والصناعة ، ولا يزال الانتاج والصناعة هما دعامة نمو المجتمع .

وقد دخل البحث العلمي فى هذا العصر آفاقا جديدة ورحبة ، فتحت الابواب لاحتمالات ضخمة فى تقدم العلوم والمعرفة .

وكان طبيعيا ان صاحبت هذه القفزة الهائلة في ميادين البحث العلمي ، قفزة مماثلة فى التعليم الجامعي والعالي ، الذي انتشر واسعا (وبخاصة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وفى مناطق من العلم لم تكن تعرف التعليم الجامعي من قبل . واغلب تلك المناطق هي التي كانت ترزح تحت نير القهر الاستعماري ، في افريقيا واسيا ، فقد دلت احصاءات الامم المتحدة انه خلال الفترة من عام 1950 الى عام 1960 كان اعلى معدل للزيادة فى عدد الطلاب الجامعيين هو فى جامعات القارة الافريقية وكان اكبر عدد من الطلاب الجامعيين فى العالم أجمع هو فى القارة الاسيوية . وهكذا صحت شعوب القارتين لتعوض ما فات ولتمحو آثار التخلف الثقافي الذي أورثه اياها الاستعمار .

ومصر ــ هذا البلد العريق فى الاصل والثقافة والدين ــ عريق ايضا فى التعليم الجامعي . وقد اشرنا الى اثر الازهر الشريف فى الحياة الثقافية ، والفكرية، والسياسية .. قديما ، وحديثا .. والى اصالة العلاقات الانسانية ــ داخل الجامعة الازهرية ــ بين الاستاذ والطالب اذ كانت علاقة احترام وتبجيل ، ودرس وتوجيه ، وحرية علمية مكفولة ، ورعاية اجتماعية وروحية .

وحملت منار العلم والمعرفة ــ بجانب الازهر الشريف ــ جامعة القاهرة ، منذ اكثر من نصف قرن ، فاعدت الرعيل الاول من العلماء والمفكرين الذين قادوا الحركة العلمية والفكرية ، فى القرن الحالي ، وقادوا التعليم الجامعي ــ فى عدد من الجامعات انشئت بعد ذلك فى القاهرة والاسكندرية واسيوط ــ فكانوا امناء فى حمل الرسالة ، وكانوا روادا مخلصين للعلم ، وللشباب ، وللمجتمع .

وتطورت جامعاتنا ، وتطور التعليم الجامعي في بلادنا ، وارتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع ، يعد الافراد العلميين ، وينمي البحث العلمي ، وينشر العلم والمعرفة بين الآلاف .. من خيرة الشباب ، ويتيح الفرصة المتكافئة لاعداد هائلة ، من الطلاب ، والدارسين ، والباحثين .

وفى خلال عشر سنوات من عام 1957 الى عام 1967 ــ ازداد عدد طلاب الجامعات المصرية الاربع : القاهرة والاسكندرية وعين شمس واسيوط من 73740 طالب الى 610 126 طالب اي بزيادة قدرها 71 ٪ .

وضوعف الانفاق على التعليم فى هذه الجامعات فى نفس هذه الفترة من 7.500.000 مليون جنيه الى 15.917.300 جنيه ، اي بزيادة قدرها 112 ٪ (جدول رقم 1) .

جدول رقم ــ 1 ــ

بيان بتطور الجامعات وكلياتها فى الجمهورية العربية المتحدة وتطور اعداد الطلاب ، واعداد الخريجين (*) والانفاق السنوي

البيان / السنة	1957	1962	1967
عدد الجامعات	4	4	4
عدد الكليات الجامعية	33	32	46
عدد الطلاب (مرحلة البكالوريوس)	73740	112 860	126 610
عدد الخريجين	7880	12 230	19 867
الانفاق السنوي (بالالف جنيه)	7500	14 266	15 917

(*) ما عدا جامعة الازهر .

سمات التعليم الجامعي في العصر الحديث

لقد ادى التطور الاجتماعي والسياسي الكبير ، والتقدم العلمي الهائل ، الذي شهده العالم في القرن الحالي ـ الى ارساء اسس جديدة لتطوير التعليم الجامعي والعالي ؛ حتى يساير روح هذا العصر ومتطلباته .

واول هذه الاسس .. ضرورة التخطيط السليم .. والبعيد المدى . لهذا التعليم . كي يحقق اهدافه . ثم .. ضمان الفرصة المتكافئة لكل قادر ذهنيا ، على اتمام هذا المستوى من التعليم ، والتفوق فيه ، ثم .. التوسع في التعليم الجامعي بما يخدم اهداف المجتمع ، ويحقق متطلباته .

وبالاضافة الى ذلك ، فانه رغم اننا نعيش في عالم كبير ، الا ان الاتصال بين شعوبه لم يكن في يوم من الايام ايسر ولا اسرع منه ، اليوم . ولا سبيل اذن الى العزلة بين الشعوب ، بل هناك ضرورة للتعاون الوثيق بينها . وتبادل الخبرات في مجال التعليم . وهناك حاجة الى مساعدة القادر والمتقدم منها . للشعوب النامية المتعطشة الى العلم والمعرفة .. مساعدة علمية ، وانسانية ، دون قيود ، او تبعية .

ضرورة التخطيط للتعليم الجامعي :

تهدف خطة التعليم الى اعداد القوى البشرية . بفئاتها المختلفة ، التي تلزم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع . ولتنفيذ مشروعات الخدمات المختلفة . وتشمل الخطة ايضا ، انشاء المعاهد والجامعات التي تلتزم لتحقيق هذه الاهداف ؛ اي ان خطة التنمية .. الاقتصادية والاجتماعية ، يجب ان يقابلها خطة تعليمية تمد لها ما تحتاج من القوى البشرية .

والخطة التعليمية ليست مقصورة على التعليم الجامعي والعالي ، بل يسبق ذلك ويرتبط به ـ خطة للتعليم العام ؛ يكون من بين اهدافها .. اعداد الشباب بالطريقة التي تسمح لمن تمكنه طاقاته الذهنية ، من اتمام مراحل التعليم الجامعي والعالي .

وتحتاج الجامعات لتحقيق هذه الخطة الى عدد مناسب من اعضاء هيئة التدريس يلزم لاعدادهم ـ كما وكيفا ـ خطة مسبقة ، وامكانيات خاصة ، من حيث : اعداد المعامل والتجهيزات ، والمنشآت الجامعية الاخرى التي تيسر البحث والدرس ، على المستوى الذي يكفل حسن اعداد هذه الفئة الهامة من الاساتذة والباحثين .

واذا كان تخطيط التعليم الجامعي لازما لكل دولة، فهو الزم للدول النامية التي بدات منذ عهد قريب سياسة التصنيع ، بغية الارتفاع بمستوى المعيشة فيها ، اذ ان على هذه الدول ان تضيق الشقة بينها وبين الدول المتقدمة . ولا يفت في عضد الدول النامية التكلفة الباهظة للاستثمارات اللازمة للتعليم الجامعي. اذ ان عائد تلك الاستثمارات ـ على الامد الطويل ـ يستحق هذا الانفاق .

على ان وضع مثل هذه الخطة في مجال القوى العاملة ـ بطريقة مفصلة ومحكمة في نفس الوقت ـ ليس بالامر الهين . فهو يستلزم معرفة دقيقة بما يلزم كافة قطاعات الانتاج والخدمات من فئات القوى البشرية المختلفة ، على مدى معين ، آخذين في الاعتبار .. الوقت اللازم للطالب الجديد ، حتى يصبح عاملا منتجا في قطاع من القطاعات .

وكثيرا ما تعوزنا الاحصاءات الدقيقة وبخاصة في الدول النامية .. مما يشكل عقبة كبيرة في طريق التخطيط السليم .

تكافؤ الفرص في التعليم الجامعي

والاساس الثاني في تخطيط التعليم الجامعي ، هو تحقيق ديمقراطية هذا المستوى من التعليم ، وذلك باتاحة الفرصة المتكافئة لكل من تؤهلهم قدراتهم الذهنية ؛ لمواصلته والتفوق فيه فرصة لا تحدها قدرة مادية او طبقية .

ولتحقيق هذه الفرصة المتكافئة يلزم اتباع الوسائل التالية :

1 ـ وضع نظام عادل لاختيار الطلاب للدراسة الجامعية ، يضمن اختيار افضل العناصر من حيث قدرتهم على مواصلة هذه الدراسة والنجاح فيها ، وقد جربت وسائل عدة لاختيار الطلاب ، من بينها : اختبارات تربوية ونفسية مختلفة ، بهدف تحديد قدرات الطالب وملكاته واستعداده لنوع معين من الدراسة .. الا ان المشاهد في اغلب الاحوال ان انجح السبل لاختيار الطلاب واكثرها تحقيقا للفرصة المتكافئة هي اقلها تعقيدا . ولعل ابسطها اختيار

الطلاب طبقا لتفوقهم في دراستهم الثانوية ، مع اخذ رغباتهم وميولهم بعين الاعتبار .

2 — رفع القيود المادية التي تحد من تكافؤ الفرص ، واولها .. المصروفات الجامعية الباهظة . فانه مع الاعتراف بأن ارتفاع مستوى المعيشة في كثير من الدول قد أتاح فرصا أكبر لطلابها لاتمام دراستهم الجامعية الا أن مجانية التعليم الجامعي التي حققتها دول كثيرة في السنوات الاخيرة كانت هي العامل الحقيقي الذي أعطى الفرصة المتكافئة لكل قادر على مواصلة هذا التعليم .

3 — تدبير المعنويات المادية ، ووسائل الرعاية الاجتماعية المختلفة للمتفوقين من الطلاب الذين تعجزهم احوالهم المادية عن مواصلة التعليم الجامعي ، رغم مجانيته ، ومن اهم انواع تلك المعنويات: اتاحة فرص الاقامة والاعاشة في المدن الجامعية للطلاب المغتربين ، فلا يزال الاغتراب يشكل عقبة كبيرة في طريق استكمال عدد من الشباب المتفوق تعليمهم الجامعي .

وتشمل المعنوية ايضا القروض الطويلة الاجل التي يسددها الطالب دون فوائد بعد تخرجه من الجامعة وبدء حياته العملية ، كما تشمل الجوائز المالية التي تمنح للمتفوقين من الطلاب وتساعدهم على استمرار تفوقهم ونجاحهم .

ويقدر بعض الخبراء ان هذه المعنويات —باشكالها المختلفة — يجب أن تتوافر لحوالي ثلث عدد الطلاب الدارسين في الجامعة .

4 — ويرتبط بالتعليم الجامعي انواع اخرى من التعليم العالي ، كانت تبعيتها محل بحث ودراسة — خلال السنوات الماضية ، في كثير من بلاد العالم — ونقصد بها بعض المعاهد العليا التي يلتحق بها الطلاب بعد المرحلة الثانوية . وفي مقدمتها : المعاهد التكنولوجية ، ومعاهد المعلمين ، ومعاهد التمريض ، وما اليها ، هل تظل هذه المعاهد بعيدة عن التعليم الجامعي ، ونطاقه ، أم تضم الى الجامعات .

ان بقاءها خارج نطاق الجامعات ما هو الا تقليد جرت عليه الامور .

وقد استقر الراي — في كثير من البلاد — على ان ضم تلك المعاهد الى الجامعات يوحد شكل التعليم العالي ، ويحقق ديمقراطية التعليم ، واتخذت انجلترا هذا الموقف بضمها معاهد المعلمين الى الجامعة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وعادت الى تاكيد هذا المفهوم عندما درست لجنة روبن مشاكل التعليم العالي في بريطانيا ، وضمت ايضا الى الجامعات مجموعة من المعاهد التكنولوجية وهي ما عرفت بكليات التكنولوجيا المتقدمة ، واصبحت دبلوماتها درجات جامعية .

5 — ويجرنا الحديث عن ديمقراطية التعليم وضرورة اتاحة الفرصة المتكافئة فيه ، الى ان نذكر فئة من العاملين في قطاعات الانتاج والخدمات فاتتهم فرصة التعليم الجامعي والعالي ، لاسباب خارجة عن ارادتهم ، وربما كان بينهم من هو اهل لهذا التعليم ، وفي نفس الوقت لا يستطيع ترك عمله للتفرغ للتعليم الجامعي ، وقد واجهت بلاد كثيرة — شرقية وغربية — هذه المشكلة . باسلوب واقعي ، فاتاحت الفرصة لهذه الفئة ، لاستكمال التعليم مع عدم تفرغ الطالب له.

وتدل احصاءات الامم المتحدة على ان عدد هؤلاء الطلاب يبلغ حوالي نصف عدد طلاب التعليم الجامعي في الاتحاد السوفياتي ، وفي انجلترا ، على حد سواء .

6 — ويوصي الخبراء ايضا بعدم تركيز الجامعات والكليات الجامعية في العواصم والمدن الكبرى ، بل يجب العمل على توزيعها جغرافيا على الاقاليم المختلفة ، اذ يتيح ذلك الفرصة لانتشار التعليم الجامعي ، والتغلب على عقبة الاغتراب والاعاشة ، بل والازدحام في جامعة العاصمة .

وقد خطت مصر خطوات على هذا الطريق بانشاء جامعة الاسكندرية في عام 1942 ، ثم جامعة اسيوط في عام 1957 وفرعها في المنيا في عام 1966 وكليتين للطب في كل من طنطا والمنصورة في عام 1962 نرجو ان تكون كل منهما نواة لجامعة اقليمية جديدة .

ضرورة التوسع في التعليم الجامعي

اشرنا فيما سبق الى ان ظهور هذا العدد الكبير من الدول المستقلة في الحقبة التي تلت الحرب العالمية الثانية ، وحاجة هذه الدول الى التعليم ، بعد طول حرمان ، قد ادى الى التوسع في التعليم الجامعي والعالي ، الا ان هناك عوامل اخرى هامة ساهمت — ولا تزال — في اتساع نطاق هذا النوع من التعليم .

ومن هذه العوامل النمو السكاني العالمي ، وضغط هذا النمو على التعليم ، واستجابة المسؤولين لحاجة الشعوب وحقها في طلب العلم . وقد صاحب هذا النمو

السكاني — بل وسبقه خلال النصف من القرن الحالي — توسع كبير في التعليم الثانوي ، ادى بعدد كبير من الشباب الى ابواب الجامعات .

ومن اسباب التوسع ايضا الآخذ بمبدا تكافؤ الفرص الذي اشرنا اليه ، ومجانية التعليم الثانوي في كثير من البلدان ، ثم مجانية التعليم الجامعي في عدد كبير منها . وبالاضافة الى ذلك فان تعليم البنات لم يكن منتشرا بهذا الاتساع قبل خمسين عاما ، اما الان فللطالبة فرصة متكافئة كالطالبات تماما ادت بها الى التعليم الجامعي باعداد متزايدة فاقت اعداد الطلاب في بعض الدراسات الجامعية .

ولا تقتصر العوامل التي ادت الى التوسع في التعليم الجامعي ، على رغبة هذا العدد المتزايد من الشباب في اتمام تعليمهم ، بل هناك عوامل اخرى مرتبطة بنمو المجتمع نفسه ، ونمو الصناعة فيه ، وحاجة كل ذلك الى انواع من التخصصات الجديدة في كافة نواحي العلوم والتكنولوجيا لصالح الانتاج والتنمية وحاجة المجتمع ايضا الى خدمات اكثر حجما وتوسعا في ميادين الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية ، وضرورة اعداد القوى البشرية اللازمة لمقابلة تلك الالتزامات .

كل هذه العوامل تؤلف قوى مؤثرة بشكل فعال في نمو التعليم الجامعي ، وتحتم التوسع فيه ، وبخاصة في البلاد التي تخطط لاحتياجاتها من مختلف فئات الفنيين .

اثر تقدم العلوم والتكنولوجيا على التعليم الجامعي

وقد احدث التقدم الهائل في العلوم والتكنولوجيا في السنوات الاخيرة تغيرا جذريا في الحياة الفكرية في الجامعات ، وادى الى انشاء انواع جديدة من معاهد البحث العلمي ، ومعاهد التعليم ، لم تكن موجودة من قبل .

وقد ادى هذا التقدم ايضا الى استخدام اجهزة علمية .. معقدة .. غالية الثمن ، مما ادى — بدوره — الى ارتفاع نفقات البحث العلمي ، والتعليم الجامعي .

واحدث ذلك كله تغيرات واضحة في التعليم الجامعي والعالي ، فقد ادى ظهور تخصصات جديدة — وتفتتها الى تخصصات ادق — الى زيادة عدد الطلاب الدارسين في هذه المجالات . سنة بعد اخرى . وارتفاع نسبة هؤلاء الطلاب الى عدد الطلاب الدارسين للعلوم التقليدية والعلوم الانسانية .

وقد ادى هذا التطور — ايضا — الى زيادة عدد المعاهد التكنولوجية ، سواء داخل الجامعات او خارجها ، لتلاحق تدريب الاخصائيين في هذه المجالات الحديثة .

وكان على الجامعات في ظل هذا التطور . ان توازن بين حجم التعليم . وحجم البحث العلمي بها ؛ فحدث نمو هائل في برامج البحوث العلمية ؛ بل صبغ التعليم الجامعي نفسه بروح البحث العلمي . واصبح هدف هذا التعليم .. هو اعداد الاخصائيين القادرين على التطور مع التطور السريع للعلوم .

وكان تاثير تقدم البحث العلمي واضحا على نمو الدراسات العليا بالجامعات ، واصبح لزاما ان تتعاون الجامعات تعاونا وثيقا مع مراكز البحث المتخصصة .

واصبح ضروريا وضع سياسة للبحث العلمي .. تضمن تنسيق برامج البحوث وعدم تكرارها ، وحسن استغلال التمويل المتاح لها .

واصبح لازما — كذلك — التنسيق بين البحوث العلمية البحته ، والبحوث التطبيقية اللازمة لتطوير الصناعة والانتاج ، لصالح المجتمع .

وقد ادى تقدم العلوم التكنولوجية ايضا الى ادخال وسائل تعليمية حديثة يسرت نشر التعليم الجامعي ، ونقل المعلومات في سهولة على نطاق اوسع ، ويسرت ايضا تسجيل نتائج البحوث العلمية وتتبع برامجها . ومن هذه الوسائل الحديثة النافعة : ادخال التليفزيون في التعليم ، واستعمال العقول الالكترونية في البحث العلمي ، والاستعانة بمعامل اللغات ، ومراكز التوثيق العلمي وما الى ذلك من ميسرات التعليم والبحث .

الا ان الاهتمام الزائد بالعلوم التطبيقية ، وزيادة الاقبال عليها ، ينبغي الا يصرفنا عن الاهتمام بالعلوم الانسانية — كما سبق ان اسلفنا — فان هذه العلوم هي التي تعطي للطالب الجامعي الفرصة لتفهم تاريخ ما يدرسه من علوم — وتفهم مشاكل المجتمع واحتياجاته ، وان النهج الصحيح للعلاقة بين العلوم الانسانية والعلوم التطبيقية من شانه ان يهدم الحواجز بين طرفي المعرفة .

بعض النواحي العلمية في التعليم الجامعي

نمو المعرفة :

الجامعة هي مجتمع الاساتذة والطلاب ، وهي مركز للعلم والمعرفة .. لم تتغير هذه الرسالة منذ القدم ، رغم تغير تكوين الجامعات وتطور اسلوب عملها.

ورغم المؤثرات التي كانت تصبغ التعليم الجامعي في مختلف العصور ، فقد كانت الجامعات — ولا تزال — تعطي اهتمامها الاول للاستزادة من المعرفة ونشرها على أوسع نطاق ، اذ يتميز الفكر الجامعي باعتماده على البحث والملاحظة والتجربة ، ثم تفسير مشاهداته ليصل الى المعرفة ..

والمجتمع الناجح للاساتذة والطلاب ، تنمو فيه العلاقة الانسانية بين الاستاذ والطالب بحيث يحرص الاستاذ على رعاية طلابه وتوجيههم ليكونوا مواطنين صالحين أولا ، ومتخصصين مؤهلين ثانيا . كل فيما هيىء له ليؤدي رسالته في خدمة المجتمع وخدمة الانسانية . مواطن صالح على درجة من الثقافة العامة تتيح له اكتشاف طريقة في الحياة وتمكنه من الاستزادة من العلم ، وعلى درجة من الدراية الفنية في نوع من فروع العلوم التطبيقية تمكنه من خدمة المجتمع الذي يعيش فيه ..

ويحتاج هذا الاعداد الى دراسات اساسية موحدة ، يقضي فيها الطالب الجامعي الجديد — مهما يكن تخصصه المستقبل — عاما أو بعض عام ، يدرس فيها منهجا مناسبا من العلوم الانسانية ، يتيح لطلاب العلم في الجامعة اساسا مشتركا من المعرفة .

وفي بعض الجامعات تتالف هذه الدراسة من علوم التاريخ ، والاجتماع ، والفلسفة والدين ، تتكفل بتدريسها اقسام العلوم الانسانية بالجامعة ، وبحيث يكون لدى الطالب في نهاية هذه المرحلة الاعدادية او مرحلة الاساس كما سميت في بعض الجامعات الحديثة فهم واضح للاسلوب العلمي في التفكير ، وفكرة صحيحة عن نشاة العلوم وتطورها ، ودراسة علمية لتركيب المجتمع واحتياجاته ، وعلاقة كل ذلك بما يدرسه الطالب من علوم تطبيقية .

وتهتم الجامعات — خلال هذه المرحلة — بدراسة تاريخ العلوم ، ودراسة ما اسهم به السلف من جهود في ميادين العلم والمعرفة ، حتى يكون ذلك حافزا قوميا وقويا على البحث والدراسة ، ومثلا يحتذى في تنمية العلم والمعرفة .

ولا شك ان رسالة الجامعات . في عالمنا الحديث لم تعد مقصورة على الاهداف التقليدية من حيث البحث عن المعرفة وتاصيلها ونشرها . يوم ان كانت الجامعات مقصورة على الآداب والعلوم البحتة . وانما امتدت تلك الرسالة حتى كادت تشمل كل نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية والعلمية، والتكنولوجية وقد اصبح من الطبيعي ، في عالمنا الحديث ، ان تتقابل الجامعات مع المجتمع . لبحث حاجاته ، والاستجابة لمتطلباته .

الجامعة والبحث العلمي

البحث العلمي دعامة من اهم دعامات التعليم الجامعي ، واستاذ الجامعة من خصائصه المميزة انه باحث يجمع مع ممارسته للتعليم نشاطه في البحث العلمي . بل ان الجامعات تشترط في الاستاذ ان يكون باحثا بصفة اساسية . قبل اختبار قدرته على القاء المحاضرات والدروس .

وتهتم بعض الجامعات ببث روح البحث العلمي في الطالب ، وهو لا يزال في مرحلة الدراسة لدرجة البكالوريوس ، ففي روسيا — مثلا — يشجع الطلاب في هذه المرحلة على الاشتراك فيما يجريه اساتذتهم من بحوث ، وربما وصل عدد الطلاب المشاركين في البحوث الى عشر مجموع طلاب الفرقة .

الا ان الاستاذ يحتاج الى مزيد من الوقت للتفرغ للبحث العلمي ، وبخاصة في هذا العصر الذي ازداد فيه عدد الطلاب في الجامعات زيادة كبيرة ، والقت هذه الزيادة عبئا مضاعفا على قلة من اعضاء هيئة التدريس .

ولجات بعض الجامعات — ابقاء على نشاط الاستاذ في مجال البحث العلمي — الى انشاء مراكز متخصصة للبحوث ، يعمل فيها الاساتذة في اوقات محددة ، غير اوقات عملهم التعليمي ، حتى تضمن استمرار البحث العلمي ، وعدم طغيان الواجبات التعليمية عليه .

وكثيرا ما اثيرت نوعية البحث العلمي ، كنوع من انواع النشاط البارز والمميز للحياة الجامعية ، وهل هذا البحث هو مجرد حاجة علمية او ما يسمى بالبحث المجرد او البحث الاكاديمي ، او ان البحث يجب ان يهدف الى حل مشاكل تطبيقية تخدم اغراض المجتمع.

وقد استقر الراي في العصر الحديث على ان البحث العلمي يجب ان ياخذ ـ بعين الاعتبار ـ حاجات المجتمع التي تمثل الجامعة ركنا من اهم اركانه ، ولا يمنع ذلك قيام الباحث بما يشبع رغبته ، وينمي فرع تخصصه من البحوث الاكاديمية .

اذ ان البحوث الاكاديمية ـ علاوة على انها استثمار طويل الاجل في مجال البحث العلمي .. تظهر تطبيقاته العملية فيما بعد ـ فانها عامل اساسي في نمو العلم والمعرفة وفي تكوين الجو العلمي السليم ، داخل الجامعة ، وتربية طلابها وطلاب البحث التربية العلمية الصحيحة وتعويدهم التفكير المنطقي السليم .

وبالاضافة الى ذلك كله ، فان تدعيم هذه البحوث يشكل الرصيد الاكبر للمكانة العلمية للجامعة .

لذا ، فان المصلحة العامة تقضي بان يكون هنالك قدر من التنسيق والتوازن بين البحث في العلوم الاساسية (البحوث الاكاديمية) وبين البحوث التطبيقية ، التي تسهم في حل مشكلات محددة . كما يجب ان يكون هناك ايضا قدر من التنسيق بين ما يجري من بحوث في الجامعات ، وبين ما يجري في مراكز البحوث المختصة التي تهتم ـ اساسا ـ بالبحوث التطبيقية الخاصة بمشاكل الصناعة .

ومن هذه الزاوية الاخيرة ـ زاوية البحث العلمي التطبيقي ـ فان الجامعات تؤدي دورا هاما في خدمة المجتمع ، فالبحث العلمي يؤدي الى استخدام الموارد المتاحة ، بصوره أكثر فعالية ، وبالتالي فهو يؤدي الى زيادة الانتاج .

ويهدف البحث العلمي ـ كذلك ـ الى ابتكار وسائل جديدة لتطوير الزراعة والصناعة ، وزيادة انتاجها ، وبالتالي .. الى نمو اقتصادي يتلوه بالطبيعة نمو اجتماعي .

واذن ، فان الاهتمام بالبحث العلمي ـ في الجامعات ، ومراكز البحوث المتخصصة ، على حد سواء ، والاهتمام بتنسيقه هو من الزم الامور ، لتنمية المجتمع ، وتقدمه . وهو الزم في المجتمعات النامية التي تسعى جاهدة الى تضييق الشقة الواسعة بينها وبين المجتمعات المتقدمة .

وفي الجمهورية العربية المتحدة تجري 60 ٪ من البحوث العلمية في الجامعات ، وحوالي 17 ٪ من هذه البحوث في مراكز البحوث المتخصصة ، وتجري باقي البحوث في معامل متفرقة في الهيئات والوزارات المختلفة .

وبدراسة المشاكل العلمية ومجالات البحث التي يتعرض لها هؤلاء الباحثون ، يتضح لنا ان هناك عملا كبيرا لا يزال ينتظر القائمين على تنظيم البحث العلمي في بلادنا من حيث حصر المشاكل التطبيقية التي تعوق الصناعة ، او التي تعوق التنمية الاجتماعية. ثم العمل على ايصال هذه المشاكل الى المتخصصين للبحث فيها ، وايجاد الرابطة القوية بين الباحث ومجال البحث التطبيقي المطلوب .

بدات بالفعل خطوات لتدعيم جهاز البحث العلمي في الجامعات المصرية ، فبالاضافة الى تزايد عدد الحاصلين على درجة الدكتوراه في فروع التخصص العلمية المختلفة ، اهتمت الجامعات في السنوات الاخيرة بتدعيم الدراسات العليا بها ، وبزيادة عدد المعيدين زيادة كبيرة ، واعتبارهم ـ اساسا ـ طلاب بحث قبل ان يكونوا معاونين في التعليم . الا ان الامر يحتاج ، بالاضافة الى ذلك ، الى مزيد من الاهتمام بما يحتاجه البحث العلمي من اجهزة ومعدات ؛ ومساعدين فنيين ، ومكتبات علمية ، وغير ذلك من مقومات البحث العلمي في العصر الحديث . ولا يمكن تدبير ذلك كله دون تدبير الموارد المالية اللازمة .

ويجب ان نتفق على ان الانفاق على البحث العلمي هو من قبيل الاستثمار الذي يؤديه ـ بطريق غير مباشر ـ الى زيادة الانتاج ، كما سبق ان أوضحنا وما دام البحث العلمي قد ارتبط بالانتاج فقد اتفقت الاراء على ضرورة تخصيص نسبة معينة تقدر بواحد في المائة من الدخل القومي ، للانفاق على البحث العلمي .

الدراسات العليا واعداد المتخصصين :

ولا يقتصر النشاط التعليمي للجامعة على طلاب مرحلة الليسانس او البكالوريوس ، بل يمتد الى ما بعد هذه المرحلة ، ولا نغالي اذ نقول ان مرحلة الدراسات العليا هي الزم لنمو الجامعة وتقدم البحث العلمي بها ، من المرحلة الاولى ، وبخاصة وان مرحلة الدراسات العليا تختلف في اسلوبها عن سابقتها ، وتتميز بكثير من الفكر المستقل ، وبظهور عناصر الابتكار في البحث العلمي ، وبخاصة في مراحل الدكتوراه .

ويقوم على اكتاف الباحثين – في هذه المرحلة – عبء كبير مما يجري في الجامعات من بحوث تحت اشراف الاساتذة الذين يمثلون الطليعة في البحث العلمي كل في ميدان تخصصه .

ويزداد عدد طلاب الدراسات العليا بالجامعات ، زيادة مطردة ، عاما بعد عام ، قدر حاجة المجتمع الى متخصصين في فروع العلوم التطبيقية ، وقدر حاجة الجامعات الى مزيد من اعضاء هيئة التدريس لمواجهة التزامات التوسع في التعليم الجامعي ، وفي انشطة البحث العلمي .

ولا يشترط ان تجري الدراسة العليا كلها داخل الجامعة . بل – في كثير من الاحيان – يقوم تعاون وثيق بين الجامعة وبين المعاهد المتخصصة في هذا المجال ؛ بل ويحبذ – في بعض الاحيان – انشاء مدارس متخصصة للدراسات العليا .. تكون مرتبطة بالجامعة وبمراكز البحوث المختلفة .

ولا تقتصر الدراسات الجامعية على طلاب التخصص والبحوث . بل ان من واجب الجامعة ان تنشر العلم والمعرفة في المجتمع حولها ؛ وان تعد برامج متقدمة للعاملين في المجالات المختلفة – في الصناعة وغيرها – ليستمر اتصال العاملين فيها .. بالتقدم العلمي ، في مجال عملهم .

وسوف نجد كل هذه الانشطة الجامعية قائمة بنجاح تام في البلاد العريقة في التعليم الجامعي ، والمتقدمة في العلوم والتكنولوجيا . اما في البلاد النامية حيث كان التوسع في التعليم الجامعي سريعا بعد مرحلة الاستقلال ؛ فلا نتصور ان تنمو الدراسات العليا والبحوث بنفس السرعة او القوة التي تنمو بها في الجامعات القديمة . وهنا يأتي دور التعاون الدولي في هذا المجال : تعاون على نطاق اقليمي ، وتعاون على نطاق دولي في نطاق تنظيمات الامم المتحدة وغيرها .

وقد ظهر في الاعوام الاخيرة اتجاه الى تشكيل اتحادات اقليمية وعالمية لجامعات ، نذكر منها .. الاتحاد العالمي للجامعات ؛ واتحاد الجامعات العربية؛ واتحاد الجامعات الافريقية .

ولا يزال الوقت مبكرا للحكم على مدى الفائدة التي يجنيها التعليم الجامعي ، من هذه التنظيمات .

حياة الطالب في الجامعة

ان طالب الجامعة ،من وجهة نظر عامة ، هو المحور الذي يقوم من اجله التعليم الجامعي ، فمن اجله يخطط هذا التعليم وتوضع اسسه ، وتتحدد برامجه واهدافه بغية اعداد الطالب مواطنا صالحا ، قادرا على القيام بعمل محدد في البناء الاقتصادي ، والثقافي ، والفكري للبلاد .

فحياة الطالب في الجامعة اذن ، يجب ان تحظى باهتمام خاص كي تحقق اهداف التعليم الجامعي ...

ويجب ان تبذل الجامعة جهدا ايجابيا في دراسة الصعوبات التي تتعرض حياة الطالب ، وبخاصة عند اول التحاقه بالجامعة .

يجب ان تقوم اجهزة متخصصة في ادارة الجامعة بهذه الدراسات ، وان تتفرغ للتصدي لها ، وايجاد الحلول العلمية التي تيسر للطلاب حياتهم ، وتضمن تفرغهم للدرس والتحصيل . ويجب ان يساهم الاساتذة ، وتشكيلات اتحاد الطلاب في هذا الجهد ، فهو واجب اساسي لكلا الطرفين ، وهو محقق لاهداف وجودهما معا .

ان الطالب يدخل الى الجامعة مغتربا ، وربما لاول مرة . وهو يتوقع حياة جديدة تماما ، حياة تختلف مما مارسه في المدرسة الثانوية ، يتوقع في الجامعة قسطا اوفر من الحرية الشخصية ، وعلاقة اوثق مع استاذه ، وقدرا اوفر من حرية التعبير والنقد ، والفكر والمناقشة . وواجب الجامعة ان تشجع الطالب على ممارسة حياته الجديدة ، وان تنمي فيه هذه الصفات ، وان ترعاه اجتماعيا ، ونفسيا، بجانب رعايته تعليميا وثقافيا .

ان الصعوبات التي تقابل الطالب – عند التحاقه بالجامعة – متعددة الجوانب : منها ما يتعلق بحياته الاجتماعية كصعوبات السكن والاعاشة ، سواء ما يتعلق منها بقدرته المادية على تدبير امور معاشه او قدرته النفسية على التكيف مع هذه الحياة الجديدة ، ومنها ما يتعلق بقدرة الطالب على مقابلة النفقات المختلفة للحياة الجامعية رغم مجانية التعليم الجامعي.

ومنها مصاعب تتعلق بأسلوب التعليم الجامعي نفسه ، وسائله وبرامجه ، وامكانيات نجاحه سواء من حيث لغة الدراسة ان كانت غير اللغة العربية ، او مصاعب الحصول على الكتب الجامعية او الخدمات المكتبية او غير ذلك من الوسائل التعليمية المختلفة .

ان استعراض هذه الامور يوضح مدى الحاجة الى زيادة اهتمام القائمين على شؤون التعليم الجامعي .. بحياة الطلاب ، داخل الجامعة ، وتعاطفهم معهم وتوجيههم الى افضل السبل واسلمها .. نحو حياة جامعية صحيحة .

يجب ان يوجه اتحاد الطلاب الى الاهتمام بحياة الطالب الاجتماعية والثقافية ، والاشتراك مع المسؤولين عن امور الجامعة اشتراكا فعالا في تلمس الحلول للمشاكل اليومية التي تصادف الطلاب ... عن طريقة دراسة وبحث هذه المشاكل ، واقتراح الحلول العملية لها ، التي تتفق وظروف البيئة والامكانيات المتاحة للجامعة .

يتضح ــ اذن ــ ان حياة الطالب في الجامعة ، تحتاج الى مقومات معينة ، وعلى الاخص في نواحي الاسكان والاعاشة ، ونواحي التربية الرياضية والثقافية ، ثم الاهتمام ــ اكبر الاهتمام ــ بالنواحي التعليمية ؛ من حيث البرامج والطرق والوسائل وتطويرها تطويرا مستمرا ؛ لتساير التقدم العالمي في هذا الاتجاه .

فمن ناحية الاسكان والاعاشة ، يجب ان تحظى المدن الجامعية وما تؤديه من خدمات باهمية خاصة . وان تتوسع الجامعات في هذه الخدمات الى اقصى حد ممكن فلا يخفى علينا الفوائد الاجتماعية والثقافية والنفسية المتعددة التي يجنيها الطلاب من الاقامة في المدن الجامعية ، وبخاصة اذا اشرف عليها الاساتذة اشرافا فعالا .

ومما يذكر ان عدد الطلاب الذين تستوعبهم المدن الجامعية في بعض البلاد يبلغ 50 ٪ او اكثر من عدد طلاب الجامعة .

وهناك حاجة ايضا الى زيادة الاهتمام بالحياة الرياضية والثقافية للطلاب ، ويستدعي ذلك فسح الوقت الكافي في جدول الدراسة ، ليزاول كل طالب مايهيئه له استعداده ، من هذه الانشطة ، كما يستدعي الامر ان تهتم كل جامعة بتوفير الاماكن والامكانيات التي تيسر للطلاب مزاولتها .

ان الرعاية الصحية للطلاب ــ وقاية وعلاجا ــ عنصر اساسي توفره الجامعات لطلابها . كما ان التغذية ــ نظير رسوم رمزية ــ أمر ضروري وحيوي ــ اثبتت المشاهدة والخبرة اهميته واولويته .

ومع الاهتمام بالاعاشة والاقامة وتوفير الرعاية الصحية ، ورغم مجانية التعليم الجامعي فلا يزال هناك عدد غير قليل من الطلاب لا تمكنه قدرته المادية من الاستمرار في التعليم الجامعي رغم تفوقه في بعض الاحيان ــ اذ قد تعجزه رسوم الاقامة القليلة ، او ما تتطلبه الكتب والمذكرات من مال ... هؤلاء جميعا يجب ان تدبر لهم الجامعة موردا ماليا ــ كما هو الحال في كثير من الجامعات ينفق منه للطلاب على هيئة اعانات او قروض طويلة الاجل ــ تسدد ــ دون فوائد بعد انتهاء الدراسة الجامعية ... ولا يؤثر ذلك بطبيعة الحال في الحوافز التي يحصل عليها المتفوقون من الطلاب في شكل جوائز مالية مجزية .

وفي الناحية التعليمية يلزم التنويه بأمرين .. الاول ضرورة توفير امكانيات نجاح التعليم الجامعي . بادئين بالاعداد السليم لهيئة التدريس ــ كما وكيفا ــ ثم توفير الوسائل التعليمية الحديثة والامكانيات المعملية والمكتبات وغيرها .

والامر الثاني .. المراجعة المستمرة لطرق التدريس وبرامجه وطرق الامتحان ووسائله . مع الاخذ بعين الاعتبار انعكاس هذه الطرق على الطلاب واستجابتهم لها .

ان نجاح العملية التعليمية نفسها مكمل لنجاح رسالة الجامعة ، ومؤثر على نجاح الطالب الذي وفرت له الجامعة المناخ النفسي الذي يمكنه من الاستفادة من امكانياتها العلمية .

ان الاستثمار في التعليم الجامعي والعالي ــ وهو استثمار للتعليم والتدريس ــ هو استثمار لزيادة الانتاج والارتفاع بمستواه ، وهو بذلك استثمار للتنمية وتحقيق مستوى افضل للمعيشة ...

ان الاهتمام بحياة الطالب في الجامعة ــ وعلى هذه الصورة ــ لهو من اهم العوامل التي تتيح للتعليم الجامعي ان يحقق اهدافه . والاهتمام بحياة الطالب مسؤولية اجهزة الجامعة ، كما هو مسؤولية استاذ الجامعة . ويجب ان يشجع الطلاب ــ عن طريق تشكيلات الاتحادات الطلابية ــ على ابداء الراي والمناقشة ، والدرس ، والبحث فيما يعرض لهم من مشاكل في حياتهم الجامعية .

ويجب ان تنصت الجامعة ، وينصت الاستاذ الى ما يختلج في هذه النفوس الشابة من مشاعر ، وما يسري بين جنباتها من خلجات . ولا يجب ان نخلط بين الوصاية على انشطة اتحادات الطلاب وبين العلاقة الجامعية الروحية التي تسود بين الاستاذ والطالب ، فهي اساس الحياة الجامعية والمحققة لكيانها .

التحليل العلمي والنظر المعياري الشامل يجب ان تكونا أساس الفكر العربي الحديث المجرد من كل تبعية ثقافية

الأستاذ محمود عبد المولى (تونس)

المذهب عامة ، هو غير النظرية وغير النظام ، وكثيرا ما يخلط الناس بينهما جميعا . فالنظرية الاقتصادية او الاجتماعية او غيرها ، تعكس صورة الفكر في وجهه العلمي المجرد ، عندما يبلغ الفكر مستوى معينا من الرقي في تحليل الظواهر الاقتصادية والاجتماعية تحليلا علميا ، قصد تفسيرها والكشف عن القوانين الاقتصادية والاجتماعية التي تسير الانسان وتتحكم في واقعه ونشاطه .

اما قاموس اكسفورد ، فهو يعرف النظام عامة ، بانه مجموعة من الاشياء متصلة بعضها ببعض بحيث تتكون منها وحدة مركبة .

والنظام الاقتصادي والاجتماعي ، هو مجموعة العناصر القانونية والاجتماعية مثلا : النظام ، الاقتصاد المغلق ، الاقتصاد الاشتراكي والشيوعي ، والنظام التعاضدي الذي اخذت به تونس كاختيار اشتراكي وقومي في نفس الوقت ، والآن وبعد ان عرفنا النظرية والنظام سيتضح لنا ما هو المذهب ؟ فالمذهب عامة ، هو المنهج الايديولوجي الذي يقود الفكر الى الحكم بافضلية نظام معين او بعدم جدواه كان يقال : بان النظام الاشتراكي التعاضدي الذي اختارته تونس ، هو افضل من النظام الراسمالي ، لان النظام الاول يحقق في نفس الوقت العدالة الاجتماعية ، كما يحقق الديمقراطية الاقتصادية ، والحرية السياسية ، بينما النظام الراسمالي يهدف اولا وقبل كل شيء الى الربح الفردي ، ومن قال ربحا فرديا قال انانية وجشعا واستغلالا وجميع التناقضات الاجتماعية .

وهذا مثال آخر . لناخذ مثلا مشكل التناسل والازدياد الديمغرافي باعتباره مشكل القرن العشرين ، وما يثيره هذا المشكل من نقاش حاد ، فان الاختيارات التونسية ، هي كما اكد الاخ احمد بن صالح في الملتقى المغربي للديمغرافيا (1) ترمي الى الحد من الازدياد الكمي للسكان (بواسطة اجراءات وقائية) كتعلة لحل مشكلة التنمية الاقتصادية ، وانما تهدف في الحقيقة والواقع ، الى تنظيم العائلة التونسية . وارسائها على قواعد علمية سليمة ، منسجمة مع امكانيات العائلة نفسها ، الكفيلة بتوفير الحاجيات المادية والادبية لاطفالها ، حتى يكون هؤلاء في المستقبل عناصر سكانية حية وفعالة ، في زيادة الانتاج والانتاجية وتنميتها .

تخلف الفكر والواقع :

يمكننا ان نؤكد هنا بان المجتمع التونسي — رغم محاولات التطوير الجريئة — ما زال يعد متخلفا بالنسبة للمجتمعات المتقدمة ، ومتقدما بالنسبة للمجتمعات الاخرى المتخلفة ، واذا حاولنا تحليل هذا التخلف وجدناه يتناول الميدان الاقتصادي ، والاجتماعي ،

---

1) انظر لنا تحقيقا مفصلا في حلقتين حول : الملتقى المغربي للديمغرافيا . العدد 120 والعدد 121 من مجلة الشعب غرة فيفري و 16 منه 1969 . (للمؤلف) .

والفكري . في وقت واحد . وهذا يعني ان هذا التخلف المتعدد الجوانب هو نتاج حتمي لتلك الهياكل والتركيبات الاقتصادية والاجتماعية التقليدية والمتجاوزة ، هذا التخلف ذاته في الهياكل والتركيبات يولد التخلف في الفكر ، والعكس صحيح ايضا اي ان التخلف الفكري ، قد ينمي التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، فالمبني على الفاسد فاسد ، كما يقال ، نحن اذن امام وحدة تركيبية تمثل التخلف في اجلى « تماساته » ، ومن الملاحظ ان المجتمعات المتخلفة بصفة عامة هي مجتمعات ، التحليل والبحث العلمي فيها متخلفان ايضا .

فما احوجنا اليوم ، الى ان نعمل بكلمات الامر التي وجهها منذ اكثر من عشرة قرون ، الاستاذ القيرواني ابو محمد ابن التبان الى بعض من تعلم عليه قائلا : « خذ من النحو ودع ، وخذ من الشعر واقل ، وخذ من العلم واكثر ، فما احد اخذ كثيرا من النحو الا احمقه ، ولا من الشعر الا اذله ، ولا من العلم الا شرفه ... » (1)

فمجتمعات يكثر فيها الانشاد الشعري ، وتكثر فيها المهاترات اللغوية ويقل فيها التحليل العلمي هي مجتمعات ، اما ان تكون سائرة ببطء في التنمية ، واما ان تكون كالواقفة ، تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، فهي بهذا الاعتبار كالراكدة ، واخيرا المجتمعات التي تتقدم خطوة الى الامام وتتقهقر خطوات الى الوراء هي بهذا الاعتبار سائرة في طريق النمو في التخلف .

ان ضعف الثقافة التاريخية والعلمية ، وفقدان البحوث والتحقيقات العلمية المتعلقة بجميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية ، والتربوية ، كل ذلك يفسر لنا اسباب **انحراف بعض الايديولوجيين وسياسيي العالم الثالث** :

ان هؤلاء يتخبطون في فوضى فكرية هي — في راينا — اتعس من الفوضى الاجتماعية والاقتصادية(2)

اذن نرى ، كيف ان التخلف المادي ينمي التخلف الفكري ويقود الى ما شاء الله من الحلقات المفرغة واللف والدوران . وهذا كله يقود الى اهدار طاقات المجتمعات الفنية كما يتسبب في كوارث وخسائر لا تدخل تحت عد أو حصر ، فهل عمل المسلمون بمبدأ : « ... واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم، وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » ؟

التبعية الثقافية والمذهبية وانحرافاتها

ان المجتمعات العربية والاسلامية ومنها تونس، بمعطياتها المادية ، والاجتماعية ، والتاريخية ، تملي علينا طريقة خاصة في التحليل والاستنتاج لا يشاركنا فيها الاجانب ، فلنجرب — ونحن ابناء هذا المجتمع الفتي لحما ودما — ان نهضم ما درسناه في الشرق او الغرب وان نستقل بوضع طريقة علمية ، وعلم اجتماع تونسي ، عربي ، اسلامي ، له طرائقه واساليبه لدراسة مجتمعنا في جميع الميادين والقطاعات ، وفي تحليل هذا الواقع بما احتوى عليه من قيم غنية خالدة ، الى جانب ما تضمنه من فوضى وتناقض صنعت بعضها عصور الظلام والانحطاط (3) وصنع بعضها الآخر تخلفنا الفكري والمادي طيلة الاحتلال الاستعماري في العصر الحديث ...

ان استعمال المناهج والمذاهب المستوردة في دراسة مجتمعنا دون نظر الى طبيعته ، وحاجته ، وروحه ، هو خطأ منهجي في منتهى الخطورة ، انه مصدر سوء التفاهم والالتباس الذي كثيرا ما يقع في استعمال المناهج العلمية في غير ما وضعت له ، والواقع ان المجتمعات الاوربية تختلف طبيعة ونوعا عن مجتمعاتنا العربية والاسلامية كما تختلف عن المجتمعات الاخرى الافريقية الاسيوية ، ذلك أن المجتمعات الاوربية الحديثة والمعاصرة خاصة ، قد تأثرت بمؤثرات ، وحفت بها ملابسات ، ما رأتها ولا عاشتها بمجتمعات العالم الثالث ... كالثورات المختلفة التي عصفت وما تزال تعصف بالمجتمعات الاوربية الغربية والشرقية : فمن ثورة فكرية في القرن السابع عشر ، الى ثورة سياسية في القرن الثامن عشر ، الى اخرى صناعية في القرن التاسع عشر الى ثورة اجتماعية لا نزال نعيش فصولها حتى اليوم ، كل

1) انظر : معالم الايمان في معرفة اهل القيروان لابن ناجي — الجزء الثالث — ص : 117 (المطبعة العربية التونسية سنة 1320 هـ) .

2) العبارة الفرنسية قد تترجم اكثر هذه الفكرة : Cahot mental plus cahotique que le cahot social...

3) انظر دراستنا عن المجتمع التونسي بين القرن الرابع عشر والثامن عشر . والانحطاط الثقافي في العالم الاسلامي ، (بالفرنسية) في مجلة جوهر الاسلام — العدد 8 — جانفي 1969 — ص 15 — 20

هذه الثورات بمذاهبها المختلفة وملابساتها الخاصة جعلت المجتمع الاوربي والغربي تركيبات وانظمة خاصة به .

وبحكم تأثر الباحثين الاوربيين – مدا وجزرا – بكل ما تقدم ذكره ، وبحكم استجابتهم لميولهم الخاصة وعواطفهم الشخصية ، كل ذلك جعلهم على العموم يقفون غالبا من التاريخ والمجتمع موقفا حياديا باسم الزعم القائل بالموضوعية والحياد العلمي ، فاذا ارادوا دراسة مجتمعنا ، رغم جهلهم الظاهر بطبيعته وروحه ولغته ... استعملوا وسائل منهجية قد تكون صالحة لدراسة مجتمعاتهم ، لكنها غير صالحة لدراسة مجتمعنا او مجتمعات العالم الثالث من افريقية وآسوية ، فالباحثون الاجانب عموما لا يدركون ولا يفهمون ، وما كان باستطاعتهم ان يدركوا او يفهموا ، طبيعة مجتمعنا والتطور التاريخي والاجتماعي لها ، فاذا تهافت باحثونا – وقد تهافتوا ويا للاسف الا من رحم ربك – على هذه الطرق المستوردة غثها وسمينها فانهم يفقدون بذلك موضوع بحثهم ويقعون في خطأ منهجي فاحش .

لا بد ، اذن ، من **اعادة النظر في جل دراسات الاوربيين والمستشرقين** ومن دار في فلكهم ، ان اكثر هذه الدراسات ، في راينا ، وخاصة التاريخية منها اعتمدت على طرق تحليلية نقدية ، لكنها تجريدية وحيادية ، فهي من هذه الزاوية الاخيرة ، مضرة جدا وعقيمة جدا . لانها **تهمل النظرة المعيارية الشاملة** وتحكم على النصوص والوثائق بطريقة تحكمية ساذجة، فالشك مثلا ، في جزئية تاريخية ، من خلال النصوص، قد يلغي فترة تاريخية باكملها ، وهذا هو السبب الذي قلص التاريخ الاسلامي باكمله الى قرنين من الزمن تقريبا ، اضف الى هذا جهل الباحثين الاجانب، بروح الحضارة العربية والاسلامية ، مع ما يتبع ذلك من اضفاء مزاجهم الاستعماري او تعصبهم كأوروبيين « متفوقين » ذي ارجل بيضاء او سوداء ، كاثوليكيين كانوا ام بروتستنت ، لائكيين ام ملحدين ، ذوي تنكير لاطيني او جرماني او انجلوسكسوني او فكيف تكون بعد ذلك ، دراسات هؤلاء الاجانب ، من الناحية العلمية والموضوعية ؟ .

ان عدم ثقتنا بانفسنا وتخلفنا يحبب الينا كل ما هو اجنبي ، الى حد ان يوجد بين ظهرانينا جماعات تعتقد ان الخير كل الخير هو في تقليد اوربا الغربية ، وامريكا السكسونية ، وروسيا السلافية ، والمانيا الجرمانية » . اضف الى ذلك اننا ما زلنا نتابع ذلك التكوين الثقافي الغريب واللاعلمي حتى اليوم . مثلا : ما رايكم في تكوين رجل من تونس ، او من قطر مغربي آخر يدرس اللغة العربية وفقهها ، او اللغة العربية وآدابها او الحضارة العربية وتاريخ الادب العربي في فرنسا ... عن طريق اللغة الفرنسية وعلى اساتذة فرنسيين ؟ تخيلوا فرنسيا يغادر بلاده الى الولايات المتحدة ليدرس لغته القومية وعلومها وتاريخ بلاده على يد اساتذة امريكيين ؟ وعلى الرغم من كل ذلك نعتبر ان لكل قاعدة شواذها ؛ فنحن لا ننكر فضل دراسات بعض الاعلام من المستشرقين الاوربيين المجتهدين امثال ماسينيون (Massignon) وماكسيم رودنسون (M. Rodinson) وجاك بارك (J. Berque) ولاوست (Laoust) وبروكلمن وشاخت (Shacht) اما اننا لا ننكر فضل طرق العمل التقنية المنظمة . التي سلكها ويسلكها رجال العلم في اوربا وامريكا ... خاصة فيما يتعلق بطرف البحث الفنية من تنظيم وتصنيف وتقسيم للعمل ... بعد هذا العرض لا مجال للتهافت على الغث والسمين من دراسات الاوربيين ، والاطمئنان العلمي الاعمى لكل ما ينتجه هؤلاء الاجانب ، والنسج على منوال طرق بحثهم التجريدية والسلبية .

فهل يستطيع المفكرون والمؤرخون اليوم في العالم الثالث ان يبقوا هكذا مكتوفي الايدي حياديين امام مشاكل بلادهم ؟ وهل يستطيعون ان يفلتوا من خضم الايديولوجيات التي تعصف بمجتمعاتهم ؟ الى غير ذلك من التسؤلات ...

وبهذه المناسبة يلذ لي ان اطرح على جميع المثقفين في هذا البلد السؤال التالي :

اذا كان من اختياراتنا القومية القضاء المبرم على **التبعية الثقافية** بعد ان قضينا على التبعية السياسية والاستعمار البغيض . **فكيف يمكن التحرر من التبعية الثقافية اذا لم نخطط جذريا ومن الآن لبحوثنا** التربوية والتعليمية الفلاحية . والاقتصادية والاجتماعية والحقوقية على الاقل ؟ فاذا بقينا هكذا تابعين مقلدين الى ما لا نهاية للمجتمعات الاجنبية . ومراكز بحوثها ، واذا قرر الاجانب ان يعيدوا النظر جذريا ومن الاساس ، في تنظيم جامعاتهم ومراكز بحوثهم ... فهل سنبقى نحن نترقبهم حتى يدخلوا التحويرات اللازمة على مؤسساتهم ، فنغلق مؤسساتنا وكلياتنا آنذاك ، ام كيف يكون العمل ؟ امام هذا الامر؛ وبهذه المناسبة فاننا نناشد بالحاح السيد كاتب

الدولة للتربية القومية والاقتصاد الوطني ان يمضي قدما الى الامام : في تونسة وتعريب التعليم ، الجامعي : وتنظيمه وربطه بالحياة القومية واعادة تنظيم مراكز البحث العلمي من حيث وضع البرامج والخطط لتوجيه الباحثين والبحوث ... حتى تعود بالخير على توجيه معركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية في هذا البلد العزيز .

اليس مما يثلج الصدر حقا ، ان نرى **تطبيق مشروع ادخال اللغة العربية والفكر الاسلامي كمادة اجبارية في التعليم العالي** بجميع فروعه واختصاصاته: فمن المعلوم . انه وقع الشروع في تطبيق برنامج خاص باللغة العربية والتفكير الاسلامي والحضارة العربية في كافة الكليات والمعاهد التي لم تكن تدرس العربية في كافة الكليات والمعاهد التي لم تكن تدرس القومية للتعاضد . وكلية الحقوق والعلوم الاقتصادية: وكليات العلوم ، والطب ، والمدرسة القومية العليا للفلاحة ... اذن ان هذه الاجراءات التي اتخذتها كتابة الدولة للتربية القومية تعتبر في رأينا من الامور المساعدة لاندماج الطلبة في الحياة القومية ، حتى لا تنقطع الصلة بين طلاب الجامعة والواقع القومي الحي: هذا الواقع الذي تقوم عليه تراثنا الثقافي والحضاري القديم والحديث لوطننا العزيز . اليس هذا مما يعزز مقومات شخصيتنا القومية ؟ كما يخطو بتعليمنا خطوة موفقة الى الامام ؟ .

بعد هذا التحليل السريع نقرر بكل وضوح ، اننا **لسنا في حاجة الى جل المناهج المستوردة والمذاهب الايديولوجية في حقل العلوم** التاريخية والاجتماعية ... **فلنقتصر فقط على الاخذ بعلم الغرب والشرق المادي والتكنولوجي والفني ولنترك ايديولوجياته ومذاهبه الفلسفية والعقائدية ، ونزعته الالحادية والوجودية والاستعمارية ... ولنتجنب دراسة تلك النظريات الجوفاء المفرغة من كل محتوى واقعي والمفعمة بالعواطف الذاتية** ، هناك مع الاسف افراد اذا قاموا بمحاضرات او بحوث اتخذوا ذلك الاسلوب الرتيب العقيم الذي هو شغوف بوضع وترتيب علامات دورية (Style stéréotypé) وهي اشبه شيء بما يحدث عادة في المكتبات والصيدليات من تبويب للكتب والدوريات والادوية ، واذا حرروا مقالات كانت عبارة عن ثرثرة نغمية لا اكثر ولا اقل ؛ فبدلا من ان يبحثوا عن الحقائق من خلال الوقائع والاحداث كان همهم ان يكتبوا في جمل جذابة وقوالب محلات بالزخرفة والبديع وقصدهم من ذلك هو استجلاب رضى اليافعين والبسطاء : لقد شاع وانتشر هذا الاسلوب في مصرنا ويا للاسف ، واضر وما يزال يلحق الاضرار الجسيمة بالذين لم يهزهم الوعي العاقل ولا اليقظة المنيفة ، لذلك حتى نتمكن من تغيير هذا المنكر ، وتحويل هذا الواقع المتخلف؛ نسوق الملاحظات التالية :

— عدم اهمال البحث الجدي والجذري لواقع مجتمعنا المتخلف ، وذلك باستعمال جميع طرائق البحث العلمي الفعالة من تاريخية واجتماعية واقتصادية ... فمن لم يمارس القيام بالبحوث والتحقيقات لجوانب هذا الواقع او بعضها ؛ لا حق له في الكلام والكتابة .

— مقاطعة الاسلوب الرتيب اللاعلمي الذي المعنا اليه والذي يتجلى في الامور التالية :

— الانسياق في ثرثرة نغمية وكلام لا ينتهي وخال من كل معنى القصد منه امتهان الناس واحراجهم .

— اطلاق الكلام بدون موضوع ولا هدف .

— عدم الاخلاص في تحمل المسؤولية والاضرار بجميع الناس وذلك بالاعتداء على اشخاصهم ومقدساتهم ... مع اعتبارنا لما سبق . نعتقد ان **الخير كل الخير هو في استعمال المنهج العلمي المعياري، وهو المنهج الذي يستعين بعلم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسة وكل ما وصلت اليه العلوم الطبيعية والتكنولوجية من نتائج** ، هذا المنهج استعمل ويستعمل في الدراسات القومية والاشتراكية والشيوعية وهو من اكثر المناهج العلمية انتاجا وايجابية ، فاذا استعملناه نكون قد وضعنا انفسنا في بداية الطريق السوي لتحليل واقعنا المتخلف ، واصلاح منهجنا الفكري المتخلف ، وبالتالي كان خطوة ايجابية الى الامام للقضاء على التخلف ومشتقاته وفتحا موفقا لطرق التنمية الجذرية والرخاء الاقتصادي والاجتماعي ؛ فليبدا باحثونا ؛ من الآن ، **في جميع المعلومات وتحليلها واستنتاج تركيبات علمية** (Synthèses scientifiques)

بدل اتباع منهجيات لا علمية والتعصب لايديولوجيات اعتباطية ذرائعية مثل بعض الماركسيين والمتمركسين المنحرفين وغيرهم من التروتسكيين والفوضويين ، ان هؤلاء بصفتهم ـ احبوا أم كرهوا ـ اعضاء في هذه الامة لحما ودما قد اهملوا الشروط الواقعية لبلادهم وشعبهم ، فاشتراكيتهم تجريدية وخالية من كل محتوى اجتماعي ، اما **اشتراكيتنا فهي حل لمشكلة**

التخلف الاقتصادي والاجتماعي والفكري وطريق الى النمو والتقدم ـ هذا الحل الاشتراكي هو حل قومي استوجبته حتمية تاريخية ودفعنا اليه واقعنا المتخلف، ان اشتراكيتنا ترتكز قبل كل شيء على معطياتنا الذاتية والموضوعية وتستفيد بالدراسة من جميع النظريات والمذاهب الاشتراكية والخبرات الاجنبية على شرط ان تلائم واقعنا وذوقنا وروحنا ، وبذلك تكتسب اشتراكيتنا شكلا ومحتوى واسلوبا قوميا مشحونا بالحياة ويتقبله شعبنا ـ نحن نؤمن من كل كياننا ايمانا بالله وبانفسنا وبالعلم . بان **الاشتراكية الانسانية** هي انجع مذهب يخرجنا من التخلف ويدفعنا الى الامام ويحقق لنا اقتصادا جديدا وسياسة جديدة، وثقافة جديدة ايضا . هذه **الاشتراكية تجهل التناقض بين العلم والدين** ، ولسنا بحاجة الى سرد الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تحرض على محاربة الفساد والظلم بجميع انواعه ، ثم لسنا بحاجة الى الاتيان بشواهد تبرهن على ان ديننا الحنيف هو اقل الاديان السماوية غيبية (1) ، كما كرم الاسلام ابن آدم واستقطبه في جميع نشاطاته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية ، وما قول الرسول محمد (صلعم) « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لاخراك كانك تموت غدا» الا مصداقا لما قدمنا.

فنحن الاشتراكيين نتكلم لغة شعبنا ، ونتعلم من خبرات شعبنا العظيم ، حتى نعلمه ونخدم مصالحه واهدافه ، اما اولئك المنحرفون الايديولوجيون ، فيبعدهم عن قضية شعبهم قد داسوا المحتوى العلمي والقومي للاشتراكية ، وما ارادوا الا ان يكونوا امميين خياليين ، اما نحن فلا نرى **اي تناقض بين الاممية والقومية** : بل بالعكس اذا تعمقنا قليلا وجدنا ان هناك **رابطة تاليفية بين القيمتين** ، وذلك ما ان تطبق النظرية الاشتراكية في اي بلد حتى تصبح قومية اى محلية ، كان على هؤلاء ان يقتصروا على حفظ نتف وتراتيل من اقوال ماركس وتروتسكي ورجيس دي بري وكاسترو ... معتبرين اياها الاشتراكية ذاتها بل لا بد من وضعها في سياقها التاريخي ، وحيزها المكاني ، حتى يعلموا كم يكون الفرق صلبا بين النظرية والتطبيق العيني لها . ومما ينكر ان هؤلاء بعد اقامتهم في البلاد الاجنبية ، ورجوعهم الى ارض الوطن اخذوا يرددون ما ابتلعوه طازجا في الخارج ونسوا او تناسوا، ان واجبهم هو دراسة الجديد ، وبعث القديم ، وخلق الجديد ، انهم اصبحوا وكانهم عبارة عن «مونوغراف» ضاربين عرض الحائط بمبدا علمي اساسي في العصر الذري ، وهو وحدة النظرية والعمل .

النتيجة من هذا الانحراف هي اخطاء كثيرة ارتكبت وترتكب ، وهي تنتشر كانتشار الامراض السارية ، ان هذا التكوين الفكري الغريب ، وهذا التهافت والتقليد الاعمى لكل ما هو غير تونسي قد اتاح لطبقة من الناس هي طبقة اولئك الذين يسمون انفسهم « بالتقدميين » ان تتصرف بحرية كاملة الى اللعب بالافكار والمذاهب المستوردة . لعب المتعطلين ملقية نظرات علوية على الحياة والعالم ، الواقع ان العجلات التي تدور في رؤوس هذه الفئة من الناس ليس لها صلة بحياة الشعب ولا بالحياة عامة ، ان هذه **الافكار المستوردة تشبه نباتات المناطق الاجنبية التي تستنبت بواسطة بيوت زجاجية في جو اصطناعي مكيف** وليس ثمة صلة بين هذا كله والارض التي هي عليها : ليس ثمة اية صلة بين هذه الافكار وبين الواقع الراسخ الذي تتحرك فوقه جماهير الكائنات الحية ، انهم يظنون انهم يناقشون مصير الجماهير ووظيفتها التي يجب أن تقوم بها سعيا الى ما يرسمون لها من غايات واهداف سامية ، ان لعبهم هذا خطر ، او يمكن ان يصبح خطرا على الناس وعليهم ، ان الذي يسمعهم يتكلمون يظن ان جميع المشاكل قد حلت حلا موفقا وان جميع الطرق قد عبدت ولم يبق الا البداية في المسير ، مع انه لا شيء مهما في هذه الحياة يمكن ان يحل بسهولة بل كل مشكل هام يتطلب نفقات باهضة لحله او لمحاولة حله مع ما يحيق به من جهود واخطار.

الاصالـــة

انا ونحن نتجه اتجاها اشتراكيا في تونس : نؤمن بان **التخطيط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، هو الشكل الافضل للمثالية الاجتماعية** ومتى آمنا بذلك فرضنا ارادتنا على الحياة والواقع لنصوغهما من جديد حسب اهدافنا واماننا ووصلنا بذلك الى مرحلة النضج التاريخية .

وهل ننسى صرخة المرحوم الطاهر الحداد المخاصة الذي قال فيها : « اذا اردنا ان ندخل البيت ندخل من بابه ونصل الى غايتنا بيقين صحيح فليس لنا الا طريق واحد الا وهو : الاعتماد على النفس ؟ »

---

1) « ولقد آتينا داوود ... والنا لـه الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد» (سورة 34ـ9\10) .

ولا يكون اعتمادنا على انفسنا الا اذا اعتقدنا انها عظيمة ، ولا نشعر بعظمة انفسنا الا اذا عرفنا اننا من امة ذات شرف ، وسؤدد وتاريخ مجيد (...) يلزم ان نتقدم ، يلزم ان نعيش كامة لها حق في الحياة »(1) .

وهذا مفكرنا ابن خلدون الذي تناول عددا مهما من المسائل الاساسية التي اثارها ويثيرها معاصرون كما حاول الاجابة عنها بعد تحليل مسبق للتركيبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ـ بشر لاول مرة بما يسمى اليوم بالجدلية التاريخية واكتشف هذا المبدا الخطير ، قبل كارل ماركس بقرون ، فمن افكار ابن خلدون الاشتراكية ان العمل الانساني هو العنصر الاساسي للثروة (2) . وان الراسمال المستقل يجب ان يعتمد عن طريق الكادحين ثم يهاجم الاحتكار ولا سيما الاحتكار في الاقوات ، وينتقد التجار المحتكرين بشدة ويصفهم باشنع الصفات ، صابا عليهم جام غضبه ومتوعدهم بالخسران المبين (3) .

ان كتابات ابن خلدون ايها الاخوان هي مهمة جدا لانها تلقي الاضواء على ماضي البلاد العربية والاسلامية التي هي اليوم ضمن البلاد المتخلفة النامية كما يقال ؛ ففي مقدمته التي سماها ايف لاكوست (4) « بالاعجوبة العربية » يبدو ان تحليل عبقريتنا التونسي للشروط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمغرب العربي في القرون الوسطى على جانب عظيم من الاهمية ، اذ توفق الى وضع جملة من القوانين الاساسية ، تاريخية ، واجتماعية وسياسية .

وبعد هذا اليس من المدهش والمنعش في وقت واحد ان نرى مفكرا اسلاميا في بداية القرن الخامس عشر ، اي بداية عصور الانحطاط في العالم الاسلامي ، يضع كل هذه التحاليل والبحوث العلمية ؟ (5) . ومما يذكر ان هناك من حاول اتباع المنهجية الخلدونية من المفكرين العرب نذكر منهم خير الدين التونسي في كتابه : « اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك » .

بعد هذا نرى ان من واجبنا اليوم الاعتماد على النفس للقيام بدراسات علمية ونقدية لتاريخنا الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، وبذلك نعطي لاشتراكيتنا بعدا تاريخيا يساعدنا على وضع الخطط والبرامج السليمة ، ان اهمال دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لبلادنا يقود حتما الى رداءة التحليل للواقع الراهن : فلو استقرانا مثلا التاريخ التونسي والاسلامي لوجدنا جذورا للاشتراكية عميقة في الاسلام ، والتراث القومي ، وسلوك عظمائنا ، كما نجد اليوم نفس هذه الجذور في عاداتنا وتقاليدنا ، فكل ما توصلنا اليه في الحاضر هو تكامل لما توفر لنا بالامس ، فتشابك الماضي بالحاضر وتفاعلهما بما فيهما من مميزات وتناقض ادى الى ما ننعم به اليوم من حضارة ومعرفة ، فثورات الانسان المتتالية في التاريخ ، جاءت الواحدة منها ، متضمنة معطيات الاولى وحاملة بذور المقبلة ، ان في سلوك الرسول (صلعم) والخلفاء الراشدين ومنهم عمر بن الخطاب ، وكذلك ابو ذر الغفاري والقرامطة وحسان بن نعمان الغساني وخير الدين باشا والطاهر الحداد ومحمد علي وحشاد وفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة لافضل قدوة للسلوك الاشتراكي والسيرة العادلة .

وفي تراثنا التونسي نذكر سياسة حسان بن نعمان الغساني : فمنذ اكثر من عشرة قرون ركز قواعد الدولة الاسلامية لا في افريقية فحسب بل في اقطار المغرب العربي كله ، لقد دافع البربر اول الامر بشدة عن ذاتيتهم وكبريائهم بكل قوة وضراوة واعتبروا ان المسلمين كغيرهم من المحتلين الرومان والوندال والبيزنطيين ـ وهم قد قاسوا طيلة قرون اضطهاد هؤلاء ـ وظنوا ان المسلمين الفاتحين اتوا هم ايضا لاضطهادهم ونهبهم وفرض السخرة عليهم ،

---

(1) جريدة الامة ـ عدد 32 ـ في 25 جوان 1922 .
(2) المقدمة ـ دار الكتاب اللبناني ـ 1961 ـ ص : 680 ـ 681 .
(3) المقدمة ـ مطبعة البيان العربي ـ ص : 841 .
(4) Yves Lacoste : « Ibn Khaldoun », Paris, Ed. Maspero 1966 - p. 7-9.
(5) انظر دراسة عن المنهجية الخلدونية بالفرنسية للمؤلف في جوهر الاسلام ـ ديسمبر 1968 ـ العدد 7 ـ ص : 12 ـ 16 (تونس) .
انظر ايضا مقالة بالفرنسية في صحيفة : L'Action Culturelle
العدد : 1931 ـ تونس ـ 9 مارس 1969 ـ ص : 9 .

لذلك قابلوا الفاتحين الجدد اول الامر بعين الحذر ، لكنهم ما لبثوا ان سادهم الدين الجديد الذي قدروا تعاليمه القائمة على المساواة والعدل ، وبهرتهم حضارة المسلمين حتى دخلوا فيه افواجا وجماعات واصبحوا بدورهم : من دعاته المخلصين ، ناهيكم ان الجيش المغربي الذي يشكل البربر فيه جل قطاعاته الحربية كان بقيادة بربري هو طارق بن زياد الذي فتح اسبانيا سنة 711 م .

والجدير بالذكر ان الامير حسان بن نعمان الغساني الذي كان له الفضل الاكبر في تشجيع وتنشيط حركة نشر لاسلام والعربية ، قد وزع مساحات كبيرة من الاراضي على صغار فلاحي البربر وقد كانت ملكا للامبراطورية البيزنطية وهكذا ساعدهم على الارتزاق من الارض بالزراعة بعد ان كانوا غرباء عن ارضهم فتمركزوا في هذه الاراضي اسيادا وانشاوا مدنا وقرى بعد ان كانوا رحلا متهمجين .

اليست هذه السياسة الحسانية من قبيل ما يسمى اليوم **بالاصلاح الزراعي ؟** بمثل هذه السياسة الواقعية العادلة : كسب الاسلام قلوب البربر جميعا، وهكذا انضمت الوحدة الدينية الى الوحدة الاجتماعية، والاندماج الروحي والمادي بين العناصر الاسلامية والبربرية اندماجا كليا في ظل العدالة الاجتماعية ، وحتى لا نضيع في حلم الماضي ، علينا ان « نلتفت بصراحة وحزم الى معطيات الحاضر وامكانيات المستقبل » كما اكد لنا ذلك الاخ عبد العزيز بن حسن، علينا اليوم ان نجدد حركتنا الاشتراكية بالنسبة للحركات والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في العصر الذي ، وحتى نربط حبل التاريخ الذي انقطع بنا طيلة عصور الانحطاط والظلام ، علينا ان ناخذ بالاساليب العلمية الجديدة والتكنولوجية الحديثة في حقل دراساتنا المادية والفكرية وربط ذلك كله بالواقع التونسي ، فليس « اخطر على امة من ان تلبسها مذهب امة اخرى دون نظر الى طبيعتها وحاجتها وحجمها وذوقها وروحها » كما قال توفيق الحكيم .

فالنسبة لدراسة تاريخ بلادنا الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ما زلنا في بداية الطريق ولم يقم باحثونا حتى الآن ببحوث كافية وجدية مكرسة للواقع الموضوعي ، ولو حاولوا لاتوا بالعجب العجاب ، ولكن مع الاسف ما زالوا متهافتين ، متقلين بمركبات نقص عديدة امام الباحثين الاجانب .

اذا سمحتم فاني اشير الى محاولات الطاهر الحداد الرائعة :

هذا الرجل لم يدرس لا بالشرق ولا بالغرب ومع ذلك استطاع ان يطالع ويهضم منهجيات شرقية وغربية واستعمل في ابحاثه وتحاليله الواقعية الاجتماعية واحدث ما وصلت اليه الابحاث العلمية في عصره : خط في كتابة العمال التونسيين « تاريخ النضال الاجتماعي الانساني منذ بدء الخليقة الى عصره » — ومن خلال المقطع التالي نتبين انه درس حتى المذهب الماركسي ، يقول الطاهر الحداد :

« يقوم رجال من العلماء المنقطعين لخدمة الانسانية يبحثون في تاريخ الانسان ، والحق الطبيعي، والحياة الاشتراكية ، واوفق نظام اجتماعي تتم به سعادة الانسان ، فتمخضت هذه الابحاث بعد الدرس الطويل اجيالا وقرونا عن كتاب في الاشتراكية في اوربا للاستاذ (كارل ماركس) الالماني الذي عد كتابه غاية احلام الانسانية ومبدا يقوم على اعضاء العمال المخلصين البارين » (1)

ويضيق المجال هنا لعرض مقاطع من كتاباته حول الحركة النقابية في تونس ، والحركة التعاونية ، والاشتراكية التونسية ، والمراة في الشريعة والمجتمع ... وما الى ذلك من المواضيع والمشاكل التي تلتصق بالواقع التونسي التصاق اللحم بالعظم — لقد ناضل من اجل هذه الامور في تونس كما ناضل من اجلها الحداد بكل ما اوتي من قوة ، بقلمه ولسانه وقلبه الكبير — فراى الحداد من الاضطهاد ما راى فسحبت منه شهاداته ومؤهلاته ، واتهم بالكفر والزندقة ، وتظاهر ضده بعض مشائخ الدين مما هيج الراي العام عليه الذي اثارته صحف العصر ومنابر الوعظ والارشاد ... لكن ما استطاع المحافظون ان ينالوا من افكار الحداد فبقيت حية كالحديد ، وتحقق اليوم جانب مهم من مشاريعه واحلامه .

ولا يسعني اخيرا الا ان ادعو الى **الالتزام بالنقد والنقد الذاتي ، فهو خير درع لمجابهة الجهل والضعف والتخلف ،** ولا بد من ان **نواصل السير نحو الحق ولو تحطمت تحت اقدامنا عقد التواكل والخوف من مجابهة الواقع والحقيقة .**

---

1) كتاب « العمال التونسيون ... » ص : 20 .

المؤتمر العلمي العربي السادس

(1 - 7 نوفمبر 1969 بدمشق)

الدكتور عبد الحليم منتصر

الامين العام للاتحاد العلمي العربي
(القاهرة)

لقد كان عقد المؤتمر العلمي العربي السادس بدمشق ، بناء على دعوة من الاتحاد العلمي السوري ، اقرها المؤتمر العلمي العربي الخامس ، الذي عقد في بغداد سنة ست وستين ، وقام على تنفيذها الاتحاد العلمي العربي ، بالاشتراك مع الاتحاد العلمي السوري ، وكان حقا علينا شكر الدولة السورية الشقيقة ، رئيسا وحكومة وشعبا ، ان اتاحت لنا هذا اللقاء العلمي العربي الكريم ، في رحاب جامعتها العتيدة ، لنحتفل بمناسبات اربع ، هي في الواقع اربعة اعياد للعلم والعروبة . تلك هي العيد الذهبي لجامعة دمشق ، والعيد الذهبي لمجمع اللغة العربية بدمشق ، واسبوع العلم العاشر ، والمؤتمر العلمي العربي السادس .

ولعلنا نذكر ان عقد المؤتمرات العلمية ، كان امنية كثيرا ما جاشت في نفوس العلميين والمشتغلين بالعلم في الخمسينات الاولى من هذا القرن ، وكانت جامعة الدول العربية ، قد انشئت في الاربعينات الوسطى ، وكانت قد عقدت مؤتمرات ثقافية ناجحة ، وخطر لها ان تجرب عقد مؤتمرات علمية ، فدعت بعض المشتغلين بالعلم للتشاور في هذا الموضوع ، وقد سئلنا عن نوع القرارات التي يمكن ان تتخذ في هذه المؤتمرات العلمية ، فقلنا ان القرار الذي يتخذ عادة هو تحديد مكان وزمان المؤتمر التالي ، وان الغرض من المؤتمر يتحقق كاملا ، بمجرد اجتماع العلماء في صعيد واحد ، ليقرءوا بحوثا مبتكرة في موضوعات تخصصهم ، ولا شك انهم يفيدون من مناقشة بعضهم بعضا في المسائل والمشاكل العلمية .

وقد اقتنع المسؤولون آنئذ بأن يهيئوا للعلماء اسباب اجتماعهم ، وان للعلماء ان يتخذوا ما يشاءون من قرارات .

كذلك عقد المؤتمر العلمي العربي الاول في الاسكندرية سنة 1953 ، وكان عقده مظاهرة علمية رائعة ، اذ اجتمع في صعيد واحد اكثر من ثلاثمائة عالم من الدول العربية ، قراوا عشرات من البحوث العلمية المبتكرة ، وناقشوا مسائل علمية على اعظم جانب من الاهمية ، واستمعوا الى محاضرات عامة كانت تدور حول تاريخ العلم واثر العلماء العرب في تقدمه ، كما درسوا بعض مشكلات العلم والاقتصاد القومي وترجمة المصطلحات العلمية ، وكان القرار الذي اتخذه هذا المؤتمر هو انشاء « الاتحاد العلمي العربي » الذي يتكون من الاتحادات العلمية في الدول العربية ، وهو الذي يدعو وينظم عقد المؤتمرات العلمية بصفة دورية في العواصم العربية .

ثم عقد المؤتمر العلمي العربي الثاني في القاهرة سنة خمس وخمسين ، وسارت الامور فيه على نفس النمط من حيث قراءة بحوث مبتكرة في العلوم الاساسية او التطبيقية والاستماع الى محاضرات عامة ، كان موضوعها استخدامات الطاقة الذرية للاغراض السلمية ، وعرضت مشكلة توحيد الترجمة العربية

للمصطلحات العلمية بصورة اوضح ، اذ عرضت قوائم لبضعة آلاف من المصطلحات العلمية باللغة الاجنبية ، وامامها الترجمات العربية المستعملة في الدول العربية سوريا والعراق ولبنان ومصر ، كما عرضت امام بعضها الترجمة التي اقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة وتبين من هذه المقابلة ، مدى الاختلاف الكبير في ترجمة المصطلح الواحد ، وكان مجمع اللغة العربية قد شرف المؤتمر بممثلين هما المرحوم الدكتور منصور فهمي ، والمرحوم الامير مصطفى الشهابي ، كما كانت هيئة اليونسكو قد ارسلت بخبير الماني ليدلي بدلوه في المشكلة ، ولا شك ان المؤتمر قد أفاد من خبرات وتوجيهات هؤلاء جميعا .

وكان الاتحاد العلمي العربي قد انشىء فعلا ، ووضعت لائحته واقرقانونه الاساسي ، فدعا الى عقد المؤتمر العلمي العربي الثالث في بيروت سنة سبع وخمسين ، حيث قرئت بحوث مبتكرة والقيت محاضرات عامة تدور موضوعاتها حول السنة الدولية الجيوفيزيقية وحول التكامل الاقتصادي في الدول العربية ، كما اتفق على توحيد الترجمة العربية لبضعة آلاف من المصطلحات ، وكان قراره عقد المؤتمر العلمي الرابع سنة تسع وخمسين في دمشق . وعندما قامت ثورة العراق سنة ثمان وخمسين ، طلب الاتحاد العلمي العراقي أن يكون المؤتمر في بغداد ، ليعوض ما فاته ، على حد تعبير ممثله آنئذ . ثم كانت الاحداث التي حالت دون عقده في بغداد أو دمشق ، فتاجل مرة بعد اخرى الى ان عقد في جامعة الدول العربية في القاهرة سنة احدى وستين ، وقد عرضت عليه مجموعة من المصطلحات في العلوم الكيميائية والطبيعية والجيولوجية والنبات والحيوان والحشرات والرياضيات تبلغ نحو خمسة عشر الف مصطلح ، وعندما عقد المؤتمر العلمي العربي الخامس في بغداد كان مجموع المصطلحات التي عرضت عشرين الفا ، وكانت توصية هذا المؤتمر العمل على اصدار معجم علمي عربي موحد ، وقد تبنت هذه التوصية وزارة البحث العلمي في القاهرة ، التي كونت سبع لجان متخصصة للعلوم الطبية والهندسية والاحيائية والزراعية والكيميائية والطبيعية والرياضية والجيولوجية، ولجنتين للمراجعة والصياغة ، واعضاء هذه اللجان هم جميعا من الاساتذة المتخصصين ومن اعضاء مجمع اللغة العربية ، وقد انتهت هذه اللجان في خلال عامين من اعداد جذاذات لمائة الف مصطلح . وانتهت فعلا من المراجعة النهائية لنحو ثلاثة وثلاثين الف مصطلح . ومن اسف ان توقف العمل منذ نحو عام . ونحن نرجو ان يستانف ليتسم انجازه في وقت قريب .

وقد تقدم لمؤتمرنا هذا نحو للاثمائة بحث ، تتناول فروع المعارف العلمية المختلفة من ذرية والكترونية ومطيافية واشعاعية وكيميائية ونباتية وحيوانية وحشرية ورياضية وزراعية وهندسية وفسيولوجية ودوائية ... الخ ، روجعت جميعا . وقام على فحصها وتقويمها اساتذة مختصون . ومن اسف ان اغلب الباحثين لم يتمكنوا لسبب أو لآخر من شهود هذا المؤتمر ، الا ان بحوثهم طبقا لما درجنا عليه : ستنشر ضمن اعمال المؤتمر وان لم تقرأ . وكذلك تلقى اربع محاضرات عامة تتناول موضوعات علمية عامة . وهناك محاضرتان اخريان اعلن عنهما . ولم يتمكن المحاضران من شهود المؤتمر . كما ستعقد ندوات للمصطلحات العلمية، يمكن للمختصين مناقشتها كل في دائرة اختصاصه . وسياخذ الاتحاد العلمي في نشر مطبوعات المؤتمر فور الانتهاء من جلساته . وتقع عادة في اربعة مجلدات .

ومن حسن الحظ ان جامعة الدول العربية ، التي انشئت اغلب الامر لتحقيق اهداف سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية عامة قد انشات مؤخرا قسما للعلوم والتقنية او التكنولوجيا ، مما يدل على انها تريد ان تقوم بواجبها كاملا في هذا المجال ، موقنة ان القوة في ركاب العلم ، وان المعركة اصلا معركة علم ، واننا حين نعقد هذه التظاهرات العلمية في الوقت الذي يتربص بنا العدو فما ذلك الا لاننا نوقن انه لا ينبغي أن يصرفنا واجب عن واجب . واننا اذ نهنىء الجامعة العربية بهذا الاتجاه ، نرجو ان تدفع في البداية دفعة قوية لتمشى مع ما تحتاجه الدول العربية لمجابهة التحديات المختلفة . وما اشك في ان مؤتمرنا هذا يعضد هذا الاتجاه من الجامعة العربية ، راجيا ان يكون ذلك وسيلة لتكتيل الجهود العلمية وتقويمها وتمويلها ، لدراسة المشكلات واستنباط الثروات ، وتنمية الموارد العلمية في البلاد العربية وتوجيهها لتقوية البلاد ، حتى يكتب للامة العربية النصر باذن الله .

وقد شهد مؤتمرنا هذا وفود من دول المشرق العربي مصر وسوريا والعراق ولبنان والاردن كما شارك فيه علماء من المانيا الديمقراطية والتشيكوسلوفاكيا ، وكان لتعاون الهيئات العلمية السورية اكبر الاثر في نجاح المؤتمر ، اذ آزرته وزارة التعليم العالي والمجلس الاعلى للعلوم والاتحاد العلمي السوري وجامعة دمشق . ومجمع اللغة العربية

بدمشق . إلى هؤلاء جميعا نتقدم بموفور الشكر وعظيم العرفان فبفضلهم تيسر للمؤتمر ان يتابع دراساته في جو من الالفة والمحبة ، وان تكون مناقشاته بالغة الخصب والفائدة ، وان ينتهي الى توصيات وقرارات . نرجو ان تكون موضع التقدير والاقرار ، فهي منبثقة من دراساته ومناقشاته وآرائه التي استمعنا اليها في الاجتماعات العلمية المتعددة التي انعقدت هنا وهناك في مدرجات الجامعة ، وقاعات مجلس العلوم ووزارة الاصلاح وكليات الطب والعلوم

ولقد قرئت عشرات البحوث المبتكرة في مجالات العلوم الاساسية من كيمياء وطبيعة ورياضيات ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا ؛ ستنشر جميعا ضمن اعمال المؤتمر ، كما ستنشر ايضا تلك البحوث التي لم يتيسر لاصحابها شهود المؤتمر : ويبلغ عدد هذه وتلك نحو ثلاثمائة بحث .

ولما كان قد مضى على انشاء الاتحاد نحو خمس عشرة سنة ، وما تزال شعبه اربعا ، فلعله من المفيد ان يوصي المؤتمر بحث الدول العربية على انشاء شعب للاتحاد ، حتى يتحقق الغرض من انشائه من جمع شمل العلماء العرب من اقصى المحيط الى اقصى الخليج ، ونشر الوعي العلمي وتكتيل القوى العلمية في البلاد العربية للعمل على انهاضها وانمائها ، والسير بها قدما في سبيل التقدم والرخاء والسلام . وقد لاحظنا ان المؤتمرات السابقة قد عقدت جميعا في دول المشرق العربي ، وقد يكون من الخير ان نسعى لعقد المؤتمر القادم في احدى دول المغرب العربي . حتى نوثق الاتصالات العلمية مع اشقائنا في المغرب العربي ؛ فقد قربت المواصلات في العصر الحديث بين ارجاء الوطن العربي ، ولم نعد نشكو مشقة السفر التي كان يعانيها الاقدمون ، ولكنهم كانوا يستهينون بها في سبيل العلم والمعرفة ، حين كانوا يقطعون آلاف الكيلومترات عبر القارات الثلاث ، وقد لا يكون لاحدهم من دابة تحمله سوى قدميه ، ثم يعودون الى اوطانهم كما يقول نيكلسون ، كما يعود النحل محملا بالعسل . وتروى عن رحلاتهم العلمية قصص هي الى الاساطير اقرب ، وما ذلك الا ليلقى الواحد منهم عالما او يطلع على كتاب ، فما بالنا اليوم وقد غدا السفر ميسرة اسبابه ، لا تتعدد لقاءاتنا العلمية الا بمقدار ، وتتابع السنوات دون ان يتحقق اللقاء .

وقد تبينا من الدراسات التي قام بها جهاز التعبئة والاحصاء ، اهمية حصر الكفايات العلمية في الدول العربية ، وضرورة توسيع نطاق هذا الحصر ليشمل الاقطار العربية جميعا ، والعمل على ايجاد حصر وتقويم الكفايات والمؤهلات العلمية في كل بلد عربي مع توحيد نظم الحصر واتباع تصنيف عربي واحد يتفق عليه ، وكذلك حصر البحوث العلمية التي تمت والجارية في كل بلد عربي للاستفادة منها عن طريق هيئة للتوثيق والنشر . وكذلك ضرورة العمل على ترغيب العلماء حتى لا يهجروا اوطانهم الى بلاد اخرى ، وحتى لا تتسرب الكفايات العلمية الى خارج الوطن العربي ، فلا بد من دراسة العوامل التي ادت الى هذا التسرب ، ولنا في السلف الصالح اسوة ، حيث لقي العلم والعلماء كل رعاية من الحكام والولاة ، حتى قيل انه جاء على الامة العربية عهد ، كان كل طالب عالم يجد مكانا يتعلم فيه ، ومعلما يعلمه ، وراتبا يقوم بأوده ، وكان انتشار المدارس والمكتبات ودور العلماء بالغا غايته .

وكذلك تبينا ضرورة العمل على تنمية الموارد بالتوسع الافقي في استصلاح الاراضي وكذلك التوسع الراسي ، بانتخاب السلالات وعلاج الآفات ، وما الى ذلك مما يزيد في غلة ارضنا الزراعية لمقابلة الزيادة المطردة في السكان .

اما ملاحقة التقدم العلمي والتقني ، فكان الحث عليها شديدا ، بتبيان الفارق الكبير بين حالنا وحال من يتربصون بنا الدوائر ، ويستفيدون من كل جهد علمي ومن كل مستحدثات العلم ومبتكراته ، فعلينا ان نبذل اقصى ما نطيق ؛ وان ننسق جهودنا العلمية ، ونعمق جهودنا ، عسانا نلحق بالركب ، ويتم لنا النصر بالايمان والعلم .

وقد لقيت دراسة تاريخ العلم في الجامعات العربية عناية المؤتمر ، وقد يكون من الخير نشرها في جميع الجامعات العربية وابراز دور العلماء العرب في بناء النهضة العلمية ، لعل ذلك ان يكون حافزا للاجيال الصاعدة ، ان يقتفوا آثار سلفهم الصالح ، وان يعلموا ان ما يدرسونه ليس مستوردا كله من الخارج ، وان للامة العربية اصالتها في هذا المجال .

اما المصطلحات العلمية ، فقد حظيت في هذا المؤتمر ، بعناية فائقة ، اذ عقدت ندواتها في جميع ايام المؤتمر . وكان تنظيمها مما حقق اكبر الفائدة ، واتاح الفرصة للقاء المختصين لمناقشة مجموعات المصطلحات من رياضية وكيمائية وجيولوجية وحيوانية وحشرية ونباتية وطبية وغيرها . وقد تبين للمؤتمرين انه لابد من توزيعها على المختصين ، ليدلي كل برأيه ،

ثم جمع المصطلحات المختلف على ترجمتها لعرضها في لقاءات اخرى قصد الاتفاق على ترجمتها او تعريبها ، لان من الاهمية بمكان توحيد الترجمة العربيـــة لهذه المصطلحات .

وقد قدمت لجان العلوم الاساسية توصياتهـــا بشان وضع المعجم العلمي العربي الموحد وتوحيـــد الترجمة العربية للمصطلحات العلمية ، ونرى أن اتاحة فرص اللقاء بين المختصين في العلوم والمجمعييـــن في اجتماعات دورية سنوية ، مما يمكـــن ان يؤدي الـــى نتيجة حاسمة في اقل مدة ، ويمكن أن تنتهي بمعجـــم علمي عام تلتزم به الهيئات العلمية والتعليمية في البلاد العربيـــة كافـــة .

ومن هذه اللجان ما تكلم في التفصيلات مطالبـــا الدول العربية بانشاء لجان للتعريب تتعاون مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط ، على أن يرســـل الاتحاد العلمي العربي ما أنجزه في حقـــل المصطلحات الى الهيئات العلمية في البلاد العربية .

وقد عقد ممثلو شعب الاتحاد العلمي العربـــي اجتماعات انتهوا فيها الى مشروع القرارات والتوصيات الآتية التي عرضت على المؤتمر فاقرها :

التـــوصيـــات

1 — يوصي المؤتمر بعقد المؤتمـــر العلمـــي العربي السابع في أحد اقطار المغرب العربي في سبتمبر (أوائل) أيلول سنة 1971 .

2 — يوصي المؤتمر بالاتصال بالدول العربية التي لم تنشىء لديها اتحادات علمية كشعب للاتحـــاد العلمي العربي ، وحثها على انشاء هـــذه الاتحـــادات باسرع ما يمكن ، ويرى أن تاخذ الامانة العامة للاتحاد العلمي العربي المبادأة في معاونة الدول العربيـــة على تاسيس هذه الشعب لديها .

3 — يوصي المؤتمر الجامعة العربية بدعـــم الاتحاد العلمي العربي وشعبه في الاقطار العربية ليقوم بواجباته المتعددة المنصوص عليها في قانونه الاساسي وبخاصة اصدار مجلة علمية عربية تؤمن نشر الانتاج العلمي ، وتكون صلة الوصـــل بين العلمـــاء العـــرب ، وكذلك اصدار المعجم العلمي العربي الموحد .

4 — يوصي المؤتمر الجامعة العربية بدعم وتقوية قسم العلم والتقنية الـــذي انشىء حديثـــا ، وتزويده بالطاقات اللازمة على اعلى مستـــوى علمـــي ليسهم في تخطيط وتطوير قضايا التقنية في العالـــم العربـــــي .

5 — يوصي المؤتمر بالعناية بتدريس تاريخ العلم في الجامعات العربية وابراز دور العلماء العرب في بناء النهضة العلمية العالمية .

6 — يوصي المؤتمـــر الحكومـــات العربيـــة بمعالجة هجرة العلميين بما يرغبهم في البقـــاء بالوطن العـــربـــــي .

❧❧❧

الرياضيات وتدريسها في البلاد العربية

الدكتور محمد واصل الظاهر

(زارنا حضرة الاستاذ الفاضل فتحدث لنا بما عرف فيه من حسن الدراية والضلاعة في هذا الموضوع من المشروع الذي قدمه ضمن الهيئة العراقية لتحسين تدريس الرياضيات في العراق وقد تبادل وجهات النظر مع السيد المدير العام للمكتب الذي رسم لسيادته صورة عن راي المكتب الدائم في هذا الصدد وعن ضرورة التنسيق بينه وبين اللجان الوطنية لليونسكو في نطاق جامعة الدول العربية) .

تعتبر الرياضيات من اقدم العلوم . ولقد احتلت العلوم الرياضية ، منذ وجودها ، مكانا اساسيا في حياة الانسان ولعبت دورا رئيسيا في مختلف شؤونه . ولذلك فقد كان اهتمام الانسان بها عظيما منذ القدم واعطيت الافضلية في التعلم وفي مناهج التعليم بين فروع المعرفة الاخرى . وقد حاول المؤلفون والكتاب المعنيون بشؤون التعليم ان يسهلوا الطرق في تعليم الرياضيات لتكون بمتناول الفهم لدى اكثر الناس . ومن اجل ذلك كتب المؤلفون كتبا كثيرة في الرياضيات وفي طرائق تدريسها . ومن الامثلة على تلك الكتب : اصول الهندسة لاقليدس الذي طبع مئات المرات وبمختلف اللغات . فقد رسم هذا السفر اسلوبا بديعا في الرياضيات وفي طريقة تعليمها، اتبعه الناس منذ اكثر من الفي سنة في مختلف اقطار الدنيا . وفي العصور الوسطى لعب كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمي دورا مهما في تطوير الرياضيات . فقد استمد علم الجبر افكاره الاساسية واسمه من هذا الكتاب . اما في العصور التالية فقد ظهرت كتب عديدة اثرت في الرياضيات من حيث مادتها واسلوب تدريسها . ومن الامثلة على ذلك : كتاب الهندسة لديكارت والاسس لنيوتن ، والتحليل لاويلر .

وفي نهاية القرن التاسع عشر ، ومنذ بداية القرن العشرين ، حدثت تطورات هائلة في الرياضيات: ظهرت افكار جديدة ومواضيع مبتكرة وحقول واسعة. ففي نهاية القرن التاسع عشر برزت الهندسة اللا اقليدية علما جديدا على ايدي بوليا ولوباجيفسكي وكاوس . وبدا بناؤها يرتفع شامخا امام بناء الهندسة الاقليدية القديم . وبذلك بدات الثقة تتزعزع في وحدانية الهندسة الاقليدية حتى اثبت بلترامي وكلاين وبوانكاريه بصورة قاطعة ان الهندسة اللا اقليدية متناسقة وخالية من التناقض كالهندسة الاقليدية ، اذ يستمدان تناسقهما من تناسق نظام الاعداد الصحيحة . وبقيام الهندسة اللا اقليدية انتهت مشكلة مصادرة التوازي لاقليدس بعد ان تناقلها الناس عشرين قرنا . واضافة الى ذلك ، فقد طبقت الهندسات اللا اقليدية في النظرية النسبية وفي غيرها من النظريات الطبيعية . وبالرغم من اهمية هذه الهندسات وتطبيقاتها فلم تدخل ضمن الرياضيات المدرسية لحد الآن .

وبينما كانت الرياضيات تنمو نموا سريعا في مختلف الاتجاهات ، بدا الرياضيون يفكرون في ايجاد

الطرق لتوحيد فروعها المتعددة ، فقد حاولوا تكوين نظرة شاملة لهذا العلم . ولذلك نجد في عام 1872 فيلكس كلاين ينادي باهمية المجموعة كفكرة موحـــدة لفروع عديدة في الرياضيات . وبهذا يكون قد طالب باصلاح الرياضيات وطرق تدريسها بالاستناد على النظرة الشاملة التي تجمع ما بين اوصال الرياضيات المنتشرة . فقد لخص في كلمته تلك برنامجه المعروف باسم « برنامـــج ايرلانكـــن » الـــذي بين فيـــه ان الهندسة هي علم الثوابت بالنسبة لمجموعة تحويلات ، وان الانتقال من هندسة الى اخرى يقابله انتقال مـــن مجموعة الى اخرى . وان هذه الصورة تمثل ربطـــا عظيما ما بين الهندسة والجبر والذي فيـــه يـــدرس المرء نوعا معينا من الرياضيات ويحصل على معلومات من نوع آخر منها ، كما يقال بلغة نظـــرية الفئـــات. وهكذا اراد كلاين ان يبعـــث الحيـــاة فـــي تدريـــس الرياضيات باعطاء اهمية خاصة لفكرة المجموعة التي توحد ما بين اجزاء عديدة من الرياضيات .

وخلال النصف الاول من هذا القـــرن وحوالـــي سنة 1910 نشر وايتهيـــد ورسل كتابهما العظيـــم : اسس الرياضيات . وفي هذا الكتاب حاول المؤلفـــان ان يثبتا ان الرياضيات تطبيق للمنطق او في الحقيقة هي منطق تطبيقي . لقد كان هدفهـــما الرئيـــسي هـــو التخلص من التناقضات التي ظهرت في نظرية الطقوم. وفي حوالي الوقت ذاته : نشر هلبرت كتابه المشهور باسم اســـس الهندسة ، والذي امكن فيه التغلب على الصعوبات التي وجدها الرياضيون في اصول اقليدس. وبظهور هذين الكتابين : ولد عصر جديد للرياضيات بشكل اسس وعلوم المصـــادرات حدثت خلالـــه اروع التطورات الرياضية .

واثناء ذلك كان علم الطبولوجي : الذي نبع مـــن اعمال اويلـــر : يتطـــور على ايـــدي كاوس وريمان وبوانكاريه وفبلن . واصبح علما مستقلا عن الهندسة. فبينما نجد الطبولوجي في مفهوم كلاين هندسة تعنى بدراسة المفاهيم التي تثبت تحـــت تاثيـــر مجموعـــة التحويلات المتصلة ، اظهرت التطـــورات التاليـــة في الموضوع ان هذا التعريف لا يشتمل على كافة جوانب الموضوع المهمة . ولذلك فقد بـــدا بوضـــوح انـــه من الضروري البحث عن نظرة اعم تضم فروع الموضوع المتنوعة . ولقد وجد الرياضيون ضالتهم في مفهـــوم البنية الرياضية .

واما الجبر نحل للمعادلات وحسابات مبعثرة ، فقد انتهى ببرهان آبل الذي ابان فيه عدم امكانية حل المعادلة ذات الدرجـــة التي تزيـــد عن اربـــع بالاسس الجذرية . وبدلا من ذلك فقد ظهرت النظرة التركيبية بين الدراسات الجبرية . ثم تطـــورت هـــذه النظـــرة الجديدة في دراسة الانظمة الجبرية بصورة سريعـــة على ايدي كالوا ، ولاكرانـــج ، وكيلـــي وغيرهـــم ، وامتدت الفكرة الجبرية الشاملة في مختلـــف حقـــول الرياضيات بجانب النظرة الطوبولوجية الواسعة .

وهكذا يتبين لنـــا بوضـــوح ان فكـــرة البنيـــة الرياضـــية الموحدة كانت عائمة في جو الرياضيـــات الفسيح في انتظار الاخذ والاستعمـــال في مختلـــف حقول الرياضيات . ومن الممكن اعتبار هذه النظـــرة امتدادا لنظرة كلاين التي اعلنها في منهاج ايرلانكن كما انها تعميق لها .

وفي عام 1935 بدات مجموعة من الرياضييـــن تحمل اسم بورباكي محاولة رائدة لعرض الرياضيات كبناء منطقي موحد ، مستند على مصادرات محـــددة واضحة . فقد نشرت هذه المجموعة سلسلة من الكتب عرضت فيها الرياضيات المعاصرة باسلوب منطقـــي مقبول . وبذلك هيات للمتعلمين في هذا العصر مجالا طيبا لدراسة الرياضيات وتدريسها . ومع ان هـــذه السلـــسلة تعنى بالرياضيات الجامعيـــة وبالتدريـــس الجامعي للرياضيات بصورة رئيسية ، الا انه من الممكن استعمال الروح التي بهـــا كتبت هـــذه السلـــسلة في تعليم الرياضيات المدرسية اذا اردنـــا اصـــلاح هـــذا التعليم . وذلك يعني ، بلا شـــك ، تغييـــر اساس في مناهج الدراسة من منهج يشتمل على مواضيع اربعة منعزلة عن بعضهـــا : الحســـاب والجبـــر والهندســـة والمثلثات الى بناء موحد للانظمة الرياضية مستنـــد على فكرتي : الطقم والعلاقة .

ولقد انعقدت في القاهرة خلال المدة المحصـــورة ما بيـــن 8 ــ 17 اذار 1969 اول حلقـــة اعدتهـــا اليونسكو في تطوير تدريس الرياضيـــات في البـــلاد العربية . وكانت المنظمة المذكـــورة قد تبنـــت هـــذا المشروع اثر القرار الذي إتخذه مؤتمر اليونسكو العام في اجتماعه الرابع عشر الذي انعقد في باريس عـــام 1966 . وقد كان انتخاب البلاد العربية مجـــالا لهـــذا النشاط الحيوي متاثرا بالقرارات التي اتخـــذت في مؤتمر وزراء التربية والتخطيط العرب الـــذي انعقـــد

في طرابلس خلال المدة المحصورة ما بين 9 ـ 14 نيسان عام 1966 .

وبعد ان اقر المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو القيام بمشروع لتحسين تدريس الرياضيات في البلاد العربية ، تشكلت في الجمهورية العربية المتحدة والعراق والسودان ولبنان وليبيا وسورية والاردن هيئات وطنية لتحسين تدريس الرياضيات في هذه الاقطار . ويمكن تلخيص اهداف كل هيئة من هذه الهيئات بانها تعمل على تهيئة ما يلزم لقبول التحسينات المنوي ادخالها على مناهج الرياضيات في البلاد العربية عن طريق تشجيع انتاج الكتب الجيدة في تدريس الرياضيات والعمل على تحسين اعداد مدرس الرياضيات وتقديم التوصيات الضرورية الى المسؤولين بهذا الشأن . وتضم كل هيئة من الهيئات اعضاء من الجامعات ووزارة التربية والمدرسين والمفتشين وغيرهم . وكانت الحلقة المشار اليها في اعلاه قد ضمت ممثلين عن الجمهورية العربية المتحدة والعراق والاردن ولبنان واليمن والسعودية واليمن الجنوبية الشعبية وليبيا وسورية .

وتبين خلال الاجتماعات التي عقدت في هذه الحلقة ان الرياضيات في البلاد العربية بحاجة الى اصلاح من حيث المادة والطريقة . وقد لوحظ ان المادة الموجودة في منهاج المرحلة الثانوية ــ وهي المرحلة المعنية في هذا المشروع في الوقت الحاضر ــ تتألف من مواضيع اربعة هي : الحساب والجبر والهندسة والمثلثات وان كل موضوع من هذه المواضيع يحتوي على مواد لا تستحق التدريس في هذا العصر وان الكتب المقررة تستعمل اسلوبا في التعليم هو الآخر بعيد عن روح العصر الحاضر . فالمادة والطريقة تهدفان الى تزويد الطالب بمعلومات ومهارات باسلوب تقليدي دون الاهتمام بالتركيب المنطقي الحديث . وقد تبين بوضوح ان الكتب المستعملة لا تعلم الطالب كيف يجرد ويعمم : هاتان العمليتان اللتان تتميز بهما الرياضيات الحديثة . وكان واضحا ايضا من المناقشات التي دارت في الحلقة ان المدرسين يستعملون الكتب المقررة بصورة مقيدة لا تتصف بالحركة الخلاقة التي تجعل من التعليم نشاطا حيويا يقوم به المدرس والطالب في عين الوقت . ان تعليما من هذا النوع لا يخلق عند الطالب المواقف الرياضية السليمة التي يهدف الى غرسها التفكير الرياضي . كما ان القليل من مدرسي الرياضيات يستخدم وسائل الايضاح عند تدريسه بالرغم من توفر هذه الوسائل حولهم ، وهم في الغالب يستعملون طريقة المحاضرة او الالتقاء في التعليم . وبهذه الطريقة تعطى الرياضيات كمجموعة من الحقائق والقواعد يتعلمها الطالب ويتدرب على تطبيقها . وهكذا تصبح الرياضيات مجموعة من معلومات مفككة يتعلمها الطالب ويطبقها .

ولذلك فقد كان السؤال الآتي جوهريا في اجتماعات الحلقة : ما يجب ان يتكون منهج الرياضيات في السنوات الثلاث الاخيرة من المدرسة الثانوية ؟ ولقد ادى هذا السؤال الى اسئلة ثلاث اخرى وهي : ما هي الخطوات الواجب اتباعها في كتابة الكتب بحسب المنهج الجديد ؟ كيف نتأكد من استمرار عملية اصلاح تدريس الرياضيات في مدارسنا الثانوية ؟ ثم ما الذي يجب ان نعمله لاقناع المدرسين والناس المعنيين الآخرين باهمية المنهج الجديد وبالاصلاح المنوي ادخاله على تعليم الرياضيات ؟

وتبعا للاسئلة الاربع التي اشرنا اليها اعلاه ، تكونت اربع مجموعات في الحلقة . وكان هدف كل واحدة من هذه المجاميع هو الحصول على جواب واف لسؤال واحد من الاسئلة المذكورة . وكانت المحاضرات التي القيت من قبل المتكلمين المدعوين والمناقشات التي دارت خلال الفترات التي اعقبت كل محاضرة واثناء انعقاد المجموعات ، كل ذلك كان ، مصدرا مهما للتوصيات والقرارات التي توصلت اليها الحلقة .

فقد قالت الحلقة ان هدف المنهج الجديد هو ان يتعلم الطالب المفاهيم الاساسية في الرياضيات الحديثة ، التي لا يمكن الاستغناء عنها في عصر العلم والتكنولوجيا . ان فكرتي الطقم والعلاقة اساسيتان في هذا المنهج لانهما اساسيتان في الرياضيات نفسها . ولذلك فمن الضروري اعطاء هاتين الفكرتين بصورة مبكرة خلال تدريس مواضيع المنهج المقترح . ويتطلب الامر تقديم هاتين المفهومتين للطالب بصورة تدريجية وتوضيحية . وهنالك امثلة عديدة من محيط الطالب يمكن الرجوع اليها في شرح هاتين المفهومتين . ان لغة الطقم اساسية في تطور الرياضيات ولذلك فيجب ان يتعرف عليها الطالب بصورة واضحة ودقيقة . ومن الممكن تدريس مفاهيم الرياضيات القديمة بهذه اللغة . وعليه فيحسن ان نبتدىء بصياغة هذه المفاهيم بلغة الطقوم تمهيدا لتدريس الرياضيات الحديثة فيما بعد . ان فكرة العلاقة كطقم متكون من

ازواج مرتبة ، وفكرة الدالة باعتبارها حالة خاصة من فكرة العلاقة يجب توضيحهما للطالب . ثم ان معاني الطقوم المرتبة ترتيبا كاملا او جزئيا يسهل معالجتها فيما بعد . ومن المفيد ان توضح المباديء المنطقية بواسطة لغة الطقوم . ان المفاهيم التي تكمن فيما وراء الرياضيات كالتعريف والمعرف وغير المعرف والمصادرة (او البديهية) والنظرية يجب شرحها باسلوب لا شكلي. ويحسن توضيح هذه المفاهيم بامثلة رياضية وغيرها . ان البنية الرياضية اساسية في تطور الرياضيات ؛ وحيث ان بنيتها المعاصرة جبرية ؛ فيجب ان يكون التركيب الجبري هو العمود الفقري الذي تنمو حوله الرياضيات . ويجب ان يربط التركيب الجبري بالمواضيع الهندسية وفي تحديد نظم الاعداد المتنوعة. ان استعمال الجداول والرسوم الميكانيكية والآلات الحاسبة مفيد في حينها وان توضيح العلاقات الداخلية في الطقوم بامثلة غير اعتيادية في مفهوم القاسم المشترك الاعظم والمضاعف المشترك الاصغر بين الاعداد الطبيعية مفيد ان احسن شرحها . كما ان توضيح عملية التصنيف على طقم جميع النقاط في المستوى. والمعادلات كجمل مفتوحة يساعد على فهم المباديء الاساسية في المنطق ونظرية الطقوم . ان خواص الانظمة ذات العمليات الرياضية والعلاقات الكائنة فيما بينها يمكن دراستها في جداول العمليات الرياضية . مثال ذلك ان مفاهيم الابدال والمشاركة ووجود العنصر المحايد ووجود العنصر المعاكس وقانون الاختصار وغيرها من الممكن معالجتها في هذا الصدد ايضا . ان فكرة المجموعة مهمة ويجب التوصل اليها عن طريق دراسة خواص النظم العددية المعروفة . وبعد ذلك تأتي المجاميع الابدالية والتماثلية والتحويلات الانتقالية والتدويرية امثلة مهمة في دراسة المجاميع . وكذلك فمن الممكن معالجة مواضيع المجاميع المرتبة والحلقات والقواسم الصفرية والمدى الصحيح والحدوديات والدالة الحدودية والمعادلات الجبرية في الحلقات والخورزمية الاقليدية . وبالامكان تدريس تمثيل الدالة بيانا واهمية المميز والاسس الصحيحة بروح نظرية المجاميع . ان علاقة قوانين الاسس بالمضاعفات في مجاميع آبل يمكن شرحها والتأكيد على تدريسها الآن . وفي هذه المناسبة ؛ من الممكن تعميق المفاهيم السابقة للطالب وتطوير المهارات التي اكتسبها في دراسة الحساب وجعل تلك المفاهيم والمهارات اكثر مطاوعة واعمق اثرا . ان دراسة حقل الاعداد الصحيحة كحقل مرتب كامل يجب ان تتم بطريقة المصادرات بعد التمهيد لها وتوضيحها بامثلة مالوفة . وكذلك فمن المفيد لتدريس موضوع الامتدادات التربيعية للحقول وبصورة خاصة تكوين حقل الاعداد المعقدة . وبعد الحصول على هذا الحقل من السهل اثبات ان كل معادلة من الدرجة الثانية لها حل فيه . . وتبدو المناسبة جاهزة للتعرض لنظرية الجبر الاساسية ولكن بدون برهان طبعا . ومن المستحسن تدريس نظرية اويلر والجذور النونية للوحدة في موضوع الاعداد المعقدة نظرا لاهميتها في الرياضيات وتطبيقاتها .

وكذلك فقد اوصت الحلقة بوجوب استعمال لغة الطقوم في دراسة بعض المفاهيم الهندسية . فالمستوى طقم من نقاط والخط طقيم فيه (او طقم فرعي فيه). ان طريقة المصادرات في البراهين الرياضية يجب توضيحها بطقم من المصادرات يساعد على اثبات بعض النظريات الهندسية . ومن الضروري تجنب النظريات الكثيرة وخاصة تلك النظريات التي لا تلعب دورا مهما في تطور الرياضيات في الوقت الحاضر . لقد ذهب اقليدس ، ولكن الروح الاقليدية اثرت في تطور الرياضيات حتى اليوم . ومن الضروري توضيح المفاهيم المتعلقة بخواص المصادرات كالتناسق والاستقلال والكمالية والنماذج الرياضية . ان مواضيع التوازي والترتيب والاسقاط المتوازي والشعاع والقطعة ونصف المستوى والزاوية يجب توضيحها . ان اللغة الجبرية يجب ان تنفذ الى المواضيع الهندسية وبواسطة هذه اللغة يتم شرح هذه المواضيع . وبذلك يتم مزج الجبر بالهندسة بشكل رائع ومفيد . ان فكرة التطابق الهندسية ، مثلا ، يمكن شرحها بواسطة الرسم التطابقي حيث تدخل فكرة المجموعة في هذا المجال . وكذلك فمن الممكن معالجة نظرية التشابه بنظريات الموجهات وهكذا نحصل على وسيلة جديدة في دراسة الهندسة . وبهذه الوسيلة تسهل دراسة الهندسة الفراغية كما تصبح معالجتها اكثر جمالا وفائدة . ويصبح لنظام المعادلات ذات المجهولين او ذات الثلاثة مجاهيل موقعا طبيعيا في هذه المعالجة الموحدة. وكذلك فمن الممكن دراسة مباديء المصفوفات بصورة طبيعية في هذا المجال . اما مواضيع العامد ونظرية فيثاغورس والمتباينة المثلثية ومتباينة شفارس فمن الممكن دراستها بواسطة الحاصل الداخلي للموجهات. وتبدو نظرية الجمع للدوال الدائرية طبيعية خلال المعالجة عن طريق نظرية المصفوفات . بعد ذلك ينتقل الطالب لدراسة التحويلات الافينية وتأثيرها في

الدائرة ودراسة صور التأثير وكذلك دراسة الخواص الرئيسة للقطوع المخروطية بدلالة الثوابت الافينيـــة وبها يمكن معالجة القطع الهذلولي وصـوره الافينيـة بطريقة جبرية . وعن هذا الاسلوب نضع امام الطالب صورة جبرية حية للمفاهيم الهندسية .

ومن المواضيع التى اوصت الحلقة بدراستهـا نظرا لاهميتها الرياضية والتطبيقية هي نظرية الاحتمال ومبادىء الاحصاء . وفى هـذه الدراسـة يتنـاول الطالب مفاهيم الحادث وجبر الحوادث والاحتمـال والاحتمال الشرطي والمتغير العشوائـي والتحـولات العشوائية والاستقلال . وكذلك يزود الطالب بمعاني الامل الرياضـي (او التوقـع) والتغيـر والتشتـت وقانون الاعداد الكبيرة والتقدير واختبار الفـرض ، ولابد من عرض التطبيقات التى تشرح هذه المواد وتؤكد اهميتهـــا .

واخيرا فقد تقرر وضع المفاهيـم الاساسيـة للتحليل الرياضي ومبادىء التفاضل والتكامل لاهميتها التطبيقية فى دراسة المساحات والاحتمال والفيزيـاء وغيرها. ويتضمن ذلك دراسة لطبولوجية الخط المستقيم الحقيقي والتتابعات العددية والغاية والاتصال والمشتقة وخطية المشتقة . ثم يتناول الطـالب دراسة التكامـل وبعض التكاملات الاولية . وبذلك يتعرف الطالب على اسس التحليل .

وكيما تتوفر امكانية ترجمة المنهج الوارد ذكره ، فقد قالت الحلقة بوجوب عقد اربع جلسات كتابية يتم خلالها اعداد مشاريع الكتـب التـى ستستخـدم فى العمليات التجريبية . وسيتم عقد هذه الجلسات خلال السنة الحالية والسنة القابلة. وسيحضر كل جلسة من هذه الجلسات رياضيـون وعاملـون فى تدريـس الرياضيات من البلاد العربية ومن الخبـراء العالميـن المعروفين . ويؤمل عقد الجلسة الاولـى في بغـداد خلال شهر ايلول المقبل (سبتمبر) لمدة خمسة عشـر يوما يحضرها اثنا عشر خبيرا . وتتضمن الخطة اعداد الكتب الثلاثة خلال الجلسات الكتابية الثلاث الاولى . واما الجلسة الرابعة فستخصص لعملية التنسيق ما بين هذه الكتب من حيث المـادة واسلـوب العـرض واسلوب المصطلحات . ويقتضى ان يكون كل واحـد من هذه الكتب من المرونة بحيث يمكن تكييفه لطبيعة القطر الذى يستعمله . وسيكون بامكـان كل بلد مـن البلدان العربية ان يتصرف فى استعمال الكتاب بما يتناسب وطبيعة التعليم فى ذلك البلد . وعليه فامام الجلسـات الكتابية عمل شاق يتحتم خلالـه اعـداد كتب تو فر الخواص المشار اليها . ان الكتاب المدرسي اشبه بنشاط تربوي يتم خلال القاعات الدراسية بحيث يمكن عرض المادة العلمية بشكل عملية حيوية يشترك فيها المدرس والطالب . ان فى كتـاب الرياضيـات الصحيح مجالا لتعليم الطالب كيفية التفكير وكيفيـة التخصيص . ومن المشاكل التى تواجه العاملين فى التاليف والترجمة فى البـلاد العربيـة هـي نـدوة المصطلحات العلمية الحديثة . وتتوقف مسالة اختيار المصطلح العلمي المناسب على عوامل لغويـة ومنطقيـة وذوقيه . وعليه فالمسالة ليست هينة وانما تتطلب بذل الجهود المتعاونة فيما بين الهيئات الوطنية لتطوير تدريس الرياضيات في البلاد العربية لحلها . ولابد من اعداد قائمة بالمصطلحات الرياضية الحديثـة التـى ستستعمل فى الكتب المنوي اعدادها قبل المباشـرة بعملية الكتابة .

وسوف يتم اعـداد مرشـد المـدرس بجـانب الكتاب المنوي استخدامه. وفى هذا المرشد يتم وضع بعض التوجيهات التى تساعد المدرس على عرض المادة بطرق اخرى كما ترشده الى حل المسائل الصعبة مع قائمة بالمراجع يمكن للمدرس الرجوع اليها لتعميـق معلوماته وتوسيعها . ويتضمن المرشد كذلك نبـذة تحتوي على الاهداف المتوخاة من تدريس اي موضوع من المواضيع . ولابد من الاشارة هنا الى وجوب اعداد كتاب بحجم معقول وباسلوب تربوي جـذاب يحبب المادة الى التلميذ .

ومن اجل تهيئة الـراي العام لقبـول التطويـر المقترح ، فقد اوصت الحلقة بضرورة تنظيم المحاضرات وعقد الندوات لشرح اهمية الرياضيات الحديثة ودور المنهج المقترح فى توفير الظروف اللازمة لتعلم هـذا النوع من الرياضيات . ولابد من اشراك المعنيين فى تعليم الرياضيات والقائميـن عـلى اموره فى هـذه الاجتماعات وطلب معونتهم لتوفيـر ما يلـزم ذلـك . ويجب ان يدعـى الى هـذه الاجتماعـات المـدرسون والمفتشون واولياء الامور والطلبة . ان الاستفادة من اجهزة الاعلام ووسائل النشر امر ضـروري فى بث الوعي الرياضي لدى الراى العـام . ومن الضـروري الاتصال بالمسؤولين فى وزارة التربيـة والمؤسســات الثقافية والجامعات واطلاعهم على اهمية التطويــر ومحتواه والاستعانة بهم على تنفيذه .

.. اما فيما يتعلق باعداد المدرسين وتدريبهم ، فقد قالت الحلقة بوجوب اجراء دراسة شاملة وعميقة للكتب المعدة ولوسائل التعليم ومكانه ومدته قبل البدء باجراء التجارب . وقد تكون العطلة الصيفية مناسبة للقيام بالتدريب اللازم. ويجب اختيار المدرسين اللائقين لعملية التجربة وتدريبهم بصورة صحيحة قبل المباشرة بالتجارب كي لا تكون الصعوبات الناجمة عن ضعف المدرس او قلة تدريبه سببا في عرقلة التجارب. ان عقد الحلقات والاجتماعات التوجيهية ضرورية بالنسبة لمن سيوكل اليهم امر التدريب. ولابد من توفير المراجع والكتب المحتوية على مواد الرياضيات الحديثة ذات الصلة بالمادة المقررة ليكون بامكان المدرسين الرجوع اليها والاستفادة منها . وكيما تتحقق امكانية نجاح التجارب المزمع اجراؤها ، لابد من قيام وزارة التربية في كل قطر عربي ، بابداء المساعدات والتسهيلات التي تتطلبها طبيعة التجارب التربوية .

ولابد من القيام بكل ما يلزم لضمان عملية تطوير تدريس الرياضيات التي يجب أن تبقى مستمرة دون توقف . ولذلك فلابد من قيام هيئة عربية تعنى بالرياضيات وطرق تدريسها . وعليه فقد اوصت الحلقة بوجوب تكوين اتحاد للرياضيين العرب واطلقت عليه اسم « الهيئة العربية للرياضيات » وتهدف الى العناية بالعلوم الرياضية وطرائق تدريسها ومجالات تطبيقاتها المختلفة . وتهدف كذلك الى العمل على تبادل الخبرات الرياضية فيما بين الاقطار العربية عن طريق عقد المؤتمرات والندوات ونشر المجلات . ومن مهام هذه الهيئة تشجيع الابحاث العلمية في الرياضيات البحت والتطبيقية وفي تعليم الرياضيات . ولهذه الهيئة فرع في كل بلد من البلدان العربية يضم المشتغلين في الرياضيات في مختلف المجالات . وتقوم هذه الهيئة بالاتصال بالهيئات العالمية المماثلة والمشاركة في نشاطاتها . ومن اجل تكوين هذه الهيئة بصورة واقعية فقد اوصت الحلقة بتكوين هيئة مؤسسة تضم اعضاء من ذوي الخبرة والانتاج الرياضي المعروف . ويحبذ ان تتمثل في الهيئة المؤسسة كافة الاقطار العربية ومختلف فروع الرياضيات وطرق تدريسها وبمختلف المراحل التعليمية .. ومن واجبات الهيئة المؤسسة اعداد نظام داخلي للهيئة العربية . ومن مهام هذه الهيئة العربية دراسة المصطلحات العلمية في الرياضيات و العمل على توحيدها ، كما تقوم بنشر مجلة علمية رياضية تعمل على نشر البحوث في مختلف مواضيع الرياضيات وتدريسها ؛ وتقوم بتعريف العاملين في الرياضيات في البلدان العربية بما يجري من بحوث وما ينشر من كتب في هذا المجال عن طريق تقديم خلاصات بهذا الشأن .

انني اذ اختتم كلمتي هذه التي حاولت فيها تلخيص ما تم من اعمال في هذه الحلقة ، وما تم في سبيل تطوير تدريس الرياضيات، ارجو لهذا المشروع مزيدا من التقدم والنجاح في جلساته الكتابية وحلقته التقويمية المقبلة . كما ارجو ان يمتد المشروع الى بقية مرحلة الدراسة الثانوية ومن ثم مرحلة الدراسة الابتدائية ليتم وضع منهج كامل في تعليم الرياضيات للاجيال القادمة تنتفع به الدول العربية كـافـة .

اصدر المكتب الدائم معجما للمصطلحات الحسابية المستعملة في السلك الابتدائي باللغتين العربية والفرنسية ؛ وسيوزع المكتب منه مجانا عشرين الف نسخة . وينكب المكتب الآن على اعداد معجم للرياضيات بثلاث لغات سيصدر بحول الله ءاخر عام 1970 .

مراحل التعريب الأولى في المغرب (1)

الدكتور عباس بن عبد الله الجراري

استــــــاذ بكليـــــة الآداب
(جامعة محمد الخامس)
(الـربـاط)

في موضوع « الزجل في المغرب : القصيدة » قدم الكاتب اطروحة الى كلية الآداب بجامعة القاهرة فحصل على درجة الدكتوراة في الآداب بمرتبة الشرف بعد مناقشة علنية . وقد اتحفنا بهذا القسم من دراسته القيمة ننشره شاكرين :

لا يخفى ان الفتح الاسلامي كان يستهدف امرين: نشر الدين من جهة ، ونشر العربية اداته ولغة القرآن من جهة ثانية . وكان طبيعيا ــ واللغة تساير الفتح وتواكبه ــ ان تستقبل بسهولة ويسر حيث يستقبل بسهولة ويسر ، وان ترفض بقوة وعنف حيث يرفض بقوة وعنف .

لذلك تعرضت حركة التعريب في المغرب لمختلف الهزات والانتكاسات التي تعرض لها نشر الدين (1) ؛ بل اكثر من ذلك نستطيع ان نقول انها سارت ابطأ منه؛ خلافا لطبيعة الامور وما كان ينبغي ان يكون . لسبب بسيط هو ان فاتحي المغرب لهذا العهد الاول كانوا في اغلبهم جنودا « يدخلون اليه غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم فيتقضون الوطر من فتح الاقطار والامصار ثم ينقلب جمهورهم الى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب (2) » .

لهذا كان ينص على عدد رجال العلم الذين يصاحبون جيوش الفتح حين يوجدون على حد ما يروى من ان موسى بن نصير ترك في البربر ، « سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن والاسلام (3)»؛ وعلى حد ما يروى كذلك من ان عمر بن عبد العزيز بعث مع اسماعيل بن ابي المهاجر « عشرة من التابعين اهل علم وفضل ، ومنهم عبد الرحمن بن نافع وسعيد ابن موسى التجيبي (4) » .

---

1) لم يكن امر الفتح الاسلامي يسيرا في المغرب كما قد يظن ، ففي الوقت الذي استطاع المسلمون ان يقيموا خلال بضع سنوات دولة واسعة الرقعة في المشرق ، فانهم ظلوا زهاء قرن من الزمان يحاولون تثبيت دعائم الدين في بلاد الشمال الافريقي والمغرب خاصة . ويكفي للدلالة على ذلك ان نعرف ان البربر ارتدوا اثنتى عشرة مرة على حد قول ابى زيد القيرواني ؛ وان اسلامهم لم يستقر الا بعد فتح الاندلس (انظر تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110) ، وان نعرف ان الحملتين اللتين وجهتا لفتح المغرب او بالاحرى لمواجهة تفشي المذهب الخارجي فيه سنة 122 ــ 123 لقيتا فشلا ذريعا حيث هزمت الاولى في معركة طنجة وقضي على الثانية عند وادي سبو وكانت بقيادة كلثوم .

2) الاستقصا ج 1 ص 165 طبعة القاهرة . 3) البيان المغرب ج 1 ص 37 طبعة لبنان .

4) المصدر السابق ص 45 ــ 46 .

ويذكر ابو عبد الله المالكي في « رياض النفوس» اسماء تسعة من هؤلاء الفقهاء العشرة هم :
ابو الجهم عبد الرحمن بن نافع (1) .
ابو مسعود سعد بن مسعود التجيبي (2) .
ابو عبد الرحمن الحيلي (3) .
اسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف بتاجر الله (4) .
موهب بن حي المعافري (5) .
حيان بن ابي جبلة القرشي (6) .
ابو تمامة بكر بن سوادة الجذامي (7) .
ابو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير (8) .
اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر (9) .
واغلب الظن ان ما يقال من ان حسان بن النعمان « دون الدواوين (10) » ونشر العربية وجعلها لغة البلاد الرسمية لا يخلو من مبالغة ، واغلب الظن ان ما يقال كذلك من ان خطبة طارق بن زياد دليل على انتشار اللغة العربية بين البربر لا يخلو بدوره من مبالغة .

وربما كان تسرب المذهب الخارجي إلى المغرب في هذه الفترة (11) عاملا من اهم عوامل تاخر حركة التعريب عن ان تساير نشر الاسلام . والسبب ان امر الدين والمذهب غلب الخوارج وسيطر عليهم ولم يدع لهم مجالا لنشر اللغة ؛ فقد اغفلوا امرها ولم يكونوا ينظرون اليها سوى انها لغة الكتاب المقدس ولغة العلم لا حاجة تدعو اليها في الحياة العامة . ولعل هذا مما يفسر لنا سر بقاء كثير من المناطق التي انتشر فيها المذهب الخارجي على لهجتها البربرية لم تحاول ابدالها بلغة الدين الجديد .

وربما كان من الادلة على ان اللغة كانت لا تزال تتعثر ان العملة التي ضربت في نهاية القرن الاول للهجرة والتي كان بعضها يحمل اسم موسى بن نصير، كانت مكتوبة باللاتينية ، على الرغم من انها متاخرة عن حركة الاصلاح النقدي التي قام بها عبد الملك في المشرق (12) ، بل انه توجد سبع رسائل بعثت من رومة الى رجال الدين المسيحي في الاقاليم الافريقية مؤرخة في منتصف القرن العاشر الميلادي ومكتوبة باللاتينية ، مما يدل على ان الذين تلقوا تلك الرسائل كانوا يعرفون هذه اللغة (13) .

ومهما يكن ، فقد استطاع المغرب على عهد الادارسة ان يعيش في ظل نوع من الاستقرار ساعد على توطيد الاسلام ونشر اللغة في مناطق غير قليلة ؛ ونستطيع ان نعزو توسع حركة التعريب في هذا العهد الى خمسة عوامل :

1 — **حالة الاستقرار** التي سادت مناطق نفوذ الادارسة ، خاصة وان مؤسس دولتهم لم يدخل المغرب غازيا وانما دخله لاجئا ، وخاصة كذلك أن البربر سعوا اليه وولوه امرهم وبايعوه عن رضى وطواعية .

2 — **عروبة الادارسة** .

3 — **انشاء جامع القرويين** الذي كان له دور كبير في النهوض باللغة العربية والفكر الاسلامي في المغرب . وربما كان ذلك الدور ضعيفا في هذه الفترة ولم يقو الا في الفترات التالية ، ومع ذلك لا نريد ان ننكره حتى في مراحله الاولى ، خاصة ونحن نعرف أن المساجد جميعها وفي كل البلاد الاسلامية كانت تعتبر مدارس علم الى جانب انها مراكز عبادة . لذلك لا ينبغي — ونحن نشير الى هذا العامل — ان نغفل اثر الجوامع الاخرى ، وخاصة في سبتة التي ظلت تحمل مشعل الثقافة فترة غير قصيرة .

---

1) ص : 72 (2) ص : 66 — 67 (3) ص : 64 (4) ص : 69 — 72 (5) ص : 73
6) ص : 73 (7) ص : 74 (8) ص:75 (9) ص : 75 . (10) البيان المغرب ص:29

11) ما كادت حركة الفتح تبدا في المغرب حتى بدات فلول الخوارج المنهزمة في المشرق تفد عليه وخاصة منها الاباضية والصفرية تحاول الترويج لمذهبها الذي وافق طبيعة البربر الاستقلالية وميلهم الى رفض كل سيادة تفرض عليهم سواء كانت عنصرية او دينية .

12) انظر مقالا حول تعريب الشمال الافريقي لوليام مارسي W. Marçais
« Annales de l'Institut d'Etudes Orientales ». Faculté des Lettres de l'Université d'Alger, T. 4, 1938, p. 8.

13) المصدر السابق ، ومن اهم ما تفيده هذه الرسائل انه كان يوجد سنة 1050 م خمسة قساوسة وانه لم يبق منهم سنة 1076 الا ثلاثة .

4 ـ **خروج المغاربة في رحلات علمية** الى المشرق والقيروان والاندلس وعودتهم الى بلادهم وقد صقلت السنتهم وزودوا بافكار وعلوم جديدة لم يكن لهم بهنا عهد من قبل ، نذكر منهم :

ا ـ دراس بن اسماعيل الفاسي ، رحل الى المشرق والقيروان والاندلس . دارسا ومدرسا ، وعاد الى فاس حيث توفي سنة 357 .

ب ـ ابا جيدة بن احمد اليزناسني الفاسي ، رحل الى المشرق وكان عالما بالفقه المالكي والشافعي، وهو صاحب كتاب « الفتوى » الذي الف في الوثائق على المذهب الشافعي ، توفي بفاس سنة 365 .

ج ـ عبد الرحيم بن احمد الكتامي السبتي المعروف بابن العجوز ، رحل الى الاندلس والقيروان، وكان من فقهاء المالكية ، توفي سنة 413 .

5 ـ **كثرة الوفود العربية** التي قصدت فاسا في هذا العهد : قادمة اليها من الاندلس . والقيروان . اما القيروانيون « وكانوا ثلاثمائة اهل بيت (1) » فقد وفدوا حوالي سنة 189 واقاموا في العدوة اليسرى ، وعمروها حتى عرفت بعدوة القرويين . واما الاندلسيون « وكانوا جما غفيرا يقال اربعة آلاف اهل بيت (2) » فنزلوا بالعدوة اليمنى وعمروها حتى اصبحت تسمى عدوة الاندلس . وكانوا قد هاجروا من بلادهم على اثر ثورة الربض التي قامت على عهد الحكم بن هشام سنة 206 .

ويعرض ابن ابي زرع اسماء بعض القبائل والاشخاص الوافدين فيقول : « وفي سنة تسع وثمانين ومائة وفدت على ادريس رضي الله عنه وفود العرب من بلاد افريقية وبلاد الاندلس في نحو الخمسمائة فارس من القيسية والازد ومدحج وبني يحصب والصدف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتهم واجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لانه كان فريدا بين البربر ليس معه عربي فاستوزر عمير بن مصعب الازدي وكان من فرسان العرب وساداتها ولابيه مصعب مآثر عظيمة بافريقية والاندلس ومشاهد في غزو الروم كثيرة ، واستقضى منهم عامر ابن محمد بن سعيد القيسي من قيس عيلان ، وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العدوة فوفد بها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ، ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الافاق فكثر الناس وضاقت بهم مدينة وليلي (3) » .

ولعلنا نستطيع ان نضيف الى هذه العوامل اربعة عوامل اخرى لا شك انها ساعدت على التعريب:

1 ـ **قرب اللهجة البربرية** ـ وقد تاثرت بالفنيقية ـ من اللغة العربية .

2 ـ **عدم مقاومة اللهجة البربرية** للغة العربية الا في المناطق الداخلية النائية ، اما في المدن والسواحل والمراكز الهامة فقد كان السكان لا يرون باسا في تعلم اللغة الجديدة طالما انها لغة الفاتحين ، فقد الفوا اتخاذ لغة الفاتح ومزجها بلغتهم ، اذ ليس من شأن هذه الطبقة من السكان ـ وهي طبقة لها مصالح ـ ان تقاوم بل انها تهادن وتداهن وتتملق لتبلغ اغراضها وتحقق مصالحها . ومن هنا كانت هذه الطبقة اسرع من غيرها الى تعلم اللغة العربية .

ولعل مما يعطي اهمية لهذا العامل ان اللغة لا توجد في الواقع ولا تمارس ولا تنطلق الا في المدن والمراكز المتجمعة حيث يتحرك الناس ويتحدثون ، على عكس البوادي حيث يغلب الصمت على الفلاحين الذين يقضون الساعات الطويلة في الحقول متباعدين ساكتين .

3 ـ **تقدير المغاربة المسلمين للقرآن الكريم** واعجابهم بلغته واعجازه .

4 ـ **تهجير افواج من المغاربة** في شكل سبي الى المشرق وعودة بعضهم الى المغرب وقد تعلموا اللغة العربية فقد « قال الليث بن سعد : لما قدم موسى بن نصير الى افريقية قبل فتحه الاندلس ومعه جماعة من الناس اخرج ابنا له يسمى عبد الله الى بعض نواحيها فاتاه بمائة الف راس ثم وجه ابنا له آخر يسمى مروان الى ناحية اخرى فاتاه بمائة الف راس ، ثم توجه بنفسه الى ناحية اخرى فاتى بمائة الف راس، فبلغ الخمس يومئذ ستين الف راس . قال الليث فلم

---

1) الاستقصا ج 1 ص 73 .
2) المصدر السابق .
3) « الانيس المطرب القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » لابي عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن ابي زرع : مطبوع على الحجر بفاس دون تاريخ . صفحة (14) .

يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام . قال ابو شيبة الصدفي : قدم مروان بن موسى بن نصير من السوس الاقصى وهو يجر الدنيا جرا بالسبي ، فلما قدم رسوله على موسى خرج معه وجوه الناس تتلقاه ، فلما التقيا قال مروان بن موسى : مروا لكل من يلقاني مع ابي بوصيفة وصيفة ، فلما امر بذلك سمع موسى للناس ضوضاة وصياحا وراى لهم حركة فقال : ما هذا ؟ قالوا : مروان ابنك امر الناس بوصيفة وصيفة ، قال موسى : مروا لهم من عندي بوصيف وصيف . فانصرف الناس كلهم ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة (1) » .

وليس من شك في أن المغرب ـ لهذه العوامل مجتمعة وخاصة قدوم الاندلسيين في هجرة منظمة تضم كثيرا من الفقهاء ورجال العلم ـ قطع مرحلة في التعريب لا يستهان بها ، كان من المنتظر ان تعقبها مراحل اخرى لولا انه تعرض في اواخر ايام الادارسة وبعدها لاضطراب شديد ظل يعانيه حتى عهد المرابطين .

وكان محتما ان يتاثر سير التعريب بهذا الاضطراب ، خاصة وانه كانت لا تزال للبربر قوة ومنعة ومراكز لم تخضع بعد للاسلام . ومن غريب الامر ان تكون العوامل التي ساعدت ـ وكان من المكن ان تساعد اكثر ـ على نشر اللغة العربية هي نفسها العوامل التي خلقت هذا الاضطراب واضرمت ناره . فقد بدا العرب ـ بعد ان عزوا وكثر عددهم ـ يستبدون بالامور ، ويوزعون بينهم المناصب واخذتهم النخوة العربية القبلية ، فكان ان شق المغاربة لهم عصا الطاعة ، وكان ان دخلت البلاد في عهود مظلمة من الفوضى نتج عنها ان تاخر امر اللغة وامر الدين كذلك .

وبعد قرون من الاضطراب والخمول ، اتيح للمغرب ان يعرف على عهد المرابطين حياة مستقرة لم تلبث ان خلقت نهضة شاملة اثرت في مختلف مجالات الحياة وخاصة في مجالي اللغة العربية والثقافة الاسلامية . واظننا نستطيع ان نعزو هذه النهضة التي شملت التعريب الى عوامل اهمها :

1 ـ **قوة الدولة** في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد وما نتج من هذه القوة من استقرار بعث الطمانينة في نفوس المغاربة وثبت العقيدة في قلوبهم واتاح لهم فرص التعلم والدرس .

2 ـ **الوحدة مع الاندلس** وما حملت الى المغرب من روافد في جميع ميادين العلم والحياة فتحت للمغرب آفاقا حضارية وثقافية ، فقد اقبلت وفود العلماء والفقهاء والادباء من الاندلس الى المغرب في تدفق لم يكن له مثيل ، ووفد على ابن تاشفين « من كل علم فحوله حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له . . . من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار (2) » . وكذلك فعل ابنه علي ، فلم « يزل . . من اول امارته يستدعي اعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك (3) » .

3 ـ **انشاء المدارس والرباطات** في مختلف المراكز بقصد تثبيت الوعي الديني والاصلاح الاجتماعي ، وبقصد نشر التعليم وتعميم الثقافة . واهم هذه المعاهد كلها جامعة ابن يوسف التي اسسها علي بن يوسف بن تاشفين في مدينة مراكش .

4 ـ **عناية المرابطين بالثقافة** : فقد كانوا شغوفين بالعلم محبين لرجاله في كثير من الصدق والتفاني والاخلاص . ولا عجب فالدولة قامت على اساس من العلم والاصلاح . واذا كان يوسف بن تاشفين قليل المعرفة باللغة والثقافة العربيتين ، فانه كان ـ باجماع المؤرخين ـ محبا للعلم مقربا لاهله ، ونقول قليل المعرفة ولا نقول جاهلا ـ كما يحلو لبعض الباحثين ان يصفوه ـ لانه لا شك نال من هذه المعرفة قسطا ابان دعوة ابن ياسين ومرابطته معه .

ومع ذلك فالباحث في كتب الطبقات سواء منها الاندلسية او المغربية لا يلبث ان يكشف النقاب عن اسماء كثير من امراء الدولة وكبرائها الذين كانت لهم عناية خاصة بالعلم امثال :

---

1) ضميمة في بحث الدكتور محمود مكي : Egipto y la historiografía arabico-española صفحة 224 (مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ـ العدد الخامس سنة 1957 ـ عدد خاص بمناسبة مرور خمس سنوات على انشاء الصحيفة) .

2) المعجب لعبد الواحد المراكشي تحقيق العلمي والعريان . طبعة القاهرة . صفحة 163 ـ 164 .

3) المصدر السابق صفحة : 173 .

زاوي بن مناد بن عطية الله بن منصور الصنهاجي المشهور بابن تقسوط (1) .

خلوف بن خلف الله الصنهاجي (2) .

عمر بن امام بن المعتز الصنهاجي الملقب بالفقيه القائد (3) .

الامير المنصور محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني (4) .

الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تعيشت (5) .

ابو بكر بن ابراهيم المعروف بابن تافلويت (6) .

ولعل حركة التعريب سارت بعيدا على عهد الموحدين حيث نشط نظم مسائل اللغة العربية ، وحفظ متونها ، وازدهرت دراستها ودراسة العلوم اللسانية المتصلة بها ، وشاعت في لغة التخاطب بين مختلف طبقات الشعب لدرجة ان من يتتبع المتابلات التي اوردها ابن هشام في كتاب « لحن العامة » بين الكلمات العربية والكلمات المغربية العامية لا يجد الفروق كامنة الا في المعنى الجديد الذي اكتسبه اللفظ العربي من جراء انتقاله من بيئة الى بيئة اخرى مغايرة ومختلفة .

ومع ذلك فقد لجا الموحدون الى البربرية وسيلة للاتصال بالجماهير والتاثير عليها ، فالمهدي يدرس بالبربرية ويؤلف بها كتبه في المذهب ويامر بالنداء للصلاة بها على حد اتهام المامون له (7) ، وعبد المومن يكتب لولاته بان « يؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به ان يقرأوا التوحيد بذلك اللسان (8) » و « كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري (9) » . ولكنا نرى ان مجال البربرية كان محدودا لا يتعدى الدعوة الدينية ، وان العربية لانتشارها كانت قد غدت اداة الدولة في جميع المصالح والمرافق .

ونستطيع ان نعزو هذا الانتشار الى العوامل الآتية :

1 - هجرات بني هلال وبني سليم للمغرب ،

وكان قد استقدمهم المنصور (10) بعد ان قدموا الطاعة اثر انتصاره على حليفهم ابن غانية . وكان لهذه الهجرات اثر كبير جعل ابن خلدون يرى ان « العرب

---

1) التكملة لكتاب الصلة لمحمد بن الابار القضاعي ج 1 صفحة 89 طبعة كوديرا .
2) الجذوة لابن القاضي صفحة 115 طبعة حجرية.
3) التشوف الى رجال التصوف ليوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات تحقيق ادولف فور معهد الابحاث العليا المغربية سنة 1958 صفحة 198 .
4) التكملة ج 1 صفحة 193 .
5) المصدر السابق ج 2 صفحة 616 ووفيات الاعيان ج 2 صفحة 488 .
6) مقدمة ابن خلدون صفحة 519 - 520 .
7) الاستقصا ج 2 صفحة 212 .
8) رسائل موحدية صفحة 39 (نشر بروفنسال).
9) القرطاس لابن ابي زرع ، صفحة 46 .
10) انظر تفاصيل اخبار هاتين القبيلتين في الاستقصا ج 2 من صفحة 145 الى 158 ، والقرطاس صفحة 154 ، وتاريخ ابن خلدون ج 6 صفحة 12 . ويبدو ان استدعاء العرب واستقدامهم للمغرب بدا على عهد عبد المومن (انظر المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 172 - 173 ، تحقيق عبد الهادي التازي) وعلى عهد يوسف بعده (المصدر السابق ص 412 - 413 - 414 - 415) . ويقول ابن صاحب الصلاة ان يوسف امر في مراكش « بدخول اشياخ العرب والوفود للمبايعة واخذ العهد عليهم في ذلك فدخلوا ... وتمت بيعتهم » . ص (433) وكان قد امر « ... بتمييز العرب المذكورين وان يحضروا بين يديه في رحبة قصره العتيق بدار الحجر داخل حضرة مراكش ... فابتداوا بالدخول عليه ... على ترتيب توحيدهم اولا في قبائلهم السابقة لهذا الامر العزيز وعشائرهم فكان الذي ابتدا اول يوم قبيلة زغبة لتقدمهم في التوحيد وامروا ان يدخلوا في كل يوم بعدد معلوم من القبيل المامور له فتمادى تمييزهم على هذا الترتيب الغريب مدة خمسة عشر يوما يدخلون غدوة حتى صلاة الظهر ثم يرجعون بطائفة اخرى من بعد صلاة الظهر الى آخر النهار على ترتيب القبائل المذكورة والعشائر » (صفحة 434 - 435) .

لم يكن المغرب لهم في الايام السابقة بوطن وانما انتقل اليه في اواسط المائة الخامسة افاريق من بني هلال وسليم اختلطوا في الدول هناك فكانت اخبارهم من اخبارها ... واما آخر مواطن العرب فكانت برقة (1)» ومثل هذا يراه ابو القاسم الزياني حيث يقول انه « لم يكن بالمغرب كله احد من قبائل العرب الى ان جرهم المنصور الموحدي بمكيدة الجهاد (2) » .

2 — **وفود جماعة من غز مصر (3)** ، وهم طائفة من الموالي اتراك الاصل حالفوا بني هلال وبني سليم في انضمامهم لثورة ابن غانية .

3 — **وفود جماعة من عرب بني معقل** كانوا بدورهم حلفاء لبني هلال (4) .

4 — **زيادة توافد الاندلسيين على المغرب** بعد ان تمغربت الاندلس .

كل هذه العوامل كان لها اكبر الاثر في انتشار اللغة العربية على نطاق واسع شمل الحواضر والبوادي والجبال والسهول حيث عاش الوافدون مع البربر حياة واحدة جعلتهم يتجانسون معهم ويتبادلون اساليب العيش والاعراف . مما زاد في تغلغل العربية وتمكنها من الالسنة لدرجة اصبح البربر كلهم على حد قول الفريد بيل يتقنون اللغة العربية في جبال الاطلس (5) وغدوا — كما يقول كوتيي — يستنكرون الاصل البربري ويرفضون الانتساب اليه ولا يكتفون باستعمال اللغة العربية فحسب بل يؤكدون انهم عرب وانه لا تجري في عروقهم نقطة من الدم ليست بعربية (6) . وهو راي يؤكده ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية من ان البربر « تغيروا تغيرا عظيما لاختلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تمييزهم في اغلب الاحيان (7) » .

---

(1) ج 6 ص 4 من تاريخ ابن خلدون .

(2) الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحرا صفحة 69 نشر الاستاذ عبد الكريم الفيلالي (وزارة انباء المغرب سنة 1967) . وقد علق الناشر على هذا الكلام براي غريب قال فيه : « يلاحظ ان المؤلف لم يصل علمه الى ان قبائل بني سليم وبني هلال ورباح وصباح وبني معقل وهي قبائل قدمت منذ الفتح العربي الاول من صعيد مصر الى عموم المغرب توجد خصوصا بالجنوب » .

(3) انظر المعجب صفحة 288 .

(4) انظر الاستقصا ج 2 من صفحة 159 حتى 162 .

(5) A. Bel. La religion musulmane en Berbérie (établissement et développement de l'Islam en Berbérie), p. 204.

(6) E. F. Gautier: Les siècles obscurs du Maghreb, p. 410.

(7) الترجمة العربية مادة : بربر .



الندوات ماهيتها وأهدافها

الأستاذ أحمد الحلاوي

المدير والمساعد للمكتب الدائم
للاتحاد البريدي العربي
(القاهرة)

جاء في المعجم الوسيط الذي اصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريفا للندوة ما يلي : « الندوة ـ الجماعة يلتقون في ناد او نحوه للبحث والمشاورة في أمر معين . ودار الندوة كل دار يرجع اليها ويجتمع فيها للبحث والمشاورة . وكانت لقريش في الجاهلية دار الندوة في مكة بناها قصي ابن كلاب وانتقلت الى ولده حتى اشتراها معاوية وجعلها دارا للامارة . »

ومن الفقرة الاخيرة لشرح المجمع اللغوي ، وهي شراء معاوية لدار الندوة من قصي ابن كلاب وجعلها دارا للامارة نستبين اهمية الندوات باعداد افخم الدور واصلحها لاجتماع المنتدين ، حتى ان هذه الدار اصبحت فيما بعد دارا للامارة .

ويقصد بالندوة اجتماع مجموعة من الافراد يسهم كل منهم بخبرته ومعلوماته واقتراحاته في المواقف او المشاكل التي يجري بحثها ودراستها ومناقشتها في الندوة او يستهدف هذا الاجتماع (اي الندوة) ان يتعلم المنتدون او المجتمعون من خبرة افراد المجموعة الاخرين ، عن طريق تبادل البيانات والمعلومات والآراء بدون تعليم مباشر من جانب قائد الندوة .

ويقصد بالندوة اجتماع مجموعة من الافراد يسهم كل منهم بخبرته ومعلوماته واقتراحاته في المواقف او المشاكل التي يجري بحثها ودراستها ومناقشتها في الندوة او يستهدف هذا الاجتماع (اي الندوة) ان يتعلم المنتدون او المجتمعون من خبرة افراد المجموعة الاخرين ، عن طريق تبادل البيانات والمعلومات والآراء بدون تعليم مباشر من جانب قائد الندوة .

ويقتصر عمل قائد الندوة بقيادتها وتوجيه الاسئلة والاستيضاحات واثارة المناقشة وتفسير ما قد يكون قد غمض على اي من المنتدين وتصحيح المعلومات اذا اقتضى الامر ولكنه لا يقوم اطلاقا بالاجابة على الاسئلة وينبغي ان يتلافى ذلك .

ويجب ان يكون الموضوع او المشكلة المطروحة للمناقشة ذات اهمية لاعضاء المجموعة وان تكون من النوع الذي يسمح بأكبر قدر من اختلاف الآراء بالنسبة للحلول وبافضل هذه الحلول .

وينبغي ان تتكون الندوة او المجموعة من افراد ذوي خبرة ودراية ويمكنهم ان يسهموا مساهمة مجدية في ايجاد حل مناسب للموضوع او المشكلة المطروحة في الندوة .

ويمكن ان نلخص واجبات قائد المجموعة في النقط التالية :

ـ ايضاح المشكلة او الموضوع المطروح للمناقشة بجلاء وبطريقة تستثير اهتمام المنتدين (مجموعة الحاضرين في الندوة) لفتح باب المناقشة.

ـ العمل على استمرار المناقشة وعدم خروجها عن الموضوع ، مع مراعاة محاولة جعل جميع افراد المجموعة يشتركون فيها .

ـ توضيح الاختلاف فى الآراء بين اعضاء المجموعة ولكن يجب ترك المجموعة نفسها تحدد الحل الصحيح دون ان يؤيد اي جانب .

ـ القيام بتلخيص النتائج التى وصل اليها الاجتماع بين حين وآخر .

ـبيان النتائج النهائية التى وصل اليها الاجتماع وكتابتها على لوحة او سبورة او فى مذكرات توزع على الاعضاء .

* * *

وينبغي ان يتكون الاجتماع « الندوة » من عدد محدود من المتندين فيكون بين 12 الى 20 ـ ويعتبر افضل عدد من الافراد لتكوين الندوة حوالي 15 .

ويفضل ان يجلس المتندون حول منضدة كبيرة بطريقة تمكن كلا منهم من رؤية الآخرين بدون الحاجة الى الالتفات الى الخلف .

وينبغي ان تتوفر ظروف مكان الندوة او قاعة الاجتماع بحيث تتلاءم وحاجة المتندبين مثل الاضاءة المناسبة والتهوية والبعد عن الضوء فى مكان الاجتماع

ويحسن بل يجب ان يعرف كل مشترك اسماء الزملاء الآخرين وان يستخدم هذه الاسماء اثناء المناقشة .

ولما كان المتندون عادة ينتمون الى مجموعة واحدة فانهم يعرفون اسماء زملائهم ، ولكن اذا لم تتوفر هذه المعرفة فينبغي افتتاح الاجتماع بتقديم كل منهم نفسه الى المجموعة .

هذا على انه من المستحسن ان يقوم منظم الندوة بوضع بطاقة تحمل اسم كل فرد من افراد المجموعة وبالخط المثلث امام كل واحد منهم .

وتجري المناقشة والافراد جالسون ازاء قائد الندوة ما عدا فى الاوقات التى يستخدم فيها السبورة فانه من الطبيعي سيقف امامها ليشرح ما يريد ايضاحه . وبذلك يتوقع جو غير رسمي للاجتماع ويجعل من السهل على الفرد المنطوي او الخجول الاشتراك فى المناقشة .

ويجب اختيار « قائد الندوة » بعناية . وليس من الضروري ان يكون خبيرا فنيا فى الموضوع الذى تجري مناقشته فى الاجتماع . ولكن يجب على الاقل ان تتوافر له بعض المعرفة به حتى يمكنه فهم الالفاظ او المصطلحات التي تستخدم اثناء المناقشة وان يفهم الاهداف الواجب الوصول اليها .

وينبغي ان تتوافر له الحماسة او الحوافز حتى يمكنه بعث المناقشة واثارتها وخلقها واشراك الجميع فيها .

ويجب ايضا ان يكون لبقا كيسا مرنا حتى يتسنى له معاملة الافراد الذين يخلقون المشاكل معاملة لبقة . (1)

وينبغي على قائد الاجتماع ان يحترم آراء الآخرين وان تكون له القدرة على فرض شخصيته على الاجتماع والامتناع عن السيطرة على المناقشة وتوجيهها فى السبيل الذى يميل اليه . حتى يتركز الاهتمام على المتندين وليس على قائد الندوة .

* * *

وعلى قائد الندوة ان يبدا بحرص وان يراعي ايجاد علاقة ايجابية بينه وبين المتندين .

وحتى لا يبدو ان المقصود من الندوة تعليم المتندين بعض المبادىء والمعلومات بطريقة مباشرة بل ان هدف الاجتماع او الندوة هو أن يقوم المتندون بالعمل الرئيسي سيما وانه غالبا ما يكون المتندون من ذوي الخبرة ويشغلون وظائف هامة سواء فى المرافق او المؤسسة او الهيئة التى يعملون بها فانه من المستحسن ان يبدا « قائد الندوة » المناقشة بان يبين لهم ان الهدف هو الاستفادة من خبراتهم ومعلوماتهم فى النواحي والموضوعات المطروحة والتي يجري مناقشتها وبذلك يضمن الاستقبال الودي من جانب المتندين .

---

(1) الافراد الذين يخلقون المشاكل او يثيرون المتاعب هم الذين يتحدثون اكثر مما ينبغي او الذين يخرجون عن الموضوع او الذين يداومون الجدل فيما لا طائل من ورائه .

ويجب منذ بدئه عمل الندوة ان يعمل كل مـا وسعه الجهد على ان يجعل جو الاجتماع فيه شيء من المرح النفسي ويخلق روح الانسجام بينه وبين المتندبين ويزيل جو التوتر والانفعال من الاجتماع . وتحقيقا لذلك يقول بعض قادة الندوات عند افتتاحهم الاجتماع : بانه سوف لا توجه اية اسئلة لاي فرد من المجتمعين وبذلك يطمئن اي فرد ممن يخشون الاندماج في المناقشة الى انه لن يطلب منه الحديث او الاجابة على اي سؤال وبذلك يستطيع ان يتابع اعمال الاجتماع دون اي توتر او انفعال . كما ان هؤلاء القادة يرون ان مثل هذا الفرد يندمج بعد ذلك تلقائيا في المناقشة كما يرى البعض الآخر انه يمكن اندماج مثل هذا الفرد في المناقشة عن طريق القائه بعض الاسئلة التي يكون من المؤكد معرفته الاجابة عليها لرفع روحه المعنوية وحتى يمكن اجتذابه للاشتراك في المناقشات وعمل الاجتماع دون شعور بالاحراج .

ويقوم قائد الندوة بعد ذلك بشرح طريقة عمل الاجتماع بايجاز فيبين انه من الضروري لنجاح الاجتماع اشتراك جميع المتندبين . وان الاجتماع يعمل في جو غير رسمي وليس هناك حاجة لتوجيه الحديث الى المحاضر او قائد الندوة وانه يرحب بالاختلاف الودي في الآراء. وان المناقشة داخل الاجتماع لن تبلغ الى اي جهة ادارية حتى يمكن للمتندبين التعبير عن آرائهم في حرية .

ويلي ذلك محاولته بدء المناقشة بان يسال سؤال الافتتاح بطريقة تستثير الاهتمام وبذلك يؤدي الى بدء المناقشة بطريقة طبيعية . اما السؤال المشار اليه فينبغي ان يتعلق بموضوع جميع المتندبين او ان يكون موضوع خلاف تختلف فيه الآراء ولكن ليس من النوع الذي يقسم الاجتماع الى معسكرين يعارض كل منهما الآخر .

* * *

وبعد ملاحظات الافتتاح وبدء المناقشة يتحصر عمل قائد المجموعة على توجيه المناقشة : ومراعاة عدم خروجها عن الموضوع : وتشجيع الاختلاف بين الآراء واحتكاكها للوصول الى افضل المبادىء : ومعالجة الافراد الذين يسببون مشكلات في عمل الندوة على ان تكون معالجته لهم في كياسة ولباقة دون احراج .

فبالنسبة الى توجيه المناقشات خلال انعقاد الندوة : يكون واجب قائد الندوة العمل على مناقشة المتندبين في مختلف نواحي الموضوع او المشكلة بطريقة منطقية منظمة : أما اذا اهمل قائد الندوة ارشادهم الى النواحي المختلفة للموضوع او المشكلة فانه سيجد في النهاية ان المتندبين قد استنفدوا وقتا طويلا بدون ان يحققوا الغرض من الاجتماع . كما انه من واجبه في حالة المجموعات غير النشطة التي يحجم افرادها عن الاشتراك في عمل الاجتماع تشجيع الافراد على التفكير في الموضوع والتعبير عن آرائهم .

وتعتبر الاسئلة التي يوجهها قائد الندوة من اهم الوسائل لتوجيه المناقشة .

وتحقيقا لذلك يستخدم قائد الندوة نوعين من الاسئلة اولهما تلك التي توجه الى المجموعة كلها وثانيهما الاسئلة التي توجه الى فرد بالذات من بين المتندبين .

على انه بالنسبة الى السؤال الذي يوجه للفرد فانه ينبغي ان يوجه هذا السؤال الى الفرد الذي يعرف القائد انه تتوفر له معلومات خاصة او خبرات مميزة : وليس خجولا ولا منطويا : وان هذه المعلومات والخبرات ينبغي ان تاخذها المجموعة في الاعتبار عند تحليل الحل الصحيح او المبدا الصحيح . وتساعد هذه الاسئلة على تغطية جميع النواحي التي يراد معرفة المجموعة لها .

ويجب على قائد الندوة ان يشجع الاختلاف في الآراء البعيدة عن الاسفاف او التكرار : اذ بدون هذا الاختلاف لا تكون المناقشة مثيرة لاهتمام المتندبين .

هذا على ان مناقشة المجموعة للآراء المختلفة لا بد ان يؤدي الى الوصول الى افضل المبادىء واسلم الحلول : ولكن ينبغي عند مناقشة الخلاف للآراء الا يسمح القائد بان يصبح عمل الاجتماع مناظرة بين فردين : اذ يجب ان يعمل على اشراك الافراد الآخرين في المناقشة .

وقد يتقدم بعض المتندبين باسئلة الى قائد الندوة اثناء المناقشة : والواجب في هذه الحالة ان يتجنب قائد الندوة الاجابة عن هذه الاسئلة اذ ان عمله الرئيسي هو توجيه المناقشة وتنظيمها لا الاجابة على الاسئلة اذ قد تؤثر هذه الاجابة على نوعية

المناقشة وتوجيهها فى غير السبيل الذى ترتئيه الجماعة ، على ان قائد الندوة يمكنه ان يعالج مثل هذا الموقف باحدى الطرق الآتية :

ا) طرح الاسئلة على المنتدين

ب) طلبه الى السائل لبيان رايه فيما يسال عنه

ج) توجيه السؤال الى احد المنتدين المتحمسين لعمل الندوة .

د) قيام المحاضر بالاجابة وهذا لا يكون الا فى حالات استثنائية ويرى ان اجابته لا تؤثر على آراء الآخرين او على موضوع الندوة .

ومن الافضل ان تكون هناك سبورة فى غرفة الاجتماع ليكتب عليها المحاضر او قائد الندوة الاقتراحات التي يتقدم بها المنتدون .

ان لوجود هذه السبورة واستخدامها مزايا هامة : اذ ان وجودها يمكن المجموعة من الوصول الى توصياتها النهائية بطريقة منظمة دون اغفال اي ناحية ، وذلك بتسجيل ومناقشة جميع الاسباب التى فى صالح الاقتراح وضده ، كما تساعد قائد الندوة على عدم نسيان اي اقتراح يتقدم به المنتدون كما تجنب التكرار ، وبذلك تساعد على تقدم المناقشة ، وتكون بمثابة وسيلة للايضاح تساعد على تذكر المنتدين لجميع المسائل التى اثيرت فى المناقشة ، كما ان كتابة موضوع المناقشة يساعد على عدم خروج الافراد عن الموضوع ، وتساعد على تلخيص المناقشة فى النهاية ، علاوة على ان كتابة مقترحات الافراد على السبورة يعطيهم الشعور بالاهمية .

وقد يشترك فى الاجتماع افراد لا يساعدون على نجاحه نظرا لخصائصهم غير المرغوب فيها ، او لاستعلائهم على التدريب كما سبق ان اوضحنا ، والواجب ان يكون لقائد الندوة الخبرة والكياسة واللباقة والحزم ، اذا اقتضى الامر ذلك، لمعاملة كل من هؤلاء .

وهناك مبدا هام عند استخلاص النتائج من المناقشة وهو انه ينبغي ان تبين الحالات والمشكلات اولا ثم المبادىء والنظريات بعد ذلك ، اي انه يمكن الحصول على افضل النتائج عندما يستخلص المنتدون حل المشكلة .

وتستخلص النتائج والمبادىء بالطريقة الآتية :

ــ بيان حالة او مشكلة تتعلق بطريقة مباشرة بخبرة المنتدين .

ــ يوجه اليهم الاسئلة لتوضيح الحلول التى اتبعوها فى الماضي عندما واجهتهم نفس المشكلة فى كلتا الحالتين ، حالة نجاحهم فى حل المشكلة وفى حالة فشلهم ، ثم الحل الذى يرونه افضل من غيره .

ــ سؤالهم عن اسباب نجاح او فشل الحل الذي سبق ان اتبعوه .

ــ استخلاص المبادىء العامة او الحلول التى يمكن تطبيقها فى الحالات المماثلة للحالات التى كانت موضوع المناقشة .

اما فى خصوص الندوات الهادفة لتبادل الآراء فى سبيل تطوير الاشراف ، فان رئيس الندوة يجب ان يكون مستعدا مسبقا للمناقشة فى جميع الموضوعات التى يتضمنها جدول الاعمال . ولزام عليه ان يوجه ويدير المناقشات كما عليه ايضا ان يقدم البيانات والمعلومات والمراجع المعاونة بين آن وآخر، لكي يجعل التركيز كله على الموضوع مدار البحث دون الخروج عنه فى متاهات النقاش والكلام .

وعلى قائد الندوة ان يعمل جاهدا لاتاحة الفرصة للراغبين من المشرفين الممتازين ان يشاركوا فى الاسهام بدور في التوجيه مع المدربين الاخصائيين على انه من الاهمية بمكان ان يقوم هؤلاء الاشخاص مسبقا بدراسة وتعلم والتدريب على الطرائق الفنية لادارة الندوات .

ويقتضي تقديم البرنامج ان يقوم كبار الرؤساء بوضع برامج هذا الطراز من الموضوعات الرئيسية. على انه من المستصوب لاقصى درجة ان يستعرض ويعلن فريق كبار الرؤساء كل الموضوعات بحيث يكون البرنامج او جدول الاعمال الذى سيدرس فى الندوة معلوما ومعروفا فى نطاق الهيئة الادارية كلها .

كما ينبغي العمل على ترجمة المبادىء والاقتراحات وصيافتها بحيث تتناول الموضوعات المشاكل التى يعرفها المشرف ويجابهها كل يوم . على انه يجب ايضا صياغة وتوجيه البرنامج بما تضمنه من موضوعات رئيسية هامة بحيث يقابل ويغطي مجموعة معينة من الذين يشتركون فى الندوة .

نشاط المجمع العلمي العراقي

توصلنا من فضيلة الاستاذ الجليل رئيس المجمع العلمي العراقي الدكتور عبد الرزاق محيي الدين بتقرير عن نشاط المجمع العلمي العراقي ببغداد ننشره شاكرين :

تمهيد

اسس المجمع العلمي العراقي بقانونه الحالي بموجب قانون رقم (49) لسنة 1963 .

1 ـ تكوينه

نصت المادة الاولى من قانونه على ما يلي :

ا ـ ينشأ في الجمهورية العراقية مجمع يسمى المجمع العلمي العراقي ويكون هيأة مستقلة ذات شخصية حكمية واستقلال مالي واداري ويديره ديوان رئاسة ويمثله وزير التربية والتعليم في مجلس الوزراء .

2 ـ اهدافه :

نصت المادة الثانية من القانون على ما يلي ـ يهدف المجمع الى :

ا ـ النهوض بالدراسات والبحوث العلمية في العراق لمسايرة التقدم العلمي .
ب ـ المحافظة على سلامة اللغة والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والاداب والفنون .
ج ـ احياء التراث العربي والاسلامي في العلوم والاداب والفنون .
د ـ العناية بدراسة تاريخ العراق وحضارته .
هـ ـ نشر البحوث الاصيلة وتشجيع الترجمة والتاليف في العلوم والاداب والفنون .

3 ـ وسائله :

في المادة الثالثة .. يتوسل المجمع لتحقيق غاياته بالوسائل التالية :

ا ـ وضع معجمات لغوية وعلمية .
ب ـ اصدار مجلة ونشرات .
ج ـ نشر الكتب والوثائق والنصوص القديمة

د ــ توثيق الصلات بالمجامع والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية في البلاد العربية وغيرها .
هـ ــ منح الباحثين والعلماء والادباء المبرزين جوائز .
و ــ تقديم عون مالي للباحثين والمؤلفين والمترجمين .
ح ــ اقامة ندوات للتدارس .
ط ــ انماء مكتبة المجمع واستكمال شؤون الطباعة فيه .

المؤتمــــرات العلميــــة والادبيــــة

ورد في المادة الرابعة ما يلي :
للمجمع ان يعقد مؤتمرات علمية وادبية وان يقيم احتفالات في حدود هــــذا القانون وان يساهم في المؤتمرات العلمية والادبية ويوفد اليها من اعضائه من يختاره لتمثيله فيها وان يوفد لاغراض البحث من يرشحــــه .

الكتب التي تولى المجمع طبعها على نفقته

قام المجمع بطبع مجموعة من الكتب على حسابه الخاص واشترى حق تاليفها وهــــي :

1 ــ تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الاول) القسم السياسي
2 ــ تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الثاني) القسم السياسي
3 ــ تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الثالث) القسم السياسي
4 ــ تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الرابع) القسم السياسي
5 ــ تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الخامس) القسم الديني
6 ــ تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء السادس) القسم الديني
7 ــ تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء السابع) القسم اللغوي
8 ــ تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الثامن) القسم الاجتماعي والثقافي
9 ــ صورة الارض للادريسي ــ تحقيق الاستاذ محمد بهجة الاثري والدكتور جواد علــــي
10 ــ موجز الدورة الدموية في الكلية للمرحوم الدكتور هاشم الوتري
11 ــ المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد للحافظ ابن الدبيثي ــ انتقاء الامــــام الذهبي الجزء الاول ــ تحقيق المرحوم مصطفى جواد
12 ــ المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد ــ للحافظ ابن الدبيثي ــ انتقاء الامام الذهبي الجزء الاول ــ تحقيق المرحوم مصطفى جواد
13 ــ بلدان الخلافة الشرقية ــ تاليف لسترنج وترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عــــواد .
14 ــ خريدة القصر وجريدة أهل العصر ــ للعماد الاصفهاني ــ القسم العراقي الجزء الاول ــ حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الاستاذ بهجة الاثري واعد اصله وشارك في تحقيقه وممارضته وصنع فهارسه الدكتور جميل سعيد
15 ــ خريدة القصر وجريدة أهل العصر ــ للعماد الاصفهاني ــ القسم العراقي ــ الجزء الثاني ــ حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الاستاذ محمد بهجة الاثــــري .
16 ــ منازع الفكر الحديث ــ تاليف سي . م . جود ــ ترجمة المرحوم الاستـــاذ عباس فضلي خماس ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام .
17 ــ الخطاط البغدادي علي بن هلال « ابن البواب » ــ تاليف الدكتور سهيل انور ــ وترجمة الاستاذين محمد بهجة الاثري وعزيز سامي .
18 ــ كتاب الجامع الكبير في صناعة المنثور من الكلام المنظوم ــ تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد .
19 ــ مصطلحات المجمع في هندسة السكك والري والاشغال وفي الصناعة والملاحة والطيران .

20 — مصطلحات المجمع في صناعة النفط .
21 — تكملة اكمال الاكمال — تاليف جمال الدين ابي حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد .
22 — مؤرخ العراق ابن الفوطي — للاستاذ المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي — الجزء الاول
23 — مؤرخ العراق ابن الفوطي — للاستاذ المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي — الجزء الثاني
24 — مقدمة الرياضيات — تاليف وايتهيد وترجمة المرحوم محيي الدين يوسف .
25 — الدينار الاسلامي في المتحف العراقي — السيد ناصر النقشبندي .
26 — خارطة بغداد قديما وحديثا — وضع الدكتور احمد سوسة والدكتور مصطفى جواد والسيد احمد حامد الصراف .
27 — تاريخ علم الفلك — تاليف الاستاذ عباس العزاوي .
28 — الوقاية من السل الرئوي والبي . سي . جي — المرحوم الدكتور شريف عسيران .
29 — دليل خارطة العراق المفصل — للدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة
30 — العراق في الخوارط القديمة — جمع وتحقيق الدكتور أحمد سوسة .
31 — مصطلحات الالكترون .
32 — مصطلحات القانون الدستوري .
33 — مصطلحات علم الفضاء .
34 — مصطلحات في التربية البدنية .
35 — مصطلحات في التربة .
36 — مصطلحات نقل الركاب .
37 — مصطلحات في السكك الحديدية .
38 — تاريخ الامارة الافراسيابية (أو حلقة مفقودة من تاريخ البصرة) بقلم الاستاذ محمد الخال .
39 — تاريخ الادب العربي في العراق — الجزء الاول — تاليف الاستاذ المحامي عباس العزاوي) .
40 — تاريخ الادب العربي في العراق — الجزء الثاني — تاليف الاستاذ المحامي عباس العزاوي) .
41 — تاريخ التفسير تاليف المرحوم الشيخ قاسم (المفتي) القيسي
42 — مصور الخط العربي — تاليف المهندس ناجي زين الدين .
43 — بحوث ومحاضرات دورة مجمع اللغة العربية (الدورة الثانية والثلاثون المنعقد ببغداد عام 1965) .
44 — تراثنا الفلسفي — حاجته الى النقد والتمحيص — تاليف المرحوم الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي .
45 — دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحق — تاليف الدكتور عبد العزيز الدوري .
46 — عقبة بن نافع الفهري — تاليف اللواء الركن محمود شيت خطاب .
47 — الوضع — تحديده — تقسيماته — مصادر العلم به — تاليف الاستاذ محمد تقي الحكيم .
48 — التفاحة في النحو لابن النحاس — تحقيق الاستاذ كوركيس عواد .
49 — ميزان البند — تاليف الدكتور جميل الملائكة .
50 — المباحث اللغوية في العراق ومشكلة اللغة العصرية — تاليف المرحوم مصطفى جواد .
51 — صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي — تاليف الدكتور فاضل الطائي .
52 — حول توحيد المصطلحات القانونية في البلاد العربية — تاليف الاستاذ محمد شفيق العاني .
53 — راي في المصطلحات الطبية — تاليف الدكتور عبد اللطيف البدري .

54 ـ المباحث اللغوية العراقية في مؤلفات العراقيين المحدثين ـ تاليف الاستاذ كوركيس عواد .
55 ـ المجمع العلمي العراقي ـ نشاته ـ اعضاؤه ـ اعماله ـ تاليف عبد الله الجبوري .

ومن الكتب التي يقوم المجمع بطبعها الآن

1 ـ كتاب الدرهم الاسلامي ـ تاليف المرحوم السيد ناصر النقشبندي .

المساعدات المالية :

تدم المجمع منحا مالية لمساعدة المؤلفين والباحثين والمترجمين على طبع مؤلفاتهم وقد شملت المساعدة المؤلفات التالية :

اسم الكتاب	اسم المؤلف او المترجم	سنة الطبع
1) الاسلام والشعر	يحيى الجبوري	بغداد 1964
2) البخلاء	الخطيب البغدادي تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي واحمد ناجي القيسي	بغداد 1964
3) التعاون العسكري	العميد الركن حسن مصطفى	
4) ديوان رشيد الهاشمي	رشيد الهاشمي / تحقيق عبد الله الجبوري	بغداد 1964
5) رسوم دار الخلافة	ابو الحسن هلال بن المحسن الصابىء تحقيق ميخائيل عواد	بغداد 1964
6) رحلة فريزر الى بغداد	جيمس بيلي/ترجمة جعفر الخياط	بغداد 1964
7) اعلام من الادب التركي	وحيد الدين بهاء الدين	بغداد 1965
8) المستدرك على الكشاف من مخطوطات خزائن الاوقاف	عبد الله الجبوري	بغداد 1965
9) فيضانات بغداد في التاريخ / القسم الاول والثاني والثالث	الدكتور احمد سوسة	بغداد 1965
10) ديوان الصاحب بن عباد	الصاحب بن عباد / تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	بغداد 1965
11) فهارس كتاب البدء والتاريخ	عبد الله الجبوري	بغداد 1965
12) العملة الاسلامية في العهد الاتابكي	محمد باقر الحسيني	بغداد 1966
13) المامة بالرجز في الجاهلية وصدر الاسلام	شاكر الجودي	بغداد 1966
14) السبيل الى القيادة	المارشال مونتغمري/ترجمة العميد الركن حسن مصطفى	بيروت 1966
15) الاب انستاس ماري الكرملي	كوركيس عواد	بغداد 1966
16) الامثال البغدادية المقارنة ج1	العميد عبد الرحمن التكريتي	بغداد 1966
17) الامثال البغدادية المقارنة ج2	العميد عبد الرحمن التكريتي	بغداد 1967
18) الامثال البغدادية المقارنة ج3	العميد عبد الرحمن التكريتي	بغداد 1968
19) الامثال البغدادية المقارنة ج4	العميد عبد الرحمن التكريتي	بغداد 1969
20) تاريخ قطر الشام	العميد محمود بهجة سنان	بغداد 1966
21) ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء	احمد بن الخياط الموصلي تحقيق سعيد الديوه جي	الموصل 1966

22)	تقويم اللسان	ابن الجوزي / تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر	القاهرة 1966
23)	ثبت المصادر العربية عن فلسطين	عبد الرحيم محمد علي	النجف 1966
24)	عثمان الموصلي	الدكتور عادل البكري	بغداد 1966
25)	الفرائد الغوالي على شواهد الامالي الجزء الثاني والثالث	للسيد المرتضى / الشيخ محسن آل الشيخ صاحب الجواهر / تحقيق محمد حسن الجواهري	النجف 66 و 1967
26)	تحقيق الاماني لطلاب الامالي	نعوم جرجيس زرازير	النجف 1966
27)	القاضي التنوخي وكتابه « نشوار المحاضرة »	بدري محمد فهد	بغداد 1966
28)	القمح والعوسج	عبد الجبار داود البصري	بغداد 1967
29)	العين ج 1	الخليل بن احمد الفراهيدي تحقيق الدكتور عبد الله درويش	
30)	التعريف بمصادر الامثال ج1	حسين الحاج حسن	النجف 1967
31)	اسناد الفعل	رسمية المياح	بغداد 1967
32)	التنبيه على حدوث التصحيف	حمزة بن حسن الاصفهاني / تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	بغداد 1967
33)	الامثال الشعبية في البصرة ج1	عبد اللطيف الدليشي	بغداد 1968
34)	الاشتقاق	الاصمعي / تحقيق الدكتور سليم النعيمي	بغداد 1968
35)	تاريخ خليفة بن خياط ج 1	خليفة بن خياط / تحقيق اكرم العمري	النجف 1967
36)	تخطيط الكوفة	الدكتور كاظم الجنابي	بغداد 1967
37)	تاريخ واسط	بحشل / تحقيق كوركيس عواد	بغداد 1967
38)	تاريخ المشهد الكاظمي	الشيخ محمد حسن آل ياسين	بغداد 1967
39)	ديوان ابي بكر الشبلي	ابو بكر الشبلي / تحقيق وجمع الدكتور كامل مصطفى الشيبي	بغداد 1967
40)	شعر ابي زبيد الطائي	ابو زبيد الطائي / تحقيق وجمع الدكتور نوري القيسي	بغداد 1967
41)	فهرست مخطوطات حسن الانكرلي	عبد الله الجبوري	النجف 1967
42)	العمل العلمي ومؤسساته في البلاد العربية	شيت نعمان	بيروت 1968
43)	بلاد العرب	ابن لغدة الاصفهاني / تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح احمد العلي	بيروت 1968
44)	جغرافية الاندلس	تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجي	بيروت 1968
45)	رحلتي الى العراق	جيمس بيكنغ هام / ترجمة سليم طه التكريتي	بغداد 1968
46)	تاريخ مدينة سامراء	الشيخ يونس السامرائي	بغداد 1968
47)	ديوان ابن هرمة	ابراهيم بن هرمة / تحقيق وجمع محمد عبد الجبار المعيبد	النجف 1969

مجلة المجمع العلمي العراقي

اهتم المجمع بمجلته اهتماما خاصا واولاها عنايته لكي تقوم باداء المهمة التي توخيت من اصدارها ولخدمة اغراض المجمع في نشر البحوث اللغوية والادبية والتاريخية والعلمية صدر منها بعد صدور قانون المجمع الجديد سنة 1963 (7) مجلدات هي : (المجلد الحادي عشر والمجلد الثاني عشر والمجلد الثالث عشر والمجلد الرابع عشر والمجلد الخامس عشر والمجلد السادس عشر والمجلد السابع عشر) كما تم اصدار (فهارس لمجلة المجمع العلمي العراقي) على شكل ملحق بالمجلد السادس عشر من المجلة وكان من وضع السيد حكمة توماشي .

اعضـــاء المجمـــع

اما اعضاء المجمع العلمي العراقي فهم على ثلاثة اقسام :

1 ــ الاعضـــاء العاملـــون
2 ــ الاعضـــاء المـــؤازرون
3 ــ الاعضـــاء الفخريـــون

الاعضاء العاملون وهم السادة :

1)	الحاج حمدي الاعظمي	1881 م	عضـــو
2)	الاستاذ محمد شفيق العاني	1908 م	عضـــو
3)	الاستاذ كوركيس عواد	1908 م	عضـــو
4)	الدكتور ابراهيم شوكة	1909 م	نائب الرئيس الثاني
5)	الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	1910 م	الرئيـــس
6)	الدكتور سليم النعيمي	1912 م	عضـــو
7)	الدكتور عبد العزيز البسام	1915 م	عضـــو
8)	الدكتور عبد العزيز الدوري	1917 م	عضـــو
9)	الدكتور صالح احمد العلي	1918 م	عضـــو
10)	اللواء الركن محمد شيت خطاب	1919 م	عضـــو
11)	الدكتور جميل الملائكة	1921 م	عضو ديوان الرئاسة
12)	الدكتور عبد اللطيف البدري	1921 م	عضو ديوان الرئاسة
13)	الدكتور محمود الجليلي	1921 م	عضـــو
14)	الدكتور فاضل الطائي	1922 م	عضـــو
15)	الدكتور يوسف عز الدين	1922 م	عضو (الامين العام)
16)	الاستاذ محمد تقي الحكيم	1923 م	عضـــو
17)	الدكتور احمد عبد الستـــار الجواري	1924 م	نائب الرئيس الاول

ومن اعضاء المجمع المتوفين

1)	الشيخ الاستاذ محمـــد رضا الشبيبي	1888 ــ 1965 م
2)	الشيخ محمد رضا المظفر	1906 ــ 1963 م
3)	الدكتور مصطفى جواد	1908 ــ 1969 م

الاعضاء المؤازرون وهم الســادة :

1) محمد الخـــال
2) محمد جميل بيهم
3) محمد بهجة البيطار
4) قسطنطين زريق
5) سلوى نصـــار
6) حمد الجاســـر

7) طـــه حسين
8) ابراهيم بيومي مدكور
9) حسن حسني عبد الوهاب
(متوفى)
10) علي اصغر حكمة
11) ظفر الله خان
12) مصطفى نظيف
13) هاملتون جـــب
14) الفريد جيوم
15) خير الدين الزركلـــي
16) محمد الفاسي
17) ماكس مالاون
18) اميلو غارسيا كوميز
19) نسيبـــوغ
20) احمد زكـــي
21) حسين مؤنس
22) مصطفى زيادة
23) عزيز اباظـــة
24) شوقي ضيف
25) علي الطنطاوي
26) عز الدين علم الدين
27) سامي الدهان
28) سعيد الافغاني
29) صلاح الدين المنجد
30) اسحق موسى الحسيني
31) مصطفى الشهابي (متوفى)
32) عبد الجبار الجومرد
33) هاينترخ لتزن
34) فيلكس تاور
35) فؤاد صـــروف
36) محمد حسين مشايخ فريدون
37) سعيد الديوه جي

الاعضـــاء الفخـــريون

1 ــ نصرة الفارسي (متوفى)
2 ــ توفيق وهبي
3 ــ محمد فاضل الجمالي
4 ــ متي عقرواي
5 ــ ارنولد توينبـــي

نشاط المجلس الأعلى للعلوم في سوريا

توصلنا من المجلس الاعلى للعلوم فى الجمهورية العربية السورية بالتقرير التالي حول منجزاته خلال عام 1968 ننشره شاكرين :

فى نطاق الاتصالات العلمية :

1) حصر المؤتمرات العلمية التى ستعقد فى انحاء العالم فى عام 1968 وتعميمها على الهيئات الحكومية لمعرفة المؤتمرات التى ستشترك بها هذه الهيئات .

2) الاحتفال بالذكرى المائة بعد الالف لوفاة العالم والكاتب العربي عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ .

3) اقامة اسبوع العلم التاسع الذى اشترك فيه اكثر من 100 محاضر فى مختلف فروع العلم واستضاف أكثر من 25 عالما من الدول الشقيقة والصديقة .

فى نطاق الافراد العلميين :

1) القيام بحصر شامل للمؤهلين والافراد العلميين بالتعاون مع مديرية التعبئة فى وزارة الدفاع تمهيدا للقيام بدراسات حولهم لتامين النواقص منهم عن طريق الايفاد .

2) متابعة تنفيذ الخطة العلمية الثانية التى ترافق خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة فى مضمار البعثات والتجهيزات العلمية .

3) تقديم دراسة شاملة عن انظمة المدارس الحرفية والمهنية والمعاهد الفنية والمراكز التدريبية تمهيدا لوضع تشريع جديد يحدد ويوحد شروط القبول فيها والشهادة التي تمنحها وتساوي حقوق الخريجين منها وايجاد تكافؤ كامل بين خريجيها .

فى نطاق الموضوعات والبحوث :

1) الاتصال بالوزارات والهيئات الحكومية لحصر المشكلات العلمية التي تواجهها اثناء تنفيذ مشروعاتها وبخاصة خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتشكيل لجان مختصة تعمل على حل هذه المشكلات بالاتفاق مع وزارة التعليم العالي .

2) الاعلان عن جوائز المجلس الاعلى للعلوم التشجيعية لعام 1968 ، وقد تقدم هذا العام :

في العلوم الاساسيــة	(3 موضوعــات)
في العلوم الهندسيــة	(موضوع واحد)
في العلوم الطبيــة	(3 موضوعــات)
في العلوم الزراعيــة	(موضوع واحد)

وشكلت اللجان لدراستهـــا مـــن المختصيـــن في القطر الســوري والاقطار العربية الاخرى والدول الاخرى .

في نطاق النشر العلمي :

1) التعاون مع وزارة التعليم العالي لتنسيـــق عملية الترجمة التي تقوم بها جامعة دمشق وجامعـــة حلب لنقل كتب روسية الاصل الى اللغات العربيـــة تنفيذا للعقد المعقود مع مؤسســة ميشينكا السوفيالية.

2) تأليف (15) لجنة لدراسة المصطلحات العلمية الــواردة في الكتب المترجمة حسب اختصاصـــات الفروع المختلفة .

3) احياء التراث العلمي العربي وتقديم دراسات مختلفة عن مؤلفات الجاحظ في خلال الاحتفال بذكرى وفاته المائة بعد الألف هذا العام اثناء اسبوع العلم .

في نطاق الطاقة الذرية :

1) تمكنت سورية من تسديد التزاماتها المترتبة لقاء الاشتراك في الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

2) اوفد اكثر من خمسة اشخاص للافـــادة من المنح والدورات التدريبية التي تقيمها الوكالة الدولية للطاقـــة الذرية في الدول المختلفـــة ومركز النظائر المشعة في الشرق الاوسط الذي اقيم في الجمهورية العربية المتحدة .

3) تمكنت من استقدام خبير في الشؤون الذرية هو ضيف المجلس الآن لتقديم الدراسات الكافية للبدء في اقامة نشاط نووي في القطـــر العربي الســـوري والافادة من منح الوكـــالة الدولية للطاقـــة الذرية في نطاق الكتب والاجهزة والخبراء .

في نطاق الاجهزة العلمية :

هناك مشروع لحصر الاجهـــزة العلميـــة فـــي مختلف هيئات الدولة بالتعاون مع مديرية التعبئـــة العامة في وزارة الدفاع وسيتم تنفيذ هذا الحصر في مطلع العام القادم .



مصر في طليعة الركب العلمي العربي

كلية جديدة للطب في طنطا

الدكتــور عمــر الجــارم
(القاهـــرة)

فى شهر مارس 1969 احتفلت كلية طب طنطا بتخرج اول فوج فيها ، وهذه الكلية فرع من جامعة الاسكندرية التى رات ان تمد بفيض من علمها دلتـا وادي النيل فاختارت مدينة طنطا التى تتوسط تلك الدلتا ، وهذه المدينـة هي مدينـة العارف بالله السيد احمد البدوي

وقد القى الاستاذ الدكتـور عمـر الجـارم (استـاذ الامـراض العصبيـة بكلية طب طنطا) هذه القصيدة فى حفل كبير حضره وزير التعليم العالي ومديـر الجامعة وعميد الكلية والخريجون واسرهم وجمع غفير من اهل مدينة طنطا ، وفيها يصف نشاة الكليـة الجديـدة ورحلته بالقطار (المجـري) من الاسكندريـة الى طنطا مع زملائه من اساتذة الجامعـة :

روض فريـد الطلـع والازهــار ... فى حينـه آتـى عجيـب ثمــار

ترنو رياض الارض نحـو غصونـه ... فتغـار مـن نضـج ومـن انضـار

ان قورنت يوما بصفحـة حسنـه ... لبدت كبعـض سباسـب وقفــار

قـد ساءلت مبهـورة عـن كنهـه ... فلربمـا كشفـت عـن الاســرار

اي المعـادن فـى ثـراه ، فخصبـه ... جعـل الثمـار تلـوح كالاقمـار ؟!

اي السواقي قد روتـه ، فماؤهـا ... صبغ الفـروع بفضـة ونضـار ؟!

اي السحائب امطرته ، وهـل اتى ... افـق السمـاء بديمـة مـدرار ؟!

اي الطيـور اتـاه يـوم حصـاده ... يشدو بلحن صيـغ من اشعـار ؟!

هي قصة الجهد الطويل ، لو انــه ... من فرحنـا يبـدو كبعـض نهـار

جاءتـه جامـعـة بثغـر طالمـا ... قد ظـل للعرفـان خيـر منــار

انظـر لشارتهـا فهـا تحكـي لنـا ... ممـدود اشعـاع علـى الاقــطـار

اتكـون بحـرا بالمـعـارف زاخـرا ... وتظـل دلتـا النيـل فى اقفـار ؟!

دلتـا لو ان النهـر طـوق وسطهـا ... لكنهـا ظمـاى كـارض بــوار

شتـان بيـن المـاء يـروي غـلـة ... والعلـم يـروي العقـل بالافكـار

يا طالما (طنطا) رنت فى لهفة   بعيون محروم لجار يسار

فاذا بنبع قد تفجر عندها   فيضانه يربو على الانهار

يشفي بجرعته العليل ، كزمزم   تشفى من الآثام والاوزار

كلية للطب بارك حولها   (السيد البدوي) بالاذكار

بلغت تمام الرشد وهي وليدة   قد لا يقاس النضج بالاعمار

كم رحت للتدريس اهرع نحوها   لا اشتكي نصبا من الاسفار

قد علمتني ان اقوم مبكرا   فرجعت اشبه فى النشاط صغاري

اصحو كما تصحو الطيور بايكها   ما اشبه الشعراء بالاطيار !

فارى الطبيعة وهي تبدا صفحة   ابهى الجمال باول الاسطار

امضي لالقى فى المحطة نخبة   من صفوة الزملاء والاخيار

ويكون اسبقنا العميد ، وانه   لكذاك نحو فضيلة وفخار

فى خفة تبدو البداءة عندها   كالطيف ، او مثل النسيم الساري

(لطفي) اتت اخلاقه وفق اسمه   فى اللطف ، نعم الاسم من مختار

ويقلنا (المجري)، يجري مسرعا   لكن بلا هز ودون غبار

من حولنا تبدو المناظر لوحة   قدسية والافق خط اطار

توحي اليك الشعر ، ان لم نعطه   فتصوغ درا غاب عن (بشار)

نجبيه للطلاب جما شوقنا   ولديهم الاضعاف فى المقدار

هم قدروا السعي الكريم فاقبلوا   بالقلب والاسماع والابصار

واليوم اولى ما يكون جزاؤهم   لقب الطبيب يحاط بالاكبار

اساة مصر مصر لكم حبتكم فضلها   وارى الوفاء شريعة الابرار

سيروا لمرضاها بوسط حقولهم   وتوغلوا فى الكفر والدوار

وامضوا اليهم مسرعين اذا دعوا   وقت الظهيرة او لدى الاسحار

انتم لهم لطف الاله اذا جرت   اقداره بحوادث وطواري

لاترقبوا منه الجزاء ، ومن رجا   اجر الكريم ، يسف عن دينار

ما كانت النجدات منكم سلعة   تشرى ، وما كنتم من التجار

وخذو من الاخلاق ما يسمو بكم   فى عصمة من ذلة وصغار

لا تجعلوا غير الضمير رقيبكم   وكذاك شان الفتية الاحرار

عشتم لاوطان العروبة ، انها   بكم تحقق انبل الاوطار

كم اخر المرض الشعوب مراحلا   فامضوا بنا للسبق فى المضمار

رعاة الضاد ...

للأستاذ أحمد بن شقرون

انعقد بفاس المؤتمر التاسيسي لجمعية الجامعة الاسلامية يوم 12 شتنبر 1969 ، وقد القى خلاله الاستاذ الحاج احمد بن شقرون قصيدة رائعة حيى فيها لغة الضاد والساهرين على علومها والانطلاقة الجديدة للاسلام ، ونحن ننشر منها ما يلي :

حي الحماة : حماة العلم والدين ... جهابذ الراي في دنيا الميامين

حي السراة : سراة الفهم عن ثقة ... من ارض فاس الى شرق الى صين

حي الهداة رعاة في مواكبهم ... الناهضين بها طول الاحايين

حي الوعاة : وعاة الضاد تكرمة ... لقدرهم فهم فرسان تمكين

بلاغة الكلم المصقول نطقهم ... والسلسل العذب لرفي افانين

ولم تزل باقة الاسلام يانعة ... في جامعات حبتنا بالرياحين

وفوقها راية الاسلام لامعة ... خفاقة تتهادى في الميادين

وهذ امة الاسلام حائرة ... تفوق في العد اضعاف الملايين

وليس ينقذها من حيرة واسي ... غير الكتاب وقول بعد مسنون

في الصدر نور وفي التفكير منطلق ... يكل عن وصفه تصوير تلويني

مراكب الدين والاسلام ماضية ... نحو الشواطىء حفزا من ربابين

بين الضلال وبين الرشد معركة ... في عالم مائج بالشر مفتون

لكن كفة هذا الدين راجحة ... على سواه باقطاب ميامين

في الشرق اخواننا يذكون معركة ... تفور ملهبة انات محزون

والقدس مسرى رسول الله منكسر ... يعيث فيه فسادا رهط صهيون

وامة العرب والاسلام يسندها ... جيش الفداء على رهط الملاعين

تقاوم الشر انى هاج مندلما ... فتلتم الغدر فوهات البراكين

مالا وسيفا واقلاما مجندة ... لرشق رهط الاذى بالخزي والهون

لو اجمع المسلمون اليوم امرهم ... وجددوا العزم فازوا في التمارين

على هامش المؤتمر الثالث للمستعربين

الاستشراق في الاتحاد السوفياتي

لمراسلنا في موسكو
الأستاذ كيفورك ميناجيان

اصبح من التقاليد التي تحظى باحترام خاص بين الاوساط العلميــة ، وخاصــة بين المستشرقيــن والمستعربين ، انعقاد مؤتمرات المستعربين في الاتحاد السوفييتي ، الذي ينظم كل 3 — 4 سنوات . وهدف هذه المؤتمرات ، هو استعراض كل ما توصل اليــه العلماء المستعربون من دراسات وكشوف وابحــاث ، وتبادل الخبرة والمعرفة في مجال الدراسات العربيــة من تاريخ واقتصاد وادب ولغة وغيــر ذلك . وقــد اظهرت التجربة انها مفيدة للغاية وتساعد على تنسيق الدراسات والبحوث والكشوف ، وهي حافز معنوي وعلمي لتطوير هذا الفرع من العلوم الاجتماعية الذي له مكانة خاصة . ويعود السبب الى ان الاستعراب في الاتحاد السوفييتي علم عريق له جذور عميقة ومتشعبة في كل ارجاء الاتحاد السوفييتــي ، كما لا ننســى العلاقات الأخوية التي تقوم بين شعــوب الاتحــاد السوفييتي وشعوب البلدان العربية ، تلك العلاقات التي تقوى وتصلد من سنة لاخرى بل من يوم لآخر . وكلما تعمقت وتوسعت العلاقات المذكــورة ، زادت الحاجة الى توسيع وتقوية هذا الفرع من العلوم .

وها نحن نقرأ في الجرائد ونستمع الى الاذاعات، فنعلم ان المؤتمر الثالث للمستعربيــن في الاتحــاد السوفييتي قد انعقد في الفترة الواقعة بين 23 و 28 يونيو عام 1969 في مدينة يريفان عاصمة جمهوريــة ارمينيا السوفييتية ، بقرار اتخذ في المؤتمر الثانــي للمستعربين السوفييتيين الذي انعقد في مدينة تبليسي عاصمة جورجيا السوفييتية .

وقد نظم المؤتمر الثالث ، اكاديمية العلــوم في الاتحاد السوفييتي ، واكاديمية العلوم في جمهوريــة ارمينيا الســوفييتية ، والجامعة الحكومية في يريفان .

وافتتح المؤتمر في قاعــة المؤتمــرات التابعــة لاكاديمية العلوم الارمينية ، تس . الهايان الاكاديمــي وامين المجلس العلمي لقسم العلوم الاجتماعيــة في اكاديمية العلوم الارمينية ، وكان من بين المشتركين في المؤتمر ممثلو علماء مختلف الاجيال الذيــن جــاءوا للاشتراك في المؤتمــر من اكبر مراكــز الاستشــراق والاستعراب في الاتحــاد السوفييتــي : موسكــو ، ولينينجراد ، وباكو وطشقند ، ودوشانبي ، وتبيليسي، ومحج قلعة ، وطبعا من يريفان التي نظم ابناؤها اعمال المؤتمر خير تنظيــم ، واستقبلــت ابنــاء مختلــف الجمهوريات والمدن احسن استقبال ، واستضافتهم اكرم ضيافة . وكان عدد المشتركين يربــو على 130 شخصا . وقد تليت في الجلسة الافتتاحية برقيــات التحية التي بعثت بها مختلف المؤسســات العلميــة والدوائر الرسميــة وجمعيــات الصداقــة العربيــة السوفييتية وغير ذلك . والقــى كلمــة في الجلســة الافتتاحية يفجيني لبيديف رئيس قسم البلدان العربية في معهد الدراســات الشرقيــة لاكاديميــة العلــوم السوفييتية والدكتور جريجوري شرباتوف الاستاذ في معهد اللغات الشرقية في موسكو . وتحدث يفجيني لبيديف عن الدراسات العربية في التاريخ والاقتصاد، خلال الفترة الواقعة بين المؤتمر الثانــي والمؤتمــر الثالث . واشار الى ان المستعربين السوفييتيين قد

قطعوا شوطا كبيرا خلال هذه المدة القصيرة نسبيا فنشروا اكثر من الف مؤلف وبحث . اما الاستاذ جريجوري شرباتوف ، فقد تحدث في خطابه عن البحوث ، مجال اللغة العربية والادب ، التي قام بها العلماء السوفييتيون خلال نفس الفترة ، وآفاق الدراسات العربية وبعض مشاكلها ومهمتها في المستقبل .

وافتتحت الجلسة المسائية لليوم الاول ، بمحاضرة عامة ذات اهمية خاصة في موضوع « بعض نواحي النزاع العربي الاسرائيلي » القاها الدكتور ايجور بيلياييف عضو هيئة تحرير صحيفة البرافدا . وقد حلل المحاضر كل مراحل الازمة في الشرق الاوسط، واسباب نشوب الازمة ودوافعها ، ثم كشف القناع عن نوايا الامبريالية العالمية من وراء هذه الازمة ، واورد اثباتات لا تدحض ، للنشاط المعادي للسلام والتحرر الوطني والقوى الديمقراطية والتيارات التقدمية ، الذي تقوم به اسرائيل . كما اثبت ان مصالح الولايات المتحدة وبريطانيا البترولية في منطقة الشرق العربي ، اصبحت مهددة وفي خطر جسيم ، وكيف ان الامبريالية العالمية ، تبنت هذه العملية المخالفة للعرف الدولي . كما اثبت ان العرب لم يخسروا حرب يونيو عام 1967 ، بل ان العمليات الحربية توقفت على خط الجبهة بقرار مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة ، ولذلك يجب ان تحل هذه المسالة بوساطة هذه المنظمة العالمية . اما ما يخص مطالبة اسرائيل الباطلة « بالمفاوضات المباشرة » ، فهي مناورة دورية ، الغرض منها احباط الحل السلمي لازمة الشرق الاوسط . ووصل المحاضر الى نتيجة بديهية لا مفر منها ، وهي ان تنفذ اسرائيل قرارات هيئة الامم المتحدة .

وبعد ذلك ، انقسم المؤتمر الى فروع متخصصة: التاريخ ، الاقتصاد ، الادب ، اللغة ، اللغات السامية ، تاريخ العلوم والمواد المساعدة . وعين لكل فرع مجلس رئاسة ، ثم بدات الفروع عملها في قاعات مختلفة بجامعة يريفان .

والقيت في فرع التاريخ محاضرات هامة لمشاهير العلماء السوفييت ، منها : محاضرة الاستاذ دانترج « من تاريخ العلاقات السوفييتية المغربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين » ومحاضرة الدكتورة ناتاليا خميليفايا « الدولة الجزائرية للامير عبد القادر وتقديره من قبل علماء التاريخ الفرنسيين » ، ومحاضرة الاستاذة ناتاليا لوتسكايا « فلاديمير ليئين عن المغرب » ، ومحاضرة رئيس قسم البلدان العربية في معهد الدراسات الشرقية يفجيني ليبيديف « بعض وقائع ازمة زيادة عدد السكان في البلدان العربية » ، ومحاضرة بونداريفسكي « حركة التحرر في اليمن وسياسة انجلترا الكولونيالية في اواخر القرن 19 » ، ومحاضرة ديرمجرد يتشيان « مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في هيئة الامم المتحدة» ومحاضرة سيرانيان « تكون الجبهة الوطنية في الجمهورية العربية المتحدة في عام 1946 » ، ومحاضرة منتيشاشفيلي « حركة التحرر الوطني في العراق في اعوام 1900 — 1914 » ، وغير ذلك من المحاضرات العديدة .

كما استمع المشتركون في فرع الاقتصاد الى محاضرات شيقة تثير اهتمام المستمع من الناحية العلمية منها مثلا : محاضرة الدكتو روبين اندرياسيان « نضال بلدان الشرق العربي من اجل خلق اقتصاد بترولي مستقل » ، ومحاضرة فالينتين مياسنيكوف « تطور القطاع الحكومي في اقتصاد بعض الدول العربية التقدمية » ، ومحاضرة ارشاروني « بترول الصحراء واقتصاد بلدان شمال افريقيا » ، ومحاضرة شميليوف « التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية » ، ومحاضرة ميلكوميان « مكان التعاونيات الزراعية في اقتصاد تونس المعاصرة » ، وغير ذلك .

وفي فرع الادب ، القيت محاضرات لفتت اهتمام المشتركين ، بسبب المستوى العالي للدراسات والتحليلات ، منها مثلا محاضرة شكروبيفا « حول المنهج الاساسي لرسالة الغفران لابي العلاء المعري » ومحاضرة يونوسوف « الواقعية في مسرحيات توفيق الحكيم » ، ومحاضرة فاتييف « المشاكل الاجتماعية في القصص القصيرة بعد الحرب في الجمهورية العربية المتحدة » ، ومحاضرة ساكيان « محمد صالح بحر العلوم » ، ومحاضرة كيربيتشينكو « الشعب وطبقة المثقفين في نتاج يوسف ادريس » ، ومحاضرة ايمانجوليفا « عن ظهور وتطور الادب العربي في اسبانيا » ، ومحاضرة دنورياتكوف « تاثير الاسلام واللغة العربية على الشعر الافغاني في القرون 8 — 12» وغيرها الكثير من المحاضرات التي لا يسعنا المجال لذكرها .

اما فرع اللغة الذي اشتركت فيه ، فسنتوقف عنده لنصف اعماله وصفا اوسع . كان عدد المشتركين

فى هذا الفرع كبيرا ، يضم مشاهير العلماء فى اللغة ، وكانت المحاضرات تبحث فى مواضيع :

أ) دراسة اللغة العربية الفصحى (النحو والصرف) .

ب) دراسة تاريخ اللغة العربية ومقارنتها مع اللغات السامية الاخرى .

ج) دراسة اللهجات العربية الحديثة .

د) اساليب تدريس اللغة العربية لغير العرب فى المعاهد السوفييتية .

هـ) مسالة المصطلحات العلمية .

و) دراسة المخطوطات العربية ، وغير ذلك من القضايا اللغوية . ونذكر من بين المحاضرات التي برزت فى فرع اللغة : محاضرة الدكتور هراتش جابوتشيان « ازمنة الفعل فى اللغة العربية » ، وقد حلل المحاضر الصيغ المختلفة للفعل فى اللغة العربية من حيث الزمن، وحاول في بحثه ، مقارنة هذه الصيغ من حيث بنيانها مع صيغ اللغات الهنداوربية . وقد توصل الباحث الى ان تركيب « كان يكتب » ، عبارة عن وحدة نحوية (Syntactical unit) وليس وحدة صرفية (Morphological unit) كما كان يعتقد بعض علماء اللغة . والجدير بالذكر ان هذا الراي ينطبق وراي النحويين العرب فى القرون الوسطى . ومحاضرة الدكتور فلاديمير بيلكين « مراحل تطور اللغة العربية الفصحى » وقد حلل المحاضر هذه المراحل من الناحية التاريخية ، وحاول ايجاد تصنيفات لكل مرحلة . ومحاضرة الاستاذ محمدوف من اذربيجان « تجربة تاليف كتب تدريس اللغة العربية للاذربيجانيين » وقد عرض الاستاذ وجهة نظره وخبرته التي تراكمت مع مرور الزمن وقدم اقتراحات لتحسين اساليب تدريس اللغة العربية وتاليف كتب التدريس . ومحاضرة زاريني ـ زاده « مقارنة المعجم العربي الاذربيجاني مع المنجد الابجدي » ، حيث عرض وجهة نظره فى مسائل النطق والترتيب الابجدي . ومحاضرة الدكتور سيد كاملوف « اللغة والتعليم في بلدان المغرب العربي » وقد أورد المحاضر وقائع هامة فى هذا الموضوع من دراسة فى المؤلفات المغربية ودراسته الخاصة خلال زيارته لهذه البلدان . ومحاضرة محمد المصراني « الكلمات الموداليـة (Modal words) في اللهجة السورية » ، ويقصد المحاضر بالكلمات المودالية ، الالفاظ التي تعبر عن موقف المتكلم ، تجاه محتوى ما يقوله او درجة صحته وهي أول محاولة فى دراسة هذه الكلمات المودالية ، ووظيفتها الخاصة ، وقدم تحليلا لها من وجهة نظر العلوم اللغوية المعاصرة . ومحاضرة كيفورك ميناجيان « الالفاظ العربية الدخيلة فى اللغة الروسية » حيث البت المحاضر تاريخيا ولغويا الطرق التي تسربت خلالها الالفاظ العربية الى اللغة الروسية ، لان الروس والعرب لم يحتكوا مع بعضهم البعض ولم تكن بينهم علاقات تذكر . بيد أن انتشار اللغة العربية فى بلدان الشرق والغرب وتأثيرها على هذه اللغات كان عظيما لدرجة انها ، اى اللغات الوسيطة ، نقلتها الى اللغة الروسية . كما ان المؤلف اكتشف ان طابع الالفاظ يتوقف على الطرق التي دخلت منها وقسمها الى مجموعتين :

أ) الفاظ علمية . ب) الفاظ عامة .

واشار المحاضر الى دور الاسلام والحضارة العربية فى هذه العملية . وكانت هناك محاضرات لا تقل اهمية عما ذكر ، ولكن الحديث عن جميعها امر صعب ، وخاصة على صفحات مجلة .

كما عمل بنشاط فرع علم اللغات السامية ، وفرع تاريخ العلوم والمواد المساعدة ، حيث القيت محاضرات لا تقل اهميتها عما ذكرنا سالفا .

وفى اليوم الاخير من المؤتمر انعقدت الجلسة الختامية ، والقى فيها كل رؤساء لجان الفروع تقريرا عن الفرع المسؤول عنه ، مقدرين تقديرا عاليا ابرز المحاضرات ، والتي تستحق الذكر بصورة خاصة . وبعد ذلك القى محاضرة هامة الاستاذ الكسندر كوفاليوف مدير معهد اللغات الشرقية فى موسكو ، ذكر فيها خبرة المعهد فى اعداد الملاكات السوفييتية من مستعربين والمهام التي تقف امام المعهد ، والصعاب التي يجب ايجاد حل لها ؛ بسبب زيادة الحاجة الى الاختصاصيين ؛ لا سيما وان العلاقات تتسع باستمرار ، وهذا بدوره يحتاج الى قوى اكثر فاكثر .

واختتم المؤتمر رئيس مجلس الرئاسة ؛ فقدر اعمال المؤتمر خير تقدير ؛ بصورة عامة ، وكل فرع من الفروع بصورة خاصة ؛ واشار الى ان مستويات البحوث لا شك انها مختلفة . ولكن مهما كان الامر ؛ فان كل محاضرة اسهمت بقسط جدير فى اعمال المؤتمر بصورة خاصة ؛ وتطوير الدراسات العربية فى الاتحاد السوفييتي بصورة عامة . ثم اتخذ قرار بنشر هذه الابحاث فى مجلدات خاصة ؛ ليستفيد منها كل المختصين والمهتمين ، كما اتخذ قرار بعقد المؤتمر الرابع فى مدينة باكو عاصمة اذربيجان السوفييتية .

فالى اللقاء حتى المؤتمر الرابع للمستعربين في الاتحاد السوفييتي .

الدِّرَاسَاتُ العَرَبِيَّة وَالإِسْلَامِيَّة في اسكوتلندا

ترجمة وتحليل الدكتور الحاج ميو

ان تدشين أول كرسي للدراسات العربية الاسلامية فى اسكوتلندا (1)، كان فرصة مناسبة للاطلاع على ما سبق للاسكوتلانديين ان انجزوه فى هذا المضمار وفى نفس الوقت تقديرا للآمال المنوطة بهذه الدراسات فى المستقبل . وسأبين هنا كيف ان الدراسات العربية التى قام بها الاسكوتلنديون ترجع الى عهد يتوغل فى القدم حتى يكاد يتوارى فى ضباب الاساطير ، ولذا فلا يمكننا ان ندعي وجود اية صلة مباشرة مع محمد نفسه . وعلى كل فهنالك مصدر يحيط به الالتباس ويندرنا بتحويل الرسول الى بطل قومي اسكوتلندي .

وكان مؤلفو الكتب التاريخية المقررة للمدارس الابتدائية فى اسكوتلندا قد سبقوا كليات التاريخ فى الجامعات بتوسيعهم افق نظرتهم فى اوربا فى غياهب القرون الخوالي وربما سمعوا النقاش الذى احتدم سنوات حول قوانين حمورابي .

ان المصدر الحقيقي للارتباك الذى يهمنا اليوم هو ان الفصل الذى يعالج « كولومبا فى يونا » فى هذه الكتب المقررة يمهد الى ان يتبعه فصل عن محمد واصل الاسلام . وقد ظهر الجواب عن هذا فعلا منذ بضع سنين فى مدرسة بمدينة ادنبره Edinburgh

يقول : «كان محمد مسؤولا عن انتشار المسيحية فى انجلترا ، اذ كان عليه ان يهاجر من بلده الاصلي لان الناس لم يصدقوه . وقد اصطحب معه «بابا» كان اسمه غريغوري . وقد نزلا فى مكان يدعى اليوم « يونا Iona » حيث اخذ يعظ الشعب ثم انتقل الى انجلترا ليبشر بين الناس هنالك ، وقد استقبلوه قبولا حسنا » . واذا ما طرحنا الغموض جانبا ، فان اول مستشرق اسكوتلندي كان له شأن يذكر هو : ميخائيل سكوت Michael Scot الذى تجلى نشاطه حوالي عام 1200 م ولكنه كان قد اخذ او خيل للناس انه قد انغمر وباللاسف باعمال الشعوذة والسحر فاصبحت له شهرة واسعة كساحر حتى انه حظي بمكانة رفيعة فى جحيم دانتي ، والسير والترسكوت استخدم ـ لحد بعيد ـ اسطورة « قصيدة المنشد الاخير » حيث يقول : لقد شق جبال ايلدون Eildon الى ثلاث وشكم عنان نهر « التويد Tweed بصخرة » ؛ وهنالك ادعاء اقل مبالغة يقول بانه « اقام لاصدقائه وليمة احضر اطباقها بواسطة ارواح من مطابخ فرنسا واسبانيا الملكية » الامر الذى يعتبر بسيطا وليس بحاجة الى تفسير عن طريق الارواح . وفى القرن الثامن عشر؛ كانت اسبانيا الاسلامية متقدمة جدا على اوروبا الغربية : فى فنون العيش الرغد وخاصة فى ميدان التانق فى الماكل والمشرب ، ومما لا شك فيه ان « ميخائيل سكوت » كان قد احضر معه من اسبانيا بعض الوصفات لاكلات جديدة غير معروفة بتاتا كما يفعل اليوم السياح المعاصرون عندما يفكرون بمفاجاة اصدقائهم باكلة Gazpacho الغاز باخو »

والحقيقة المعقولة عن سيرة «ميخائيل سكوت» هي انه درس العربية فى طليطلة حيث التقى بفلاسفة مسلمين ويهود يتكلمون العربية فاصدر مع بعض

---

1) المقال للسيد W. Montgomery Watt استاذ العربية والدراسات الاسلامية فى جامعة ادنبره (سكوتلندا)

الذين تعاونوا معه الترجمات اللاتينية الاولى لبعض مؤلفات ارسطو، والتعليقات العربية التى كانت قد وضعت حولها .

ومنذ ذاك ولبضع قرون اخرى لم يعد هنالك اي اهتمام اسكوتلندي بالعربية وذلك اما بسبب التخوف من خطر التورط فى الفنون السوداء (السحر والشعوذة) واما لاسباب اكثر تفاهة ، وربما كان رئيس الاسافقة لود قد تابع امر انشاء كرسي للعربية فى اوكسفورد وآخر فى ادنبره لولا ان جيني غيدس Jenny Geddes كان قد رفض ذلكالكرسي احتجاجا على طقوسهالدينيةاسكندرروس Alexander Ross وبعد هذا بفترة قصيرة ايفيعام1649 كان هنالك عالم اسكوتلندي يدعى اسكندر روس قد اخذ يهتم بالدين الاسلامي حتى قام بترجمة القرءان من الفرنسية الى الانجليزية ولكن الشك فى كل ما هو اسلامي (الذي ورثه الاوربيون بتاثير الدعاية التى اثارتها الحروب الصليبية) كان لا يزال قويا مما جعل روس يفكر بأنه من الاصوب ان يضع لترجمته عنوانا سهلا : وهو « تحذير ضروري لاولئك الذين يرغبون فى معرفة هل هنالك فائدة او خطر فى قراءة القرءان . وقد تحدث فى افتتاحية هذا المقال عن الرجل العربي العظيم ، اي محمد الذي وصل بعد مرور الف سنة ـ عن طريق فرنسا ـ الى انجلترا ، وعن قرءانه المشحون بالاخطاء والذى هو وليد مشوه كوالديه ومفعم بالهرطقات .

ومن الممكن ان يكون الكثير من هذا القدح يهدف لاخماد الاعتقادات المدائية . ان نظرة روس للمسلمين كانت نظرة احترام وقد سبق بيير بيل Pierre Bayle صاحب « القاموس Dictionary الشهير باستخدامه فضائل الاسلام كممول يشهر به نقائص المسيحية المعاصرة . وكما اننا عند قراءتنا للقرءان ، نجد الكثير من التشويهات نقع فيه ايضا على بعض الجواهر من الفضائل المسيحية . والواقع ان المسيحيين لو ارادوا قراءته وملاحظة شرائع المسلمين وسيرهم بجد ، لخجلوا عندما يطلعون على حماس المسلمين فى اعمال الورع والتقوى والاحسان وعلى ما يتصفون به من الاخلاص والنظافة والوقار فى مساجدهم وكذلك مدى طاعتهم لشيوخهم حتى ان التركي العظيم اي السلطان نفسه، لا يقوم باي اجراء قبل مشورة المفتي ، وكذلك كيف ان المسلمين حريصون على مراعاة ساعات الصلاة خمس مرات فى اليوم حيثما كانوا وكيفما كانوا منهمكين فى العمل . واذا ما لاحظنا استقامتهم وعفتهم وطبعهم للنفس وغيرها من الفضائل الخلقية اعترانا الخجل بموقفنا الفاتر من الاخلاص والبر ومن تعسفنا وافراطنا فى السكر والدعارة والجور . ومما لا شك فيه، ان اخلاصهم وتقواهم واعمال الرحمة بينهم من الاسباب الاصلية لعظمة الاسلام فى حين ان اهمالنا للدين وفجورنا فى الحديث ، عتبة كاداء في سبيل ظهور المسيحية . وهنالك آراء كثيرة من هذا النوع فى كتاب آخر ويدعى بالاغريقية Pansebaia اي راي فى جميع كتب العالم الدينية ، وضمنه نفس المؤلف اثناء مناقشته لاسباب انتشار الاسلام . ويقال بان هذا الكتاب كان اول مؤلف ظهر فى اوروبا حول الديانات المقارنة . وقد ترجم الى الالمانية ومن النقاط الهامة فيه ان المؤلف يدرج الاسلام ـ ويسميه « المحمدية » ـ مع المسيحية تحت عنوان «اديان اوروبا» . لكن هذا لا يثير دهشتنا بالطبع عندما نتذكر ان الكتاب كان قد نشر عام 1653 اي عندما كانت الدولة العثمانية فى اوروبا الوسطى فى اوج عظمتها .

وبعد مرور قرنين تقريبا على ظهور «البانسيبايا» ، كانت مشاطرة الاسكوتلنديين قليلة فى تقدم الدراسات الاسلامية البطيء بين علماء الغرب المسيحي، وخلال هذه الفترة كان قد طرأ تقدم فى جمع المعلومات الصحيحة حول تاريخ وعادات ومؤسسات المسلمين . لكن هنالك صورة مشوهة عن الاسلام وعن اخلاق مؤسسيه ، كان قد توارثها الغربيون عن القرون الوسطى ، وهذه الصورة ولدت اثرا كان من الصعب التخلص منه . وفى عام 1697 وضع السيد همفري بريدو اوف نورويش Humphrey Prideaux of Norwich كتابا قيما عن محمد بعنوان « طبيعة التدجيل الواضحة فى حياة محمد » . وبالرغم من صبغة الكتاب العلمية فقد كان مؤلفها سبابا . وكان من المنتظر ان يكون راي مفكر حر منذ ادوارد غيبون Gibbon فى غير مصلحة الرسول فهو يرى ان الرسول فى تصرفه الشخصي قد انغمس فى الشهوات كانسان واساء استعمال ادعاءاته كرسول » وان مفاهيم كهذه لترجع الى عهد كانت المسيحية فيه تشعر بأنها مهددة من قبل الاسلام حربيا وروحيا كما ظهر ذلك مفصلا فى كتاب نشر منذ بضع سنين فى مطبعة جامعة ادنبره .

وكان الاسلام اذ ذاك مهيبا جدا الامر الذى جعل الصورة المشوهة عنه تتركز فى مخيلة الغربيين حتى انهم لم ينجوا من غوائلها تماما الى الآن .

ولكن تقدما عظيما كان قد وقع حينذاك فى تصحيح التشويهات وذلك على يد الكاتب الاسكتلندي الشهير طوماس كارليل Thomas Carlyle وكارليل هذا لم يكن مستشرقا فى اللغة العربية او الاسلاميات . وكان قد القى فى الثاني من شهر ماي 1830 ؛ سلسلة من المحاضرات عن « الابطال وعبادة البطولة فى التاريخ » فكان من نصيب الرسول والاسلام المحاضرة الثانية بعنوان : « البطل كنبي » وكان كارليل قد قرا كتابا او اثنين من الكتب العلمية الرزينة التى استطاع الحصول عليها فى اللغتين الانجليزية والالمانية . وقبل ذلك طالع القرءان عن طريق ترجمة جورج سال George Sale محاولا ان يجدد لنفسه تجربة الرسول الدينية الاساسية غير انه لم يجد القرءان سهل القراءة ؛ وقد عبر عن ذلك بقوله : « يجب ان اصرح بان قراءته تتطلب مني جهودا عظيمة . فهو خليط مشوش وغير منتظم فيه تكرار لا نهاية له كما انه طويل النفس ومبهم وليس هنالك ما يدفع بالاوربي لقراءته سوى الشعور بالواجب . وانا لنجد فيه كما يمكننا ان نجد فى اي وثيقة حكومية كميات لا تقرا من سقط المتاع من شانها ان تجعلنا ناخذ بعض اللمحات عن انسان عظيم .

ومع ذلك فان هذه المحاضرة كان لها قيمتها لان صاحبها كارليل هو الرجل الاول — من ذوي الشهرة العظيمة فى اوربا — الذي كانت له الجراة على التصريح علنا وبصورة مؤكدة بانه يعتقد بأن محمدا كان مخلصا كما ان اشخاصا امثال ليبنز Leibniz وكانت Kant وغوته Goethe كانوا على استعداد للموافقة على ان الاسلام كان تعبيرا للدين الصحيح وكارليل كان يتاثر بغوته Goethe فى هذه النقطة اذ اشار اليه مرتين فى المحاضرة .

وعلى كل فان مساهمة كارليل الاساسية كانت عبارة عن تعبير تخيلي لتجربة الرسول الروحية وعلى حد تعبيره اي كارليل « تجربة هذا القلب العظيم المتوقد الذي يغلي ويخطف كاتون عظيم من الافكار . ان اعادة بناء تجربة الرسول لم تكن ولا شك منطبقة واوصاف المنظر العربي الخلقي (الوضع العربي اذ ذاك) .

ومن بعض الجهات يمكننا القول بأن محمدا كان العماد الذى ترتكز عليه آراء كارليل ، وهكذا فان فيه المعلومات المفصلة الكافية التي تجعلنا ننظر اليه كاحتجاج صريح ضد تشويه صفة الرسول كما هي فى الصورة التقليدية ، وهي ولا شك مساهمة مخلصة فى فهم شخصية الرسول والاسلام فهما اكثر موضوعية .

وهكذا نراه يقول عن الرسول : فهو ليس باصدق الرسل طبعا لكني اعترف به كنبي صادق

وعندما اشار كارليل الى اسطورة الحمامة التى دربها محمد لتلتقط الحب من اذنه والتى كانت ملاكا يملي عليه قال :

لقد حان الوقت لمحو كل هذا اذ ان الكلمة التى القاها هذا الرجل قد جذبت الى الاسلام مائة وثمانين مليونا من البشر فى بحر الاثني عشر قرنا ، وان عددا اكثر من المخلوقات تذكيهم العقيدة فى كلمة محمد اكثر من اي كلمة اخرى مهما كانت. ولذلك لا يمكننا ان نعتبر ان محمدا هذا كان تافها وممثلا مسرحيا ومخططا طموحا .

والمسالة الصعبة التي القاها لم تكن تافهة ايضا بل كانت صوتا جديا ومختارا ينبثق من الاعماق المجهولة، ككتلة نارية من الحياة انطلقت من جوف الطبيعة نفسها .

ان هذا التقدير الايجابي الذى اظهره كارليل لمحمد ؛ نجد له صدى فى تقدير ايجابي للمسلمين المعاصرين من قبل شخص نظر الى الاسلام من اسوأ ناحية وهذا الشخص هو دافيد لفنستون .

فقد كان يعرف ابعاد ما كانت تنطوي عليه تجارة الرقيق وعرفها كصنيع رجال من العرب بقطع النظر عن صفتهم الجنسية الحقيقية والكلمات الاخيرة التى دونها فى يومياته هي الكلمات المنقوشة على ضريحه فى كنيسة وستمنستر وهي :

« كل ما يمكن ان اضيفه فى وحدتي هو اللهم ارسل شآبيب رحمتك الواسعة على كل انسان امريكيا كان او انجليزيا او تركيا (مسلما) ممن يساعد على تضميد الجرح المفتوح فى جثمان هذا العالم » .

وهذه هي العادة القديمة المتبعة التى كانت تستعمل فيها لفظة «تركي» بمعنى «مسلم» وعلى

ضوء ما سبق نرى كيف ان ليفنستون كان يقدر القيم الاسلامية حتى انه كان يعتقد بامكانية التعاون بين المسيحيين والمسلمين للقضاء على الرق .

ومن الطبيعي ان ننتقل من ليفنستون الى المبشرين الذين اضحى الكثير منهم ضليعا بالعربية والعلوم الاسلامية فنذكر منهم :

1 — جون هوغ John Hogg
(1886 — 1833)

2 — ر. ي. غاردنر R. W. Gardner

3 — اسكندر باترسون Alexander Paterson
(1933 — 1863)

اما هوغ فكان صبيا « فحاما » من مقاطعة است لوتيان فى «اسكوتلندا» ، ممن قاموا بعمل عظيم لحركة التبشير البرسبتريانية الامريكية فى مصر العليا . اما الاخران فقد بدءا عملهما فى منطقة « الشيخ عثمان » التي سياتي ذكرها فيما بعد ، وبينما بعد اصبح باترسون مسؤولا عن انشاء مستشفى فى مدينة الخليل بفلسطين : وبامكاننا القول من جهة اخرى بأن هنالك اثنين من المبشرين قد اجتازا عتبة العلم فى الدراسات الاسلامية، هما :

1 — تامبل غيردنير Temple Gairdner
(1928 — 1873)

2 — جون كيث فالكونر John Keith-Falconer
(1887 — 1856)

وكان اصغرهما تامبل غيردنر — وهو ابن استاذ الطب فى جامعة غلاسيكو — قد كرس حياته لاعمال التبشير فى القاهرة ، وقد بدا عمله بداية طيبة بالكتابين اللذين وضعهما وبمقال فى مجلة « الاسلام » الالمانية مما يبشر بمستقبل زاهر لكن متطلبات عمله الاداري ووفاته وهو فى سن الرابعة والخمسين حالت دون تضلعه العلمي من ان يثمر .

واشهر المبشرين هو النبيل جون كيث فالكونر وهو ايضا اكثرهم تنوعا ، وفى ايام دراسته فى كلية هارو (Harrow) اصبح شغوفا بما كان يعرف اذ ذاك بـ « رياضة السير على الدراجة » ، حتى انه كسب فى ايام دراسته فى جامعة كامبردج عدة مسابقات وانتصر على بطل العالم المتهن بباع واحد او اثنين . وفى كامبردج درس اللاهوت ثم اللغات السامية لكنه اخذ ينجذب تدريجيا الى اعمال التبشير . وتحت رعاية «كنيسة اسكوتلندا الحرة» اخذ يهيىء على نفقته التدابير الاولية للقيام بارسالية تبشيرية فى جنوب بلاد العرب حيث اقام بعض المنشآت فى بلدة «الشيخ عثمان» قرب عدن ، لكنه توفى بتاثير جرثومة مبهمة وهو لا يزال فى سن الواحدة والثلاثين ، وكان قبل وفاته قد نشر كتابا علميا وتم تعيينه ليملأ « كرسي اللورد الموئر » للعربية فى كامبردج .

وكان هذا الكرسي الذى الغي فيما بعد ، لا يتطلب من صاحبه سوى القاء محاضرة واحدة فى بحر كل عام دراسي ، وقد ادرك كيث فالكونر بانه اذا ما اختار اوقات عمله بعناية يصبح بامكانه اذا اقتضى الامر ان يقضي سنة وثلاثة ارباع السنة بصورة متواصلة فى جنوب بلاد العرب دون ان يقصر بالواجبات التي يقتضيها كرسيه .

ومما صرح به آنذاك عندما كان يتغرس فى زوجته العربية : « على كتب النحو العربية ان تكون متينة التجليد لان متعلمي العربية سيجدون انفسهم مضطرين الى قذفها بشدة على الارض وقد تحول جون كين فالكونر من اعمال التبشير الى العمل الاكاديمي وهي الفترة التى ندعوها فى تاريخ الدراسات العربية فى كامبردج ب « الفترة الاسكوتلندية للدراسات العربية » ومن اساتذة كمبردج الاولين فى هذا الباب وليم رايت William Wright (1889 — 1830)

فقد كان والده ضابطا فى خدمة « شركة الهند الشرقية » وامه ابنة حاكم هولندي للسينغال ، وبتشجيع والدته التى كانت هي نفسها مستشرقة قديرة تخصص « رايت » فى اللغات السامية فى سنت اندرو ثم تابع دراسته فى جامعتي هال Halle وبعد اشتغاله كاستاذ فى لندن London وليبزيغ Leipzig ودبلن Dublin ومراكز اخرى اصبح عام 1870 استاذ العربية للسير طوماس آدام فى كامبردج . وظل فى هذا الكرسي 17 عاما بلغت اثناءها شهرته ذروة لم يصلها احد بعده . ومع انه نشر عدة نصوص عربية كانت تعتبر على جانب عظيم من الاهمية اذ ذاك ، فانا لا نزال نذكره اليوم بفضل كتابه فى النحو العربي الذى لا يزال متعة فى حياة الطالب . والذى هو «مترجم عن كتاب كاسباري Caspari الالماني مع كثير من الاضافات والتصحيحات » ولكنه فى الواقع من انتاجه ، وبفضله

اخذ الطالب ينتعش من صدمة الفوضى فى خضم الالفاظ اللغوية .

خلف رايت فى كرسيه ، اسكوتلندي آخر هو « وليم روبرتســون سميث » William Robertson Smith (1846 ـ 1894) الذي كان قد تبــوأ في الماضــي روبرتسون سميث» الذى كان قد تبوا فى المــاضي كرسي اللورد المونر Almcnor لفترة وجيزة ، ومع ان مدة خدمته كانت قصيرة لكنها كانت مثيرة فقد كان روبرستون ابن قسيس فى « الكنيسة الحــرة كما كان هو نفسه قد تثقف ليصبح قسيسا ، وقــد قضى سميث سنتين استاذا مساعــدا فى الفلسفــة الطبيعية فى جامعة ادنبره قبل ان يصبــح استــاذا للغات الشرقية وتفسير العهد القديم فى جامعتــه ابرديــن Aberdeen وهــو لا يزال فــى الرابعــة والعشرين من عمره .

وكان ذلك سنتي 1870 و 1881 حيث عــزل من كرسيه لان آراء بشان بعض نقط العهد القديــم كانت قد اعتبرت الحادية . وهناك ادركت كلا مــن لندن وكامبردج عملاقية هذا العالم الذى طرد بهذه الصوره منسكوتلاندا فاتيحت له الفرصة ليتقضــي اكثرية ما تبقى من حياته فى المدينــــة الاخيــــرة فى كامبردج حتى وفاته فى عام 1894 وهو لا يزال فى سن الثامنة والاربعين . واحسن ما يعرف به هــذا المستشرق فى ميدان اللغة العربيــة المحــض هــو كتابه : « القرابة والزواج فى بلاد العرب القديمة » الذى صدر فى عام 1885 ويعتبر كتابا رائدا يعتمد فيه على المصادر العربية فى موضوع نسميه اليوم ب « الانتروبولوجيــا الاجتماعيــة » اي علــم الانســـان الاجتماعي .

ان طلاب اللغة التركية كانوا دائما اقل عــددا من طلاب اللغة العربية ولم يشتهر فى هذا الميــدان سوى اسكوتلندي واحــد هــو اليــاس جــون ويلكنسون جــب Elias John Willkonson Gibb الــذي ولــد في غلاسقــو عــام 1857 وتثقــف فيها . وعن طريق « الفــ ليلـــة وليلــة » وقــع تحت سحر الشرق . وفى سن الخامسة والعشرين نشر مجلدا بعنوان « القصائد العثمانية » . وقبــل وفاته المبكر عام 1901 كان قد اكمل ـ عــلاوة عــلى نشره كتبا اخرى ـ مؤلفه « تاريخ الشعر العثماني » الذى ينم عن ثقافة عميقة مع تقدير لفن الجمــال . ولسخرية القدر اصبح اسمه معروفا بسبب وفاتــه المبكر فقط الى ان امتد وشــاع الى ما وراء الحلقــة المحدودة من المخلصين للشعر العثماني ، لكن امــه اوقفت باسمه منحة مالية تعرف ب « ذكرى جب » وهي جمعية كانت قد نشرت ما يقرب من خمسيــن مؤلفا هاما فى اللغات العربية والفارسية والتركية ، ولا تزال مستمرة فى عملها .

اما مستشرق القرن التاسع عشر الاسكوتلندي الذى ذاع صيته مع انه لم يكن استاذا للعربية فهو السير وليم الذى بلغ مستوى اكاديميا ارفع من ذلك بسبب انه كان عميدا لجامعة ادنبره لمدة 18 سنة (اي ما بين 1885 ، 1903).

وقد باشر السير وليم موير Sir William Muir فى اوقات فراغه ـ كموظف في الخدمــة المدنيــة فى الهند كتابة مقالات عن حياة محمد اخذت تظهر منذ عام 1855 فى « مجلة كالكتا Calcutta Review ثم تكاثرت حتى كونت اربعة مجلدات نشرت فى لندن (مابين عامي 1858 ـ 1861) ، وقد نقح هذا الكتاب في البدء مؤلفه ثم عقب عليهT. H. Weir of Glascow وفيما بعد ظهرت له ايضا طبعة اخيرة تقع فى مجلد واحد . وللاستاذ موير مؤلفات اخــرى زادت فــى شهرته كما كان يعمل فى نفس الــوقت ـ وبقــدر المستطاع ـ على تشجيع قضية جمعيات التبشيــر المسيحي . وكعميد لجامعة ادنبره يظهر بانه كان قد مكن لمكتبتها من اقتناء جميــع المؤلفــات الخاصــة بالمواضيع الاسلامية التى نشرت اذ ذاك فى اوروبا كما قدم فيما بعد كتبه المختصة بالاسلاميات وغيرها من المواضيع لنفس المكتبة التى تكون فيها ما هــو معروف ب « مجموعة موير »

ومنذ 12 عاما اطلقت الجامعة اسم «معهد وليم موير» على البنايــة التــى تضــم دوائــر الدراسات الشرقية . وكانت من عادة السيد وليــم مويــر ان يمتطي فى كل صباح صهوة حصانه الابلق ليصل الى الوادي القديم ثم يعود ، الامر الذى كان يضفي على جو الجامعة لونا شرقيا زاهيا وبراقا .

وبعد هذه الفترة بقليــل ظهــر اسكوتلنــــدي آخــر يدعــى « دونكــان بــلاك مكــدونالــد » Duncan Black Macdonald اصبــح احــد زعمــاء الاختصاصيين بالدراسات الاسلامية فى العالم وبقي

لبضعة اعوام استاذا في مدرسة المعلمين في هارتفورد من اعمال كونكاستكت والناشر للمجلة الربعية المعروفة باسم: «العالم الاسلامي The Moslem World واصبح فيما بعد الناشر المساعد في عمل علمي عظيم هو « الموسوعة الاسلامية » التي ساهم معه فيها العالم الفرنسي الشهير لويس ماسينيون المتوفى منذ سبعة اعوام . وبعد ان بلغ سن الثمانين وبموجب تقاليد الجامعات الاسكوتلندية كانت العربية تدرس على الاغلب كموضوع ملحق للعبرية كما ان كثيرا من اساتذة العبرية كانوا هم ايضا اساتذة للعربية برغم انهم لم ينشروا اي شيء في هذا المضمار . ولكن هنالك استثناء يستحق الذكر هو الاستاذ : وليم بارون ستيفنسون William Baron Stevenson الذي عمل مدة طويلة كاستاذ في جامعة غلاسكو . ولا يزال كتابه « الصليبيون في الشرق » الذي ظهر في عام 1907 واعتمد فيه على مصادر عربية يحتفظ بقيمته العلمية حتى الآن . وقد كتب ايضا عن « المفاتن الاسلامية » ولا يعني بذلك بالطبع مفاتن الجنس اللطيف الذي يضفي النقاب عليه رونقا خاصا ساحرا . واللغة العربية اصبحت تدرس الآن مستقلة عن العبرانية في الجامعات الاسكوتلندية كجامعة غلاسكو ، سن اندروز وابردين ، وكان لجامعة ادنبره كرسيها المستقل في اللغة العربية منذ 1913 اي منذ اكثر من نصف قرن ونذكر ممن اعتلى كرسي هذه المادة الاستاذ ريتون في هليكره ولندن ، وكان اول الاساتذة المستقلين في ادنبره .

ادوارد روبرتسون Edward Robertson الذي غادر ادنبره عام 1921 ليتسنم منصبا في « المتحف البريطاني » . وقد خلفه في الجامعة ، رشارد بل Richard Bell الذي كان يقال عنه بانه قد ينهج منهج كارليل لا في خصوص مدح الاسلام فقط بل لانه كان ايضا قبل تعيينه في جامعة ادنبره قسا في وامفري Wamphray التي تقع قريبا جدا من مسقط راس كارليل مما ساعده على ان يكون دعامة قوية لجمعية كارليل في ادنبره . وعن طريق دراساته للقرآن كون بل Bell لنفسه شهرة عالمية . وكان غرضه ان يطبق على القرآن اساليب النقد العالي التي طبقت على التوراة وذلك ليثبت (فيما يزعم) كيف ان الآيات القصيرة التي تكون نصه الاصلي قد طرا عليها تغيير جعلها ترتبط ببعضها لتكون النص الذي بين ايدينا . ان الترجمة في حد ذاتها عملية مضنية تتطلب عناية خاصة كما انها لا تزال حتى الآن غير منسقة من قبل العلماء وستبقى في المستقبل بحاجة الى دراسة لتستغرق عدة اعوام اخرى . وقد سبق هذا العمل محاضرات Gunning التي نشرت بعنوان « اصل الاسلام في بيئته المسيحية » عام 1926 . وله كتاب آخر طبع بعد وفاته بعنوان « التعريف بالقرآن » (1953) .

وكان شارل بل رجلا متواضعا حتى ان القليل من زملائه في ادنبره كان قد ادرك بانه كان في موضوعه عملاقا لكن آراء العلماء بالطبع ترى هذه الامور من زاوية مختلفة . واني لا ازال اتذكر السيدة بل وهي تتحدث بعاطفة قوية عن « تلك الاعوام العشرة العظيمة » التي قضتها مع زوجها وهو غارق في عملية الترجمة هذه ، لكن صدى هذه الشكوى سيبقى قائما عبر القرون . واسمحوا ان اقص عليكم بهذه المناسبة ان هنالك عالما مسلما عاش في القرن الثامن اعتاد عندما يكون في البيت ان يضع كتبه حوله ويستغرق فيها لدرجة كانت تجعله ينسى كل ما له صلة بهذا العالم . وكانت له زوجة واحدة في حين انه كمسلم يجوز له شرعا ان يتزوج من اربعة ؛ لكن هذه الزوجة المسكينة خلدت ذكراه عندما ابدت اذ ذاك هذه الملاحظة :

« يا لهذه الكتب ! فهي بالنسبة لي اقبح من ثلاث ضرات ! »

وهنالك حقيقة اخرى حول ادنبره يمكن الاشارة اليها باختصار وتلك هي ان عميد الدراسات الاسلامية في العالم الناطق بالانجليزية ، السيد هاملتون جب، الذي عمل استاذا في اوكسفورد ويعمل الآن في هارفارد بامريكا كان قد بدأ دراسته « العربية » هنا اي في ادنبره وتخرج منها بدرجة شرف .

والآن اعتقد ان ما ذكرناه فيه الكفاية عن الماضي فاسمحوا لي ان انتقل فيما تبقى من هذه المحاضرة الى الحاضر والمستقبل . واول ما يخطر على بالي « ماذا سيكون مصير الدراسات العربية والاسلامية اليوم وفي ما تبقى من هذا العصر ؟ »

ففي عصر الطائرة النفاثة ، نحن بعيدون جدا عن حصان السيد وليم موير الابلق كما هو بعيد عن شعوذة ميخائيل سكوت . لهذا فان الجهود الاكاديمية التي تطلبتها الطائرة النفاثة قد اخذت تحظى الآن بالتقدير وان الخبراء في الشؤون الداخلية والامور العسكرية يؤكدون بأن الضرورة

الاستراتيجية كانت تتطلب ان يكون فى البلاد اناس مزودون بمعرفة جيدة للغات الاسيوية والافريقية اكثر مما كان لدينا اذ ذاك . وعلى ضوء ذلك تم تعيين لجنة سكاربرو (Scarbrough) التى ادى تقريرها الى توسيع فى دراسات اللغات الشرقية فى انحاء بريطانيا بعد الحرب وكان نصيب جامعة ادنبره من هذا التوسيع انها اضافت الى اللغات التي كانت تدرس الفارسية والتركية والاردية كما وسعت دائرة اللغة العربية والدراسات الاسلامية علاوة على انشاء دورة دراسية للحصول على « دكتوراه » فى التاريخ الاسلامي .

وهنالك مرحلة اخرى من التوسيع استهلت بتقرير لجنة هايتر Hayter عام 1961 ، يتصل اكثره بجامعة ادنبره حيث تم انشاء مركز للدراسات الافريقية يبشر بأهمية قصوى للمستقبل .

وبالاضافة الى شمال افريقيا الممتد من مصر الى المغرب والذى هو عربي ومسلم تماما . فان العربية منتشرة فى شرقي افريقيا وغربها .

ومن المعروف اليوم ان هنالك فى افريقيا الغربية بضعة آلاف من المخطوطات والوثائق العربية لا تزال غير منسقة كما ان الاسلام اخذ ينتشر فى القسم الجنوبي من افريقيا الصحراوية بخطوات اسرع من المسيحية .

وقبل عام او عامين ، كان ما يقرب من ثلثي رؤساء الدول المستقلة فى افريقيا مسلما ؛ وعند نهاية القرن ، من المحتمل ان يصبح الاسلام الدين السائد فى افريقيا . ولهذا فان من المنتظر ان يكون مسرح التطورات الهامة فى الحظيرة الاسلامية فى بحر السنوات العشرة القادمة ، فى افريقيا .

ولبواعث من هذا القبيل ، من المحتمل ان يكون للجمع بين الدائرة العربية ومركز الدراسات الافريقية اثره فى زيادة ثمار الاستشراق فى المستقبل ثم ان عدد ما وراء البحار فى بريطانيا آخذ فى الازدياد بصورة مستمرة كما يزداد ايضا عدد المستوطنين غير الاوروبيين القادمين من مختلف انحاء الكومونولث البريطاني .

وان تبادل الاساتذة والعلماء اصبح امرا جاريا به العمل كما اصبح هنالك استعداد عظيم بين سواد الشعب لقضاء بضع سنين فى بلد اجنبي .

وعلى كل فالمهم ان تؤخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار . ويمكن ان يكون من الصحيح ان العالم اصبح يتكون حتى عام 1940 من بضع وحدات حضارية اهمها على راي الاستاذ توينبي هي :

1 ـ الحضارة الغربية اي (الاوروبية ـ الامريكية)

2 ـ المسيحية الارثوذكسية اي (جنوب شرقي اوروبا وروسيا)

3 ـ الهندوسية

4 ـ الشرق اقصوية

5 ـ الاسلامية المنتشرة من غرب افريقيا عبر الشرق الاوسط حتى ماليزيا واندونيسيا

وهنالك مناطق تتداخل فيها حضارتان بسبب الاحتكاك بين هذه الحضارات وان كان هذا الاحتكاك حيث تحتفظ كل واحدة منها بخصائصها . والاستثناء الوحيد هنا هو ان الحضارة الغربية او الاورو ـ امريكية اخذت منذ بضعة قرون ـ وخاصة منذ عام 1800 ـ تتعدى اطارها لتنتشر فى مناطق الحضارات الاخرى ثم ان علومها وتكنولوجيتها قد اصبحت عالمية فى حين ان آراءها وقيمها لم تحظ بنفس الدرجة من القبول . وبانهيار الامبريالية اي روح التوسع والاستعمار وظهور كثير من الدول المستقلة ؛ اخذت الحضارات القديمة تندمج لتعمل على اعادة تثبيت شخصيتها فى هذا العالم التكنولوجي .

وهكذا فانا نجد فى عصر الطيارة النفاثة اليوم مظهرين متكاملين يتفقان وهذا الحوار :

1 ـ اختلاط عظيم بين البشر من اصول ثقافية متنوعة اي مختلفة .

2 ـ استعادة الشعور بضرورة تثبيت الهوية الشخصية عن طريق حضارات الشرق الاوسط وآسيا القديمة .

3 ـ وحتى ربما تشعر هذه الحضارات بان لها رسالة تهبها لبقية العالم .

وهكذا مع ان علمنا وتكنولوجيتنا يعمان الكرة الارضية فان التقدم ربما لا يتم الا على حساب تقلص مواهب او خصائص انسانية اخرى . وهنالك مبرر ضعيف يجعلنا نعتقد بأن حضارتنا فى جميع

الاوجه الاخرى ما عدا العلوم والتكنولوجيا هي الافضل . فكما ان جميع الدول في الامم المتحدة هي على مستوى متقارب فهنالك ايضا مساواة في المضمار الثقافي بمعنى انه من الواجب علينا ان نتقدم امام الثقافات الاخرى ونحن مطاطئو الراس متاكدين ـ بكل تواضع ـ باننا ربما سنقع على شيء فيه ما نتعلمه من اولئك الذين اعتدنا ان ندعوهم ب ... Lesser breeds without the law

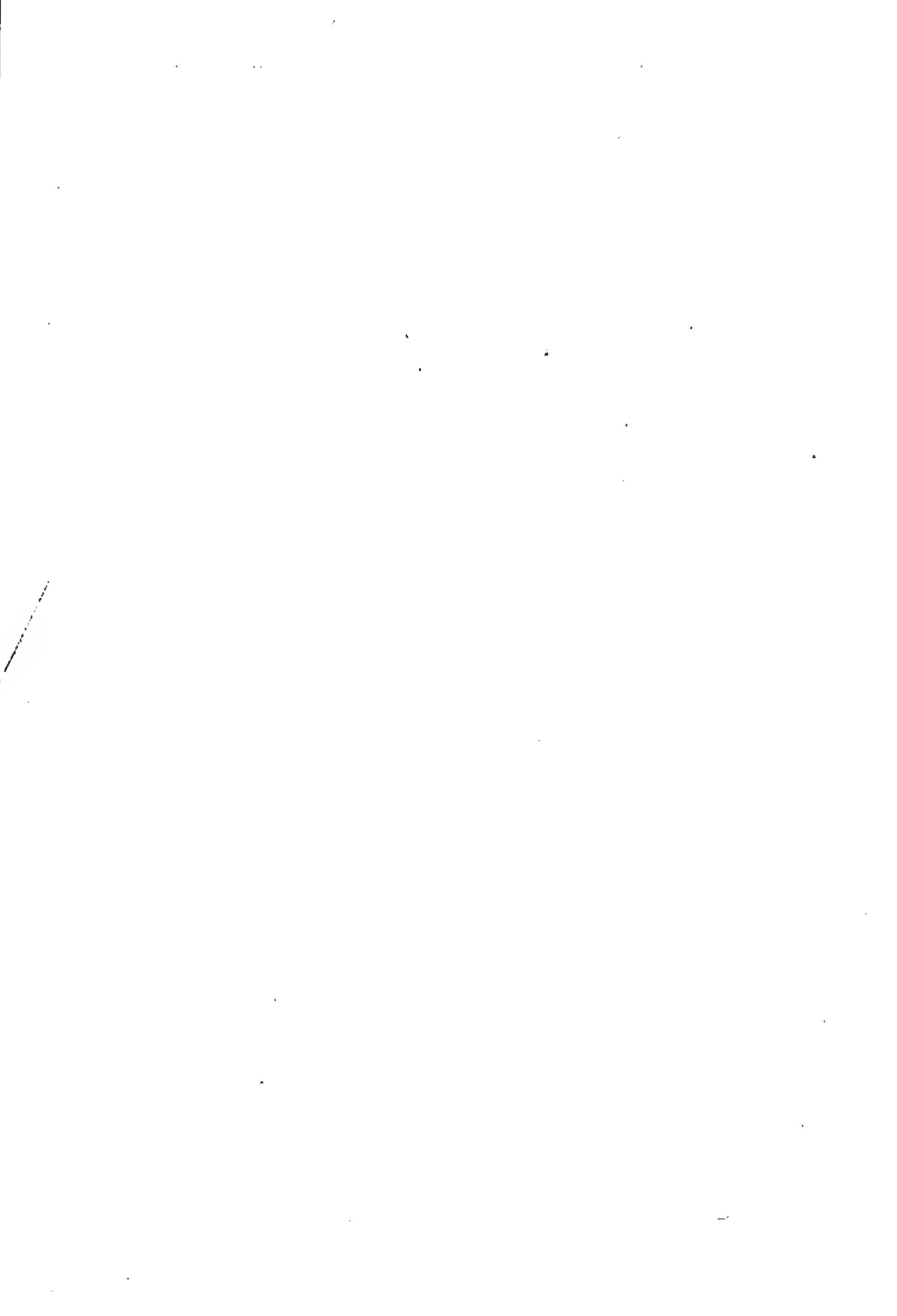
ان هذه الكلمات هي ولا شك معروفة لديكم ولكن كل ما في الامر هو اننا اخذنا نتحقق بان لها مشاكل اكاديمية وقد كان الباعث على تكوين لجنتي سكاربرو وهايتر عمليا ونفعيا كما ان ازدياد الاهتمام باللغات الاخرى كالروسية والصينية ، ربما يرجع الى التاكد بان هاتين اللغتين سيكون لهما شان عظيم من الناحية العملية في المستقبل . نعم ان هنالك مظهرا آخر يجب ان لا يعزب عن بالنا وهو انه كان علينا ان نعيش في عالم تلتقي فيه حضارات متنوعة على اساس المساواة ، فهل من المفيد ان تكون لدينا ثقافة مقصورة على الحضارة الاوروبية او الاورو ـ امريكية ؟ نعم ان الصحفيين والملقين على الاخبار لا يالون جهدا في اعطاء الرجل المتوسط بعض الافكار عن حقيقة الاحداث الجارية في آسيا وافريقيا وذكر بواعثها ، لكن الجامعة عليها ان تنظر الى ابعد من هذا وان تجابه بعض الدراسات المعيقة في الحضارات غير الاوروبية ، ثم ان دراسة عميقة كهذه لا يجوز تركها لبعض المتحمسين لها او المتفردين بها بل يجب نشرها على نطاق واسع بين متخرجي الجامعات . ويظهر انه من المحتمل ان لا يعتبر الشخص في عام 2.000 مثقفا فعلا الا اذا كان قد حصل على بعض الدراسات في حضارة غير اوروبية تكون على مستوى الثقافة الجامعية ، وقد اصبح من الواجب على الادارات التي تعالج حضارات آسيا وافريقيا ولغاتها، ان تجهز الرجل المثقف في عصر « النفاثات » بشيء من التقدير العميق لتلك الحضارات .

وقد اصبح علينا ان نتطلع الى الوقت الذي سيصبح فيه تراث الحضارة الاسلامية مع تراث حضارة اسيوية اخرى يدرسان ويحترمان جنبا لجنب مع الحضارتين الاغريقية والرومانية كدراسات كلاسيكية لعالم واحد .

وعندما يصبح مفهوم «الدراسات الكلاسيكية» اي القديمة على هذا الخط الواسع سيؤثر ولا شك على التربية المدرسية .

وها نحن نرى كيف ان بعض اللغات الشرقية الصعبة اصبحت لاسباب عملية ايضا ـ تعلم في بعض المدارس . هنالك مدرسة انجليزية واحدة لديها صفوف في اللغة الصينية في حين ان عددا عظيما من المدارس العالية في شرقي الولايات المتحدة تعلم اللغة العربية . وهنالك ، كما ذكرت ، اسباب تربوية لوقوع تقدم كهذا .

واني اود بعد هذه اللمحة التي عرضتها عن المساهمة الاسكوتلاندية الواسعة في الدراسات الاسلامية ان اوصي المديرين والمديرات بادخال العربية (او الصينية او السنسكريتية) في مدارسهم . فالعربية اسهل من الصينية وان نحوها يحوي شواذ اقل مما هي عليه في الفرنسية كما ان كتابتها ليست بأصعب من الاختزال . لكن مفرداتها هي ولا شك غنية جدا نعم ان العربية في المدرسة لن تكون ذات فائدة عملية لكنها تكون مساهمة قيمة في الثقافة بأوسع واعمق معانيها . وفي الختام فاني ارجو ان تلعب اسكوتلندا دورا هاما في العمل المستمر وذلك في جعل الاوروبيين والامريكان يبلغون درجة اعمق في تقدير القيم البعيدة المدى للحضارة الاسلامية .



نشاط المكتب الدائم

- النظام الاساسي للمكتب
- دعم المكتب في مؤتمر مراكش
- بين المجلة وقرائها
- جوائز لاهم مخطوط نادر حول اللغة العربية
- حملة ضد الدخيل الاجنبي
- المكتب الدائم قلعة صامدة لحماية التراث الفكري للعالم العربي

للاستاذ صبيح الغافقي

- خبراء المكتب
- انتاج المغرب الاقصى في الميزان

للدكتور أكرم فاضل

النظام التأسيسي للمكتب

بنا على قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم 2541 \ د ع 4 – 16 \ 3 \ 1969 فى دور انعقـــاده العادي الحادي والخمسين اصبح النظام الاساســـي للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطـن العربـي كالآتـــي :

الفصـــل الاول

المادة الاولـــى :

تنشأ فى نطاق جامعة الدول العربية هيئة دائمة لمؤتمر التعريب يطلق عليها اسم المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي ، وتمثل فيه جميع البـــلاد العربية ، مهمته ان يتلقى ويتتبع ما تنتهي اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتـــاب والادبـــاء والمترجمين ، ويقوم بتنسيق ذلك كله وتصنيفه ومقارنته ليستخرج منه ما يتصل باغراض مؤتمر التعريـــب لعرضه على دورات المؤتمر المقبلة .

المادة الثانيـــة :

يكون مقر المكتب الدائم فى مدينـــة الرباط ، ويديره مدير عام يعين بقرار من الامين العام لجامعـــة الدول العربية بناء على موافقة الحكومة المضيفة .

المادة الثالثـــة :

يتمتع المكتب باستقلال فني واداري ومالي في نطاق تنظيمات جامعة الدول العربية .

الفصل الثانـــي

المادة الرابعـــة :

للمكتب الدائم مجلس استشاري يتالـــف من رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية فى الرباط او من ينيبونهم عنهم .

المادة الخامســـة :

يتولى المدير العام للمكتب تسيير مختلف وجوه نشاط المكتب ، وعلى الخصوص ما يلي :

1 — الشؤون الادارية والفنية والمالية للمكتب، ولا سيما اعداد اللوائح والتنظيمات الداخلية .

2 — اعداد التصميمات والبرامـج السنويـــة للعمـــــل .

3 — تحضير مشروع الميزانية تمهيدا لعرضه على مجلس الجامعة .

4 — اعداد التقرير السنـوي عـن المنجـزات والمشاريـــع .

5 — اصدار قرارات التعيين وانهاء الخدمة للموظفين والمستخدمين طبقا للوائح والقواعد المعمول بهـا .

6 — تعيين الخبراء والمنتدبين لمهام خاصة مؤقتـة .

7 — تمثيل المكتب في مختلف المؤتمرات التي تتصل بمهمتـه .

8 — الدعوة الى الندوات والمؤتمرات الخاصة بشؤون التعريب في نطاق اختصاصات المكتب .

المادة السادسـة :

يكون للمكتب مدير عام مساعد ، يعين بقرار من الامين العام لجامعة الدول العربية بناء على ترشيح المدير العام للمكتب .

المادة السابعـة :

تزود الحكومات العربية المكتب بخبراء ومتخصصين بطريق الاعارة او الندب للمعاونة في اعمال المكتب الفنية .

المادة الثامنـة :

تعمل كل حكومة عربية على انشاء شعبة التعريب فيها تعاون المكتب في مجالات اوجه نشاطه المختلفة وطبقا للتنظيم الذي يوضع لهذا الغرض .

الفصل الثالث

المادة التاسعـة :

يتولى المكتب المهام التالية :

1 — تلقي ما تنتهي اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والعلماء والمترجمين ، ومتابعة ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه ومقارنتـه ، لاستخراج ما يتصل منه باغراض التعريب ، وعرضه على مؤتمرات التعريب .

2 — التحضير لدورات التعريب ، واعداد مشروعات جداول اعمالها ، وتحديد مكان انعقادهـا وموعـده .

3 — تنفيذ التوصيات التي تصدرها مؤتمرات التعريب والمتعلقة بالمكتب ، وابلاغ الحكومات العربية التوصيات الاخرى المتعلقة بها ومتابعة تنفيذها .

4 — التعاون مع شعب التعريب في البلاد العربية لتتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فيها ولتلقي النتائج العلمية التي تنتهي اليها الجهود في تلك البلاد

5 — اصدار نشرة دورية بمنجزات المكتب ، تتضمن توصيات مؤتمرات التعريب ، وعرض مراحل ما تم تنفيذه منها ، وبيان وتعريف بجهود المكتب ومطبوعاته من معاجم ومجلات ودراسات الى غير ذلك من الجهـود .

6 — العمل بكل الوسائل الممكنة على ان تحتل اللغة العربية مكانتها الطبيعية في جميع البلاد العربية والعناية بوجه خاص بما يلي :

ا — اشاعة المصطلح الذي يتم الاتفاق عليه في جميع ميادين الحياة العلمية والثقافية والحضارية .

ب — اصدار نشرات للتنبيه على الاخطاء اللغوية والاسلوبية الشائعة واصلاحها بتقديم النماذج والصور الصحيحـة .

ج — التعاون مع الاجهزة الثقافية بجامعة الدول العربية والحكومات والهيئات العربية على تعريب لغة التعليم في جميع مراحله لجميع المواد الدراسيـة .

د — تنسيق الجهود التي تبذل في البلاد العربية بتيسير قواعد اللغة العربية نحوها وصرفها .

7 — العمل على وضع قاموس حي مبسط في صورة واضحة محددة ، يتضمن المفردات العربية الجارية في الاستعمال العربي السليم اليومي ومعانيها الراهنة ، وذلك طبقا لخطة مفصلة توضح طبيعة هذا العمل وتفصيلاته ومراحل انجازه .

8 — العمل — بالتعاون والتنسيق التام مع جامعة الدول العربية والمجامع اللغوية ومع غيرها من جهات الاختصاص في البلاد العربيـة — على وضع معاجم وخاصة معجم معان يتضمن الالفاظ والتعبيرات الدقيقة للمعاني والصور .

9 — المشاركة مع الاجهزة الثقافية بجامعة الدول العربية في مشروع موحد لانتاج الوسائل السمعية والبصرية في جميع مواد التعليم .

10 ـــ متابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن العربي ، والمشاركة في هذه الحركة ـ في حدود الامكان ـ بالتنبيه على ما يراه من خطأ فيها ، وتشجيع الصواب وتقديم المشورة .

11 ـــ العمل ـ بالتعاون مع الاجهزه الثقافية بجامعة الدول العربية والحكومات العربية ـ على دراسة طريقة كتابة الارقام العربية والرموز العلمية والنقل الصوتي للغات الاجنبية .

الفصل الرابع

اقسام المكتب

المادة العاشرة :

يتكون المكتب الدائم من :

اولا : القسم الفني : ويتولى جميع الاعمال الفنية واللغوية المرتبطة بعمل المكتب وعلى الخصوص:

ا الاتصال بالمجامع والمجالس العليا والهيئات اللغوية والجامعات وشعب التعريب والمراسليين الفنيين .

ب ـ دراسة التقارير الفنية الخاصة بحركة التعريب واستخلاص نتائجها .

ج ـ اعداد وتنظيم الجزازات لحصيلة الالفاظ اللغوية .

د ـ العمل على اعداد المعاجم عامة وخاصة موسوعة المغرب العربي .

هـ ـ اصدار مجلة اللسان العربي والنشرات العلمية .

و ـ النشر والاعلام عن مجهودات المكتب وحصيلة عمله .

ز ـ الاعداد لمؤتمرات التعريب والمشاركة في المؤتمرات اللغوية الاخرى .

ثانيا : قسم الشؤون المالية والادارية : ويتولى جميع الاعمال المالية والادارية المتعلقة بالمكتب وعلى الخصوص اعمال الميزانية والرقابة الحسابية واعمال المستخدمين والحسابات والمحفوظات والسكرتارية .

الفصل الخامس

ميزانية المكتب

المادة الحادية عشرة :

للمكتب الدائم ميزانية مستقلة ملحقة بميزانية جامعة الدول العربية ، تسجل الايرادات والنفقات المقرر صرفها خلال السنة المالية .

المادة الثانية عشرة :

تتكون الايرادات من :

1 ـــ اسهام الدول والبلاد العربية ويكون بالنسبة للدول الاعضاء في الجامعة وفقا لانصبتها فيها وتدفع هذه الاعتمادات للمكتب عن طريق الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، ويتكون من وفوراتها السنوية احتياطي خاص للمكتب .

2 ـــ مساهمات المنظمات الدولية .

3 ـــ الامانات والتبرعات والهبات .

المادة الثالثة عشرة :

تتبع السنة المالية للمكتب في بدايتها ونهايتها التواريخ المقررة لميزانية جامعة الدول العربية .

احكام عامة

المادة الرابعة عشرة :

يتمتع المدير العام وموظفو المكتب والخبراء به اثناء قيامهم باعمالهم بالامتيازات والحصانات المقررة لنظرائهم بالامانة العامة لجامعة الدول العربية . باستثناء مواطني دولة المقر .

المؤتمر الاقليمي لوزراء التربية والتعليم العرب بمراكش يوصي بـ:
دعم أعمال المكتب الدائم

انعقد بمدينة مراكش بالمغرب من 12 الى 20 يناير (كانون الثاني) 1970 المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي في الدول العربية . وقد نظمت هذا المؤتمر هيئة اليونسكو بمعاونة جامعة الدول العربيــــة .

وقد اشترك في المؤتمر ست عشرة دولة عربية من الدول الاعضاء المنتسبين اليها كما حضره مراقبون من الدول الاعضاء الاخرى ومن دولة الفاتكان وملاحظون عن دول وهيئات غير عربية : وقد تعذر على سيادة الامين العام لجامعة الدول العربية ان يشترك شخصيا في الاجتماع فاناب عنه الدكتور ناصر الدين الاسد وكيل الادارة الثقافية بصفته رئيسا لوفد الامانة العامة للجامعة بمشاركة كل من الاستاذ فؤاد نصحي رئيس قسم التربية والاستاذ منير موسى رئيس قسم اليونسكو ، وقد ضم الى الوفد مندوب المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي الاستاذ عبد الكريم القباج . ومن بين التوصيات والقرارات التي صدرت عن هذا المؤتمر في خصوص اللغة العربية والتعريب توصية تدعو الى دعم جامعة الدول العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي والمجامع فيما تبذله من جهود في ميدان التعريب هذا نصها :

نظرا لان اللغة القومية هي الوعاء الفكري للامة ، والوسيلة الطبيعية لمواطنيها للتفكير والتعبير معا .

ونظرا لان استعمال اللغة القومية في التدريس في جميع مراحل التعليم العام والمهني والعالي ييسر على الطالب سرعة الفهم دون عائق لغوي وبذلك تزداد حصيلته الدراسية ويرتفع مستواه العلمي .

وتأصيلا للفكر العلمي في البلاد ، وتمكينا للغة القومية من الازدهار والقيام بدورها في التعبير عن حاجات المجتمع والفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم .

فان المؤتمر يوصي بأن تبادر جميع الدول العربية في اسرع وقت ممكن الى اتخاذ التدابير والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية لغة تدريس في جميع مراحل التعليم العام والمهني والعالي ، مع العناية الكافية باللغات الاجنبية في مختلف مراحل التعليم لتكون وسيلة للاطلاع على تطور العلم والثقافة وللانفتاح على العالم .

كما يوصي المؤتمر بدعم جهود جامعة الدول العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط والمجامع اللغوية في ميدان التعريب .

بين المجلة وقرائها

ما زالت رسائل التشجيع والاهتمام تصلنا من قرائنا الكرام ومن مختلف انحاء العالم الاسلامي . واننا اذ نشكر هذا الحماس ونقدر هذه الصلة بين المجلة وقرائها من اساتذة وطلبة علم وثقافة وباحثين ، نأسف اذا لم نرد مكاتباتهم جميعها تحت هذا الباب لضيق المجال ، وقد اخترنا جملة وجيزة من هذه المراسلات تمثل فسيفساء من الافكار الشعبية ووجهات نظر طائفة من رجال الفكر العربي والاسلامي حول نشاط المكتب الدائم للتعريب الذي يسره ان يتلقى ملاحظات بناءة من قرائه :

فمن الجمهورية الجزائرية :

تلقينا رسالة من السيد مرداوي السعودي جاء فيها انه وزملاءه كمرشدي منظمات للشباب ، وملاجىء للمعطوبين يعتمدون على هذه المجلة القيمة لمساعدتهم في تذليل الصعاب داخل بلد عربي متعطش للغة العربية حائر امام المصطلحات العلمية الحديثة .

وفي خطاب من الاستاذ سعيد الصالحي نائب رئيس المجلس الاسلامي الاعلى التابع لوزارة الاوقاف الجزائرية تحدث سيادته عن العدد السادس من المجلة فعبر عن اكباره وعنايته المخلصة وعن اعجابه بالتنظيم والترتيب .

واكد السيد بنعبد الله بلقاسم من الجزائر نفس الاعجاب ، قائلا : « وكيف لا ؟ وقد وجدت في المجلة خير سند لي في دراساتي ; واحسن معين في اطار عملي . فهي المجلة اللغوية الاولى . التي لا يحق من انفس النفائس الفكرية والثقافية وخير من تضاهيها مجلة عربية اخرى في هذا الميدان ، فهي يقوم برسالة تنسيق التعريب في عالمنا العربي » .

ومن العاصمة الجزائرية ايضا كتب السيد عبد الحكيم بن الشيخ الحسين : « العدد الخاص من مجلة « اللسان العربي » هذا الكنز العظيم المتمثل فيما تضمنه من بحوث ودراسات في مختلف جوانب التراث الحضاري والفكري لامتنا العربية ، وديننا الاسلامي الحنيف . وانني اذ اعبر عن تقديري واكباري للجهود المضنية التي بذلتموها لاصدار هذه الدرة الكريمة ـ اود ان الاحظ ان الرسالة التي تقوم بها مجلة اللسان العربي لدعم الاتصال بين اللغة العربية والعلوم والكشوف الحديثة ، وبعث امجاد الثقافة العربية ـ ستثير ولا ريب الهمم وتحفز ابناء العروبة الى العمل من اجل استعادة النهضة العلمية والثقافية التي كانت تعكس اشعاعاتها على كل انحاء الدنيا يوم كانت لغة القرآن لغة علم وعمل » .

من الجمهورية التونسية

تلقينا التحية التالية من السيد الاستاذ كاتب الدولة للصحة العمومية : « وبعد فلا يخفاكم ان بلادنا تجتاز منذ استقلالها ـ كشقيقتها المغرب ـ فترة انتقالية في جميع الميادين وخاصة في الميدان الفني

ـ ونحن فى حاجة اكيدة ـ من باب تنسيق الجهود ـ الى معرفة نتائج اعمال الاقطار الشقيقة من حيث تعريب المصطلحات الفنية الجديدة . وقد سنحت لي الفرصة بالاطلاع صدفة على مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها مكتبكم ، فوجدت فيها دررا ثمينة وفوائد عظيمة » .

من الجمهورية العربية المتحدة

كتب الاستاذ انور الجندي « ولا انسى ان اشيد هنا بالعدد الخاص بمرور 14 قرنا على نزول القرءان الكريم وما يختص بعلاقة اللغة العربية والاسلام : فقد قدمت الى الباحثين فى هذا المضمار عملا نافعا واضافات هامة حقا » .

ومن السيد علي عبد الحليم اسماعيل الطالب بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة : «لقد اسعدني الله بقراءة عدد من المجلة العظيمة « اللسان العربي » وانها لخير لسان يفصح عن اصالة لغتنا العربية ، ومجدها التليد ، وغزارة منبعها الذي لا ينضب على مر السنين بفضل « اللسان العربي » ومن تقدمه من ذخائر الابحاث اللغوية . واقسم بعربيتي وعروبتي التي كرست حياتي لدراسة اصولها وقواعدها فى كلية دار العلوم جامعة القاهرة ـ انني ما وجدت مرجعا شاملا مثل « اللسان العربي » للاحاطة التامة باللغة العربية بجانب دراستي فى كلية دار العلوم » .

من الجمهورية العربية السورية

وصلتنا من حلب رسالة السيد الياس يوسف كباية جاء فيها: «اطلعني صديقي صاحب مجلة«الضاد» التي تصدر فى حلب ، على بعض اعداد مجلتكم الكبرى « اللسان العربي » فكان اعجابي بها كبيرا ؛ لما تتضمن من موضوعات ممتعة ، وادب رفيع ، وبيان مشرق ولما تخلعونه عليها من حلل علمية واجتماعية ، نبيلة القصد ، جليلة الفائدة » .

وكتب الينا الاستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي بدمشق يقول « ولقد قدرت حق التقدير مع بالغ الاكبار ـ الجهود الجبارة التي يبذلها اركان المكتب الدائم ، بمثل هذه الحركة الدائمة المباركة التي تعطي اكلها بهذا الانتاج الخصب الرائع فى شتى الموضوعات العلمية واللغوية منسقا هذا التنسيق البديع » .

من المملكة الاردنية الهاشمية

بعثت اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر ـ وزارة التربية والتعليم ـ بشأن المجلة رسالة شكر الى المكتب الدائم تقديرا للجهد العلمي الكبير الذي يقوم به العلماء المرتبطون بالمكتب الدائم .

وارسل الاستاذ روكس بن زائد العزيزي ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان فى عمان برسالة قال فيها « سعدت بتسلم مجلة « اللسان العربي » الشهيرة فلا يسعني الا ان اهنئكم بالمستوى الرفيع الذي بلغت اليه المجلة » .

من الجمهورية اللبنانية

كتب السيد سليم جرجس الدكاسن : « ان هذه المجلة الموسوعية فتحت وتفتح آفاقا جديدة امام المثقف العربي . وهذا ما يزيد اللغة العربية قوة واصالة علمية لكي تشق طريقها متجددة ولجعلها في مستوى اللغات العالمية . وانا بصفتي كليريكي لبناني اهنئكم على هذه الظاهرة وعلى هذه الفكرة لاحياء لغتنا » .

من الجمهورية العراقية

تسلمنا رسالة من الدكتور احمد الحلواني مدير البحوث الطبية ، بكلية الطب ، جامعة بغداد ، جاء فيها: « ولقد وجدنا فيها مادة غزيرة بالعلم والادب فى مختلف المواضيع القيمة التي احتوتها راجين لكم دوام التوفيق لخدمة امتنا العربية ولغتها » .

وفى رسالة اخرى كتب الدكتور ناصر حلاوي بكلية الآداب ـ جامعة البصرة « لقد كان لاطلاعي على مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب الدائم للتعريب ابلغ الاثر فى نفسي من حيث مستواها واخراجها » .

ومن بغداد جاء فى خطاب للمهندس جورج حبيب الخوري « عثرت قبل ايام عند صديق لي على العدد السادس من « اللسان العربي » ولم اكن قد تعرفت على هذه المجلة الفريدة قبل ذلك . ولا اظنني اضيف جديدا اذا اردت التعبير عن مدى اعجابي بالجهود الضخمة التي تبذل لاخراجها بهذا الشكل الشامل المفيد . وانني لاعتقد ان اي ثناء على هذه المجلة لن يفيها حقها من التقدير والتثمين . لقد لفت نظري

خاصة الجهود المعجمية التي تبذل لتقرير وتنسيق المصطلحات العلمية والفنية والتقنية والفلسفية والاجتماعية على اختلافها من اجل اعداد معجم عام لها جميعا في لغتنا العربية » . ـ

من المملكة العربية السعودية

وجه السيد عبد الله عبد الرحمن العمري بكلية البترول والمعادن في الظهران رسالة رقيقة قال فيها : « كما تعلمون سعادتكم فان الشباب العربي في حاجة الى من يشد ازرهم حتى يكونوا على مستوى الثقافة العربية الاصيلة ، ولقد سمعت عن سعادتكم (الخطاب موجه الى السيد المدير العام للمكتب) وما تقدمونه من خدمات للغة العربية خاصة وللشباب عامة الامر الذي جعل الفرحة تغمرني عندما علمت باصدار العدد الخاص من مجلة « اللسان العربي » .

ومن مكة المكرمة كتب السيد عبد الله ابراهيم رجب بمؤسسة البلاد للصحافة والنشر « اطلعت على مجلة (اللسان العربي) التي تصدر باسم جامعة الدول العربية ـ ببلادكم ـ فكان ان استحوذت على اعجابي لما ضمته من اسئلة واجوبة مفيدة .. ستكون مرجعا لمن يهمه امر انتشار اللغة العربية ومعرفة ارتباطها الوثيق بالقرءان الكريم وكذلك المعاجم الملحقة بالمجلة»

اما رسالة السيد عبد الرحمن حمد العكرس بمكتبة المعارف في الرياض فقد احتوت فقراتها على ما يلي : ببالغ السرور تلقيت العدد الاخير من (اللسان العربي) واشكركم جزيل الشكر نيابة عني وعن عدة زملاء وصحفيين اعجبوا بما فيه من ابحاث قد تكون جزءا من الواجهة المشرقة لكفاحكم ضد الغزو اللغوي الذي تتعرض له اللغة العربية ارجو لكم مزيد التوفيق في خدمتكم النبيلة هذه . اننا في صراع مستمر مع بعض عاديات ما يسمى بـ (الحضارة الحديثة) على اللغة العربية . فقد تسربت وللاسف الى اوساطنا اللغوية عشرات من هذه الكلمات التي كانت منطلق الاحتكاك ببعض القشور من هذه (الحضارة الحديثة) . وايضا دعوة ودعوات الى احياء العامية من قبل اناس فشلوا الفشل الذريع في اللغة الحبيبة فاقبلوا بدافع حقد لا شعوري على بناء مجدهم الادبي على حساب لغة كريمة طالما كانت لهم مجنا ضد تقلبات الزمان . ان اللغة العربية ليست ثمانية وعشرين حرفا تتحرك بها الشفاه او تصاغ بها اغنية عاطفية او مقال صحفي؛ بل هي روابط يابى الله لها ان تتقطع ووشائج يكره الله ان تنفصم حفاظا على وحدة امة كريمة قادت الانسانية في عصور مظلمة الى شاطىء امان يوم عز الربان الماهر » .

من الخليج العربي

بعث الينا السيد ابراهيم خنجي مدير مكتبة نادي اليرموك الرياضي بالمنامة ـ البحرين برسالة ابدى فيها اعجابه بالمجلة وعبر عن سروره بهذا المجهود الجبار الرائع في خدمة لغتنا العربية واعلاء شان لغة القرآن .

ومن امارة ابوظبي اشار السيد صالح محمد اسماعيل الى اطلاعه في ملحق جريدة النهار البيروتية على تحقيق صحفي عن العدد الاخير من « المجلة » الموسوعية » وابدى رغبته في رواجها بالامارة .

من الهند

جاءتنا من الاستاذ ابو جليل احسن الندوى مراقب التعليم العام بجامعة الفلاح في بريد كنج رسالة رقيقة يبين فيها انه « استاذ اللغة العربية في جامعة الفلاح . وهي مدرسة عربية حرة ليست لها صلة بالسلطات الرسمية . ينفق عليها رجال غيارى من المسلمين الذين يهمهم امر الدين وامر تعليم ابناء المسلمين في الهند . ففيها اليوم سبعمائة وثلاثون طالبا في مراحل التعليم الثلاث : الابتدائية والثانوية والدراسة العليا . . ففي قسم التعليم العالي تدرس جميع العلوم والفنون من صرف ونحو وبلاغة والادب العربي نثرا ونظما ، والفقه والحديث واصولهما وكتاب الله العزيز شرحا وتفسيرا . ومع ذلك يدرس فيها اللغة الانجليزية وعلم الاقتصاد والسياسة ـ وقد احللنا في منهج تعليمنا كتاب الله محله الاول . واشد ما نعتني به هي اللغة العربية دراسة وكتابة وخطابة ـ هذه تعرفة موجزة لجامعة الفلاح ، ونحن نستحق ان تتفضلوا علينا بمجلة « اللسان العربي » فاننا احوج الناس اليها » .

من تركيا

رسالة رقيقة من الدكتور حسين كوجوك قلاى استاذ اللغة العربية والادب العربي في المعهد العالي الاسلامي ـ قونية قال فيها : « توصلت والحمد لله بالعدد السادس من « اللسان العربي » فامتلأت سرورا واعجابا بما فيه من الابحاث اللغوية القيمة

التي لم نشهدها من قبل . وهذه الجهود الجبارة التي يقوم بها المكتب الدائم سيكون لها اثرها الحسن في نفوس المسلمين عامة والعلماء وعشاق هذه اللغة الكريمة خاصة » .

من المانيا

كتب الاستاذ الدكتور فيرنرجاكل المستشرق الالماني من مدينة كولون « اما من جهة تنسيق التعريب في العالم العربي فانه امر ملح لا يمكن تحقيقه الا بصبر الانبياء ومهارة الدبلوماسيين . لذا اتمنى لكم اكبر النجاح » .

من الولايات المتحدة الامريكية

تلقينا كتابا من امين مكتبة معهد هوفر لدراسات الحرب والثورة والسلم بولاية كاليفورنيا قال فيه : « اننا نقدر اهتمامكم بارسال مطبوعات الجامعة العربية الينا وقد استلمنا هذه الشحنة من الوثائق التي ستكون اضافة قيمة للمجموعة الخاصة بالشرق الاوسط » .

ومن السيد ارنست توفيق عبد المسيح بجامعة ميتشيجان تحية للمجلة على انها « عدد يستحق كل ثناء ويشرف عظمة البحث في العالم العربي » .

اعتذار

توصلنا من حضرة الاستاذ الجليل السيد محمد بهجة البيطار من دمشق بمقالين قيمين الاول حول تدوين السيرة النبوية وترتيبها وتبويبها والثاني حول فلسفة السعي والتوكل على الله. وقد وصلا متاخرين بعد صدور العدد الخاص بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم وهذا الموضوع الهام لا يدخل مع الاسف في صلب مواضيع المجلة فمعذرة .

كما توصلنا ببحث شيق للاستاذ عبد الرحيم بن سلامة من هيئة التدريس بكليه الاداب بجامعة محمد الخامس بالرباط وهو عبارة عن عرض وتحليل لكتاب « قبائل المغرب » للاستاذ عبد الوهاب بن منصور ونحن نعطي الاسبقية في المجلة ـ كما لا يخفى ـ للابحاث اللغوية وللمعاجم التي طغى سيلها العارم في هذا العدد فمعذرة ايضا .

وفي هذا النسق كذلك اتحفنا الاستاذ عبد الرحمن حمد العكرش من جامعة الرياض بالمملكة السعودية ببحث حول شخصية الحسن الهمداني وآثاره في مختلف العلوم .

جوائز لأهم مخطوط نادر حول اللغة العربية

نظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة عربية وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب ، وقد اختار هذا العام بمناسبة الذكرى الاربعينية لصاحب الجلالة ملك المغرب الحسن الثاني نصره الله لتدشين هذه البادرة أن يكون موضوع المسابقة التي تجري على الصعيدين العربي والاسلامي ما يلي :

— تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة العربية —

وتخصص لذلك جائزة قدرها خمسة آلاف درهم او ما يقابلها من عملات اجنبية مع جوائز ثانوية اخرى ويشترط ان يكون المخطوط القديم في موضوع اللغة العربية على شكل معجم أو دراسات أو ابحاث غميسة (لم يسبق نشرها) وأن يكون ذا قيمة جديرة بالاعتبار ويوجه الى المكتب النص الاصلي او صورة منه ، كما يشترط ان يكون مستوعبا اصيلا لم ينشر قبل فيما لا يقل عن خمسين صفحة من الحجم المتوسط .

وستدرس المخطوطات والابحاث وتخصص الجوائز من طرف لجنة تتكون من ممثل المكتب الدائم مع اربعة خبراء في اللغة ، ويكون ارسال الوثائق من 15 شتنبر 1969 الى نهاية يونيه 1970 (وقد مد الاجل الاول بستة أشهر تلبية لطلبات وردت علينا في الموضوع) .

والاعلان عن النتائج سيتم في الوقت المناسب بعد هذا التاريخ .

وللمكتب الحق في نشر الطبعة الاولى فقط من المخطوط او الانتاج الحاصل على جائزة وكذلك نشر جميع الابحاث القيمة الواردة على المكتب مع اهداء مائة فصلة من البحث المنشور لصاحبه .

ونسخ الابحاث الواردة على المكتب لا ترجع لاصحابها بخلاف أصول المخطوطات

ويهدف هذا المشروع الى الكشف عن المخطوطات الغميسة النادرة حول اللغة العربية من جهة ، ومن جهة اخرى الى اثارة القرائح العربية للقيام بالدراسات اللغوية في نطاق الرسالة الجديدة التي تقوم بها اللغة العربية كلغة عمل في المحافل الدولية .

ويجب تحديد الكتاب المخطوط واوصافه وتحرير دراسة عنه وعن مؤلفه وعصره وقيمته العلمية مع تحقيق النص ويجوز اشتراك اكثر من شخص في تقديم المخطوط او البحث وفي هذه الحالة تكون الجائزة مشتركة بدورها .

حملة ضد الدخيل الأجنبي

وجه المكتب الدائم هذه المذكرة الى الحكومات والصحافة العربية وبعض الباحثيــن :

سبق للمكتب الدائم ان قام بحملات ضد الدخيل الاجنبي في اللغة العربية عامي 1963 و 1965 بالنسبة لاقطار المغرب العربي وخاصة الجزائر والمغرب الاقصى . وقد نشرنا بهذه المناسبة معجمين صغيرين يحتوي كل منهما على 365 كلمة دخيلة على اساس العمل من اجل محاربة كلمة في كل يوم من ايام السنة وقد اصدرنا اخيرا قسما ثالثا من الالفاظ الدخيلة اضفناه الى المعجمين السالفين لاستكمال الف كلمة وعنوناه بـ : «قل ولا تقل» ، ورتبنا الكل في ابواب تتصل بالبيت والمتجر والشارع الى آخره .

فرجاؤنا من حضرتكم الاسهام مع المكتب في هذه الحملة الهامة التي سننظمها طوال عام 1970 وذلك :

1 ـ بجمع الدخيل الاجنبي الذي تسرب الى العامية المحلية والذي يوجد مقابلة في اللغة العربية . كما يتبين ذلك في المعجم المذكور وموافاة المكتب الدائم به من اجل ادراجه في معجم عام للدخيل الاجنبي على الصعيد العربي .

2 ـ المشاركة محليا في هذه الحملة بنشر ما يعن من الفاظ دخيلة في الاذاعة والصحافة المحليتين مع ادراج ما هو مستعمل في بلدكم الشقيق مما يوجد في معجمنا المشار اليه اعلاه .

المكتب الدائم

قلعة صامدة لحماية التراث الفكري للعالم العربي

استجواب أجراه الأستاذ
صبيح الغافقي (بغداد)

تلقى السيد المدير العام للمكتب الدائم ورئيس تحرير مجلة « اللسان العربي» من الاستاذ صبيح الغافقي محرر « جريدة الحرية » ببغداد كلمة رقيقة جاء فيها :
« ... وبعد كان تشرفي باللقاء معكم قبل عامين من افضل فرص العمر اتيح لي خلالها التعرف الى شخصية علمية نادرة الطراز والمثال واني كنت ولا ازال من خلال متابعتي لنشاطكم الفكري الذي يمثل المكتب الدائم جانبا واحدا منه اكبر فيكم الخلق العظيم والادب الجم والاخلاص الفذ والايمان العميق بلغة القرآن الكريم ... »

وهاكم نص الاستجواب الذي اجراه جنابه مع السيد المدير العام :

منذ سنة 1961 الى اليوم يخوض المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط التابع لجامعة الدول العربية ، معركة ضارية للتعريب ، ولحماية التراث الفكري للعالم العربي .

وهذه المعركة التي يشرف على استراتيجيتها عبد العزيز بنعبد الله العالم المغربي تاخذ اشكالا متعددة :

نشر اللغة العربية وصيانة التراث العربي واعداد المعاجم المختلفة .. ثم مجلة « اللسان العربي » التي تصدر في 700 صفحة باقلام كبار العلماء في العالمين العربي والاسلامي ، وهذه المجلة تنفق عليها جامعة الدول العربية ، وتوزع مجانا ، وايضا تسهيل تعليم العربية للاجانب غير المسلمين .

وفي لقاء ـ للحرية ـ مع الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله قال : ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب نجح منذ انشائه قبل ثماني سنوات في اصدار عدة من المعاجم في الكيمياء والفيزياء والرياضيات والاشغال العمومية والسياحة والقانون والتصوف والفقه الاسلامي .

ان عملنا الاساسي الذي يستحوذ على اهتمامنا هو اصدار معجم علمي باللغات الثلاث يشمل كل المفاهيم الانسانية .. وذلك خلال عشر السنوات المقبلة مع العمل على اصدار معاجم خاصة في كل العلوم مضافا الى معجم مرتب حسب المواضيع .

ويتســــــاءل :

ما هي الخطة التي ننهجها الآن لتحقيق هـــذه الغاية ؟ انها تلخص في ثلاث مراحـــل :

الاولى ــ جمع المصطلحات الرائجة في العالـــم العربي الآن .

ثانيا ــ جرد المعاجم القديمة لإستخلاص جميع الالفاظ التي كانت تستعمل عند العرب والتي قد يعبر بعضها عن مفاهيم حديثة . وبذلك نستغني عن كثير من الالفاظ التي ولدتها بعض المجامع .

ثالثا ــ جرد المعاجم الفرنسية والانكليزية لمقابلة الالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية المعبـرة عـــن المدلول الواحد وذلك من اجل اتفاق الدول العربيـــة على لفظ موحد يعبر عن المفهـــوم الحديـــث كما هـــو الشأن في اللغتين الانكليزية والفرنسية . ولحـــد الآن فيما يتعلق بالمرحلة الاولى ما زلنا نقوم بجرد المعاجـــم والكتب العلمية الصادرة في العالم من اجل استخلاص اللفظ المستعمل للتعبير عن مدلول ما . وقد انجزنا حتى الآن اكثر من 500 الف بطاقة تحمـــل الاســـم الفرنسي او الانجليزي مع مقابله العربي او مقابلاته في الاقطار العربية .

مراسلـــون في العالـــم العربـــي

وحاولنا ان نقلص من ازمـــة الخبراء بمكاتبـــة مراسلين في العالم العربي . ونتيجة لذلك فقد كاتبنا 2500 خبير من العالم العربي مختصين في مختلـــف الفروع العلمية لموافاتنا بكل ما يعثرون عليه .. ولو بطريقة الصدفة من الفاظ عربية تعبر عـــن مفاهيـــم العلم الحديث . واستعنا ايضا بعدد كبير من الخبراء الرسميين بعد الاتصال بالحكومات العربية لتعيينهم مراسلين للمكتب في كل شعبة علمية او تقنية حتـــى يتمكن المكتب الدائم من اخذ راي كل دولة عربيـــة في صلاحية كل لفظ من الالفاظ المقترحة .

وبهذه الوسيلة تشعر كل دولة عربية بانها تسهم في العمل التنسيقي الهادف الى وضع وتوحيد لفظ عربـــي مـــا .

وقد تلقينا فعلا اسماء عـــدد غير قليـــل من المختصين في الكيمياء والفيزياء وجميع الشعب العلمية .

اما في العراق فقد وقع الاختيار في حينـــه على الدكتور يوسف عز الدين الامين العام واللـــواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع والدكتور جواد علي الجمعي المؤرخ المعروف ، وعين مراسلون آخرون في البـــلاد العربيـــة .

التعريـــب فـــي المغـــرب

وكان من الطبيعي ان نسأل العالم المغربـــي عن سير حركة التعريب في المغرب الشقيق فقال :

ــ الواقع ان اللغة العربية اصبحت تفرض نفسها في المغـــرب .

وحتى الوزارات التي كانت مفرنسة اصبحـــت تطلب من المكتب الدائم للتعريب المقابل العربي الصالح للالفاظ الاجنبية ، والحكومة المغربية تعمل على تحقيق التعريب في كل ميدان ومجال . فقد نفذت برنامجها في تعريب التعليم الابتدائي وفي قسم هام من التعليم العام وستبدأ في التعليم الثانوي والجامعي بعد ان تقـــوم باعداد المخطط لتنفيذه .

دائرة المعارف للمغرب

وانتقل الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الى بعض المشروعات التي يعمل المكتب على تنفيذها فقال :

ــ هناك عمل آخر يقوم به المكتب الدائم لاعداد موسوعة للمعارف خاصة بالمغرب العربي .

وهي بلا ريب انطلاقة اولى لما كان قـــد قرره مؤتمر وزراء التربية العرب الذي عقد في بغداد وحث على وضع دائرة معارف عربية .

وقد حدا هذا المكتب الدائم الى المبادرة لوضـــع شيء هام عن المغرب يندمج في الموسوعـــة العربيـــة الكبرى .. وراي المكتب الدائم الخاص في هذا الباب عبرنا عنه عن طريق الجامعة العربية وهو ان تقوم كل دولة عربية بوضـــع موسوعة اقليمية اما عن قطر عربي او مجموعة اقطار تشمل كل ما يتصل بمظاهر الحضارة في هذا القطر او ذاك حتى يتأتـــى ان نستخلـــص من دوائر المعارف العربية موسوعة كبرى موحـــدة بين العالـــم العربـــي .

وقد خطونا خطوة واسعة حتى الآن في جمـــع المصادر والوثائق والمخطوطات لمختلف اللغات الشرقية والغربية من المغرب العربي .

وفيما يتعلق باللغة العربية ، فاننا نشعر انه بالرغم من جعل اللغة العربية لغة رسمية في بعض المنظمات الدولية فقد يكون ذلك لاسباب سياسية خاصة لهذا

فان المكتب الدائم لا يريد ان تفاجأ الدول العربية يوما ما بالزعم ان اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن كل المفاهيم الحديثة في مختلف القطاعات وخاصة التقنية والعلمية فهو يعمل الآن على ان تصبح اللغة العربية بعد سنوات لا تتعدى العشر وافية للاضطلاع بهذه المهمة .

شمول المصطلح العربي

ومن جملة الوسائل التي ارتكز عليها المكتب الدائم لضمان الشمول في المصطلح العربي استناده الى احدى اللغتين الفرنسية او الانكليزية ، وقد يبدو هذا غريبا الا اننا اعطينا الحجة بالاحصاء على ان الكتاب العربي المقرر في الابتدائي في كل قطر عربي هو كتاب ناقص في مجموع مفاهيمه بالنسبة للكتاب المقرر في الانكليزية او الفرنسية ، وقد قمنا بجرد الكتاب الفرنسي في المحادثة والحساب ودروس الاشياء والتاريخ فوجدنا ان عدد الالفاظ المستعملة والتي يعبر كل واحد منها عن مفهوم خاص تبلغ نحو 7500 في حين ان المفاهيم التي توجد في الكتاب العربي لا تكاد تبلغ احيانا نصف هذا العدد مع عدم وحدة اللفظ المعبر عن المدلول الانساني الواحد .

كشف حساب

وفي كشف حساب لاعمال المكتب الدائم للتعريب ذكر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ان المكتب عقد اتصالات وثيقة مع مجموعة من اساتذة الجامعات الاوربية والامريكية ورجال الاستشراق للمساهمة في أبحاث الموسوعة المغربية ، وقام باتصالات مماثلة مع الولايات المتحدة وبولندا ونيجيريا لتزويده بقائمة كاملة من الوثائق والمخطوطات الموجودة في خزائنها والتي لها علاقة بالمغرب .

وجرد المكتب كتب التراجم العربية لاستخلاص الاعلام المغربية وأسماء المدن والقرى وكل المواضيع التي تتصل بالموسوعة المغربية وترتيبها حسب الحروف الهجائية .

وشارك المكتب في عدد من المعارض والندوات الثقافية .

أما ما يتعلق بانجاز المعجم العام لقد طلب من جميع وزراء التربية في البلاد العربية تعيين مراسلين للمكتب في الفروع العلمية .

ووافقت جامعة الدول العربية على التصميم المشاري الذي أعده المكتب الدائم للتعريب في اطار منهاجه للسنوات العشر القادمة ، وقالت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية عن المشروع بانه الوسيلة المثلى لاية خطة علمية تنتهج في موضوع التعريب او توحيد المصطلحات العلمية .

وطلب من الدول العربية والجامعات الاخذ بالتصميم المشاري لاحلال اللغة العربية مكانتها اللائقة .

واجرى اتصالات مع عدد كبير من الشخصيات العلمية العربية للتعاون مع المكتب في اصدار معجمه العلمي بالعربية والفرنسية والانكليزية وانجاز المعاجم الاخرى التي اشرت اليها في سياق الحديث .

وطلب من الجامعات العربية تزويده بما استجد عندها من مصطلحات فنية او ادبية باللغات العربية والفرنسية والانكليزية لاضافتها الى المعجم العام .

وقام المكتب باستفتاء على نطاق واسع حول دراسة مشاكل اللغة العربية .

وطلب من مندوبياته الاقليمية تنظيم ندوات عن علاقة الاسلام بالعربية لبلورة موضوع الاستفتاء .

واتسع نطاق اعمال المكتب الى الشعب الوطنية للتعريب فقد اتصل بالجزائر لانشاء شعبة للتعريب وحث عن طريق جامعة الدول العربية والدول الاعضاء على استعجال انشاء شعب للتعريب لتحقيق الاهداف الكبيرة والبعيدة المدى للمكتب .

وأبلغت وزارة الداخلية المغربية مختلف عمال المدن رغبة المكتب في كتابة اللافتات التجارية والاقتصادية بلغة وحروف تلائم حضارة المغرب العربي ولا تزري بقيمة لغة الضاد .

وسيصدر المكتب قريبا معجما للافتات يوزعه في كل البلاد العربية لتوحيد الشارات والكتابات الخارجية في المخازن التجارية .

وفي اطار المهرجانات المقبلة بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة عشرة لنزول القرآن الكريم اصدر الامين العام للمكتب الدائم للتعريب كتابا بالفرنسية بعنوان « اضواء على الاسلام او الاسلام في ينابيعه » .
«Clartés sur l'Islam» ou «L'Islam dans ses sources»

وهو في عدة فصول تحتوي على دراسة اصيلة للمظاهر الانسانية والاجتماعية والحضارية التي تعطي صورة عن حقيقة الاسلام وسلفيته الاصيلة .

وقد اهتم الكتاب بمواضيع شتى تعبر عن اسس الفكر الاسلامي مقتبسة من الاصلين : الكتاب والسنة مع الاشارة الى المصادر ، ويطوي الكتاب في مضامينه ترغيب النخبة المفكرة ، في افريقيا وآسيا في العمل على دراسة اصول الاسلام في مصادره باللغة العربية .

* * *

وكتب صديقنا الاستاذ الكبير حسن مؤنس في صحيفة « معهد الدراسات الاسلامية في مدريد كلمة » رقيقة حول المجلة جاء فيها :

يصدر هذه المجلة المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية ومركزه في الرباط عاصمة المملكة المغربية . وهذه المجلة مخصصة للابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي .

وقد احسنت جامعة الدول العربية بانشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي في مدينة الرباط . فهذا وضع سليم اذ من الصالح ان تكون المكاتب الفنية للجامعة العربية موزعة في انحاء العالم العربي .

ويشرف على هذه المجلة صديقنا العلامة عبد العزيز بنعبدالله الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي . ويصعب احصاء الابحاث القيمة التي تنشرها في كل عدد من اعدادها ، ويكفي ان العدد الرابع صدر في اغسطس 1966 يضم طائفة ضخمة من الابحاث القيمة التي تتعلق كلها باللغة العربية وحركة التعريب والموسوعة المغربية والمعاجم واشترك في كتابة هذه المقالات علماء من شتى انحاء العالم العربي ، فانت تقرا هنا اسماء عبد العزيز بنعبد الله وعبد الحق فاضل وشفيق جبري ومحمد جميل بيهم والبشير الابراهيمي وعبد اللهكنون وسعيد الديوهجي واحسان عباس وليوشو سيانغ ، وهذه اسماء لم تجتمع قط في صعيد واحد حتى جمعها « اللسان العربي » بين دفتيه ، ولسان العرب هو ذلك الرباط المقدس الذي يجمع العرب في كل مكان بعضهم الى بعض .

ان مركز تنسيق التعريب عمل جليل يذكر للجامعة العربية بكل خير ، ومجلة « اللسان العربي » اشبه ما تكون بدار ندوة حرة او بسوق كعكاظ يجتمع فيها علماء العربية من كل حدب وصوب لخدمة لغتهم وثقافتهم . .

ولا شك ان الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله قد وفق تمام التوفيق في ادارة ذلك المركز الذي تولاه رغم صعوبة المهمة التي اضطلع بها . ومجلة « اللسان العربي » تخرج كل مرة من شارع المرابطين بالرباط في اربعة آلاف نسخة تذهب الى اقاصي الارض كانها تحية متجددة للعرب والعروبة في كل مكان .

* * *

ونشر الاستاذ عبد الله يوركي صاحب مجلة الضاد الغراء التي تصدر بحاضرة حلب بالقطر السوري الشقيق كلمة رقيقة حول مجلتنا المتواضعة جاء فيها:

اللسان العربي : مجلة دورية للابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب . يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي . التابع لجامعة الدول العربية ؛ ومقره في مدينة الرباط بالمغرب . ويتولى رئاسة تحرير هذه المجلة وادارة شؤونها العلامة الالمعي الكبير . والاديب البحاثة المحقق القدير . الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، الامين العام للمكتب الدائم المشار اليه .

ومما لا شك فيه ان هذه المجلة . من كبريات المجلات العربية . ومن اغزرها مادة ؛ واوسعها انتشارا . واكثرها نفعا وفائدة . وتعد بحق ؛ سجلا حافلا باعمال مجامع اللغة العربية . والمجالس العليا للعلوم والآداب والفنون . والجامعات والمعاهد العلمية . والهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب ؛ كما تعد منبرا حرا لرجال الفكر . والعاملين على اعلاء لغة الضاد ، وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية .

وبمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، فقد اصدرت مجلة « اللسان العربي » عددا خاصا ، يقع في نحو 650 صفحة من القطع الكبير . اودعته ابحاثا رائعة ، ودراسات مستفيضة . تناول فيها كاتبوها ، وكلهم من اشهر رجالات العلم والتاريخ والادب ، لغة القرآن وذكرى نزوله ، وعبقرية الفكر العربي وشموله ، واللغات والمجتمع الانساني ، واللغة العربية بين حماتها وغزاتها ، وبين مؤيديها ومعارضيها

وكيفية تفجر طاقاتها ، ونشأة الخط العربي وتطوره ، وترجمة القرآن الى لغات شرقية وغربية ، وفضل العرب على الفلك والطب ، ودورهم في تطور العلوم الطبيعية .

وقد قسم هذا العدد الخاص من مجلة « اللسان العربي » الى ستة اقسام : ضم القسم الاول ، دراسات وابحاثا اشرنا الى معظمها في الفقرة السابقة، وضم القسم الثاني ، استفتاء حول علاقة الاسلام باللغة العربية ، وتضمن القسمان الثالث والرابع ، دراسات مهمة تبحث في موسوعة المغرب العربي ، وفي المعاجم ، كمعجم المعاني والمعجم العلمي والتقني العام، والمعاجم الاخرى .

اما القسمان الخامس والسادس ، فيتضمنان ابحاثا مختلفة ، ونشاط المكتب الدائم للتعريب ، وكلها من أدق وامتن وابدع ما خطته اقلام الباحثين والمحققين .

وان اقل ما يقال في هذا العدد الضخم الخاص ، انه موسوعة نفيسة ، تضاف الى تراثنا العلمي والادبي وتسد فراغا واسعا في المكتبة العربية ، وتعتبر مرجعا من اهم المراجع التي يعتمد عليها الكتاب وارباب التحقيق من العرب والمستشرقين والمؤرخين .



قائمة بخبراء المكتب فى الخارج فى مختلف الشعب العلميـة
(طبقـا لاخـر ما توصلنـا بـه من الحكومـات العربيـة)

الاســم	العنــوان	البلـد	الاختصـاص
زهير الكرمي	وزارة التربية الوطنية	الكويت	العلـوم
الدكتور عدنان بدران	الجامعة الاردنية	عمـان	الاحيـاء
الدكتور صبحي القاسم	الجامعة الاردنية	عمـان	نبـات واحيـاء
الدكتور ابراهيم ابو يمن	كلية الزراعة جامعة الرياض	الرياض	وقايـة النباتـات
الدكتور اسحق الفرحان	وزارة التربية والتعليم ـ الاردن	عمـان	الكيميـاء
الدكتور موسى الناظري	الجامعة الاردنيـة	عمـان	الكيميـاء
حمدي عشماوي	وزارة التربية الوطنية	الكويت	الكيميـاء
فتحي قدورة	البنـك العربـي	عمـان	الفيزياء والرياضيات
احمد فريد	وزارة التربية الوطنيـة	الكويت	الفيزيـاء
الدكتور عدنان امرام	الجامعـة الاردنية	عمـان	ريـاضيـات
مصطفى بن حليم	هيئة التدريس ـ قسم التغذية ـ كلية الهندسـة	ليبيـا	النبـات
الدكتور امين موامي	الجامعة الامريكيـة	بيـروت	ريـاضيـات
حسين نجم	وزارة التربية الوطنية	الكويت	ريـاضيـات
الدكتور يحيى شاكر	مستشفى الصبـاح	الكويت	طب (اخصائي اطفال)
الدكتور عمر السيد الالفي	مستشفى الصبـاح	الكويت	الطب (اخصائي اطفـال والامراض الوراثية)
الدكتور عبد المنعم ابو ذكرى	مستشفى الولادة	الكويت	الطب (اخصائي امـراض نساء وولادة)
الدكتور بول غليونجي	مستشفى المواساة	الكويت	الطب (اخصائي امـراض باطنية وغدد صماء)
الدكتور حسان حتحوت	مستشفـى الولادة	الكويت	الطب (اخصائي امراض نساء وولادة)
الدكتو حنا عودة	مجلس الاعمار بعمـان	عمـان	العلوم والادارة والاقتصاد
الدكتور يوسفي ذهني	عيادة طب الاسنان ـ جبل الحسين	عمـان	الكيميـاء
عبد الرحمن الازعر	ثانوية ابن باديس ـ قسنطينة	الجزائر	ريـاضيـات
الدكتور ابراهيم عبد الرحمن هميمي	رئيس قسم ادارة الاعمال	الكويت	الادارة
الدكتور محمد نوري شفيق	رئاسـة الوزارة	عمـان	الادارة
الدكتور محمد صقر	الجامعـة الاردنيـة	عمـان	الاقتصـاد
الدكتور سعيد النابلسي	البنك المركزي بالاردن	عمـان	الاقتصـاد
الدكتور احمد ابو اسماعيل	رئيس قسم الاقتصاد	الكويت	الاقتصـاد
الدكتور عبد الحي حجازي	رئيس القانون الخاص وعميد كلية الحقوق	الكويت	القانـون
المحامي امين الحسني	ص.ب 2444 بالاردن	عمـان	القانـون
عمر الثميني	كلية الحقوق ـ جامعة الجزائر	الجزائر	القانـون

انتاج المغرب الأقصى في الميزان

الدكتور اكرم فاضل

(بغـــداد)

تطالعنا مجلـة «اللسان العربي» التي يصدرهـا «المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العـالم العربي» بابحاث دسمة يتوفر عليها جهابذة اللغويين . ومـن هؤلاء الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله . فالرجل طويل الباع في اللغتين العربية والفرنسيـة على الاقـل ، وعساه أن يحسن لغة ولغات اخـرى . وقـد تـناول في احد اعداد هذه المجلـة الفريـدة « مصطلحـات الصوفية » فاذا بها معجم واف باللغتيـن الآنفتـي الذكـر . وله في هذا المجال مصطلحات وتحقيقـات عديـدة .

ويطلع علينا هذه المرة بالكتب ، فاذا نحن تجـاه ثلاثة كتب طريفـة :

1 ـ الطب والاطباء بالمغرب .

2 ـ المعجـم التاريخـي

3 ـ L'Art Maghrébin

ا) ـ الطب والاطباء بالمغرب . قدم له الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة الرباط . والكتاب يقـع في 109 صفحات .

ونعد المراجع العربية فاذا عددهـا لا يقـل عن ستين مرجعا .

ونحسب المصادر الغربية فاذا هي ليست دون سبعة عشر مصدرا .

وتتالق في هذه الموارد اسماء جليلة من العرب والفرنج .

وقد صنف المؤلف الكتاب على الوجه التـالي : المقدمة ، نشاة الطب في الاسلام ، الطب في الاسلام ، الطب في المغرب والاندلس ، الطب في عهد المرابطين والموحدين . العهد المريني والوطاسي، العصر السعدي والطب في عهد العلويين ، لائحة المخطوطات الطبيـة بالمكاتب المغربية .. الخ ..

واسلوب المؤلف في هذا الكتاب اسلوب العالـم الاديب . واليكم هذه العبارة ص 63 « ويلاحظ رينو انه في المدة المتراوحة بين 867 و 1325 اي طـوال اربعة قرون ونصف قرن طرات المجاعة بالمغرب ست عشرة مرة . وتسكت المصادر التاريخيـة عن المـدة المتراوحة بين 1325 و 1614 .. » ما اجمل كلمـة المتـراوحـة !

ب) ـ المعجم التاريخي .. ويقع في 80 صفحة من القطع المتوسـط . لم يبدا المؤلـف بمقدمـة ، كعادة المؤلفين ، او كعادته هو ، بل يستهل بحثه بكلمة « الاخماس » فيقول « كثير من قبائل الغـرب كانت

مقسمة الى اخماس . والخمس عبارة عن وحدة عسكرية لا ادارية ، لان كل خمس يحتوي على جماعة من الرماة على راسهم مقدم ، ولها علم ذو لون معلوم قد نقشت عليه عبارة (لا اله الا الله) .

وينتهي القويميس بكلمة (يعقوب الموحدي) . فيذكر انه مدفون بتينمل . وقد حكى بعض المشارقة وجود قبر للمنصور في الشام (البيان لابن عذارى ج 4 ص 191) .

والكتاب كله فوائد وملح وطرائف. والقارىء تجاهه لا يسعه الا الاعجاب بلغة المؤلف وسعة اطلاعه وعمق تفكيره .

ج) ـ الفن المغربي ،وهو ثالثة الاثافي، وقد وضعه باللغة الفرنسية . وللمؤلف كتاب آخر باللغة الفرنسية عنوانه « التيارات الكبرى للحضارة المغربية » . وله في العربية عدة كتب فريدة ومقالات مبثوثة في مختلف المجلات العربية الكبرى .

مقدمة الكتاب محبرة بقلم رئيس جامعة الرباط الاستاذ محمد الفاسي ، الذى يستهلها بقوله : « كثيرة تلك المؤلفات عن فنون الاقطار الاسلامية ، لاسيما عن فنون المغرب . ومن بينها دراسات فاخرة عن التقنية الفنية وكذلك عن التطور التاريخي . ولكن هذه المصنفات كلها على وجه التقريب غير ميسرة المراجعة لعامة الجمهور . فهي منطقة مقفلة في اوساط المتخصصين » .

ويسترسل بعد ذلك فيقول عن كتاب بنعبد الله انه جاء لتكملة النواقص. وهو ان لم يكن بوسعه ان يحل محل المؤلفات العظمى التى نهض بها كل من امثال مارسيه Marçais وريكار Ricard وتيراس Terrasse فانه يشكل مساهمة مهمة في دراسة الفن الوطني منذ اصوله الاولى .

ويثني الفاسي بعد ذلك على سعة ودقة تحقيقات المؤلف . ويقول انه قد استكشف تفاصيل لم يسبق لاحد بحثها .

وهناك نقطة خطيرة ينبه اليها ، الا وهي قوله : « ان المؤلف يلفت انتباه القاريء الى نقطة فنية بالتاملات والايماءات قوامها » ان الفن البربري يرتبط ارتباطا وثيقا بهندسة قديمة للغابة تتعلق بالواحات التى ربما ابتدعتها مصر الفرعونية او على الاقل اشاعتها .

ويتحدث بعد ذلك عن فترة الموحدين .

ويقول كذلك ان ابن فرناس قد اكتشف طريقة جديدة لصنع الزجاج من الحجارة .

ويحدثنا الاستاذ ان مخطوطة عربية قد اكتشفت في مكتبة الاسكوريال مصنوع ورقها من القطن ويرجع تاريخها الى القرن الحادي عشر .

والكتاب يقع في 174 صفحة محلاة بالصور البديعة .

اما المصادر فتربو على الخمسين .

واقسام الكتاب قسمان .

ويستهله بنبذة عن الفن اليوناني والبربري والعربي . فالقرون الاولى للاسلام . فالفن في عهد الموحدين .

حتى اذا ادى بنا المطاف في الفهرس الى الفصل السادس قرانا عنوانه « الفنون الصناعية » .

هذه الكتب كلها منافع ومنابع للتامل والتفكير ، لا يغني التحدث عنها فتيلا عن قراءتها .

إصدار طبعة دولية لمجلة « اللسان العربي »

وجه المكتب الدائم النداء الآتي باللغتين العربية والفرنسية الى كافة الاختصاصيين من المستشرقين والمستعربين :

يعتزم المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي اصدار طبعة دولية لمجلة « اللسان العربي » بلغات مختلفة وخاصة منها الفرنسية والانجليزية وذلك فى مواضيع تتصل بلغة الضاد او مشاكل تتعلق بالتعريب وفقه اللغة وعلم اللسان واللسنيات المقارنة وعلمي السيمياء والاشتقاق . كما ان المكتب يرحب بكل مقال له علاقة بالحضارة العربية .

فرجاؤنا ان تشاركوا بما عهد فيكم من سعة اطلاع وموضوعية فى تحرير هذه الطبعة التى نستهدف من ورائها خلق منبر يتبارى فيه اقطاب الفكر وعلماء اللغة من كافة القارات تحت شعار الوحدة الثقافية الانسانية .

Le Bureau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le Monde arabe se propose de publier incessamment une version internationale de sa revue annuelle « Al-Lisân al-Arabi » en langues étrangères, notamment en français et en anglais.

Les thèmes que nous avons le plaisir de soumettre à votre choix seraient les suivants :

Recherches sur la langue arabe ;

Problèmes afférents à l'arabisation ;

Philologie, linguistique comparée, sémantique, sémiologie, etc.

Et même, le cas échéant, des études sur les données et les problèmes de la Civilisation arabe et le processus de son évolution.

Connaissant pertinemment votre compétence et le haut intérêt que vous portez à ce genre d'études, nous serions donc particulièrement heureux d'avoir votre collaboration à cette édition dont le but essentiel est de contribuer à une plus large compréhension internationale, grâce à un rapprochement intellectuel plus étroit sous le signe d'une unité culturelle à l'échelle universelle.



تحقيقات



عبد العزيز بنعبد الله
استاذ فى جامعتي محمد الخامس والقرويين
(دار الحديث)
المدير العام للمكتب الدائم للتعريب

محمد ابراهيم الكتاني
رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط
استاذ فى جامعتي محمد الخامس والقرويين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم وقوم وبين وفهم وارشد والهم ، ومن بتعريف السبيل الاقوم وعلم الانسان ما لم يعلم حمدا اضيفه الى مستحقه واهله واستديمه ما دامت ديم فضله ، واصلي على اشرف الخلائق من بعده ومن قبله محمد اكـــرم من وطيء الحصبـــا (1) بنعله وعلى آله واصحابه وازواجه واتباعه من قوله وفعله ، وسلم . اما بعد ، فاني رايـــت كثيـــرا من المتسببين الى العلم يتكلمون بكلام العوام المرذول (2) جريا منهم على العادة وبعدا عن علم العربية ، ورايت بيان الصواب في كلامهم مبددا في كتب اهل اللغة وجمعه يثقل على المتكاسل عن طلب العلم ، وقد افرد قوم ماتلحن فيه العوام ، فمنهم من قصر ومنهم من ذكر ما لا يكاد يستعمل ، ومنهم من رد ما لا يصلح رده ، فرايت ان انتخب من صالح ذلك ما تعم به البلـــوى دون ما يشذ استعماله ويندر وارفض من الغلط ما لا يكـــاد يخفى فصل واعلم ان غلط العامة يتنـــوع ، فتـــارة يرفعون المكسور وتارة يكسرون المرفوع وتارة يمدون المقصود وتارة يقصرون الممدود وتارة يشددون المخفف وتارة يخففون المشدد وتارة يزيدون في الكلمة وتارة ينقصون منها وتارة يضعونها في غير موضعها الى غير ذلك من الاقسام ، وكنت قد عزمت على ان اجعل لكل شيء من هذا بابا ، ثم اني رايت ان انظم الكل في سلك واحد واتي به على حروف المعجم ، واعول على الصحيح فيه لا على الخطا ، فذلك اسهل لطلب الكلمة فصـــل وكتابي هذا مجموع من كتب العلماء بالعربية كالفراء والاصمعي وابي عبيد وابي حاتم وابن السكيت وابن قتيبة وثعلب وابي هلال العسكري ومن تبعهـــم من ائمة هذا العلم وانما لي فيه الترتيب والاختصار وان وجد لشيء نهيت عنه وجه فهو بعيد ، او كان لغة فهي مهجورة . وقد قال الفراء : « وكثير مما انهاك عنـــه قد سمعته ولو تجوزت لرخصت لك ان تقول « رايت رجلان » ولقلت اردت عن تقول ذاك (3) والله الموفق .

---

1) في الاصل الحصبا الحصى وهما مترادفان فلا معنى للتكرار .

2) في الاصل المرزوال بالزاي .

3) راجع تكملة اصلاح ما تغلط فيـــه العامـــة لابي منصور الجواليقي ص 5 (طبع المجمع العلمي العربي بدمشق)

بـــاب الالف

تقول **استهتر** فلان بكذا بضم التاء الاولى وكسر الثانية (1) على ما لم يسم فاعله والعامة بفتح التائين وهو خطأ . وتقول فلان **أهـل** لكذا قال الله تعالى : « هو اهل التقوى واهل المغفرة » ، والعامة تقول مستاهل لكذا (2) انما المستاهل متخذ الاهالة وهي ما يوتدم به من السمن والودك ، وتقول فلان أعرابي اذا كان بدويا . واعجمي اذا كان لا يفصح (3) وان كان نازلا بالبادية والعامة لا تراعي هذا الشرط وتقول هو **الاسكف** للذي تسميه العامة الاسكاف ثنا بن ناصر قال ثنا ابو محمد السراج ثنا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري قال ثنا ابوعمر بن حيوية قال ثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد صاحب ثعلب ، قال ثنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال : العرب تقول هو الاسكف للذي تسميه العامة الاسكاف ؛ قال والاسكاف عند العرب كل صانع لا من يعمل الخفاف (4) ؛ وتقول **اشتكى** فلان عينيه (5) والعامة تقول اشتكت عينه وهو غلط لانه هو المشتكي لا العين وتقول **ادلج** الرجل حقيقة اذا سار اول الليل وادلج بتشديد الدال اذا سار من آخره (6) والعامة لا تفرق . وتقول **اشلت الشيء او شلت** به بضم الشين فتعدي بهمزة النقل او بالباء تقول شالت الناقة بذنبها واشالت ذنبها ، والشائل عندهم المرتفع ، والعامة تقول شلت الشيء اشيله .

وتقول اشال الطائر ذنابا ، والعامة تغلط في هذه الكلمات الثلاث في ثلاثة مواضع ، يقولون شال الطير ذنبه ، وتقول **اعلمت** على الشيء من العلامة على الثوب وغيره ، والعامة تقول علمت عليه وتقول اشليت الكلب اذا دعوته اليك ، والعامة تقول اشليته اذا حرضته على الصيد واغريته به وذلك خطأ ، انما تقول اذا اردت ذلك اسدته على الصيد وقد اجازه بعضهم ، وتقول **أضج** (7) القوم اذا صاحوا وجلبوا ، والعامة تقول ضجوا وانما يقال ضجوا اذا جزعوا وتقول آكلت فلانا اذا اكلت معه ، والعامة تقول واكلته وتقول **آجرته** الدار والدابة والعامة تقول واجرته وتقول **آخذته** بذنبه وهم يقولون واخذته واسيته بنفسي ، وهم يقولون واسيته وآزيته اذا حاذيته ، وهم يقولون وازيته ، وتقول اشرعت الرمح قبل العدو ، والعامة تقول شرعت وتقول انا افرق منك ، والعامة تقول انا افرقك وتقول ما املت فيك هذا ، والعامة تقول ما وملت بالواو ، وتقول سألتك بالله الا فعلت بكسر الالف ، والعامة تفتحها وتقول أحكني راسي اى الجاني الى الحك ، والعامة تسقط الالف فتجعل الراس فاعلا وتقول انا احس (8) بكذا بضم الالف وكسر الحاء . والعامة تفتح الالف وتضم الحاء وتقول استخفيت من فلان ، والعامة تقول اختفيت منه ، واما الاختفاء الاستخراج ومنه قيل النباش مختف وتقول مشيت حتى أعييت والعامة تقول حتى عييت فتسقط الالف

---

1) مثله في اللسان .

2) مثله في اللسان عن المازني والاصمعي وابن سيده والجوهري وابن بري .

3) مثله في اللسان في مادتي عرب وعجم .

4) صدر في القاموس بأن الاسكف والاسكاف الخفاف ثم حكى ما عند المصنف باو ، وفي الصحاح وقول من قال كل صانع عند العرب اسكاف قصير معروف ونقله في تاج العروس .

5) في اللسان اشتكى عضوا من اعضائه .

6) مثله في الصحاح وبه صدر في القاموس ، وهو ما جرى عليه ثعلب في الفصيح ، وجعلوه من تحقيقات اسرار العرب .

وصدر في اللسان بأن ادلج من آخر الليل وادلج سار **الليل كله** . وذكر ان ثعلب حكى عن ابن سليمان الاعرابي : اى ساعة سرت من اول الليل الى آخره فقد ادلجت ، ونقل عن ابن السكيت : ادلج سار الليل كله ، وادلج في آخر الليل ، ثم قال والتفرقة الاولى من بين ادلجت وادلجت قول جميع اهل اللغة الا الفارسي فانه حكى ان ادلجت وادلجت لغتان في المعنيين جميعا .

ونقل في تاج العروس عن ابن درستويه ان معناهما سير الليل مطلقا دون تخصيص باوله وآخره . وغلط ثعلبا في التفرقة بينهما ، واطال في ذلك .

7) في الاصل اصح .

8) في الاصل احسن .

وتكسر الياء وانما يقال عييت فيما يلتبس عليك فلا تدري ما وجهه وتقول منذ اسبوع ما رايتك ، والعامة تقول منذ سبوع وانما السبوع جمع سبع وسبع من العدد وتقول افلت من كذا ، والعامة تقول انفلت وتقول صار فلان احدوثة ، والعامة تقول حدوثة وتقول أغلقت الباب فهو مغلق واقفلته فهو مقفل واثفرت الدابة فهي مثفر واعقدت العسل فهو معقد واغليت الماء واغفيت اغفي والعامة تسقط الالف منهن وكذلك ازللت اليه معروفا مثل اسديت وازللت له زلة من الطعام من المائدة ، والعامة تقول زللت بغير الالف وتقول امسكت الشيء واردته والعامة تحذف الالف وتقول في صدر فلان علي احنة والعامة تقول حنة وتقول اخذ ابردة (1) وذلك من زخاوة المثانة والعامة بفتح الالف وتقول فلان اطروش بضم الالف والعامة تفتحها على ان الطرش لم يسمع من العرب العرباء وتقول كتبت هذا الكتاب اول يوم من شهر كذا او غرة شهر كذا والعوام تقول كتبته مستهل شهر كذا وذلك خطا لان اليوم لا يكون مستهلا لان الهلال يرى في الليل وتقول في اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر هذه ايام البيض اي ايام الليالي البيض وسميت هذه الليالي بيضا لطلوع القمر من اولها الى آخرها ، والعامة تقول الايام البيض (2) حتى ان بعض الفقهاء جرى في كتبه المصنفة على عادات العوام في ذلك وهو خطا لان الايام كلها بيض ، وقرات على شيخنا ابي منصور اللغوي : قال العرب تسمى كل ثلاث من ليالي الشهر باسم فتقول ثلاث غرر وغرة كل شيء اوله وثلاث نفل لانها زيادة على الغرر وثلاث تسع لان آخر ايامها التاسع وثلاث عشر لان اول ايامها العاشر وثلاث بيض لانها بيض بطلوع القمر من اولها الى آخرها وثلاث دزع (3) لاسوداد اوائلها وابيضاض سائره وثلاث ظلم لا ظلامها وثلاث حنادس لسوادها وثلاث دآديء(4) لانها بقايا وثلاث محاق لامحاق القمر او الشهر وتقول هو الانف بفتح الالف ، والعامة تضمها وهي الاسنان والعامة تكسره وهذه الابهام للاصبع المعروف ، والعامة تقول البهام ، قال الفراء انما البهام جمع البهم وجمع الابهام اباهيم وتقول هو الابط بسكون الباء وقد يتفاصح بعض العامة فيقول الابط بكسر الباء ولم يات في الكلام شيء على فعل الا ابل (5) واطل وهي الخاصرة وجبر وهي صفرة الاسنان وفي الصفات امراة باز وهي السمينة واتان ابد (6) تلد كل عام وايلياء بيت المقدس ممدود والعامة تقصره وربما شددت الياء وهي الالية بضم الالف والعامة بفتحها والاردن بضم الالف وتشديد النون والعامة بفتحها وتخفيف النون وارمينية بكسر الالف والعامة تضمها وانطاكية بتشديد الياء والعامة تخففها وهي الارزبة التي تقول لها العامة المرزبة (7) وهذه اوزة (8) بالف مكسورة . والعامة تسقط الالف وهي انفحة (9) الجدي والعامة تقول منفحة وهي انبوبة بضم الالف والعامة بفتحها ويجمعها انابيب والعامة تقول انبايب وهو بناء منكر وهذه اضبارة (10) من كتب وهم يقولون ضبارة

---

1) ابردة برد في الجوف .

2) راجع كتاب تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة لابي منصور الجواليقي (ص 7) فقد نقل عنه ابن الجوزي كل ما يلي حول تقسيم الليالي .

3) ليلة درعاء سوداء الصدر بيضاء الفجر من آخر الشهر او العكس من اول الشهر الجمع درع (المعجم الوسيط) .

4) الدادا والداداء وتلحقهما التاء من الليالي الشديدة الظلمة لاختفاء القمر فيها والجمع الدآديء والدآدي (متن اللغة) ، واختلف هل هي قبل ليالي المحاق او بعدها .

5) من يحسن رعاية الابل .

6) الأبد بفتح الهمز وكسر الباء في نوادر ابي زيد يقال لن يبلغ الجد الأبد الا كل عام يلد (متن اللغة) .

7) المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة او مطرقة الحداد والكلمتان مترادفتان حسب المعجم الوسيط ومتن اللغة ولسان العرب وفي متن اللغة ان المرزبة مخففة الباء وتشديدها عامي .

8) في الاصل اورة بالراء والغالب ان الصواب اوزة بالزاي .

9) الانفحة مرادفة المنفحة (المعجم الوسيط) ولسان العرب والمنفحة هي القوس (لسان العرب ومتن اللغة) .

10) في الاصل اصبارة بالصاد المهملة والصواب بالضاد وهما مترادفان (المعجم الوسيط) وفي لسان العرب وضبارة لغة وغير الليث لا يجيز ضبارة من كتب

وهو (1) الذي يخرز به الاشفى مقصور وهم يقولون الشفا وهي الارجوحة الذي تسميه العامة مرجوحة . وهي الاسكرجة بضم الالف والكاف وفتح الراء وهي اعجمية معربة معناها مقرب الخل والعامة تقول سكرجة باسقاط الالف وفتح الكاف ، وقال شيخنا ابو منصور وقد جاءت بغير همزة (2) فروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اكل في سكرجة وتقول هذه النعجة الاولى لفلان ولا تقول الاولة فان هاء التانيث لا تدخل على أول وهي الية الكبش بفتح الهمزة ومن العامة من يكسرها ومنهم من يقول لية (3) بغير الف وهذا رمان امليسي وهو اعجمي معرب والعامة تقول مليسي وهو الاترج والاترجة والعامة تقول ترنج وترنجه (4) وهو الآخر (5) بكسر الالف والعامة تفتحها وهو الاجاص والعامة يقوولن انجاص (6) وهذه اجانة وهم يقولون انجانة وهذه اوقية بالالف والعامة تحذف الالف (7) فاما جمعها فاواقي بتشديد كاماقي وبعض العرب تقول أواق بالتخفيف فاما العامة فتمد الالف فتقول أوآق على وزن افعال وذلك انما هو جمع اوق وهو الثقل والازاذ بالذال المعجمة ضرب من التمر والعامة تقول بالدال المهملة والأبريسم بفتح الهمزة والراء ويجوز بكسر الهمزة وفتح الراء وهو اسم اعجمي كذا قرأته على شيخنا ابي منصور والعامة تفتح الهمزة وتكسر الراء وهو الاثل باسكان الثاء والعامة تفتحها وهو الأيل وهو الذكر من الاوعال وفيه ثلاث لغات ابل بكسر الالف وفتح الياء وايل بفتح الالف وكسر الياء وايل بضم الالف وفتح الياء والعامة تفتح الالف والياء . قال الليث سمي ايلا لانه يئول الى الجبال فيتحصن بها وهي الاسطوانة بضم الالف والطاء والعامة تكسرهما وهي الاهليلجة والعامة تقول هليلجة وتقول قد احسنت الشيء وهم يقولون حسنته واربته كذا اربه وهم يقولون أوربته وأربه وامسكت كذا وهم يقولون مسكته وامسح الله بذلك وهم يقولون صح بحذف الالف وتقول امرزني كذا وهم يقولون مازني واباده الله واخزاه وهم يقولون باده وخزاه وقد اشبه فلان اباه وهم يقولون شبه اباه وكنا في املاك فلان وهم يقولونفي ملاكونحن على اوفاز ووفاز الواحد وفز اذا لم يكن على طمانينة ولا يقال وفاز بفتح الواو كما تقول العامة وقد اروحت الجيفة وهم يقولون قد راحت (8) وتقول اصحت (9) السماء فهي مصحية وهم يقولون صحت فهي صاحية وتقول أجبرت فلانا على كذا وهم يقولون جبرته ولا يقال جبرت الا في العظم والفقر (10) وتقول الفت هذا الكتاب والعامة تقول ولفت وتقول امحي (11) الكتاب والعامة تقول امتحى وتقول الناس في امن بفتح الالف وكذلك الاكبار والانبار والاربعون بفتح الباء والعامة تكسره وتقول قد ازف الوقت أي قرب ، قال الله تعالى (ازفت الآزفة) والعامة تجعل ازف بمعنى حضر ووقع وبعضهم يريد انه قد ذهب وانصرم وبعضهم يقول زاف الوقت وانما يقال زافت الحمامة اذا نشرت جناحيها وذنبها على الارض وزافت المراه في مشيتها كانها تستدير وزاف الجمل في مشيته زيفانا وهو سرعة في تمايل وتقول هذه اشفار العين يعني حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر والعامة تظنها الشعر النابت وهو خطأ انما الشعر الهدب وتقول الارضون بفتح الراء والعامة تسكنها وفيهم من يجمع الارض اراضي (12) وهو غلط لان الارض ثلاثية والثلاثي لا

---

1) لعل الصواب والذي بدل وهو الذي .

2) وعليه اقتصر في اللسان وتاج العروس ومتن اللغة وما نقله عن ابي منصور هو في كتاب المعرب من الكلام الاعجمي (ص 89 من طبع ليبسيغ) وذكرها بالهمز ص 20 منه واقتصر في كتاب اصلاح ما تغلط فيه العامة (طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ص 30) على رواية الهمز وعد حذف الهمز من الغلط

3) كما هو الحال عند بعض عامة المغرب .

4) في المغرب كذلك .

5) في اللسان الأخر بوزن الكبد هو الابعد المتاخر عن الخير .

6 و 7) في المغرب كذلك . 12) يقال هليلج بفاس

8) تقول عامة المغرب ريحت بالياء .

9) في الاصل اضحت بالضاد .

10) في الاصل المعر ولعل الصواب الفقر يقال جبر فقره سد مفاقره (متن اللغة) .

11) محا يمحي ويمحو اومتحى لغة ضعيفة (متن اللغة) .

12) وفي اللسان نقلا عن ابن بري « الصحيح عند المحققين فيما حكى عن ابي الخطاب ارض واراض » قال الجوهري والاراضي أيضا على غير قياس .

يجمع على افاعيل وتقول قرات الحاميم قال ابن مسعود اذا وقفت في الحاميم وقعت في روضات دمثات والعامة تقول قرات الحواميم (1) وليس من كلام العرب ؟ وتقول اذا اردت تفصيل الجمل اما بفتح الالف واذا اردت التخيير او الشك قلت اما بكسر الالف، قال الله تعالى في الاولى (واما الذين شقوا ففي النار واما الذين سعدوا ففي الجنة) وقال في الثانية (فاما منا بعد واما فداء وتقول في الشك لقيت اما زيدا واما عمرا والعامة تفتح الالف في الكل وتقول للرجل ايه حدثنا اذا استزدته وايها كف عنا اذا امرته ان يقطع وويها (2) اذا زجرته عن الشيء وواها (3) اذا تعجبت منه والعامة تخلط في هذا وتقول ارعني سمعك والعامة تقول اعرني سمعك وهو الاربان والاربون والعربان والعربون والعامة تقول الربون وقد ارتج على فلان الكلام والعامة تقول ارتج بتشديد الجيم وتقول للقائم اقعد ولا تقل اجلس الا لمن كان قائما وانما القعود انتقال من علو الى اسفل والجلوس من سفل الى علو ومنه سميت نجد جلسا لارتفاعها وجلس الرجل اتى نجدا، وتقول اشوى اللحم والعامة تقول اشتوى (4) وانما المشتوى الرجل وتقول يا اشد بياض هذا الثوب والعامة تقول ما ابيض هذا الثوب وتقول قد اضيف الى هذا الاول والعامة تقول قد انضاف وتقول الحمد لله اذا كان كذا والعامة تقول الحمد لله الذي كان كذا فيحذفون الضمير العائد الى اسم الله تعالى الذي يتم به الكلام، وقد روي ان رجلا طرق الباب على نحوي فقال من قال الذي اشتريتم الآجر فقال أتنحوي منه قال لا قال له قال لا قال اذهب فما لك من صلة لدي شيء وتقول انخت البعير فبرك ولا تقل فناخ والعامة تقول نخت البعير فناخ

وتقول لمتاع البيت اثاث والعامة تقول رحل ولا تعرف العرب الرحل الا شرج البعير فحسب واما قوله عليه السلام اذا ابتلت النعال فصلوا في رحالكم فالمراد به في منازلكم التي فيها الرحال وتقول عند الحرقة ولذغ الحرارة الممضة اح بالحاء والعامة تقول اخ بالخاء المعجمة وربما ضموا الالف وفتحوا الخاء وجاءوا بعدها بياء او هاء قال شيخنا ابو منصور اللغوي ليس الخاء هاهنا من كلام العرب انما هي لغة العجم ولما اشتد امر شبيب على الحجاج وحصره في القصر امر الحجاج غلاما شجاعا فلبس ثياب الحجاج وسلاحه وركب فرسه وصاح في الخيل الجند فجمعهم وخرج فقال الناس قد خرج الحجاج فاقبل شبيب فقال ابن الحجاج فاوما اليه فحمل حتى ضربه بالعمود فلما احس بوقعه قال اخ بالخاء فانصرف شبيب وقال قبحك الله يا ابن ام الحجاج اتقى الموت بالعبيد وتقول افاق فلان من علته والعامة تقول فاق وتقول اردت هذا وهم يقولون ردته وتقول اي شيء تريد والعامة تقول ايش تريد قال ابو هلال العسكري هو خطأ ما سمع من فصيح قط وتقول لما يدفع بين السلامة والعيب من السلعة ارش وانما سمي ارشا لان المبتاع اذا اشترى الثوب على انه صحيح ثم وقف منه على عيب وقع بينه وبين صاحبه ارش اي خصومة من قولك أرشت بينهما اذا اغريت احدهما بالآخر فسمي ما نقص العيب الثوب ارشا اذا كان سببا للارش والعامة تقول هرش (5) بالهاء وهو خطأ وتقول للذي تديره الريح ابو رياح والعامة تقول برياح وتقول افعل كذا اما لا اي ان لم يكن ذلك فافعل هذا انشدني شيخنا ابو منصور قال انشدني ابو زكرياء لو ان نوقا او ثلةمن غنم اما لا امرعت الارض لو ان مالا (6) والعامة تقول

---

1) وكذلك عند موفق الدين عبد اللطيف البغدادي في ذيل الفصيح لثعلب (ص 108) وذكر الالوسي في روح المعاني (ج 7 ص 432) ان حاميم تجمع على جواميم محتجا بورودها في عدة احاديث رادا بذلك على قول الجواليقي والحريري وابن الجوزي وفي الصحاح عن الفراء ان قول العامة الحواميم ليس من كلام العرب وقال ابو عبيدة الحواميم سور في القرآن على غير قياس (ج 5 ص 1907) وما نقله عن ابي عبيدة غير موجود في « مجاز القرآن » وانكر صاحب القاموس حواميم وانتقد الخفاجي في شرح « درة الغواص » على الحريري انكاره له قائلا : « وقد تبع في هذا بعض من تقدمه والصواب خلافه»

2) في لسان العرب ويه اغراء ومنهم من ينون فيقول ويها وقريب منه في (متن اللغة) .

3) ذكر ابن منظور في اللسان عدة معان لذلك .

4) في اللسان ان الجوهري قال بعدم استعمال اشتوى وان سيبويه اجاز ذلك .

5) في المغرب حرش بدل هرش وكلاهما فصيح خلافا للمؤلف (متن اللغة والمعجم الوسيط) .

6) قال ابو منصور في تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة (ص 28 ـ 29) : انشدني ابو زكرياء رحمه الله :

امرعت الارض لو ان مالا ... لو ان نوقا لك او جمالا
او ثلة من غنم اما لا

قال ابن بري كذا يكتب اما لي بالياء وهي لا اميلت فالفها بين الياء والالف والفتحة قبلها بين الياء والكسرة

امالي بفتح الالف وتسكين الياء وتقول اللهم صل (1) على محمد وأهله (2) وآله والعامة تقول وذويه وهذا غلط لان العرب لم تنطق بذي الا مضافا الى اسم جنس كقولهم ذو مال وتقول فلان يحدث **بالاباطيل** قال الفراء والمولدون يقولون ابواطيل وكلام القـوم هـو الاول وتقول في دعائك لا اهلك وانت الرجا بكسـر اللام والعامة تفتحها وقد بلغنا عن الصاحب بن عباد ان فقيرا من اهل الادب تعرض به فقال له اهلك في دونتك فقال وانت من اهل اهلك فانعم عليه قال ابو هلال العسكري وتقول العوام شيء ازلي اي قديم (3) ويصفون الله بالازلية وكل ذلك خطأ لا اصل له في العربية وانما سمعوا اقوال الناس لم يزل الله موجودا فبنوا منه هذا البناء قال وفي بعض النسخ من « اصلاح المنطق » الازل القدم فان كان ابن السكيت قاله فقد اخطأ ليس الازل بشيء قال الاصمعي يقول اقرا عليه السلام ولا تقل اقرئه السلام لانه خطأ (4) .

بـاب البـاء

تقول لما يزرع ويؤكل **بذر** وبذور والعامة تقول بزر (5) وبزور وهو خطأ وتقول هذا **بطيخ** بكسر الباء والعامة بفتحها وتقول لجميع العشب وما ينبت الربيع مما يأكله الناس والبهائم **بقل** والعامة تخص بذلك النبات المعروف الذي يأكله الناس وتقول **بقل** وجه الغلام بالتخفيف والعامة تشدد القاف وتقول لما يتعجل من الزرع والثمار **قد بكر** وهو الباكورة والعامة تقول قد هرف وتقول هو **البورق** (6) بفتح الباء هذا الذي يلقى في العجين والعامة تضمها وهو خطأ لانه ليس في الكلام فوعل بضم الفاء وكل ما جاء على فوعل فهـو مفتوح الفاء نحو جبورب وروشن وهو **البرطيل** الرشوة بكسر الباء وكذلك كل ما جاء على فعليل كبلقيس **والبرجيس** اسم النجم الذي يقال له المشتري والعامة بفتح الباء منهن (7) وتقول هذا **بخور** بفتح الباء والعامة تضمها وتقول هي **البضعة** وهي البحار بفتح الباء فيهما والعامة تكسرها فيهما وهو **البوري** والباري الذي تقول له العامة البارية وهي **البصرة** بتسكين الصاد وبعض العامة يكسرها **والبكرة** بتسكين الكاف وبعض العامة يفتحها ونتف **البصل** (8) بفتح الباء والعامة تكسره وهي لغة وهو **البلور** بكسر الباء وفتح اللام والعامة بفتح الباء وبضم اللام **والبهار** بضم الباء وهو الحمل والعامة بفتحها **والبالوعة** بألف والعامة تقول بلوعة **وبرهوت** بفتح الراء والعامة تسكنها وهي **الباء** بالمد وهو النكاح والعامة تقصره وتقول بلعت (9) اللقمة بكسر اللام والعامة بفتحها **وبششت** بفلان بكسر الشين والعامة بفتحها وتقول بنى فلان على أهله (10) وأصله انه كان من أراد ان يدخل لزوجته بنى عليها قبة فقيل لكل داخل بأهله بان والعامة تقول بني بأهله وتقول لمن دخل بزوجته هذا **بعلها** ولا يسمى بعلا حتى يدخل بها وهو زوج على كل حال والعامة تسميه بعلا وان لم يدخل بها (11) وتقول ديار **بلا قع** اي خالية من اهلها والعامة تقول براقع بالراء انما البراقع جمع برقع وهو ما تجعله المراة على وجهها

---

1) في الاصـل صلـي .

2) اهلـه هنـا زائـدة .

3) في لسان العرب والازل القدم قال ابو منصور ومنه قولهم هذا شيء ازلي اي قديم .

4) اقتصر ابن منظور في لسان العرب على جواز الوجهين واورد حديثا يدل على صحة ما انكره الاصمعي ولم يشر الى رأي الاصمعي وقد اورد صاحب متن اللغة الوجهين ثم قال : « وانكره بعضهم في غير الثلاثي » .

5) نقل ابن منظور عن ابن سيده ان البزر والبذر كل حب يبزر للنبات .

6) تبع ابن الجوزي هنا شيخه الجواليقي في « تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة » (ص 51) .

7) هكـذا في الاصـل .

8) في الاصل السبل اي السنبل ومقتضى الترتيب الابجدي ذكر اللفظة في السين ولعله البصل بالصاد وتقديم الباء .

9) الفتـح لغـة (متن اللغـة) .

10) قال في اللسان : « ولا يقال بأهله هذا قول اهل اللغة وحكى ابن جني بنا فـلان بأهله وابتنى بها عداهما جميعا بالباء » .

11) لم يشر ابن منظور الى هذا الفرق ولا صاحب القاموس وصاحبا تاج العروس والصحاح .

وتقول خرج فلان الى بر (1) والعامة تقول برا وتقول برورت (2) والدي وبررت في يميني بكسر الراء والعامة بفتحها وتقول لمن تأمره بالبربور والديك بفتح الباء والعامة تكسره وتقول بخصصت عينه بالصاد والعامة تقول لها بالسين وتقول ما رايته البتة والعامة تقول ما رايته بتة وتقول للشيء الذي يذيب فيه الصاغة البوطقة (3) والعامة يقولون البوتقة وتقول بينهما بون والعامة تقول بينهما بين وتقول للشيء المتوسط هو بين بين قال عبيد ابن الابرص (4) :

نحمي حقيقتنا وبعض القوم يسقط بين بينا

والعامة تقول هو بين البينين وتقول بينا انا جالس جاء عمرو والعامة تقول بينا انا جالس اذ جاء عمرو وليس لدخول اذ هاهنا معنى وان كانت قد جاءت في احاديث لكنها محمولة على انها من الرواة (5) وقد اجازوا ذلك في بينما قال الشاعر :

« فبينما العسر اذ دارت مياسير »

واعتذروا بأن ما ضمت الى بين وجرت حكمها كما ان رب لا يليها الا اسم فلما زيدت فيها ما وليها الفعل (6) قال الله تعالى : « ربما يود الذين كفروا » وتقول في جواب الاستفهام بالنفي بلى اذا اردت اثباته ونعم اذا اردت نفيه مثاله ان يقال لك اما تقوم فتقول بلى اذا اردت اثبات القيام ونعم اذا اردت نفيه اي ما اقوم والعامة لا تفرق وقد حكي عن ابي بكر ابن الانباري (7) انه حضر مع جماعة ليشهدوا على اقرار رجل فقال احدهم للمشهود عليه الا نشهد عليك فقال نعم فشهدت الجماعة وامتنع ابن الانباري وقال ان الرجل منع ان نشهد عليه بقوله نعم لان تقدير جوابه لا تشهدوا علي وتقول لمن تنسبه الى السرقة هذا برجان (8) والعامة تقول برجاص وانما هو فضيل ابن برجان من بني عطارد كان مولى لبني امريء القيس وتقول بهرني (9) الشيء يبهرني بفتح الهاء والعامة تقول ابهرني بألف يبهرني بضم الهاء وتقول امتلأ بطن فلان والعامة تقول امتلات فتؤنث والعرب تذكر البطن قال الشاعر :

فانك ان اعطيت بطنك سؤله
وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وتقول في اللون الخالص الذي لا يخالطه لون آخر بهيم (10) فتقول اسود بهيم وابيض بهيم

---

1) البر هنا نقيض الكن قال الليث والعرب تستعمله في النكرة فتقول جلست برا وخرجت برا وذكر ابو منصور ان ذلك من كلام المولدين لم يسمعه من فصحاء العرب البادية (اللسان) .

2) حكى اللسان عن الاحمر الفتح في المنفيين ملاحظا ان غيره لا يقول هذا وان في فصيح ثعلب الكسر في القسم والفتح في البرور ؛ ولكن الذي بين ايدينا في فصيح ثعلب وشرحه لابي سهل محمد الهروي هو الاقتصار على الكسر فيهما (ص 9 طبع القاهرة ، 1325 ــ 1907) . وحكى ابن الاعرابي الكسر وحده في هذا الاخير وفي اليمين الكسر والفتح .

3) ورد في شفاء الغليل للخفاجي (ص 38 ــ طبع القاهرة ــ 1325 هـ) : بوطة معرب بوتة وهي معروفة وقول العامة بوتقة خطأ كما في تصحيح التصحيف .

4) عبيد بن الابرص بفتح العين شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها من اصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية من المعلقات عاصر امرأ القيس قتله النعمان بن المنذر حوالي 25 قبل الهجرة (600 م) له ديوان شعر مطبوع (الاعلام للزركلي ج 4 ص 339 ــ 340) .

5) قال ابن منظور : « والافصح في جوابهما (أي بينا وبينما) ان لا يكون فيه اذ واذا وقد جاءوا في الجواب كثيرا » .

6) في الاصل المقل .

7) ابو بكر بن الانباري هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الانباري البغدادي اللغوي المتوفى سنة 328 هـ كان من اعلم الناس بالنحو والادب واكثرهم حفظا ترجمه ابن خلكان (ج 1 ص 637 من الوفيات) والسيوطي (ص 91 ــ 92 من بغية الوعاة) .

8) برجان اسم لص يقال اسرق من برجان (اللسان) وكانت الكلمة في الاصل برحان بالحاء المهملة ، راجع تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة (28) (ذيل الفصيح لثعلب ــ املاه عبد اللطيف البغدادي ص 109)

9) ابهر فلان جاء بالعجب (الفيروزبادي ومتن اللغة) .

10) وافق ابن منظور والجوهري المؤلف وحكى الفيروزبادي الوجهين .

والعامة تخص الاسود بالبهيم وحكى الازهري (1) قال ابو حاتم قلت للاصمعي رايت في كتاب ابن المقفع العلم كثير ولكن اخذ البعض خير من ترك الكل فانكره اشد الانكار وقال الالف واللام لا يدخلان في بعض وكل لانهما معرفة هما بغير الف ولام وهما في نية الاضافة قال الله تعالى وكل آتوه داخرين وقال كل آمن بالله وقال بعضهم أولياء بعض قال ابو حاتم لا تقول العرب الكل والبعض ، وقد استعمله الناس حتى سيبويه والاخفش في كتابيهما لقلة علمهما بهذا النحو فاجتنبت (2) ذلك فانه ليس من كلام العرب .

بـــاب التــاء

تقول انت تكرم علي بفتح التاء وضم الراء والعامة تضم التاء وتفتح الراء وتقول ما هذا **التباطؤ** والعامة تقول التباطي وكذلك **التواطؤ** (3) **والتوكؤ** والعامة تقولها بالياء وتقول ما هذا **الترادي** (4) علينا والعامة تقول الترادو باسكان الواو وليس في العربية واو ساكنة في آخر اسم ولا مصدر وانما تقول العرب ترادى فلان على فلان تراديا بالهمز فاذا خففوا الهمز قالوا الترادي مثل التعامي وتقول **تثاءبت** وهي **الثؤباء** (5) ممدودة والعامة تقول تثاوبت وتقول **تركت** كذا والعامة تقول في بعض الالفاظ وذرته (6) قال ابن السكيت هو **التوت** للفرصاد والعامة تقول توت وتقول **تأهل** الرجل والعامة تقول اتاهل وتقول دابة لا **ترادف** (7) والعامة تقول تردف وتقول الشاة **تجتر** والعامة تجعل مكان الجيم شينا وتقول جاءت المرأة **بتوامين** ولا تقل توام انما التوام احدهما وتقول للمراة **تعالي** بفتح اللام والعامة تكسرها وتقول **تلك** (8) فعلت ذلك والعامة تقول ذيك وهي **الترقوة** بفتح التاء والعامة تضمها وهي **تكريت** بفتح التاء والعامة تكسرها وبلدة **تستر** بالتاء والنسبة اليها تستري والعامة تقولها بالدال وهو **التنين** بكسر التاء والعامة بفتحها وكذلك **التلسية** قال ثعلب قول الكتاب كيس الحساب تليسة بفتح التاء غلط والصواب كسره وتقول هذا **التيفار** (9) بتاء معها ياء على وزن تفعال مثل تجفاف والعامة تقول التفار بحذف الياء وتقول **تمرن** فلان على كذا والعامة تقول ترمن وهو خطا وتقول **تفل** فلان والعامة تجعل التاء ثاء وتقول **التذكار** للمعاهد يهيج الحزن بفتح التاء وكذلك **التسآل وتسكاب** الدمع والعامة تكسر هذه التاءات وتقول **تواترت** رسل فلان الى اذا جاءت متقطعا بعضها عن بعض بين كل اثنين هنيئة . قال الله تعالى ؛ ثم ارسلنا رسلنا تترى ؛ واصلها وترى من المواترة ومعناه متقطعسة بين كل اثنين نبيين دهر وقال ابو هريره لا باس بقضاء رمضان تترا اي متقطعا والعامة تجعل التواتر في معنى الاتصال الذي ليس فيه انقطاع وهذا غلط منهم وتقول **تأثم** الرجل **وتحنث** اذا فعل فعلا يخرج به من الاثم والحنث والعامة تقولهما لمن وقع في الاثم والحنث وتقول **تتايعت** المصائب على فلان والعامة تقول تتابعت بالباء وهذا غلط لان التتابع في الخير والتتايع (10) في الشر وتقول **تنحس** النصارى بالحاء اذا تركوا اللحم والعامة تقول تنهس النصارى بالهاء اذا اكلوا اللحم قبيل صومهم ، قرات على شيخنا ابي منصور اللغوي قال هذا غلط في اللفظ وقلب للمعنى الى ضده اما اللفظ فانما يقال بالحاء واما المعنى فانما يقال ذلك لهم اذا تركوا اكل اللحم ولا يقال لهم ذلك اذا اكلوه قال ابن دريد هو عربي معروف لتركهم اكل الحيوان ويقال

---

1) الازهري هو محمد بن احمد بن الازهر الهروي ابو منصور احد الائمة في اللغة والادب توفي سنة 370 هـ (الاعلام ج 6 ص 202 وارشاد الاريب لياقوت ج 6 ص 297) .

2) كان في الاصل فاحببت والصواب فاجتنبت ذلك

3) في الاصل التوصؤ بالصاد .

4) التــرادي الترامــي .

5) الصواب أيراد هذه الكلمة في باب الثاء المثلثة .

6) حكى الفيروزاباذي وصاحب « متــن اللغــة صيغة الماضي ووصفاها بالشذوذ .

7) حكى أبن منظور صحة الوجهين ونقل ذلك عن الليث ثم نقل قول الازهري : « كلام العرب لا يرادف واما لا يردف فهو مولد من كلام اهل الحضر » .

8) قال ابن السكيت في « اصلاح المنطق » (ص 422 طبعة دار المعارف) : « وتقول تلك فعلت ذلك وتيك فعلت ذاك وتالك فعلت ذاك وتلك (بفتح التاء) لغة رديئة ولا تقل ذيك » .

9) راجع تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي ص 45 .

10) ذكر ابن منظور أن التتايع الوقوع في الشر ولا يكون في الخير وكذلك الازهري .

تنحس اذا تجوّع كما يقال توحش وكأنه ماخوذ منه كأنهم تجوعوا من اللحم .

بـــاب الثـــاء

تقول رجل ثـط (1) والعامة تقول الط بزيادة الف وثـدي المراة بفتح الثاء والعامة تكسره وربما قالت ثدي الرجل وانما يقال ثندوة الرجل وتقول هذا الثؤلـول والثآليل والعامة تقول الثالول والثواليـل وتقول لعصارة التمر ثجيـر والعامة تقولها بالتـاء وتقول لما يكثر ثمنه هذا ثميـن كما يقال رجل لحيم اذا كثر لحمه وشحيم لمن كثر شحمه والعامة تقـول هذا مثمن بكسر الميم الثانية وانما المثمن الذي صـار له ثمن وان قل كما يقال غصن مورق وشجر مثمـر والثـل الذكر من الوعول والعامة تجعل مكان الثـاء تـــاء .

بـــاب الجيـــم

تقول هذا جـدع من الغنم وجدعـة وتقـول قد ردها جدعة بفتح الدال في الكل اي ردها الى اول ما ابتديء بها (2) والعامة تسكن الدال في الكل وتقول ثياب جـدد بضم الدال والعامة بفتحها وهو الجـدي بفتح الجيم والعامة تكسره وهوالجـراب والجرجيـر وجـرم الشمس والجـري (3) لضرب من السمك والجراح كله بكسر الجيم والعامة بفتحها وهو الجوارب والجوذاب (4) بفتح الجيم والعامة تضمهـا وكذلـك الريح الجنوب ولا تضمها الا ان تريد جمع جنب وهو جفن العين وجفن السيف بفتح الجيم والعامة تكسره وهو الجنيـــن للطفل ما دام في بطن امه والعامة تقول جني وهو الجلنـار والعامة تجعل مكان اللام نونا وهو الجدري والجدري والعامة تكسر الجيم وهو الجوالق بضم الجيم ولا تفتح في الواحد انما تفتح في الجمـع . قرات على شيخنا ابي منصور قال الجوالق اعجمـي معرب واصله بالفارسية كوالـه (5) وجمعه جوالق بفتح الجيم وهو من نادر الجمع وتقول جهدت جهدي بفتح الجيم والعامة تكسره وجفوت الرجل وجلوت المراة والعروس والعامة تجعل مكان الواو ياء وتقول جرعـت (6) الماء بكسر الراء والعامـة بفتحهـا والجبهـة (7) هي التي يسجد عليها الانسان والعوام تسميها جبينا وذلك غلط انما الجبينان يكتنفانهـا من كل جانب وتقول للصبية الصغيرة جاريـة والعوام تخص بذلك الامة وتقول لبثرة تخـرج في جفن العين الجدجد بجيمين هذه لغة تميم وربيعة تسميها القمع والعامة تقول الكدكد وتقول حطب جزل وهو الغليظ وقيل اليابس قال الشاعر :

ولكن بها ذاك اليفاع فاوقـدي
بجزل اذا اوقـدت لا بضـرام

والضرام(8)ضد الجزل والعامة تقول زجل فيقدمون الزاي وهو غلط وتقول للخيوط المعقدة جـداد (9) بالجيم وتشديد الدال والعامة تقول كـداد وهـي الجبولاء (10) بالجيم والمد والعامة تقول الكبولة وهو

---

1) وافق في ذلك شيخه الجواليقي (اصلاح ما تغلط فيه العامة ص 44) ، وحكى ابن منظور اللغتين ثم نقل عن ابن دريد والجواليقي الاقتصـار على الثط وما نقله عن ابن دريد مثبت في الجمهـرة (ج 2 ص 157 طبعـة دائرة المعـارف العثمانيـة 1345 بالهنـد) .

2) الجواليقي : اصلاح ص 55 .

3) الجري بكسر الجيم والراء وتشديد الياء .

4) الجوذاب طعام يصنع بسكر ولحم وارز كما في المحكم . قال الفيروزبادي هو بالضم وجاء ذوبـاج مقلوبـــا .

5) شفاء الغليل ص 60 والجواليقي (اصلاح ص 52) .

6) حكى الفيروزبادي وابن منظور الوجهين ونقل هذا عن الاصمعي انكاره الفتح .

7) حكى ابن منظور ورود جبهتين بمعنى جبينين .

8) الجواليقي (اصـلاح ص 29) كان في الاصـل صرام بالصـاد .

9) الجداد تبطيتها كداد كما عند الجواليقي في المعرب (ص 42 ــ طبع اوربا) حيث نقل بيـت الاعشـى يصف الخمار :

اضاء مظلته بالسراج والليل غامر جدادها

10) في الاصل الجيولاء وهو غلط (راجع الجواليقي: اصلاح ص 28) وهي المصيدة (ابن منظور) .

الجـــرذ بالذال المعجمة والعامة تقول بالدال المهملـــة وتقول فلان يجدف (1) اذا تأفف من الشيء والعامـــة تبدل الجيم كافا ويقولون للحديدتين اللتين يقص بهما الجلمـــان والعامة تقول الجلم (2) وتقول هذا جـــواب كتبك ، قال إلسكري والعامة تقول في جمع الجواب جوابات واجوبة وهو خطأ لان الجواب مثل الذهـــاب قال سيبويه الجواب لا يجمع وقولهم جوابات كتبـــي واجوبة كتبي مولد وانما يقال جواب كتبي .

بـــاب الحـــاء

يقال دقيق حـــواري بضم الحاء والعامة بفتحها وتقول بصل حريـــف بكسر الحاء والعامة بفتحها وهو جبل حراء بكسر الحاء وفتح الراء والمد والعامة تغلط فيه في ثلاثة مواضع يفتحون الحاء ويقصرون ويميلون وتقول للقصب المجتمع حردي (3) بالحاء والعامة تقول هردي وهي حلقة (4) الباب وحلقة القوم والجمع حلق وحلاق وقال ابو عمرو الشيباني ليس في الكلام حلقة الا في قولهم هؤلاء قوم حلقة للذين يحلقون الشعر الا ان الفراء ذكر في نوادره حلقة وحلقة جميعا وتقول هي حوالة (5) القوم بالضم والعامة بفتحها وتقول حدق (6) القوم بالعسكر يحدقون والعامة يقول احدقـــوا بالف وحمة (7) العقرب والزنبور سمهما والعامة تذهب الى انها شوكتهما التي يلسعان بها وذلك خطأ والحمام (8) ذوات الاطواق وما اشبهها مثل الفواخـــت والقماري والقطا والعامة تخص به الدواجن التـــي تستفرخ في البيوت وتقول للابل التي تحمـــل الامتعـــة خاصـــة حمولة (9) والعامة تسمي الكل حمولة وتقول ليابس العشب حشيش (10) ولا تقول ذلك لشيء من الرطب والعامة تطلق اسم الحشيش على الكل وهو خطأ انما يقال لرطب الحشيش رطب بضم الزاء وخـــلا والكلا يجمعها جميعا وتقول حـــدرت السفينة احدرها بضم الدال من الحدر (11) والعامة تكسر هذه الدال وتزيد في حدرت الفا ويقولون قد آن انحدار السفينة وانمـــا هو قد آن حدرها وتقول للثوبين من جنـــس واحـــد

---

1) الجواليقي (اصلاح ص 36) حيث فسر التجديف باستقلال ما اعطى وكفر النعمة .

2) قال ابن منظور : « والجلم اسم يقع على الجلمين كما يقال المقراض والمقراضان والقلم والقلمان » .

3) قال الجواليقي في المعرب (ص 52 طبع أوربا) هو نبطي معرب قال الليث الحردية حياصة الحظيرة التي تشد على حائط من قصب عرضا والحياصة سير يشد به حزام السرج ولعل هردي اصل للكلمة الفرنسيـــة .

4) الحلقة كل شيء استدار وهي بالتسكين وقد تفتح لامها حكاه يونـــس عن ابي عمرو وانكـــره ابن السكيت واختاره ابو عبيد والجمع حـــلاق على الغالب وحلق (بكسر الحـــاء) على النادر وحلـــق بفتحها وهذا اسم للجمع عند سيبويه ، ولاحظ ابن منظور ان حلق بالفتح جمع لحلقة بالفتح ثم نقـــل عن اللحياني ورود الفتح والتسكيـــن في حلقـــة الباب والحلقة بالكسر لغة حسب الاموي .

5) الحواقـــة الكناســـة .

6) ذكـــر اللســـان الوجهيـــن .

7) الحمة السم عن اللحياني وذكر بعضهم انها الابرةالتي تلدغ بها الحية والعقرب والزنبور وانكر الليـــث ذلك وقصرها على السم وحكى ابن الاعرابي فيميها التخفيف والتشديد وقال الازهري لم يسمـــع التشديد في الحمة الا لابن الاعرابي .

8) ذكر ابن سيده ان الحمام من الطير البري الذيلا يالف البيوت واليمام يكون في البيوت وحدها خلافا للاصمعي الذي يقول ان اليمام ضرب من الحمامالبري والحمام كل ذي طـــوق وروى الازهـــري عن الشافعي ان الحمام مطوق وغير مطـــوق آلف ووحشي واقتصر الجوهري على ذوات الاطواق وقال الاصمعي : الدواجن التي تستفرخ في البيـــوتحمام ايضا . ويقول الكسائي : الحمـــام هو البـــري واليمام هو الذي يالف البيوت (اللسان) .

9) وافقه ابن منظور الذي حكاه عن ابي الهيثـــم ونقل عن ابن سيده ان الحمولة كل ما احتمل عليـــه الحي من بعير او حمار او غير ذلك والحمولة بضم الحاء ما يحمل على الحمولـــة ومنهـــا قولـــه تعالـــى حمولة وفرشا (الآية) .

10) نقل ابن سيده عن بعضهم ان الحشيش يشمل الاخضر واليابس وذكر انه غير صحيح (اللســان) .

11) الحدر بتسكين الدال الاسراع .

يؤتزر باحدهما ويرتدى بالآخر **حلــة** (1) والعامــة تقول للثوب الواحد حلة وذلك غلط لان الحلة عنــد العرب ثوبان من جنس قال ابو هــلال العسكري فان كانت جبة وقلنسوة من ضرب واحد فهي حلة وتقول **حلقــت** (2) الشيء اذا رميته الى فوق يقال حلــق الطائر في كبد السماء اذا ارتفع والعامة تجعل التحليق من علو الى اسفل وهو خطا وتقول خدمته على **حسب** ما اعطاني بفتح السين ومعناه على مقدار ذلك فهو من الشيء المحسوب والعامة تكسر السين وتقول اعمــل هذا **فحسب** بتسكين السين والعامة تقول هذا وبس وتقول هذا ما كان في **حسبانــي** والعامــة تقــول في حسابــي (3) وليس للحساب هاهنا وجــه وتقول **حلــي** (4) الشيء في عيني بكســر الــلام والعامة بفتحها وانما يقال حلا في فمي فهذا من الحلاوة والاول الحلية وتقول **حلمــت** في النوم بفتح اللام فاذا اردت الحلم ضممتها **وحذق** الصبي بفتــح الذال والعامــة تكسره وتقول قد **حســن** الشيء **وحمــض** (5) الخل بفتح الحاء وضم السين والميم والعامة تضم الحــاء وتكسر السين والميــم وتقول للــون من الصبــغ حماحم (6) بضم الحاء والنسبة اليه حماحمي والعامة بفتح الحاء وتقول للحائط **حاوس** والعامة تبدل السين صادا وتقول في كنية الثعلب ابو **الحصيــن** بالصــاد والعامة تجعلها سينا وتقول **ثف حتــى** (7) اجي من غير امالة حتى والعامة تميلها وحتى حرف والحروف لا تمال فاما حذف العامة منها الحاء وقولهم تي اجــي فهو اشهر من ان يعاب وتقول لي **حاجات** (8) والعامة تقول حوايج قال العسكري وليس مما تعرفه العرب ولا يوجبه القياس وانما تجمع العرب الحاجــة حاج وحاجات وحوج وتقول للخارج من الحمــام طــاب **حميمــك** (9) وان شئت طابت حمتك اي طاب عرقك لان عرق الصحيح طيب وعرق السقيم خبيث والعامة تقول طاب حمامك وتقول قد **حــدث** امر عظيم بفتح الدال والعامة تضمها قياسا على قولهم اخذني ما قدم وما حدث والفرق ان اصل حدث فعل وانما ضمــت دال حدث لتقدم قدم وللمجاورة اثر كما قالوا الغدايا والعشايا فاذا افردوا الغداة قالوا الغدوات وكذلــك قوله اعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة اراد ملمة لكنه راعى الوزن وتقــول **حلبــت** الناقة كذا بضم الحاء وكسر اللام والعامــة بفتحها وتقول فلان **يحث** (10) في السير **ويحض** على الخير والعامة لا تفرق وقد فرق الخليــل بن احمد فقال الحث يكون في السير والسوق والحض فيمــا عداهما وتقول **حميت** المريض ولا تقل احميته الا ان تقول احميت المسمار في النار او احميــت المكان اذا

---

1) ورد في القاموس ان الحلة من ثوبين ونقله الازهري عن ابي عبيد وحكى ابن منظور عن خالد بن جنبة ان الحلة رداء وقميص وتمامها العمامة وزاد ابن شميل الازار بدل العمامة وانكر ان تكون الحلة ازارا ورداء وحده ولا يزال الثوب الجيد حلة ما لـم يلبس وقال ابن الاعرابي يقال للازار والرداء حلة ولكل واحد منهما على انفراده حلة .

2) الجواليقي : (اصلاح ص 20) .

3) ذكر ابن منظور ان الحسبان هو الحساب ونقل عن التهذيب ان الحساب مصدر حسب بكسر السين والحسبان بكسر الحاء وضمها مصدر حسب بفتــح السين .

4) ورد في اللسان : حلي بقلبي وعيني يحلى وحلا يحلو حلاوة اذا اعجبك وبعد ان نقل عن قوم من اهــل اللغة ما ذهب اليه المؤلف قال : وهذا ليس بقوي ولا مرضــي .

5) اشار ابن منظور الى ورود حمض بفتح الميــم وقال في القاموس : حمض ككرم وحفل وفرح .

6) الحماحم والحمحم الاسود ـ راجع الجواليقي (اصلاح ص 52) .

7) الجواليقي (اصلاح ص 46) .

8) قال الازهري : الحاج جمع الحاجة وكذلك الحوائج والحاجات وورد في القاموس وشرحه وحوائج غير قياسي وهو راي الاكثــر او مولــدة وكان الاصمعي ينكره ويقول هو مولد قال الجوهري وانما انكره لخروجه عن القياس والا فهو كثير في كلام العرب وقد اطال في شرح القاموس بكلام ابن بري حــول ورود حوائج في الحديث وشعر العرب واقوال اللغوييــن .

9) هذا الكلام منقول عن الجواليقي (اصلاح ص 24) والحميم بكسر الميم الماء الحار او العرق والحمة بفتح الحاء وكسرها مصدر للهيئة .

10) جاء في القاموس و « اللسان » ان حث هي حض وعن الازهري ان الحض الحث على الخير .

جملته حمى وتقول اذا وجدت سخونة في بدنك اجد حميا (1) والعامة تقول اجد حمى وقد بلغنا عن الصاحب ابن عباد انه راى احد ندماءه متغير السحنة فقال له ما الذي بك فقال حمى فقال الصاحب قه فقال النديم وه فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه .

بـــاب الخـــاء

تقول هذا الخـــوان بكسر الخاء لما يؤكل عليه الطعام ما لم يكن عليه طعام فاذا جعل عليه طعام فهو مائدة والعامة تسميه مائدة وان لــم يكن عليه طعـــام وتقول لما له فص خاتـــم فاذا لم يكن له فص فهـــو حلقة (2) والعامة تقول له خاتـــم كيف كان وتقـــول للذهب المصوغ هذا خلاص بكسر الخاء والعامة تفتحها وتقول لرؤوس الحلي وما يكسر منه خشل (3) باللام والعامة تقول خشر بالراء وهو الخلخـــال والخشخاش بفتح الخاء والعامة تكسره وهو الخطمـــي (4) بكسر الخاء وتشديد الياء والعامة تفتح الخاء ولا تشد الياء وهذا الخرنـــوب بضم الخاء والعامة تفتحها وفيه لغة اخرى الخروب (5) بضم الخاء من غير نون قال المفضل وهذا الصحيح لا الاول وهذه الخنفساء بالمد من غير هاء والخنفســة والعامة تقول خنفســاه (6) بزيادة الهاء وتقول في جمع خيشـــوم (7) وهو الانف خياشيـــم والعامة تقول مخاشيم وهي الخصية (8) والعامة تقول الخصوة وما بفلان خصاصة (9) اي حاجة والعامـــة تقول خساسة بالسين وهي الخرافات (10) بتخفيف الراء والعامة تشددها وتقول فلان خـــب (11) بفتح الخاء ولا تكسرها الا ان تقول فيه خب وهو الخـــداع وتقول خطيء (12) الرجل اذا تعمد الذنب فهو خاطيء ومنه الخطيئة ومنه قوله وان كنا لخاطئين واخطـــأ يخطيء اذا اراد شيئا فاصاب غيره قال عليه الســـلام اذا اجتهد المجتهد فاخطا فله اجر والعامـــة تقول في الكلمتين خطأ والصحيح ما قلنا قال بعض المتاخرين :

لا تخطون الى خطء ولا خطـــأ
من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا

فاي عذر لمن شابـــت مفارقـــه
اذا جرى في ميادين الهوى وخطـــا

وتقول خربش (13) الكتاب اذا افسده والعامة تقول خرمش بالميم وتقول في خمـــان (14) النـــاس والعامة تقول في غمار وتقول لمن هلك له من لا يتعوض منه كالاب خلف الله عليك اي كان لك خليفة منه ولمن هلك له ما يتعوض منه كالولد اخلـــف (15) الله عليك والعامة تقول فيهما اخلف الله عليك .

---

1) حميت الشمس والنار تحمى حميا بفتح الحاء وسكون الميم وبضم الحاء وكسر الميم اشتد حرهـــا (اللســـان) .

2) في (اللســـان) ان الحلقة الخاتم بلا فص وليس في اللسان ولا في القاموس وشرحه ان الخاتـــم لا تقال الا لما له فص ووافق صاحب متن اللغة ما عند المؤلـــف .

3) الجواليقي (اصلاح ص 35) .

4) نقل اللسان عن الازهري ان الخطمى بفتح الخاء وان كسر الخاء لحن في حين صدر ابن منظـــور انـــه بالوجهين اما الجوهري فقد اقتصر على الكسر وصدر الفيروزابادي بالكسر وقال انه يفتح .

5) اورد صاحب اللســـان الخروب بفتح الخاء .

6) الانثى خنفسة وخنفساء وخنفساءة حســـب اللســـان الذي نقل عن الاصمعي عدم صحة خنفساءة .

7) الجواليقي (اصلاح ص 37) .

8) في اللسان وتاج العروس عن ابي عبيـــدة انها بالضم لا بالكسر وجاء في التاج ان الخصوة بالضم لغـــة في الخصية كما جاء في الحديث في صفة الجنة قال شمار وهو نادر .

9) الجواليقي (اصلاح ص 40) .

10) الجواليقي (إصلاح ص 53) .

11) ذكر ابن منظور الوجهين .

12) صدر في اللسان بان خطيء بمعنى اخطا ثم حكى ما ذكره المؤلف .

13) الخربشة والخرمشـــة الافســـاد والتشويـــش (اللســـان) .

14) خمار الناس دهماؤهم وعن ابن الاثير بالجيم حسبما في اللسان حيث ذكر ان غمار الناس وخمارهم بضم الخاء وفتحها جماعتهم .

15) ذكر ابن منظور الوجهين فيهما وحكى عن الجوهري ما ذكره المؤلف .

بــاب الـــدال

تقول هذا **دلـف** بفتح اللام والعامة تضمها وهذه **الدوامـة** بضم الدال والعامة بفتحها وهذه **الدخـان** بتخفيف الخاء وجمعه دواخن والعامة تشدد الخـاء وتجمعه دخاخين وهـذه **دواب** (1) حسان **ودويبـة** حسنة بتشديد الياء والعامة تخففها وهذه **دجاجـة** والجمع دجاج والعامة تكسر الدال وهي لغة رديئة(2) وهذا **درهـم** بكسر الدال وفتح الهاء والعامة تفتح الدال وقال ابن الاعرابي العرب تقول درهم ودرهـم ودرهام وتقول هذه **دخاريص** (3) القميص وهي فارسية معربة والعامة تقول تخاريس وهذه **دمشق** بفتح الميم والعامة تكسره **والدهليز** (4) **والديبـاج** بكسر الدال والعامة تفتحها **والديزج** (5) بفتح الدال والعامة تكسره **ودستور** الحساب بضم الدال وهو قياس قول العرب كاسلوب وعرقوب وخرطوم والعامة تفتح الدال وتقول **الدستج** (6) الذي يدق به اعجمي معرب والعامة تقول الدستك وقد **دزى** فلان يدري بفتح الراء (7) والعامة تكسره وموضع دفىء مقصور مهموز والعامـة تقول دفى بتشديد الياء **والدية** (8) مخففة الياء والدم مخفف والعامة تشددهما **والدنيـا** لا تنون والعامة تقول هذه دنيا متعبة فينونونها وذلك غلط لان دنيا وما في وزنها مما لا ينصرف لا يدخله التنوين بحال وسمعت بعض المتعبدين يدعو اللهم اصلحنا في ديننا ودنياتنا وهـذا قبيح وتقول في النسبة الى الدنيا رجل دنياوي ودنيوي وقال شيخنا وفيها لغة إخرى دينـي والعامـة تقول دنيائي بهمزة قبل ياء النسب ولا وجه لذلك لانه اسم مقصور غير مصروف ولا منون والدنيا **دول** (9) بكسر الدال والعامة تضمها وتقول للذي يحمل الدواة **دووي** لان التأنيث تحذف من النسب كما تقول في النسبـة الى مكة مكي والى فاطمة فاطمي والعامة تقول دواتي فتثبت التاء وهو خطأ قبيح وتقول اتيت **دجلـة** بغير الف ولام كما تقول اتيت مكة والعامة تقول الدجلـة وتقول **دفقت** (10) الاناء بفتح الدال ادفقه بفتح الالف وكسر الفاء والعامة تقول ادفقته بزيادة الف ادفقـة بضم الالف وكسر الفاء وتقول للقميء الحقير **دميم**(11) بالدال المهملة والعامة تقول ذميم بالذال المعجمة وانما الذميم السيء الخلق ، وقرات على شيخنا ابي منصور قال الدمامة بالدال المهملة في الخلق وبالذال المعجمـة في الخلق وتقول **الدويبـة** كثيرة الارجل تدخل الاذن كثيرا **دخـال** (12) الاذن من الدخول وتسميه العرب حريش بالياء على وزن حريص والعامـة تقول دخان الاذن بالنون يشبهونه بالدخان ولا معنى لذلك وتقول للصوص دعار (13) بالدال المهملة مأخوذة من العـود الدعر وهو الذي يوذي بكثرة دخانه قال ابن مقبـل :

باتت خواطب ليلى يلتمسن لهـا
جزل الجذا غير خوار ولا دعـر

قال شيخنا ابو منصور وان ذهبت بهم الى معنى الفزع جاز ان يقال بالذال وتقول آخر **الدواء** الكـي والعامة تقول آخر الداء الكي .

---

1) الجواليقي (اصلاح ص 53) .
2) في لسان العرب ان فتح الدال افصح .
3) المعرب للجواليقي ص 64 والدخريص ما يوصل به بدن القميص والدرع ليوسعه (اللسان) .
4) هو ايضا بالكسر عند صاحب القاموس .
5) الجواليقي (اصلاح ص 48) وفي اللسان : الديزج معرب ديزة وهي لون بين لونين غير خالص وقد اهمل ذكره الخفاجي في شفاء الغليل .
6) الجواليقي (اصلاح ص 31) .
7) اي في الماضـي .
8) الجواليقي (اصلاح ص 53) .
9) الدول مثلثة الدال (القاموس) .
10) ادفق صحيحة كدفق (اللسان) و (متن اللغة)
11) ابو منصور الجواليقي (اصلاح ص 19) وفي اللسان عن ابن الاعرابي الدميم بالدال المهملة في قده والذميم في اخلاقه (مادة دمم) .
12) دخال الاذن فعال من الدخول (الجواليقي : اصلاح ص 38) .
13) الجواليقي (اصلاح ص 59) .

بـــاب الـــذال

تقول للجماعة القليلة من اناث الابـــل ذود (1) ولا يقال للذكر ذود والعامة لا تفرق وتقول هو **الذقن**(2) بفتح الذال والقاف والعامة تقول دقن بالدال المهملة واسكان القاف وهي **الذؤابة** بضم الذال مع الهمزة والعامة تفتح الذال وتشدد الواو وتقول بين الرجلين **دخل** (3) بالذال المعجمة والعامة تقولها بالدال المهملة وتقول وقع في الشراب ذباب ولا تقل **ذبابة** (4) والجمع القليل اذبة والكثير ذبان قال شيخنا ولهذا قال الله تعالى وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه فرد اليه الهاء وهي للواحد هذا ملح **ذرآني** (5) بفتح الراء والهمزة والياء بعد النون والعامة تقول اندراني وتقول للشيء الحديد الريح **ذفــر** وسواء كانت تلك الرائحة طيبة او خبيثة والعامة تقول زفــر (6) بالزاي وتقول هذا الرجل **ذو قرابتي** (7) قال الشاعر :

يبكي الغريب عليه ليس يعرفــه
وذو قرابته في الحي مســرور

والعامة تقول قرايتي وتقول قال فلان ذيت وذيت والعامة تقول كيت وكيت (8) كناية عن الافعال .

بـــاب الـــراء

تقول هذا **الرصاص والرضاع والريحان** بفتح الراء والعامة تكسره وهذه **رحيى** بفتح الراء وجمعها ارحاء والعامة تقول رحيي بكسر الـــراء وتجمعهـا ارحية (9) وتقول هذا **رخو** (10) والمال في **الرعي** (11) بكسر الراء والعامة تفتحها **والروزنة والروشن** (12) بفتح الراء والعامة تضمها ورغم (13) انفه بفتح الغين والعامة تضمها وهو **الــرق** الذي يكتب فيه ولا تكسر الراء الا ان تريد الملك وهي **الرئة** (14) بالهمز والعامة تشدد الياء **والرهاء** (15) بالمد مدينة والعامة تقصره ورضى (16) الله مقصور والعامة تمده ورفدت (17)

---

1 ، نقل اللسان عن ابي منصور ان الذود من الاناث دون الذكور ثم نقل عن ابي عبيد ان حديث « ليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة عام لان من ملك خمسة من الابل وجبت عليه فيها الزكاة ذكورا كانــت او اناثـــا .

2 ، الجواليقي ، اصلاح ص 58) .

3 ، قال ابو منصور : ذخل اي عداوة وحقد ، اصلاح ص 59) .

4 ، وفي القاموس الواحدة بهاء وفي اللسان والتهذيب يدونهـــا .

5 ، في متن اللغة بفتح الراء وسكونها شديد البياض

6 ، تقول العامة كذلك في المغرب زفـــر .

7 ، ما ذهب اليه المصنف مثله في القاموس والصحاح ووافقه الاكثرون ومثله في درة الغواص ونقل الزبيدي عن شيخه محمد بن الطيب الشرقي ان الذي انكره جوزه الزمخشري على انه مجاز اي على حذف مضاف وصرح غيره بانه صحيح فصيح نظما ونثرا ووقع في كلام النبوة .

8 ، في اللسان ان كيت وكيت حكاها سيبويه وهي واردة في الحديث .

9 ، في متن اللغة ان ارحية نادرة وانكرها الزجاج وابو حاتــم .

10 ، هي مثلثة حسب القاموس واشار الزبيدي الى ان التثليث ذكره ابن سيده واقتصر الجوهري على الكسر والفتح واقتصر الفراء والاصمعي على الكسر وقالا الفتح مولد .

11 ، الرعي بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر (القاموس)

12 ، كل ما جاء على فوعل فهو مفتوح الفاء نحو جورب وروشن وكوسج وروزنة (الجواليقي : اصلاح ص51)

13 ، الغين مثلثة كما في القاموس واللسان حيث نقل ابن منظور الضـــم عن الهجـــري وكذلـــك الزبيـــدي في تـــاج العـــروس .

14 ، الجواليقي ، اصلاح ص 54) .

15 ، الرهي كهدي عند الفيروزبادي .

16 ، الاسم الرضاء ممـــدود عن الاخفش والرضى مقصور مصدر محض (اللسان) وزاد الزبيدي في تاج العروس او مصدر راضي رضاء .

17 ، رفده اعطاه ورفده وارفده اعانـــه (اللســان والقـــامـــوس)

فلانا والعامة تقول ارفدته **ورسنت** (1) دابتي والعامة تقول ارسنتها **ورخص** السعر بفتح الراء وضم الخاء والعامة تضم الراء وتكسر الخاء وتقول قد هبت **الريـــاح** (2) والعامة تقول الارباح ولو قالوا الارواح كان صحيحا **والرباهية** (3) مخففة كالرفاهية والعامة تشدد الياء فيهما وهذا خبز **الرقاق** بضم الراء والعامة تكسره وتقول لبائع الروس رآس وهم يقولون رواس (4) وتقول افعل ذاك من راس والعامة تقول افعل ذاك من الراس (5) وتقول شممت بكسر الميم **رائحة** (6) كذا والعامة تقول شممت بفتح الميم راحة كذا فتحذف الياء وهو **الرزداق** (7) والرستاق ولا تقل رستاق **والراحلة** (8) اسم ما يركب في السفر من جمل او ناقة والجمع رواحل وانما تسمى راحلة لشد الرحل عليها ودخلت الهاء للمبالغة كقولهم راوية وداهية والعامة تخص باسم الراحلة الناقة النجيبة وتقول للقناة اذا كان لها زج وسنان **رمح** (9) والا فهي قناة والعامة تسميها رمحا كيف كانت وتقول للبعير او الحمار الذي يستقى عليه **راوية** (10) فاما التي فيها الماء فمزادة والعامة تسمي المزادة راوية وتقول لركبان الابل خاصة دون الفرسان **ركب** (11) والعامة تقوله لكل راكب وتقول للذي ينظر القوم من مكان مرتفع ربيئة (12) فاذا لم يرتفع فليس بربيئة والعامة لا تفرق وتقول اقطع هذا من حيث رك (13) اي ضعف والعامة تقول من حيث رق وتقول للكثير الاشغال راب (14) والعامة تقول مربوب وذلك قلت للكلام لان المربوب المصلح المربي وتقول **ردمت** الباب فهو مردوم اذا سددته والعامة تقول اردمته فهو مردم وتقول هذا **الراووق** والعامة تقول الراوق وهو غلط لانه ليس في كلام العرب فاعل والعين منه واو وتقول فلان احمق من **رجلة** ، قال شيخنا انما سميت حمقاء لانها تنبت في موضع جريان الماء فياخذها الماء فهي حمقاء لانها تنبت في غير موضعها وهي البقلة الحمقاء والعامة تقول احمق من رجلة تضيف ذلك الى قدمه وتقول رب (15) مال انفقته يشير الى القليل والعامة تقول رب مال كثير انفقته وفي هذا تناقض لان رب للتقليل فلا يخبر بها عن الكثير ، قال المفضل وتقول رميت (16) عن القوس وعلى القوس ولا تقل رميت بها .

---

1) رسن الدابة شدها وارسنها جعل لها رسنا او شدها بالرسن (اللسان) .

2) في اللسان ان الارباح والارايح حكيتا وكلاهما شاذ .

3) مثله في اللسان .

4) مثله في اللسان .

5) وفي اللسان : واعد علي كلامك من راس ومن الراس وهي اقل اللغتين واباها بعضهم وقال لا تقل من الراس قال والعامة تقوله .

6) مثله عند الجواليقي (تكملة اصلاح ص 42) .

7) مثله في اللسان والمعرب للجواليقي .

8) في اللسان خلاف ذلك لان الراحلة عنده هي التي يختارها الرجل على النجابة .

9) في القاموس ان القناة الرمح بدون قيد .

10) في القاموس وشرحه ان الراوية المزادة فيها الماء والبعير والبغل والحمار يستقى عليه وذكر الشيخ مرتضى عن شيخه ابن الطيب الشرقي الفاسي ان ظاهر المصنف اطلاق الراوية على الكل حقيقة وقيل هي حقيقة في الجمل مجاز في المزادة وقيل بالمكس .

11) وفي اللسان عن ابن بري ان الركب كان في الاصل لراكب الابل خاصة ثم اتسع فاطلق على كل من ركب دابة ومثله في القاموس وشرحه .

12) مثله في اللسان عن التهذيب .

13) في الاصل من حيث ركابي والصواب من حيث رك اى ضعف (راجع تكملة اصلاح ص 24) .

14) مثله في تكملة الاصلاح للجواليقي ص 16 وفي ذيل فصيح ثعلب لعبد اللطيف البغدادي (ص 6) : المربوب المصلح المربى فاما المصلح المهتم بامر غيره فهو الـراب .

15) مثله في اللسان عن ابى حاتم والزجاج وفي المغنى (ج 1 ص 143 طبعة دمشق) : وليس معناها التقليل وانما خلافا للاكثرين ولا التكثير دائما خلافا لابن درستويه وجماعة بل ترد للتكثير كثيرا وللتقليل قليلا .

16) مثله في اللسان عن ابن سيده .

بـــاب الـــزاي

تقول هذا الزهرون والزنبور بضم الزاي والعامة بفتحها وهذا زنبــرّ الثوب بكسر الباء مع الهمزة (1) ومثله الزئبــق والعامــة تفتحهما ولا تهمــز وهو الزمــاورد (2) والعامة تقول البزماورد وهي الزهــرة بفتح الهاء والعامة تسكنها والزنفليجــة (3) بكســر الزاي والعامة بفتحها وقد يقال لها زنفليجــة وتقول للجبة الفتوف زرمانقة (4) وهي عبرانية وقد تكلمت بها العرب والعامة تقول درنايقه والزبيل بفتح الزاي فان كسرتها زدتها نونا فقلت زنبيــل والعامــة تقول زنبيل بفتح الزاي (5) وهو الزمرذ بالذال المعجمة والعامة تقوله بالدال المهملة والزرنيخ بكسر الزاي والعامــة تفتحها (6) وتقول فيه زعارة (7) بتشديد الراء والعامة تخففها وتقول للعبد اللئيم زوش بفتح الزاي والعامــة تضمها (8) وزهقت نفسه بفتح الهاء والعامة تكسره (9) وتقول زردت اللقمة بكسر الراء والعامة تفتحها (10) واشتريت زوجــي (11) نعال ولا تقل زوج نعال لان الزوج اسم لكل واحد له قرين من جنســه وتقــول زت (12) الطعام اذا جعلت فيه الزيت والعامــة تقول زيته وتقول لاصل ذنب الطائر الزمكي والزمجي (13) والعامة تقول زمكاة والزهم (14) من الطير والدجاج والبط والدسم من دهن الشحــم والجــوز واللــوز والزيتون والودك من الابل والبقر والغنم والعامــة لا تفرق وتقول لمرسل الحمام زجــال باللام والزجل ارسال الحمام الهادي من مزجل بعيد وقد زجل به (15) يزجل والعامة تقول زجان وهو خطأ كذلك (16) قراته على شيخنا ابي منصور .

---

1) في اللســان عن ابن سيده انه بكسر الباء وضمها واقتصر ابن السكيت والليث على الضم ولعل الليث هذا هو الليث بن نصر بن سيار الخراساني الذي يرى بعضهم انه صاحب كتاب العين المنسوب للخليل (راجع المزهر للسيوطي ج 1 ص 77 طبعة القاهرة عام 1378 – 1958) .

2) ذكر الخفاجي في شفاء الغليل (ص 98) ان بزماورد ليس بغلط لانها فارسية وهو بفتح الزاي كذا في حواشي الكشاف وفي القاموس هو بالضم .

3) ذكر في اللسان الوجهين ونقل عن الجوهري الاقتصار على الكسر وزاد الجواليقي في المعرب (ص 76) الزرنفالجــــة .

4) في تكملة الاصلاح (ص 32) ان العامة تقول زرنبانقة وانما هي زرمانقة وهي عبرانية وفي شفاء الغليل (ص 98) زرنامقة بتقديم النون وفي المعرب للجواليقي (ص 76 طبع اوربا) الزرمانقة ونقل عن ابي عبيد ورودها في حديث عبد الله بن مسعود ان موسى لما اتى فرعون اتاه وعليه زرمانقة .

5) مثله في تكملة الاصلاح (ص 59) .

6) مثله في التكملة (48) .

7) حكى في اللسان التشديد ونقل التخفيــف عــن اللحيانــي .

8) مثلــه في التكملــة ص 51 .

9) ذكر في اللســـان ان الكســـر لغــة .

10) في اللسان الكســر والفتــح .

11) في القاموس واللسان انه يقال للاثنين زوجان وزوج وذكر ابن سيده انه لا يقال زوج حمام لان الزوج هنا هو الفرد وقد اولعت به العامة قال ابو بكر العامة تخطىء فتظن ان الزوج اثنان وليس ذلك من مذاهب العرب اذ كانوا لا يتكلمون بالـــزوج موحدا في مثل قولهم زوج حمام ولكنهم يثنونه فيقولون عندي زوجان من الحمام يعنون ذكرا وانثى وعندي زوجان من الخفاف يعنون اليمين والشمال .

12) نقل ابن منظور عن اللحياني ان زت القوم جعلت اديمهم الزيت وزيتهم اذا زودتهم الزيت .

13) مثله عند الجواليقي في تكملة الاصلاح (ص 31)

14) ما ذهب اليه المؤلف حكاه بصيغة التمريض كل من ابن منظور والزبيدي في شرح القاموس .

15) راجع تكملة الاصلاح للجواليقي ص 27 وابن منظـــور .

16) في الاصل لذلك ولعل الصواب كذلك .

باب السين

تقول سألت فلانا فبالغت في المسألة ومما يتساءلان والعامة تقول سايلته وابلغت في المسايلة وهما يتسايلان وتقول تعلمت العلم قبل ان يقطع سرك وسرورك (1) والعوام تقول قبل ان تقطع سرتك وذلك خطأ انما السرة هي التي تبقى بعد قطع السرر وتقول ساغ لي الشراب فهو سائغ والعامة تقول انساغ فهو منساغ وتقول سهل الشيء بضم الهاء ولفتح السين والعامة تضم السين وتكسر الهاء وسفل (2) الشيء بفتح الفاء والعامة تضم السين وتكسر الفاء وفلان من السفلة (3) ولا تقل هو سفلة لان السفلة جماعة وتقول سعرهم سواء والعامة تقول له اسعرهم وسن (4) عليه درعه بالسين المهملة والعامة تقول بالشين المعجمة وهو السميذع (5) والسفرجل (6) والسفود (7) والسمعوط والسحور والسفوف والسوسن لنوع من المشموم وقد جاءتنا سفنجة كله بفتح السين والعامة تضمها وهو السرداب والسقاية (8) وسلخ الحية (9) والسرقين (10) معرب اصله سرجين (11) كله بكسر السين والعامة تفتحها وهذه السراويل هذا المعروف من اوائل العرب وهي فارسية معربة وليس لها بالعربية اسم والعامة تقول سروال وتقول نحن في سنة (12) وكلنا قد سمن وقد جاءنا سبي بفتح السين منهن والعامة تكسرها وتقول في هذا سداد (13) من عوز بكسر السين والعامة تفتحها وهي السنون بكسر السين والعامة تضمها وتقول سففت الدواء بكسر الفاء والعامة تفتحها وسبحت في الماء بفتح الباء وسمحت لفلان بفتح الميم والعامة تكسرها والسجية بالسين وكذلك سجاو التنور والسلجم والعامة تقولها بالشين المعجمة (14) وفي العوام من يقول تلجم بالثاء (15) وهي السلاميات (16) بفتح الميم وتخفيف الياء الواحد سلامي والعامة تشدد الياء وتقول لاصحاب المتاع الاستيام (17) والعامة تقولها بالشين المعجمة وتقول سيلان (18) السكين بكسر السين واسكان الياء وانشدوا :

---

1) مثلـه في اللسـان .
2) سفل بفتح الفاء وبضمها في اللسان .
3) مثلـه في اللسان عن الجوهري .
4) في اللسان في مادة شن وشن عليه درعه يشنها شنا صبها ولا يقال سنها وقال في مادة سن وسن عليه الدرع يسنها سنا اذا صبها !
5) مثلـه في اللسـان .
6) مثلـه في التكملة ص 50 .
7) ذكر اللسان الوجهين .
8) مثلـه في التكملة ص 48 .
9) مثلـه في التكملـة ص 48 .
10) في المعرب للجواليقي مثله ص 83 طبع اوربا .
11) سرجين بالجيم كذا في الاصل ومثله في المعرب للجواليقي ص 83 وعند الخفاجي في الشفاء سرحين بالحاء ص 103 .
12) مثلـه في التكملـة ص 48 .
13) مثله في اللسان ونقل عن الصحاح انه يكسر ويفتح والكسر افصح واما السداد بالفتح فانما معناه الاصابة في المنطق والرمي .
14) مثله في تكملة الاصلاح للجواليقي ص 57 - 58 .
15) مثلـه في التكملـة ص 57 .
16) مثلـه في التكملـة ص 54 .
17) في التعبير قلق ومعنى الاستيام واضح .
18) أورد ابن منظور هذا البيت عن الجواليقي فنسبه للزبرقان بن بدر هكذا :

ولن أصالحكم ما دام لي فرس ، الخ

وهو في تكملة الاصلاح (ص 43) كذلك ولكن غير منسوب وفي كليهما لن يدل إن وكاف الخطاب بدل هاء الغائب ، والسيلان معناه كما في الصحاح ما يدخل من السيف والسكين في النصاب .

ولن اصالحهم ما دام لي فـرس
واشند قبضا على السيلان ابهامي

والعامة تقول سيلان بفتح السين والياء وقد سلم فلان من كذا بفتح السين ولا تضمها الا ان تريد به لدغ (1) وهي السموم (2) للريح الحارة ولا تضمها الا ان تريد جمع سم والسكران بفتح السين والعامة تكسره وتقول لما يرمي به من القوس اذا كان عليـه ريش ونصـل سهـم (3) والعامة تقول له سهم كيفما كان وهذا غلط لان العرب تقول له اول ما يقطع قضيب فاذا اشـدت عليه الحديدة فهو منجاب واذا ركب عليـه الريـش والنصل فهو سهم واذا كان طويلا فهو نشاب وتقـول للخيط من القطن سلـك فاذا كان من صوف فهـو نصاح (4) والعامة تقول للكـل خيط وتقول لمن دون الملك سوقة لان الملك يسوقهم فينساقون لـه على مراده قالت حرقة بنت النعمان :

فبينا نسوس الناس والامر امرنا
اذا نحن فيهم سوقة نتنصـف

والعامة تجعل السوقة اسما لعوام الناس ولاهل السوق والواحد من اهل السوق سوقي والجمع سوقيون (5) وتقول للبلدة التي استحدثها المعتصم سر من راي على مانطق به في الاصل فان المعتصم لما شرع في انشائها شق ذلك على عسكره فلما انتقل بهم اليها سر كل منهم برؤيتها فقيل فيها سر من راي ولزمها هذا الاسـم والعامة تقول سامرا وقدوهم البحتري او اضطر فقال في سلب ذلك :

اخليت منه البد وهـي قـراره
ونصبته علمـا بسامـراء (6)

وتقول هذه سميراء (7) لمنزل معروف بطريق مكـة والعامة تقولها بالصاد وتقول هذه سميرية (8) لضرب من السفن منسوبة الى رجل يقال له سمير وهو اول من عملها والعامة تقول سمارية وهو خطا وتقول جد القوم في السرى اذا ساروا ليلا والعامة تجعل السرى للمسير اي وقت كان وتقول لا اكلمك سائرا (9) اليوم اي ما بقي منه ماخوذ من سؤر الاناء وهو بقية ما فيه والعامة تشير بسائره الى جميعه وذلـك غلـط فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لغيلان وكان قد اسلم وعنده عشر نسوة اختر منهن اربعا وفارق سائرهـن وتقول لهذا الطائر السماني مخففة الميم مرسلة الآخر والعامة تقول سمان بتشديد الميم وسلاء (10) النخل شوكه الواحدة سلاة والعامة تقول سلي النخل الواحدة

---

1) ذكر ابن منظور في سلم بمعنى لدغ وجهين .
2) مثله عند الجواليقي والتكملة (ص 51) .
3) الذي في اللسان ونقله في تاج العروس ان السهم مركب النصل ونقلا عن ابن شمويل ان السهم هو النصل وفي المخصص (ج 6 ص 50) عن ابي حنيفة ان السهم ما له ريش وعقب ونصل والمنجـاب كما في اللسان ما بري واصلح ولم يرش ولم ينصـل والنصل كما في الافصاح في فقـه اللغـة (ص 295 ، حديدة السيف والرمح والسهم ما لم يكن لـه مقبض والنشاب النبل كما في اللسان .
4) لا يفرق صاحب اللسان بين الخيط والسلك والنصـاح .
5) مثله في التكملة ص 11 وحرقة هي بنت النعمان بن المنذر بن امرىء القيس اللخمية شاعرة (راجـع ترجمتها في الاعلام للزركلـي (ج 2 ص 184 وما به من مراجـع .
6) البيت من قصيدة اولها : زعم الغراب منبـىء الانباء ان الاحبة آذنوا بتناء
(راجع الديوان ج 2 ص 744 – 748 طبع بيروت 1911) .
7) ورد في معجم البلدان (م 3 ص 255 – 256) طبع بيروت ، سميراء بفتح اوله وكسر ثانيه بالمـد وقيل بالضم الى ان قال وهو منزل بطريق مكة بعد توزن مصعدا وقيل الحاقر واكثر الناس يقولـه بالقصر وقيل هما موضعان المقصور منهما هـو الذي في طريق مكة وليس فيه الا الفتح .
8) مثلـه في التكملـة ص 27 .
9) بعد ما وافق صاحب القاموس ما عند المؤلف كر انه قد يستعمل للجميع وعلق الزبيدي على ذلـك قائلا : وقد البته جماعة وصوبوه واليه ذهب الجوهري والجواليقي وحققه ابن بري في حواشي الدرة وانشد عليه شواهد كثيرة وانتصر لهم الشيخ النووي في مواضع من مصنفاته وسبقهم امام العربية ابو علي الفارسي ونقله بعض عن تلميـذه ابـن جنـي الخ .
10) مثلـه في التكملـة ص 60 .

سلية وتقول للذي به علة **السلال** (1) بفلان سلال والعامة تقول سل وتقول للذي يستقي القوم **ساق** والعامة تقول شارب وهو قلب للكلام وتقول للمراة سيدتي والعامة تقول ستي قال ابن الاعرابي ان كان من المؤدد فسيدتي وان كان من العدد فستتي ولا اعرف في اللغة لستي معنى قال شيخنا ابو منصور (2) وقد تاوله ابن الانباري فقال يريدون ياست جهاتي وهو تاول بعيد مخالف للمراد وتقول قد غلبت عليه السوداء والعامة تقول قد تسودن (3) يجعلونه تفعلن من المراة السوداء ولا يتصرف من المرة السوداء فعل ولو تصرف لم يدخل فيه نون وتقول **سحرت** من فلان والعامة تقول سحرت به قال المفضل ويقال اسود **سالخ** (4) غير مضاف ولا تقل صالح بالصاد .

باب الشين

تقول هذا **الشجر** (5) والواحدة شجرة وتفتح الشين والعامة تكسرها وشخص البصر بفتح الخاء وشهق (6) الرجل بفتح الهاء والعامة تكسرها وهي الشام على فعل لا غيره . قال الشاعر :

كيف نومي على الفراش ولما
تشمل الشام غارة شعواء

والعامة تقول الشآم (7) على فعال وذلك خطا **وشنف** (8) المراة بفتح الشين **وشراع** السفينة بكسر الشين والعامة تضمها **وشملت** الريح بفتح الشين والميم صارت شمالا والعامة تقول اشملت بالف وهم **شرع** (9) واحد بفتح الشين والراء والعامة تقول هم شرع واحد وهو **الشبت** بتشديد التاء والعامة تخففها وهو **الشحنة** بكسر الشين والعامة تفتحها وهو غلط قال شيخنا ابو منصور (10) وهو اسم للرابطة من الخيل في البلد من أولياء السلطان بضبط اهله وليس باسم للامير والقائد كما يذهب اليه العامة والنسبة اليه شحنى وشحنية ولا تقل شحنكية وهذه الكلمة عربية صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخيل اذا ملأته بها والفلك المشحون المملوء وتقول للسائل الملح **شحاذ** (11) بالذال من قولك شحذت السيف اذا بالغت في احداده والعامة تقول شحات بالتاء **والشرذمة**(12) القطعة من الشيء بالذال المعجمة والعامة تقولها بالدال المهملة وهي **الشفة** (13) بفتح الشين مع التخفيف والعامة تكسر الشين وتشدد الفاء وهي **الشقوق** (14) في اليد والرجل والعامة تقول الشقاق وذلك لا يقال الا في قوائم الدابة وتقول **شممت** (15) الشيء بكسر الميم والعامة تفتحها وتقول للذي تامره **شم** (16) يدك بفتح الشين والعامة تضمها وتقول

---

1) ذكر ابن منظور الوجهين اي السل والسلال .
2) راجع التكملة ص 29 .
3) في الاصل تسودت يجعلونه تفعل بدون نون واصحيح تسودن وهو لفظ معروف في العامية المغربية بالمعنى الذي اشار اليه المؤلف .
4) في اللسان السالخ من الحيات تسديد السواد واسود سالخ غير مضاف وذكر في حرف الصاد عن ابي حاتم انها بالصاد والسين .
5) مثله في التكملة ص 49 .
6) ذكر ابن منظور والفيروزابادي الوجهين في شق
7و8) في القاموس وشرحه الوجهان في الشام واورد الزبيدي عن ابن بري بيتا لابي الدرداء ميسرة يشهد لما انكره المصنف . الشنف بفتح الشين وتسكين النون كما في اللسان قيل هو الذي يلبس في اعلى الاذن والذي في اسفلها القرط وقيل هما سواء .
9) ذكر ابن منظور الفتح والتسكين .
10) راجع تكملة الاصلاح ص 48 حيث زاد بعد ولا تقل شحنكية ولا « شحنهية » .
11) مثله في التكملة ص 33 .
12) مثله في التكملة ص 59 .
13) حكى في القاموس الكسر ايضا .
14) مثله عند ابن منظور .
15) حكى صاحب القاموس واللسان الوجهين .
16) في اللسان اشممني يدك اقبلها وهو احسن من قولك ناولني يدك .

شغلتــه (1) بكذا والعامة تقول اشغلته وهو في شغل شاغــل والعامــة تقول في شغل مشتغــل وهــو الشهدانــج (2) بالجيم والعامة تقول شهدانك وهو الشطرنــج بكسر الشين على وزن جردحــل وتقول للحسن الاخلاق فلان حسن الشمائل والعامة تخص ذلك بحسن التثني والتعطف في المشي (3) ولا وجـه لذلك وهو الشعبي باسكان العين والعامة بفتحها وتقول ما شعرت (4) بكذا بفتح العين اي ما علمت به والعامة تضم العين وذلك لا يجوز الا اذا اردت اني ما صـرت شاعرا وتقول لمن اخذ شمالا في سعيه قد شـام (5) واذا امرته قلت شائم باهذا والعامة تقول قد تشاوم وانما يقال تشاءم لمن اخذ نحو الشام وتقول شفعت الرسول بآخر والعامة تقول شفعت الرسولين بثالث وهو غلط لان الشفع في كلامهم بمعنى الاثنين وتقـول للمريض شعالك (6) الله والعامة تزيد الفا فيفسـد المعنى لان معنى اشفاك القاك على شفا هلكة وتقول للكســاء الذي يطرح تحت السرج ويلقى طرفه الى كفل الدابة هذا الشليل والعامة تسميه الكنبوش وهو من تعريب المولدين ولم تعرف العرب ذلك وتقـول شتــان (7) ماهما قال الاصمعي ولا يقال شتان ما بينهما قال ابو حاتم فقلت له قال ربيعة (8) الرقي :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى

يزيد سليم والاغـر بن حاتـم

فقال ليس ببيت فصيح يلتفت الى قوله وانما هو كما قال الاعشى :

شتان ما يومـي على كورهـا

ويـوم حيـان اخـي جابـر

وتقول دابة شموس (9) والعامة بالسين تقولها بالصاد وتقول في تصغير الشي شييء (10) والعامة تقول شوي بالواو قال المفضل وتقول شكرت لك ولا تقل شكرتـك وقد جاء لكن الاول اجود (11) .

بـــاب الصـــاد

تقول هذه صنارة (12) المغزل بكسر الصاد (13) والعامة تفتحها وصنجة الميزان بالصاد والعامة تقولها

---

1) ذكر ابن منظور الوجهين وفي القاموس واشغله لغة جيدة او قليلة او رديئة ونقل الزبيـدي عن ابن دريد انه لا يقال اشغلته ومثله في شروح الفصيح وشرح الشفاء للشهاب والمفردات للراغب والابنية لابن القطاع ولا يعرف لاحد القول بجودتها عن امام من ائمة اللغة ثم نقل عن شيخه ابي الطيب الشرقي قوله « فاذن لا معنى لتردد المصنف فيها » ثم قال : « قلت ولعله استانس بقول ابن فارس حيث قال في المجمل لا يكادون يقولون اشغلت وهو جائز »

2) اقتصر الجواليقي في التكملة (ص 36) وفي المعرب (ص 92) والخفاجي في شفاء الغليل (ص 114) على شهدانج ومعربه الشنوم وهو شجـر له حمـل كحب الخروع .

3) مثلـه في التكملـة ص 21 .

4) ذكر صاحب اللسان والقاموس الوجهين في معنى علم ونظم وعقب الزبيدي بقوله : « لغتان ثابتتــان وانكر بعضهم الثانية والصواب ثبوتها ولكن الاولى هي الفصيحة .

5) في القاموس ان تشاءم بمعنى انتسب الى الشام واخذ نحو شماله .

6) ذكـر ابن منظـور الوجهيـن .

7) ورد في متن اللغة الوجهان ونقل قول البطليـوسي وقد انكر الاصمعي اشياء كثيـرة كلها صحيــح (الاقتضــاب ص 216) .

8) في الاصل ابو ربيعة وهو في الواقع ربيعة الرقي وشتان بدلا من لشتان ويريد بدل يزيد واسيد بدل سليم ولا يزيد بدل والاغر والبيت من ابيـات الشواهد المشهورة السائرة وهو من قصيدة طويلـة (راجع خزانة الادب لعبد القادر البغدادي ج 3 ص 46 — 48 طبعة بولاق — وارشاد الاريب لياقوت ج 4 ص 207 طبعة اوربا و ج 11 ص 134 — 136 طبعة القاهرة) .

9) ذكر ابن منظور في مادة شمص الوجهين .

10) وافق المصنف ما عند الجوهري ونقل الزبيدي عن شيخه ابن الطيب الشرقي ان الكوفيين حكوا الواو ايضا قال واستعملها المولدون في اشعارهم .

11) مثله في شرح القاموس نقــلا عن الفيروزابادي في البصائـر .

12)) القاموس وشرحه ان الكسر عن ابن الاعرابي ويفتح عن كراع .

13) وافق المصنف ما عند ابن السكيت وحكى ابن منظور الوجهين .

بالسين وصولجان بفتح اللام (1) والعامة تكسره واصله فارسي معرب ورجل **صعلوك** بضم الصاد والعامة تفتحها **والصماخ** (2) بالصاد والعامة تقوله بالسين **والصحراء** ممدودة والعامة تقصره وتزيد هاء **والصفر** (3) النحاس بضم الصاد والعامة تكسره وانما الصفر الخالي من الآنية وغيره **والصحناء** والصحناءة (4) ممدودان والعامة تقول صحنية وتقول هذا **الصوبنج** (5) ويسمى المرقاق ايضا والعامة تسميه الشوبك وتقول للاناء الذي يتطهر فيه من الخزف **صاخرة** (6) والعامة تقول ساخرة وتقول لعيد الفرس الذي يوقدون فيه النيران ليلا **السدق** (7) والعامة تقول السدى وتقول هذه **الصيفة** (8) والعامة تقول الصيفية بزيادة ياء وتقول **صعق** (9) فلان بفتح الساد ولا تضمها الا ان تريد من اصابته صاعقة وتقول **صلب** الشيء بضم اللام والعامة تضم الصاد وتكسر اللام وذلك اخبار عن المصلوب وتقول **صرفتسه** عما اراد والعامة تقول اصرفته وتقول فلان ياتينا **صباح** (10) مساء على اوصافه يريد ان ياتي في الصباح وحده لان التقدير ياتينا في صباح مساء وتقول ياتينا صباح مساء على فتح الاسمين يريد انه ياتينا صباحا ومساء فتحذف الواو العاطفة والعامة لا تفرق .

بـاب الضـاد

تقول **ضمر** البطن بفتح الضاد والميم والعامة تضم الضاد وتكسر الميم ومنهم من يفتح الضاد ويضم الميم (11) **والضفدع** (12) بكسر الضاد والعامة تفتحها **والضبع** بضم الباء وهو أسم للانثى والذكر ضبعان قال شيخنا ليس معنا شيء يغلب المؤنث على المذكر الا قولك ضبعان فاذا اردت تثنية قلت ضبعان والعامة تقول الضبع بتسكين الباء وانما الضبع (13) العضد ومنهم من يقول في الانثى ضبعة وتقول **ضرس** الرجل بفتح الضاد وكسر الراء والعامة تضم الضاد وتقول **ضعف** الشيء بفتح الضاد وضم العين والعامة تضم الضاد وتكسر العين وتقول قوى الله منك (14) ما ضعف والعامة تقول قوى الله ضعفك وهذا دعاء على الشخص لا له الا ان تريد بذلك قوي ضعيفك فانه قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ضعيف فقو من رضاك ضعفي .

بـاب الطـاء

تقول اعوذ بالله من **طوارق** (15) الليل والعامة تقول من طوارق الليل والنهار هذا غلط لان الطروق

---

1) مثله في القاموس وفي المعرب للجواليقي .
2) حكى ابن منظور الوجهين ذاكرا السين لغة فيه.
3) حكى ابن منظور والجوهري عن ابي عبيدة الكسر ايضا .
4) راجع تكملة الاصلاح للجواليقي ص 60 وهو ادام من السمك الصغير المملوح وفي القاموس يقصران ويمدان .
5) كان في الاصل صونج بالنون والصواب صوبج كجوهر ويضم قال ابو حيان في شرح التسهيل وهو شيء من خشب يبسق به الخبازون الجردق قال في القاموس وهو معرب .
6) تكملة الاصلاح للجواليقي ص 30 .
7) التكملة للجواليقي ص 42 وهو معرب سده بالسين لا بالصاد كما نقله ا صحاب الصحاح واللسان والتاج .
8) الصيفة بتشديد الياء مطر الصيف .
9) حكى صاحب اللسان ومتن اللغة الوجهين .
10) حكى ابن منظور عن سيبويه اتيته صباح مساء ان من العرب من يبنيه كخمسة عشر ومنهم من يضيفه الا في حد الحال او الظرف .
11) الذي في اللسان ان ضمر يفتح الميم وضمها .
12) في اللسان ان الكسر والفتح لغتان فصيحتان .
13) ذكر ابن منظور الضبع بفتح الضاد وسكون العين لغة في الضبع .
14) في الاصل ضنك ولعل الصواب منك .
15) مثله في التكملة ص 7 .

الاتيان بالليل خاصة وتقول قرات السبع **الطول** (1) بضم الطاء والعامة تكسر الطاء وانما الطول اسم للحبل وتقول لا اكلمك طوال الدهر بفتح الطاء والعامة تكسرها وتقول **طوبى** لك (2) والعامة تقول طوباك وتقول قد **طرشالو** به بفتح الطاء كما يقال طروبر الناقة اذا بدا صفاره وناعمه والعامة تضم الطاء وتقول لهذا طنراء والعامة تقول **طراوة** (4) وكذلك الرداءة (5) وعلى وجهه **طلاوة** (6) بضم الطاء والعامة تفتحها وهي لغة **والطيلسان** بفتح الطاء واللام والعامة تكسره **والطنجير**(7) بكسر الطاء والعامة تفتحها **وطرسوس**(8) بفتح الراء والعامة تسكنها **والطنبور** بضم الطاء والعامة تفتحها **وطردته** (9) فذهب والعامة تقول فانطرد وتقول قد **طرب** (10) الرجل اى قد خف لشدة فرح او حزن قال ابن الانباري والعامة تظن ان الطرب لا يكون الا مع الفرح وهو خطأ منهم .

باب الظاء

وتقول للفصيح اللسان **ظريف** (11) والعامة تجعل الظرف في حسن اللباس واكثره خاصة وهو غلط قال ثعلب الظريف يكون حسن الوجه وحسن اللسان الظرف في المنطق والجسم ولا يكون في اللباس قال الحسن اذا كان اللص ظريفا لم يقطع اي اذا كان بليغا فصيحا احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد وقال المبرد الظريف مشتق من الظرف وهو الوعاء كانه جعل الظريف وعاء للادب ومكارم الاخلاق وتقول قد ظرف الرجل بفتح الظاء وضم الراء والعامة تضم الظاء وتكسر الراء وهو **الظفر** بضم الظاء والعامة تكسره وتقول لا تزالون بخير ما دام العلماء بين ظهرانيكم بفتح النون والعامة تكسره وتقول للمراة اذا كانت في هودجها **ظعينة** (12) فاذا لم تكن في هودجها فليست ظعينة على كل حال .

(يتبع)

---

1) مثله عند ابن منظور .
2) حكى صاحب اللسان عن الاخفش الوجهين وان اكثر النحويين على ما ذهب اليه المصنف كما حكى ذلك ايضا الخفاجي في شفاء الغليل .
3) نقل الزبيدي في التاج عن الازهري البناء للمجهول لغة والافصح الاول .
4) ذكر اللسان الوجهين .
5) مثله في اللسان .
6) مثله في اللسان ونقل عن ابن الاعرابي انه بالفتح فقط وان الضم لما يطلى به .
7) مثله في القاموس واغفله الجوهري والجواليقي وابن منظور .
8) مثله عند ياقوت في معجم البلدان .9) حكى ابن منظور عن الجوهري ان انطرد واطرد لغة رديئة .
10) حكى ابن منظور قولا في ان الطرب هو الفرح .
11) مثله في التكملة للجواليقي وحكى ابن منظور في معنى الظرف قولا انه حسن الهيئة .
12) في اللسان ان الظعينة الجمل والهودج تكون فيه المراة وقيل هو الهودج كانت فيه او لم تكن والظعينة المراة في الهودج وعن ابن السكيت كل امراة ظعينة في هودج او غيره .

أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

- دور اللغة العربية واهميتها فى العصور الوسطى وفي الحالة الراهنة .

  للاستاذ يوسف بيلافسكي

- اللغة العربية اداة دولية لتبليغ الكشوف العلمية.

  الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

- ابن خلدون وبيئته الاجتماعية .

  الاستاذ سفيتلانا باسيفا

- المظهر الاجتماعي للاراء .

  الاستاذ يوسف بيلافسكي

- حلقة دراسية حول الثقافة الانسانية .

  المكتب الدائم لتنسيق التعريب

Cercle d'Études sur la Culture Humaine

Nous avons adressé la lettre suivante à un certain nombre d'hommes de lettres et de savants occidentaux :

Le Bureau Permanent d'Arabisation a l'intention d'organiser un cercle d'études sur la culture humaine, dans le but d'une universalisation de la culture arabe et d'une coopération internationale dans le domaine de la pensée, par l'apport mutuel et le développement des échanges culturels entre l'Orient et l'Occident.

Le Bureau Permanent d'Arabisation vous suggérera une série de thèmes touchant particulièrement aux bases, aux données et aux caractéristiques de chaque culture nationale, et ce, à travers des exposés et des analyses de travaux littéraires ou scientifiques élaborés par des spécialistes qualifiés de chacun des pays participants.

Une telle collaboration nous permettrait de réaliser sur les données de la pensée moderne, le processus de son développement et l'essor des recherches scientifiques contemporaines des synthèses générales que nous avons l'intention de diffuser largement de par le Monde.

Nous vous proposons donc pour l'année 1970 le thème suivant :

« Données et caractéristiques de la littérature de votre pays »

Ensuite les Arabes se répandirent dans les autres pays à l'Ouest, conquirent l'Afrique du Nord et l'Espagne. Les Abbassides fondèrent leur capitale, Bagdad, où l'écriture arabe, la calligraphie étaient à l'honneur grâce au niveau élevé de la civilisation dans cette capitale de l'empire arabe, dans ce centre célèbre de l'Islam (18).

Mais, continue Ibn Khaldoun, quand l'empire musulman devint faible, quand commença la décadence de la culture et on ne demanda plus de livres, on n'organisa pas de bibliothèques, etc., l'art de la calligraphie ne fut plus recherché (19).

Telles sont à peu près les idées d'Ibn Khaldoun sur la dépendance entre l'écriture, la belle calligraphie et la situation culturelle d'un Etat : l'art de la belle écriture est aussi un phénomène social et culturel.

Comme nous voyons de ces remarques prises au hasard, Ibn Khaldoun fut un penseur original non seulement dans le domaine de l'histoire, de la sociologie et de la politique, il le fut aussi dans le domaine de la langue et de la littérature arabes et donna des preuves de son indépendance d'opinions. Il liait les changements survenus dans la langue et dans la littérature avec les transformations qui s'effectuaient dans la société et la culture, c'est-à-dire qu'il donnait une base sociologique aux phénomènes linguistiques et littéraires.

Bien qu'il puisât le matériel de ses considérations chez les spécialistes de la langue et de la littérature, les appréciations et les opinions qui, souvent, diffèrent de celles de ses prédécesseurs, sont bien de lui. Ibn Khaldoun donne une image linguistique et littéraire fidèle de l'époque qui lui était contemporaine. Il distingue la langue *mudar* (langue des Arabes anciens) et la langue élaborée par les philologues et lexicographes ; d'autre part, il distingue les dialectes arabes bédouins, continuation parlée de la langue *mudar*, et les dialectes des citadins, habitants des grandes villes, différents à l'Est et à l'Ouest, nés dans des milieux sociaux nouveaux, différents l'un de l'autre mais sur la base de la langue arabe ancienne. Les dialectes occidentaux les mieux connus de l'auteur, l'andalou et le maghrébin, résultent des milieux ethniques et linguistiques différents.

Parallèlement à ces différences dans le domaine de la langue arabe se déroulait la situation dans la littérature arabe qui, elle aussi, dépend du milieu social et du niveau culturel de la communauté arabe.

Ibn Khaldoun louait la beauté de la langue arabe, sa concision et son éloquence ; et il ne se contentait pas d'être un théoricien. Son ouvrage le plus original, la *Mukaddima*, qui a fourni le sujet des présentes réflexions, son autobiographie *At-Ta'rif bi-ibn Khaldoun* sont de beaux monuments de la prose arabe éloquente, riche en comparaisons et pourtant sans préciosité et sans artifices ; ils sont d'autant plus précieux qu'ils proviennent de l'époque de la décadence générale de la culture et de la littérature arabes.

(18) Ibid. p. 955.
(19) Ibid. p. 956-957.

tate Ibn Haldun, que ces personnes étaient des non-Arabes seulement d'origine. Ils ont grandi parmi les Arabes qui parlaient une langue parfaite. Ils se trouvaient, dans un certain sens, dans la position des enfants arabes élevés parmi les Arabes-Bédouins, qui acquirent une connaissance parfaite de la langue. Et bien que non-Arabes d'origine, ils étaient des Arabes par l'éducation. Ils vivaient à une époque d'épanouissement de la culture arabe, quand la langue arabe se trouvait au sommet du développement et quand l'habitude de la belle langue n'était pas encore disparue, même parmi les habitants des grandes villes » (14).

Et encore une fois Ibn Haldun revient au problème des dialectes arabes quand, en Orient et en Occident arabe, l'hégémonie, la domination arabe touche à son terme. La culture et la littérature arabes tombent en décadence, l'habitude de la belle langue disparut.

Au Maghreb la majorité des Berbères, élément indigène de l'Afrique du Nord, décidaient de l'état de la langue arabe. Leur langue était celle du pays, à l'exception de certaines grandes villes. L'arabe y fut submergé par le berbère, ce qui abaissa le niveau de la langue arabe et du goût linguistique.

La situation était meilleure en Andalousie où fleurissaient les belles-lettres et la poésie, les sciences philologiques, où on lisait les ouvrages classiques (15).

A l'Est aussi, pendant la domination des dynasties étrangères, des Deylemites et des Turcs, la connaissance de la langue arabe se rétrécit, les nouveaux éléments ethniques et linguistiques prirent le dessus, même dans les grandes villes, dont les habitants s'éloignaient de la langue arabe pure. Le nouveau milieu social ne permettait pas d'acquérir l'habitude d'une langue arabe classique parfaite. Aussi trouvons-nous leur langage (imparfait) dans les ouvrages de cette époque, dans la poésie et dans la prose (16).

3. *L'ATTITUDE D'IBN KHALDOUN ENVERS LA LITTERATURE EN POESIE ET EN PROSE*

Après des considérations sur la langue arabe et ses dialectes, Ibn Khaldoun s'arrête sur « deux genres » littéraires de la langue arabe : la poésie et la prose. Ici encore son jugement est très sage et réel, et d'autant plus digne d'attention qu'il l'énonce à l'époque de la décadence de la littérature arabe, quand le bon goût littéraire disparait, quand la prose imite la préciosité de la poésie. Ibn Khaldoun dit que chacune d'elles a ses proprers « chemins » *(uslub)*, thèmes et domaines. Et il n'est pas bon que la poésie imite les « chemins » de la prose qui en devient moins claire et moins compréhensible. C'est alors la décadence de la prose artistique saine, naturelle ; elle témoigne de la perte du goût littéraire.

Ce qui est extrêmement intéressant pour nous, ce sont les renseignements d'Ibn Khaldoun sur la poésie arabe en général et sur la poésie contemporaine non classique, par exemple la poésie strophique andalouse, *muwassahat* et *azzajal*, répandue aussi au Maghreb et en Orient, ainsi que sur la poésie bédouine en particulier.

L'auteur énumère plusieurs genres de la poésie populaire : *mawaliya, kan-wa-kan, kuma, baddawi, haurani*, etc., et indique leur structure. Il cite aussi leurs principaux représentants et théoriciens, par exemple Safi ad-Din al-Hilit. Il donne une juste appréciation de la valeur artistique de cette poésie, alors que la production littéraire populaire était dédaignée par les auteurs arabes. Ibn Khaldoun nous présente un assez riche matériel de la poésie bédouine du Maghreb qui lui était bien connue, ce qui nous donne une idée juste de cette poésie à son époque, d'autant plus que nous ne la connaissons pas d'autres sources. Il s'arrête sur la forme de cette poésie, sur sa structure et sa langue, ainsi que sur son contenu. Toute cette création littéraire, classique et dialectale, urbaine et bédouine, résulte d'un milieu social spécifique et porte son cachet. Ibn Khaldoun reste toujours sur son terrain sociologique.

4. *SOCIOLOGIE DE LA CALLIGRAPHIE ARABE*

Arrêtons-nous encore quelques instants sur l'écriture et la calligraphie arabes, telles que les voit Ibn Khaldoun. Il est naturel qu'il les apprécie d'une position sociologique comme un art ou un métier. Il dit en l'espèce que le développement de l'écriture est conditionné par la société sédentaire et la culture. C'est pourquoi les Bédouins sont en général illettrés (17). D'autre part, dit Ibn Khaldoun, l'écriture est un art qui aide la société à se développer et favorise sa culture. L'imperfection de l'écriture n'est pas due, par exemple, au manque de religion ou de morale mais aux causes économiques et sociales, à la situation culturelle. Quand les Arabes eurent conquis beaucoup de pays et fondé leur empire, ils s'établirent à Basra et à Koufa, et eurent besoin de secrétaires, puis de calligraphes. Alors l'écriture arabe se perfectionna à Basra et à Koufa.

(14) Ibid. p. 1281.
(15) Ibid. p. 1284.
(16) Ibid. p. 1285.
(17) *Mukaddima*, éd. d'Abd al-Wahid Wafi, partie III, p. 949.

2. SOCIOLOGIE DE LA LANGUE ARABE

Ibn Haldun présente sa propre théorie de la langue qui, dans une grande mesure, diffère de celle des philologues arabes (11). Il souligne toujours la dépendance de la langue et de ses formes dialectales du milieu social. La langue, dit Ibn Haldun, est une habitude *(malaka)*. C'est la capacité de réunir les mots de manière à exprimer la pensée. L'habitude naît de la répétition ; après de nombreuses répétitions l'habitude s'enracine, comme cela a lieu dans l'apprentissage d'un métier ou d'un art *(sina'a)*. Ensuite Ibn Haldun poursuit ses observations de nature sociologique et lie les phénomènes de la langue arabe à l'état de la société et de la culture arabes. Aussi longtemps que les Arabes restaient dans leur pays sans se mélanger avec les non-Arabes, l'habitude de la langue arabe correcte était observée. La connaissance de la langue parfaite se transmettait de génération en génération. « C'est ainsi que l'on comprend l'affirmation que les Arabes-Bédouins ont un bon langage inné, dit Ibn Haldun. L'habitude de la langue arabe parfaite se détériora chez les Arabes Mudar (les Arabes purs, branche du nord, chez qui naissait la langue *'arabiyya* et la poésie ancienne) quand ils eurent des contacts avec les 'Agam, c'est-à-dire les non-Arabes. Les générations nouvelles entendaient d'autres manières de s'exprimer, formulées non dans l'esprit de la langue arabe pure, puisque les Arabes avaient des contacts avec des étrangers... En résultat la langue se gâta, une habitude nouvelle naquit, inférieure à la précédente. La langue ne conserva sa pureté que dans quelques tribus bédouines éloignées des autres peuples. Telle est la signification de l'expression : la corruption de la langue arabe », conclut notre auteur.

D'après Ibn Haldun les Quraychites qui étaient éloignés des pays non arabes parlaient le langage le plus correct. Ils étaient suivis par les tribus voisines : Thakif, Hudhayl, Khuza'a, Kinana, Asad, Tamim et d'autres... Les Arabes du Yemen qui voisinaient avec les Persans, les Byzantins et les Abyssins perdirent leur habitude linguistique, leur langue arabe n'était pas pure.

Ibn Haldun s'arrête sur les dialectes arabes, bédouins et urbains. Il dit très justement que l'arabe-bédouin est un dialecte différent de la langue *mudar*, c'est-à-dire de la *'arabiyya* classique. Pourtant, en principe, la langue arabe-bédouine suit la langue *mudar* (classique). Seule est survenue une disparition partielle des voyelles finales (flexion), l'*i'rab*. Mais l'ordre des mots et la syntaxe restent ainsi que l'éloquence. Les grammairiens qui estiment que l'éloquence disparut avec la disparition des voyelles finales *(i'rab)* font erreur. Ibn Haldun souligne que les Bédouins continuent à être un modèle de correction en prononciation et en langage parlé.

Une situation différente s'observe dans les dialectes urbains arabes. La langue parlée par les citadins se façonnait dans des conditions nouvelles, dans un entourage ethnique et social nouveau. En résultat le langage ou dialecte de la population sédentaire et des habitants des métropoles est différent de la langue *mudar* (classique) et de la langue des Bédouins. C'est grâce aux changements politiques et sociaux dans la communauté arabo-musulmane que la langue arabe a subi cette transformation et différenciation. Le langage parlé urbain contient de nombreux changements et de déviations de sens. Selon les villes et les régions il présente des différences dans la signification des mots, dans la prononciation, etc. Ibn Haldun dit ce qui suit : « Le fait que la langue parlée aujourd'hui dans les villes soit plus éloignée de l'ancienne langue arabe que le langage des Bédouins contemporains, résulte de l'éloignement de l'ancienne langue (classique), des contacts avec les non-Arabes et du mélange avec ces derniers. Comme nous avons constaté, continue Ibn Haldun, la langue est une habitude, un art qui se perfectionne par la répétition. Plus les gens écoutaient les non-Arabes et plus ils s'éloignaient de la pure langue arabe, d'autant plus se détériorait leur habitude linguistique. D'autre part, dit notre auteur, la situation était différente dans les villes du Maghreb, d'Espagne et de l'Est. En Afrique et dans le Maghreb les Arabes se mélangèrent aux Berbères qui forment la majorité de la population. L'élément non-arabe domine ainsi la langue arabe et l'arabe — dialecte maghrébin — est plus éloigné de l'arabe classique que les autres dialectes arabes. A l'Est aussi, continue avec raison Ibn Haldun, les Arabes dominaient (tout au moins pendant un certain temps) sur les autres peuples, les Persans et les Turcs ; leurs langues se mélangeaient à la langue arabe et un dialecte nouveau naissait » (13).

A l'occasion Ibn Haldun se défend contre l'argument présomptif qu'il y eut de grands spécialistes et connaisseurs de la langue arabe qui n'étaient pas des Arabes. « On ne peut argumenter que Sibawayhi, al-Farisi, az-Zamahsari et d'autres qui font autorité dans la langue arabe n'étaient pas des Arabes, et pourtant ils possédaient une excellente habitude de la langue arabe et de son goût *(dawk)*. Mais souvenons-nous, cons-

(11) Une caractéristique de cette théorie a été donnée par T.B. Irving dans un article intitulé *A fourteenth-century view of Language*, publié dans Mémorial Ph. Hitti, *The World of Islam*, London 1960 (pp. 185-192).
(13) Op. cit., pp. 1274-1275.

de toutes les dispositions de la loi religieuse » (5). La première et la plus importante des sciences linguistiques, d'après Ibn Haldun, est la grammaire car elle indique les principes fondamentaux utilisés pour exprimer ce que l'on veut dire; l'enseignement de la grammaire est selon lui plus important que celui de la lexique, son ignorance rendant difficile la compréhension. L'auteur donne ensuite une explication sociologique quand et pourquoi se fit sentir le besoin de la grammaire : les Arabes n'avaient pas besoin de l'art d'enseigner les différents sons des mots. Les règles naissaient avec l'usage, devenaient une coutume que les générations se transmettaient depuis l'enfance. « Puis vint l'Islam, les Arabes quittèrent le Higaz à la recherche du pouvoir qui se trouvait en possession des peuples et dynasties étrangères. Ils se mélangèrent aux non-Arabes et leur coutume change... C'est ainsi que la langue se gâta en assimilant des formes étrangères, puisque les Arabes les écoutaient parler. Et les hommes instruits craignaient que l'habitude [de parler correctement] se gatât complètement si ce processus se prolongeait et que le Coran et le *hadit* finiraient par être incompris. Aussi déduisirent-ils de leur langage des règles à cette habitude » (6). Ibn Haldun mentionne de grands *imams* de la grammaire arabe comme al-Halil ibn Ahmad et Sibawayhi, et les écoles de Basra et de Koufa qui élaborèrent les principes généraux et les règles de la grammaire arabe classique, et la science de la grammaire s'épancuit avec les autres sciences arabes pendant quelques siècles. « Mais cet art, continue Ibn Haldun, commença à s'évanouir quand nous vîmes la décadence des autres sciences et arts et la décroissance de la civilisation» (7).

Le second pilier de la langue, le lexique, explique le sens des mots. Ici aussi, tout comme dans le domaine de la grammaire arabe, quand l'habitude de la langue arabe se gâta, il fallut intervenir : « La langue continuait à se détériorer en résultat des contacts entre les Arabes et non-Arabes. La détérioration s'étendit au sens des mots qui n'étaient plus utilisés dans leur sens primitif, en résultat des fautes de grammaire qui se glissaient dans le langage des peuples arabisés, dans leur terminologie (8). Dans cette situation il devint nécessaire de protéger la signification des mots et d'élaborer des dictionnaires. Et de grands maîtres de la lexicographie apparurent : al-Gauhari, Ibn Sida, Ibn Durayd, Ibn al-Anbari, az-Zamahsari, et d'autres.

'Ilm al-bayan, le troisième pilier de la langue arabe concerne la syntaxe, le style et la rhétorique. L'auteur remarque justement que cette science est née dans la société après la science de la langue (grammaire) et la lexicographie, qu'elle est le résultat de la philologie arabe. Ibn Haldun donne une preuve de sa compétence dans ce domaine théorique et de sa connaissance approfondie de la littérature arabe. Il évoque de grands maîtres de la rhétorique et stylistique arabes en Orient, en Andalousie et au Maghreb. Il s'arrête spécialement sur l'éloquence du Coran — *i'gaz al-Kur'an* — et en explique la signification. Il souligne (et c'est cela qui nous intéresse) la beauté et la perfection de la langue du Coran, résultat du milieu arabe pur où est né ce Livre d'Allah. Ce sont les Arabes qui ont entendu le Prophète lui-même prêcher les sourates du Coran, qui l'ont le mieux compris. Ensuite il a fallu des commentaires quand les non-Arabes sont entrés dans l'Islam et que la communauté musulmane est devenue multinationale. Le meilleur commentaire au Coran préparé du point de vue de l'éloquence *(al-balagha wa'l-bayan)*, dit Ibn Haldun, a été écrit par az-Zamahsari : *Al-Kassaf*.

Sociologue, Ibn Haldun souligne que les « gens d'Orient » s'intéressaient beaucoup à *'ilm al-bayan*. Il dit textuellement :

« En somme les Orientaux étaient plus forts dans ce domaine que les Occidentaux. Et la cause de cela — et Allah le sait le mieux — c'est que cet art est un luxe (une perfection) dans les sciences linguistiques; et les arts luxueux se trouvent dans l'abondance de la civilisation. Et l'Orient était plus riche au point de vue civilisation que l'Occident, comme nous l'avons déjà mentionné » (9).

En caractérisant le dernier pilier des sciences de la langue arabe *('ilm al-adab)*, Ibn Haldun constate que « cette science n'a pas de sujet spécial ». Pour définir cette branche, il cite l'opinion des autres et il est intéressant de connaître la signification du mot *adab* à cette époque : « Quand ils veulent définir cette science ils disent : *Al-adab*, c'est la conservation dans les mémoires des poésies et de l'histoire des Arabes, c'est l'assimilation d'une science qui constitue une partie des sciences de la langue ou des sciences religieuses, du point de vue de leurs textes seulement » (10). A l'occasion Ibn Haldun préconise la grande valeur de l'œuvre d'Abu 'l-Farag al-Isfahani : *Kitab al-Aghani*, très connu en Occident arabe également.

(5) Ibid.
(6) Op. cit., p. 1256.
(7) Ibid. p. 1257.
(8) Ibid. p. 1258.
(9) Ibid. p. 1265.
(10) Ibid. p. 1267.

par de Slane en 1862-1868. De nombreuses études lui furent consacrées, en particulier à ses opinions sociologiques et économiques ainsi qu'à ses opinions sur le droit, la religion, l'histoire et la culture en général. La bibliographie des études consacrées à Ibn Haldun, écrites en Occident et en Orient, comprend environ quatre cents livres ou articles (1), ce qui témoigne de l'intérêt porté à l'œuvre de ce personnage remarquable.

Pourtant jusqu'à présent on n'a pas étudié plus à fond ses opinions sur « les sciences de la langue arabe », c'est-à-dire sur la langue dans ses divers aspects et sur les lettres, la poésie et la prose, qu'il présente aussi comme des phénomènes sociaux. Ibn Haldun consacre la dernière partie de la *Mukaddima* à ces sciences arabes par excellence et les traite d'une façon originale, digne de notre attention.

Ainsi, la forme même de son œuvre, sa langue et son style, sa terminologie n'ont pas été étudiés convenablement bien qu'on se fût intéressé à certaines de ces questions. Et il me semble nécessaire d'élaborer la terminologie et la stylistique de cet auteur pour bien comprendre sa pensée ; Ibn Haldun a conçu une science nouvelle pour laquelle il a créé des termes nouveaux inconnus auparavant ou bien il a usé de mots communs en leur donnant une signification scientifique.

Depuis quelque temps je m'occupe d'Ibn Haldun, de sa vie mouvementée et de sa pensée sociologique, et j'ai publié deux articles dans des revues polonaises (2). Ce qui m'intéresse, ce sont des problèmes négligés jusqu'à présent : 1) les opinions d'Ibn Haldun sur la langue et la littérature arabes ; 2) la langue, la terminologie et le style d'Ibn Haldun. Je prépare deux études sur ces thèmes.

Je désire présenter ici brièvement quelques remarques sur le premier de ces thèmes en attirant l'attention sur l'aspect sociologique des opinions d'Ibn Haldun sur la langue et la littérature, la poésie et la prose arabes.

Comme je l'ai écrit plus haut, Ibn Haldun nous parle de la langue et de la littérature arabes dans la dernière partie de sa *Mukaddima*. Cette partie commence par le chapitre : « Les sciences de la langue arabe ». L'auteur partage ces « sciences » en grammaire (an-nahw), lexicographie (al-luga), éloquence (al-bayan), c'est-à-dire rhétorique et stylistique, et la littérature (al-adab). Dans les chapitres qui suivent nous trouvons des considérations théoriques à base sociologique, qu'Ibn Haldun préférait, sur la langue en général et la langue arabe en particulier, sur le développement de la langue et les changements qu'elle subit au cours des siècles selon les groupes sociaux, nomades ou sédentaires, selon leur isolement ou leur voisinage avec d'autres peuples, etc., et ensuite sur l'éloquence qui se manifeste en poésie et en prose. Ibn Haldun s'arrête sur la poésie arabe ; d'abord sur la poésie classique (si'r), et ensuite sur la poésie strophique, classique et dialectale, née en Andalousie : la *muwassaha* et le *zagal*, et les autres genres de la poésie populaire répandus en Andalousie, au Maghreb et en Orient arabe. De cette façon Ibn Haldun donne un tableau assez fidèle de la situation linguistique et littéraire du monde arabe à son époque. Et ce qui est spécialement important pour nous, il s'occupe des dialectes arabes et de la poésie populaire dialectale qui étaient négligés chez les Arabes, en les commentant comme des phénomènes sociaux, ce qui prouve la sagacité et le bon sens de ce penseur.

Considérons d'un peu plus près certaines opinions d'Ibn Haldun sur « les sciences de la langue arabe », en soulignant leur aspect sociologique.

1. *CARACTERISTIQUE GENERALE DES « SCIENCES DE LA LANGUE ARABE »*

Dans ses considérations linguistiques et littéraires Ibn Haldun analyse sommairement des ouvrages d'auteurs arabes et met à profit sa propre expérience. Mais comme dans de nombreux autres domaines, dans celui de la langue et de la littérature Ibn Haldun faisait également preuve de criticisme et énonçait des jugements très justes. Il dit au commencement (3) : « Il y a quatre piliers de la langue arabe : la lexicographie, la grammaire, l'éloquence (la manière de s'exprimer clairement) et la littérature (4) ». Tout de suite après il souligne qu'ils sont étroitement liés avec les sciences religieuses : « Leur connaissance est indispensable à ceux qui s'occupent des sciences religieuses, car le Coran et la Sunna, écrits dans la langue des Arabes, sont la source

(1) Une telle bibliographie jointe au volume III de la traduction anglaise de la *Mukaddima* faite par F. Rosenthal (New-York), préparée par W.J. Fischel comprend plus de 350 positions, et les études sur Ibn Khaldoun ne cessent de se multiplier.

(2) J. Bielawski, *Ibn Khaldoun, historyk, filozof i socjolog arabski z XIV w.*, « Przeglad Orientalistyczny » N. 2/22, 1967. J. Bielawski, *Tworca socjologii w swiecie islamu Ibn Khaldoun i jego poglady na kultura i spoleczenstwo*, « Kultura i spoleczenstwo », T. III, z. 2, (1959), Varsovie.

(3) Toutes les citations qui suivent se basent sur l'édition critique de la *Mukaddima*, préparée par 'Abd al-Wahid Wafi : *Mukaddima Ibn Khaldoun*... 4ᵉ partie (pp. 1152-1352), Le Caire 1962.

(4) Op. cit., p. 1254.

Aspect Sociologique des opinions d'Ibn Khaldoun sur «les sciences de la langue arabe»

. Josef Bielawski (Varsovie)

سبق ان انعقد بمدينة رافيلو Ravello الايطالية عام 1966 مؤتمر للدراسات العربية والاسلامية . وقد صدرت الآن بعض الابحاث التى قدمت لهذا المؤتمر من جملتها بحثان لكل من الاستاذ يوسف بيلافسكي Jozef Bielawski والاستاذة سفيتلانا باتسييفا Svetlana Batsieva وقد تفضلا فاتحفانا بهذين البحثين القيمين حول شخصية عالمية ما زالت افكارها الانسانية الاصيلة تثير اهتمام اقطاب الفكر فى العالم الحديث وهذه الشخصية هي ابن خلدون . وكان الغرض من هذه الدراسة هي تعريف الغربيين بالبادرات الرائعة التى طوق بها ابن خلدون جيد الانسانية فى مختلف المجالات الحضارية وخاصة فى الحقل الاجتماعي وعلوم لغة الضاد ونحن ننشر هاتين الدراستين ممنونين للاستاذين الكريمين بتفضلهما المشكور :

Inutile de présenter Ibn Haldun historien, philosophe et sociologue, homme d'Etat arabe du XIV' siècle, une des dernières lumières de la science arabe de l'époque révolue. L'originalité et la richesse des pensées contenues dans sa célèbre *Mukaddima* ou Prolégomènes à l'histoire universelle, continue (depuis le XIX" siècle) à éveiller l'intérêt et l'admiration, incite à la réflexion. Nous y trouvons des opinions sur l'histoire et la société, sur l'Etat et le droit, sur la religion et la science ; nous y trouvons, ce qui est très important, un essai de définition des lois économiques et sociologiques qui régissent la société et l'Etat, et qui ne furent définies par la science européenne qu'au XIX' et XX' siècles. Ibn Haldun dit lui-même qu'il crée une « science nouvelle », la science sur la société et la culture humaines *'ilm al-igtima' 'ilm al-'umran*, et c'est à juste titre qu'il est appelé le créateur de la sociologie dans le monde arabe.

Ses opinions sur la société, l'Etat et la culture, Ibn Haldun les basait non sur des idées préconçues ou des théories religieuses et philosophiques adoptées d'avance, comme faisaient ses prédécesseurs (par exemple al-Farabi) mais sur une élaboration critique du matériel fourni par les autres auteurs et sur sa propre expérience.

Né à Tunis en 1332, ce savant et homme d'Etat brilla d'un vif éclat au firmament de la science et de la culture arabes à la veille du long assoupissement politique et culturel des Arabes. Il n'eut pas d'imitateurs ni de continuateurs dans ses idées originales pour l'époque. Ce n'est que lorsque les Arabes se réveillèrent à une vie nouvelle au XIX' siècle et revinrent à leur glorieux passé qu'ils se rappelèrent le grand nom d'Ibn Haldun. Son œuvre immortelle, la *Mukaddima*, fut commentée à al-Azhar par le grand réformateur égyptien Muhammad 'Abduh, et ensuite de nombreux savants arabes se penchèrent sur la pensée sociale et politique d'Ibn Haldun. Aujourd'hui le monde arabe tout entier s'en honore, souligne son originalité et le célèbre comme le créateur de la sociologie si appréciée de nos jours.

L'Europe a connu l'œuvre d'Ibn Haldun grâce à la traduction française de la *Mukaddima* faite

dont les intérêts étaient représentés, ou peu s'en faut, à cette époque-là, par ce groupement. Le principal document moral de ce groupement fut l'œuvre d'Ibn Khaldoun, qui appartenait lui aussi au sommet politique et culturel de la société : aux Andalous. Dans la doctrine d'Ibn Khaldoun nous retrouvons les idées, les plus progressistes, devançant leur siècle, les idées issues du développement et de la lutte des forces progressistes du pays contre celles de la réaction.

L'homme, ayant un esprit synthétique pénétrant et une observation fine, l'homme d'Etat enclin aux généralisations théoriques, l'érudit au vif sentiment d'actualité, Ibn Khaldoun, mit tout son savoir et toute son expérience du labeur politique et scientifique du Maghreb dans ce remarquable traité historico-philosophique, inégalé à la science du Moyen-Age, qui est la « Muqaddimah ».



propriétés foncières et agricoles. Cette aristocratie continuait à mener les affaires du gouvernement même au temps des Hafsides (1228-1574), qui eux-mêmes étaient sortis de ce milieu. En même temps, au début du XIII[e] siècle, une autre partie de la classe féodale commença à avoir de l'importance (les membres de cette classe habitaient les villes et occupaient divers emplois administratifs et militaires) trouvant l'appui dans les couches les plus larges de la population marchande et artisanale urbaine, qui, outre des capitaux assez considérables, possédaient aussi des forces armées, avec lesquelles on fut obligé de régler les comptes.

Les Andalous et les Maures de l'Espagne échappés à la reconquista jouaient un rôle important dans le patriciat des villes maghrébines.

Héritiers de la civilisation la plus avancée et la plus progressiste de cette époque, la civilisation hispano-mauresque, les Andalous, pendant de longues années conservaient leur supériorité culturelle et professionnelle par rapport à la population locale ; grâce à cela ils occupaient des positions de commande dans les corporations artisanales et commerciales et fournissaient à la société maghrébine ses meilleurs cadres scientifiques et littéraires. Ibn Khaldoun descendait d'une famille noble andalouse. Cette aristocratie andalouse n'avait pas de relations avec les peuplades locales qui ne possédait pas de grandes propriétés terriennes. Son bien-être dépendait du service administratif et des revenus du commerce. Pour cette raison les Andalous étaient partisans du fort pouvoir centralisé, du commerce florissant et restaient les adversaires des cheikhs almohades, qui nourrissaient des tendances séparatistes et s'acharnaient pour le contrôle complet sur les affaires d'Etat. Les Andalous constituaient un noyau dirigeant et maître du patriciat maghrébin et les représentants les plus distingués de l'aristocratie qui cherchait à mettre aux bas-fonds de l'arène politique la noblesse militaire des tribus. La lutte entre les Andalous et les cheikhs almohades pour le rôle dominant dans les affaires de l'Etat marquait du fil rouge toute l'histoire de l'Ifriqiya des XIII[e]-XIV[e] siècles. Le développement de l'importance politique des villes côtières de l'Ifriqiya et du Maghreb central et l'accroissement du pouvoir d'organes municipaux, où le rôle dominant revenait au patriciat, étaient intimement liés à cette lutte.

Dans les conditions de la société maghrébine du XIV[e] siècle le patriciat se révélait comme le groupe le plus avancé et le plus progressiste de la classe dirigeante. Les exigences du patriciat dans le domaine de la politique économique et administrative étaient limitées aux mesures offrant les meilleures possibilités au développement du commerce aux cadres de l'économie féodale et de petite production. Ce sont justement ces exigences qui formulèrent le programme politique d'Ibn Khaldoun. Ce programme fut une sublime expression de la pensée politique du patriciat. Toutefois ce serait une simplification grossière que de croire la théorie et le programme d'Ibn Khaldoun causés par de bas intérêts matériaux du patriciat. Dans les conditions de la lutte sociale acharnée du Maghreb d'alors la course politique du patriciat coïncidait avec le développement progressif du pays et avec l'intérêt commun de la plus grande partie du peuple agricole et citadin. Epousant la cause du patriciat, Ibn Khaldoun se révélait le champion du progrès et le défenseur des intérêts des grandes masses de la population du pays. Ce qui explique les tendances humanistes et démocratiques de sa théorie.

Ibn Khaldoun vécut au temps de l'aiguisement de la lutte sociale à l'intérieur de la société féodale du Maghreb. La classe dirigeante féodale se partage en deux sections antagonistes, englobant dans leurs programmes les deux directions possibles du développement économique, social et politique du pays. Le groupement dominant, la noblesse politico-militaire, possédait de vastes propriétés terriennes dans les diverses régions du pays et était attachée par des liens patriarcaux et féodaux aux tribus et s'appuyait sur sa force armée. Son programme économique était l'exploitation exagérée des ruraux et des citadins, qui risquait de devenir un pillage ouvert, non seulement pour satisfaire ses besoins croissants mais également pour soudoyer la masse de ses compatriotes des tribus, qui subissaient l'exploitation considérablement adoucie par des rapports patriarcaux au sein des tribus. Le programme social de ce groupement se fondait sur l'opposition des tribus nomades et l'appui de ce groupement à la population rurale et urbaine du pays. Le programme politique est basé sur le séparatisme féodal et la conservation du pouvoir despotique du sultan, qui dépendait de ce groupement, vis-à-vis des masses populaires de la société. Le programme culturel consistait dans le soutien de la partie la plus réactionnaire du clergé musulman, qui poursuivait et anéantissait toute tendance de liberté spirituelle et d'hétérodoxie.

Cette politique avait comme conséquence la désolation rapide du pays, l'appauvrissement catastrophique des masses populaires et la diminution et la stagnation des activités économiques, politiques et culturelles, qui s'accusaient davantage à cause de la domination coloniale.

A l'aristocratie militaire des tribus s'opposait le groupement «patriotique» soutenu par les importantes masses des artisans et des commerçants,

annuelle de tous les centres industriels de la France. Une énorme demande de matières premières surgit en Italie. La laine des brebis italiennes, à cause de sa mauvaise qualité, n'était pas employée dans l'industrie, dont la matière première principale était la laine d'importation. L'import de la laine constituait la plus grande partie de l'importation des villes italiennes. La demande de la laine de meilleure qualité ne fit qu'augmenter continuellement durant le XIV[e] siècle. Parallèlement à l'Angleterre, le plus grand fournisseur de la matière première dans la branche principale de l'industrie débutante capitaliste devint l'Ifriqiya où l'on élevait les moutons donnant une des meilleures qualités de laine : la garbo.

La laine garbo, son marché et sa signification dans l'industrie de Florence font l'objet de grandes discussions dans la littérature spéciale. Sur les indications directes des chroniques italiennes du Moyen-Age et des documents du commerce on a généralement admis et reconnu qu'aux XIII[e]-XIV[e] siècles le terme géographique Garbo désignait les pays du Maghreb, exception faite, probablement, du Maroc. Au XIII[e] siècle, par exemple, Brunetto Latini remarque que la terre que les Ecritures Saintes nomment l'Afrique (c'est-à-dire le territoire de l' « Africa proconsularis » des Romains, l'Ifriqiya) « on le dit en vulgal parlour de Garb ». Quelques doutes, généralement, ont été soulevées par l'obligation de considérer comme garbo la laine provenant seulement de l'Ifriqija et non de tous les pays berbères. Mais d'après un arrêt de l' « Arte della Lana » de Florence de l'an 1338 on avait autorisé à employer pour le tissage la laine de provenance du Garbo, de l'Angleterre et de Bône, tandis que la laine du Maroc et du Portugal était reconnue d'une qualité inférieure. Cet arrêt montre assez clairement que le fournisseur de laine de meilleure qualité garbo fut l'Ifriqiya. Cela est confirmé par le manuel Pegalotti, qui indique la haute qualité de la laine de Tunis en la nommant « boldroni » : la toison.

L'exportation de laine garbo de l'Ifriqiya en Europe, au XIV[e] siècle appartenait aux maisons de commerce florentines Bardi, Acciaiuoli, Peruzzi, qui avaient leurs comptoirs et leurs entrepôts à Tunis.

La laine était importante mais elle n'était pas l'unique objet d'exportation maghrébine. La Berbérie était un grand fournisseur de cuir pour l'Italie, la Catalogne et la Provence. La seule ville de Naples importait annuellement 8.000 peaux du Maghreb. Tunis, Bougie et Bône exportaient également des cuirs traités. L'huile d'olive de bonne qualité de l'Ifriqiya était exportée non seulement en Europe mais aussi en Egypte et en Arabie. En Italie et en France on exportait du coton, du lin, de la soie, du sucre et de la cire. Monopolisé par Venise, le commerce du sel et de l'alun, nécessaire au traitement de la laine, était de même très important. Les marchands maghrébins récoltaient du commerce transsaharien avec l'Afrique Noire des bénéfices énormes. Le flot d'export de l'Afrique du Nord était si puissant que vers la fin du XIII[e] siècle il arriva jusqu'en Flandre. Dans un état de la douane de ce temps entre les marchandises importées « à Brugge et en Flandre » figurent les peaux de bétail et de moutons, la cire, le sucre du Maroc, les dattes et l'alun de Sidjilmassa, les peaux de bétail et de moutons, la cire, l'alun de Tunis et de Bougie. Toutefois le principal importateur des produits du Maghreb, et en premier lieu, de la laine, étaient les villes italiennes.

Tout en restant un exportateur important des produits agricoles, le Maghreb était un marché non négligeable pour les diverses marchandises européennes. Il est à remarquer que parallèlement à l'importation de tissus, d'objets métalliques, d'armes et d'articles de luxe, le Maghreb importait aussi des matières premières et demi-fabriquées pour son industrie : du fer, du cuivre, du plomb, du bois de construction, du vernis, des peintures et, pendant les années de mauvaises récoltes, des grains. Au XIV[e] siècle, les pays du Maghreb occupaient une place importante dans le commerce méditerranéen et dans le système de la division du travail qui se forma autour du marché méditerranéen.

Les grands avantages qu'offrait l'exportation des produits agricoles stimulaient l'agrandissement de l'exploitation de la paysannerie maghrébine par des seigneurs féodaux, qui étaient insatiablement assoiffés du produit plus value, ce qui arrive habituellement quand les pays féodaux s'engagent au commerce développé, international. La forme la plus usuelle de l'exploitation agricole fut la location de terrain en ferme où le champart allait à trois-quarts ou, dans les cas les plus pénibles, à quatre-cinquièmes de la récolte. Dans la région du Tell au XIV[e] siècle fut largement répandue une forme d'engagement de gardiens de troupeaux, qui, en effet, rendait les pâtres pratiquement les serfs des employeurs. La position de divers groupes sociaux au sein de la société féodale du Maghreb, et en premier lieu dans les couches intermédiaires de la classe féodale, fut largement modifiée. Les modifications les plus accomplies eurent lieu à l'Ifriqiya.

La place dirigeante à l'intérieur de la classe féodale de l'Ifriqiya fut occupée par « l'aristocratie de naissance » ; les cheikhs almohades réunis disposaient de contingents militaires importants dans les tribus et possédaient de considérables

mentale de l'existence de cette société serait le droit de la propriété privée des producteurs sur les moyens de production et les produits du travail. Toute la doctrine d'Ibn Khaldoun de l'Etat et du gouvernement, ses programmes politiques et économiques, sont fondés sur une conception claire de cette conjoncture. La raison d'être de tout pouvoir et de toutes ses fonctions, Ibn Khaldoun la réduit, au fond, à la défense de la propriété privée : « Quand les hommes se réunissent, la nécessité les mène aux rapports économiques et par cela à la satisfaction de leurs besoins. Et chacun tend ses bras pour saisir ce dont il a besoin. L'autre le chasse selon ses forces humaines... Pour cette raison l'existence des hommes est impossible sans un gouvernement qui défendrait les uns des autres ». Et dans un autre endroit : « Il faut considérer comme une méchanceté du caractère humain la disposition aux violences et l'hostilité des uns envers les autres. Et celui qui vise avec son œil la propriété de son frère, eût tendu déjà son bras pour la saisir, s'il n'était pas retenu de cela par le souverain ».

D'accord avec les principes fondamentaux de sa doctrine, Ibn Khaldoun demande au gouvernement politique : (1) suppression de l'abus d'autorité en ce qui concerne la personne et la propriété des sujets ; protection de la vie et de la propriété des sujets ; (2) imposition raisonnable de la population taillable ; libération du commerce des contributions ; (3) suppression des monopoles statiques dans le commerce et l'industrie ; complète libération du commerce et de l'industrie ; (4) défense aux grands seigneurs d'accaparer des propriétés terriennes, à qui cette possession donnerait un pouvoir politique excessif ; liquidation des tendances séparatistes et de l'émiettement du pays ; (5) libération des esclaves ; (6) acceptation d'une politique de la paix envers ses voisins. Telles sont les thèses principales de la doctrine d'Ibn Khaldoun.

Le caractère matérialiste de la doctrine sociale d'Ibn Khaldoun et l'humanisme de son programme politique obligent à chercher plus attentivement les raisons de la position sociale de son auteur, ce qui serait impossible sans une analyse approfondie de la situation historique du Maghreb du XIV^{e} siècle.

Le fait le plus significatif de l'histoire du Maghreb au XIV^{e} siècle était le développement rapide des villes côtières accompagné de l'agrandissement de leur importance politique. Dans les villes, la production des industries textile, métallurgique, meunière, céramique, aussi bien que des cuirs, de l'huile et de quelques métiers était rapidement augmentée. La liste des marchandises exportées du Maghreb montre que seule une partie de sa production industrielle était destinée à l'export et que la partie principale allait au marché nord-africain. La croissance des métiers de la ville montrait un développement rapide des relations commerciales au Maghreb et du caractère mercantile de production de l'économie dominante féodale.

La cause principale du développement rapide de l'économie commerciale du Maghreb était l'élan économique des pays méditerranéens aux XIII^{e}-XIV^{e} siècles, qui ouvrait de grandes possibilités pour la vente des produits agricoles. Ce temps-là fut l'aube d'une nouvelle ère : au sein de la société féodale commença à se former une nouvelle base économique. Le régime capitaliste, surgi au XIV^{e} siècle dans quelques centres de commerce et d'industrie en Italie, se révéla d'une vigueur nouvelle, qui a eu une grande influence sur la vie sociale non seulement de l'Italie, mais aussi de plusieurs pays méditerranéens. La raison de cette influence fut l'essor des manufactures en Italie, dont les précurseurs historiques étaient les rapports et le commerce avec l'étranger. Le commerce étranger des villes italiennes atteignit au XIV^{e} siècle des dimensions tout à fait énormes pour cette époque-là, ayant fort dépassé le niveau d'affaires du XIII^{e} siècle. A côté des villes côtières de la Catalogne et de la Provence, Constantinople, Alexandrie et d'autres villes, créèrent à la mer méditerranéenne un débouché étendu, qui conditionna l'énorme essor économique et fut la condition favorable pour l'élévation des manufactures capitalistes en Italie. Le marché méditerranéen du XIV^{e} siècle peut justement être considéré comme un marché international de l'époque de l'accumulation initiale du capital.

Les pays du Maghreb, et particulièrement l'Ifriqiya avec ses grandes villes côtières Tunis et Bougie, se trouvent englobés dans le système du marché méditerranéen. Leurs opérations commerciales sporadiques des X^{e}-XIII^{e} siècles furent remplacées vers la fin du XIV^{e} siècle par un commerce régulier, appuyé sur des contrats de longue durée avec presque tous les grands centres commerciaux de l'Italie, de la Catalogne et de la Provence. Le contenu du commerce berbéro-européen subit des changements qualificatifs et cela eut une grande influence sur la vie sociale du Maghreb. Cette influence est intimement liée au développement des manufactures capitalistes dans le tissage de laine de l'Italie et premièrement de Florence.

Au XIV^{e} siècle le tissage de laine à Florence atteignit un niveau jusqu'alors tout à fait inconnu — sa production annuelle fut 20-30 fois supérieure à celle des autres grands centres de l'industrie de la laine et surpassait la production

quement pour s'entr'aider en cherchant les moyens de vie ». La divergence par les modes d'existence d'après Ibn Khaldoun signifie premièrement une différence d'activité économique et il trouve que la vie sociale consiste en deux aspects généraux : la vie rurale et la vie urbaine.

Ibn Khaldoun partage les ruraux en agriculteurs sédentaires et pasteurs-nomades, sans toutefois rendre cette division absolue. Ces deux groupes ont en commun le fait qu'ils sont capables de se procurer des moyens d'existence « seulement en quantité suffisante pour soutenir la vie et pour créer ce qui est nécessaire pour la vie sans dépasser les limites. Par contre, les urbains « dont une partie s'occupe des arts et métiers, l'autre du commerce, grâce à la grande quantité de force ouvrière en villes et de la division du travail bien développée, produisent non seulement le nécessaire, mais aussi des produits excédentaires leur permettant de mener une vie à l'abri du besoin et en abondance. Tous les deux groupes sont liés génériquement. « La première chose que l'homme désire, est ce qui est nécessaire à sa vie. Il parvient à avoir le parfait et l'abondant seulement après que le nécessaire a été obtenu. De même la vie rustique rurale précède la vie urbaine. C'est pourquoi nous voyons que la vie urbaine est le but désiré du rural, qui cherche à l'atteindre. Les modes de la vie sociale urbaine sont secondaires par rapport à la campagne et cette dernière est la racine de la première ».

Si différentes qu'elles fussent les sociétés rurale et urbaine, Ibn Khaldoun souligne toujours leurs liens historiques certains. Le rapport entre la vie rurale et la vie urbaine, c'est le rapport de la basse et de la haute phase du développement social. La phase inférieure, c'est la phase de l'activité primitive et peu différentiée et du niveau de vie peu élevée. La phase supérieure dérive de la concentration dans un endroit même d'une grande quantité de force productrice, de l'attroupement des ruraux dans les villes, du changement de l'activité économique à la suite du développement du travail et de sa plus grande complexité.

Le progrès social est dû principalement à la conglomération des gens dans les villes, à la concentration de la force ouvrière et au développement du travail et à sa spécialisation croissante. Seules la division et la concentration du travail peuvent créer une production surabondante, condition primordiale du progrès matériel. « Si les habitants d'une ville ou d'une région partageaient toutes leurs œuvres conformément à leurs besoins impérieux, une petite quantité de travail leur donnerait satisfaction. L'œuvre restante serait une surabondance par rapport à l'œuvre employée pour satisfaire les nécessités et serait disposée pour satisfaire les besoins d'abondance et ceux qui sont recherchés par les habitants d'autres villes, qui les reçoivent par voie d'échange équitable ou en payant un prix. Par ce moyen ils accumulent une certaine richesse ».

La division du travail dans une société suppose l'existence d'une forme quelconque d'échange du travail entre les membres de cette société. Du moment que dans la société où vivait Ibn Khaldoun, les simples relations commerciales étaient prépondérantes, il ne voyait d'autre moyen pour les relations productives entre les hommes que l'échange des marchandises.

L'échange équitable est fondé sur l'égalité de valeurs des produits échangeables. Pendant plusieurs siècles l'esprit humain s'évertuait à élucider cette substance mystérieuse déterminant l'équivalence de l'échange. Aristote alla plus loin que les autres dans ces recherches. Remarquant que tout produit sert à la consommation aussi bien qu'à l'échange, Aristote pensait que l'échange serait un emploi « peu naturel » de se servir d'une chose. « L'échange, dit-il, ne peut avoir lieu sans égalité... et l'égalité sans commensurabilité... Toutefois en réalité il serait impossible que les objets différents fussent commensurables ». Parvenu à la notion de valeur, Aristote arrête son analyse. Il ne se rendait pas compte que les objets, tout divers qu'ils sont, contiennent une substance commune : le travail humain. L'achoppement qui avait arrêté Aristote, borné dans les limites historiques de la société antique, a été surmonté par Ibn Khaldoun dans de nouvelles conditions historiques. Dans la progression de la pensée historique de l'humanité, Ibn Khaldoun fut le premier qui avança la thèse que le travail crée la valeur : « Sache que tout ce que l'homme use ou acquiert en guise de propriété... serait équivalent du travail consommé. Cette propriété est l'objet de conservation, mais le travail contenu en cette propriété ne peut être par lui-même le but de conservation. Il y a de certains métiers qui englobent en soi d'autres métiers, par exemple, le métier de charpentier est lié à la préparation du bois, la tisseranderie à la filleterie et par ce fait il y a davantage de travail dans ces deux métiers et leur valeur sera, en conséquence, plus élevée. Par ce fait il est clair que tout ou la plus grande partie, de ce que l'homme acquiert et de quoi il tire le profit, serait équivalent à la valeur du travail humain ».

Telle serait l'entité de la société analysée par Ibn Khaldoun : une société fondée sur la production des marchandises commerçables par plusieurs menus producteurs. Une condition fonda-

Ibn Khaldoun et son milieu social

Svetlana Batsieva (Léningrad)

Le problème des conceptions sociales, sur lesquelles se fonde l'œuvre principale d'Ibn Khaldoun — Muqaddimah —, n'est pas encore résolu, n'étant pas même bien posé dans la littérature consacrée à ce grand penseur arabe.

Il faut se rendre compte que l'on ne saurait comprendre le fond d'une doctrine de société, ni son caractère historique et sa portée, sa place dans l'histoire de la science sans la découverte de ses racines sociales.

Ibn Khaldoun a consacré son œuvre à l'étude des lois régissant la vie d'une société humaine. Il a écrit de sa doctrine : « Cela, c'est une science indépendante puisqu'elle a un objet social : la vie sociale et la société humaine. C'est une science nouvelle, surgie indépendamment et je ne connais pas de mots à ce sujet chez un seul autre homme ». Délimitant les relations de cette « nouvelle science » à l'histoire, Ibn Khaldoun remarque que l'histoire a deux aspects : l'un extérieur, l'autre intérieur. Et si les historiens précédents s'occupaient uniquement des descriptions des faits, la « nouvelle science » aurait comme but l'étude des liens internes des causes et effets de la vie historique de la société. « Une telle histoire forme une branche importante de la philosophie et mérite bien d'être comptée parmi ses sciences ».

L'objet de la « nouvelle science » serait 'umran — la vie sociale humaine. « La réunion des hommes dans la société est un fait indiscutable ; et cela serait le sens de 'umran ». Le terme 'umran est habituellement traduit comme « civilisation », « culture ». Toutefois dans la conception d'Ibn Khaldoun 'umran n'est pas un produit ou un résultat, mais le procédé même de la vie de société. La vie sociale est vue par Ibn Khaldoun principalement comme l'activité publique commune des hommes, dépendant de leurs besoins matériaux. Tous les autres aspects de la vie sociale : la politique, la science, la culture forment aussi le contenu de 'umran, mais ne déterminent pas son sens.

Parmi les arguments en faveur de la nécessité de la réunion des hommes dans la société, Ibn Khaldoun évoque les paroles d'Aristote : « L'homme par sa nature est un citoyen ». Mais la conception qu'il développe par la suite se distingue nettement de la doctrine politique des auteurs anciens et de leurs successeurs. Si, d'après Aristote, l'homme est né comme un être politique et ses actions et ses désirs sont déterminés par sa conscience du bien-être général et sa poursuite du plaisir, Ibn Khaldoun, de son côté, lie l'existence sociale de l'homme non pas à sa nature spirituelle et à ses impulsions instinctives, mais à la nécessité naturelle d'avoir la nourriture et les moyens d'existence. « La vie et l'existence même de l'homme ne sont pas possibles sans la nourriture... mais la force d'un seul homme est trop petite pour lui procurer la nourriture nécessaire à lui... Il faut une réunion des forces de plusieurs semblables pour procurer la nourriture pour lui et pour eux ». Tenant compte de la différence des positions sociales et du contenu des conceptions d'Aristote et d'Ibn Khaldoun, on ne saurait identifier les idées de ces deux penseurs.

L'homme ne peut se procurer des moyens d'existence qu'en employant au travail ses forces et ses facultés, dit Ibn Khaldoun. L'entr'aide des hommes lorsqu'elle se concrétise trouve son expression en division du travail. Cette division du travail est provoquée par la nécessité d'avoir divers outils, employés aux ouvrages. « Chaque action requiert des outils que l'on ne pourrait fabriquer sans recours aux divers métiers ». Par conséquent, l'entité de société est l'œuvre commune de ses membres pour secourir des moyens d'existence en partageant le travail entre les hommes.

Ibn Khaldoun pense que l'activité économique est le principal déterminant de la vie d'une société. « Sache que la divergence des peuples par leur mode d'existence dépend seulement des diverses façons de se procurer des moyens d'existence. L'union d'hommes en peuplades se fait uni-

casion de lire un discours officiel prononcé par une haute autorité maltaise ; on n'aurait éprouvé aucune difficulté à le comprendre, d'autant plus que le patois maltais s'apparente aux dialectes arabes de l'Afrique du Nord. En Sicile on a découvert une épitaphe chrétienne rédigée en arabe et datée de l'ère hégirienne, soixante ans après la fin de la domination arabe. La langue hellénique elle-même fit de larges emprunts à l'arabe ; mais les termes hellénisés sont devenus méconnaissables. Certaines des grandes universités occidentales se sont préoccupées, très tôt, de la diffusion de l'arabe devenu langue internationale de civilisation.

Déjà en 1207 après J.-C. on signalait à Gênes, un Institut pour l'enseignement de l'arabe. Plus tard, le Concile œcuménique de Vienne organisa cet enseignement en Europe, par la création de chaires dans chacune des principales universités d'Occident. Mais ce sera surtout au XVII[e] siècle que l'Europe du Nord et de l'Est s'engagea résolument dans l'étude et la propagation de la langue arabe ; ce n'est qu'en 1636 que le gouvernement suédois décréta l'enseignement de l'arabe: on s'élança, dès lors, en Suède, dans l'édition des ouvrages de l'Islam. L'étude des langues orientales, dont l'arabe, fit son apparition en Russie, sous Pierre le Grand qui de Moscou, dépêcha en Orient cinq étudiants russes. En 1769, la reine Catherine en rendit l'enseignement obligatoire ; en 1816, une section des langues sémitiques s'érigea dans l'Université de Pétrograde.

L'emprunt direct à l'arabe a marqué d'abord le domaine scientifique. Un grand nombre de termes employés en chimie et ailleurs sont d'origine arabe, tels l'alcool, l'alambic, l'élixir, l'algèbre, l'algorithme, etc... En botanique, « la majorité des noms de fleurs cultivées, dit M. Lévi-Provençal, témoigne encore, en espagnol, d'un emprunt direct à l'arabe qui les avait lui-même empruntés au persan. Même plusieurs de ces noms, par delà les Pyrénées, sont passés dans le vocabulaire français, tels : l'abricot, l'azérole, le jasmin, le coton, le safran, etc... » (« Civilisation arabe en Espagne »). Le même auteur signale dans un autre ouvrage : « L'Espagne musulmane au X[e] siècle » que « la terminologie de l'irrigation est presque toute entière arabe ».

Plusieurs bijoux portent encore en Espagne des noms arabes. La technique savante de l'art architectural musulman devait fortement imprégner le vocabulaire espagnol de la construction. Bref, la langue espagnole, ainsi que celles de certains pays d'Amérique latine, reflètent, assez cette influence culturelle, économique et sociale, exercée en Méditerranée et outre-Atlantique, par notre civilisation.

Un grand savant italien a fait remarquer que la plupart des termes arabes qui firent irruption, en nombre inouï, dans la langue romaine, ne furent nullement véhiculés, par un expansionnisme colonial, mais plutôt à travers le rayonnement intellectuel de l'Islam.

Le vocabulaire spécial à la chrétienté fut marqué d'une profonde empreinte arabe. Le baron Carra De Vaux, catholique fervent, n'a-t-il pas reconnu que « l'Islam a donné au christianisme un mode de philosopher, fruit du génie naturel de ses enfants », et que « ses philosophes ont préparé le langage scolastique qui, usité par le christianisme, lui a permis d'achever son dogme et d'en parfaire l'expression » ? (« Penseurs de l'Islam »). Le fait paraît naturel, étant donné la « part du péripatétisme musulman dans la formation de la scolastique médiévale, le rôle qu'y ont joué un Avicenne ou un Averoès, l'influence qu'ils ont exercée sur les plus illustres penseurs de la chrétienté » (G. Rivoire).

Des intellectuels musulmans ont, d'autre part, contribué effectivement à la diffusion de la langue arabe, par l'élaboration de dictionnaires gréco-arabes, latino-arabes et hispano-arabes, dont l'Escurial conserve encore des exemplaires inédits.

Ce même rôle que les Arabes ont joué au Moyen-Age, ils l'avaient déjà joué dans l'Antiquité. Reprenant le titre de l'ouvrage de Renan, Israël Wolfenson (« Histoire des langues sémitiques », le Caire, 1926) incite les Orientaux de langue arabe à étudier la linguistique et la philologie sémitiques, pour se convaincre de la grandeur de leurs ancêtres et du rôle que ceux-ci ont joué dans la civilisation ancienne du monde. Il a insinué qu'en dénigrant l'arabisme et son rayonnement, les orientalistes n'ont eu que « des buts religieux et colonialistes ».

Le professeur Massignon a exprimé une idée similaire, en déclarant à l'intention de ceux qui s'ingénient à minimiser la portée du véhicule de la pensée arabe, que « c'est en arabe et à travers l'arabe, dans la civilisation occidentale, que la méthode scientifique a démarré ». La valeur du vocabulaire dialectique, psychologique et mystique, « put rajeunir, ajoute-t-il, la pensée occidentale, comme « Les Mille et une Nuits », de Galland, ont rafraîchi la mentalité du XVII[e] siècle, saturée des fables millésiennes de la Grèce et de Rome ».

Louis Massignon affirme ailleurs que « la religion et la culture impriment partout un « cachet arabe » et la langue arabe demeure la langue liturgique de l'Islam ».

« L'arabe, dit-il encore, est un pur et désintéressé instrument linguistique de transmission internationale des découvertes de la pensée. La survie internationale de la langue arabe est un élément essentiel de la paix future entre les nations ».

jeunes chrétiens qui se font remarquer par leur talent ne connaissent que la langue et la littérature arabes ; ils lisent et étudient avec la plus grande ardeur des livres arabes ; ils s'en forment, à grands frais, d'immenses bibliothèques, et proclament partout que cette littérature est admirable... Quelle douleur ! Les chrétiens ont oublié jusqu'à leur langue religieuse, et sur mille d'entre nous, vous en trouverez, à peine, un seul qui sache écrire convenablement une lettre en latin à un ami ! Mais s'il s'agit d'écrire en arabe, vous trouverez une foule de personnes qui s'expriment convenablement dans cette langue avec la plus grande élégance et vous verrez qu'elles composent des poèmes préférables, sur le point de vue de l'art, à ceux des Arabes eux-mêmes ». M. Lévi-Provençal en a emprunté un extrait dans son ouvrage sur la civilisation arabe en Espagne, paru avant la dernière guerre.

Les nations conquises par l'Islam n'ont pu résister à la beauté de l'expression verbale des sentiments et de la pensée du peuple arabe, dont aucun plus que lui n'a porté « à un plus haut degré de virtuosité la magie de la parole et l'art de la versification ». Viardot, qui a esquissé, il y a déjà plus d'un siècle, un célèbre essai sur l'histoire des Arabes et des Maures d'Espagne, n'a pas manqué de constater la richesse inouïe de la langue des Arabes : « Le nombre de leurs poètes, affirme-t-il, est prodigieux ; tout homme adonné aux travaux de l'esprit, fût-il astronome, médecin, chimiste, joignait à son talent spécial le talent général de poète. Faire des vers était, pour eux, une occupation presque familière, et leurs entretiens mêmes étaient souvent mêlés d'improvisations que rendait possible l'extrême richesse d'une langue dont le dictionnaire (celui L'Al Firouzadady) ne comptait pas moins de soixante volumes, et portait pour titre l'Océan Quamous comme si ce mot eût pu, seul, exprimer l'immensité du sujet ». L'auteur de la « Poésie Andalouse », citant Al Qazwini, fit remarquer que la plupart des habitants de Silves étaient capables de composer des vers ; si l'on avait sollicité un paysan en train de labourer, « il aurait pu, dit Di Giacomo, improviser des vers sur un sujet quelconque ». Dozy va jusqu'à déclarer que tout le monde y était poète.

La langue arabe, déjà « si souple et si riche au temps des Mo'allakats », atteint au X^e siècle, en pleine période abbasside, l'apogée de sa perfection. Victor Bérard qualifie le parler arabe de ce temps comme « le plus riche, le plus simple, le plus fort, le plus délicat, le plus solide, le plus flexible, le plus chatoyant des parlers humains, trésor féerique où la verve des générations entassa les plus prodigieuses des collections de métaphores, de délicatesse, de politesse, d'arabesque audacieuses, subtiles ou splendides ! ». Chose étrange et sans pareille, chez les autres peuples : les bédouins étaient les véritables détenteurs des trésors de la langue, « les maîtres innés de la prosodie arabe ». C'est d'eux que tout poète acquit l'incomparable richesse de son vocabulaire et sa virtuosité de versification. L'influence de l'arabe devenait d'autant plus marquée qu'une bonne partie de l'Europe méridionale le considérait « comme le seul véhicule des sciences et des lettres ». « Ses progrès furent tels que les autorités ecclésiastiques avaient dû faire traduire en arabe la collection des canons à l'usage des églises d'Espagne. Jean Seville se vit dans l'obligation de rédiger en arabe une exposition des Saintes Ecritures. En même temps, des livres de religion et de droit musulman étaient traduits en langue romaine » (G. Rivoire). En Andalousie, tous les contrats étaient rédigés en arabe ; on en a découvert près de deux mille textes. « Les esthètes andalous avaient, les premiers, déclaré abandonner volontiers toutes les pauvretés de la littérature latine, pour quelques vers arabes » (Max Vintejoux). De même en Sicile, où le roi normand était vêtu à l'orientale, son manteau d'apparat était brodé de lettres arabes ; le sceau et les monnaies portaient des inscriptions bilingues. Bref, « l'arabe était devenu, affirme celui qui a eu le mérite d'approfondir ce « Miracle Arabe », une langue internationale du commerce et de la science ».

Mais comment et quand l'arabe acquit cette prépondérance ? Il y eut, à notre sens, deux moyens essentiels, qui procèdent, tous deux, d'un même facteur : le rayonnement de la civilisation arabe. Les intellectuels ont profité de la richesse de l'arabe pour en imprégner leur vocabulaire scientifique ; mais auparavant les universités qui dans les sciences physiques, naturelles et médicales, ainsi que dans leurs controverses philosophiques, puisaient dans une bibliographie arabe si riche et si variée, en conservaient la terminologie ; surtout celle qui touchait aux sujets inconnus des Grecs. Entre temps, le « brassage » social n'a pas manqué d'influer profondément sur certains patois méditerranéens. L'influence de l'arabe sur certaines langues a atteint un degré tel que d'aucuns ont évalué à 25 % la contribution de la langue de Mahomet dans l'élaboration de l'espagnol, et à plus de 3.000 le nombre des mots arabes empruntés par le portugais. D'ailleurs la langue avec laquelle les Portugais du Maroc correspondaient en plein XVI^e siècle était un arabe corrompu de termes marocains qu'ils écrivaient en caractères arabes (« Histoire du Maroc », G. De Chabrevière, p. 273). D'autres dialectes, comme le maltais, empruntèrent à l'arabe la majorité de leur vocabulaire ; nous avons eu récemment l'oc-

L'arabe instrument de transmission internationale des découvertes

par Abdelaziz BENABDELLAH,
Directeur Général du B.P.A.
Professeur à l'Université

Au VII[e] siècle, un grand mouvement intellectuel animait les Universités d'Orient ; cependant, ce ne fut ni le syriaque, ni le pehlvi, ni la langue hellène qui allaient en profiter, « mais bien celle d'un peuple qui avait vécu jusque-là un peu en dehors des lisières du monde civilisé, et que rien, précise Max Vintejoux, ne semblait appeler au rôle immense qu'il allait cependant jouer dans l'histoire de la civilisation : le peuple arabe ». Cette langue était en effet, depuis longtemps, une langue littéraire. Mais c'est aux avantages matériels et spirituels découlant de l'Islam, « plus qu'au décret oméiade rendant la langue arabe obligatoire dans les textes officiels, qu'il faut, constate l'auteur du « Miracle Arabe », attribuer la rapidité de la propagation dans l'empire de la langue de Mahomet ». Cette transformation profonde, succédant à une déshellénisation systématique, donna lieu, pendant tout le cours du VIII[e] siècle, à la « plus grande confusion » dans les langues comme dans les religions du Proche-Orient.

Au contact des Arabes, des nations aussi antiques que celles de l'Egypte et de l'Inde « ont adopté leurs croyances, leurs coutumes, leurs mœurs ». Bien des peuples, depuis cette époque, ont dominé les régions occupées par les Arabes, « mais l'influence des disciples du Prophète est restée immuable, affirme G. Rivoire. Dans toutes les contrées de l'Afrique et de l'Asie, où ils ont pénétré, depuis le Maroc jusqu'à l'Inde, cette influence semble s'être implantée pour toujours. Des conquérants nouveaux sont venus remplacer les Arabes : aucun n'a pu détruire leur religion et leur langue ». « En Perse, l'arabe devint, reconnaît Vintéjoux, la langue officielle adoptée par les poètes eux-mêmes », le pehlvi continuait à être parlé «comme patois national dans la montagne».

On verra comment la langue arabe continuera à prédominer dans les siècles suivants ; elle allait bientôt constituer l'élément essentiel de l'ourdou, langue culturelle des Hindous, où près de la moitié des termes est d'extraction arabe. Si certains poètes, comme Firdaousi, l'Homère iranien (qui apprit pourtant à fond la langue arabe), écrivirent dès la fin du X[e] siècle en persan, c'est encore en arabe que seront écrits la plupart des ouvrages scientifiques, tels l'Encyclopédie Médicale de Rhazès et la majorité des ouvrages du célèbre Avicenne qui a mérité le surnom de « Prince de la science ». C'est que le vaincu est allé spontanément au vainqueur musulman et l'emprise de la langue arabe s'est révélée si puissante, qu'en Espagne même, les chrétiens ne sauront plus le latin (au IX[e] siècle) et les textes des conciles mêmes devront être traduits en arabe.

Les meilleurs écrits de la langue grecque étaient déjà traduits en arabe, sous les auspices des premiers Khalifes abbassides. La passion avec laquelle les Arabes s'adonnèrent alors aux études littéraires « dépasse même celle qui se manifesta à l'Europe à l'époque de la Renaissance ». La langue arabe qui se plia, d'autre part, aux exigences d'une nomenclature nouvelle, « se propagea dans toutes les parties de l'Asie et détrôna définitivement les idiomes anciens » («Visages de l'Islam») : elle détrôna même le latin, surtout dans la presqu'île ibérique où le Cordouan Alvaro, un des plus actifs champions de la réaction anti-musulmane au IX[e] siècle, déplorait l'ignorance du latin et s'écriait, dans un passage souvent cité de son Indiculus Luminosus : « Mes coreligionnaires aiment à lire les poèmes et les œuvres d'imagination des Arabes ; ils étudient les écrits des théologiens, non pour les réfuter, mais pour se former une diction correcte et élégante... Tous les

exceptions près, par exemple dans les comédies folkloriques ou dans certains dialogues de nouvelles ou de romans. Ainsi, existe-t-il dans les pays arabes « une dualité de langue » : d'une part, la langue officielle, nationale écrite et même, parfois parlée dans certains cas dans les Universités par exemple, pendant les réunions officielles et surtout à l'occasion des conférences inter-arabes, d'autre part, la langue dialectale, variant un peu selon les pays arabes, mais revêtant une forme élégante lorsqu'elle est parlée par l'élite cultivée. Cet intéressant contraste linguistique est constaté, par exemple dans les Universités. Dans la salle de conférences, le professeur parle obligatoirement la langue classique « arabiyya », mais quand il rencontre son collègue dans les couloirs, ils causent ensemble en langue dialectale.

A l'heure actuelle, la langue arabe écrite ou dialectale est utilisée par environ 100 millions d'Arabes. On manque de statistique précise à ce sujet, de même que l'on ignore le nombre exact d'éléments « arabisés » par les Arabes. La langue arabe est une langue nationale et officielle dans 14 Etats indépendants, à savoir : Arabie Séoudite, République du Yémen, République du Yémen-Sud, Kuweit, cheikats-émirats semi-indépendants tels que Bayrayn, Oman et autres, Syrie, Irak, Jordanie, Palestine arabe, Liban, R.A.U. Soudan arabe, Libye, Tunisie, Algérie, Maroc, Mauritanie, celle-ci n'ayant pas encore adhéré à la Ligue Arabe. La langue arabe est, en outre, très répandue dans certains pays non-arabes, tels que le Soudan Occidental Fr., Djibouti, Zanzibar. En tant que langue du « Coran » et de l'Islam elle est aussi bien connue dans quelques pays musulmans de l'Asie : Iran, Afghanistan, Pakistan et Indonésie. Langue de culte et de science, l'arabe a beaucoup influencé le vocabulaire d'autres langues telles que le persan, le turc et la langue oudoue, auxquelles elle a donné son alphabet. La langue turque a cependant adopté l'alphabet latin à partir de l'année 1928. Il y a lieu de noter, enfin, que l'écriture arabe (caractères arabes) a joué un rôle important, comme élément d'ornementation, dans l'art arabo-musulman.



toires du Khalifat vers l'Est et vers l'Ouest, les Arabes y ont apporté non seulement la langue arabe dont la pratique fut généralisée, mais aussi leurs dialectes. Les Bédouins, vivant loin des villes, ont pu sauvegarder plus longtemps la pureté de leur langue. Par contre, les groupes d'Arabes qui se sont installés dans les villes, en vivant côte à côte avec la population autochtone, perdaient plus vite leurs dialectes maternels apportés de l'Arabie, et contribuaient au développement de nouveaux dialectes qui prenaient forme sous une forte influence des substrats linguistiques locaux. Ces dialectes arabes qui, avec le temps, se formaient dans diverses provinces du Khalifat, se distinguaient de plus en plus les uns des autres. Il en est résulté qu'ils sont devenus, à l'heure actuelle, des langues « nationales » de pays arabes particuliers.

La langue arabe a joué un grand rôle sur le double plan scientifique et culturel pendant tout le Moyen-Age, et tant que les Arabes ont maintenu une existence indépendante. Elle a perdu de son prestige à la suite de leur décadence politique et culturelle, notamment à partir du XV[e] siècle. Mais ce n'était qu'une pause, un sommeil léthargique qui devait aboutir à une renaissance et à un renouveau au XIX[e] et au XX[e] siècles.

RENAISSANCE DE LA LANGUE ARABE AU XX[e] SIECLE ET DIALECTES ARABES DANS LES PAYS ARABES CONTEMPORAINS

Après leur réveil à une vie nouvelle au XIX[e] siècle, les Arabes devaient rattraper un grand retard culturel, il leur fallait, pour réaliser ce but, une langue bien développée, capable de répondre aux besoins scientifiques et culturels, conformément aux exigences de la civilisation européenne contemporaine avec laquelle ils prirent contact à la suite de la fameuse expédition de Napoléon. Une fois encore, la langue arabe fut en mesure de remplir la tâche difficile devant laquelle l'avait placée l'époque contemporaine. Et, de même qu'à l'époque de l'assimilation de la science et de la philosophie helléniques, au temps des Abbassides, la langue arabe des Bédouins transformée en langue scientifique et philosophique, de même pendant cette nouvelle période de renaissance du monde arabe, elle a évolué rapidement, en s'adaptant aux nouveaux besoins. Le problème essentiel et primordial demeurait dans l'enrichissement de la langue par la création d'une nouvelle terminologie scientifique. Tous les moyens et toutes les méthodes de développement du vocabulaire ont été mis en œuvre pour permettre, comme autrefois, aux IX[e] et X[e] siècles, l'épanouissement des sciences philosophiques. C'est ainsi qu'on recourt à des changements systématiques des mots, à la création de néologismes suivant les règles morphologiques de la grammaire classique et enfin, à des emprunts. Les travaux linguistiques, entrepris individuellement au cours du XIX[e] siècle ont fait place à des institutions scientifiques spéciales, bien organisées. Des Académies de langue arabe ont été créées, l'une après l'autre en ce XX[e] siècle. La première vit le jour en 1919, à Damas, célèbre capitale des Omayyades. La deuxième Académie arabe, fut ensuite créée au Caire, en 1932 et, enfin une Académie des sciences fut institué à Baghdad, en Irak, en 1947. Dans toutes ces Académies des travaux intenses se poursuivent fiévreusement relativement à la langue arabe, à la littérature, à la culture, à l'édition des œuvres classiques arabes dont beaucoup sommeillent encore sous forme de manuscrits. Les travaux de ces Académies sont cependant concentrés particulièrement sur la langue et sur une évolution unifiée de sa terminologie. Des spécialistes éminents de tous les pays arabes y coopèrent. Toutes ces institutions font paraître de précieux « Bulletins » trimestriels ou semestriels, contenant des publications sur les résultats des travaux, des listes de termes nouvellement établis, ainsi que des études spéciales consacrées à l'arabe classique et aux dialectes.

La langue arabe a surmonté, d'ores et déjà, toutes sortes de difficultés ; sans pour autant avoir été déformée par des éléments étrangers ; elle a gardé toute son originalité et toute sa beauté. La langue « arabiyya » moderne est la langue classique elle-même, « rénovée » et enrichie, suivant les règles élaborées dès le VIII[e] siècle par Sibawayhi (décédé en 792) dans sa grammaire classique « Al-Kitab ». La langue arabe contemporaine a subi une certaine évolution ce qui est naturel : elle a été un peu modernisée au point de vue syntaxique, purifiée des archaïsmes et surtout enrichie dans son vocabulaire. Elle rivalise, à présent, courageusement avec les autres langues mondiales sur l'arène internationale, C'est ainsi, par exemple, qu'elle a pris sa place, comme langue officielle à l'U.N.E.S.C.O.

Outre cette langue nationale pan-arabe, il existe dans les pays arabes particuliers, des langues parlées ou dialectes régionaux, ayant leurs racines dans les anciens dialectes de l'Arabie et formant leur caractère linguistique individuel sous l'influence des substrats linguistiques : araméen, copte, berbère. Ils évoluent tout en subissant une certaine influence des langues européennes. Ces langues arabes régionales, étroitement liées à la langue arabe classique et renforcées par son vocabulaire, ne sont en usage ni dans l'administration, ni dans les œuvres littéraires, à quelques

LANGUE CLASSIQUE ARABIYYA ET DIALECTES ARABES

L'arabisation officielle des Etats formant le Khalifat eut lieu, comme nous l'avons signalé ci-dessus, au début du VIII' siècle. Cela ne veut pas dire, cependant, que la langue arabe classique ait été adoptée immédiatement et d'une manière générale sur tout le territoire du Khalifat. Ce processus dura longtemps et dut être inégal dans les diverses régions, selon la différence des langues qui y étaient en usage.

Dans le Sud de la Péninsule Arabe, la langue arabe du Nord, c'est-à-dire l'arabiyya, a rapidement remplacé les dialectes arabes du Sud : sabéen, minéen et autres. De là, elle rayonna sur l'Est de l'Afrique et sur l'Ethiopie.

En s'étendant vers le Nord, la langue arabe devait, en peu de temps, dominer les régions de langue araméenne, puis éliminer celle-ci, bien qu'elle eût été enracinée depuis des siècles en Palestine, en Syrie et en Mésopotamie. Au cours de deux siècles, la langue araméenne a cédé, d'abord dans les villes et, un peu plus tard, dans la province. Parmi les dialectes araméens, seule la langue syrienne, en tant que celle de l'Eglise chrétienne de l'Est, s'est longtemps opposée à la langue arabe. Le clergé syrien utilisait cette langue non seulement à l'église, mais aussi dans la littérature, tandis que les séculiers parlaient dans leur vie quotidienne la langue arabe. Bientôt, cependant, le clergé, lui-même, adopta la langue arabe et, à partir du X' siècle, une riche littérature chrétienne se mit à se développer en langue arabe.

L'Egypte fut la troisième région d'expansion de la langue arabe. Ici, le copte avait depuis longtemps rompu ses liens avec la culture ancienne des Egyptiens, pour diverses raisons dont le changement de religion, le christianisme y ayant été adopté, et aussi parce que la langue grecque y était, celle de l'administration et de la culture. Lorsque les Arabes eurent occupé l'Eypte, le changement de la langue s'effectuait progressivement et parallèlement avec le changement de la religion. C'est, approximativement à partir du IX' siècle que l'Islam est devenu une religion générale dans la vallée du Nil, alors qu'aux X' et XI' siècles, le copte était de plus en plus oublié. Souvent, même les évêques de l'Eglise chrétienne ne parlaient plus la langue maternelle (copte) et se servaient de l'arabe. Au cours des XIII' et XIV' siècles, le copte a pratiquement cessé d'être utilisé en Egypte.

La langue arabe se répandit ensuite sur l'Afrique du Nord où l'arabisation connut un progrès lent. D'ailleurs, cette arabisation ne fut absolument complète, ni dans le passé, ni même actuellement. Les chaînes montagneuses quasi infranchissables, la différence de mentalité des tribus berbères et la vivacité de leurs dialectes furent autant d'obstacles pour cette arabisation.

De l'Afrique du Nord, la langue arabe a pénétré en Espagne avec les troupes arabo-berbères à partir de 711 et elle y persista dans sa forme classique et dialectale, pendant plus de six siècles jusqu'en l'an 1492. Elles devint la langue des belles lettres et de la culture « andalouse ». Les chrétiens, appelés « mosarabes » (musta'ribun - « arabisés ») ont aussi utilisé l'arabe comme langue courante. Lorsque les souverains chrétiens eurent reconquis l'Espagne, la langue arabe perdit son importance dans la vie publique. Elle cessa pratiquement d'exister en Espagne, depuis que les derniers représentants de la culture arabo-musulmane, les « morisques », furent chassés de ce pays, en 1609.

Il convient de signaler à cette occasion, qu'au début du Moyen-Age, la langue arabe s'était frayé un chemin de l'Afrique du Nord vers Malte, où sous une forme de dialecte et de langue écrite en caractères latins, elle devint une langue nationale, qui a pu survivre jusqu'à nos jours.

Au cours des premiers siècles, après les conquêtes, l'arabe a dominé les territoires de la Perse. Toutefois, déjà au X' siècle, et par suite d'une vive réaction et de la renaissance nationale des Persans, la langue persane a de nouveau repris sa place dans la littérature, surtout dans la poésie, en recouvrant sa position de langue nationale. Néanmoins, pendant toute la période du Moyen-Age, la langue arabe demeurait répandue en Perse dans le domaine des sciences religieuses et juridiques ainsi que dans celui des sciences séculières, telles la philosophie, la médecine, les sciences biologiques, l'astronomie et les mathématiques.

Ces grandes victoires de la langue arabe étaient dues, non seulement à la nouvelle religion, à laquelle elle était étroitement liée, mais aussi à ses propres qualités spécifiques. Cette langue riche et dynamique a gardé sa vivacité malgré « les jours sévères du désert » et, les langues « vieillissantes » des civilisations en décadence n'ont pas pu lui résister. La concision et la précision de la langue arabe répondaient aussi bien aux besoins du peuple qu'à ceux des savants.

En parlant de la langue arabe, il ne faut pas oublier, qu'outre l'arabe classique, « arabiyya », il y avait les dialectes des tribus comme nous l'avons déjà mentionné. En quittant leur patrie en Arabie, et en se répandant sur les vastes terri-

dans les sources. Le dictionnaire d'al-Azhari, bien que composé suivant la difficile méthode phonétique, est fort apprécié, grâce à ses informations laborieusement acquises, mais très précises. Il devint la source principale des grands dictionnaires arabes composés plus tard, tel que « Lisan al-Arab », « Langue des Arabes », d'Ibn Mandhour du XIII° siècle.

Vers la fin du X° siècle, deux lexicographes tentèrent de créer une lexicographie plus claire, suivant l'ordre alphabétique : Al-Djauhari, décédé vers 1003, qui composa son dictionnaire portant le beau titre de « Tadj al-Lugha Wa-Sahah al-Arabiyya », « La couronne de la lexicographie et des mots corrects de la langue arabe » et connu sous le titre abrégé de « Sahah ». C'est un vaste dictionnaires, à présent imprimé, qui comprend 7 volumes et compte plus de 40 mille mots fondamentaux classés dans l'ordre alphabétique mais, à l'inverse des dictionnaires plus modernes, en commençant par les lettres finales des racines : par exemple la racine composée des consonnes k-t-b est à chercher à la lettre finale « b » et non à l'initiale « k ». Ce système perfectionné plus tard, fut adopté par presque tous les lexicographes arabes.

Un autre ouvrage lexicographique de cette époque, digne d'intérêt et basé lui aussi sur l'ordre alphabétique, fut composé par le philologue et juriste connu, Ibn Faris, décédé vers 1008. Imprimé en 6 volumes, il porte le titre de « Makayis al-Lugha », « Critères de la langue » (ou « Principes de la langue »). L'auteur y a suivi un ordre alphabétique semblable au nôtre, mais avec des concessions en faveur de l'ordre phonétique, ce qui rend un peu difficile son utilisation. Le mérite d'Ibn Faris demeure dans le fait, qu'il fut le premier à essayer de réduire toutes les significations des mots provenant de la même racine à deux ou trois significations fondamentales, qu'il détermine en les appelant « Ousoul » (principes) ou « makâis » (mesures-critères).

A l'Occident du monde arabe, en Espagne, dans la première moitié du XI° siècle, Ibn Sida, décédé en 1065, devint célèbre par ses deux grands dictionnnaires ; l'un « Kitab al Moukhassas fi al-Lugha » (livre spécial au sujet de la langue), c'est-à-dire au sujet d'un vocabulaire spécialement correct ; c'est un excellent ouvrage classé suivant le système sémantique des synonymes. Il est édité en 6 gros volumes. Le deuxième, intitulé « Kitab al-Muhkam Wa al-Mouhit al A'dham » est un dictionnaire fort intéressant, mais non encore entièrement édité. Il n'en a été imprimé que trois volumes où le vocabulaire est classé d'après l'ordre phonétique d'Al Khalil avec une légère modification.

Nous avons cité, à titre d'exemples, quelques-uns parmi les plus célèbres dictionnaires classiques. Pendant la période faisant l'objet de notre analyse IX° et X° siècles, on a pu recueillir l'essentiel des études lexicographiques, et on a élaboré diverses méthodes. Les lexicographes des époques suivantes n'ont fait que compléter et perfectionner l'œuvre de leurs prédécesseurs, en enrichissant davantage le vocabulaire qui se développait sans cesse. Parmi les grands dictionnaires jouissant d'une haute autorité et composés dans des périodes plus récentes, il est nécessaire de mentionner le dictionnaire connu d'Ibn Manzour (décédé en 1311) intitulé « Lisan al-Arab », « La langue des Arabes », classé d'une manière systématique suivant l'ordre alphabétique à partir des finales des racines des mots et en donnant de nombreux exemples (chawahid), c'est-à-dire des citations puisées dans les œuvres classiques arabes : Coran, tradition, poésie ancienne et récente et autres ouvrages précieux de prose et de poésie. La signification des mots y est donnée ainsi que la diversité de leurs nuances. Cette œuvre dont l'édition imprimée comprend 20 volumes, contient 80 mille mots.

Il faut ajouter, que plus tard, le travail sur la lexicographie arabe n'a pas cessé, même à l'époque de la décadence des Arabes, car ce fut au XVIII° siècle qu'a été élaboré le plus important des dictionnaires, « Tadj al-arus », « La couronne de la fiancée », qui renferme 120 mille mots, dont Mourtada az-Zabidi, décédé en 1791, est l'auteur.

Cette présentation, très brève, des œuvres lexicographiques arabes nous montre l'immense richesse par laquelle se distingue la langue arabe et la magnificence de la culture arabo-musulmane. Langue et culture sont naturellement très étroitement liées, car durant la même période s'est épanouie une très riche littérature arabe : poésie et prose de divers genres, belles lettres, histoire, géographie.

Quant aux sciences : théologie, jurisprudence, philosophie, histoire naturelle et sciences exactes, elles connurent leur plus grand éclat dans la civilisation islamo-arabe, d'une part du IX° au XI° siècles dans les régions orientales et, d'autre part, du X° au XIII° siècles dans l'Occident musulman.

N'oublions pas que les Arabes étaient considérés comme des maîtres en matière de mathématiques et d'astronomie. Tous ces domaines, si vastes soient-ils, ont trouvé leur expression dans la langue arabe. Les écrivains et les savants traversaient d'un bout à l'autre l'immense Khalifat, sans aucun obstacle administratif, ni la moindre difficulté linguistique. Ils pouvaient étendre leurs acquisitions tant scientifiques que littéraires, là où ils s'arrêtaient : à Bagdad, au Caire, à Kairouan, à Cordoue.

ple des matériaux concernant les dialectes). C'est alors que commence un nouveau et magnifique chapitre du développement de la langue arabe.

En général, les philologues arabes pourraient être classés en trois groupes : les « philologues » au sens strict du mot, c'est-à-dire les compilateurs, et les commentateurs de textes, surtout de l'ancienne poésie arabe ; les grammairiens et les lexicographes. Evidemment, ces spécialités n'étaient pas strictement observées, et un grammairien pouvait s'occuper aussi de la lexicographie, de même qu'un lexicographe devenait grammairien.

Al-Khalil ibn Ahmad, décédé vers 791, fut le premier savant éminent, original et compétent dans tous les domaines et la philologie. Il créa le fondement de la spéculation grammaticale, lexicographique, et, dans un certain sens aussi celui de la spéculation théorique littéraire. Il fut le premier à tenter de systématiser la lexicographie arabe suivant les principes de la phonétique, comme cela apparaît dans son dictionnaire intitulé « Kitab al-ayn » (cette lettre gutturale de l'alphabet arabe ayant servi à l'auteur de point de départ dans le classement des mots). Al-Khalil fut aussi le premier à élaborer la métrique arabe, en instituant seize mesures du verset (ou du vers) prosodique.

Al-Khalil ibn Ahmad eut un célèbre adepte dans la personne du maître de l'école philologique de Basra, Sibawayhi, décédé en 792. Il est l'auteur d'un ouvrage monumental de grammaire « Al-Kitab » (Le Livre) qui connut un prestige extraordinaire en raison de son extrême importance dans l'évolution de la langue arabe. C'est une grammaire normative, groupant les expériences et les matériaux de la génération précédente des philologues et des grammairiens, et présentant un exposé très riche et détaillé des formes morphologiques et des principes de la syntaxe. L'auteur étaie ses thèses théoriques par de nombreuses citations tirées du Coran, dites Chawahid (Attestations), par la tradition, l'ancienne poésie arabe et par des exemples puisés dans le langage vivant des Bédouins «éloquents». Ce « livre » fut reconnu comme une autorité suprême dans le domaine de la grammaire arabe, et, plus tard, il fut non seulement commenté et développé par des grammairiens éminents des générations suivantes, mais considéré en principe comme une base de la grammaire arabe. Malgré tous les changements, plus ou moins insignifiants qu'a subis au cours des siècles la langue arabe, sauf en ce qui concerne la lexicographie, cette grammaire n'a pas perdu de son actualité jusqu'à présent.

L'œuvre des lexicographes arabes est particulièrement intéressante et riche. Il faut souligner ici, que la lexicographie arabe est exceptionnellement riche et possède de nombreux synonymes ; les règles morphologiques de la langue arabe permettent aisément la création de mots nouveaux, sans parler des changements sémantiques et des emprunts relativement peu nombreux. Pour cette raison les philologues arabes ont réussi à rassembler et à élaborer une quantité stupéfiante de mots dans des dictionnaires très volumineux. Ils ont élaboré plusieurs méthodes de classement lexicographique. Il y avait en principe, trois systèmes : 1°) le système sémantique des synonymes, groupant la lexicographie autour d'un thème ou d'un objet ; 2°) le système phonétique, assez compliqué et, 3°) le système alphabétique en deux variantes :

a) groupement des mots suivant les consonnes finales des racines ;

b) groupement des mots suivant les lettres-consonnes initiales.

Il convient de noter que les racines des mots arabes se composent le plus souvent de trois consonnes dites « radicaux ». Ces racines sont généralement mentionnées dans les dictionnaires arabes et suivies de nombreux dérivés (verbes, noms, adjectifs, etc.).

Les premiers lexicographes groupaient dans de petits traités la lexicographie liée à un objet ou à un thème, tel que : cheval, dromadaire, palmier, désert, etc. Ils formaient ainsi des petits dictionnaires « d'objets ». Leurs successeurs se sont efforcés à adopter, dans l'étude de la lexicographie, l'un des systèmes indiqués ci-dessus.

Le dictionnaire d'Ibn Douraïd, décédé en 934, constitue l'une des premières œuvres lexicographiques générales. Il est connu sous le titre de « Djamharat fi l-Lougha », « Recueil ayant trait à la langue (lexicographie) ». Ce dictionnaire peu pratique, mais non sans grande importance, est apprécié surtout comme source pour les recherches sur les débuts de la lexicographie arabe. Le classement y est par ordre phonétique, sauf dans l'une de ses parties où la disposition est alphabétique.

Le grand dictionnaire, intitulé « Tahdhib al-Lugha », « Perfectionnement de la langue » (il s'agit évidemment de la lexicographie) est d'une grande valeur. Le philologue connu, al-Azhari décédé en 980, en est l'auteur. Ce savant voyagea durant plusieurs années parmi les Bédouins à travers l'Arabie centrale ; il eut ainsi l'occasion d'étudier la langue arabe dans sa belle forme vierge en puisant ses connaissances directement

ce, de la littérature et de la culture arabo-musulmane.

Avec le Coran, la langue arabe est devenue celle de la nouvelle religion et de la nouvelle civilisation. Une nouvelle étape a commencé dans l'évolution de cette langue, étape liée aux grands changements dans la vie politique, sociale et culturelle des Arabes. Car le Prophète Mohammed, fut non seulement le créateur d'une nouvelle religion, mais il créa simultanément un nouvel Etat. Le Livre Saint de l'Islam ne fut pas uniquement un livre de culte, mais en même temps un Code de Lois et, à l'état embryonnaire, une constitution du nouvel empire.

Les grandes conquêtes réalisées avec une rapidité extraordinaire pour cette époque, par les Arabes au nom de la nouvelle religion, ont suscité pour la langue arabe, dès l'époque des premiers khalifes « les justes » (632-661) et, ensuite, au temps des Omayyades (661-750), de nouveaux problèmes et de nouvelles tâches. Déjà, au début du VIII° siècle, les Arabes créèrent un vaste empire qui s'étendait de la Chine et de l'Inde, à l'Est, jusqu'à l'Océan Atlantique et à l'Espagne, à l'Ouest. Les territoires de ce vaste empire différaient tant par leur composition ethnique que par leurs cultures et leurs langues. Les pays conquis furent arabisés dans une période relativement courte. Les néophytes musulmans, de nationalité étrangère, étaient obligés d'apprendre la langue arabe, celle de la nouvelle religion qu'ils ont adoptée et, en même temps, celle des nouvelles autorités. Le Coran, livre de l'Islam, devait être récité en arabe (il était interdit de le traduire), et il fallait aussi le faire bien comprendre autant par les Arabes que par les représentants d'autres nationalités de confession musulmane. Il était absolument indispensable de faire comprendre correctement le Livre Saint, pour que la doctrine religieuse et juridique fût observée et pour qu'elle se développât normalement. Ainsi est née une classe spéciale de savants religieux, auteurs des premiers commentaires appelés « tafsirs ». En même temps, naissait la science du droit musulman — Fikh — constituant une partie de la science religieuse. Les traditions du Prophète, c'est-à-dire ses déclarations concernant des problèmes liés à la religion et à la loi, devaient compléter le Coran, et furent très utiles aux commentateurs du Coran. Pour expliquer les difficultés linguistiques de certains termes du Coran, on se servait de l'ancienne poésie arabe. Tout cela conduisait à des recherches philologiques, car l'étude du Coran et de la tradition (Hadith) commençait par une analyse scrupuleuse des mots et de leur signification.

Des villes assez considérables furent édifiées en peu de temps à l'emplacement des camps militaires arabes fondés dans diverses régions du nouvel empire, telles que Basra et Koufia en Mésopotamie, Fostat en Egypte, Kairouan en Afrique du Nord (Tunisie), etc. Ces villes, et notamment Basra et Koufia sont devenues plus tard des centres de la science philologique. L'étude de la langue arabe qui, jusqu'à la moitié du VIII° siècle, avait été une « science empirique », un don de la nature des Arabes-Bédouins, devait se transformer en une langue « scientifique » élaborée, enrichie et polie par les philologues « professionnels ».

Mais, antérieurement à cette époque, avant d'être traitée et systématisée par les philologues, la langue des Bédouins, vivante, mais « inculte », « Wahchi » comme l'appelaient les Arabes eux-mêmes, avait été en mesure de remplir les tâches que lui avait imposées l'histoire. Elle devint au début du VIII° siècle la langue officielle du nouvel Etat arabe. Cette « arabisation » officielle du vaste « royaume arabe » nom donné parfois au Khalifat des Omayyades, commença au temps du Khalife Abd al-Malik (685-705) et fut affermie sous le règne de son successeur, le Khalife al-Walid (705-715). Elle visait surtout le remplacement par l'arabe, des anciennes langues officielles sur les territoires Est du Khalifat, grec et pahlawi (Perse centrale). Il faut ajouter ici, que le processus de l'arabisation complète de la population s'est effectué progressivement, beaucoup plus tard. Nous en reparlerons encore ci-après.

EPANOUISSEMENT DES SCIENCES PHILOLOGIQUES

Les études philologiques ont commencé, comme il a été mentionné ci-dessus, sur le Coran et par une analyse de sa lexicographie. Ainsi, elles ont été liées, dès l'origine, aux sciences religieuses. La science spéculative et les recherches philologiques étaient très rapprochées les unes des autres, car elles avaient leur base matérielle commune dans le Coran, le « Hadith » (tradition du Prophète) et dans l'ancienne poésie arabe, complétée par les traditions des Bédouins. Les méthodes et les principes de l'évolution de ces deux sciences se ressemblaient aussi : l'analogie (kiyas) et la conformité des opinions des savants (idjmâ). Bientôt, cependant, à partir de la deuxième moitié du VIII° siècle, les recherches philologiques deviennent indépendantes et de plus en plus spécialisées. Au IX° siècle elles connaissent une brillante époque d'épanouissement dans les deux centres culturels de l'Irak : Basra et Koufia. Ces deux centres ont élaboré leurs propres méthodes de recherche, en créant leurs « écoles » ; l'école de Basra avait un caractère plus spéculatif, tandis que le caractère de l'école de Koufia était plus empirique (elle collectionnait par exem-

le Prophète de l'Islam, Mohammed. C'est dans cette langue, selon les grammairiens arabes, que le Prophète avait proclamé les saintes sourates du Coran, qui lui ont été révélées par Allah en « claire langue arabe ».

La réalité, cependant, semble probablement un peu différente, bien qu'il soit difficile de connaître toute la vérité, quant à la genèse de la langue de l'ancienne poésie arabe. Cette poésie n'a existé pendant longtemps —, presque durant trois siècles — que dans la tradition orale. Elle n'a été complétée et écrite que vers la fin du VIII[e] et au IX[e] siècle, par les philologues de cette époque. Il semble juste de supposer que la langue de l'ancienne poésie, lorsqu'on prit soin de l'écrire, fut l'objet d'un travail de perfectionnement et d'épuration des mots d'origine dialectal par les poètes et les philologues de l'époque de l'épanouissement des sciences philologiques au IX[e] siècle. En principe tout indique, cependant, que cette poésie est authentique, et qu'elle remonte aux V[e] et VI[e] siècles. Les magnifiques poèmes bédouins — les kassydas et notamment les mou'allakat, — étaient considérées jadis comme la plus belle poésie d'origine purement arabe ; elles sont encore à présent l'objet de la même admiration dans tout le monde arabe.

Comme l'indiquent des recherches philologiques plus récentes, la langue des anciennes poésies arabes devait avoir pour origine le dialecte de l'une des importantes tribus du Nejd en Arabie centrale. Il est vraisemblable que ce dialecte ait dû son prestige et sa popularité à un poète célèbre, dont les poésies se sont répandues parmi les tribus de l'Arabie. Aucun rôle n'a pu être joué par une autorité centrale dans cette affaire, car à cette époque, avant la naissance de l'Islam, elle n'existait pas en Arabie. Certains sont enclins à croire, que ce fut le dialecte de la tribu Kinda, qui s'est avancé au premier plan. Au V[e] siècle, cette tribu a réussi à créer une sorte de fédération des tribus de l'Arabie et à fonder un petit « royaume ». Cependant, ce royaume éphémère a duré trop peu de temps pour pouvoir jouer un rôle important dans l'intégration de ces tribus, au point de donner lieu à la création d'une langue pan-arabe. D'autres croient trouver les origines de la langue poétique pan-arabe dans le dialecte de la tribu Tamim, qui menait une vie de nomades en Arabie centrale, et fut célèbre par son éloquence et par sa belle poésie. Bref, bien qu'il existe des divergences d'opinions concernant la naissance de la langue pan-arabe des poètes, les chercheurs sont d'accord quant au fait que la langue de l'ancienne poésie arabe a ses origines dans le Nejd. Cette langue commune n'était pas un domaine fermé, elle était une langue vivante, parlée par les « Bédouins nobles et éloquents ». Elle se distinguait par une richesse extraordinaire de sa lexicographie et par l'abondance des synonymes, grâce à la contribution que lui apportait les autres dialectes arabes.

LE CORAN ET SON IMPORTANCE DANS LE DEVELOPPEMENT DE LA LANGUE ARABE

Au début du VII[e] siècle, un grand événement eut lieu dans la vie des Arabes, événement qui a changé le courant de leur histoire, en décidant en même temps de la grandeur et de la renommée de leur langue. Ce fut l'Islam, la nouvelle religion et la nouvelle idéologie proclamée par le « Prophète des Arabes » Mohammed. Le Coran naît rédigé « en langue arabe claire et éloquente » et constitue le premier monument arabe — linguistique et littéraire — rassemblé par écrit sur l'ordre du troisième khalife Othman (644-656). Or, la langue du Coran est presque identique à celle de l'ancienne poésie arabe, c'est-à-dire à la langue des Bédouins du Nejd. On admettait généralement, notamment dans les milieux des philologues arabes, que le Prophète de l'Islam prêchait les saintes sourates du Coran dans son dialecte natal de la Mecque ; cependant, plus tard, quand le texte du Coran fut reproduit par écrit, cette langue, le dialecte de la Mecque, fut perfectionnée et adaptée à la langue de l'ancienne poésie arabe. Il n'est pas sans fondement aussi de supposer, que le Saint Livre de l'Islam avait été prêché, non pas en dialecte de Koraïch de la Mecque, où est né le Prophète, mais en langue poétique, d'autant plus qu'une grande partie du Coran possède le caractère d'une poésie inspirée. Or Mohammed, lui-même, qui, avant la parution de l'Islam, avait traversé l'Arabie dans tous les sens, comme guide des caravanes, connaissait, sans aucun doute, fort bien cette langue poétique ; il pouvait donc s'en servir dans sa mission de Prophète, afin de mieux se faire comprendre par les peuples bédouins.

Bien qu'il nous soit impossible d'établir avec une certitude absolue la genèse de la langue poétique, ainsi que celle de la langue du Coran, nous pouvons par contre constater indubitablement que la langue de l'ancienne poésie arabe et celle du Coran, dans leur forme définitive écrite, sont la même langue pan-arabe. L'ancienne poésie arabe et le Coran, deux magnifiques monuments linguistiques et littéraires, sont devenus plus tard la source principale des recherches philologiques arabes et une base essentielle de la langue arabe classique « arabiyya », qui a évolué merveilleusement dans le sens le plus large de ce mot, se transformant en langue de la scien-

En tant que langues de grandes puissances et de grandes civilisations babylonienne et assyrienne, les langues sémitiques ont fait depuis longtemps leur apparition sur l'arène historique ; cela remonte à environ 2 mille ans avant notre ère. Ces langues, étroitement liées entre elles, manifestent de grandes ressemblances dans leur structure grammaticale et dans leur lexicographie. Elles tirent certainement leurs origines d'un tronc sémitique commun et très ancien.

Il a été admis de placer les langues sémitiques dans les trois groupes suivants :

I. - Le premier groupe est formé par la langue akadienne babylonienne et assyrienne, appelée aussi Est-sémitique.

II. - Le deuxième groupe se compose des anciennes langues de la Syrie et de la Mésopotamie, groupe Nord-Ouest, qui lui-même, se subdivise en deux groupes inférieurs :

a) Les dialectes cananéens — dont les plus importants sont la langue phénicienne et l'hébreu.

b) La langue araméenne, celle de la culture de l'Asie Mineure (plusieurs siècles avant J.-C. dans l'Etat des Achéménides) et la langue syrienne — qui, elle, est proche-parente de la langue du culte et de la littérature des chrétiens orientaux.

III. - Le troisième groupe des langues sémitiques comprend les langues de l'Arabie, qui se subdivisent, à leur tour, en deux groupes inférieurs :

a) La langue arabe du Nord qui, au début, comprenait les dialectes de l'Arabie centrale, dont est née plus tard la langue arabe classique — arabiyya — objet de notre article.

b) Les dialectes arabes du Sud qui ne nous sont connus que par certaines inscriptions : le minnéen, le sabéen, l'himiarique et la langue éthiopienne ; ce sont, plus strictement parlant, des dialectes sémitiques éthiopiens.

Nous étudierons ensuite la langue de l'Arabie du Nord. La préhistoire de la langue arabe — initialement dialectes arabes — s'étend sur une période d'assez longue durée. Cependant, il nous est impossible de suivre de près l'évolution de cette langue, faute de monuments propres à nous guider. Il n'y a que des fragments d'anciennes inscriptions arabes éparpillées dans diverses parties de l'Arabie du Nord. Ces inscriptions thamudiennes, lihianiques et safaïques, illustrent au moins partiellement, l'étape de l'évolution de la langue arabe précédant son ère classique. Elles remontent à une période étendue sur un millier d'années environ.

Le document linguistique, le plus ancien, rapproché par sa forme à la langue classique, est une inscription tumulaire d'an-Namara, se trouvant au Sud-Est de Damas et datant de l'année 328. Cependant, cette inscription a été composée avec des caractères nabatéens. Les caractères arabes, qui ont leurs origines dans l'écriture nabatéenne, se manifestent dans trois autres inscriptions arabes : celle de Zabad, au Sud-Est d'Alep datant de la période 512-513 ; celle de Harran, au Sud de Damas, remontant à l'année 568 — et celle d'Umm al-Djimal, au Sud de Basra, datant de la même année que la précédente.

Bien que les Arabes — avant l'époque du Prophète Mohammed (début du VII[e] siècle) — aient immortalisé leur langue uniquement dans les inscriptions tumulaires en pierre, nous sommes en possession d'autres témoignages indiquant qu'ils disposaient d'une langue « parlée » très développée et se distinguant par sa belle forme littéraire. Car, ils avaient une magnifique poésie nationale, transmise d'une génération à l'autre dans la tradition verbale. Cela prouve que la langue arabe avait dû se développer et se perfectionner durant des centaines d'années avant de s'épanouir dans sa forme littéraire la plus parfaite dans l'ancienne poésie arabe du VI[e] siècle.

DIALECTES D'ARABIE : NEJD ET HIJAZ ET LANGUE POETIQUE

Les tribus arabes parlaient, dans la vie quotidienne, leurs divers dialectes, différant les uns des autres. Les dialectes de l'Arabie centrale, Nejd et Hijaz, se distinguaient par leur perfection naturelle et, peu à peu, ils ont pris la première place. Ce fut l'un de ces derniers qui devint, grâce à sa supériorité, la langue littéraire de l'ancienne poésie arabe. Ainsi, il existait déjà en Arabie, probablement au V[e] siècle et, très certainement au VI[e], une langue « pan-arabe », qui s'élevait au-dessus des dialectes et dont se servaient les poètes et les orateurs.

Cette langue leur permettait de jouer un rôle social et politique très important ; la tâche de défenseurs ou d'arbitres leur incombait à l'occasion des litiges entre tribus. Leurs paroles, non écrites, « volaient à travers le désert, plus vite que des flèches », comme le dit la tradition, en convaincant les cœurs et les esprits de ceux qui les avaient entendues.

Suivant la thèse des grammairiens arabes, ce dialecte était celui de la puissante tribu des Koraïchites, à laquelle appartenait l'aristocratie commerciale de la Mecque et dont était originaire

Rôle et importance de la langue arabe au Moyen-Age et à l'heure actuelle

Dr Josef BIELAWSKI,
Chef de la Section des langues arabes
et de l'Islamisme
(Université de Varsovie) (1)

La langue arabe est à l'heure actuelle dans sa forme écrite et parlée une langue d'usage quotidien et la langue nationale de tous les peuples du monde arabe. Dans sa forme classique, elle est une langue de culte, une langue « liturgique » de plus de 400 millions d'adeptes de l'Islam, de diverses nationalités, qui vivent, dans de vastes régions de l'Asie et de l'Afrique s'étendant de l'Océan Atlantique aux îles de l'Indonésie, et de la Sibérie à l'équateur.

L'arabe classique « Arrabiyya » est par excellence, durant l'époque du Moyen-Age, la langue exceptionnellement riche d'une belle poésie, d'une littérature légère en prose, d'une littérature religieuse et profane, de la philosophie et des sciences exactes. Elle est aussi la langue dans laquelle s'exprime une nouvelle littérature moderne qui prend une ampleur croissante et se développe dans l'ensemble du monde arabe, tant dans le domaine des belles-lettres que dans celui de la science.

Pour toutes ces raisons, la langue arabe mérite une attention spéciale, surtout à présent, au moment où le monde arabe et sa langue propre commencent à jouer sur cette terre un rôle de plus en plus important.

Son épopée est vraiment stupéfiante — car ayant été à l'origine un simple dialecte de Bédouins vivant dans le désert de l'Arabie —, elle est devenue, en moins de cent ans, la langue officielle du vaste empire arabe et, par voie de conséquence, l'instrument d'expression de la magnifique culture arabo-musulmane.

Sur les pages qui suivent nous ferons brièvement état de la genèse et de l'évolution de la langue arabe et du grand intérêt dont elle est l'objet dans tout le monde arabo-musulman. Nous parlerons aussi des dialectes arabes.

LANGUE ARABE DANS LA FAMILLE DES LANGUES SEMITIQUES

La langue arabe appartient à la grande famille des langues sémitiques en usage dans l'Asie du Sud-Ouest ; elle est la plus jeune de ces langues et la plus riche, toujours vive et dynamique dans son évolution.

---

(1) Article paru en 1969 dans le n° 8 de la revue mensuelle de vulgarisation de la Science « Problemy », en langue polonaise et dont nous avons pu obtenir la traduction en français grâce au concours de notre ami le Docteur Ahdeslam el Harraki, ambassadeur du Maroc à Varsovie.

الفهرس العام

1) دراسات وابحاث

صفحة

2) موسوعة المغرب العربي

3) ابحاث مختلفة

4) نشاط المكتب الدائم

صفحة

5) تحـقـيـقـات

6) ابحـاث ودراسـات باللغـات الاجنبيـة

تصويبات

رغم كل الجهود المبذولة فى تصحيح التجارب المطبعية ومراجعتها وقعت اخطاء فى البحث القيم الذي نشرناه للاستاذ الكبير عبد الحق فاضل فى هذا العدد من المجلة بعنوان « دخيل أم أثيل ؟ » ومع اعتذارنا للاستاذ الفاضل ولقرائنا الكرام نرجو التفضل بالتصويبات التالية قبل الشروع فى التلاوة :

الخطأ	الصواب	الصفحة	الضلع	الفقرة	السطر
— البحث	الجث	26	2		9
— ومن الريح صاجوا المروحة اداة الترويح	ومن معنى الهواء فى الكلمة صاقوا الراحة	27	2	5	22
— ومن سل نشأ (أسن) ومنه (السنان)	يحذف	28	2	6	16
— المسمى بالتثاء الهندي، ويؤثلونها من الاغريقية	يحذف التكرار	29	2	6	25

مع خالص الشكر

(اللسان العربي)

